دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات

توفر عليها
أ.د شعبان عبد العزيز خليفة

6

الدار المصرية اللبنانية

دائرة المعارف العربية

في علوم

الكتب والمكتبات والمعلومات

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت - القاهرة
هاتف: 3923525 - 3936743 - فاكس: 3909618 - ص . ب 2022
e- mailALMASRIAHRASHAD@LINK.NET

تجهيزات فنية : الإسـراء ت : 3143632

طبع: أمـون ت : 7944356 - 7944517

رقم الإيداع : 18150 / 2003

الترقيم الدولى : 1 - 819 - 270 - 977

الطبعة الأولى: رمضان 1424 هـ نوفمبر 2003 م

دائرة المعارف العربية
في علوم
الكتب والمكتبات والمعلومات

المجلد السادس

أستراليا، المكتبات في - إلمندروف، تيريزا وست

توفر عليها

أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

الناشر

الدار المصرية اللبنانية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجلد السادس

بحمد من الله يخرج المجلدان السادس والسابع لينتهى حرف الألف من هذه الموسوعة الموسومة «دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات» ومن ثم نكون قد خرجنا من عنق الزجاجة. ولقد تم وضع اللمسات الأخيرة فى هذين المجلدين فى صيف ٢٠٠١ وشهدنا أحداث الولايات المتحدة الدامية التى وقعت فى الحادى عشر من سبتمبر فى تلك السنة وما تبع ذلك من تداعيات.

ويتناول المجلد السادس ستًّا وعشرين دراسة موزعة على النحو الآتى:

شخصيات	١١
بلدان	٨
مجالات	٧

ويبدأ المجلد باستراليا وينتهى بـ إلمندورف. وقد نهجنا فى هذا المجلد نهجنا فى المجلدات السابقة من الوقوف أمام بعض الموضوعات وقفة طويلة نسبيًا وذلك إما لأن الكتابات العربية فيها قليلة ومن ثم تحتاج إلى معالجة طويلة سدا للفراغ وتلمساً للكمال، وإما لأن الموضوع يحتاج إلى شرح وبسط وجهات نظر جديدة وإدخال زوايا لم تكن معروفة من قبل على نحو ما فعلنا فى موضوع مكتبة الاسكندرية حيث ـ ربطنا بين المكتبة القديمة ومشروع إحيائها فيما عرف بمكتبة الإسكندرية الجديدة، وقد كان من الضرورى توثيق هذا الحدث الهام وحيث كان من المقرر أن يتم افتتاح هذا المشروع العملاق فى الثالث والعشرين من شهر إبريل ٢٠٠٢، ولكن بسبب الأحداث الجسام التى حدثت فى فلسطين واجتياح إسرائيل لأراضى السلطة الفلسطينية ثم تأجيل الافتتاح الرسمى حتى يخرج فى ترتيب عظيم يليق بهذا المشروع العملاق.

على الجانب الآخر هناك موضوعات تم تناولها تناولا سريعا وذلك بسبب تغطيتها فى الكتابات العربية تغطية واسعة ومن ثم قد يكون من باب الاطناب والاسهاب والاضطراد والتكرار أن ندخل فى تفاصيلها.

ولقد قصدنا من وراء هذا العمل وجه الله ونفع المكتبة العربية.

والله سبحانه من وراء القصد،

أ.د. شعبان خليفة

أستراليا، المكتبات فى

Australia, Libraries in

أنظر أيضا: اتحاد المكتبات والمعلومات الأسترالية

بدأ الاستعمار البريطانى لاستراليا بالساحل الشرقى سنة ١٧٨٨ بالقرب مما يعرف الآن بمدينة سيدنى. وفى سنة ١٨٢٩م تكونت رسميا أكبر مستعمرة (مستوطنة) وعرفت آنذاك باسم مستعمرة نهر البجع (سوان ريفر) والتى أطلق عليها فيما بعد ولاية استراليا الغربية. وبذلك تم استعمار كل قارة استراليا التى تبلغ ثلاثة ملايين ميل مربع وبالمقارنة فان الولايات المتحدة ـ باستثناء ولاية ألاسكا ـ لا تزيد إلا قليلا عن ثلاثة ملايين ميل مربع. وفى سنة ١٩٠١ قام اتحاد فيدرالى بين الولايات الست المستقلة التى كانت تكون استراليا آنذاك وهى: نيوثاوث ويلز، كوينزلاند، استراليا الجنوبية؛ تاسمانيا؛ فيكتوريا؛ استراليا الغربية.

ويضاف الى هذه الولايات الست **المنطقة الشمالية** التى تحكمها الحكومة الفيدرالية مباشرة منذ سنة ١٩١١ حين انفصلت عن استراليا الجنوبية؛ **ومنطقة العاصمة الأسترالية** التى تشبه الى حد كبير مقاطعة كولومبيا فى الولايات المتحدة التى تقع فيها العاصمة الأمريكية واشنطون. وعلاوة على ذلك هناك عدد من الجزر التى تدار بواسطة الحكومة الاسترالية أو تحت وصاية الأمم المتحدة. ومن المعروف أن استراليا هى أكبر جزر العالم أو أصغر قارات العالم (هى وجيرانها) المكونة لما يعرف بـ أستراليشيا أو الإقيانوسة.

وتقع أستراليا فى نصف الكرة الجنوبى بين المحيط الهادى والمحيط الهندى ويبلغ عدد سكانها فى نهاية القرن العشرين نحو عشرين مليون نسمة مركزين أساساً فى المدن العواصم. وكما سبق القول تبلغ المساحة الكلية لاستراليا ثلاثة ملايين ميل مربع أى ٧,٧١٣,٣٦٤ كيلو متراً مربعاً. واللغة الرسمية للبلاد هى اللغة الانجليزية.

ورغم أن الاستيطان الغربى لاستراليا بدأ سنة ١٧٨٨م إلا أن السكان اليوم فى استراليا يمثلون ثقافات متعددة بسبب برنامج الهجرة الواسع الذى بدأ مع الحرب العالمية الثانية وكانت استراليا حتى نهاية القرن العشرين تمنع هجرة الآسيويين (الصُفر) إليها إلا أنها مع سنة ٢٠٠٠ فتحت باب الهجرة لهم. وتذكر أحدث الاحصاءات أن ٤٢٪ ممن يعيشون فى استراليا اليوم ولدوا خارجها أو على الأقل أحد الوالدين ولد فى الخارج. والسكان الأصليون الذين يعتقد أنهم عاشوا هنا منذ أربعين ألف سنة وجدوا أنفسهم فى علاقات سياسية واجتماعية سيئة مع المستوطنين الأوربيين منذ عام ١٧٨٨م. وكان التوفيق والتآلف بين الشعبين هو أهم أحداث احتفالات سنة ٢٠٠١ بمناسبة مرور مائة سنة على الاتحاد الفيدرالى بين الولايات الاسترالية.

والمتابع للحركة المكتبية فى استراليا يجدها بطيئة بسبب ترامى أطراف الدولة وقلة الكثافة السكانية. وقد نمت المكتبات فى استراليا بالتوازى مع نظيراتها فى بريطانيا حيث بدأت بمكتبات الاشتراكات ومكتبات التأجير ومكتبات معاهد الميكانيكا والمكتبات الجامعية ومكتبات المتاحف. ولكن مع سنة ١٨٥٠ بدأ تباين هام بين التجربة البريطانية والتجربة الاسترالية؛ حيث أدى قانون المكتبات البريطانى الذى صدر سنة ١٨٥٠ إلى انهيار معاهد الميكانيكا، بينما أدى إلى إنشاء مكتبات محلية مدعومة من الضرائب فى جميع المدن فى عموم بريطانيا. وقد عرف هذا النوع الجديد من المكتبات باسم المكتبات العامة على نحو ما حدث أيضا فى الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الجانب الآخر فى استراليا كان لمصطلح المكتبات العامة مفهوم آخر حيث أطلقت على نمط مختلف من المؤسسات المكتبية، ذلك أنه بعد استقلال المستعمرات الست وتمتعها بالحكم الذاتى سنة ١٨٥٠ قامت كل منها بانشاء وتمويل مكتبة فى عاصمة الولاية أطلق عليها اسم المكتبة العامة. ولم تكن هذه المكتبات فى حقيقة أمرها إلا ما نطلق عليه الآن اسم «مكتبة الولاية أو مكتبة الدولة» والتى انحصر نشاطها الأساسى فى تقديم بعض الخدمات المرجعية وفى بعض أحيان قليلة كانت تقدم خدمات إعارة محدودة إما لمواطنى المدينة مباشرة أو بواسطة صناديق من الكتب ترسل إلى المناطق الريفية. وبالإضافة إلى ذلك فإن مكتبات الولايات تلك

كانت تتلقى معونات مالية من الحكومة المركزية لتقديم خدمة مكتبية محلية. وقد نالت مكتبات معاهد الميكانيكا الجزء الأكبر من تلك المعونات ولكن مع تضاؤل التأييد والدعم العام ومحدودية المساعدة المالية من الحكومة المركزية تخلفت مكتبات المعاهد الميكانيكية أكثر مما ازدهرت. ورغم ذلك فإن استمرارها فى الوجود أدى إلى تأخر ظهور المكتبات العامة كما نفهمها اليوم.

ولقد تأثر نمو الحركة المكتبية فى استراليا بقلة عدد السكان إذا ما قورن بالمساحة الكلية للدولة، وبتركز السكان فى المدن الرئيسية وخاصة على الساحل الجنوبى الشرقى المعروف للكثيرين باسم مثلث كاولا، والظروف المناخية التى تسود القارة. وكما كان انشاء وتطور المكتبات بطيئا متعثراً كان التنظيم الرسمى للمهنة كذلك بطيئا متعثرا. ذلك أنه بعد إنشاء اتحاد المكتبات الأمريكية سنة ١٨٧٦م، وجاء بعده إنشاء اتحاد المكتبات البريطانية سنة ١٨٧٧ دعى عدد من الممثلين الاستراليين لحضور اجتماع ١٨٧٧م لاتحاد المكتبات البريطانية وكان من بينهم السير ريدموند بارى رئيس مجلس أوصياء مكتبة ولاية فيكتوريا وقد ألقى بحثا هاما فى هذا الاجتماع كما انتخب نائبا أول لرئيس اتحاد المكتبات البريطانية. ويبدو أن الوفد الاسترالى لم يكن قد تشبع عند عودته الى استراليا بفكرة إنشاء اتحاد استرالى للمكتبات. ولم يعقد أول مؤتمر للمكتبات الاسترالية إلا سنة ١٨٩٥ فى ملبورن، وهو المؤتمر الذى أدى فى النهاية إلى إنشاء اتحاد المكتبات فى استراليشيا (رغم أن مشاركة نيوزيلنده فى أعمال الاتحاد كانت مجرد مشاركة اسمية). ولم يدم هذا الاتحاد إلا حتى سنة ١٩٠٢م عقد خلالها ثلاثة مؤتمرات، ونشر وقائع تلك المؤتمرات بالإضافة الى مجلة فصلية بعنوان: سجل مكتبات استراليشيا.

وفى سنة ١٩٢٨ عقد مؤتمر آخر فى ملبورن نوقشت فيه فكرة إنشاء اتحاد وطنى للمكتبات وتمخض عن قيام «اتحاد المكتبات الأسترالية». وعلى الرغم من هذه التسمية الشاملة إلا أن ولاية نيوثاوث ويلز وولاية استراليا الغربية لم تكونا ممثلتين فيه. وقد جاءت القوة الدافعة فى الاتحاد عادة من ولاية استراليا الجنوبية، حيث كانت حركة مكتبات المعاهد الميكانيكية قوية. وفى سنة ١٩٢٩م اقترح اتحاد مكتبات ولاية

فيكتوريا (عضو اتحاد المكتبات الاسترالية) القيام بمسح شامل للمكتبات فى استراليا بتمويل من مؤسسة كارينجي فى نيويورك على غرار ما قامت به المؤسسة فى جنوب افريقيا سنة ١٩٢٨. وقد أيد اتحاد المكتبات الاسترالية هذا الاقتراح وبارك تلك الجهود، وقام فرانك تيت رئيس اتحاد المكتبات فى فيكتوريا باجراء المفاوضات مع مؤسسة كارينجى للقيام بذلك المسح. وقد قام بذلك المسح كل من رالف مَنّ مدير مكتبة كارينجى فى بتسبرج وإرنست ر. بت مدير مكتبة ولاية فيكتوريا. وكانت أهم توصيات تقرير من - بت الذى أعقب عملية المسح سنة ١٩٣٤، ونشر سنة ١٩٣٥ على النحو الآتى:

١- توسيع مهنة المكتبات وتقويتها عن طريق إنشاء اتحاد على مستوى عالٍ فى استراليا. هذا الاتحاد يناط به ادارة نظام الاختبار المركزى لأمناء المكتبات المؤهلين والاحتفاظ بسجل عام ببياناتهم. وكان هذا النظام يشبه النظام المعمول به فى بريطانيا ولم يكن هناك بد من الأخذ به طالما لم تكن هناك مدارس للمكتبات فى استراليا.

٢- تشجيع المكتبة الوطنية على أن تصبح مكتبة إيداع ومكتبة بحث وعلى أن تقدم الخدمات البيليوجرافية.

٣- إنشاء مكتبات بلديات مدعومة من الضرائب تقدم خدماتها بالمجان للمواطنين خارج المدن العواصم مع الإلغاء التدريجى أو التمويل التدريجى لمكتبات معاهد الميكانيكا.

٤- إنشاء مكتبات إقليمية ومكتبات مقاطعات فى المناطق الريفية كمسئولية مباشرة بكل دولة.

٥- إنشاء وتطوير المكتبات المدرسية بحيث تغدو جزءا متكاملاً فى البرنامج التعليمى لأى مدرسة.

ونظراً لأن اتحاد المكتبات الاسترالية كانت تسيطر عليه مكتبات المعاهد الميكانيكية فإنه لم يحاول تطبيق تلك التوصيات، بل خرج من السوق ومن حسن الحظ فإن تيت بمساعدة من ج.س. رمنجتون حاول تنفيذ المقترحات التى جاءت بالتقرير على

الأقل فى ولاية نيوثاوث ويلز وأنشأ «حركة المكتبات المجانية» وقد انتشرت هذه الفكرة بالتدريج إلى الولايات الأخرى. وقد ساعدت المعونات التى جاءت من مؤسسة كارينجى تلك الحركة على الانتشار كما ساعدت فى سنة ١٩٣٧ على قيام «المعهد الاسترالى للمكتبيين».

وبعد الحرب العالمية الثانية صدر قانون المكتبات الذى طبق فى كل الولايات ماعدا واحدة فقط، كما بدأ التعليم الرسمى لعلم المكتبات وحدث تحسن كبير سواء فى إمكانات المكتبات أو إدارتها. وفى سنة ١٩٤٦م أجرى مسح آخر للمكتبات هناك قام به تلك المرة ليونيل ماكولفن مدير مكتبة ويستمنستر فى انجلترا والسكرتير الفخرى لاتحاد المكتبات البريطانية. وبصفة عامة اتفق ماكولفن مع توصيات من - بت على الرغم من اعتراضه على التدرج فى إحلال المكتبات العامة محل مكتبات معاهد الميكانيكا، وقد رأى ماكولفن أن تقدما كبيراً حدث منذ المسح الذى قام به من - بت. وعلى الرغم من أن تقديره لم ينقل الصورة البريطانية للمكتبات طبق الأصل إلا أنه كان ذا أثر كبير على الحركة المكتبية فى استراليا.

وقد أجريت دراستان أخريان عن المكتبات الاسترالية فى ستينات القرن العشرين ركزت كل منهما على جوانب محددة من الحركة المكتبية هناك ففى سنة ١٩٦١ قام موريس تاوير أستاذ المكتبات فى كلية المكتبات بجامعة كولومبيا باعداد مسح شامل عن المكتبات فى استراليا لفت فيه الانتباه إلى ضرورة تنسيق التزويد فى المكتبات. وفى سنة ١٩٦٤ قامت سارة فينويك من كلية المكتبات فى جامعة شيكاغو بإعداد دراسة عن مكتبات الأطفال والمكتبات المدرسية وقدمت الكثير من المقترحات البناءة لتطوير هذا القطاع المهمل فى المكتبات الاسترالية. وسوف نتناول واقع المكتبات الاسترالية وفقًا لأنواعها على النحو التالى:

المكتبة الوطنية الاسترالية:

أنشئت المكتبة الوطنية لاستراليا سنة ١٩٠٢ كمكتبة برلمانية؛ ذلك أنه بعد قيام الاتحاد الفيدرالى بين الولايات الاسترالية الست سنة ١٩٠١ قام برلمان الكومنولث

الجديد بمناقشة إنشاء تلك المكتبة وبعد أربعة أسابيع فقط من اجتماعه الأول تم تعيين لجنة مكتبات مشتركة لدراسة أوضاع مكتبة البرلمان المقترحة. وقد وضعت اللجنة تقريرها سنة ١٩٠٣ والذى نص على امكانية تأسيس «مكتبة فيدرالية عامة» تكون مكتبة البرلمان أحد أقسامها. وفى سنة ١٩٠٧ وضعت تقريرا آخر نص على أن اللجنة قد وضعت نصب عينيها نموذج إنشاء مكتبة برلمانية عندما ينتقل البرلمان الى العاصمة الفيدرالية، مكتبة كبيرة على غرار مكتبة الكونجرس الشهيرة، مكتبة تليق بالأمة الاسترالية تجمع كل الانتاج الفكرى ليس فقط لولاية معينة ولا لفترة محددة ولكن لكل العالم من كل العصور. ولمدة ربع قرن ظلت هذه المكتبة مع البرلمان فى ملبورن معتمدة على تمويل من ولاية فيكتوريا والمكتبات البرلمانية فى الولايات الأخرى وكانت خدماتها قاصرة على رجال البرلمان. ولكن نفس الفترة شهدت بدايات تطور «مجموعات استرالي» (استراليانا)، وبدايات الايداع القانونى مع صدور قانون حق المؤلف لسنة ١٩١٢ ونشر ٣٤ مجلدا من «سجلات تاريخ استرالي». وفى سنة ١٩٢٣ تم إطلاق اسم «مكتبة الكومنولث الوطنية» على المكتبة حيث كانت تقدم خدمات مكتبية خارج نطاق البرلمان. وقد قبلت التسمية الجديدة من جانب الحكومة رغم أنه لم يكن هناك تشريع من البرلمان بانشاء المكتبة وتحديد وظائفها ومهامها.

وفى سنة ١٩٢٧م انتقلت المكتبة مع البرلمان الى العاصمة كانبرا وتوسعت فى تقديم خدماتها لغير رجال البرلمان وإلى الإدارات الحكومية المختلفة، كما توسعت فى تقديم خدماتها المرجعية والببليوجرافية للعلماء والباحثين. ونظرا للزيادة الكبيرة التى طرأت على المكتبة بعد الحرب العالمية الثانية سواء فى المقتنيات أو الخدمات غير البرلمانية واتجاه المكتبة نحو الخدمات البحثية والخدمات المرجعية، فقد عينت لجنة تقصى الحقائق حول المكتبة الوطنية سنة ١٩٥٦.

وقد أوصت اللجنة بفصل الأرشيف البرلمانى والحكومى عن المكتبة الوطنية وكانت الوظيفتان تقوم بهما نفس المؤسسة الواحدة. وقد تم تنفيذ تلك المقترحات سنة ١٩٦٠ بمقتضى تشريع صدر فى تلك السنة، ومن ثم قامت المكتبة الوطنية كمؤسسة ذات إدارة ذاتية يديرها مجلس خاص بها وأنيطت وظيفة الأرشيف بما يعرف الآن باسم

«الأرشيف الاسترالى». ويتألف مجلس إدارة المكتبة الوطنية الاسترالية من تسعة أعضاء ومدير المكتبة وعادة ما يشترط فى عضو المجلس أن يكون من الشخصيات العامة البارزة ويمثل المجتمع الاسترالى خير تمثيل ومن بين الأعضاء سيناتور يختاره مجلس الشيوخ لهذا الغرض، وأحد أعضاء مجلس العموم يختاره ذلك المجلس، وسبعة أعضاء يعينهم الحاكم العام. وقد حدد تشريع سنة ١٩٦٠ وظائف المكتبة الوطنية الاسترالية على النحو الآتى:

أ - اقتناء وتطوير وتنمية مجموعات الإنتاج الفكرى الوطنى بما فى ذلك المجموعات الشاملة التى تدور حول استراليا والشعب الاسترالى.

ب - إتاحة استخدام مجموعات المكتبة للأشخاص والمؤسسات على النحو الذى يحدده مجلس إدارة المكتبة بما يحقق أقصى إفادة من هذه المجموعات للصالح الوطنى.

ج - تقديم الخدمات المكتبية جميعها بما فى ذلك الخدمات الببليوجرافية على النحو الذى يحدده مجلس الإدارة وذلك للجهات الآتية:

١- لرجال البرلمان ومكتبة البرلمان.

٢- للإدارات والسلطات الفيدرالية.

٣- لمقاطعات الكومنولث.

د- التعاون فى الشئون المكتبية، بما فى ذلك تطوير علم المكتبات والمعلومات، مع السلطات والأفراد سواء فى استراليا أو خارجها.

ولقد كان هناك حرص من جانب البرلمان الاسترالى على أن تتطور المكتبة الوطنية الاسترالية على هدى من نفس الخطوط التى سارت فيها مكتبة الكونجرس فى الولايات المتحدة. ولقد تبلورت مهامها الكبرى فى أن تصبح أكبر ممول لخدمات المعلومات، وأكبر مستودع لجمع وبث البيانات الببليوجرافية وغيرها من الخدمات المكتبية، وأن تصبح محور شبكة المكتبات الاسترالية تقدم وتساند فكرة تشاطر المصادر وغيرها من الخدمات التعاونية على نطاق واسع.

ولقد شهد برنامج التزويد فى المكتبة الوطنية الاسترالية توسعاً كبيراً منذ الحرب العالمية الثانية بما فى ذلك برنامجاً ضخماً للتبادل الدولى واقتناء مجموعات كبيرة من المواد الأجنبية بما ضاعف المجموعات فى عقد واحد ١٩٥٧-١٩٦٧م بحيث ارتفع حجم المجموعات إلى نحو مليون قطعة فى سنة ١٩٦٧. وان كانت هناك ثلاث مكتبات أخرى فى استراليا قاربت المكتبة الوطنية فى ذلك الحجم فى تلك السنة وهى مكتبات جامعة سيدنى ١٨٥٢، مكتبة ولاية فيكتوريا ١٨٥٣، المكتبة العامة فى نيوثاوث ويلز ١٨٦٩. وفى نهاية القرن العشرين (١٩٩٩) كانت المكتبة الوطنية الاسترالية قد تخطت رقم الثلاثة ملايين كتاب ووصلت إلى نحو مليونى مصغر فيلمى و ١١٠,٠٠٠ دورية ومجموعة كبيرة من المخطوطات والتاريخ الشفوى المسجل، ومجموعة ضخمة من المواد المصورة والتراثية. وفى سنة ١٩٩٠ نقحت سياسة التزويد بها وأصدرت بالسياسة الجديدة كتيبا مطبوعا يتضمن تفاصيل تلك السياسة.

وتغطى مجموعات المكتبة الوطنية الاسترالية جميع المجالات مع التركيز على العلوم الاجتماعية والإنسانيات. وتتفوق المجموعات فى المطبوعات الحكومية والدوريات على وجه الخصوص وعلى وجه العموم فى التاريخ البريطانى، والأدب الانجليزى والاقتصاد السياسى والدراسات الآسيوية والباسيفيكية والثورة الفرنسية. وبسبب الصلة الوثيقة بين الشعبين الاسترالى والأمريكى فإننا نجد مجموعات قوية تدور حول الولايات المتحدة وشعوبها وذلك طبقا لسياسة التزويد التى اتبعت منذ عام ١٩٤٥. ونصادف فى المكتبة واحدة من أهم المجموعات الشرقية فى كل استراليا؛ كذلك فإن مجموعة الأفلام العلمية والتاريخية والتعليمية والتسجيلية تعتبر أكبر مجموعة من نوعها فى جميع أنحاء استراليا وتشبه نظيراتها فى كثير من الدول الغربية. وهناك مجموعات لا بأس بها من الخرائط والصور والمخطوطات يدخل بعضها فى باب الذخائر. ولقد بدأ تكوين المجموعات الخاصة باستراليا (استراليانا) بعد الحصول على مجموعة بيتريك سنة ١٩١١ وشراء مجموعة الكابتن توماس كوك المخطوطة سنة ١٩٢٣ وقد توسعت مجموعة استراليانا بعد الحرب العالمية الثانية توسعاً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية بالحصول على مجموعات خاصة هامة مثل

مجموعة السير جون فيرجسون البليوجرافى الاسترالى الكبير، ومجموعة نان كيفيل ومجموعة جريجورى ماتيوز الخاصة بالطيور وغير ذلك من المجموعات التى أثرت مجموعة الاستراليانا فى المكتبة الوطنية إلى درجة لم تصلها من قبل إلا مكتبة نيوثاوث ويلز العامة. ولقد نظمت المكتبة الوطنية بالاشتراك مع المكتبة العامة فى نيوثاوث ويلز وعدد آخر من المكتبات الاسترالية الكبرى مشروع «النسخ الاسترالى المشترك» الذى بمقتضاه تحصل كل من استراليا ونيوزيلنده على نسخ ميكروفيلمية من كل الوثائق الخاصة بهما فى «مكتب الوثائق العامة» فى لندن وفى أماكن أخرى من العالم.

ولعل من بين الانجازات الهامة للمكتبة الوطنية الاسترالية إصدار «الببليوجرافية الوطنية الاسترالية التى بدأت فى الصدور المنتظم الجارى سنة ١٩٣٦ رغم نشر قوائم بالإنتاج الفكرى الاسترالى منذ ١٩١١. وتصدر الببليوجرافية الوطنية الاسترالية تحت عنوان «الفهرس السنوى للمطبوعات الاسترالية»؛ ومنذ سنة ١٩٤٦ دعم هذا الفهرس السنوى بقوائم شهرية أو فى سنة ١٩٦١ حل محل هذا الفهرس سلسلة أخرى من البيلوجرافيات على رأسها «الببليوجرافية الوطنية الاسترالية»، «المطبوعات الحكومية الاسترالية»، ولقد تم تحسين العمل وتطويره فى هذه الببليوجرافيات لتصبح أداة هامة للاختيار والفهرسة مما أدى إلى اشتراك استراليا من خلال المكتبة الوطنية فى برنامج الفهرسة المشتركة الذى نظمته مكتبة الكونجرس، وقد أدى ذلك فى سنة ١٩٦٧ بالببليوجرافية الوطنية الاسترالية إلى الصدور أربع مرات شهريا وفى ترتيب قاموسى، وتتعاون المكتبة مع الناشرين الاستراليين فى فهرسة معظم الكتب الاسترالية قبل النشر. ويمنح كل كتاب رقم تسجيل يطبع فى ظهر صفحة العنوان، وقد بدأ برنامج توزيع بطاقات الفهرسة للكتب الاسترالية سنة ١٩٦٧ وهو استئناف وتوسيع لخدمة كانت تقدم بين ١٩٤٥ و١٩٥٢.

ومن بين الببليوجرافيات التى تنشرها المكتبة أيضا «خدمة معلومات الشئون العامة الاسترالية» والتى بدأت شهرية منذ ١٩٤٥ مع تجميعات سنوية منذ ١٩٥٥ وهى تكمل «كشاف العلوم الاسترالى» الذى تصدره منظمة البحوث الصناعية، وقد قامت المكتبة

مع سنة ١٩٦٨ بمد خدمات التكشيف إلى مجال الطب والصحة وحيث أصبحت استراليا فى ذلك الوقت مركزا لقاعدة بيانات ميدلارز «ميدلاين فيما بعد» وبذلك لحقت بكل من بريطانيا والسويد فى هذا الصدد. كما قدمت المكتبة خدمات تكشيف المعلومات الطبية للمكتبة الوطنية الطبية فى بثيدا ولقد بدأت المكتبة فى سنة ١٩٤٤ مشروع الفهرس الموحد بالفهرس الموحد فى العلوم الاجتماعية والإنسانيات والذى تكمل به الفهرس القديم الذى أعدته منظمة البحوث الصناعية تحت عنوان «الدوريات العلمية فى المكتبات الاسترالية» وكان عبارة عن فهرس بطاقى موحد أودعت منه نسخ بطاقية فيما يربو على عشرين مكتبة مشتركة فى المشروع، ولم يكن قبل ١٩٦١م أن تم تحرير واكتمال هذا الفهرس مما مكن من طبعه فى طبعة مبدئية سنة ١٩٦٣ فى مجلدين، وفى سنة ١٩٦٤ بدأ فى إصدار طبعة جديدة منقحة ومحدثة فى أوراق سائبة تم إنجازها سنة ١٩٦٧ وقد وضعت سياسة لتحديث هذا العمل كل سنتين. كذلك تم إعداد فهرس موحد بالجرائد سنة ١٩٦٧ تحت عنوان «الجرائد فى المكتبات الاسترالية».

أما مشروع الفهرس الموحد بالكتب فقد بدأ سنة ١٩٦٠ وقد اشتركت فيه كل المكتبات الكبرى وعدد متزايد من المكتبات الصغرى حيث تقوم جميعها بامداد المكتبة الوطنية ببيانات ببليوجرافية عن تقنياتها. يضاف إلى ذلك قيام المكتبة الوطنية بتفليم فهارس ٢٥ مكتبة وحولت الأفلام إلى بطاقات وبعد ذلك التاريخ تقوم المكتبة من حين لآخر بتعليم فهارس أخرى، وقد تم الانتهاء من الجزء الرئيسى فى هذا الفهرس الموحد فى منتصف السبعينات من القرن العشرين. ومن الأعمال الببليوجرافية الهامة التى قامت بها المكتبة «دليل مجموعات المخطوطات المتعلقة باستراليا» وقد بدأته سنة ١٩٦٤ . كما جرت محاولات لإعداد فهرس موحد بالمجموعات الشرقية فى المكتبات الاسترالية.

وكذلك فإن من بين الإنجازات الهامة للمكتبة الوطنية الاسترالية «الشبكة الببليوجرافية الأسترالية» التى جرى تأسيسها سنة ١٩٨١ وهى عبارة عن شبكة وطنية لتشاطر المصادر تمد المكتبات الاسترالية ببيانات الفهرسة وذلك لتقليل الجهد المبذول

ومنع التكرار فى الفهرسة مما يوفر التكاليف. وتعتبر هذه الشبكة من جهة ثانية امتدادا للفهارس الموحدة سابقة الذكر حيث تقدم فهرسا موحدا على الخط المباشر لتحديد مكان وجود المواد المكتبية وتيسير الإعارة البينية، ومع سنة ٢٠٠٠ كانت هناك ما لا يقال عن ١٥٠٠ مكتبة تستخدم «الشبكة الببليوجرافية الاسترالية» والتى كانت فى ذلك التاريخ تضم نحو عشرة ملايين تسجيلة ببليوجرافية فى قواعدها المختلفة ونحو خمسة عشر مليون كانت توجد فيه المواد المسجلة فى المكتبات الاسترالية.

ولقد لعبت المكتبة دورا قياديا منذ ثمانينات القرن العشرين. ولقد استضافت «قمة المكتبات الاسترالية» سنة ١٩٨٨ فى سبيل الوصول إلى أحسن السبل والعمليات لتوصيل خدمات المكتبات والمعلومات إلى جميع أنحاء استراليا مع سنة ٢٠٠٠، وفى سنة ١٩٩٢ عقدت مؤتمر «نحو اتحاد سنة ٢٠٠١» وذلك لوضع تصور لتحسين الضبط الببليوجرافى وخدمات المعلومات فى استراليا وخاصة فيما يتعلق بمجموعات التراث الاسترالى ومن بينها مجموعات السكان الأصليين.

وتقدم المكتبة خدماتها المرجعية للبرلمان ومن خلال المكتبة البرلمانية للكومنولث إلى إدارات الكومنولث والوكالات المختلفة. كما تقدم خدماتها للعلماء والباحثين فى جميع أنحاء استراليا، وفى مبناها القديم كانت المكتبة تعانى من ضيق المساحة الذى حد كثيرا من قدرتها على تقديم خدمات مرجعية فعالة وخدمات مطالعة داخلية كافية ولكنها مع انتقالها للمبنى الجديد فى سنة ١٩٦٨ استطاعت التغلب على العديد من تلك المشكلات، وقد بلغت مساحة المرحلة الأولى منه ٣٦٠ ألف قدم.

وتدير المكتبة الوطنية الاسترالية «مجموعات مرجعية» فى نحو سبعين بعثة استرالية خارج استراليا ويلاحظ أن مجموعاتها فى كل من لندن ونيويورك هى أقوى المجموعات على الإطلاق، وحيث يوجد بكل منهما أمناء مكتبات على درجة عالية من التأهيل. كما تساعد هذه المكتبة فى تقديم خدمات مكتبية فعالة فى مناطق مختلفة داخل الكومنولث الاسترالى.

ومنذ انتقال المكتبة الوطنية إلى العاصمة الفيدرالية دأبت على تقديم خدمات مكتبية عامة بما فى ذلك خدمات الإعارة إلى المواطنين فى منطقة العاصمة الاسترالية ليس بسبب أن تلك من وظائف المكتبة الوطنية ولكن لأن منطقة العاصمة لم يكن بها خدمة مكتبية عامة مناسبة. ومع النمو السريع للعاصمة الفيدرالية والمكتبة الوطنية فى فترة ما بعد الحرب غدا من الضرورى تمييز الوظيفة الوطنية من الوظيفة المحلية للمكتبة. وعلى الرغم من أن المكتبة كانت تقدم خدمات مكتبيه عامة إلا أنها تقدم وتدار منفصلة تماما عن الجوانب الوطنية للمكتبة، ولها اسمها الخاص «الخدمة المكتبية العامة فى كانبرا» ولها أيضا لجنة خاصة من المواطنين لإدارتها، ولها على الجانب الآخر العمليات الفنية والخدمات المكتبية القائمة بذاتها ولها مخزونها الخاص ومبانيها والمكتبات المتنقلة «سيارات الكتب» الخاصة بها.

لقد أنشأت المكتبة بداخلها مدرسة لتعليم علوم المكتبات منذ سنة ١٩٣٨ كان يلتحق بها ما بين ١٠٠ - ١٥٠ دارسا، وكان التعليم فيها يجنح إلى الجوانب التطبيقية العملية أكثر من الجوانب الفلسفية النظرية وحيث كانت المكتبة تعتقد أن تعليم علم المكتبات هو من مهام الجامعات والكليات وليس المكتبات. وتقوم المكتبة إضافة إلى ذلك بتقديم ٢٥ منحة للموظفين المبتدئين فيها للالتحاق بمدرسة المكتبات فى جامعة نيو ثاوث ويلز كل سنة و٢٥ منحة أخرى من خلال مدرسة التكنولوجيا فى معهد ملبورن الملكى و٢٥ منحة لمدرسة تعليم علوم المكتبات بالمكتبة نفسها.

لقد تعاقب على إدارة هذه المكتبة عدد من المديرين نذكر الأوائل منهم آرثر وادزويرث ١٩٠١ - ١٩٢٧، كينت بنز ١٩٢٨ -١٩٤٧، هارولد هوايت ١٩٤٧ - ١٩٧٠ وغيرهم.

والجدول الآتى عن سنة ١٩٩٩ يصور مجموعات المكتبة الوطنية الاسترالية:

كتب مطبوعة وكتيبات	٣,٢٥٠,٠٠٠	عنوان
مصغرات فيلمية	٢,٠٠٠,٠٠٠	عنوان
دوريات جارية	١٠٧,٢٢١	عنوان
دوريات متوقفة	٩١,٠٠٠	عنوان
مخطوطات	٤٠,٠٠٠	عنوان
تاريخ شفوى مسجل	٤٤,٠٠٠	شريط صوتى
مدونات موسيقية	١٤١,٠٠٠	مدونة «نوتة»
صور مطبوعة	٤٠,٠٠٠	صورة مطبوعة
صور فوتوغرافية	٥٠٠,٠٠٠	صورة فوتواغرافية
صور جوية فوتوغرافية	٥٠٠,٠٠٠	صورة جوية
خرائط	٤٥٠,٠٠٠	خريطة

مكتبات الولايات

سعت كل ولاية من الولايات الست إلى إنشاء «مكتبة ولاية» فى عاصمة الولاية قبل قيام الاتحاد الفيدرالى بين الولايات، وكانت مكتبات الولايات تلك هى أهم مكتبات استراليا على الإطلاق حتى منتصف القرن العشرين.

ولكن نمو المكتبة الوطنية والمكتبات الجامعية بسرعة قلل من الأهمية النسبية لتلك المكتبات فى علاقتها بالإنتاج الفكرى الوطنى والضبط الببليوجرافى له. ولكن كل مكتبة فى ولايتها ماتزال هى المستودع الرئيسى للإنتاج الفكرى والضبط الببليوجرافى له داخل الولاية، وتعتبر المجموعة الاسترالية فى مكتبة ولاية نيوثاوث ويلز ذات أهمية وطنية خاصة. ولقد حدثت ولادة جديدة أو طفرة فى المكتبات الولائية هذه فى عقد الثمانينات من القرن العشرين وخاصة بعد انشاء مبان جديدة لمكتبات ولايات استراليا الغربية، نيوثاوث ويلز، كوينزلاند. وقد ساعدت التكنولوجيا تلك المكتبات على أن تلعب دورا أساسيا فى التنسيق بين شبكات المكتبات العامة وقيادتها فى ولايتها.

المكتبات العامة

هناك من الشواهد ما يدل على أنه كانت هناك فى استراليا حركة مكتبية عامة

مزدهرة فى القرن التاسع عشر؛ ففى سنة ١٨٧١ زار الرحالة الانجليزى أنطونى ترولوب استراليا ووجد مكتبة عامة أو مكتبة معهد ميكانيكا فى كل مدينة زارها. ولكنها فى عشرينات القرن العشرين تخلفت عن سائر الدول الأنجلوساكسونية فى مضمار المكتبات العامة. وكما ألمحت سابقات قام رالف من وارنست بت بناء على مبادرة من مجلس البحوث التربوية الاسترالى ودعم من مؤسسة كارينجى سنة ١٩٣٤ بدراسة مسحية واسعة النطاق لواقع المكتبات فى استراليا. وقد أشار تقرير هذه الدراسة الذى نشر سنة ١٩٣٥ تحت عنوان «المكتبات الاسترالية: مسح للواقع ومقترحات للتطوير» إلى تخلف استرالى فى مجال العمل المكتبى. وقد أدى هذا التقرير إلى قيام ما عرف بـ «حركة المكتبات المجانية» التى ألمحت إليها سابقا كما أدى بالضرورة إلى استصدار تشريعات المكتبات العامة فى جميع الولايات ما بين ١٩٣٩ و١٩٥٥. ومن الأمور الهامة أيضا فى مجال المكتبات العامة الاسترالية الدراسة التى تمت سنة ١٩٧٥ ونشر تقريرها سنة ١٩٧٦ تحت عنوان «المكتبات العامة فى استراليا» والذى اقترح تقديم معونة فيدرالية لانشاء وتطوير المكتبات العامة ولكن هذا الاقتراح لم ينفذ وهو الاقتراح الذى قدم للمرة الثانية إلى البرلمان سنة ١٩٩١. ولكن الحكومة الفيدرالية كانت تعتقد أن انشاء المكتبات العامة وتمويلها هى مسئولية الولايات والحكومات المحلية داخل كل ولاية أى المستويين الثانى والثالث: الولائى والمحلى. وقد اقترحت «قمة المكتبات الاسترالية» التى عقدت سنة ١٩٨٨ والتى أشرت إليها من قبل التمييز بين الخدمات الأساسية المجانية وخدمات القيمة المضافة التى يمكن أن يدفع الجمهور ثمنها، مما أثار جدلا عنيفا فى الأوساط المكتبية الاسترالية. وقد قبلت بعض حكومات الولايات الفكرة ولكن عارضتها حكومات ولايات أخرى وأيدت فكرة أن تكون جميع الخدمات المكتبية العامة بالمجان تماما.

ومن الواضح أن مسئولية إنشاء وتطوير وتمويل المكتبات العامة فى استراليا تقع على عاتق الولايات والحكومات المحلية. ومن هنا تختلف النظم الإدارية والخدمات والاجراءات من ولاية إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى داخل الولاية الواحدة. وفى ولايات الشرق الاسترالى نجد بصفة عامة تقوم السلطات المحلية بانشاء وإدارة المكتبات

العامة بينما تقوم الولاية بالتنسيق وتقديم شىء من المعونات المالية. وعلى النقيض من ذلك تقوم «مصلحة المكتبات والمعلومات فى استراليا الغربية» بتقديم المواد المكتبية لجميع المكتبات العامة فى الولاية على أن تقوم السلطات المحلية بتقديم المبانى. وفى ولاية تسمانيا تقوم حكومة الولايات بإدارة شبكة متكاملة من المكتبات العامة بالتعاون مع السلطات المحلية. ومهما يكن من أمر فقد بلغت مقتنيات المكتبات العامة فى استراليا مع سنة ١٩٩٩ نحو أربعين مليون مجلة «ثلاثة أمثال ما كانت عليه المجموعات سنة ١٩٧٥». وكانت تقوم بمائة وخمسين مليون عملية إعارة فى السنة، وأهم من هذا وذاك أن جميع الاستراليين ـ فيما عدا قلة قليلة - يستفيدون من خدمات المكتبات العامة بطريقة أوبأخرى ويصل عدد المكتبات العامة فى استراليا اليوم (١٩٩٩) نحو ١٥٠٠ متكبة

المكتبات الأكاديمية

فى سنة ١٩٧٠ بلغ عدد المكتبات الجامعية المستقلة أو الداخلة ضمن شبكات فى استراليا أو مناطق الكومنولث ست عشرة مكتبة جامعية، يمكن تعديدها على النحو الآتى:

ولاية نيوثاوث ويلز

- مكتبة جامعة سيدنى
- مكتبة جامعة نيوثاوث ويلز
- مكتبة جامعة نيو إنجلاند
- مكتبة جامعية نيوكاسيل
- مكتبة جامعة ماكوارى

ولاية فيكتوريا

- مكتبة جامعة ملبورن

- مكتبة جامعة موناش
- مكتبة جامعة تروب

ولاية استراليا الجنوبية

- مكتبة جامعة أديلاد
- مكتبة جامعة فلندرز

ولاية تسمانيا

- مكتبة جامعة تسمانيا

ولاية كوينزلاند

- مكتبة جامعة كوينزلاند
- مكتبة جامعة بريسبين

ولاية استراليا الغربية

- مكتبة جامعة استراليا الغربية

منطقة العاصمة الاسترالية

- مكتبة الجامعة الوطنية الاسترالية

منطقة بابوا وغينيا الجديدة

- مكتبة جامعة بابوا وغينيا الجديدة.

لقد أسست جامعة سيدنى سنة ١٨٥١م وجامعة نيوثاوث ويلز سنة ١٩٤٩ تحت اسم جامعة نيو ثاوث ويلز للتكنولوجيا على أنقاض كلية قديمة للتكنولوجيا، بينما أسست جامعة ماكوارى سنة ١٩٦٤ وهذه الجامعات الثلاث تقع فى مدينة سيدنى عاصمة ولاية نيوثاوث ويلز. أما جامعة نيو كاسل فقد كانت إحدى كليات جامعة سيدنى ولكنها استقلت وأصبحت جامعة قائمة بنفسها سنة ١٩٦٥ وتقع فى مدينة

نيوكاسيل ثانى أكبر المدن فى الولاية. وجامعة نيو إنجلاند التى كانت هى الأخرى هى كليات جامعة سيدنى سنة ١٩٣٨ واستقلت وغدت جامعة سنة ١٩٥٤ وتقع فى مدينة آرميدال. ولجامعة نيوثاوث ويلز فروع فى وولونجونج وبروكنهيل وهما مدينتان فى مناطق صناعية.

وفى ولاية فيكتوريا أسست جامعة ملبورن سنة ١٨٥٣ وجامعة موناش سنة ١٩٥٨ وجامعة لاتروب سنة ١٩٦٥ وتقع جميعها فى ملبورن عاصمة ولاية فيكتوريا.

وفى ولاية استراليا الجنوبية أنشئت جامعة أديلود سنة ١٨٧٤ وجامعة فلندرز سنة ١٩٦١ تحت اسم جامعة أديلاد فى بيرفورد بارك وكلتاهما تقعان فى أديلاد عاصمة الولاية.

وقد أسست جامعة تسمانيا سنة ١٨٩٠ وتقع فى مدينة هوبارت عاصمة تسمانيا.

وقد أنشئت جامعة كوينزلاند سنة ١٩٠٩ فى بريسبين عاصمة كوينزلاند كما أسست جامعة بريسبين سنة ١٩٦٦ فى نس المدينة العاصمة وأسست لها فرع فى تاونزفيل وهى مدينة استوائية فى شمال الولاية. وتقع الجامعة الوطنية الاسترالية فى كانبرا العاصمة الفيدرالية وقد أسست سنة ١٩٤٨ كمعهد بحوث لم يلبث فى سنة ١٩٦٠ أن ضم إليه مدرسة الدراسات العامة إحدى كليات جامعة ملبورن القديمة.

وقد أسست جامعة بابوا وغينيا الجديدة سنة ١٩٦٥ وتقع فى بورت مورسباس العاصمة الإدارية للمقاطعة.

ونتيجة لتقرير الاستقصاء العام الذى قامت به الحكومة سنة ١٩٥٧ أخذت الحكومة الفيدرالية «حكومة الكومنولث» على عاتقها وضع برنامج واسع المدى لتمويل الجامعات وكليات التعليم العالى ومعاهد التعليم الفنى والتعليم المستمر مما أدى بالضرورة إلى تطوير المكتبات الأكاديمية تطورا كبيرا.

ومن المعروف أن المكتبات الجامعية لم تكن بذات أهمية تجرى فى ثلاثينات القرن

العشرين أى فى الوقت الذى وضع فيه من ربت تقريرهما عن حال المكتبات فى استراليا فلم تكن تقتنى أكثر من نصف مليون مجلة مجتمعة. ولقد بدأت المكتبات الجامعية تطورها الفعلى بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لانخراط أعداد كبيرة من العسكريين السابقين فى التعليم العالى وكذلك نتيجة لاهتمام الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات بها. ففى سنة ١٩٥٦ شكلت الحكومة الفيدرالية لجنة لبحث وتقصى الحقائق حول واقع الجامعات الاسترالية برئاسة السير كيث موريس رئيس لجنة المنح الجامعية البريطانية. وقد قدمت اللجنة تقريرها على نحو ما أسلفت سنة ١٩٥٧ وهو التقرير الذى مهد الطريق لتقديم معونة فيدرالية للجامعات الاسترالية ومكتباتها وقد غدا علاقة فارقة فى تاريخ الحركة المكتبية الاسترالية بصفة عامة ففى العقد الذى تلا نشر هذا التقرير تضاعف عدد الجامعات إلى ١٦ جامعة وبلغ عدد المقتنيات ثلاثة أمثال ما كان عليه أى إلى نحو ٤,٥ مليون مجلة. وقد قلب هذا الأمر أوضاع المكتبات الجامعية بصورة درامية وخاصة إذا قورنت بمكتبات الولايات سابقة الذكر. ولكن بعد سنة ١٩٧٥ تباطأت حركة نمو المكتبات الجامعية ولم يعد التمويل كافيا كما كان من قبل. ومع نهاية الثمانينات كان رهين المكتبات الجامعية قد ارتفع إلى ٢١ مليون مجلة وفى نهاية التسعينات اقترب هذا الرصيد من ثلاثين مليون قطعة ربما دفع المكتبات الجامعية الاسترالية إلى مقدمة مستودعات الإنتاج الفكرى فى غموم استراليا.

وفى الفترة ما بين ١٩٧٠ و١٩٩٩ كان عدد الجامعات فى استراليا قد زاد إلى ١٩ جامعة وارتفع عدد المكتبات الجامعية من ١٦ إلى ٣٥ مكتبة وارتفع رصيدها من الكتب كما أشرت إلى ٣٠ مليون مجلة و٣٠٠,٠٠٠ دورية.

وتظل أقدم مكتبتين جامعيتين: مكتبة جامعة سيدنى ١٨٥١ ومكتبة جامعة ملبورن ١٨٥٣ هما أكبر مكتبتين بين المكتبات الجامعية الاسترالية بنحو ٤,٥ مليون قطعة، ٣ مليون قطعة على التوالى سنة ١٩٩٩. وهناك عدد آخر من المكتبات الجامعية ذات الحجم المعقول ولكن العدد الأكبر عبارة عن مكتبات حديثة مقتنياتها تحت المليون وقد أجرى استقصاء آخر حول أوضاع المكتبات الجامعية الاسترالية سنة ١٩٩٠ قدم مقترحات شتى لتطوير تلك المكتبات.

لقد حدث تطور آخر عظيم في مجال التعليم العالى في استراليا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تمثل في إنشاء كليات التعليم العالى في فترة ستينات القرن العشرين وهي كليات أقرب ما تكون إلى المعاهد التكنولوجية، وفي سنة ١٩٧٣ تم رفع كفاءة معاهد المعلمين لتصبح كليات كاملة ومن ثم تضاعف عدد كليات التعليم العالى في استراليا ما بين يوم وليلة من ٤٥ إلى ٧٨ كلية. وهذه التطورات رفعت مستوى معظم الكليات إلى المستوى الجامعي وجعل مكتباتها على مستوى المكتبات الجامعية التقليدية. ويبدو أن هذا النوع الجديد من الكليات قد راق للمجتمع الاسترالى فتوسع في إنشائه حتى لقد بلغ عددها سنة ١٩٩٩ نحو ٣٠٠ كلية بلغ رصيدها من المقتنيات نحو ثلاثة ملايين مجلد في تلك السنة وتخدم تلك الكليات نحو مليون مستفيد سنويا وقد الحكومة الفيدرالية أن تتولى حكومات الولايات تمويل تلك الكليات سنة ١٩٩١.

ولقد نادى الكثيرون بضرورة تشاطر المصادر بين المكتبات الأكاديمية، وقد أسست لبحث هذا الموضوع لجنة المكتبيين الجامعيين الاستراليين وهي المسئولة عن تنسيق التعاون وتبادل المعلومات الاحصائية والسياسات بين تلك المكتبات. ومن جهة ثانية أسست في ولاية فيكتوريا لجنة لتحقيق التعاون بين المكتبات الأكاديمية في تلك الولاية سنة ١٩٧٦ وتسعى هذه اللجنة نحو تشجيع تشاطر المصادر بين المكتبات الجامعية ومكتبة الولاية. وآخر سلسلة هذه اللجان والمجامع مجمع نيوثاوث ويلز للمكتبات الأكاديمية. وقد أشرت من قبل إلى دور المكتبة الوطنية في إنشاء الشبكة البيليوجرافية الاسترالية التي تعتبر المكتبات الجامعية أهم أركانها.

المكتبات المتخصصة في استراليا

المعلومات عن المكتبات المتخصصة في استراليا قليلة وأحدث احصائياتها ترجع إلى سنة ١٩٩١ حيث بلغ عددها نحو ١٥٠٠ مكتبة تتبع الإدارات الحكومية والوزارات والشركات التجارية والصناعية والمؤسسات الدينية والهيئات والجمعيات

المهنية وغيرها. ولقد عرفت أهمية تلك المكتبات اعتبارا من ثمانينات القرن العشرين عندما دخل العديد منها فى الشبكة البيليوجرافية الاسترالية.

من بين المكتبات المتخصصة لابد وأن نذكر مكتبات برلمانات الولايات والبرلمان الفيدرالى الذى أشرت إليه من قبل والتى تعتبر من بين أقوى المكتبات المتخصصة فى استراليا وهى تؤدى وظائف متعددة. ومكتبة البرلمان الفيدرالى ذات التاريخ الطويل منذ ١٩٠٢ والتى تطورت وظائفها حتى غدت أكبر مكتبة للبحوث التشريعية والقانونية فى البلاد منذ سبعينات القرن العشرين. وتعتبر شبكة مكتبات المنظمة الفيدرالية «الكومنولث» للبحوث العلمية والصناعية والتى تتغلغل فى جميع أنحاء استراليا ذات أهمية خاصة فى مجال المعلومات العلمية والتكنولوجية ورغم أنها لا تعتبر مكتبة وطنية فى العلوم والتكنولوجيا إلا أنها تملك أقوى المجموعات التى تسد احتياجات الباحثين فى هذين المجالين الحيويين. ولا تكاد تخلو إدارة حكومية أو وزارة من مكتبة متخصصة تسد احتياجات العاملين فيها سواء كان ذلك على المستوى الفيدرالى أو المستوى الولائى. ويختلف التنظيم الإدارى من مكتبة إلى أخرى تبعا للمؤسسة التى تقوم فيها المكتبة. ولكن حتى سنة ١٩٧٠ كانت مكتبات الولايات هى المسئولة عن الإشراف على تلك المكتبات والتنسيق فيما بينها وإمدادها بأمناء المكتبات والقيام بالعمليات الفنية اللازمة. ولقد قادت المكتبات المتخصصة فى الشركات والمصانع وإدارة الأعمال والقانون والصحة المكتبات الأخرى فى ميدان الميكنة وإنشاء الشبكات وقواعد البيانات والاتصالات البعيدة وذلك بسبب ظروفها الخاصة.

المكتبات المدرسية فى استراليا

تخلفت المكتبات المدرسية في استراليا تخلفا شديدا عن سائر أنواع المكتبات فيها، وعن نظيراتها فى الدول الأنجلوساكسونية، ولكنها شهدت فى ستينات القرن العشرين نوعا من التطور بسبب المساعدة المالية الفيدرالية التى قدمت للنهوض بالتعليم ومن ثم بالمكتبات المدرسية. وقد انسحب هذا التطور على المدارس الحكومية والأهلية على السواء. ولقد توقفت المعونة الفيدرالية سنة ١٩٨٦. وتصادف اجتياح الركود

الاقتصادى للبلاد مما انعكس على المكتبات المدرسية وبشدة. ولم يبق قائما من المعونة الفيدرالية إلا برنامج الفهرسة المشتركة بين المكتبات المدرسية.

وتشير إحصاءات ١٩٩٩م إلى وجود عشرة آلاف مكتبة مدرسية تصل مقتنياتها إلى نحو ستين مليون مجلد. ويوجد فى استراليا نحو ثمانين مكتبة تعرف باسم مكتبات الاستعمال المشترك، معظمها عبارة عن مكتبات عامة توضع فى مبنى المدرسة فى ولاية استراليا الجنوبية. ولقد استرعى نجاح هذا النوع من المكتبات انتباه الدول منذ بدايته سنة ١٩٧٧. ولعله من نافلة القول أن نذكر أن المكتبة فى استراليا قد أصبحت جزءا من العملية التعليمية وأصبح التلاميذ واعين بضرورة الحصول على المعلومات التى تساعدهم على مواكبة عصر المعلومات ومجتمع العلم، وقد أدى هذا التحول إلى إعادة صياغة دور المدرس المكتبى من مدير للمصادر إلى شريك لمعلم الفصل فى مساعدة التلاميذ على تكوين مهارات الحصول على المعلومات تلك المهارات التى يحتاجون إليها طوال حياتهم العلمية.

مهنة المكتبات والمعلومات فى استراليا

يعتبر اتحاد المكتبات والمعلومات الاسترالى «آليا» هو أهم وأكبر التنظيمات المهنية فى استراليا ومن المعروف أن عضويته مفتوحة لجميع العاملين فى المكتبات ومؤسسات المعلومات بصرف النظر عن مؤهلاتهم، بل مفتوحة أيضا لمن يرغب فى خارج المهنة عموما. وقد تناولت هذا الاتحاد بشىء من التفضيل فى مقال سابق فى هذه الدائرة، حيث أنشىء الاتحاد سنة ١٩٣٧ تحت اسم المعهد الاسترالى للمكتبيين ثم خلفه سنة ١٩٤٩م اتحاد مكتبات استراليا الذى غير اسمه سنة ١٩٩٠م إلى الاسم الحالى وحيث لم يكن هناك اتحاد أو جمعية تضم العاملين فى مجال المعلومات، وحيث قام الاتحاد بمراجعة شاملة لهيكله التنظيمى وسياساته فى منتصف الثمانينات. وتغيير الاسم يشى بأن الاتحاد رغب فى توسيع عضويته كما قلت لتضم جميع العاملين والراغبين فى مجال المكتبات والمعلومات وقد تجاوزت عضوية الاتحاد فى سنة ١٩٩٩ العشرة آلاف عضو، ٥٠٪ منهم على الأقل من المهنيين.

وبعد جدل عنيف انتقل الاتحاد من مقره التقليدى فى سيدنى إلى مبنى جديد فاخر أعد خصيصا له فى كانبرا عاصمة الأمة، هذا المبنى صممه واحد من أشهر المعماريين الاستراليين حيث يعبر عن المكانة اللائقة لمهنة المكتبات الاسترالية والمبنى يشبه من الخارج مبانى المنظمات المثيلة وقريب من مبنى البرلمان الفيدرالى.

ويدير الاتحاد مجلس ومدير تنفيذى ولجان فرعية محدودة منبثقة عن المجلس وهى جميعا تعمل على المستوى الفيدرالى. وفى كل ولاية فرع للاتحاد منظم على شاكلة الاتحاد الأم. ويدفع الاتحاد الأم مرتبات السكرتارية التى تعمل بعض الوقت فى الفروع.

وهناك أقسام نوعية فى الاتحاد أشهرها قسم المكتبات العامة وقسم المكتبات المتخصصة. ويعقد الاتحاد مؤتمرا كل سنتين يطوف به جميع أنحاء استراليا، وأحيانا يقصد هذا المؤتمر بالتعاون مع اتحاد المكتبات فى نيوزيلندة. وفى بعض الأحيان تعقد الأقسام مؤتمرات خاصة بها مع مؤسسات مناظرة فى الداخل أو الخارج.

وكما أشرت فى مقال سابق عن هذا الاتحاد يعتبر الاتصال وسيلة هامة فى بلد مترامى الأطراف مثل استراليا ولذلك تبنى الاتحاد برنامجا قويا للنشر لربط الأعضاء فى الأماكن البعيدة به ومن بين منشوراته الدورية المجلة الإخبارية «إنسايت» التى تحمل الأخبار الجارية حول التطورات المهنية وأخبار الاتحاد وأعضائه. وهناك أيضا «مجلة المكتبة الاسترالية» وهى مجلة علمية بالدرجة الأولى وذات مستوى أكاديمى رفيع لم تلق ما تستحقه من اهتمام خارج استراليا. وتقوم بعض الأقسام من جهة أخرى بنشر مجلات متخصصة فى مجالاتها ولكنها لا تصل فى الأعم الأغلب إلى خارج استراليا. وينشر الاتحاد «الدليل» الخاص به والذى يقدم معلومات تفصيلية عنه وعن أعضائه ومن بين تلك المعلومات تاريخ الاتحاد وأهدافه وقوانينه ولوائحه وسياساته الرئيسية. ومن حين لآخر ينشر بيانات السياسة فى مجالات محدودة مثل: الرقابة - التعليم والتدريب - مكتبات الاستعمال المشترك. ومن بين المطبوعات الأخرى كتب مرجعية مهنية، كتب دراسية مهنية وغيرها.

وعلى غرار ما هو واقع فى اتحاد المكتبات الأمريكية، أنشأ اتحاد المكتبات الاسترالى «مجلس التعليم» الذى يشرف على مدارس وأقسام الإعداد المهنى لأمناء المكتبات سواء فى الجامعات أو فى كليات التعليم العالى والفنى التى أشرت إليها سابقا، وهو الذى يعطيها الترخيص والاعتماد. وهو الذى يضع السياسات الخاصة بالتعليم فى مجال المكتبات والمعلومات ويعمل كحلقة وصل وبيت خبرة بين الجهات المعنية وخاصة فى مجال التنمية المهنية المستمرة.

ويعزى للاتحاد الفضل وبعد النظر فى إنشاء درجة مساعد فنى مكتبات وهى درجة علمية لمدة سنتين تؤدى إلى الحصول على دبلوم فنى متوسط. هذا الدبلوم يمكن العمل به فى وظيفة مساعد فنى مكتبات ويمكن حامله من اختصار سنة من سنوات الدراسة فى مدارس المكتبات بالجامعة. وهؤلاء المساعدون لهم عضوية خاصة بهم فى الاتحاد وقسم خاص بهم.

واتحاد المكتبات والمعلومات الاسترالى ليس اتحادا تجاريا ولكنه أنشأ «المكتب الصناعى» ليكون حلقة الوصل بين الاتحادات التجارية والمكتبيين للاتفاق على تحديد الأجور والرواتب وظروف العمل والدفاع عن مصالح المكتبيين وتقديم النصح والمشورة لهم.

ولعله من نافلة القول ان نذكر أن هناك عددا آخر من التنظيمات المهنية الأخرى غير هذا الاتحاد فى استراليا، من بينها على سبيل المثال «اتحاد المكتبات المدرسية الاسترالى» وهو اتحاد فيدرالى لاتحادات الولايات الخاصة بأمناء المكتبات المدرسية، وهو وثيق الصلة بالاتحاد الأم. وهناك أيضا «المجلس الاسترالى للمكتبات ومؤسسات المعلومات» وهو اتحاد تطوعى للدفاع عن مصالح المكتبات الاسترالية وبه ما لا يقل عن ٧٠٠ عضو من بينها معظم المكتبات المتخصصة وأهم المكتبات العامة والبحثية ومن مهامه الأساسية تقديم وجهات نظر المكتبات الاسترالية إلى الحكومات وتشجيع التعاون الوطنى بين المكتبات فى استراليا. وقد أسس هذا المجلس سنة ١٩٨٨ عن طريق اندماج مجلس المكتبات والمعلومات الاسترالية الذى أسسته حكومات الولايات

جميعا سنة ١٩٨١ ليقدم لها النصح حول تطوير المكتبات وتنظيم المعلومات، و«المجلس الاستشارى الاسترالى للخدمات الببليوجرافية» الذى كانت تموله المكتبة الوطنية منذ ١٩٥٦ لتشجيع التعاون الببليوجرافى بين المكتبات.

ومما يجمل ذكره فى هذا الصدد أنه كانت هناك فى استراليا اتحادات مهنية قبل قيام «اتحاد المكتبات والمعلومات الاسترالى» ولكنها كانت على مستوى الولايات فى فترة ما قبل الوحدة الفيدرالية. وكان أقوى هذه الاتحادات ذلك الذى وجد فى ولاية فيكتوريا التى كانت مركزا لتجارة وصناعة الكتاب وكان هذا الاتحاد تحت اسم «اتحاد المكتبات الاسترالية» وضم خليطا متنوعا من الأفراد والمؤسسات يسعون جميعا للنهوض بالمكتبات والخدمات المكتبية، وقد عقدت مؤتمرات مكتبية سنة ١٩٢٨ و ١٩٣٣، ولكن غلبة وقوة ملبورن على سيدنى أدت إلى إجهاض الاتحاد الفيدرالى هذا واستمرار اتحاد ولاية فيكتوريا المشار إليه.

وعلى جانب تعليم علم المكتبات والمعلومات فى استراليا يمكننا القول بأن استراليا قد اتخذت نفس الطريق الذى سارت فيه عملية الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى بريطانيا ألا وهو نظام الترخيص، حيث يقوم اتحاد المكتبات بوضع المناهج والمقررات وأوراق الأسئلة والتصحيح وعلى الطالب «أمين المكتبة» الذى يرغب فى أن يصبح مرخصا لمزاولة المهنة أن يدرس على شاكلته الخاصة ثم يتقدم للامتحان أمام لجان خاصة يعقدها الاتحاد لهذا الغرض، فإذا ما اجتاز الامتحان ونجح منح شهادة أو دبلوما يرخص له مزاولة المهنة كأمين مكتبة متخصص ومهنى، وفى بعض الأحيان كان الاتحاد هو الذى يؤلف وينشر الكتب الدراسية التى يستذكرها المرشحون للدخول إلى الامتحان. ومن الطريف أن المدارس والكليات الأولى فى بريطانيا واستراليا وجنوب أفريقيا وغيرها من الدول التى حذت حذو بريطانيا كانت مهمتها فقط التدريس والتعليم وليس عقد الامتحان أو وضع الأسئلة أو التصحيح أو منح الشهادات والتراخيص، لأن ذلك كله كان من مهمة الاتحاد.

ولقد ناضلت المدارس والأقسام والكليات ضد الاتحادات طويلا حتي ألغي هذا النظام في بريطانيا بالتدريج حتي قضي عليه مع نهاية السبعينات من القرن العشرين ومع نهاية الثمانينات لم يعد معمولاً به تماما، وتأخر إلغاؤه في استراليا عقدا من الزمان بعد بريطانيا حتي قضي عليه في نهاية الثمانينات. وإن بقيت له ذيول وجيوب في تسعينات القرن العشرين، وساد التعليم الجامعي وكليات التعليم العالي والفني في الإعداد المهني لأخصائيي المكتبات والمعلومات. وفي سنة ١٩٩٩ كانت هناك ١٥ مدرسة لتعليم علوم المكتبات والمعلومات في الجامعات الاسترالية تقدم المستويين: مستوى البكالوريوس والدراسات العليا، وكانت هناك ١٩ مدرسة تقدم مستوى «مساعد فني مكتبات» في كليات التعليم العالي والفني.

أهم المصادر

1- ALIA. Australia's Library, Information and Archives Services: an encyclopedia of Practice and Practitioners. Canberra: ALIA, 1988 - 1991. 3 vols.

2- Australia - Laws, Statutes. National Library Act of 1960 - Canberra: Government Printing Office, 1960.

3- Australia - National Library Inquiry Committee. Report - Canberra: Government Printing Office, 1957.

4- Australia - National Library of Australia. Report of the Council: 1960 - 1967. - Canberra: Government Printing Office, 1962 - 1967.

5- Australia - Parliament - House of Representatives - Standing Committee for Long - Terim Strategies. Austsalia as an information society: grasping new Paradigms. - Canberra: Government Printing Office, 1991.

6- Australia - Parliament - House of Representatives - Standing Committee for Long - Terrim Stategies. Aurtralia as an information Society:

role of Libraries / networks. - Canberra: Government Printing Office, 1991.

7- Biskup, Peter. Australia.- in.- Encyclopedia of Library History. - New York and London: Garl and Publishing, 1994.

8- Biskup, Petes and Doreen Goodman. Australian Libraries, 1982.

9- Bryan, Harrison. Australian University Libraries Today and tomo rrow. - Sydney: Bennett, 1965.

10- Bryan, Harrison. The Pattern of Library Services in Australia, 1987.

11- The 50 th anniversary of lAA: Selected papers From the Conference-held in Canberra, 1987. in Australian Library Journal .vol. 36. pp. 191 - 292.

12- Horton, warren. Australia. - in. - World Encyclopedia of Library and Information Services.- 3 rd ed.- Chicago: A. L. A., 1993.

13- Murray, Jean M. Australia, The Library Association. - in. - Encyclopedia of Library and Information Science. New York: Marcel Dekker, 1969. Jol. 2.

14- Rochester, Maxine and Peter Biskup (edt.). Australia Library history: papers from the secrnd forum on Australian Library History, 1985. - Canberra: Canberra College of Advanced Education, 1985.

15- Ward, Patricia Layzell. Australian Library Associaton (ALIA). - in. - International Encyclopedia of Information and Library Science. - London and New York: Routledge, 1997.

16- White, H. L. and John Balaaves. Australia, National Library of. - in .- Encyclopedia of library and Information science. - New York: Marcel Dekker, 1969. vol. 2.

الاسترجاع الآلى للمعلومات

Mechanized Information Retrieval

أنظر

المعلومات، استرجاع

Information Retrieval

استرجاع المعلومات

Information Retrieval

أنظر

المعلومات، استرجاع

Information Retrieval

الاستعارة وتسجيل المستعيرين

Borrowing and Registration of Borrowers

أنظر

تداول المعلومات

Information Circulation

اسبوفورد، آينوورث راند ١٨٢٥ -١٩٠٨

Spofford, Ainworth Rand 1825-1908

يذكر الثقاة أن التاريخ الحديث لمكتبة الكونجرس يبدأ مع تولى آينوورث راند اسبوفورد إدارة المكتبة ولمدة اثنين وثلاثين عاما ١٨٦٥- ١٨٩٧، وهو الذى أضفى على المكتبة الصبغة الوطنية وجعلها مكتبة لكل الأمريكيين بعد أن كانت مكتبة متخصصة لرجال الكونجرس.

كان ذلك على مستوى الممارسة أو على مستوى التشريع واللوائح التى استصدرها ولقد ترك لمن جاءوا بعده فى إدارة المكتبة أربعة أسس لتطوير المكتبة الوطنية الأمريكية:

أ- دعم قوى من جانب الكونجرس لفكرة الجمع بين وظيفة المكتبة التشريعية والمكتبة الوطنية.

ب- جمع أكبر مجموعة شاملة فى الشئون الأمريكية «أمريكانا».

ج- مبنى جديد رائع هو فى حد ذاته مبنى تذكارى وطنى.

د- منصب قوى ومستقبل لمدير مكتبة الكونجرس

ولقد كان لدى الرجل الرغبة والقدرة على بلورة دور مكتبة الكونجرس لمكتبة كمكتبة وطنية .

وكل من جاء بعد أسبوفورد أدار المكتبة وشكلها بطريقته الخاصة المختلفة ولكن أحدا منهم لم يحد عن المبدأ الأساسى الذى وضعه وهو أن تجمع المكتبة بين وظيفة المكتبة التشريعية ووظيفة المكتبة الوطنية.

ولد اسبوفورد فى جيلمانتون بولاية نيوهامبشاير فى الثانى عشر من سبتمبر ١٨٢٥ . ولقد تعلم فى البداية تعليما خاصا فى البيت ثم بعد ذلك تطور إلى قارئ نهم وطالب علم. وفى سنة ١٨٤٥م انتقل إلى الغرب. إلى سنسناتى ووجد وظيفة

فى متجر كتب لم يلبث بفضل جهوده أن أصبح متجر الكتب الرئيسى فى استيراد الكتب لمواطنى نيوإنجلاند. ومن تجارة الكتب تحول إلى حياة أخرى سنة ١٨٥٩ حيث أصبح نائب رئيس جريدة سنسناتى الأوسع انتشارًا والتى كانت تحمل عنوان «التجارية اليومية» وكانت افتتاحيته الأولى بعنوان «عالم الكتب» وقد هاجم فيها الأساليب والممارسات الساذجة لأمين مكتبة المدينة فى شراء الكتب. وبعد عامين أرسلته الجريدة إلى مدينة واشنطون لتغطية مراسيم تنصيب الرئيس أبراهام لنكولن، وهى الرحلة المباركة التى أدت به إلى قبول وظيفة مساعد مدير مكتبة الكونجرس فى خريف عام ١٨٦١، وفى ٣١ من ديسمبر ١٨٦٤ نصبه الرئيس لنكولن مديرا لمكتبة الكونجرس وجاء فى حيثيات التنصيب «لعلمه الواسع الغزير بالكتب ولصبره وجلده وطموحه الفذ». وكانت مكتبة الكونجرس فى ذلك الوقت تقع فى المواجهة الغربية لمبنى الكابيتول ولم يكن بها سوى سبعة موظفين و ٨٢٠٠٠ مجلد.

ولقد أثبتت الأيام بعد ذلك أن أسبوفورد كان سياسيا محنكا ومكتبيًا قويًا. ولقد أحبه رجال الكونجرس وأحبوا طريقته غير التقليدية فى إدارة المكتبة وكنتيجة لذلك حظى بتأييدهم بين ١٨٦٥و ١٨٧٠ فى استصدار عدة قوانين أدت إلى نمو مقتنيات مكتبة الكونجرس وجعلتها بذلك أكبر مكتبة فى كل الولايات المتحدة. وكان أهم ما استصدره من قوانين سنة ١٨٧٠ قانون حق المؤلف الذى أدى إلى مركز عمليات تسجيل حق المؤلف ونشاطات الإبداع فى المكتبة الوطنية. ولقد أدى القانون الجديد بالتبعية إلى إبداع جميع الكتب والنشرات والخرائط والصور المطبوعة والفوتوغرافية والنوتات الموسيقية فى المكتبة دون أية تكاليف أو أعباء إضافية عليها؛ مما ساعد على نمو مجموعة الشئون الأمريكية ودعم الدور الوطنى والصبغة الوطنية لمكتبة الكونجرس.

وفى تقاريره السنوية إلى الكونجرس كان أسبوفورد يؤكد دائما على أن المكتبة الوطنية يجب أن تكون مستودعا دائما وشاملاً للإنتاج الفكرى الوطنى «يمثل النتاج الكامل للعقل الأمريكى فى جميع فروع العلوم والآداب». وكان الشمول فى رأيه مسألة مهمة لأن المكتبة كان عليها أن تخدم المواطن الأمريكى على اتساعه وتخدم ممثلى

الشعب المنتخبين. وكانت هناك حاجة إلى الكتب والمعلومات فى جميع الموضوعات، ولأن المكتبة هى مكتبة الحكومة الأمريكية فقد كانت المكان الطبيعى لأشمل مجموعة.

ولأول مرة وفى سنة ١٩٧٤ يجلب قانون الإيداع إلى المكتبة كتبا أكثر مما كان يجلبه الشراء، وبعد ثلاث سنوات فقط ذكر أسبوفورد أن المكتبة ضاقت بما فيها، وأن ٧٠,٠٠٠ كتاب كانت مكومة على أرضية المكتبة فى كل الاتجاهات. وكان الرجل يناضل منذ ١٨٧١ لإنشاء مبنى جديد للمكتبة. وكان لابد من إنشاء مبنى فريد يليق بمكتبة الكونجرس ومكانتها بين المكتبات الأمريكية ويقدم للأمة الأمريكية مكتبة وطنية لا تقل عن المكتبات الوطنية الأخرى فى أوروبا ولقد أراد أسبوفورد للمبنى الجديد أن يكون مبنى تذكاريا سياحيا إلى جانب كونه مبنى مكتبيا وظيفيًا. ولكن للأسف لم يصدق على المبنى الجديد قبل ١٨٨٦ ولم يكتمل إلا بعد ذلك بعقد من الزمان، حيث تحقق حلم أسبوفورد فقط سنة ١٨٩٧ مع افتتاح المبنى الجديد للمكتبة.

ولقد عمل أسبوفورد فى معظم الأحيان مستقلاً عن الحركة المكتبية الأمريكية وعن اتحاد المكتبات الأمريكية. وفى سنة ١٨٧٦ عندما أسس اتحاد المكتبات الأمريكية كان أسبوفورد هو الشخصية المكتبية القيادية فى الدولة وكان مستغرقًا تماما فى مشاكل المبنى الجديد للمكتبة. وكانت عزلته عن المكتبات الأخرى والمكتبتين الأخريين مردها إلى تمحوره حول فكرة المكتبة الوطنية وأيضا بسبب مزاجه الشخصى وطبيعته النفسية.

وكانت مكتبة الكونجرس مجرد مستودع واحد ضخم للإنتاج الفكرى الوطنى للولايات المتحدة ولم ير أسبوفورد أنها يمكن أن تكون نقطة التقاء محورية لنشاطات التعاون المكتبى فى أمريكا ولم يشأ أن تكون له القيادة فى هذا الاتجاه.

وفى الفترة من ١٦ نوفمبر وحتى ٧ من ديسمبر ١٨٩٦ عقدت اللجنة المشتركة حول المكتبة عدة جلسات استماع عن المكتبة: «أوضاعها» و «تنظيمها». ورغم أن أسبوفورد كان الشاهد الرئيسى إلا أن اتحاد المكتبات الأمريكية أرسل ستة مراقبين لحضور هذه الاستماعات. وكانت مقترحات ملفيل ديوى وهربرت بوتنام حول ملامح

العمل فى مكتبة الكونجرس ذات أهمية خاصة وقد تجنب الرجلان الانتقاد المباشر لأسبوفورد ولكن كان من الواضح أن وجهات نظرهما فى وظائف وإدارة المكتبة تختلف حتما عن وجهة نظر المكتبى العجوز. وقد أيد بوتنام وجهة نظر ملفيل ديوى فى أن المكتبة الوطنية يجب أن تكون «مركز تتجه إليه كل المكتبات فى الدولة لطلب النصح والإرشاد والمساعدة الفنية والعملية». وكان من بين طلبات ديوى وبوتنام: الفهرسة المركزية، الإعارة البينية، الفهرس الوطنى الموحد.

وعقب انتهاء جلسات الاستماع مباشرة وضع بوتنام تعليقاته ومقترحاته فى رسالة مكتبة لخص فيها شهادة اتحاد المكتبات الأمريكية وختم الرجل رسالته بعبارة قوية بليغة جاء فيها «أن الوقت قد حان لمكتبة الكونجرس أن تتطور إلى الأحدث وأن توسع خدماتها لأبعد مما تقوم به فى ظل أسبوفورد».

وقد أسفرت هذه الاستماعات عن إعادة تنظيم كبرى وتوسع عظيم فى المكتبة بدأت مع الأول من يولية ١٨٩٧. وحيث تقاعد أسبوفورد من منصب مدير المكتبة فقد عين كبير مساعدى مدير المكتبة تحت رئاسة المدير الجديد بمكتبة جون رسل يونج كما استمر فى نفس المنصب تحت رئاسة هربرت بوتنام الذى أصبح مديرا لمكتبة الكونجرس فى إبريل ١٨٩٩.

ولقد توفى أسبوفورد فى هولدرنس فى نيوهامبشاير فى الحادى عشر من أغسطس سنة ١٩٠٨.

إن من يريد أن يقترب من ميول واتجاهات أسبوفورد الشخصية والمهنية فعليه أن يقرأ بإمعان كتابه الرائع المرسوم، «كتاب لكل القراء: صمم كى يكون أداة مساعدة فى جميع واستخدام وحفظ الكتب وإنشاء المكتبات العامة والخاصة» والذى نشر سنة ١٩٠٠ لقد احترمه المكتبيون والساسة والجمهور العام، ليس فقط بسبب إنجازاته فى مكتبة الكونجرس ولكن أيضا بسبب سعة أفقه و بسبب إشراكه للناس فى مجالات اهتمامه: القراءة، الببلوجرافيا، وبناء المجموعات

المصادر

1- Cole, John Y. (edt.). Ainworth Rand Spofford: Bookman and Librarian._ 1975.

2- Cole, John Y, Spofford, Ainworth Rand..in.. Dictionary of American Library Biography._ 1978.

3- Cole, John Y. Spofford, Ainworth Rand..in.. World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago: A.L.A. 1993.

4- Spofford, A.R.A book for all readers: designed as an aid to the Collection, use and preservation of books and formation of public and private Libraries._ 1900.

استومفول، جوزيف ليوبولد ١٩٠٢ -١٩٨٢

Stummvoll, Josef Leopold 1902-1982

كان جوزيف ليوبولد استومفول أشهر مكتبى نمساوى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد ولد فى بادن بى فيين فى النمسا فى التاسع عشر من أغسطس ١٩٠٢. وكان أبوه حارس خان وتخرج فى مدرسة العلوم فى مدينته سنة ١٩٢٠، وبعدها بفترة حصل على الدكتوراة فى الهندسة الكيميائية من جامعة فيينا التكنولوجية ودكتوارة أخرى فى الفلسفة من جامعة ليبزج. وبين ١٩٢٥ -١٩٢٧ تقدم لامتحان دار الكتب الألمانية فى ليبزج وأصبح أمين مكتبة العلوم سنة ١٩٢٧ وقد ظل يعمل فى هذه المكتبة حتى سنة ١٩٣٧ وقد عمل فى البداية مفهرسا لكتب العلوم وبعد ذلك محررًا فى البيليوجرافية الوطنية الألمانية ثم أصبح رئيسا لقسم خدمات القراء.

ونشر أول كتاب له سنة ١٩٣٢م اشترك مع هزيتسن أو هلنرال فى كتابه برامج بناء «المكتبة المركزية للتكنولوجيا» و «المكتبة الدولية للغابات» وكلتاهما فى برلين.

ومن ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٣م أصبح نائب مدير مكتبة «مكتب براءات الاختراع الألمانى». وفى تلك الأثناء حاضر فى اتحاد المهندسين الألمان ونشر سلسلة مقالات عن استرجاع المعلومات.

وبعد سنتين فى الخدمة العسكرية وبضعة شهور فى السجن كأسير حرب، عاد جوزيف ليوبولد استومفول إلى النمسا سنة ١٩٤٦ ورشح لوظيفة نائب مدير المكتبة الوطنية النمساوية فى فيينا وكان المدير آنذاك هو جوزيف بيك، وهو باحث متميز فى الدراسات اليونانية وعندما تقاعد بيك سنة ١٩٤٩م عين استومفول مديرا للمكتبة.

وعلى الرغم من أن المكتبة الوطنية النمساوية كانت المكتبة الكبيرة الوحيدة فى أوروبا الناطقة بالألمانية التى لم تصب بأضرار خلال الحرب، إلا أنها كانت فى حاجة ماسة إلى تطوير وتحديث وإسكان مركزى لمجلداتها البالغة مليونين ولقد أدخل إليها استومفول الإدارة العلمية الحديثة وأعاد تنظيم المجموعات والخدمات، وأنشأ أقساما جديدة للمواد السمعية البصرية والميكروفيلم والترميم ونقل المكتبة إلى مقر فسيح واسع جديد سنة ١٩٦٦. وفى عهده أصدرت المكتبة فهرسا جديداً بمقتنياتها عن السنوات ١٥٠١-١٩٢٩م أى منذ إنشاء المكتبة. وفى عهده أيضا أخذت المكتبة فى إصدار الببليوجرافية النمساوية: وهى ببليوجرافية نصف شهرية بالكتب والدوريات والمطبوعات الحكومية والنوتات الموسيقية فى النمسا. وبسبب جهود استومفول بدأت المكتبة فى برنامج نشر مكثف لجانب من مقتنياتها وتاريخها كما أخذت فى تنظيم معارض سنوية تعكس الآداب والثقافة النمساوية.

وفى سنة ١٩٥١م انضم ستومفول إلى برنامج اليونسكو للمساعدات الفنية وقضى عاما واحدا فى طهران مستشاراً لبرنامج تطوير المكتبات الإيرانية. واعترافا بإمكانيات الرجل ومواهبه فى تخطيط وتنفيذ العمل بالمكتبات طلب إليه سنة ١٩٥٩م أن يتولى رئاسة مكتبة الأمم المتحدة فى نيويورك، وقد قضى فى هذه الوظيفة أربع سنوات خطط فيها وصمم المبنى الجديد للمكتبة وتم تشييده خلال تلك الفترة وافتتح فى عهده

وسمى باسم السكرتير العام للأمم المتحدة الذى قضى نحبه فى إفريقيا أثناء تأدية واجبه (داج همرشولد).

و عندما عاد إلى فيينا كرس السنوات ١٩٦٣- ١٩٦٧ لتجديد وإعادة صياغة الجناح الجنوبى من القصر الإمبراطورى السابق الذى أصبح فى ذلك الوقت يضم قاعات المطالعة الرئيسية ومقتنيات القرن العشرين فى المكتبة الوطنية النمساوية. ولقد أفادت المكتبة فى عهد استومفول من الانتعاشة الكبرى التى حققها الاقتصاد النمساوى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ فلقد تضاعفت الميزانيات وأعداد الموظفين والمجموعات بل تضاعفت أكثر من مرة. وهكذا عادت المكتبة الوطنية النمساوية إلى سابق عهدها كواحد من أكبر المراكز الثقافية فى كل أوروبا. وبعد تقاعده سنة ١٩٦٧م استمر استومفول يعمل رئيس تحرير مجلة «ببلوس» التى أسسها سنة ١٩٤٦ لتكون لسان حال مهنة المكتبات والتوثيق فى النمسا.

ورغم صغر مكانة جوزيف ليوبولد استومفول الوظيفية، إلا أنه كان ذا طاقة وحيوية نادرين. وكان من أقوى المدافعين عن مستقبل المكتبات وكان مفروضًا عنيدًا مع موظفى المكتبة والرسميين الحكوميين. وكان الرجل لا يكل ولا يتعب وكان يحفز موظفيه على بذل المزيد من الجهد والعرق وفى نفس الوقت كان عادلاً واسع الأفق متفهما. وكان يسيطر على خمس لغات ومن ثم كان من السهل عليه التفاهم مع الزائرين بلغاتهم الأصلية وكان من هواياته العزف على البيانو والفيولين وكان زوجا مخلصا وأبا لثلاثة أولاد.

مات جوزيف ليوبولد استومفول فى الثانى والعشرين من مارس ١٩٨٢.

المصادر

1-Meisels, Henry R.Stummvoll, J.L._ in._ Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1985. vol.38.

2- Stummvoll, Joseph._in._ Current Biography:1960.

إستيين، عائلة
Estienne Family

اشتهرت عائلة إستيين بالطباعة على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان، حيث بدأت أول ما بدأت في باريس مع مطلع القرن السادس عشر أي بعد نحو نصف قرن فقط من اختراع الطباعة في ماينز بألمانيا. وتعرف هذه العائلة أيضا بالاسم اللاتيني لها وهو استيفانوس أو استيفاني.

وكان مؤسس هذه الأسرة الطباعية وأول طابع فيها هو هنرى إستيين الذى يشار إليه في المراجع عادة باسم هنري الأول، الذي ظهر اسمه لأول مرة في عمل صدر سنة ١٥٠٢ كشريك للطابع الفرنسى الباريسى وولفانج هوبيل. وقد استمرت الشراكة بين هذين الطابعين لعدة سنوات بعد ذلك التاريخ أنتجا فيها أعمالا جيدة عديدة.

وخلال تلك الفترة تزوج هنرى الأول هذا من جيبون فيارت أرملة الطابع جون هيجمان وهو شريك سابق لزميله هوبيل ومن ثم فقد تولي أمر مطبعة هيجمان. وعلي مدى الثمانية عشر عاما التالية وحتي وفاته في سنة ١٥٢٠م كان نشاط هنري الأول ملحوظا في الطباعة لدرجة أنه أنتج ما يقرب من ١٢٥ عملا. ومن الواضح أن إنتاجه الطباعى كان قليلا في عدده بيد أنه كان جيدا في صنعته وإخراجه، ومن هذه النقطة الأخيرة كان وجه شهرته وعظمته. وقد تلقي استيين دعما قويا من جانب لوفيفر ديتابل زعيم إحدي جماعات الإنسيين المسيحية ومن جانب أتباعه وخلصائه مما قوى مركز مطبعة هيجمان تحت إدارته، وقد أشاد ديتابل إلي مطبعة استيين علي أنها مطبعته المفضلة. ولم تكتف هذه الجماعة بتقديم الأصول لطباعتها ونشرها لدى مطبعة استيين ولكنها قامت أيضا بقراءة وتصحيح البروفات والتجارب الخاصة بتلك الأصول، وتذكر المصادر أن ٦٠٪ من الأعمال التي طبعتها مطبعة إستيين جاءت من جماعة ديتابل ودائرته.

لقد أنجب هنري إستيين من جيبون فيارت ثلاثة أبناء هم: فرانسوا؛ روبرت؛ تشارلز. وكان لكل منهم اهتمام بجانب أو آخر من جوانب صناعة الكتاب في باريس ولكن ألمعهم في هذا الصدد الابن الأوسط روبرت وهو الذي سلك طريق النشر الأكاديمي الذي أرساه والده.

أما فرانسوا فقد سلك طريق بيع الكتب والتزم ببيع الكتب رسميا لجامعة باريس أي أصبح البائع المعتمد لديها، وكان في بعض الأحيان الناشر الرسمي للجامعة وكان يرتب لطباعة كتب الجامعة لدى الطابع سايمون دي كولنز، تلك الكتب التى كانت تطرح للبيع في متجر كتب الجامعة.

ولم يكن روبرت عندما مات والده سنة ١٥٢٠م سوى ابن السابعة عشرة. وسرعان ما تزوجت والدته بعد موت أبيه من سايمون دي كولنز الطابع ومصمم الحروف، مما ساعد روبرت علي أن يتم فترة تدريبه علي الطباعة تحت إشراف دي كولنز، وقد قام دي كولنز أيضا بإدارة مطبعة أسرة استيين إلي جانب مطبعته. وفي سنة ١٥٢٦م انتقل دي كولنز إلي موقع آخر مما ساعد روبرت علي أن يستقل بالعمل ويطبع لحسابه وتحت اسمه وعنوان أبيه. وفي ذلك الوقت ابتكر علامة الطابع الخاصة به وهي شجرة الزيتون التي التصقت به وبعائلته من بعده.

ويذكر الثقاة أن الجانبين اللذين حققا الشهرة والتقدير لروبرت إستيين وخلدا اسمه كأبرز ناشر أكاديمي في تلك الفترة هما: أ- طبعاته النقدية التحليلية المختلفة من الكتاب المقدس ب- أعماله المعجمية التي خرجت من بطن مطبوعاته للكلاسيكيات اللاتينية، ورغم أن نشره لطباعات الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس قد أكسبه احتراما وتقديرا، إلا نشره للمعاجم اللاتينية - الفرنسية، والفرنسية - اللاتينية قد أكسبه احتراما أكبر وجعله مؤسس مدرسة المعجمية اللاتينية الحديثة. ولقد كان لمعجمه «مكنز اللغة اللاتينية» أثر كبير في ظهور أعمال مشابهة كثيرة في إنجلترا وأوروبا.

ومما يذكر له أيضا الافتتاحيات التي كان يصدر بها المطبوعات التي تخرج من

مطبعته، حيث كانت قوية جذابة وعلمية في معظم الأحيان. ومن يدرس إنتاج هذا الرجل يجد أن ثلثي الكتب الاثنين والخمسين التي أنتجتها مطبعته من حجم الكوارتو خلال فترة وجود هذه المطبعة في باريس إنما تعكس جهده وعمله كمحرر وجامع لهذه الكتب، ويقال إن ٦٠٪ من الكتب وكان معظمها باللغة اللاتينية صدر في قطع صغير ولا تتضمن مقدمات ومن ثم فلا نعرف إن كان قد أعمل فيها قلمه بالتحرير أم لا.

وإذا كان دانييل بيركلي أبدايك يعتبر الستين سنة الأولي من القرن السادس عشر هي العصر الذهبي للطباعة فمن المؤكد أن هنري الأول وابنه روبرت يعتبران من عمد هذا العصر الذهبي بما أضافاه إلي الطباعة والنشر في تلك الفترة، فقد كان كلاهما من الدارسين إلي جانب كونهما طابعين وقد شهد لهما الجميع بحسن الطباعة ودقتها، إلي جانب أن روبرت استيين كان عاملاً هامًا في تحول الكتاب الفرنسي في القرن السادس عشر.

لقد استعارا فكرة القطع الصغير من ألدوس مانتيوس ومن ثم نشرا الكلاسيكيات اللاتينية واليونانية بأسعار زهيدة مناسبة للطلاب، ولقد عمما الحرف المائل وأنتجا حرفا رومانيا محسنا ظل لمدة قرنين الحرف المعياري في أوروبا، وكانت بعض كتب عائلة إستيين قد صممت حروفها علي يد المصمم الأشهر جاراموند وزخرفة وإيضاحيات جيوفروي توري الشهير.

بعد اختراع الطباعة وانتشارها في أوروبا أبدى التاج الفرنسي إعجابه بالطباعة الفاخرة وأعلن عن حاجته إلي طابع ملكي يكون متمرسا بطباعة الكتب الفاخرة والأعمال ذات المواصفات الخاصة وتكون لديه حاسة فنية وتذوق، ولأن شهرة روبرت إستيين وتميزه بين معاصيه قد طارت به إلي التاج فقد عُين الطابع الملكي للكتب العبرية واللاتينية سنة ١٥٣٩، وبعد وفاة الطابع الملكي للكتب اليونانية كونراد نيوبار حل محله كونراد وإن لم يكن هناك قرار رسمي بذلك. وقد قام المصمم جاراموند بتصميم «الحروف اليونانية الملكية» الشهيرة تحت إشراف روبرت إستيين وتم إيداعها

في حوزته. وتؤكد المصادر علي أن روبرت استيين طوال قامته في باريس أصدر ما بين ٤٦٠ و ٤٧٠ طبعة مختلفة.

وكان لوفاة فرانسوا الأول سنة ١٥٤٧م أثره في انتقال «الحماية» التي كان قد حصل عليها إلى أخيه روبرت إستيين. وفي سنة ١٥٥٠م انتقل روبرت إستيين إلى جنيف مع أسرته بسبب إدانة مطبوعاته من الكتاب المقدس والتي نظر إليها على أنها من أعمال الهرطقة، ومن ثم فقد ارتد على عقيدته الكاثوليكية واعتنق المذهب الكالفينى. وفى غضون سنة واحدة أسس مطبعة خاصة به في جنيف واستمر في أعمال الطباعة هناك حتى وفاته سنة ١٥٥٩، وفى تلك الفترة أصدر نحو ستين طبعة إضافية.

لقد تزوج روبرت من ابنة جوزيف باريوس - بيريت - والتي أنجب منها ثمانية أو تسعة أطفال نبغ منهم ثلاثة في عالم الطباعة وهم: هنرى الثانى؛ روبرت الثانى؛ فرانسوا الثانى.

بعد رحيل روبرت استيين إلي جنيف وتركه لأعماله في باريس هربًا من بطش رجال الدين، تولى أخوه الأصفر تشارلز إدارة مطبعته في باريس ولأن روبرت هرب إلي جنيف فقد كانت أملاكه في باريس عرضة للمصادرة ولكن أخاه تشارلز كتب التماسا إلي الملك يطلب فيه عدم مصادرة تلك الممتلكات لصالح أطفال روبرت وقد استجاب الملك الفرنسي لذلك، وقد عاد روبرت الثاني ابن روبرت الأول «الثاني فى الاسم والثاني في الترتيب بين اخوته» إلى باريس وإلى العقيدة الكاثوليكية وتولى إدارة مطبعة أبيه سنة ١٥٥٦م وحل محل عمه في هذا الصدد، وأثبت كفاءة نادرة فى عملية الطباعة والإدارة.

وقد أوصى روبرت الأول إستيين بمطبعته في جنيف إلي ابنه الأكبر هنري الثاني بشرط ألا ينقلها من جنيف ومن ثم حرم باقي أبنائه من ذلك الميراث.

واعتبارا من ١٥٥٥ تزوج هنري الثاني واستقر في جنيف وأصبح شريكا نشيطا

لأبيه في إدارة المطبعة والقيام بأعمال الطبع. وكان منذ انتقال الأسرة إلي جنيف سنة ١٥٥٠وحتى زواجه ١٥٥٥ قد دأب على الترحال في عموم القارة وإلى انجلترا بحثا عن مخطوطات نادرة يطبعها باللاتينية أو اليونانية، وربما يكون قد عمل لفترة في مطبعة مانتيوس وكان اهتمامه الأول طبع الكتب اليونانية بقدر ما كان اهتمام أبيه الأول طبع الكتب اللاتينية. وقد جمع قاموسًا يونانيا كبيرا يحسب له كما قام بتحرير أربع وسبعين عملا يونانيا وثمانية وخمسين عملا لاتينيا وثلاثة أعمال عبرية. كما قام بتأليف نحو ثلاثين كتابا تأليفا خالصا.

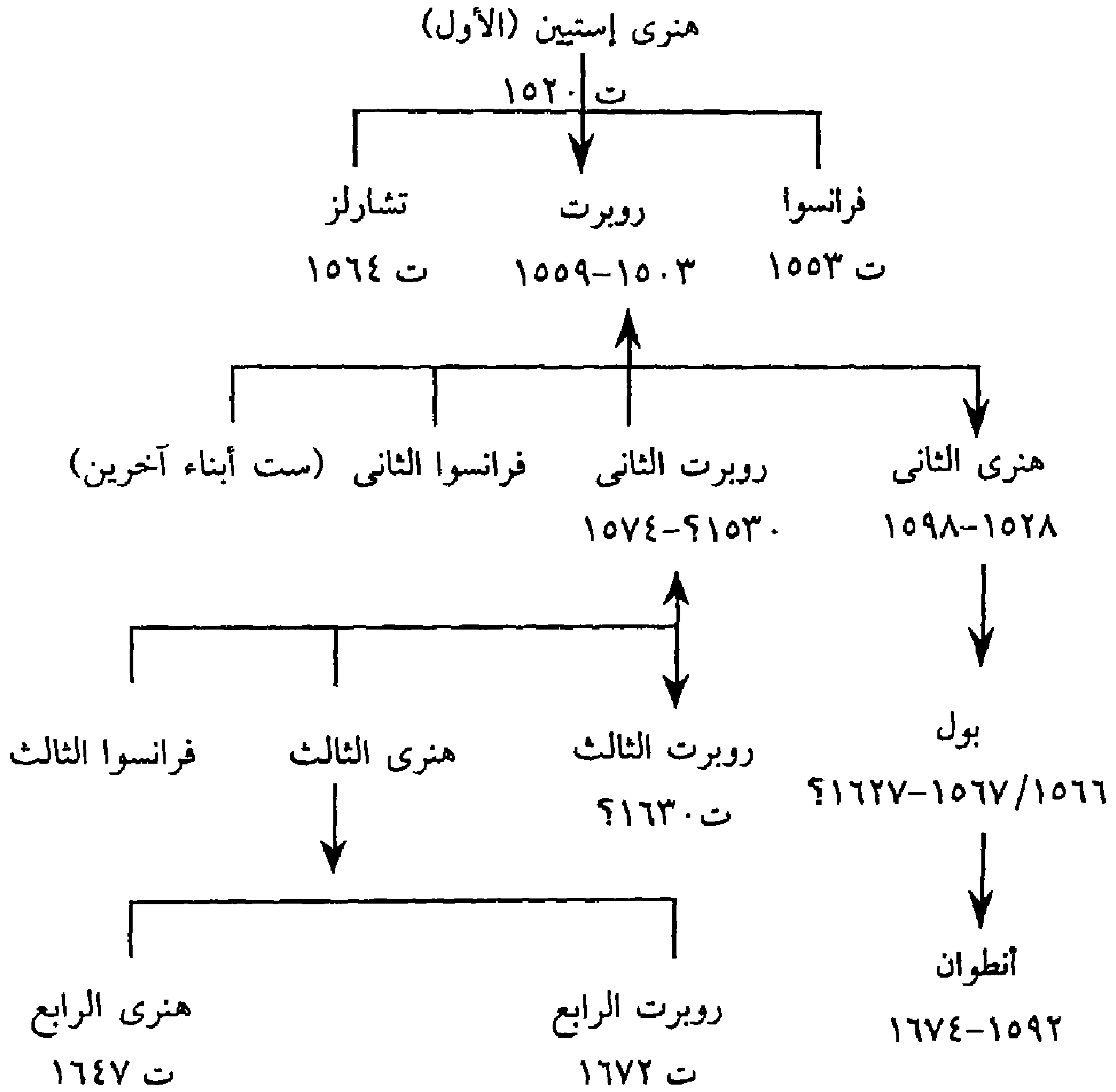
ورغم تميز إنتاج هنري الثاني إلا أنه لم يكن ناجحا من الناحية المالية، ويعزو مارك باتيسون هذا الفشل المالي إلي عاملين:

أ- لأن المطبعة كانت في جنيف فلم تكن قادرة على منافسة مطابع باريس وعموم فرنسا.

ب- انقضى عهد غرام الفرنسيين بالكتب الكلاسيكية والتي كانت اهتمامه الأول.
ولقد قضى هنري الثاني سنواته الأخيرة في الترحال والتنقل حتى قضى نحبه في ليون سنة ١٥٩٨م.

ولقد خلف بول أباه في مطبعة إستيين، ورغم أنه كان دؤوبا ومثابراً إلا أن عمله لم يكن متميزاً لا أكاديمياً ولا طباعياً. وكانت جل أعماله عبارة عن إعادة طبع من مطبوعات والده، وقد جاء من بعده ابنه أنطوان آخر أسرة إستتيين الطابعة، وحتى النهاية ظلت مطبوعات أسرة إستيين تتميز بالدقة وحسن التصحيح.

وتصور الشجرة الآتية تسلسل عائلة إستيين الطابعة وهى ملخصة من تلك الشجرة المفصلة التى وردت فى المجلد الثانى من كتاب أ.أ. رينوارد: حوليات مطبعة إستيين.- ط٢.- نيويورك: بيرت فرانكلين. وهى مأخوذة بدورها عن هذا العمل الذى نشر فى باريس لأول مرة سنة ١٨٤٣.



* * *

بعض المصادر:

1- Armstrong, Elizabeth. Robert Estienne: Royal Printer: an historical study of the elder Stephanus. - Cambridge: The University Press, 1954.

2- Binns, Noraman. An Introduction to Historical Bibliography.. 2nd ed.-

London: Association of Assistant Librarians, 1962.

3- Manhimer, Martha L. Estienne Family .- in.- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York: Marcel Dekker, 1972. Vol. 8.

4- Pattison, Mark. "The Stephenses".. in.- Essays / by Mark Pattison.- London: Routledge, n.d.

5- Renouard, A.A. Annales de L'Imprimerie des Estienne.- 2nd ed.- New York: Burt Franklin. 1st edition in Paris, 1843.

6- Updike, Daniel Berkeley. Printing types: their history, Forms and use: a study in survivals.- Cambridge: Harvard University Press, 1966.

الأسد الوطنية، مكتبة

Al-Asad National Library of Syria

لمحة تاريخية:

ظهرت الحاجة إلى إحداث مكتبة وطنية فى القطر العربى السورى منذ أوائل القرن العشرين، وكان أول عمل فى هذا المجال هو تجميع تراث الأجداد من المخطوطات فى تربة الملك الظاهر بيبرس بدمشق التى عرفت بعد ذلك باسم المكتبة الظاهرية، واهتم مجمع اللغة العربية، الذى تولى الإشراف على الظاهرية منذ عام ١٩١٩، بتنظيم المكتبة وعمل على زيادة مجموعاتها من المطبوعات فى كافة الموضوعات ووضع الفهارس اللازمة لتسهيل الاطلاع عليها.

ومع بداية عهد الاستقلال وانتشار المدارس وتوسع التعليم ظهرت الحاجة إلى تشييد مكتبة وطنية حديثة تتمتع بكامل المواصفات الفنية اللازمة للمكتبات الوطنية، وتقوم بجمع كافة أشكال التراث الثقافى الوطنى والقومى ومختارات من التراث الثقافى العالمى، وتستوعب الأعداد المتزايدة من القراء والباحثين.

وفى منتصف الخمسينات تم تخصيص قطعة أرض فى وسط مدينة دمشق، فى الجهة الجنوبية الغربية من ثانوية جودت الهاشمى، وفى أواخر الستينات استبدلت هذه الأرض بأخرى فى ضاحية دمشق الغربية مطلة على ساحة الأمويين، ومع بداية السبعينات بدأ مشروع بناء المكتبة يأخذ طريقه للتنفيذ حيث صدر بتوجيهات من سيادة الرئيس حافظ الأسد القرار رقم ١٤٥ تاريخ ١٩٧٢/٤/٢٠ عن رئاسة مجلس الوزراء والقاضى بتأليف لجنة مهمتها وضع دراسة شاملة والإشراف على تنفيذ بناء مكتبة وطنية حديثة فى دمشق. وتم تشكيل اللجنة من السادة:

- وزير الأشغال والثروة المائية «رئيسًا».
- معاون وزير الثقافة والإرشاد القومى.
- معاون وزير الأشغال العامة والثروة المائية.
- نقيب المهندسين.
- محاسب للمشروع.

وباشرت اللجنة عملها بالاتصال بمنظمة اليونسكو فى باريس وعرضت عليها الدراسة المقدمة من وزارة الثقافة بدمشق حول وظائف المكتبة. وبعد تحديد مواصفات المكتبة اتصلت اللجنة بالاتحاد الدولى للمهندسين المعماريين فى باريس لوضع شروط مسابقة دولية من أجل تقديم مشاريع أولية لبناء المكتبة وفق المواصفات المطلوبة. وقام الاتحاد بالإعلان عن هذه المسابقة بتاريخ ١٩٧٣/٧/١٦ وشكل أيضًا لجنة دولية للتحكيم مؤلفة من السادة:

- وزير الأشغال العامة للثروة المائية «رئيسًا».
- المهندس البلغارى «ميتودى بيارسكى» نائب رئيس الاتحاد الدولى مدير المهندسين المعماريين.
- المهندس الفرنسى «ميشيل إيكوشار».
- المهندس «ألكساندر فرانتا» نقيب المهندسين المعماريين فى بولونيا.

- المهندس البرازيلي «بيلانونا أرتيكاز».

- المهندس اللبناني «ريمون غصن» عميد كلية الهندسة في الجامعة الأمريكية في بيروت.

- المهندس السوري «شكيب العمري».

- السيد «جان بيير كلافيل» مدير مكتبة مقاطعة لوزان في سويسرا.

وبموجب شروط المسابقة حدد تاريخ ١٥/١١/١٩٧٤ آخر موعد لتسليم المشاريع في دمشق. وحدد تاريخ ١٥/١٢/١٩٧٤ موعداً لاجتماع لجنة التحكيم.

وبناءً على إعلان المسابقة أرسل حوالي ٦٠٠ مكتب هندسي عالمي بطلب الوثائق الرسمية للمسابقة، اشترك منهم رسميًا نحو ٢٠٠ مكتب. وبلغ عدد الذين أرسلوا مشاريعهم فعليًا ٧٨ مكتبًا.

وفي الموعد المحدد اجتمعت لجنة التحكيم لدراسة المشاريع المقدمة وقررت فوز أصحاب المشاريع الأربعة التالية بالجوائز الثلاثة الأولى:

١- الجائزة الأولى:

فاز بها المهندس البولوني «جان جاك مايسنر»

٢- الجائزة الثانية:

فاز بها المهندس السوري «فؤاد ريشة».

٣- الجائزة الثالثة:

فاز بها مناصفة مشروع المهندس السوري الدكتور «طلال عقيلي»، ومشروع المهندس البلغاري «إيفان ناتاروف».

ووزعت اللجنة خمسة جوائز أخرى لبعض المشاريع، وعملاً بدفتر شروط المسابقة جرى الاتفاق مع الفائز بالجائزة الأولى لوضع التصاميم التنفيذية الكاملة لهذا المشروع بالاشتراك مع مكتب هندسي سوري.

وبتاريخ ١/ ٧/ ١٩٧٨ تم وضع حجر الأساس للمكتبة، وسُلِمت التصاميم التنفيذية لمؤسسة الإسكان العسكرى لتنفيذ المشروع، ووُقِّعت العقود معها لتنفيذ الأعمال الإنشائية والإكسائية والصحية والكهربائية والتكييف، وباشرت مؤسسة الإسكان العسكرى العمل حين صدور أمر المباشرة لها بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٧٨ وقد استغرق العمل زهاء خمس سنوات وانتهى فى تشرين الثانى عام ١٩٨٣، وبلغت كلفته الإجمالية نحو ١٠٢ مليون ليرة سورية.

وخلال عام ١٩٨٣ تم إصدار المرسوم التشريعى رقم ١٧ الناظم للمكتبة الوطنية وأطلق عليها بموجبه إسم مكتبة الأسد، ثم صدر المرسوم التنظيمى رقم ٦٢٣ لعام ١٩٨٣ القاضى بتحديد ملاك مكتبة الأسد، وأما الجهاز الإدارى للمكتبة فقد بدأ تشكيله بصدور المرسوم رقم ١٠٢٨ لعام ١٩٨٣ القاضى بتسمية أول مدير عام للمكتبة (الدكتور غسان صياح اللحام) وهو الآن محافظ دمشق وكان قد تخرج فى قسم المكتبات بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣.

وصف مبنى المكتبة:

تقع مكتبة الأسد فى الطرف الغربى لمدينة دمشق وتطل على ساحة الأمويين بين شارعى المالكى والمهدى بن بركة، وتحيط بها حدائق بمساحة إجمالية قدرها ٦٠٠م٢ ويتميز المبنى بحجمه الكبير، وبكتلته الحجرية العليا التى تشتمل على مستودعات المكتبة، وباحتوائه على ممر للمشاة يربط بين ساحة الأمويين والشوارع الخلفية وللمكتبة خمسة أبواب موزعة على محيط حديقة المكتبة، ويتصدرها فى المدخل الرئيسى تمثال السيد الرئيس حافظ الأسد.

تبلغ المساحة الإجمالية للمبنى (٢٢) ألف متر مربع موزعة على تسعة طوابق. وفى داخل المبنى بهوان رئيسيان يتوسطهما درجان حلزونيان يربطان بين الطوابق من الأرضى إلى الرابع، ويعلو هذان الدرجان قبتان على شكل أقواس مزدوجة ومتعاكسة لتسمح بمرور ضوء الشمس. وقد زينت القبتان بزخارف إسلامية ونقش داخلها أربعة أبيات شعرية نظمها الشاعر محمد مهدى الجواهرى بالرئيس حافظ الأسد وهى:

يا حاضن الفكر خلاقا كأن به

من نسج زهر الربى مرشاة أنقا

يطرى أياديك سفر رحت تجمعه

إلى الشتائت من أترابه نسقا

أحللته حرما تهفو العقول له

يا سادة الفكر زادني ألقا

يا ديدبان الحمى حى الصباح به

ويا حفيظ النهى شعشع به الأفقا

اعتُمِد فى إكساء المكتبة من الخارج على الرخام الوطنى، بينما يختلط الإكساء فى الداخل بين الرخام الوطنى والخشب والجوت الذى غلفت به الفواصل الخشبية بين الغرف. وتعتمد الحركة العمودية فى المبنى على المصاعد والدرجين الحلزونيين ودرجين آخرين للنجاة. وهناك ثمانية مصاعد صغيرة خاصة لنقل الكتب بين أقسام الإعارة الموزعة فى الطوابق (٢، ٣، ٤) ومستودعات الكتب فى الطابقين (٥، ٦).

أما طوابق المبنى فتشتمل على مايلي:

القبو الأول: ويشتمل على المطبعة وقسم التجليد وبعض غرف ورشات الصيانة فى المبنى مع مستودعات إحتياطية.

القبو الثانى: وهو بمستوى الشارع الجانبى الجنوبى للمكتبة ويشتمل على قاعة للتدريب على الحاسبات وقسم مطالعة المكفوفين وقسم استلام البريد ومرآب السيارات وبعض غرف ورشات الصيانة.

الطابق الأرضى: وهو بمستوى الشارع الجانبى الغربى للمكتبة ويشمل على قاعة المحاضرات التى تتسع لـ ٣١٠ مستمع وغرف الإدارة العامة وبهو لاستقبال القراء وبهو آخر لاستقبال رواد قاعة المحاضرات وقاعة للمعارض.

الطابق الأول: ويشتمل على قسم الترميم وغرف مديرية التوثيق والإعلام وجناح صغير لمعارض الكتب.

الطابق الثانى: وفيه الفهارس العامة للمكتبة وقاعة مطالعة الدوريات الحديثة وغرف التصنيف والفهرسة ومديرية التزويد ومديرية المخطوطات ومديرية الإعارة ومديرية النشاط الثقافى وأقسام الحاسب وتشمل: قسم الحاسب المركزى، قسم إدخال المعلومات، قسم خدمة معرض الكتاب. وبطرفه استراحة لتناول الوجبات الخفيفة من قبل القراء رواد المكتبة.

الطابق الثالث: وفيه ثلاث قاعات مطالعة وقسم الوسائل السمعية البصرية وقسم خدمة المعلومات وغرف المطالعة الفردية.

الطابق الرابع: وفيه قاعة مطالعة الدوريات القديمة وقاعة مطالعة عامة وقاعة التشريعات السورية وقسم التصوير وأجهزة قراءة الأفلام المصغرة، ومستودعات المخطوطات، وقاعة منشورات الأمم المتحدة.

الطابق الخامس: مستودع للكتب يستوعب نحو مليون مجلد.

الطابق السادس: مستودع للكتب يستوعب نحو مليون مجلد.

وظائف المكتبة:

تعتبر مكتبة الأسد المكتبة الوطنية للقطر العربى السورى لذلك فمن أولى واجباتها جمع كافة أشكال التراث الثقافى من كتب ودوريات وغيرها من أوعية المعلومات وتنظيم هذه المواد وتيسير الانتفاع بها للباحثين والدارسين، وتُولِىَ المكتبة اهتمامًا للتراث الثقافى العربى المعاصر بجمع مختارات منه فى كافة المواضيع، ومختارات من التراث العالمى بشكل عام مما يمكن أن يفيد منه رواد المكتبة.

ومن أجل خدمة القراء يتوافر فى المكتبة الأقسام التالية:

أ- قسم التصوير الوثائقى: بأشكاله الثلاث (ميكروفيلم، ميكروفيش، فوتوكوبى) وقد وجد هذا القسم من أجل تلبية رغبات القراء فى الحصول على نسخ مصورة من

الكتب والمطبوعات، وملحق بهذا القسم أجهزة لقراءة الأفلام الوثائقية بكافة أشكالها.

٢- قسم المواد السمعية: وفيه تودع المواد الثقافية المسجلة على أشرطة تسجيل صوتية.

٣- قسم الأفلام الوثائقية: ويقوم بنسخ الأفلام السينمائية والتعليمية والثقافية والعلمية التى تنتج فى القطر العربى السورى على شرائط فيديو.

٤- قسم الفنون التشكيلية: ويقوم بتصوير أعمال التشكيليين السوريين بطاقات صغيرة مع الاحتفاظ بنسخ منها على شرائح أفلام.

٥- قسم المطبوعات الدورية: وفيه تودع المطبوعات المنتظمة الصدور والنشرات، وفى المكتبة قاعة للدوريات الحديثة وأخرى للدوريات القديمة.

٦- قسم المكفوفين: وفيه أودعت الكتب الخاصة بالمكفوفين والأجهزة المساعدة للمطالعة الخاصة بهم.

٧- قسم خدمة المعلومات: وتتوافر فيه خدمة شبكة إنترنت عالمية، وقواعد معلومات أجنبية مخزنة على أقراص ليزرية، وفيه قواعد معلومات وطنية وهى:

- قاعدة تتضمن فهارس المكتبة وقد وضعت حديثًا بتصرف المواطنين.

- قاعدة التشريعات وتشتمل على جميع التشريعات الصادرة فى القطر منذ عام ١٩١٨ حتى الآن ويتم تحديث هذه القاعدة باستمرار «أنجزت ووضعت قيد الاستثمار منذ مطلع عام ١٩٩٢».

- قاعدة الخطابات والتصريحات الصحفية للسيد الرئيس حافظ الأسد ويتم تحديث هذه القاعدة باستمرار (أنجزت فى منتصف عام ١٩٩٢ ووضعت فى الاستثمار منذ ذلك الوقت).

- قاعدة أصحاب الفكر والإبداع فى سورية وهى قيد الإنجاز.

- قاعدة مراكز التوثيق والمعلومات فى سورية وهى قيد الإنجاز.

٨- قاعات المحاضرات: يتوافر فى المكتبة قاعة محاضرات رئيسية تتسع إلى (٣٠٨) أشخاص وهى تصلح لعرض الأفلام وإلقاء المحاضرات وعقد المؤتمرات الدولية حيث إنها مجهزة بنظام لاسلكى للترجمة الفورية بأربع لغات، وهناك قاعة أخرى تتسع لنحو ثلاثين شخصًا لعقد حلقات البحث الصغيرة والدورات التدريبية.

٩- قاعات المطالعة: فى المكتبة ثلاث قاعات للمراجع تتوفر فيها المراجع الرئيسية التى تهم القراء. وهناك أربع قاعات أخرى للمطالعة يستخدمها القراء وتتسع هذه القاعات لنحو (٧٥٠) قارئ فى آن واحد.

١٠- غرف المطالعة الفردية: يوجد فى المكتبة (٢١) غرفة مطالعة فردية الهدف منها حجز مراجع خاصة لبعض الباحثين من أجل إنجاز أبحاثهم.

١١- صالات العرض: يوجد فى المكتبة عدة أماكن متفرقة لإقامة معارض الكتب والأعمال الفنية لاطلاع القراء على كل جديد فى عالم المعرفة.

وهناك وظائف أخرى تقوم بها المكتبة لخدمة الثقافة الوطنية والحفاظ على مجموعاتها وهى:

أ- قسم صيانة المخطوطات: وفيه أجهزة يدوية وآلية لتعقيم المخطوطات وترميمها بعد أن تم جمع كامل المخطوطات المحفوظة فى مكتبات الدولة وأودعت مستودعات خاصة بها.

ب- قسم التوثيق والإعلام: ويصدر المطبوعات التالية:

- الببليوجرافيا الوطنية السورية التى تصدر «سنويًا».

- الكشاف التحليلى للمجلات والصحف السورية يصدر «فصليًا».

- قائمة الأطروحات الجامعية السورية «تصدر تباعًا».

- دليل وفهرس معرض الكتاب العربى السنوى.

جـ - قسم التجليد والمطبعة: وهو المسئول عن متابعة تجليد الكتب وإنجاز طباعة ما يلزم المكتبة.

د - قسم التبادل والهدايا: وهو المسئول عن رعاية صلات المكتبة الثقافية مع المراكز العلمية الأخرى داخل القطر وخارجه فيرسل لهم ويتلقى منهم المواد الثقافية على سبيل التبادل والإهداء، كما تعتمد المكتبة نظام الإيداع القانونى الذى يوجب على كل مؤلف أو ناشر سورى إيداع خمس نسخ من مطبوعاته.

تقوم المكتبة بنشاط مستمر فى مجال عقد الندوات الفكرية وإلقاء المحاضرات والأمسيات الموسيقية والعروض السينمائية وإقامة المعارض الفنية ومعارض الكتب ويتميز فى هذا المجال معرض الكتاب العربى الذى تقيمه المكتبة فى النصف الثانى من شهر أيلول (سبتمبر) من كل عام ويشارك فيه مجموعة كبيرة من دور النشر العربية وبعض وكالات النشر الأجنبية وقد تم إقامة المعرض الأول عام ١٩٨٥ .

كما تقيم المكتبة كل عام ثلاث دورات تدريبية نظامية فى مجال التوثيق للعاملين فى إدارات الدولة وأرشيفاتها ومكتباتها بهدف تطوير وتوحيد خبراتهم فى هذا المجال.

كما تقيم بين الحين والآخر دورات خاصة فى مجال دراسة المخطوطات وترميم الوثائق وذلك بالتعاون مع المنظمات الإقليمية.

نظام المكتبة:

تفتح المكتبة أبوابها للقراء إعتبارًا من الساعة التاسعة صباحًا وحتى الثامنة مساءً ويمكن أن تستقبل فى آن واحد ٧٥٠ قارئًا فى كافة قاعات المطالعة ويعمل حاليًا ٣٧٦ عاملاً فى مختلف المديريات والأقسام منهم تسعون عاملاً مختصًا.

لا يسمح نظام المكتبة للباحثين بالاطلاع على النسخ الأصلية للمخطوطات وإنما يتم إطلاعهم من خلال النسخ المصورة لها ويسمح للباحث بالاطلاع على المخطوط الأصلى من المرحلة الأخيرة من بحثه.

كما يسمح نظام المكتبة باستخدام غرف المطالعة الفردية بالنسبة للباحثين الذين يرغبون بحجز مراجع خاصة لهم لإنجاز بحث معين خلال فترة محددة.

وتتوفر فى قاعات المطالعة المراجع الأساسية التى يمكن للقراء تناولها يدويًا من الرفوف أما بقية المراجع الغير متوفرة فى القاعة فيمكن طلبها من المستودعات عن طريق أمناء القاعة.

ويتم الإفادة من مراجع المكتبة من قبل جميع المواطنين والزوار الذين تجاوزت أعمارهم سن الثامنة عشرة وتصدر لهؤلاء بطاقة اشتراك خاصة سنوية مجانية.

وأخيرًا لابد من أن ننوه إلى أن نظام الإعارة فى المكتبة داخلى فالإعارة الخارجية ممنوعة ويمكن للقراء طلب نسخ ما يرغبون من صفحات المراجع التى يطالعون فيها على أفلام مصغرة أو نسخ ورقية عادية وهى تنطلق بذلك من حرصها على خدمة المواطنين وسلامة المواد الثقافية لتبقى خالدة للأجيال القادمة.

الهيكل التنظيمى الإدارى للمكتبة

يتضمن الهيكل التنظيمى المديريات والأقسام التالية:

١- مكتب المدير العام

٢- مديرية التزويد والإيداع

٣- مديرية التصنيف والفهرسة

٤- مديرية الإعارة

٥- مديرية المطبعة والتجليد والترميم

٦- مديرية المخطوطات والكتب النادرة

٧- مديرية التوثيق والإعلام

٨- مديرية النشاط الثقافى

٩- مديرية الشئون الإدارية والقانونية

١٠- مديرية الشئون المالية

١١- مديرية الصيانة الفنية

أولاً- مكتب المدير العام، ويضم:

أ- مدير مكتب المدير العام

ب- أمين سر مكتب المدير العام

جـ- قسم الحاسب الآلى، ويتبع له:

- شعبة إدخال المعلومات

- شعبة خدمات المعلومات

- شعبة بيانات معرض الكتاب

ثانيًا- مديرية التزويد والإيداع وتضم:

أ- قسم التزويد، ويتبع له:

- شعبة الدوريات

- شعبة الكتب

- شعبة المواد غير المطبوعة

ب- قسم الإيداع القانونى

جـ- قسم التبادل والهدايا

ثالثًا- مديرية التصنيف والفهرسة، وتضم:

أ- قسم التصنيف

ب قسم الفهرسة

جـ- قسم إعداد الفهارس

رابعًا- مديرية الإعارة، وتضم:

أ- قسم قاعات المطالعة

ب- قسم المستودعات

جـ- قسم الاشتراكات وغرف المطالعة الفردية

د- قسم المكفوفين

خامسًا- مديرية المطبعة والتجليد والترميم، وتضم:

أ- قسم المطبعة والتجليد

ب- قسم التصوير

جـ- قسم الترميم

سادسًا- مديرية المخطوطات والكتب النادرة، وتضم:

أ- قسم التحقيق والدراسات

ب- قسم الحفظ

سابعًا- مديرية التوثيق والإعلام، وتضم:

أ- قسم التوثيق

ب- قسم الإعلام

ثامنًا- مديرية النشاط الثقافى، وتضم:

أ- قسم النشاط الثقافى

ب- قسم العلاقات العامة

تاسعًا- مديرية الشؤون الإدارية والقانونية، وتضم:

أ- قسم شؤون العاملين والشئون القانونية

ب- قسم الشؤون الإدارية

جـ- قسم التخطيط والإحصاء

عاشراً- مديرية الشئون المالية، وتضم:

أ- قسم العقود

ب- قسم المحاسبة واللوازم

حادى عشر- مديرية الصيانة الفنية، وتضم:

أ- قسم الصيانة الكهربائية والإلكترونية

ب- قسم التكييف والتدفئة والصحية

جـ- قسم الإكساء والديكور

ويصل عدد العاملين بالمكتبة إلى ٣٤٤ شخصًا منهم ١٠٣ مؤهلات عليا، ١٤٦ مؤهلات متوسطة، ٧٧ مؤهلات دون المتوسطة وبدون. وعدد من يحملون مؤهلاً مكتبيًا لا يزيد على ٢٠ شخصًا.

المجموعات وطرق التزويد

بدأت المكتبة عند افتتاحها سنة ١٩٨٤ بنحو ٣٨٠٠٠ كتاب باللغة العربية وباللغات الأجنبية (على وجه الدقة ٣٧٩٣٤ كتابًا) من بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب بلغات غير العربية (٢٩٩٠ كتابًا على وجه الدقة) وظلت المجموعات تنمو باطراد واضح حتى وصلت بعد عقد واحد إلى ٢١٦٥٩٧ كتابًا من بينها ٤١٥٢٢ كتابًا بلغات أجنبية، وفى نهاية القرن العشرين أى بعد خمس عشرة سنة من قيام المكتبة ارتفع رصيد المكتبة إلى نحو ربع مليون كتاب وتنمو مجموعات المكتبة باطراد عبر الطرق الآتية:

أ- **الإيداع القانونى** ينص قانون إنشاء مكتبة الأسد الوطنية فى مادته رقم ١٧ أن المكتبة هى المكتبة الوطنية الوحيدة والمركزية للدولة ويجب أن تشتمل على جميع

المطبوعات السورية وبمقتضى تلك المادة يتحتم على كل من الطابع والناشر متضامين إيداع خمس نسخ من أى مطبوع بالمجان وبدون مقابل كما يلزم بالإيداع أيضا أى مؤلف سورى أو مترجم ينشر أعماله خارج البلاد وتفرض غرامة على المخالفين بما لا يقل عن ألفى ليرة ولا تزيد على ثلاثة آلاف وتوزع النسخ الخمس على النحو الآتى:

١- نسختان للسجل العام أى مستودع الكتب

٢- نسختان للتبادل

٣- نسخة للأرشيف أى الحفظ الدائم وليست للاستخدام

وفى سنة ١٩٩٥ كان عدد الكتب التى تم إيداعها قد بلغ ١٦٤٨٨ عنواناً فى ٤٩٤٦٤ مجلداً

وفيما يتعلق بإيداع الدوريات فإن النسخ الخمس توزع فى حالة الجرائد بواقع نسختين للتبادل وثلاث نسخ للإطلاع فى قاعة الدوريات؛ وفى حالة المجلات بواقع نسختين لقاعة الدوريات وثلاث نسخ للتبادل.

ومن جهة ثانية تعتبر مكتبة الأسد الوطنية مكتبة الإيداع لمطبوعات الأمم المتحدة ومنظماتها النوعية مثل منظمة الصحة العالمية، منظمة العمل الدولية، البنك الدولى للإنشاء والتعمير، اليونسكو، جامعة الأمم المتحدة، منظمة الأغذية والزراعة وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الرسائل الجامعية التى تُجاز لطلاب سوريين خارج سوريا يشملها الإيداع بواقع نسخة واحدة من كل رسالة.

ب- الشراء: يأتى قسم كبير من مقتنيات مكتبة الأسد الوطنية عن طريق الشراء حيث تخصص مبالغ كبيرة من المال بالعملة الصعبة لشراء الكتب غير السورية سواء من الدول العربية أو الإسلامية أو الأجنبية ويتم الشراء بعد اختيار المواد سواء من الأدوات التقليدية المطبوعة أو الاختيار المباشر عن طريق الفحص الفعلى والمعارض

ومقترحات القراء وتتأثر كميات المواد المشتراه من سنة إلى أخرى بمدى توافر العملة الصعبة وقيمة الليرة السورية أمام الدولار.

ج- **التبادل:** كما رأينا فى فقرة الإيداع القانونى من قبل تُخصص عدة نسخ من كل مطبوع لأغراض التبادل وتقوم المكتبة بإعداد قوائم بالمطبوعات التى تعرضها للتبادل وترسلها للمكتبات ويأتى فى مقابلها مطبوعات أخرى. وبالتالى تحصل المكتبة على مواد ما كان لها أن تحصل عليها إلا بالعملة الصعبة أو لا يمكن لها أن تحصل عليها لأنها لا تباع، ومن هنا يعتبر التبادل مصدرًا خصبًا للاقتناء. وتقوم أسس التبادل فى مكتبة الأسد على مبدأ قطعة مقابل قطعة.

د- **الإهداء:** تتلقى المكتبة فيضًا من المواد المهداه إما على شكل مجموعات شخصية كاملة وإما على شكل مجموعات فرادى ومن بين المكتبات الخاصة التى أُهديت إلى مكتبة الأسد مكتبة المرحوم فتحى النورى، مكتبة المرحوم عبد الهادى هاشم، مكتبة الدكتور فخرى عاقل، مكتبة المرحوم حسن الهبل.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن السوريين الأفراد فى المهجر يقدمون كتبا هدايا للمكتبة، كما يقوم الأفراد داخل الوطن بتقديم هدايا فردية ومن المؤكد أن المكتبة

الطريقة	الكتب العربية	الكتب الأجنبية
الإيداع	٪١٥	
الإهداء والتبادل والمعرض	٪٧٣	٪١٥
الشراء	٪١٠	٪٨٤
طرق أخرى	٪٢	٪١

تتلقى هدايا من منظمات وهيئات ومؤسسات محلية وعربية ودولية ومن المراكز الثقافية الأجنبية فى سوريا وقد حصر الدكتور عيسى عيسى العسافين ٦٤ منظمة قدمت هدايا للمكتبة منها ٥٣ منظمة عربية و ١١ منظمة أجنبية.

ويعتبر معرض الكتاب الذى تنظمه المكتبة مصدرًا هامًا للإهداء الإجبارى ويصور الجدول الآتى القيمة النسبية لكل طريقة من طرق التزويد فى بناء وتنمية المقتنيات

ولعله من الجدير بالذكر هنا أنه قد تمت عملية ميكنة التزويد فى مكتبة الأسد حيث يتم الجزء الأكبر منها وخاصة فيما يتعلق بجانب الضبط والتسديد آليًا.

والجداول الآتية من إعداد عيسى عيسى العسافين عن الاتجاهات العددية والنوعية لمقتنيات المكتبة فى حوالى عقد من الزمان من نشأة المكتبة أو عن بعض السنوات المتاحة.

ومن الجدير بالذكر أن مكتبة الأسد الوطنية تملك حاليا مجموعة كبيرة من المخطوطات التى ضُمت إليها من المكتبات الأخرى فى سوريا وخاصة المكتبة الظاهرية فى دمشق حيث نص مرسوم إنشاء المكتبة الوطنية السورية على جمع المخطوطات والكتب النادرة لضمان سلامتها «خاصة وأن الشروط الجوية للحفظ غير متوافرة فى مبانى المكتبات الأخرى» ومن الواضح أن المخطوطات وأوائل المطبوعات فى مكتبة الأسد قد لقيت عناية خاصة حيث يتم ترميمها وصيانتها وحفظها فى ظروف حفظ مواتية.

وحتى سنة ١٩٩٧ كان عدد المخطوطات الأصلية بالمكتبة يسير على النحو الآتى:

عدد العناوين ٣١٣٣٩ عنوانًا

عدد المجلدات ١٩٢٠١ مجلدًا

وتسعى المكتبة إلى اقتناء صور من المخطوطات الهامة الموجودة خارج سوريا سواء

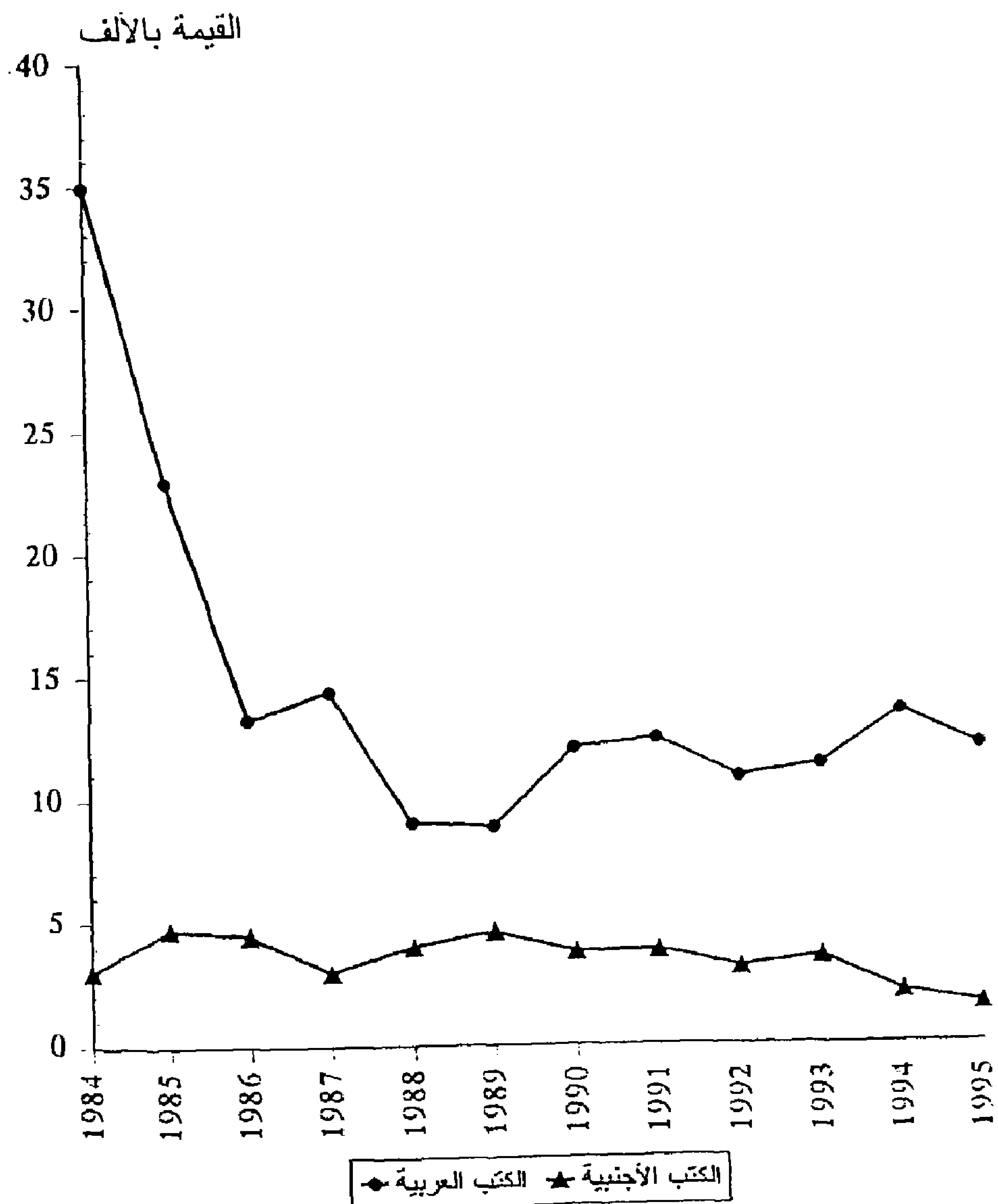
تطور حجم الكتب من عام ١٩٨٤-١٩٩٥ بمكتبة الأسد الوطنية

السنة	العربي			المجموع	الأجنبي			المجموع	الاجمالي
	قياس صغير	قياس وسط	قياس كبير		S	M	L		
١٩٨٤	٣٠٧٦٥	٤١٦٨	٣	٣٤٩٤٤	٢٥٢٥	٤٦٥	–	٢٩٩٠	٣٧٩٣٤
١٩٩٨٥	٢٠٦٤٠	٢٢٥٥	١٥	٢٢٩١٠	٣٦٩١	١٠٠٣	٢٩	٤٧١٣	٢٧٦٢٣
١٩٨٦	١١٩١٢	١٣٢٢	٣	١٣٢٣٧	٣٧١٤	٧٠٢	١٩	٤٤٣٥	١٧٦٧٢
١٩٨٧	١٣٢٥٣	١٠٧٩	٥	١٤٣٣٧	٢٣٨٠	٥٥٦	٥	٢٩٤١	١٧٢٧٨
١٩٨٨	٨١٤٣	٨٦٩	–	٩٠١٢	٣٣٤٦	٥٨٣	٢٥	٣٩٥٤	١٢٩٦٦
١٩٨٩	٨٣٤١	٥٤٧	١	٨٨٦٩	٣٦٤٧	٨٩٢	١٠	٤٥٤٩	١٣٤١٨
١٩٩٠	١١٤٤٦	٥٨٢	٢	١٢٠٣٠	٣١٩٨	٥١٩	٧	٣٧١٥	١٥٧٤٥
١٩٩١	١٢٢٠٠	٢٠٢	٢	١٢٤٠٤	٢٩٩٠	٧٨٢	٢	٣٧٧٤	١٦١٧٨
١٩٩٢	١٠٨٠٠	٣١	–	١٠٨٣١	٢٥٥٠	٥٨٤	–	٣٠٨٩	١٣٩٢٠
١٩٩٣	١١٠٢٠	٢٧٥	–	١١٢٩٥	٢٨٢٥	٦٦١	٤	٣٤٩٠	١٤٧٨٥
١٩٩٤	١٣١٥١	٣٠٠	–	١٣٤٥١	١٥٣٨	٥٠١	١٢	٢٠٥١	١٥٥٠٢
١٩٩٥	١١٥٢٩	٤٩٣	–	١٢٠٢٢	١١٨٠	٣٦٢	١٢	١٥٥٤	١٣٥٧٦

نسبة الكتب الأجنبية إلى الإجمالى العام للكتب فى ١٢ عاما (١٩٨٤-١٩٩٥)

السنة	الرصيد العام للكتب (عربى + أجنبى)	مجموع الكتب الأجنبية	نسبة الكتب الأجنبية إلى الإجمالى العام للكتب
١٩٨٤	٣٧٩٣٤	٢٩٩٠	٪٨
١٩٨٥	٢٧٦٢٣	٤٧١٣	٪١٧
١٩٨٦	١٧٦٧٢	٤٤٣٥	٪٢٥
١٩٨٧	١٧٢٧٨	٢٩٤١	٪١٧
١٩٨٨	١٢٩٦٦	٣٩٥٤	٪٣٠
١٩٨٩	١٣٤١٨	٤٥٤٩	٪٣٤
١٩٩٠	١٥٧٤٥	٣٧١٥	٪٢٤
١٩٩١	١٦١٧٨	٣٧٧٤	٪٢٣
١٩٩٢	١٣٩٢٠	٣٠٨٩	٪٢٢
١٩٩٣	١٤٧٨٥	٣٤٩٠	٪٢٤
١٩٩٤	١٥٥٠٢	٢٠٥١	٪١٣
١٩٩٥	١٣٥٧٦	١٥٥٤	٪١١
المجموع	٢١٦٥٩٧	٤١٥٢٢	٪١٩,١٧

رسم بيانى يوضح التغييرات التى حدثت على مقتنيات مكتبة الأسد الوطنية من الكتب العربية والأجنبية



مجموعات الدوريات: مجلات وصحف، العربية والأجنبية (فى شكل مطبوع) بمكتبة الأسد الوطنية

فى الفترة من عام ١٩٩٢ حتى نهاية يونيو ١٩٩٦

السنة في نهاية شهر يونيو من كل عام	مجلات عربية (بالعنوان)	صحف عربية (بالعنوان)	مجموع رصيد الدوريات العربية (بالعنوان)	مجلات أجنبية (بالعنوان)	صحف أجنبية (بالعنوان)	مجموع رصيد الدوريات الأجنبية (بالعنوان)	مجموع الدوريات العربية والأجنبية (بالعنوان)
١٩٩٣	١١٩٩	٢٠٣	١٤٠٢	٧٢٩	١٣	٧٤٢	٢١٤٤
١٩٩٤	١٢٥٩	٢٠٧	١٤٦٦	٧٩٥	١٤	٨٠٩	٢٢٧٥
١٩٩٥	١٢٩١	٢٠٧	١٤٨٩	٨١١	١٤	٨٢٥	٢٣٢٣
١٩٩٦	١٣٢٠	٢٠٩	١٥٢٩	٨٦١	١٤	٨٧٥	٢٤٠٤

نسبة عناوين الدوريات العربية إلى عناوين الدوريات الأجنبية فى أربعة أعوام (١٩٩٣-١٩٩٦)

السنة في نهاية شهر يونيو من كل عام	مجموع رصيد الدوريات العربية	مجموع رصيد الدوريات الأجنبية	النسبة المئوية للدوريات عربى/ أجنبي
١٩٩٣	١٤٠٢	٧٤٢	٥٢,٩٢٪
١٩٩٤	١٤٦٦	٨٠٩	٥٥,١٨٪
١٩٩٥	١٤٩٨	٨٢٥	٥٥,٠٧٪
١٩٩٦	١٥٢٩	٨٧٥	٥٧,٢٢٪

أوعية المعلومات السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية وبعض المتفرقات الأخرى المضافة سنويا في خمسة أعوام (١٩٩١-١٩٩٥) مع بيان بالإجمالي العام حتى يونيه ١٩٩٦ بمكتبة الأسد الوطنية

السنة	أوعية المعلومات العربية														أوعية المعلومات الأجنبية							
	مخطوطات في أشكال مصغرات ميكروفيش وميكروفيلم بالعدد	دوريات في أشكال مصغرات ميكروفيش وميكروفيلم بالعدد	كتب على أشكال ميكروفيش بالعدد	شرائح بالشريحة	أشرطة فيديو بالشريط	أشرطة التسجيل بالكاسيت	بطاقات مصورة بالبطاقة	الأقراص الليزرية والمضغوطة بالقرص	خرائط مسطحة باللوحة	خرائط مجسمة باللوحة	طوابع	نشرات وملصقات بالنشرة	نقود	نوتة موسيقية باللوحة	وثائق في أشكال ميكروفيلم بالعدد	دوريات في أشكال مصغرات ميكروفيش وميكروفيلم بالعدد	كتب على أشكال ميكروفيش بالعدد	شرائح بالشريحة	أشرطة فيديو بالشريط	الأقراص الليزرية والمضغوطة بالقرص	خرائط باللوحة	نشرات وملصقات بالنشرة
١٩٩١	١٥٩٣	×	×	٣٥	٣١	٥	١٨٢	٢٦	٧	×	١	×	×	×	×	٣	٩	×	١	٢٧	٩	٢
١٩٩٢	١٤٧٢	٦٥	١	٢٥٧	٥	٥	١٨٩	×	١	٤	١	×	×	×	×	١٢	٥	×	٣	١٨	٥	١
١٩٩٣	١٠٦٠	×	×	١٦٦	٦	١٧	٢١٨	×	٢١	×	٢	٣١	١	×	×	×	١	×	٢	٠	٦	٢٥
١٩٩٤	١٥٢٩	٢٠	×	٣٢١	×	٤	٣٤٤	×	١١	×	١	١	×	×	×	١	٤	٢	٤	٢	١١	٣٤
١٩٩٥	٩٠٠	٢	×	٤٤٠	١	١٢	٥٠٣	٢	٤	×	×	١٠	×	١	٥	×	×	٢	١	٢	٢	٢
الإجمالي العام	١١٩٦٦	١٧٩	٥٥	٥٨٨٦	١٧٥	٢٦٠	٣٩٥٢	٣٣	٨٣	١٠	٦٣	٩٤	١٤	٣٧٦١	١٩	٣٤	٣٢	٢٥	٢١	٦٥	٤٧	١١٧

إحصاءات عام ٢٠٠١
عن المقتنيات والإفادة بمكتبة الأسد الوطنية

ونقدم فيما يلى أحدث إحصاءات المقتنيات وحركة الإفادة بالمكتبة وهى عن أهم شهور سنة ٢٠٠١.

النشاط	كانون الثاني	آذار	آيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني
	يناير	مارس	مايو	يونيو	يولية	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر
عدد الكتب العربية المرتبة فى المستودع	٣٠٧٠٨	٣٢٧١١	٣٤٤٢٧	٢٣٥٣٩٥	٢٣٥٣٢٣	٢٣٥٨٩٠	٢٣٧١٠٣	٢٣٨٢٠٦	٢٣٩٢١٥
عدد الكتب الأجنبية المرتبة فى المستودع	٤٦٨٣٨	٤٧٤٤٣	٤٧٨٨٣	٤٧٨٩٨	٤٨٠٦٠	٤٨١٧١	٤٨٢٢٣	٤٨٣٥١	٤٨٤٨١
عدد الرسائل الجامعية	٧٧٤٨	٧٨٠٩	٧٩٥٨	٧٩٩٨	٨٠٨٨	٨١٠٤	٨١٦٠	٨٣٠٦	٨٣٨٩
عدد الكتب العربية المرتبة فى قاعات المطالعة	٨٥٩٤	٨٦٦٣	٨٦٨٩	٨٧٠٥	٨٧٤٥	٨٧٥٩	٨٨٠٨	٨٨٥٤	٨٨٦٤
عدد الكتب الأجنبية المرتبة فى قاعات المطالعة	٦٠٢	٦٢٠٣	٦٢٢٨	٦٢٠٧	٦٢٣٢	٦٢١٩	٦١٨٥	٦١٨٥	٦١٦٨
عدد عناوين المجلات العربية	١٤٧٥	١٤٧٥	١٤٧٦	١٤٧٦	١٤٧٧	١٤٧٧	١٤٧٨	١٤٧٩	١٤٨٧
عدد عناوين المجلات الأجنبية	٩٦٧	٩٧١	٩٧٣	٩٧٨	٩٧٨	٩٨٤	٩٨٥	٩٨٥	٩٨٥
عدد عناوين الصحف العربية	٢٢٦	٢٢٨	٢٢٨	٢٢٩	٢٢٩	٢٢٩	٢٢٩	٢٢٩	٢٢٩
عدد عناوين الصحف الأجنبية	١٥	١٥	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
عدد أشرطة الفيديو السينمائى (إليوماتيك)	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢

النشاط	كانون الثاني يناير	آذار مارس	آيار مايو	حزيران يونيو	تموز يولية	آب أغسطس	أيلول سبتمبر	تشرين الأول أكتوبر	تشرين الثاني نوفمبر
عدد أشرطة الفيديو السينمائى (VHS)	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
عدد أشرطة الفيديو الثقافى	١٤٦	١٤٦	١٤٦	١٤٦	١٤٦	١٤٦	٢٩٤	٢٩٤	٢٩٤
عدد أشرطة الكاسيت لحن	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨	١٠٨
عدد أشرطة الكاسيت الثقافى	١٧٨	٢٢٢	٢٢٣	٢٢٣	٢٢٣	٢٢٣	٢٢٣	٢٢٣	٢٢٣
سلايد فن	٥٧١٤	٥٧١٤	٥٧٥٤	٥٧٥٤	٥٧٥٤	٥٧٥٤	٥٧٥٤	٥٧٥٤	٥٧٥٤
سلايد	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧	٢٨٧
عدد المواد المصاحبة	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨	٣٩٨
بطاقات فن	١٢١٤	١٢١٤	١٢٥٤	١٢٥٤	١٢٥٤	١٢٥٤	١٢٥٤	١٢٥٤	١٢٥٤
بطاقات صور سورية	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩	١٢٢٩
بطاقات صور مختلفة [بريدية]	١٤٤	١٤٤	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥

النشاط	كانون الثاني	آذار	آيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني
	يناير	مارس	مايو	يونيو	يولية	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر
بطاقات صور شخصية	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨
مجموعات طوابع	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
مجموعات نقود	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤	١٤
نوتات موسيقية	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢	٣٦٧٢
بطاقات تاريخية	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤
عدد القراء فى قاعات المطالعة	١٠١٠٥	٢٠٤٩٠	١٤١١٠	٩٢٠٥	٦٥١٠	٥٢٩٠	٤٩٠٥	١٨٠٩٠	٢٥٦٠٤
عدد الكتب المعارة فى المستودع إلى قاعات المطالعة	١٢٩٤٠	٢٥٤٥٩	١٠٢٠٥	٦٢٠١٠	٦٤١٦	٦٥٢٠	٧١١٠	١٥٩٤٠	١٨٤٩٠
عدد المشتركين لغاية ٢٠٠١/١/٣١	١٠١٨٠١	١٠٣١٧٧	١٠٤١٧٢	١٠٤٣٩٧	١٠٤٧٣٤	١٠٥٠٠٣	١٠٥٣٧٩	١٠٧٢٤٤	١١١٤
عدد المشتركين خلال شهور عام ٢٠٠١	٤٨٩	٦٧٥	٣٩٣	٢٢٥	٣٣٧	٢٦٩	٣٧٦	١٨٦٥	١٠٨٣٥٨
عدد المنسحبين لغاية ٢٠٠١/١/٣١	٢١٩٠	٢١٩٣	٢١٩٦	٢١٩٨	٢٢٠٠	٢٢٠١	٢٢٠٩	٢٢١٢	٢٢١٤

كانت الصور على ورق أو على ميكروفيلم وكان مجموع المخطوطات المصورة فى سنة ١٩٩٧ هو ١٦٠ مخطوطة مصورة على ورق و ٤٣٢٥ مخطوطة مصورة على ميكروفيلم.

ومخطوطات مكتبة الأسد الوطنية تمثل فى جوهرها مجموعات خاصة هامة نذكر من بينها المكتبة العمرية ـ المكتبة الضيائية ـ مكتبة عبد الله باشا ـ مكتبة سليمان باشا ـ مكتبة الملا عثمان الكردى ـ مكتبة مراد النقشبندى ـ المكتبة السميساطية ـ المكتبة الياغوشية ـ مكتبة الخياطين ـ مكتبة الأوقاف ـ مكتبة بيت الخطابة وغيرها.

وتضم مكتبة الأسد الوطنية كذلك مجموعة لا بأس بها من الرسائل الجامعية بلغت فى سنة ٢٠٠١ نحو ١٠,٠٠٠ رسالة ماجستير ودكتوراه وهذه الرسائل بلغات مختلفة على حسب البعثات ولكن تظفر اللغة العربية بالنصيب الأكبر تليها اللغة الروسية.

وتقتنى المكتبة كمية من المواد السمعية البصرية كالأشرطة والاسطوانات الصوتية وأشرطة الفيديو كما اقتنت بعض المواد المتحفية مثل المسكوكات وطوابع البريد (أنظر الجداول والرسم البيانى المرفق).

العمليات الفنية فى مكتبة الأسد الوطنية

رغم أن مكتبة الأسد الوطنية مكتبة حديثة للغاية حيث سلخت من عمرها نحو ١٧ سنة فقط إلا أنها فى العمليات الفنية بدأت من حيث بدأ الآخرون لا من حيث انتهوا فمخازن الكتب مرتبة حسب الحجم وهو نفس النظام الذى كان متبعا فى المكتبة الظاهرية بينما صُنِفت قاعات الرفوف المفتوحة طبقا لتصنيف ديوى العشرى من طبعات مختلفة عربية وإنجليزية بل وتتراوح بين الطبعة الموجزة والطبعة الموسعة.

فى المخازن تقسم الكتب حسب أحجامها الثلاثة الغالبة وذلك لتوفير الحيز ويرمز لكل حجم برمز معين وداخل كل رمز ترتب الكتب بأرقام مسلسلة:

القطع الصغير حتى ٢٥ سم يرمزل له بالحرف ص

القطع المتوسط حتى ٣٥ سم يرمز له بالحرف و (أى وسط»

القطع الكبير ٣٦ سم فما فوق يرمز له بالحرف ك

وهناك بطبيعة الحال رموز للكتب الأجنبية هى على التوالى حسب القطع S,M,L. وإذا كان الكتاب ممنوعا من التداول يحمل إلى جانب رمز الحجم والرقم المسلسل حرف (م) للكتب العربية وحرف (N) للكتب الأجنبية وإذا كان الكتاب من النوادر فإنه يحمل حرف (ن) للكتب العربية وحرف (R) للكتب الأجنبية إلى جانب رمز القطع والرقم المسلسل.

أما فيما يتعلق بالفهرسة الوصفية فقد مرت بثلاث مراحل حددها الدكتور عيسى العسافين على النحو التالى:

المرحلة الأولى ١٩٨٤-١٩٩٠ وفيها اعتمدت المكتبة على قواعد محلية وضعتها لجنة مكونة من «غسان اللحام» و «عبد المسيح عرب» و «نوال أحمد» و «ثابت جرى» و «ذكاء المحاسنى» و «سماء المحاسنى» و «فاطمة عصام صبرى» واعتمدت فيها على بعض المصادر المتاحة ونشرت هذه القواعد تحت عنوان: قواعد الفهرسة الوصفية/ غسان اللحام وآخرون .ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٣. فى المرحلة الثانية ١٩٩١-١٩٩٣م أدركت فيها المكتبة ضرورة مسايرة التطورات العربية والعالمية الموحدة فتحولت إلى الطبعة العربية الأولى من قواعد الفهرسة الأنجلو- أمريكية التى صدرت سنة ١٩٨٧م معتمدة على الطبعة الأجنبية الثانية وفى المرحلة الثالثة (١٩٩٤- حتى الآن) اتجهت المكتبة اتجاهًا دوليًا خالصًا سواء فى المداخل أو بيانات الوصف وكان من مساوئ هذا الاتجاه فى المداخل قلب الاسم العربى قديمة وحديثة دون تمييز ودون تدبر وكانت النتيجة قلب «طه حسين» إلى (حسين، طه) وقلب «أحمد أمين» إلى (أمين، أحمد) وقلب «أحمد شوقى» إلى (شوقى، أحمد).

وفهارس مكتبة الأسد الوطنية جميعها تتخذ الشكل البطاقى القياسى ٧,٥ × ١٢,٥٥سم فى أدراج وهى على ثلاثة أنواع فهرس المؤلف - فهرس العنوان - فهرس الموضوعات، بيد أن الفهرس الموضوعى لا يعتمد على قائمة قياسية بل فقط على رؤوس مستقاه من تصنيف ديوى العشرى وتفهرس الدوريات هى الأخرى على بطاقات بخلاف الكاردكس الذى تسجل فيه كأعداد لأغراض التزويد. وقد قامت المكتبة بإعداد فهرس موحد للدوريات على بطاقات أيضا لثلاث مكتبات فى دمشق هى مكتبة الأسد ومكتبة مركز الدراسات والبحوث ومكتبة هيئة الطاقة الذرية وقد شذت فهارس المخطوطات عن الحجم القياسى للبطاقات نظرا لطبيعة الفهرسة الخاصة للمخطوطات وحجم بطاقة فهرسة المخطوط هنا هو ٢٢ × ١٦سم والبطاقة هنا عبارة عن نموذج تملأ به البيانات وترتب مسلسلة على حسب تسلسل المخطوطات نفسها.

فى نهاية سنة ٢٠٠١ قام صاحب هذه الموسوعة بزيارة مكتبة الأسد الوطنية للمرة الرابعة فى خلال سنتين وقد وجد أن عدد أدراج الفهارس قد قاربت الألف درج موزعة على خمس وثلاثين وحدة.

وتجرى الاستعدادات الآن - مطلع ٢٠٠٢ - لميكنة الفهارس حيث شُكِلت اللجان لاختيار النظام واتخاذ الخطوات اللازمة للتحول من النظام اليدوى للنظام الآلى.

إلى جانب الفهارس التى تحصر وتسجل وتصف مقتنيات المكتبة تقوم المكتبة بالعديد من المشروعات البيبليوجرافية وعلى رأس تلك المشروعات بطبيعة الحال «البيبليوجرافية الوطنية السورية»: وهى تسير فى اتجاهين أ- البيبليوجرافية الجارية، وقد صدر مجلدها الأول سنة ١٩٨٥ ليغطى مطبوعات ١٩٨٤ ومازالت جارية

ب- البيبليوجرافية الراجعة وتغطى المطبوعات التى صدرت فى سوريا قبل ١٩٨٤م أى قبل إنشاء مكتبة الأسد الوطنية وتمتعها بالإيداع القانونى وتقع هذه البيبليوجرافية الراجعة فى أربع مجلدات

الأول: يغطى ١٩٨١-١٩٨٣ والثانى: يغطى ١٩٧٨-١٩٨٠ والثالث: يغطى ١٩٧٧

وما قبله الرابع: يستدرك على الببليوجرافية الجارية والراجعة على السواء فيغطى مافات عليهما إدراجه والأعمال مجهولة التاريخ.

ومن جهة ثانية تقوم المكتبة بإعداد ببليوجرافية بالرسائل الجامعية أو كما تسميها «قائمة الأطروحات الجامعية» وقد صدر منها ثلاث قوائم الأولى تغطى ١٩٨٤-١٩٨٧ والثانية تغطى ٨٨-١٩٩٣ والثالثة تغطى ١٩٩٤--٢٠٠٠ وتوزع الأطروحات داخل القوائم على التخصصات وداخل كل تخصص باللغات وفى كل لغة باسم صاحب الرسالة.

ومن بين المشروعات الببليوجرافية الهامة أيضا الكشاف التحليلى للصحف والمجلات السورية الذى بدأ يصدر فعليًا منذ ١٩٨٥ وحتى الآن.

وهناك ثلاث قواعد بيانات تعدها المكتبة وتحدثها باستمرار فى إطار العمليات الفنية التى تقوم بها. هذه القواعد هى: ١- قاعدة بيانات خطب السيد الرئيس حافظ الأسد وتتضمن القاعدة جميع خطب ورسائل وأحاديث وتصريحات الرئيس الأب ويبدأ المدخل عادة ببيانات ببليوجرافية ثم نص الخطبة أو التصريح ٢- قاعدة التشريعات والقوانين السورية؛ وتتضمن نص القانون وبيانات ببليوجرافية عنه ٣- قاعدة بيانات رجال الفكر والإبداع السوريين وواضح أنه معجم تراجم إلكترونى.

الخدمات المكتبية فى مكتبة الأسد

باعتبارها مكتبة وطنية فإن الخدمة الأساسية التى تقدمها المكتبة هى تيسير الإطلاع الداخلى ونظرًا للضغط المتزايد على المكتبة فقد قسم المستفيدون إلى أربع فئات هى: طلاب المرحلة الجامعية حتى السنة الثالثة؛ طلاب المرحلة الجامعية بعد السنة الثالثة؛ القراء خارج التعليم العالى ما بين سن ١٨ و ٢٣ سنة؛ القراء خارج التعليم العالى من ٢٤ سنة فما فوق وتصدر المكتبة نوعين من البطاقتين لارتياد المكتبة **الأول** بطاقات زرقاء لطلاب المرحلة الجامعية حتى السنة الثالثة وللقراء من خارج الجامعة من سن الثامنة عشرة حتى الثالثة والعشرين. **والنوع الثانى** بطاقات بيضاء لطلاب المرحلة الجامعية بعد السنة الثالثة والقراء من خارج الجامعة فوق سن الثالثة والعشرين.

ولكى يصبح الشخص مستفيدا من المكتبة عليه أن يسدد رسم اشتراك قدره ألف ليرة سورية وقد وصل عدد المشتركين فى خدمة الإطلاع الداخلى نحو ثمانين ألف مستفيد والعدد يزداد سنة بعد أخرى ففى سنة ١٩٨٩ كان عدد المسجلين ٦٤٨٩ فقفز فى سنة ١٩٩٠م إلى ٣٠٣٧٩ شخصًا وفى سنة ١٩٩٣م ارتفع العدد إلى ٤٥٩٧٨ وفى سنة ١٩٩٦ إلى ٦٢٥٤٠ مستفيداً وفى سنة ٢٠٠١ إلى ثمانين ألف ويزيد.

ومن الطريف أن المكتبة تعد إحصائيات شهرية بعدد المترددين على قاعات المطالعة شهريًا وعدد الكتب المتداولة وليس هناك مؤشر معين على شهور ذروة وشهور كساد ولكن بصفة عامة يمكن القول بأن الحد الأدنى هو ١٣٠٠ مستفيد والحد الأقصى ٨٩٠٠ مستفيد وتصور الأرقام الآتية حركة التردد فى بعض السنوات بعد جمع أرقام الشهور:

السنة	عدد المستفيدين	عدد المجلدات المستخدمة
١٩٩٠	٤٢٤٣٢	٨٥٥٤٨
١٩٩١	٤٧٨١٥	٦٧٤٢٧
١٩٩٢	٣١٥٠٠	٤٩٦٥٠
١٩٩٣	٥٤٠٠٠	٦٨٦٣٠
١٩٩٤	٥٣٠٠٠	٦٦٤٧٠
١٩٩٥	٥٥٦٠٠	٧٣٦٧٠
١٩٩٦	٦٠٤٢٠	٩٢٩٨٠

وتقدم المكتبة إلى جانب خدمة تيسير الاطلاع الداخلى خدمات أخرى مثل الخدمة المرجعية رغم عدم عزل المراجع فى مكان معين وتشتتها مع الكتب الأخرى على رفوف قاعات المطالعة المفتوحة والمخازن، ولابد من التنويه إلى عدم وجود الأخصائيين القادرين على تقديم هذا النوع من الخدمة المتقدمة، وتقدم مكتبة الأسد أيضا خدمة

التدريب والإرشاد والتوجيه وخدمة الاستنساخ والتصوير وتنص لائحة التصوير بالمكتبة على التمييز بين الباحثين والقراء العاديين فى كم ما يصور ففى حالة القارئ العادى يسمح بتصوير ١٥-٢٠ صفحة من أى كتاب ومقال واحد من الدورية وفى حالة الباحثين يسمح بتصوير ٥٠٪ من صفحات الكتاب الصغير و ١٠٠ صفحة من الكتاب الكبير ومن الدوريات مقال واحد ومن الرسائل الجامعية ٤٠ صفحة بعد موافقة المدير، ومن المخطوطات كل المخطوط بعد موافقة لجنة المخطوطات.

وفى المكتبة قاعة خاصة بالمكفوفين وضعاف البصر تقدم خدماتها لهم عن طريق مواد برايل والمواد السمعية والمجسمات.

وتنظم المكتبة معرضا سنويا للكتب يشترك فيه الناشرون من كل الدول العربية كما تقيم معارض فنية وتتيح قاعاتها للأمسيات الشعرية والندوات والمؤتمرات الخاصة ولها برنامج محاضرات وندوات الموسم الثقافى.

المصادر:

١- أحكام النظام الداخلى فى مكتبة الأسد .- تقرير غير منشور.

٢- سماء زكى المحاسنى. دار الكتب الوطنية الظاهرية فى دمشق .- مجلة المكتبات والمعلومات العربية .- مج ٣، يوليو ١٩٨٣.

٣- عيسى عيسى العسافين. المكتبة الوطنية فى سوريا: تحليل النظام الحالى والتخطيط لإنشاء نظام آلى .- رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة، ١٩٩٨.

٤- مكتبة الأسد: دليل عام ١٩٨٥ .- دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٩٨٥.

٥- مكتبة الأسد الوطنية: لمحة تاريخية .- نشر داخلى.

٦- زيارات ميدانية عديدة قام بها صاحب هذا العمل إلى المكتبة فى الفترة من ١٩٩٧ -٢٠٠٢.

إسرائيل، المكتبات فى

Israel, Libraries in

أنظر أيضا: الكتب والمكتبات اليهودية

زرعت إسرائيل كجمهورية فى قلب العالم العربى سنة ١٩٤٨ : يحدها من الشمال دولة لبنان، ومن الشرق سوريا والأردن ومن الغرب مصر والبحر الأبيض ومن الجنوب البحر الأحمر والسعودية. ويقدر عدد السكان فى نهاية القرن العشرين بنحو ستة ملايين نسمة والمساحة الكلية لإسرائيل هى ٢٠٧٧٠ كيلومترا مربعا. واللغة الرسمية هى العبرية والعربية.

وتنتشر اللغة الإنجليزية انتشارا واسعًا هناك. وترتيب نسب السكان هناك تأتى على الوجوه التالية: اليهود ـ المسلمون ـ المسيحيون ـ الدروز. ويعيش معظم السكان فى المناطق الحضرية (٨٢٪) بينما الأقلية تعيش فى المناطق الريفية (٨٪).

ويعتبر التعليم فى إسرائيل الأداة الأساسية لصهر السكان فى بوتقة واحدة حيث جاء السكان من مائة دولة على الأقل ويتحدثون ثمانين لغة مختلفة. وقد بدأ اليهود التسلل إلى فلسطين منذ ثمانينات القرن التاسع عشر. وبين ١٨٨٢ و ١٩٣١ كان قد تسلل إليها ما يقرب من ١٩٠,٠٠٠ يهودى مهاجر. ومن المعروف أن اليهود كانوا أهل كتاب وإن لم يكونوا أهل مكتبات إذ أن الكتب والقراءة والدرس لعبت دورا محوريا فى اليهودية. ولأنهم عاشوا فى الشتات فلم تكن لهم مكتبات اللهم إلا المكتبات الشخصية والمكتبات المدرسية ذلك أن المدارس (بيوت التعليم ـ بيت مدراش) كانت عادة ما تلحق بها كل العبادة وبالضرورة كان بها مكتبات اعتبرت مدرسية من جانب وعامة من جانب آخر لأنها كانت متاحة لكل اليهود عادة.

وكان المستوطنون الأوائل من اليهود فى فلسطين فى حاجة إلى تنظيم صفوفهم للحصول على العمل والرعاية الصحية والاجتماعية كما ركزوا على ضرورة إحياء

اللغة العبرية. وكانت أيديولوجية إقامة وطن قومي يهودى فى فلسطين قد ارتبطت بفلاحة الأرض ومن ثم أدت إلى إنشاء الكيبوتزات والمزارع الجماعية ومستوطنات الموشاف. وترتبط المكتبات العلمانية في إسرائيل الحديثة بالمكتبات التى أنشأتها الموجتان الأوليان من المهاجرين ١٨٨٢-١٩١٤.

ولقد أُسِسَ الهستادروت (اتحاد العمال اليهود فى فلسطين)، الذى أنشئ سنة ١٩٢٠، قسما للمكتبات بين أقسامه فى ثلاثينات القرن العشرين. وكان هذا القسم مسئولاً عن إنشاء مكتبة مركزية للعمال وشجع على مد الخدمات المكتبية للمستوطنات الجماعية، كما نظم دورات تدريبية قصيرة للإعداد المهنى لأمناء المكتبات.

وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل وتدفق الهجرات اليهودية إليها من كل اتجاه بعد عام ١٩٤٨ كان لابد للحكومة الجديدة من أن تنشئ المدن لإسكان المهاجرين، وهى نفس السياسة التى أدت فيما بعد إلى قيام المكتبات العامة وتطورها. وفى خلال العشرينات من القرن العشرين قامت المكتبات العامة اليهودية على أساس النمط الروسى، بينما فى الثلاثينات والأربعينات احتذت النمط الألمانى ومنذ منتصف الخمسينات وحتى الآن اقتفت أثر النمط الأنجلو أمريكى. وفى سنة ١٩٥٠م أنشأت وزارة التعليم والثقافة قسماً للمكتبات. وفى سنة ١٩٦٢ عين وزير التعليم أبا إيبان، السيد/ سى.آى.جولان رئيساً لقسم المكتبات. وفى سنة ١٩٦٣ شكل لجنة للتخطيط لإنشاط وتطوير المكتبات العامة؛ وأعد مشروع قانون للمكتبات العامة، ومشروع إعداد مهنى لأمناء المكتبات. وقد نشر مكتب جولان فى سنة ١٩٦٤ مسحا بالمكتبات الإقليمية أوصى فيه بإنشاء مكتبات إقليمية فى الجنوب والوسط والشمال. ومن ثم فقد أنشئ فى سنة ١٩٦٦ «مركز خدمات المكتبات العامة». وقد انضم إلى هذا المركز خبراء متخصصون من مدرسة المكتبات فى الجامعة العبرية ومن اتحاد المكتبات الإسرائيلية. وفى سنة ١٩٦٨ رصد مكتب جولان ٤٤٠ مكتبة عامة تقدم خدماتها إلى ٦١١ منطقة. وقد ضمت هذه القائمة ست مكتبات إقليمية. وقد قدم مشروع قانون المكتبات سنة ١٩٧٢ إلى البرلمان وتم إقراره ونفذ العمل به سنة ١٩٧٥. وقد دعا هذا القانون إلى إنشاء المكتبات العامة فى جميع المستوطنات.

وقد انتعشت المكتبات العامة خلال الثمانينات والتسعينات، انتعاشًا واضحًا؛ وخاصة في المدن الجديدة. وفي سنة ١٩٨٩ سجل قسم المكتبات بيانات عن ٨٨٣ مكتبة عامة من بينها ٣ مكتبات متنقلة (سيارات كتب) تخدم ٩٢٧ منطقة في ١٦٩ بلدية وتغطي ٥٧٪ من السكان وفي نهاية القرن العشرين (١٩٩٩م) ارتفع عدد المكتبات العامة في إسرائيل لتصل إلى نحو ألف مكتبة لتغطي ٧٠٪ من السكان.

ويوجد في إسرائيل اليوم سبع جامعات ومعاهد للتعليم العالي بكل منها مكتبات، وحيث تقوم إحداها في نفس الوقت كما سنرى بدور المكتبة الوطنية في نفس الوقت الذي تقوم فيه بدور المكتبة الجامعية. ويرجع تطور مؤسسات التعليم العالي ومكتباتها إلى ١٨٧٢ عندما بُذلت جهوداً مضنية لإنشاء مكتبة وطنية وتجددت تلك الدعوات سنة ١٨٩٠ عندما زار «جوزين جانوفتز» فلسطين قادماً من بياليستوك ثم في سنة ١٨٩٣ خلال انعقاد مؤتمر أوديسا الثاني لأحباء صهيون وقد دعا إلى إنشاء مكتبة وطنية يهودية يكون مقرها القدس. وقد أرسلت المنظمة الصهيونية العالمية «هوجو بيرجمان» من براغ سنة ١٩٢٠م إلى القدس لإنشاء تلك المكتبة. وعندما أقيمت الجامعة العبرية في القدس سنة ١٩٢٥م أنشئت فيها المكتبة الوطنية، ومنذ ذلك التاريخ عرفت المكتبة باسم: «المكتبة العبرية ومكتبة الجامعة» وتقوم بثلاث وظائف أساسية هي:

١- وظيفة المكتبة الوطنية لدولة إسرائيل.

٢- وظيفة المكتبة الوطنية للشعب اليهودي.

٣- وظيفة المكتبة الجامعية للجامعة العبرية.

لقد أنشئت هذه المكتبة في حرم الجامعة فوق جبل سكوبوس في القدس الشرقية حتى سنة ١٩٤٨ عندما قامت حرب فلسطين وتم التقسيم ومن ثم نقلت إلى القدس الغربية.

مع نمو إسرائيل نمت كذلك مكتبات الجامعة العبرية ما بين مكتبة مركزية ومكتبات كليات.

وقد أعيد تنظيم المكتبات فى الجامعة العبرية بعد حرب ١٩٦٧ على أساس القدس الموحدة!!! وقرار الجامعة إعادة فتح حرم جبل سكوبوس. ففى سنة ١٩٨١ تكاتفت ٢٥ مكتبة كلية على تكوين المكتبة المركزية لجبل سكوبوس وهى مكتبة العلوم الاجتماعية والإنسانيات وقد قامت شركة إكس لبريس بفهرسة المجموعات طبقا لنظام ألف الشهير الذى طورته الجامعة العبرية. أما مكتبتا كلية الطب وكلية الزراعة فهما خارجتان عن نطاق الحرمين الجامعيين فى القدس الغربية والشرقية على السواء وقد طورت المجموعات فيهما أيضا على أساس وطنى.

أما معهد تكنيون - إسرائيل للتكنولوجيا فقد أنشئ سنة ١٩٢٤ ويعتبر جامعة إسرائيل الهندسية وقد جمعت مكتبته أكبر مجموعة مصادر تكنولوجية فى إسرائيل. ويقع هذا المعهد فى مدينة حيفا. أما معهد فايتسمان للعلوم فقد أسس سنة ١٩٣٤ ويدرس على مستوى الدراسات العليا فقط. وأنشئت جامعة تل أبيب وجامعة بارعلان فى الخمسينات من القرن العشرين، بينما أنشئت جامعة حيفا فى الشمال وجامعة بن جوريون فى الجنوب فى عقد الستينات؛ نتيجة لجهود مشتركة وتعاون بين بلديات تلك المناطق والجامعة العبرية. ولقد استقلت كلتا الجامعتين فى السبعينات. وفى العام الجامعى ٩٨/٩٩ نهاية القرن العشرين كان هناك أكثر من ٧٥ ألف طالب مسجلين للدراسة فى الجامعات الإسرائيلية السبع. وفى سنة ١٩٧٠ أنشئت اللجنة الدائمة للمكتبة الوطنية ومكتبات الجامعات (اسكونول) وذلك بهدف دعم وتطوير التعاون بينها. كذلك فإن لجنة المنح الجامعية التى أسست سنة ١٩٧٥ قد انبثق عنها لجنة فرعية للمكتبات. وفى خلال السبعينات أنشئت الجامعة المفتوحة وكليات المجتمع المهنية فى إسرائيل لمواجهة ضرورات تعليم الكبار والأفواج المتزايدة من المهاجرين وخاصة بالنسبة لهؤلاء الذين يعيشون فى المناطق تحت التنمية. وكل من هذه المؤسسات التعليمية لها مكتبتها الخاصة بها والتى قد تتعاون مع شبكة المكتبات العامة فى منطقتها أو تعتبر فرعا لإحدى المكتبات الجامعية بطريقة أو بأخرى.

والحقيقة أن المكتبات المدرسية فى إسرائيل رغم أهميتها إلا أنها مفتتة فقبل ١٩٤٨

كانت هناك جهات مختلفة تنشئ وتدعم تطوير المدارس: هيئات وحركات سياسية، أيديولوجية، اجتماعية، دينية، عمالية... ولكن بعد قيام إسرائيل صدر فى سنة ١٩٤٩ قانون التعليم الإجبارى ولكنه استثنى المكتبات المدرسية من الدعم الحكومى.

وفى دراسة تمت سنة ١٩٨٢ كشفت عن وجود نوع أو آخر من الخدمات المكتبية فى ٨٥٪ من المدارس الابتدائية و ٩١٪ من المدارس الثانوية. وفى سنة ١٩٨٩م أنشأت وزارة التعليم والثقافة قسماً للمكتبات يشمل فيما يشمل المكتبات المدرسية. وقد اختار القسم الاتجاه الذى يدعو إلى المكتبات مزدوجة الغرض (عامة/مدرسية) وهو النمط الذى تطور بالضرورة عن قانون المكتبات وشبكات المكتبات الإقليمية. وقد قام العديد من شبكات المكتبات الإقليمية بإنشاء نظم تعاونية مكتبية تضم المكتبات العامة والمدرسية ومكتبات كليات المجتمع والمكتبات المتخصصة وذلك لسد الحاجة إلى المعلومات بأحسن الطرق وخاصة فى المناطق الريفية. ويقوم عدد كبير من المكتبات العامة فى المدن بمد خدماتها المكتبية إلى المدارس وإقامة نظم تعاونية معها.

أما عن المكتبات العربية فى إسرائيل فترجع نشأتها إلى الجماعات الإسلامية والمسيحية التى تحاول تقوية مكانتها وتعميق جذورها عن طريق إنشاء المكتبات العامة والخاصة. ولقد تقلصت نسبة السكان العرب فى إسرائيل بعد ١٩٤٨م وانحسر المد العربى إلى المناطق الريفية أساسًا. وقد حاولت إسرائيل فرض التعليم الإلزامى على العرب داخل إسرائيل سواء بالنسبة للذكور أو الإناث مما وسع رقعة المتعلمين بينهم ومن ثم خلق حاجة ماسة إلى الكتب والخدمات المكتبية. وبين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ كانت هيئة الأوقاف الدينية الإسلامية ترعى إنشاء المكتبات العامة فى حيفا والشمال.

وبعد حرب ١٩٦٧ زاد عدد السكان العرب فى إسرائيل وتحولوا من مجتمع زراعى إلى مجتمع صناعى تجارى عمالى وأصبحت الحاجة ملحة إلى الكتب والمصادر العربية. وقامت شبكة مكتبات بلدية القدس بضم المكتبة الأردنية العامة (سابقا) إليها وفتحت لها فروعا فى بعض المدارس وأنشأت خدمة مكتبية متنقلة (سيارات كتب) وفى تل أبيب انتقلت شبكة مكتبات صهيون العامة من مبنى المسجد القديم إلى مبانى

حديثة بالقرب من المناطق السكنية العربية في يافا. وفى السبعينات قام قسم المكتبات بوزارة التعليم والثقافة بإنشاء المكتبات العامة فى المجتمعات العربية وقدم المنح للإعداد المهنى لأمناء المكتبات وأدخل نظام التزويد المركزى وتمت عملية إعداد الفهارس البطاقية باللغة العربية. وكان لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل أثرها فى سهولة حصول إسرائيل على الكتب العربية مما أثرى المكتبات العربية فى إسرائيل بالإنتاج الفكرى العربى.

وقد تطورت المكتبات المتخصصة أيضا فى إسرائيل تطورا سريعا وخاصة فى مجالات الزراعة والطب، وفى الستينات دخلت مجالات الصناعة والتكنولوجيا. فى سنة ١٩٦١ أنشئ المجلس الوطنى للبحوث والتنمية كفرع آنذاك من مكتب رئيس الوزراء واليوم كفرع من وزارة الطاقة. وقد قام هذا المجلس بدوره بإنشاء مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية (كوستى). ويقوم هذا المركز بجمع وبث المعلومات فى مجال العلوم والتكنولوجيا على نطاق وطنى، كما يقوم بنشر الأدلة، وهو يمثل إسرائيل فى الاتحاد الدولى للمعلومات والتوثيق (فيد). وقد صدر فى إسرائيل سنة ١٩٨٥ دليل بالمكتبات المتخصصة بلغت حوالى ٤٠٠ مكتبة ارتفع عددها فى نهاية القرن العشرين إلى ٤٨٠ مكتبة.

وهناك مكتبات أخرى متنوعة فى إسرائيل منها مكتبات المؤسسات الدينية والمراكز الثقافية الأجنبية. وقد نبعت مكتبات المؤسسات الدينية اليهودية أساسًا من ظاهرة بيت مدراش (بيت العلم) الذى ارتبط بالهياكل اليهودية وأماكن الصلاة الجماعية أو ما عرف بـ «بيشيفوت» (دراسة أرثوذكسية يهودية على مستوى المدارس الثانوية).

وقد تطورت تلك المكتبات تطورا كبيرا. ومن بين المكتبات الكبرى فى هذا الصدد نذكر: رامبام، شوكين، المكتبات المركزية الربابانية. ونفس هذا الكلام نجده عن المسلمين والمسيحيين فى مكتبات المساجد ومكتبات الأديرة فى إسرائيل. لقد قامت الدول الأجنبية بإنشاء المكتبات ومراكز المعلومات فى فلسطين قبل ١٩٤٨، واستمرت فى تطويرها وتحديثها بعد قيام إسرائيل ومن الأمثلة عليها المركز الثقافى

الفرنسى، المجلس البريطانى، المعهد الثقافى الإيطالى، مركز المعلومات الأمريكى، معهد جوته.

ويوجد فى إسرائيل الآن ثلاث مؤسسات مهنية: **اتحاد المكتبات الإسرائيلية** الذى أنشئ سنة ١٩٥٢ فى أحضان اتحاد العمال (الهستادروت)؛ ثم **الجمعية الإسرائيلية للمكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات** والتى أسست سنة ١٩٦٦؛ **ثم لجنة المكتبات بالمجلس الإقليمى** والتى انبثقت عن حركة الكيبوتزات والموشاف قبل سنة ١٩٤٨.

وهذه اللجنة تهتم أساسًا بتطوير أوضاع المكتبات فى المستوطنات الريفية الصغيرة.

ومن جهة أخرى يرجع الاهتمام بتعليم علوم المكتبات والمعلومات فى إسرائيل إلى فترة الثلاثينات من القرن العشرين عندما قام الهستادروت بتنظيم دورات تدريبية فى المكتبات، كما قام اتحاد المكتبات الإسرائيلية أيضا بتنظيم مثل تلك الدورات فى الخمسينات وخاصة على أعمال المكتبات التكنولوجية. واعترافاً من الجامعة العبرية بأهمية الدراسة الأكاديمية لعلم المكتبات والمعلومات قامت بافتتاح مدرسة المكتبات بها سنة ١٩٥٦.

وكانت فى البداية تمنح دبلومة فى التخصص ولكن بعد ذلك منذ ١٩٧٢م أصبحت تمنح درجة الماجستير كذلك افتتحت مدارس لعلم المكتبات فى جامعة حيفا سنة ١٩٧٠ وفى جامعة بار عيلان سنة ١٩٧٣. وقد راجع قسم المكتبات بوزارة التعليم واتحاد المكتبات الإسرائيلية البرامج المكتبية غير الأكاديمية التى كانت تقدم هنا وهناك وقررت فى سنة ١٩٧٧ رفع مستواها جميعا إلى مستوى جديد موحد قريب أو شبيه بدراسات المعلمين، ولكنه غير أكاديمى. وهذا البرنامج يقدم اليوم فى ثلاث كليات إحداها فى الشمال والثانية فى الوسط والثالثة فى الجنوب. وتهتم إسرائيل بالتعليم المستمر فى مجال المكتبات منذ قيامها سنة ١٩٤٨، وهذا التعليم المستمر يقدم من جانب كل من المكتبات الإسرائيلية، مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية (كوستى)، والجمعية الإسرائيلية للمكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات (إسليك)، قسم المكتبات بوزارة التعليم، ومدارس المكتبات فى الجامعات الإسرائيلية الثلاث.

وسوف نتناول فئات المكتبات فى إسرائيل بشىء من التفصيل بعد العرض العام السابق:

أولا: المكتبة الوطنية

كما أشرت من قبل تقوم مكتبة الجامعة العبرية فى القدس بدور مزدوج: كمكتبة وطنية أولاً ثم كمكتبة جامعية ثانياً. ولقد بدأت فكرة المكتبة الوطنية على يد دكتور من بياليستول هو «جوزيف حسانوفيتش» (١٨٤٤-١٩٢٠). ويقال إنها بدأت ١٨٨٤ بمجموعة صغيرة قدمها متبرعون من أوروبا وتم توحيدها مع مكتبة بنى بريث لودج فى القدس سنة ١٨٩٢. ويقال إن الفكرة كانت لها جذورها فى الحركة القومية اليهودية التى قادت فى النهاية إلى حركة الصهيونية وكان الهدف منها إقامة مكتبة مركزية فى القدس توضع فيها بطريقة منظمة جميع المطبوعات التى تتعلق بالدراسات اليهودية - اليهودية، الكتاب المقدس، التاريخ اليهودى، الجغرافيا والتاريخ والسير، وكل ما يكتب بالأبجدية اليهودية (العبرية، البيدية، اللرينو - العربية، اليهودية - الفارسية). ولهذا الغرض زار الدكتور «جوزيف حسانوفيتش» سالف الذكر البلاد سنة ١٨٩٠ كتب بعدها، ما نصه «نحن شعب الكتاب يجب أن نكرم الكتاب ونحافظ عليه ونحفظه؛ نحن المشتتين من قديم الزمان يجب أن نجد وطنا لكتبنا؛ نحن شعب التاريخ يجب أن نرعى حلقات التاريخ وأن نحافظ عليها من أن تتكسر، ويجب أن نحرس بأنفسنا للمستقبل ما خلقته أرواحنا فى الماضى». كما أن الكلام الذى كتبه سنة ١٨٩٨ حفر كنقش فوق مدخل قاعات المطالعة الرئيسية للمكتبة وهو «فى القدس، سوف يشيد مبنى فخم تحفظ فيه كل الكنوز الروحية لليهودية وسوف يتقاطر إليه كل الربابنة والباحثين والعلماء». ولابد لنا أن نلاحظ أن فكرة إنشاء المكتبة الوطنية للشعب اليهودى وتنفيذ هذه الفكرة قد سبقا بكثير قيام الدولة اليهودية أى بأكثر من نصف قرن. وفى سنة ١٩٢٠م تبنت المنظمة الصهيونية العالمية فكرة المكتبة وفى سنة ١٩٢٥ أهديت المكتبة إلى الجامعة العبرية عندما أنشئت وسميت فى البداية بالمكتبة الوطنية اليهودية ثم بعد ذلك أطلق عليها وإلى الآن «المكتبة الوطنية والجامعية

اليهودية» ويجب أن نلاحظ أن هذه الوظيفة المزدوجة سبب وضع سياسة مختلفة فى الاتجاهين فهى كمكتبة وطنية فإنه يناط بها وظيفة الحفظ للمستقبل بحيث تجمع كل ما يتصل باليهودية، بينما هى كمكتبة جامعية فإنها يجب أن تختار وتنتقى ما يناسب المجالات التى تدرس بالجامعة وتوزع هذا كله بين المكتبة المركزية والكليات والأقسام.

«ومن جهة ثانية فإن المكتبة الوطنية والجامعية اليهودية» تخدم ـ لأسباب سأفصلها فيما بعد عن حديثنا عن المكتبات العامة ـ كأكبر مكتبة عامة كل إسرائيلى لأغراض الاطلاع الداخلى والاستعارة الخارجية كما أنها مرتبطة ببرامج الإعارة البينية المحلية والعالمية.

وفى سنة ١٩٣٠ نقلت المكتبة إلى مبنى مكتبة ديفيد وولفسون على جبل اسكوبوس وكانت مجموعاتها آنذاك تصل إلى ٢٠٠,٠٠٠ عنوان. وقد دمرت المكتبة فى حرب فلسطين ١٩٤٨ وأعيد بناؤها مرة أخرى. وقد بلغت مجموعاتها سنة ١٩٧٥م إلى نحو ١,٧ مليون مجلد. وكان مديرو المكتبة الأوائل هم: الدكتور «هوجو بيرجمان» أستاذ الفلسفة ١٩٢٠-١٩٣٥؛ البروفيسور «جونهولد فيل» ١٩٣٥-١٩٤٦؛ البروفيسور «كيرت فيرمان» ١٩٤٧-١٩٦٨؛ الدكتور «ج. جويل» ١٩٦٨-١٩٦٩؛ الدكتور «إسرائيل أدلر» ١٩٦٩-١٩٧١. وقد انتدب البروفيسور «روى ميرسكى» من جامعة تكساس، «أوستن» لإدارة المكتبة سنة ١٩٧٢.

ومنذ ١٩٧٣-١٩٨٠ رأس المكتبة البروفيسور «روفين يارون» أستاذ القانون بالجامعة. وكما أشرت من قبل بعد حرب ١٩٦٧م اعتزمت الجامعة العبرية العودة إلى القدس الشرقية بعد احتلالها وإحياء الحرم الجامعى على جبل اسكوبوس وتخصيص هذا الفرع لكليات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وفعلا جمعت نحو ٣٠٠,٠٠٠ عنوان نقلتها إلى هناك سنة ١٩٧٤ واكتملت العملية مع سنة ١٩٨١.
ومن هنا نجد أن المكتبة الوطنية والجامعية اليهودية تحقق عدة وظائف من بينها:

١- وظيفة المكتبة الوطنية للشعب اليهودى.

٢- منذ ١٩٤٨ تقوم بوظيفة مكتبة الدولة فى إسرائيل ومن ثم فإنها تتلقى نسختين على سبيل الإيداع من كل إنتاج فكرى ينشر فى إسرائيل.

٣- وظيفة المكتبة الأكاديمية حيث تخدم أعضاء هيئة التدريس والطلاب والإداريين بالجامعة على مستوى التدريس والبحث ومعظم مكتبات الكليات ومكتبات الأقسام مربوطة إلى المكتبة المركزية على نحو ما هو موجود فى الولايات المتحدة. وهكذا فإن الفهرس المركزى يعكس الجزء الأكبر من مقتنيات مكتبات الكليات ومكتبات الأقسام. والمكتبة المركزية هى التى تقوم بالتزويد والفهرسة لتلك المكتبات. وتتمتع مكتبة كلية الطب بوضع خاص إذ أنها جزء من المكتبة المركزية والمكتبة الوطنية والجامعية اليهودية وليست مكتبة كلية تابعة لمدرسة الطب. إنها المكتبة الوطنية الطبية. وعندما نقلت مكتبة كلية التربية إلى جبل اسكوبوس خطط لها أن تصبح المكتبة الوطنية للتربية.

ومنذ وقت مبكر أى فى نهاية الستينات بدأ إدخال الميكنة إلى عمليات التزويد والدوريات والاستعارة، بحيث لم تأت سنة ١٩٧٢ إلا وكان النظام الآلى قد استتب فى المكتبة وأخذ يتطور بتطور التكنولوجيا فى العالم على نحو ما قدمت؛ ومنذ ذلك التاريخ بدأ تحويل الفهرس البطاقى إلى فهرس آلى.

ولتحقيق الوظائف المناطة بالمكتبة الوطنية والجامعية اليهودية فإن هذه المكتبات تجمع الإنتاج الفكرى المتعلق بإسرائيل وفلسطين واليهود واليهودية وكذلك كل ما كتبه ويكتبه اليهود بصرف النظر عن مكان النشر والناشر وكل ما كتب ويكتب بالأبجدية العبرية أو بأى لغة من لغات اليهود. والأولوية المطلقة للحصول على المخطوطات العبرية واليهودية وكذلك المهاديات (أوائل المطبوعات) من أى مكان فى العالم. ولقد تطوعت منظمات كثيرة وأفراد كثيرون بجمع الكتب والوثائق وإرسالها إلى المكتبة. وقد بذل كل جهد مستطاع لجمع وإنقاذ أية مواد بحث من أيدى النازيين فى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. وكما أسلفت يطبق قانون الإيداع لصالح هذه المكتبة منذ ١٩٣٣.

ومن الطبيعى أن تكون المجموعة الخاصة باليهود واليهودية فى هذه المكتبة هى أقوى مجموعة من نوعها فى العالم. كما تملك المكتبة واحدة من أقوى المجموعات وأكبرها فى الموضوعات العربية والإسلامية فى الشرق الأوسط ففى هذه المكتبة نجد ٢٠٠ مهادية عربية، ١١٠٠٠ مخطوطة أصلية و ٤٧٠٠٠ مخطوطة مصورة، ٢٠٠,٠٠٠ وثيقة وقطعة مصورة.

ويعتبر النشر من بين الأنشطة التى تقوم بها تلك المكتبة ومن بين منشورات المكتبة «كيريات سيفر» وهى ببليوجرافية مشروحة تشتمل على بيانات عن كل المطبوعات المنشورة عن إسرائيل واليهود واليهودية سواء منشورة فى داخل إسرائيل أو خارجها، كما تتضمن عروضا نقدية للكتب، وبحوثا ببليوجرافية، ومقالات وصفية عن أهم الكتب والمخطوطات النادرة فى مجموعات المكتبة. كذلك تنشر المكتبة كشافًا تحليليا بعنوان «كشاف المقالات المتعلقة بالدراسات اليهودية» يحلل المقالات فى هذا المجال فى كل الدوريات من جميع أنحاء العالم عن نحو ما ورد فى مقدمة ودليل استخدام هذا الكشاف.

المكتبات الأكاديمية فى إسرائيل

يوجد فى إسرائيل اليوم (نهاية القرن العشرين) سبع جامعات تقليدية بالإضافة إلى جامعة ثامنة هى الجامعة المفتوحة. ومن ثم فإن للجامعات السبع شبكاتها المكتبية المستفيضة. أما مكتبة الجامعة المفتوحة فهى مجرد مسألة شكلية حيث لا تتعدى مجموعة محدودة من الكتب ولا تستخدم إلا نادرًا وعلى الطلاب إن شاءوا أن يوجهوا إلى مكتبات الجامعات الأخرى وبترتيبات خاصة.

أما الجامعات السبع التقليدية فهى على حسب حجم عدد الطلاب فيها: الجامعة العبرية بالقدس؛ جامعة تل أبيب؛ معهد تكنيون ـ إسرائيل للتكنولوجيا؛ جامعة بارعيلان للعلوم فى ريهوفوت. وهذا الأخير للدراسات العليا فقط فى العلوم البحتة والتطبيقية ولقد تحدثت باستفاضة من قبل عن المكتبة الوطنية والجامعية اليهودية التى هى مكتبة الجامعة العبرية أقدم الجامعات الإسرائيلية. وسائر الجامعات فى إسرائيل لها مكتباتها الخاصة.

جامعة تل أبيب لها مكتبة مركزية ومكتبات كليات وأقسام ولابد من التنويه إلى أن المكتبة المركزية تقتنى فقط فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانيات ومن ثم فإن كليات العلوم البحتة والتطبيقية والقانون لها مكتبات الكليات والأقسام الخاصة بها (٧٠٠,٠٠٠ مجلد كتب، ٣٥٠٠ عنوان دورى).

وكما سبق أن أشرت فإنه فى حيفا مؤسستين للتعليم العالى أقدمهما معهد تكنيون ـ إسرائيل للتكنولوجيا وهو كما يبدو من اسمه جامعة متخصصة فى التكنولوجيا، وله مكتبة مركزية منظمة ومتقدمة للغاية، والمكتبات الفرعية تجنح نحو الاستقلال. وأحدثهما جامعة حيفا وهى جامعة عامة، وفى فترة قصيرة كونت مجموعات كبيرة تصل الآن إلى نحو نصف مليون مجلد كتب و ٢٠٠٠ دورية.

وتعمد الجامعة الآن إلى تركيز المجموعات كلها فى المكتبة المركزية مع الحفاظ فى نفس الوقت على مرونة المجموعات الخاصة ومكتبات الأقسام. وكانت مكتبة جامعة حيفا هى أول مكتبة إسرائيلية تطبق نظام تصنيف مكتبة الكونجرس.

أما مكتبة معهد فايتسمان للعلوم فهى تخدم البحوث والدراسات العليا فقط وحيث لا يوجد فى المعهد دراسات لمرحلة ما قبل التخرج، فإنها تقترب الآن من ٢٠٠,٠٠٠ مجلد كتب و ١٠٠٠ دورية كلها من المصادر التى تخدم البحث العلمى المتقدم، وتقدم خدمات مكتبية متطورة، ومنها خدمات التصوير والاستنساخ التى ربت على مليون صفحة فى سنة ١٩٩٩.

وجامعة بارعيلان جامعة دينية متخصصة أساسًا فى الدين اليهودى والدراسات اليهودية والديانات المقارنة وتصل مجموعاتها اليوم إلى نحو ربع مليون مجلد كتب و ٣٥٠٠٠ دورية.

وجامعة بن جوريون فى بئر السبع هى الأخرى جامعة عامة وقد استطاعت فى فترة قصيرة أن تبنى مكتبة قوية لمرحلة ما قبل التخرج. وكانت قبلها تستعين بمكتبة الجامعة العبرية على أساس الإعارة البينية. وبعد أن استكملت بناء مجموعات لمرحلة ما قبل التخرج استغنت عن المساعدات من الجامعات الأخرى وطفقت فى بناء المجموعات للدراسات العليا والبحوث. ولقد نجحت المكتبة فى شراء واستهداء

مكتبات شخصية كثيرة دعمت مجموعاتها إلى حد كبير، وتصل مجموعتها الآن (١٩٩٩) إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ مجلد كتب و ٢٠٠٠ دورية.

وفى نهاية التسعينات من القرن العشرين بلغ رصيد المكتبات الجامعية الإسرائيلية أكثر من عشرة ملايين مجلد كتب و ٥٠٠٠ عنوان دورى. وكما ألمحت فإنه رغم ظروف التقشف والحروب فإن المجموعات تنمو فى تلك المكتبات بإطراد ويرجع جانب من هذا التوسع إنما يرجع إلى لجنة المنح الجامعية التى جرى تأسيسها سنة ١٩٧٥.

ولكن يلاحظ المراقبون أنه لا توجد سياسة مكتوبة للتزويد وبالتالى فإن التزويد يتم بشكل اعتباطى وكيفما اتفق ولكن داخل إطار المقررات التى تدرس فى الجامعة وطبقا لرغبات أعضاء هيئة التدريس مما نتج عنه فجوات كثيرة فى نسيج تلك المجموعات. ومما ضاعف المشكلة تفتيت المجموعات بين مكتبة مركزية ومكتبات كليات ومكتبات أقسام وإن كان هناك اتجاه جديد نحو المركزية الصارمة المرنة؛ ذلك أن الضغوط الاقتصادية جعلت تلك المكتبات تتجه نحو التعاون الداخلى وتوحيد المصادر. وعلى سبيل المثال فإنه فى الجامعة العبرية تم تجميع ٢٥ مكتبة من أصل ٧٠ مكتبة موجودة هناك فى مكتبة مركزية واحدة للعلوم الاجتماعية والإنسانيات؛ وهى التى نقلت كما ذكرت مرة أخرى إلى القدس الشرقية سنة ١٩٨١ كما تم جمع ست مكتبات أخرى فى مكتبة واحدة هى مكتبة العلوم سنة ١٩٨٥.

وفى نهاية الستينات طالبت الحكومة، باعتبارها الجهة التى تقدم ٧٠٪ من ميزانيات الجامعات، المكتبات الجامعية بإقامة برامج تزويد تعاونى وإعداد فنى تعاونى وخدمات مكتبية تعاونية وخاصة الإعارة البينية. وفى سبيل ذلك أنشأت الحكومة لجنة إسرائيل الدائمة للمكتبة الوطنية والجامعية (اسكونول) وهى لجنة تطوعية لمناقشة المشاكل التى تواجه المكتبة ووضع سياسة للحلول والتخطيط. وثمة لجنة أخرى تعمل فى نفس هذا الاتجاه وهى اللجنة الفرعية للمكتبات المنبثقة عن لجنة المنح الجامعية والتى تشكلت سنة ١٩٧٦. وثمة لجنة ثالثة هى اللجنة القيادية لنظام ألف الآلى التى تم تشكيلها سنة ١٩٨٦ وذلك لميكنة العمليات المكتبية فى الجامعات الإسرائيلية، وقد

أصبح هذا النظام نظاماً عالمياً منذ منتصف التسعينات. ولقد بدأ قادة الجامعات الإسرائيلية فى التسعينات فى التنسيق والتعاون - إن لم يكن التوحيد - فى شئون تلك المكتبات.

ومن المعروف أن جميع المكتبات الأكاديمية فى إسرائيل تقدم خدماتها المكتبية للجمهور العام على إطلاقه وأكثر من هذا فإن المكتبات الأكاديمية تقوم بدور وطنى وعلى سبيل المثال فإن تكنيون (معهد إسرائيل للتكنولوجيا) يقدم خدماته وخاصة الببليوجرافية على الخط المباشر للأفراد ومعاهد البحوث والشركات الصناعية، كما وسبق أن أشرت إلى أن مكتبة كلية الطب تقوم بدور المكتبة الوطنية الطبية، ومكتبة كلية التربية هى المكتبة الوطنية للتربية، كما أن مكتبة الجامعة العبرية يوجد بها «قائمة إسرائيل الموحدة للدوريات» كما قامت جامعة حيفا بإعداد واحدة من أهم الأدوات الببليوجرافية المبنية على الحاسب الآلى وهو «كشاف الدوريات العبرية» وغيره من الأدوات، وفى الفترة من ١٩٨١-١٩٨٥ كانت تقدم أشرطة مارك للفهرسة الآلية للمكتبات الأخرى. وفى سنة ١٩٨٩ قامت مكتبة جامعة حيفا بتحويل الفهرس العبرى لمركز المكتبات العامة إلى شكل مقروء اليا. ومن المعروف كما سنرى فيما بعد أن هذا المركز يقدم خدمات فهرسة مركزية للمكتبات العامة والمدرسية فى إسرائيل.

لقد سعت المكتبات الأكاديمية فى إسرائيل فى الربع الأخير من القرن العشرين إلى تحقيق: **التعاون، ميكنة العمليات المكتبية، المشابكة.** وكانت المحاولة الأولى للتعاون فى مجال الميكنة قد جاءت فى أوائل السبعينات من جانب مكتبة الجامعة العبرية التى تلقت منحة لتطوير نظام فهرسة آلى ولكن المشروع فشل. وجاءت المحاولة الثانية لتطوير نظام فهرسة آلى يلائم الظروف المحلية وقد لاقى نجاحا كبيراً. وقد جاء الناتج **مارك إسرائيل** (ماركيس) وهو نظام للفهرسة الآلية بنى على أساس قاعدة بيانات مارك الأمريكية وهذا النظام الجديد لم يطور داخل الجامعة وإنما داخل إحدى وحدات جيش الدفاع الإسرائيلى وقد دخل هذا النظام إلى الخدمة سنة ١٩٧٤.

ورغم المميزات العديدة فيه فقد رفض بعض مديرى الجامعات استخدام النظام وذلك تجنبا لمشاكل التغييرات التى تطرأ عليه.

فى بداية الثمانينات كان التعاون الرسمى يقتصر على بعض المجالات القليلة مثل: قائمة إسرائيل الموحدة للدوريات، نظام للإعارة البينية باستخدام شبكات التلكس والذى كان ثمرة من ثمرات اللجنة الدائمة للمكتبة الوطنية والجامعية والذى قدمت وزارة المالية الدعم المالى اللازم له. وكانت المواد المعارة بينيًا تنقل مرة واحدة فى الأسبوع بواسطة عربة ضخمة مخصصة لهذا الغرض فى أكبر عملية نقل تعاونى فى البلاد؛ كما جاء نظام (ماركيس) قمة للتعاون فى ذلك العقد. ومع بداية التسعينات بدأ التعاون فى مجال الميكنة والمشابكة يزداد ويتوسع وخاصة بسبب مبادرات لجنة المنح الجامعية. فى سنة ١٩٨٦ كانت لجنة المنح بناء على اقتراح من اللجنة الدائمة للمكتبة الوطنية والجامعية تقوم بتقديم منحة لدعم اشتراك الجامعات الإسرائيلية فى نظام (ألف). هذا النظام الآلى للمكتبات كان قد طور خصيصًا لمكتبات الجامعة العبرية ثم عدل لكى يناسب الشبكات الموزعة، وقد أيدت جامعة حيفا هذا النظام ودافعت عنه. وقد توسع التعاون وازداد فى نهاية التسعينات بطريقة لم يسبق لها مثيل. والآن يمكننا القول بأن جميع المكتبات الجامعية محسبة وتشارك فى شبكة معلومات عامة مبنية على فهرس موحد بالكتب، وهى جميعا تستخدم وترتبط بأنظمة معلومات على الخط المباشر مثل: ديالوج، بى آر إس وهى جميعا تستخدم أدوات ببليوجرافية مليزرة. وكانت أول ببليوجرافية إسرائيلية على قرص ليزر هى كشاف جامعة حيفا للدوريات العبرية سابق الذكر؛ وتلته أعمال أخرى مليزرة.

المكتبات العامة فى إسرائيل

ترجع نشأة المكتبات العامة فى إسرائيل إلى ما قبل قيام الدولة، وأعنى بذلك القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. ذلك أن المستوطنين الأوائل والرواد (هالوتزيم) الذين شكلوا منذ ثمانينات القرن التاسع عشر الأنماط الأساسية للمستوطنات الزراعية: وأعنى بها المزارع الجماعية (كيبوتزيم)، وقرى العمال التعاونية

(موشافى أوفديم)، قد جاءوا أساسًا من أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى وكانوا من خيرة المثقفين والمتعلمين وكانوا أيضا تلاميذ مدارس وطلاب جامعات، وتركوا مدارسهم وجامعاتهم أو تخرجوا فيها وجاءوا إلى الوطن القومى لليهود ليعملوا بالزراعة ويصبحوا فلاحين. ومن الصعب تصور هؤلاء الناس بدون كتب وبدون مكتبات ليس فقط باللغة العبرية القديمة ـ الجديدة؛ وإنما أيضا باللغات الأوروبية. لقد أنشئت فى تلك الكيبوتزات مكتبات من الدرجة الأولى وكان متوسط عدد العناوين للفرد فيها هو تسعة عشر عنواناً، ومع هذا فلم تكن تلك المكتبات مكتبات عامة بالمعنى الأنجلو أمريكى أو الاسكندنافى للمصطلح: مؤسسات بلدية يمولها دافع الضرائب وتدعمها الحكومة المحلية أو المركزية وقبل كل شىء مفتوحة أمام الجميع.

أما فى المدن والمستوطنات الكبرى فلم تكن هناك فى تلك الفترة مكتبات عامة حديثة عامرة بمجموعات مناسبة من الكتب وتقع فى مكان ملائم ويديرها مكتبيون متخصصون.

ولم تكن حكومة الوصاية البريطانية راغبة فى إيجاد حكومة ذاتية محلية فى فلسطين بل تركتها محليات وبلديات مفككة. ومن هنا فقد افتقرت المجالس المحلية والبلدية القليلة الموجودة آنذاك حتى إلى الأساس الشرعى والدستورى لإنشاء المكتبات العامة، حتى تل أبيب نفسها التى سوف تتطور فيها فيما بعد قيام الدولة مكتبة عامة مركزية حديثة وحيث ضواحيها وخاصة يافا العتيقة التى سكنها المهاجرون الجدد؛ التى قامت فيها مكتبات فرعية جيدة أيضا بعد قيام الدولة.

فى بعض المدن وعدد لا بأس به من المستعمرات اليهودية فى فلسطين حاول الاتحاد العام للعمال اليهود ممثلا فى قسم المكتبات بالمركز الثقافى فيه ملء تلك الفجوات جزئيا على الأقل. وحتى وقت قريب كانت المكتبات العمالية هى المظهر الوحيد تقريبا للمكتبات العامة فى إسرائيل. ولكن معظم تلك المكتبات ـ وكان عددها حوالى ٣٠٠ مكتبة ـ لم يكن ليفى بالحد الأدنى من المعايير سواء فى المجموعات أو المبنى أو الموظفين. ومع ذلك فإنه يعزى إلى قسم المكتبات بالاتحاد فضل الريادة فى

تنظيم دورات تدريبية للعاملين فى المكتبات، ونشر «ببليوجرافيات جارية مختارة بالكتب العبرية للمكتبات العامة» ١٩٥٢-١٩٧٠.

كما نشر ترجمة عبرية مختصرة من تصنيف ديوى العشرى، عدلت خصيصا لتلائم المكتبة اليهودية والإنتاج الفكرى اليهودى وكانت الطبعة العبرية الرابعة المترجمة والمعدلة عن الطبعة العاشرة الأصلية قد نشرت فى نهاية السبعينات.

وإذا كانت المكتبات العامة الموجودة قبل قيام دولة إسرائيلية لم تستطع تلبية حاجات السكان الذين كانوا يتزايدون باضطراد، وكانوا فى حاجة ماسة إلى مواد القراءة وحيث لا توجد أمية بينهم فى حقيقة الأمر، فإن الأمر لم يكن يحتمل التأجيل والتسويف بعد ١٩٤٨ ذلك أن الجموع التى جاءت من أكثر من عشرين دولة بعد قيام الدولة تم توجيهها إلى مناطق التنمية الجديدة وحيث كانت مدن التنمية ومناطق التنمية تقوم وتمتلئ بالسكان فى فترة وجيزة محدودة. وفى المستوطنات الجديدة هذه لم يكن يمكن الاعتماد فى إنشاء المكتبات العامة على مبادرات المستوطنين السكان الجدد الذين كان عليهم أن يحلوا مشاكلهم الاقتصادية أولا.

فى سنة ١٩٦٢ كما رأينا قبلا أنشئ فى وزارة التعليم والثقافة قسم للمكتبات وكانت المهمة الأولى والخطيرة لهذا القسم إنشاء وتطوير وصيانة مكتبات فى مناطق التنمية ومناطق التجمعات الأخرى للسكان المهاجرين الجدد؛ وحيث كانت الحاجة ملحة إلى مواد القراءة.

وكان قسم المكتبات يتحرك فى هذا الصدد من خلال الحكم الذاتى المحلى (مجال البلديات والمحليات) وفى المناطق الريفية من خلال المجالس الإقليمية. وفى تلك الفترة كما أوجزت فى مقدمة هذا البحث كان الاتجاه إلى تبنى المفهوم الأنجلو أمريكى للمكتبات العامة. وكان قسم المكتبات طوال سبعينات القرن العشرين يتحرك بين ٤٢ مجلس محلى وبلدى و ١٠ مجالس إقليمية أى بين ١٦٥ مستوطنة فيها ١٥٥ مكتبة وفرع و ١٩ محطة مكتبات متنقلة (سيارات الكتب).

وكانت المساعدة التى يقدمها قسم المكتبات تصل - حسب ظروف كل مجلس - إلى ثلاثة أرباع الميزانية. ولابد من أن نذكر هنا أن مؤسسة جيمس إدوارد دى روتسيلد التذكارية قد قدمت فى تلك الفترة منحة لإنشاء مكتبتين بفروعهما كان مركزهما فى لود، كيريات جاد وكل منهما تخدم مجلساً محلياً واحداً وثلاثة مجالس إقليمية.

كان إنشاء هذه الشبكات من المكتبات العامة فى إسرائيل مقدمة وخطوة أولى فى سبيل تنفيذ خطة قومية شاملة لإقامة وحدات إدارية أكبر تعظم أقصى إفادة من المصادر والقوى البشرية والمبانى. ولابد من القول بأن ذلك كله قد تم فى تلك الفترة ولم يكن هناك بعد قانون للمكتبات العامة؛ ذلك القانون الذى كان عليه أن يمر أولا من اللجنة البريطانية للتعليم والثقافة ثم قراءة أولى فى البرلمان ثم الإقرار النهائى له.

فى سنة ١٩٦٣ قام «أبا إيبان» وزير التعليم والثقافة كما أسلفت فى مقدمة البحث بتشكيل لجنة استشارية للمكتبات العامة كانت مهمتها الأولى إعداد مسودة قانون المكتبات وبانتهاء هذا العمل قام «إيجال آلون» الوزير الذى جاء بعد إيبان بتشكيل لجنة استشارية جديدة سنة ١٩٧١ تضم واحداً وعشرين عضواً مهمتها وضع برامج لتطوير المكتبات العامة بدعم من قسم المكتبات وتقديم المقترحات والتوصيات التى تراها مناسبة فى هذا الصدد.

وفى سنة ١٩٦٤م أنشئ أيضا فى ظل زبا إيبان «مركز توجيه المكتبات العامة» كمشروع مشترك بين قسم المكتبات فى وزارة التعليم والثقافة ومدرسة المكتبات العليا فى الجامعة العبرية واتحاد المكتبات الإسرائيلية وذلك بهدف إمداد أبناء المكتبات بالأدوات الضرورية لتنظيم المكتبات وأداء العمل المكتبى. وقد تم تشكيل هذا المركز على نمط المركز الدنمركى.

وكان مشروع الفهرسة المركزية الذى استحدثه اتحاد المكتبات الإسرائيلية سنة ١٩٦٣ قد تم نقل تبعيته إلى هذا المركز بعد قيامه مما عظم طور من خدمات هذا المشروع الذى يمد خدماته الآن لما لا يقل عن ٥٠٠ مكتبة والذى يقوم بفهرسة الكتب

طبقا للقواعد الأنجلو أمريكية والتقنين الدولى للوصف الببليوجرافى، وتصنيف الكتب طبقا لترجمة مختصرة ومعدلة من تصنيف ديوى العشرى التى أشرت إليها من قبل والتى عدلت لتلائم احتياجات المكتبة الإسرائيلية والإنتاج الفكرى اليهودى وخاصة فيما يتعلق باليهودية. كما أضاف المركز خدمة فهرسة مركزية خاصة بالإنتاج الفكرى فيما يتعلق باليهودية. كما أضاف المركز خدمة فهرسة مركزية خاصة بالإنتاج الفكرى الربابينى، وهذه الخدمة تسهل إعداد بطاقات فهرسة جاهزة للمكتبات الربابينية والعامة. كما قام المركز بجمع وتصوير مجموعات مختارة من عروض الكتب فى الجرائد اليومية والمجلات وإرسالها إلى أكثر من ٣٢٠ مكتبة للانتفاع بها كأداة اختيار.

وقد قامت مدرسة المكتبات العليا فى الجامعة العبرية بإعداد «الفهرس القياسى» الذى يغطى الكتب المنشورة خلال الفترة ١٩٤٨-١٩٦٣ وقد ضم هذا الفهرس ٧٠٠٠ عنوان معظمها بالعبرية وتغطى كل فروع المعرفة البشرية وبعض تلك العناوين باللغة اليدية، وبعضها الآخر بلغات أجنبية.

وإضافة إلى خدمات الفهرسة المركزية قام المركز بإصدار عدد من المطبوعات المتخصصة فى مجال المكتبات والمعلومات، لعل أهمها الببليوجرافية المشروحة «٢٠ يهودياً من دولة إسرائيل» التى أعدتها «آسيا نيوبيدج» تحت إشراف مدرسة المكتبات العليا وقد صدر لها بعد ذلك ملحق خمسى بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على قيام إسرائيل.

كما أصدر المركز ببليوجرافية مشروحة بعنوان «كتب ومقالات عن كتب الأطفال»؛ وأخرى بعنوان «مسرحيات عبرية أصيلة قدمت فى إسرائيل ١٩٤٨-١٩٧٠» وتوفر المركز على نشر عدد من الأدلة من بينها أدلة حول ترتيب المداخل، والتكشيف، كما ينشر الوقائع الرسمية لاتحاد المكتبات الإسرائيلية.

وفى سنة ١٩٧٠ بدأ المركز خدمة إعداد الكتب وفى سنة ١٩٧٢ أنشأ بنك الكتاب وهو نوع من دور التخليص لتسهيل تبادل المطبوعات بين المكتبات وتسهيل عمليات الإهداء والاستهداء أيضا.

إن حب الكتب والقراءة التقليدى لدى اليهود امتد أيضا فى إسرائيل الحديثة؛ وهناك اليوم نسبة كبيرة بين سكان إسرائيل ممن يقرأون. وقد كشفت الدراسات التى أجريت هناك عن أن ٥٠٪ من السكان يقرأون على الأقل كتاباً واحداً فى الشهر وإن كان ٢٣٪ فقط من السكان هم المسجلون لدى المكتبات العامة كمستعمرين. وربما كانت هناك بدائل أخرى يستطيع القراء الحصول منها على الكتب مثل المكتبات الجامعية والمكتبات الشخصية وغيرها من البدائل.

ومن المعروف أن المكتبات العامة في الجنوب تدعمها مكتبة جامعة بن جوريون وفى الشمال تدعمها جامعة حيفا. وبالإضافة إلى أن المكتبات الجامعية تقدم خدماتها للجمهور العام فإن كل جامعة «تتبنى» المكتبات العامة فى منطقتها وتقدم إليها الاستشارات والنصائح فيما يتعلق بالتنظيم وبناء المجموعات وتقدم لها الخدمات الببليوجرافية وتهديها الكتب.

وعلى الرغم من أن الإسرائيليين قد تأخروا كثيرا فى إدراك قيمة المكتبات فى توصيل المعلومات للجموع بسبب ظروف تشتتهم قبل ١٩٤٨، إلا أنهم منذ الستينات أقبلوا على تبنى المعايير والمقاييس لتطوير المكتبات العامة وتنميتها بعد قيام قسم المكتبات المشار إليه فى وزارة التعليم والثقافة، وتم إقرار قانون المكتبات كما رأينا سنة ١٩٧٥، ورغم تنفيذه ببطء إلا أنه مهد الطريق السليم لإنشاء وتطوير المكتبات العامة. وفى سنة ١٩٩٢ كانت هناك مستوطنة فقط من إجمالى ١١٦٠ مستوطنة هى التى «اعترفت» بهذا القانون ومعنى الاعتراف هنا تنفيذ القانون وتمويل إنشاء المكتبات بمقتضاه تحت إشراف وزارة التعليم والثقافة. وكما أسلفت كانت وزارة التعليم والثقافة تدعم المكتبات العامة بثلاثة أرباع ميزانيتها خلال فترة الستينات، وفى فترة

السبعينات خفض الدعم إلى ٥٠٪ فقط ثم فى الثمانينات إلى ٤٣٪ وفى التسعينات إلى ١١٪ فقط.

وكان مركز المكتبات العامة الذى أشرت إليه والذى أنشئ سنة ١٩٦٤ قد استمر فى دوره الإيجابى للمكتبات العامة من فهرسة مركزية وتزويد مركزى ونشر أعمال متخصصة وكتب مرجعية ثم دورية متخصصة فى المكتبات باسم (يادلا ـ كور). وقد نشط هذا المركز نشاطاً ملحوظاً فى الثمانينات إلا أنه فى التسعينات بدأ دوره فى الخفوت واستقلاله فى تناقص ومن ثم تقليص نشاطه.

ولقد نشطت مكتبات الكيبوتزات (المزارع الجماعية) ومكتبات الموشافات (قرى العمال التعاونية) نشاطاً ملحوظاً وكما أشرت من قبل حقق سكان هذه التجمعات أعلى معدل كتب و مكتبات فى كل إسرائيل رغم أنهم يمثلون فقط ٦٪ من مجموع سكان إسرائيل؛ فقد كان عددهم فى نهاية الثمانينات ٢٨٤٠٠٠ مستوطن وعدد الكتب فى مكتباتهم ٦,٠٠٠,٠٠٠ مجلد، و٣٧٪ من هؤلاء المستوطنين يقرأون بنشاط زائد و ٧٧٪ مسجلون كمستعيرين فى المكتبات العامة فى مستوطناتهم. وحتى نهاية الستينات كانت مجموعات الكتب غالبًا مبعثرة دون تنظيم بين ربوع تلك المستوطنات، ولكن اعتباراً من السبعينات بدأت حملات نشيطة لتنظيم وإدارة هذه المكتبات بأسلوب علمى عصرى، كما جرت فى الثمانينات حملات مكثفة لدعم التعاون وتشاطر المصادر بين مكتبات المستوطنات من جهة ومكتبات المدن والقرى المحيطة بها من جهة ثانية.

أما عن المكتبات العربية فى إسرائيل فقد تباطأ نموها للعديد من الأسباب من بينها أن العرب فى إسرائيل أقلية (حوالى ٢٠٪ من السكان) وكانت الأمية متفشية بينهم ولا تزيد نسبة المتعلمين على ٣٠٪ فى الأربعينات، وأخذت الأمية بعد قيام دولة إسرائيل تنحسر عقداً بعد عقد بين العرب المقيمين هناك حتى ارتفعت نسبة المتعلمين بينهم إلى نحو ٩٠٪ مع نهاية التسعينات، وكانت اللغة العامية هى المسيطرة على

عرب إسرائيل وجاءت الصحف والإذاعة والتليفزيون لتقربهم من اللغة العربية الكلاسيكية التى تكتب بها الكتب ومن ثم يمكننا القول بأنه غدا هناك جيل قارئ بين عرب إسرائيل. وكما أشرت من قبل فإن قسم المكتبات بوزارة التعليم والثقافة دأب منذ نهاية السبعينات على الاهتمام بتمويل وتطوير المكتبات العامة فى المناطق العربية أسوة بالمناطق اليهودية، كما أخذ القادة العرب فى تلك المناطق فى الاهتمام بإنشاء مكتبات مجتمع وتطوير المكتبات المدرسية فى تلك المناطق. وكانت الكتب العربية إما تنشر محلياً فى إسرائيل أو تستورد عبر المعابر من الأردن ولبنان ثم أخيرا من مصر وتحرص المناطق العربية على إرسال المدرسين وحملة الثانوية العامة للانخراط إما فى برامج رسمية أو برامج تدريبية على أعمال تنظيم وإدارة المكتبات.

لقد أصبحت المكتبات العامة فى المناطق العربية بإسرائيل مؤسسات ترعاها المجالس المحلية وتتلقى الدعم الحكومى، ولكنها بعيدة كل البعد عن تدخل الحكومة الإسرائيلية المركزية، ومنذ ١٩٩١ كانت هناك ٣٣ مستوطنة عربية من أصل ٦٤ مستوطنة عربية فى إسرائيل، تتمتع بمكتبات عامة وخدمة مكتبية مدعومة من جانب وزارة التعليم والثقافة الإسرائيلية، كما كانت هناك إحدى عشرة مستوطنة أخرى تخدمها مكتبات متنقلة تجيئها من مكتبة حيفا العامة. وثمة مكتبات عامة عربية أخرى ترعاها منظمات خيرية أجنبية يفترض أن لها علاقة سياسية أو اجتماعية بالمنظمات الفلسطينية خارج الأرض المحتلة أو المنظمات الإسلامية الأصولية.

وفى المدن التى يختلط فيها العرب واليهود تقوم المكتبات العامة هنا بخدمة العرب واليهود دونما تمييز، كما يقوم الطلاب وأعضاء هيئة التدريس العرب بالإفادة من المجموعات العربية فى الجامعات الإسرائيلية.

المكتبات المدرسية فى إسرائيل

بدأ الاهتمام بالمكتبات المدرسية فى إسرائيل منذ السبعينات من القرن العشرين :

نظرًا لإدراك أهمية تلك المكتبات فى العملية التعليمية والتربوية ولأن التعليم قبل الجامعى هو كما ذكرت بوابة إسرائيل نحو توحيد شعبها الذى جاء من أكثر من مائة دولة ويتحدث أكثر من ثمانين لغة.

هذا الإحساس والاهتمام لم يسفر عن قرار رسمى للنهوض بالمكتبات المدرسية ولكنه يقيناً أدى إلى تحسين الوضع. ولم تأت نهاية الثمانينات إلا وكانت جل المكتبات المدرسية فى إسرائيل تتمتع بخدمات مكتبية وخاصة بعد انتشار فكرة المكتبة مزدوجة الغرض: عامة/مدرسية. فى التسعينات لم يبق هنا إلا عدد محدود جدا من المدارس الابتدائية والثانوية التى لا تصلها خدمات مكتبية فى القطاعات اليهودية من إسرائيل، بينما تسود الصورة فى القطاعات العربية حيث إن ٢٠٪ من المدارس الابتدائية والثانوية لا تصلها أية خدمات مكتبية من أى نوع.

ومهما يكن من أمر فإن المكتبات المدرسية فى حاجة إلى مزيد من الرعاية والاهتمام فماتزال مجموعاتها صغيرة وخدماتها محدودة، ولا يتلقى الأطفال والتلاميذ إلا أقل القليل من التشجيع لاستخدام المكتبات. ويعوق التنافس للحصول على الدعم من قسم المكتبات بوزارة التعليم والثقافة تطوير المكتبات المدرسية لأن المكتبات العامة تحصل على القسط الأكبر من دعم ذلك القسم على حساب المكتبات المدرسية.

المكتبات المتخصصة فى إسرائيل

سبق أن ألمحت إلى أن عدد المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات فى إسرائيل قد اقترب من ٤٨٠ مكتبة فى سنة ١٩٩٩ ملحقة بمعاهد البحوث ومراكزه والمستشفيات والاتحادات المهنية والإدارات الحكومية والمصانع والشركات.. ولقد طورت تلك المكتبات علاقات وثيقة فيما بينها تتعلق بترتيبات الإعارة البينية لخدمة قرائها والمستفيدين منها. كان من الضرورى أن تنشأ هيئة مركزية لدعم التعاون والتنسيق بين تلك المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات والارتقاء بخدمات المعلومات فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية. وكانت المبادرة لإنشاء مثل هذه الهيئة المركزية قد جاءت

للمرة الثانية من خارج مهنة المكتبات؛ وذلك بعد اتجاه سياسة الحكومة نحو التصنيع فى ستينات القرن العشرين حين قام «المجلس الوطنى للبحوث والتنمية» بإنشاء «مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية» (كوستى)، ومقر إدارته فى تل أبيب سنة ١٩٦١. والمجلس الوطنى كما سبق أن أشارت إدارة من إدارات مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى وقد حدد قرار إنشائه وظائفه على النحو الآتى:

١- جمع وتصنيف وبث ونشر البيانات المتعلقة بمصادر المعلومات المحلية مثل: البحوث الجارية، المكتبات ومقتنياتها، وسائل النشر، المعاهد العلمية، الاتحادات المهنية.

٢- رصد وتسجيل ومسح الاحتياجات الآنية والمستقبلية إلى المعلومات، إعداد الملفات الخاصة بسمات المستفيدين وميولهم؛ إستقراء وتوقع الحاجات المستقبلية للمستفيدين؛ البث الانتقائى للمعلومات إلى المستفيدين فى مجالات العلوم والتكنولوجيا وإدارة الأعمال والإدارة العامة.

٣- الإفادة إلى أقصى حد من خبرات وطاقات علماء المعلومات وأمناء المكتبات المتخصصة وذلك من خلال الاعتراف بعلم المعلومات كمهنة من جانب السلطات المعنية؛ تنظيم برامج الإعداد المهنى سواء الرسمية أو غير الرسمية؛ تشجيع التعاون بين العاملين فى المجال؛ وتقديم الاستشارات المهنية.

٤- إقامة شبكة معلومات وطنية تتمشى مع الظروف المحلية.

ويضم المركز الإدارات التالية: إدارة التوثيق؛ الخدمات الميدانية؛ بحوث نظم المعلومات؛ الإعداد المهنى فى علم المعلومات.

وكما سبق أن أشرت أصبح هذا المركز ممثلاً لإسرائيل فى الاتحاد الدولى للتوثيق منذ ١٩٦٦ وقد ترأس اللجنة الوطنية الإسرائيلية فى ذلك الاتحاد فى الستينات.

وينشر المركز مجموعة من الأدلة والببليوجرافيات المتخصصة من بينها سلسلة «أدلة خدمات المعلومات فى إسرائيل» جاء فيها «دليل المكتبات المتخصصة فى إسرائيل»

والذى سجل كما قلت نحو ٤٨٠ مكتبة فى نهاية التسعينات. كذلك اشترك المركز فى إعداد «القائمة الموحدة بالدوريات فى مكتبات إسرائيل» مع المكتبة الوطنية والجامعية فى الجامعة العبرية. كما قام من جانبه بترجمة مختصرة للتصنيف العشرى العالمى إلى اللغة العبرية مع كشاف محسب له (١٩٦٩ وما بعدها).

لقد مهد هذا المركز ونشر استخدام تكنولوجيا المعلومات الجديدة فى البلاد وهو يقدم خدمات معلومات مركزية حين طلبها. وهو يمد الراغبين بخدمات البث الانتقائى للمعلومات من قواعد البيانات العالمية التى تتيحها، ويقدم خدمات البحث على الخط المباشر، ويقوم بخدمات التخليص وخدمات التدريب والخدمات المرجعية والببليوجرافية وخدمات الاستشارات.

ولكن يلاحظ أن الاستخدام المتزايد لشبكات المعلومات الدولية التى تلبى الحاجات المحلية قد قلل إلى حد كبير من الإقبال على خدمات المعلومات التى تقدمها المؤسسات المحلية.

ومن الأمثلة على المكتبات المتخصصة الهامة فى إسرائيل مكتبة البرلمان. هذه المكتبة صغيرة نسبيا وتخدم أعضاء الكنيست (البرلمان الإسرائيلى)، وهى تتلقى نسخة إيداع من كل مطبوع يصدر فى إسرائيل ولكنها ليس مكتبة إيداع مثل المكتبة الوطنية والجامعية فى الجامعة العبرية.

وتعتبر مكتبات المؤسسات الدينية من بين المكتبات المتخصصة الهامة، وتنتشر المكتبات الدينية اليهودية فى المعابد اليهودية والمؤسسات التعليمية لليهود الأورثوذكس والمجالس الدينية المحلية ومحافل الربابنة. وهناك مجموعات دينية خاصة ذات قيمة عالية.

وكما أشرت سابقا هناك مكتبات دينية مسيحية فى الأديرة ومقار البعثات التبشيرية والكنائس ورغم أن بعضها يفتح أبوابه للجمهور العام إلا أن الغالبية يقتصر استخدامها على الباحثين المتخصصين وكذلك فإن المكتبات الدينية الإسلامية تنتشر فى

المساجد وتنشئها وترعاها هيئة الأوقاف. كما أن هناك مجموعات دينية إسلامية خاصة ذات قيمة تخصصية عالية.

تعليم علم المكتبات والمعلومات فى إسرائيل

سبق وأن ذكرت أنه قبل قيام إسرائيل كان الاتحاد العام للعمال اليهود ينظم دورات تدريبية على أعمال المكتبات وكان أمناء المكتبات العامة: الصغيرة والمتوسطة على وجه الخصوص يتلقون تدريباً مكتبياً تنظمه جهات مختلفة وقد قام قسم المكتبات بالإدارة الثقافية فى الاتحاد العام للعمال اليهود بدور الريادة فى هذا الشأن. وكان المنخرطون فى دورات الاتحاد العام هم فى حقيقة الأمر أعضاء فى المستوطنات الريفية ويعملون فى مكتباتها ويتلقون ما نسميه بالتدريب أثناء الخدمة فى تلك البرامج. كذلك قام مركز إرشاد المكتبات العامة الذى أشرت إليه سابقا بدور فعال فى هذا الصدد. ويقوم مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية بتدريب أمناء المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات. وحتى سنة ١٩٦٢ لم تكن هناك امتحانات أو مؤهلات رسمية مطلوبة ممن يعملون فى المكتبات ولكن منذ تلك السنة وضع اتحاد المكتبات الإسرائيلية قواعد الاختبارات للترخيص لمزاولة المهنة كما وضع توصيفاً للمقررات، ومنذ ذلك الحين وهو يتولى إدارة عملية الترخيص هذه وعقد الامتحانات المهنية المطلوب اجتيازها. والمقررات وتوصيفها يتم تنقيحها بين حين وآخر حتى تواكب أحدث التطورات فى المجال.

وامتحانات الترخيص تعقد على مستويين: **المستوى الأول** اختبار عام يعقد لكل أنواع المكتبات؛ أكاديمية، عامة، متخصصة. والحد الأدنى من المؤهلات المطلوبة للتقدم لهذا الامتحان هو شهادة الثانوية العامة. **المستوى الثانى** تدريب عملى فى إحدى المكتبات لمدة عام على الأقل ويعقد الاختبار عملياً وشفوياً وتحريراً. وعندما يجتاز الطالب المستوى الأولى يمنح شهادة ولقب أمين مساعد؛ وعندما يجتاز المستوى الثانى يمنح شهادة ولقب «أمين مكتبة». وهذه الشهادات معتبر بها من قبل الدولة ومن قبل المحليات والبلديات.

والحقيقة أن تعليم علم المكتبات والمعلومات فى إسرائيل قد تأثر على الدوام بالتغيرات التى تحدث فى الرأى العام حول دور المكتبات فى المجتمع. وعلى سبيل المثال فإن «هوجو بيرجمان» يرى أن المكتبيين لأنهم يقومون بدور حيوى فى المجتمع فإن الوظائف العليا يجب أن يملأها مكتبيون يجرى تأهيلهم فى الخارج فى مدارس علم المكتبات، وحتى المكتبيون فى المكتبات المحلية الصغيرة يجب أن يتلقوا تعليماً مهنياً فوق المتوسط. ولقد ساعدهم «بيرجمان» على أن يكونوا حملة الثقافة إلى الجموع. ولكن فى منتصف الثلاثينات حل محل نموذج بيرجمان فى الإعداد المهنى لأمناء المكتبات نمط قصير غير أكاديمى من الدورات التدريبية العملية البحتة.

وبعد قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ حدث بطبيعة الحال نقص شديد فى المكتبيين الأكفاء وذلك بسبب التوسع فى إنشاء المكتبات ومراكز المعلومات، والنمو الاقتصادى الذى شهدته إسرائيل وخلق فرص عمل جديدة تتطلب موظفين مؤهلين تأهيلا أكاديمياً عالياً، وكانت جميعها أكثر إدراراً للمال على أصحابها من مهنة المكتبات. ولتدارك العجز فى عدد المكتبيين المؤهلين أنشئت مدرسة المكتبات فى الجامعة العبرية بالقدس فى العام الجامعى ١٩٥٦/١٩٥٧ (بدأت الدراسة فى نوفمبر ١٩٥٦) وقد وضع برنامج الدراسة وتصورها بالتفصيل البروفيسور «ليون كارنوفسكى» الأستاذ فى كلية الدراسات العليا للمكتبات فى جامعة شيكاغو مبعوثا من قبل اليونسكو وقد بنيت هذه المدرسة على النمط الأمريكى الذى يدرس علم المكتبات فى مرحلة ما بعد التخرج أى على مستوى الدراسات العليا. ونصح «كارنوفسكى» بألا تمنح هذه المدرسة درجة الماجستير ولكن درجة الدبلوم العالى ويحمل الحاصل عليه لقب أمين مكتبة مؤهل. وكانت حجته فى ذلك أن هذه المدرسة لم تكتمل لها آنذاك مقومات المدرسة المعتمدة من حيث: أساتذة متفرغون ومكتبة متخصصة ومعامل وبرنامج قومى من الناحيتين النظرية والعملية وبرنامج الماجستير يتطلب إعداد رسالة ويجب ألا نشجع على إعداد رسائل إلا إذا قامت المدرسة بوضع قائمة قوية بالموضوعات التى يتم التسجيل فيها وأيضا توفير المصادر والأدوات اللازمة لذلك. وقد اعتبر «كارنوفسكى» توصياته هذه

مرحلة مؤقتة وحلاً انتقالياً. وبعد فترة من الزمن كانت المدرسة قد وصلت إلى مستوى يتيح لها بدء برنامج الماجستير حيث أصبح لها أساتذة متفرغون للموضوعات الأساسية بها، وأكثر من تحسن الوضع المكتبى فى إسرائيل كثيرا عن ذى قبل ومن هنا منح مجلس شيوخ الجامعة العبرية المدرسة فى يونية ١٩٧٢ حق منح درجة الماجستير فى علم المكتبات. ومن ثم فإنه فى العام الجامعى ١٩٧٣/ ١٩٧٤ عُدِلت اللوائح والبرامج لتمنح المدرسة درجة الماجستير فى علم المكتبات إلى جانب دبلوم المكتبات. ويستغرق برنامج الماجستير سنتين ونصف على الأقل، بينما يقع برنامج الدبلوم فى سنة ونصف.

ولما كانت مدرسة المكتبات هى جزء من الجامعة العبرية فقد كان من الطبيعى أن تتخذ من المكتبة الوطنية والجامعية مقرّا لها ومعملاً لطلابها وأن يرتبط برباط وثيق.

ومن الطريف أنه حتى سنة ١٩٦٨ كان مدير المكتبة الوطنية والجامعية هو عميد مدرسة المكتبات فى نفس الوقت وظل هذا الأمر سارياً حتى تقاعد الدكتور «سى وورمان» حتى بدأ تعيين عميد المدرسة من بين أعضاء هيئة التدريس بها.

وفى سنة ١٩٦٣م اعترفت منظمة اليونسكو بهذه المدرسة كمشروع مكتبى مشترك وهو أمر يشجع على إجراء بحوث متخصصة ومهنية مشتركة تمولها اليونسكو. وكانت أول خطوة نحو تحقيق هذا الهدف الكبير إدخال تطوير شامل فى مناهج الدراسة وأسلوب العمل سنة ١٩٦٩ على النمط الأمريكى. وتقوم الدراسة فى هذه المدرسة الآن على أساس مقررات إجبارية ومقررات اختيارية. وعدد الساعات الإجبارية الكلية المطلوبة لبرنامج الماجستير ٤٥٠ ساعة، بينما الساعات الاختيارية فيه تدور حول ٣٣٠ساعة.

وفى برنامج الدبلوم يدور عدد الساعات الإجبارية حول ٣٦٠ساعة والاختيارية حول ١٨٠ ساعة ويعزى زيادة عدد الساعات على هذا النحو فى كلا البرنامجين إلى إدخال مقررات يهودية متخصصة ومتغلغلة فى الثقافة والحضارة اليهودية.

وبعد الإصلاح الذى دخل على الدراسة فى المدرسة تم إعطاء اهتمام خاص للمكتبات النوعية: الأكاديمية، العامة، المتخصصة ومراكز المعلومات، المكتبات اليهودية؛ وذلك على الرغم من أنه فى بلد صغير مثل إسرائيل من السهل الانتقال من نوع إلى آخر من المكتبات ومن عملية فنية إلى أخرى ومن خدمة إلى خدمة أخرى. ومما يجب ذكره فى هذا الصدد أن مقررات كثيرة فى علم المعلومات دخلت إلى مناهج هذه المدرسة فى مطلع السبعينات وهى تتطور مع الزمن. ويتخرج كل سنة من هذه المدرسة بضع مئات (٣٠٠-٥٠٠ خريج).

وفى سنة ١٩٧٢م افتتحت جامعة حيفا «مدرسة الدراسات العليا فى المكتبات» لتمنح الدبلوم العالى فى علم المكتبات والمعلومات. وهذا الدبلوم يستغرق عامين دراسيين والدراسة هنا تجنح نحو التأطير والتأصيل أكثر من الفنيات وتحاول أن تقدم مدخلاً شاملاً يركز على دور المكتبة فى المجتمع. وهذه المدرسة موجودة فى كلية الإنسانيات بالجامعة المذكورة ولذلك تأثرت بالتوجه العام لهذه الكلية.

وفى سنة ١٩٧٣ قامت جامعة بارعيلان هى الأخرى بافتتاح «مدرسة علم المكتبات» وهى تمنح دبلوماً عالياً فى المكتبات والببليوجرافيا يلتحق به الحاصلون على الدرجة الجامعية الأولى.

شأنها فى ذلك شأن المدرستين الأخريين. وفى نفس الوقت هناك دراسة على مستوى الدرجة الجامعية الأولى مع مجال آخر (المجالان يدرسهما الطالب على نفس القدر).
بقى أن نقول بأن جامعة بارعيلان هى الجامعة الدينية الوحيدة الموجودة فى إسرائيل.

فى سنة ١٩٦٨/١٩٦٩، ١٩٧٠/١٩٧١ على التوالى قام مركز المعلومات العلمية والتكنولوجية بتنظيم دورتين تدريبيتين رفيعتى المستوى للموثقين وعلماء المعلومات بالتعاون مع معهد فايتسمان.

وفى سنة ١٩٨٥ قامت جامعة حيفا باستحداث برنامج دراسى عام على مستوى الدرجة الجامعية الأولى ضمنته عدداً كبيراً من مقررات المكتبات والمعلومات ولكنه لا

يقود إلى درجة مهنية فى المكتبات، وكثير من الطلاب يختارون مقررات المكتبات على أنها مقررات إجبارية ومتطلبات جامعة.

وفى الثمانينات أدرك المكتبيون الإسرائيليون أن الدورات التدريبية غير الأكاديمية التى كانت تنظم فى الستينات لم تكن كافية ولا مجدية فى تأهيل أمناء المكتبات وخاصة بالنسبة لأمناء المكتبات العامة، وأن المكتبيين يجب أن يحصلوا على قدر أوسع من التأهيل والتعليم؛ ولذلك قام مجلس المكتبات العامة بإدخال تعديلات وتغييرات هامة فى البرامج غير الأكاديمية ورفع مستواها إلى مستوى تلك البرامج التى تعد لمدرس المدارس الابتدائية وكان أول تلك البرامج المطورة قد بدأته مدرسة التربية فى جامعة حيفا سنة ١٩٨٦ وأدى إلى منح درجة «مكتبى مرخص».

وعلى جانب التجمع المهنى للعاملين فى المكتبات فى إسرائيل فإننا نصادف ثلاث تجمعات أولها اتحاد المكتبات الإسرائيلية الذى أسس سنة ١٩٥٢، وينقسم إلى أربعة قطاعات أساسية: المكتبات الجامعية؛ المكتبات العامة؛ الدراسات اليهودية؛ أمناء المكتبات المتخصصة. وقد بدأ الاتحاد أساسًا اتحاد أفراد وليس اتحاد مؤسسات وحتى الآن ترفض المكتبات كمؤسسات الانضمام إليه وقد بدأ الاتحاد فى الخمسينات ببضع مئات قليلة من المكتبيين، زادوا فى منتصف السبعينات إلى ١٢٠٠ عضو وفى نهاية التسعينات من القرن العشرين ارتفع العدد إلى الضعف أى حوالى ٢٥٠٠ عضو. وقد سبق القول بأن الاتحاد ينظم مسألة الترخيص لغير المؤهلين أكاديمياً. ومن أنشطته نشر الدورية المتخصصة «ياد لاركوريه»، والفهرسة المركزية، وبرامج التعليم المستمر، وإن كان بعضها قد نقل إلى مركز إرشاد المكتبات العامة ومدرسة المكتبات العليا.

وثانى التجمعات المكتبية «الجمعية الإسرائيلية للمكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات» التى أنشئت سنة ١٩٦٦ ومن بين أهدافها:

«تشجيع ودعم الإفادة من المعلومات من خلال المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات؛ وضع المعايير والمواصفات والمقاييس المهنية فى إسرائيل؛ تيسير الاتصال المكتوب والشفوى بين الأعضاء؛ تنظيم المحاضرات العامة والمؤتمرات وحلقات البحث

المهنية بين الأعضاء؛ نشر الإنتاج الفكرى المهنى؛ التعاون مع الارتباط بالمنظمات الأخرى ذات الأهداف الشبيهة أو الاتجاهات الحليفة سواء داخل إسرائيل أو خارجها».

ولقد نشطت هذه الجمعية نشاطًا ملحوظًا فى السبعينات والثمانينات والتسعينات فى تحقيق الأهداف المشروحة بعاليه. وهى تنشر دورية متخصصة باسمها تتناول فيها قضايا المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات.

وقد دعى الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها إفلا سنة ٢٠٠٠م لعقد مؤتمره السنوى فى مدينة القدس وقد نبه صاحب هذه الموسوعة سنة ١٩٩٧م إلى خطورة ذلك الأمر وطالب بعقد مؤتمر الضد فى إحدى العواصم العربية ومقاطعة مؤتمر القدس مقاطعة عربية واسلامية شاملة وتحرك شخصيا فى هذين الاتجاهين وفعلا تمت المقاطعة وعقد مؤتمر الضد فى القاهرة فى نفس وقت انعقاد مؤتمر القدس فى شهر أغسطس سنة ٢٠٠٠ وكان للأمرى صدى عميق فى نفوس المكتبين العرب والمسلمين.

المصادر

1- Adler, Israel. The Standing Committee of the National and University Library in Israel ..in.. ISLIC Bulletin.. vol.3, August, 1971.

2- Avni, Hanan. Information Centers in Israel ..in.. ISLIC Bulletin.- Vol.3, August 1971.

3- Ben, Menahem, M.N.A Complete Hebrew Bibliograiphy ..in.. UNESCO Bulletin for Libraries.. Vol. 17, May - June, 1963.

4- Carnovsky, Leon. Report on a Programme on Library education in Israel.. Paris: UNESCO, 1956. (UNESCO Technical Assistance Reports no .1).

5- Deligdisch, y.and R.Cohen. Public Library development in Israel .. in.. Library Association Record.. Vol. 67, December 1965.

6- Delougaz, N.Library training in Israel._in._ UNESCO Bulletin for Libraries._ Vol.11, April, 1957.

7- Elgad, R.Computerization of information activities in Israel._in._ ISLIC Bulletin._ Vol.3, August 1971.

8- Foster, B.Some Israeli Libraries._in._ International Library Review._ vol.5. October. 1973.

9- Hay, D. The Jewish National and University Library._in._ Library Association Record._ vol.46,1944.

10- Hoffman- Pfeffer, Carol. Israel._in._ Encyclopedia of Library History._ New York and London: Garland publishing House, 1994.

11- Kaplan, A.Israel: Libraries in a state of siege._in._ Wilson Library Bulletin._ vol.44, June 1970.

12- Rothschild, J.Israel, Libraries and Information Services in._in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York: Marcel Dekker, 1975.vol.13.

13- Schidorsky, Dov B.The emergence of Jewish public Libraries in Nineteenth Century Palestine._in._ Libri._ vol.32,1982.

14- Sever, Shmuel. Israel._in._ Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago: A.L.A, 1993.

15- Sever, Shmuel. Library education in Israel._in._ Journal of Education in Librarianship._ 1981.

16- Weil, A.Publishing and printing in Israel._in._ ISLIC Bulletin._ vol.3, August 1971.

17- Wormann, C.D.Education for Librarianship in Israel._in._ Library Trends._ vol. 12, October, 1963.

18-Wormann, C.D. The Scientific libraries of Israel._in._ UNESCO Bulletin for Libraries._ vol.8, January 1954.

الإسكندرية، مكتبة البلدية (المحافظة)

Alexandria -The Municipality Library

عن مكتبة الإسكندرية

أنشئت المكتبة عام ١٨٩٠ وفى الستينات عرفت باسم مكتبة المحافظة. وكانت ملحقة بالمحافظة.

وفى عام ١٩٣٢ انتقلت إلى شارع ابن الدرداء.

فى عام ١٩٣٨ استقرت بشارع منشا بمحرم بك فى إحدى فيلات البارون منشا «التى وهبهما للمدينة لتكون دار الكتب».

فى عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية سقطت قنبلة فى فناء الفيلا وهدم الفيلا.

فى عام ١٩٤٧ أعيد بناء المكتبة وهى موجودة حاليًا وتتكون المكتبة من قاعتين للاطلاع وثمان مخازن لحفظ الكتب منها مخزن خاص بالمخطوطات الأثرية حيث أقدم مخطوط بالمكتبة منذ حوالى ١٣٠٠ سنة.

تراث المكتبة

تضم المكتبة حوالى ٣٠٠ ألف مجلد وكتاب فى مختلف العلوم والآداب العربية والأوروبية و مختلف اللغات العربية والشرقية ـ كما تضم حوالى ٥٠٠٠ مخطوط من أقدم المخطوطات فى العالم. وتضم أيضا كتاب وصف مصر الذى وضعته الحملة الفرنسية فى ١١ مجلد مزودة بالصور التى تصور الأحداث فى فترة الحملة الفرنسية على مصر بالصور ـ و ٢٦ مجلد شرح لتلك الأجزاء.

والمكتبة تتعامل مع حوالى ٥٠٠٠٠ ألف مستعير من مختلف المستويات والمؤهلات والطبقات والجنسيات.

محتويات المكتبة

القاعة المفتوحة: ومتاح لأى فرد زائر دخولها بموجب بطاقته الشخصية حيث بها نماذج من الكتب التى تضمها المكتبة من مختلف العلوم. وله حق الاطلاع على أى منها كيفما يشاء.

قاعة المطالعة: لأى زائر للمكتبة حق الاستعارة الداخلية بموجب بطاقته الشخصية أو العائلية أو بالاستعارة الخارجية بموجب كونه يحصل عليه من المكتبة مجانا وبدون أى رسوم بعد استيفاء بيانات ضمانة الاستعارة وهى استمارة يحصل عليها المستعير مجانا من إدارة المكتبة واعتمادها من إدارة المكتبة واعتمادها من جهة عمل الضامن - بعدها يكون للمستعير الحق فى استعارة كتابين لمدة أسبوعين على أن يكون هناك أكثر من نسخة من الكتاب المستعار ولم يمض عليه خمسون عاما.

ثم يعيدها المستعير ويستعير غيرها إن شاء ذلك، ومدة سريان الكرنيه عام كامل من يناير إلى ديسمبر.

قاعة الفهارس: وتضم صناديق الفهارس التى تفيد وجود الكتاب بمخازن المكتبة (ويعد للاستعارة لكونها تضم بطاقات الكتب وفهرستها) من حيث اسم الكتاب واسم المؤلف واسم الموضوع وهى مرتبة ترتيبًا أبجديًا مما يسهل للمستعير الحصول على الكتاب المطلوب.

وتضم المكتبة عدد من المخازن منها الكتب الأوروبية والمطبوعة والأخرى الغربية ويبدأ كل مخزن برقم وينتهى برقم بحيث يسهل للعاملين سرعة الحصول على الكتاب المطلوب.

وللمكتبة مبنى آخر هو مبنى الإدارة حيث يوجد به مكتب المدير وقسم الشئون المالية والإدارية وشئون العاملين والمطبعة والتجليد والتسجيل والفهرسة والتصنيف والسكرتارية والعلاقات العامة.

تخص المكتبة من فصل الصيف قاعة خاصة معدة لمكتبة الأطفال وذلك من شهر

يوليو حتى شهر سبتمبر من كل عام على أن لا يقل سن الطفل عن ست سنوات والا يزيد على خمسة عشر سنة.

بيان التصنيف والفهرس للكتب العربية

معارف عامة: من رقم ١ إلى رقم ٠٩٩

الفلسفة: من رقم ١٠٠ إلى رقم ١٩٩

الديانات المختلفة: من رقم ٢٠٠ إلى رقم ٢٩٩

العلوم الاجتماعية: من رقم ٣٠٠ إلى رقم ٣٩٩

اللغات: من رقم ٤٠٠ إلى رقم ٤٩٩

العلوم البحتة: من رقم ٥٠٠ إلى رقم ٥٩٩

علوم تطبيقية: من رقم ٦٠٠ إلى رقم ٦٩٩

الفنون: من رقم ٧٠٠ إلى رقم ٧٩٩

الآداب: من رقم ٨٠٠ إلى رقم ٨٩٩

التاريخ: من رقم ٩٠٠ إلى رقم ٩٩٩

الإسكندرية، المكتبة القديمة ومشروع إحيائها

Ancient Alexandrian Library and its revival nowadays

تعتبر مكتبة الإسكندرية القديمة أكبر وأضخم مكتبات العصور القديمة والوسطى على السواء؛ حفظت الفكر الانسانى لمدة تطول إلى ستة قرون على الأقل وقد تمتد فى نظر البعض إلى تسعة قرون عددا.

ولم تكن مكتبة الإسكندرية مجرد مكتبة لحفظ وتنظيم وتحليل وتيسير الإفادة من مصادر المعلومات ولكنها كانت أكاديمية كاملة لترقية العلوم وتطويرها ومكانا لإجراء التجارب ومدرسة لتعليم العلوم ومكانا للبحث والدرس يؤمه العلماء من كل حدب وصوب.

بيد أن مكتبة الإسكندرية كانت لغزًا فى نشأتها وكانت لغزًا فى مصيرها ونهايتها. هى لغز لم نستطع حتى الآن حله فيمن أنشأها والدوافع الحقيقية والأسباب الكامنة خلف إنشائها، هى لغز فى مصيرها ونهايتها؛ متى اختفت المكتبة من الوجود؟ وكيف اختفت؟ هل احترقت أم حرقت؟ من أحرقها؟ هل هم الرومان أم المسيحيون أو المسلمون؟ وإذا لم يكن الحريق هو السبب فى اختفائها فلماذا لم يصلنا منها شيء البتة؟ هل اختفت بفعل الشيخوخة وعوادى الزمن الطبيعية؟

المشكلة الحقيقية فى الإجابات على كل هذه الأسئلة هى أننا لا نملك أية أدلة نقلية مادية وكل ما لدينا هو أدلة عقلية ومرويات وسوف نحاول على الصفحات التالية أن نبسط تاريخ مكتبة الإسكندرية القديمة نشأة ومصيرا عارضين لكل وجهات النظر التى قيلت فى هذا الصدد.

وفى نهاية القرن العشرين جرى مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية أى بعد نحو خمسة عشر قرنا من اختفائها؛ وسوف نحاول أيضا فى نهاية بحثنا هذا أن نعرض لخطوط مشروع الإحياء القائم وما وصلت إليه الجهود المبذولة فى هذا السبيل.

البيئة والظروف التى نبتت فيها مكتبة الإسكندرية القديمة

تذكر المصادر أن الذى خطط لإنشاء مكتبة الإسكندرية هو «الإسكندر الأكبر» مؤسس مدينة الإسكندرية نفسها، بيد أنه لم يقم بتأسيس المكتبة نفسها بل توفر خلفاؤه على ذلك الأمر بناءً على ما وضعه لها من خطط ومن هنا تكون المكتبة قد بدأت أولى خطواتها فى وقت ما خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

ولما كانت المكتبة هى بنت بيئتها وظروفها فلابد لنا أن نتوقف بداية أمام البيئة والظروف التى نشأت فيها المكتبة وأثرت على مسيرتها.

تنتمى المكتبة تاريخيا إلى العصور القديمة، تلك العصور التى يحدد المؤرخون نهايتها بنهاية القرن الخامس الميلادى. كما تنتمى المكتبة جغرافيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، وتنتمى فكريا إلى حضارة العالم المعروف آنذاك كله.

من حيث الانتماء التاريخى والجغرافى كانت هناك الحضارة المصرية والحضارة الهللينية وكانت هناك الحضارة الرومانية وكانت هناك الحضارة الفينيقية.. وعلى بعد مرمى حجر كانت هناك الحضارة الفارسية والعراقية القديمة فى ظل مزيج من هذه الحضارات قامت مكتبة الإسكندرية وتطورت واختفت.

مصر

والحضارة المصرية هى أقدم حضارات العالم وأكثرها خصوبة بل وأطولها عمراً، وهى حضارة مغلقة لا آباء لها لم تخلف أحداً ولم تأخذ من أحد وهى من صنع الإنسان المصرى العظيم الذى عاش على ضفاف النيل؛ ويقول عنها أرنولد توينبى أنها امتدت على مدى ألفى عام، كما أن لها أطول خاتمة حضارة فى التاريخ ألفى عام أخرى تقوم فيها وتكبو إلى أن انتهت وطمست معالمها.

على أرض مصر بدأت أولى محاولات الإنسان فى اختراع «الكتابة» كرموز يسجل بها المرء المعلومات التى يفرزها من رأسه. وقد بدأت الكتابة عن طريق التصوير ثم تطورت إلى كتابة مقطعية ثم إلى كتابة أبجدية وأول وأصل الأبجديات جميعا هى الأبجدية السينائية التى أخذها الفينيقيون وطوروها ونشروها فى جميع أنحاء العالم، والعالم مدين لهذه الأبجدية بأبجدياته جميعا سواء تلك التى اندثرت أو تلك التى ماتزال قيد الاستخدام.

لقد عرف المصريون القدماء أربعة كتابات أو خطوط: الكتابة الهيروغليفية التى كانوا يكتبون بها أساسًا على الآثار وهى الكتابة الرسمية؛ والكتابة الهيراطيقية التى اشتقها الكهنة من الكتابة الهيروغليفية لاستخدامهم الخاص بالكتابات الدينية الكهنوتية ولذلك لم تنتشر إلا بينهم؛ والكتابة الديموطيقية التى اشتقتها طوائف لاستخدامها فى التعليم والأغراض اليومية؛ ثم الكتابة السينائية وهى كتابة أبجدية

كاملة لم تنتشر بين أفراد الشعب انتشاراً كبيراً لأن الظروف لم تكن مواتية حيث كانت الحضارة المصرية تواجه المتاعب تلو المتاعب إلى أن قام الفينيقيون الذين كانوا يعملون فى مناجم الفيروز فى سيناء بتطويرها ونشرها فى حوض البحر الأبيض المتوسط وحيث وصلت مستعمراتهم، ثم قامت العلاقات الدولية بعد ذلك بمد موجاتها إلى جميع أنحاء العالم. وكانت الأبجدية السينائية هذه تتألف من أربعة وعشرين حرفًا وعرفت فى نحو سنة ٣٠٠٠ ق. م. ولكن اكتشاف الفينيقيين لها وتطويرهم إياها كان فى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد:ـ

واللغة المصرية القديمة هى لغة سامية بالدرجة الأولى دخلتها عناصر حامية إفريقية وهى تقترب إلى حد كبير من اللغة العربية التى كان يتكلمها سكان الجزيرة العربية وبلاد الشام وشمالى إفريقيا. ويقسم بعض الباحثين تاريخ اللغة المصرية القديمة إلى خمس مراحل.

١ ـ المصرية القديمة حتى حوالى ٢٢٠٠ ق. م.

٢ ـ المصرية الوسيطة من ٢٢٠٠ ق. م. حتى ١٦٠٠ ق. م.

٣ ـ المصرية المتأخرة من ١٥٥٠ ق. م حتى ٧٠٠ ق. م.

٤ ـ المصرية الشعبية من نحو ٧٠٠ ق. م حتى القرن السابع الميلادى.

٥ ـ المصرية العربية من القرن السابع حتى الآن.

وفى رأيى الشخصى أن الفروق بين اللغة المصرية وتلك التى كان يتكلمها أهل الجزيرة العربية والشام وشمالى إفريقيا من جهة، وبين المراحل المختلفة فى اللغة المصرية القديمة، هى فروق لهجات وليست فروق لغات. والحقيقة أن ما أفسد قراءتنا ومعرفتنا باللغة المصرية القديمة هو أننا قرأناها عن طريقة لغة وسيطة ـ اللغة اليونانية القديمة ـ ومن ثم فإننا لم نقرأها حق قراءتها ولم نعرفها حق معرفتها.

ولقد ظهرت على أرض مصر أولى مواد الكتابة المصنعة لهذا الغرض خصيصًا ونقصد بها ورق البردى الذى صنعه المصريون القدماء من سيقان نبات البردى الذى كان ينمو على ضفاف النيل والبرك والمستنقعات نمواً طبيعيا ثم أخذ المصريون فى

زراعته خصيصًا لذلك الغرض. وانتشرت مصانع ورق البردى انتشارًا كبيرًا وصدره المصريون إلى جميع دول حوض البحر الأبيض المتوسط وغدا من السلع الاقتصادية المدرة للربح على الفرد والدولة ويقال أن أحد أباطرة الرومان كان يمول جيوشه المحاربة من دخل ورق البردى.

ومن المعروف أن ورق البردى كان يتاح على شكل لفافات وتتألف كل لفافة من عدة دروج وربما يصل طول اللفافة الواحدة أحيانا إلى مائة قدم على حسب كمية المادة العلمية التى تكتب عليها.

وتأنق المصرى القديم فى صناعة أدوات الكتابة من أقلام وأحبار ومحابر ومديات لبرى الأقلام، ومايزال الحبر الذى كتبوا به على ورق البردى ظاهرًا واضحًا كأنه غنى فقط بالأمس القريب؟.

يوصف الشعب المصرى القديم بأنه كان شعبا يذهب إلى المدرسة حيث كان التعليم لدى المصرى القديم مسألة مقدسة؛ وكانت الكلمة المكتوبة ذات مكانة خاصة، ولذلك كان العلم ينتقل فى الزمان والمكان كتابة وليس عن طريق التواتر والمشافهة، وتقديس الكلمة المكتوبة هى أحد أسرار عظمة الحضارة المصرية القديمة. وقد وصلتنا نصوص عديدة تؤكد على مكانة الكتاب وأهمية التعليم من بينها ما ورد بين نصائح الحكيم «خيتى بن دواوف» لابنه بيبى وهو يدخله المدرسة «ضع قلبك وراء الكتب فما من شىء يعلو على الكتب... ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر مما تحب أمك وليتنى أستطيع أن أريك جمالها؛ إنها أعظم من أى شىء آخر» وجاء فى نصائح «آنى» لابنه «خنس حتب» ما نصه: «خصص نفسك للكتب وضعها فى قلبك وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازًا» وفى إحدى البرديات وصف لما ينتظر الميت فى العالم الآخر من أنه «سوف يحصل على الملابس والقوت بجوار الكتب».

لقد بلغ المصريون القدماء فى البحث العلمى والتأليف درجة عالية رفيعة ومقامًا محمودًا، وغطت الكتب التى ألفوها جميع فروع العلم والمعرفة ومن بينها علوم لا نعرفها اليوم.

عرف المصريون القدماء الله الواحد الأحد ذا التسعة والتسعين اسمًا، وعرفوا الآخرة والبعث والنشور؛ ولم تنتشر الأساطير بينهم لأنه كانت لهم فى الأعم الأغلب تفسيرات علمية عملية لكل أو جل الظواهر الكونية؛ ومن ثم لما يلجأوا إلى اختراع أساطير يفسرون بها تلك الظواهر.

لقد راجت صناعة الكتب وتجارتها رواجًا عظيما لاتساع رقعة التعليم والعلم والثقافة والكهانة؛ وإن كان هناك كتاب أروج من الجميع وأقدس من الجميع وأعنى به «كتاب الموتى» وهذا الاسم لم يطلقه المصريون القدماء على ذلك الكتاب إنما نحن الذين سميناه بهذا العنوان ولكن الاسم الذى سماه المصريون به هو «ما سوف يحدث فى الآخرة». وكتاب الموتى ليس كتابا واحدًا وإنما هو عدة كتب أو عدة فصول فى واحد، حيث يقع فى ١٩٢ فصلاً أو موضوعًا، ويتضمن النصائح التى تساعد الميت على التقدم نحو الحياة الأبدية فى الآخرة.

وكانت وظيفة الكاتب من الوظائف العليا فى مصر القديمة وأكثرها احتراما، سواء انصرف هذا المصطلح إلى الناسخ أو إلى المؤلف. ولقد وصلنا نص بعنوان «كن كاتباً» يؤكد ليس فقط على المكاسب المادية لمهنة الكتابة وإنما أيضا على المكاسب الأدبية وفرصة الخلود. يقول النص «المرء يتحلل وجسمه يصير ترابًا وتختفى عشيرته جميعا ولكن كتاباً واحداً يخلد ذكره من خلال فم مرتله وقارئه».

لقد استتبع الإنتاج الفكرى الغزير والعظيم والمتنوع الذى كان ينشر على أرض مصر، إنشاء دور الكتب التى تجمع ذلك الإنتاج وتنظمه وتحفظه وتيسر الانتفاع بما فيه من معلومات. وقد عرفت مصر فى العصور القديمة أنواعا شتى من المكتبات من بينها مكتبات المعابد ومكتبات القصور الفرعونيةِ (قصر الحكم) ومكتبات الأكاديميات أو الجامعات بمفهومنا الحاضر ومكتبات المدارس بل والمكتبات الخاصة وقد وصلنا عقد توظيف أمين مكتبة لدى سيدة عندها مكتبة فى بيتها. وكان لأمين المكتبة وضع متميز فى مصر القديمة لدرجة أن أمين مكتبة القصر الفرعونى كان يعين بحكم وظيفته عضواً فى مجلس الثلاثين الحاكم وكان مجلسه إلى جوار الفرعون وأشهر أمين مكتبة فى التاريخ «تحوت» وأشهر أمينة مكتبة فى التاريخ «حاتحور».

وتبرز مكتبة «رمسيس الثانى» فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد كأضخم وأكبر مكتبة فى العصور القديمة قبل مكتبة الإسكندرية فى القرن الثالث ومكتبة آشوربانيبال فى القرن السابع قبل الميلاد.

العراق

كانت هناك فى نفس وقت الحضارة المصرية حضارة أخرى نبتت فى بلاد الرافدين (العراق القديم)، وكانت هى الأخرى حضارة مغلقة لم ترث حضارة سابقة عليها ولم تشكلها عوامل خارجية. وبينما كانت الحضارة المصرية حضارة موحدة إلا أن الحضارة العراقية كانت حضارة مقسمة حيث تعاورتها جماعات عرقية ولغوية مختلفة فقد كان هناك السومريون فى الجزء الجنوبى من بلاد الرافدين منذ الألف الرابعة قبل الميلاد والذين انحدر منهم الأكاديون فى منتصف الألف الثالثة ثم كان هناك البابليون فى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد، وفى نفس الفترة جاء معهم الآشوريون فى الشمال إلى أن اجتاح ملوك الأخاميند الفرس الشرقى الأدنى منذ ٥٣٨ ق. م وزحفوا إلى مصر سنة ٥٢٥ق. م.

ورغم أن العراقيين القدماء كانوا أهل علم وثقافة وحضارة، إلا أن العلم والتعليم والثقافة كانت مسألة قاصرة على الصفوة فقط ولم تكن للعامة على النحو الذى صادفناه فى الحضارة المصرية القديمة.

ولقد اخترع العراقيون القدماء هم الآخرون كتابة خاصة بهم يسجلون بها المعلومات ويدونون بها الوثائق عرفت باسم الكتابة المسمارية أو الخط المسمارى. وقد بدأت هى الأخرى كتابة تصويرية ثم مقطعية ثم أبجدية وقد سميت بالمسمارية نسبة إلى المسمار أو الوتد الذى كانوا يستعملونه فى خط الكتابة على ألواح الطين التى استخدموها للكتابة.

وإذا كان المصريون القدماء قد صنعوا من نبات البردى مادة أو وسيطا يكتبون عليه وهو أساسًا مادة من البيئة المصرية الصميمة فإن العراقيين قد استخدموا الطين الصلصال الذى تجود به تربة بلاد الرافدين الخصبة فى صناعة ألواح أو قوالب من

طين يخطون عليها كتابتهم وهى طرية نيئة ثم يجففونها فى حرارة الشمس أو فى أفران خاصة فتثبت الكتابة عليها وتعيش آماداً طويلة. وإذا كانت النار عدواً لدوداً لورق البردى المصرى فإنها كانت صديقًا لألواح الطين العراقية، ومن هنا وصلنا معظم ما خطه العراقيون القدماء من كتب بينما لم يصلنا سوى النزر اليسير مما أنتجه المصريون القدماء من إنتاج فكرى. وبينما كانت لفافة البردى تحمل كميات كبيرة من المعلومات فى حيز صغير كان الكتاب العراقى يحتاج إلى كميات كبيرة من ألواح الطين تحتل حيزا كبيراً.

لقد استخدم العراقيون القدماء إلى جانب ألواح الطين مواد أخرى للكتابة عليها كالأحجار والنحاس والبرونز وألواح الخشب المغطاة بالشمع وأسرف البعض فاستخدم ألواح العاج وكان اللوح يضم إلى اللوح أحيانا ليؤلف كتابا وقد وصلتنا كتب فى خمسة عشر لوحًا موصولة معًا من أطرافها.

وكان القلم الذى يكتب به العراقيون عادة عبارة عن وتد أو اسفين مصنوع من البوص أو الخشب الصلب أو العاج أو العظام أو المعدن. وكانت أعواد الغاب متوافرة توافر الصلصال نفسه داخل بلاد الرافدين حيث كانت تنمو بكثرة وغزارة ولذلك استخدمت لصنع أقلام البوص منها وكانت تلائم تماما الكتابة المسمارية نفسها.

وتعكس الألواح الطينية المكتشفة حتى الآن وهى تعد بعشرات الآلاف، عن الموضوعات التى كان العراقيون القدماء يكتبون فيها. ويظهر من الألواح التى تمت قراءتها أن ٩٠٪ من تلك الألواح عبارة عن تقارير اقتصادية وإدارية عن الزراعة والصناعة فى بلاد ما بين النهرين، وعقود ونصوص قانونية وسجلات تجارية ومراسلات سياسية وحسابات فلكية وتقاويم. وجانب من تلك الألواح عبارة عن نصوص سحر وكتب فى الرياضيات والفلك وخرائط جغرافية وتخطيطات عمرانية ورسائل طبية ووصفات علاجية وكتب فى المصنعات ومن بينها كتب فى صناعة الزجاج. لقد كانت هناك قواميس لغوية منذ ٢٥٠٠ ق. م: قواميس أحادية اللغة للغة السومرية فى البداية ثم ظهرت القواميس ثنائية اللغة بعد ذلك. ومن أطرف القواميس التى وصلتنا بعض معاجم المصطلحات ومنها معجم يضم ٩٧٠٠ مصطلح

على أربعة وعشرين لوحًا ـ وقد وصلتنا دائرة معارف متخصصة فى الاقتراض والفائدة. كما وصلتنا أعمال أدبية وتاريخية وأساطير وملاحم. وكانت هناك ترجمات تتم من البابلية إلى الآشورية والعكس. وقد عرف الكتاب العراقى القديم الصور والرسوم التوضيحية.

وقد عرف العراق القديم الكاتب بمعنى الناسخ والموثق وبمعنى المؤلف وكانت له كما هو الحال فى مصر مكانة كبيرة فى المجتمع وحيث لم يكن فى العراق القديم سوى نسبة محدودة من المتعلمين (٢ ـ ٥٪ من مجموع السكان).

فى العراق القديم كانت أيضا نشأة الكتاب العبرى، ذلك الكتاب الذى كانت له جنسية ولكن لم يكن له وطن والذى عاش فى الشتات مثل جنسيته، قد عاش فى العراق حينًا ثم عبر إلى الشام ثم عبر إلى مصر من الشام وعاد إلى الشام مرة أخرى

وكان للإنتاج الفكرى الغزير الذى نشر فى العراق القديم أثره المباشر فى إنشاء العديد من المكتبات التى تجمع وتنظم هذا الإنتاج الفكرى وتيسر الإفادة منه. ولما كان من مميزات الألواح الطينية التى كتب عليها هذا الإنتاج قوة التحمل والاستعصاء على البلى فقد وصلنا عدد كبير من مكتبات العراق القديم وكان حظنا أوفر فى الحصول على معلومات عن التنظيم الداخلى والتصنيف المتبع فيها.

ويعتبر عمود حمورابى الذى كان يقام فى الميادين والأسواق العامة بجميع المدن فى العراق، بمثابة مركز معلومات تسجل عليه الانتصارات الحربية والقرارات الملكية. ولقد كانت هناك مكتبات فى القصور الملكية والمعابد ومن بين المكتبات العراقية القديمة مكتبة آشوربانيبال فى نينوى فى القرن السابع قبل الميلاد ومكتبة كلاش فى الألف الثالث ومكتبة نيبٌور وغيرها. ومن حسن الحظ أنه وصلنا قدر كبير من محتويات تلك المكتبات.

فينيقيا

والفينيقيون فى الشام هم الآخرون كانت لهم حضارة عظيمة وينسب إليهم الفضل فى أنهم حملوا الأبجدية السينائية إلى حيث حلت رحالهم فى جنوب وشمال

وشرق البحر الأبيض المتوسط. وقد كتب الفينيقيون فى الشام بادىء ذى بدء بالخط المسمارى ولكنهم بعد أن اعتنقوا الخط السينائى وطوروه كتبوا به. ولما كانت فينيقيا (كنعان) تقع بين حضارتى العراق القديم من الشرق ومصر القديمة من الغرب فكان لابد وأن تستعير من كل منهما شيئًا على الأقل فى مواد الكتابة إذ كتبوا على ورق البردى المستورد من مصر وعلى ألواح الطين المأخوذة من العراق. وقد وصلتنا من أرض كنعان كتب كثيرة تعالج الحياة الاقتصادية فى الزراعة والتجارة والتعاملات المالية والاتفاقات الاقتصادية. كما وصلتنا كتب دينية وسحر وتعازيم وتعاويذ ورقى وأدعية وأناشيد؛ كما وصلتنا كتب فى الأدب والفكر والقصص والحكم والأمثال والأساطير. ووصلتنا كذلك نصوص تعالج الحياة السياسية الداخلية والخارجية من مراسيم ومراسلات ومعاهدات خارجية وتقارير داخلية وتراجم قادة وملوك وأمراء.

وطالما ازدهرت حركة إنتاج الكتب فى فينيقيا كان لابد للمكتبات أن تزدهر فكانت هناك مكتبات رسمية ومكتبات شخصية. ومن بين المكتبات التى ازدهرت مكتبة مارى وكانت مملكة مارى السورية قد ازدهرت فى الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد. كما كانت هناك المكتبة الملكية فى إيبلا التى تقع على بعد خمس وخمسين كيلو مترا الآن من حلب فى الجنوب الغربى وترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. ومن المكتبات الشهيرة أيضًا مكتبة أوجاريت (رأس شمرا الآن)، تلك المملكة التى ترجع إلى نهاية الألف الثانى قبل الميلاد. وإلى جانب تلك المكتبات الرسمية كانت هناك مكتبات شخصية فى بيوت الأمراء والموظفين الملكيين وغيرهم من الشخصيات الهامة.

بلاد فارس

ومن الحضارات التى وجدت فى المنطقة وألقت بظلالها على مسيرة الحضارات الأخرى الحضارة الفارسية. ويعتبر «قورش» هو مؤسس الأمبراطورية الفارسية فى القرن السادس قبل الميلاد وزحف إلى بلاد بابل واستولى عليها ثم زحف إلى بلاد الشام حتى دانت له كل آسيا الغربية وإن كان قتل سنة ٥٢٨ ق.م فى بعض الحروب

إلا أن ابنه قمبيز واصل فتوحات أبيه وزحف على مصر واستولى عليها سنة ٥٢٥ق.م وهكذا امتدت مملكة الفرس فى غضون ربع قرن من النيل إلى الشام ومن بحر إيجه إلى الهند.

ومن الثابت تاريخيًا أن الفرس قد استوعبوا الحضارات التى سبقتهم فى المناطق التى فتحوها وخرجوا من هذا كله بحضارة جديدة.

وكانت حكومة الفرس تستخدم لغتين الآرامية والفارسية وحتى فى لغتهم الفارسية استخدموا الأبجدية الآرامية، واخترعوا أيضا أبجدية أخرى مسمارية تتألف من ٣٩ حرفًا. ويعتبر داريوس من أهم ملوك الفرس الذين وضعوا نظاما إدارياً فذاً فى إدارة الإمبراطورية المترامية. وبعد فك رموز الكتابة الفارسية على يد رولنسون كان ذلك فتحًا عظيما منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث استطاع العلماء قراءة الكتب المكتوبة بالخط المسمارى سواء فى بلاد فارس أو بلاد ما بين النهرين.

كانت حركة الإنتاج الفكرى فى بلاد الفرس متأثرة بما وجد فى الدول التى فتحوها ولذلك تناولت الكتب التى خلفوها لنا مجالات عديدة فى الاقتصاد والسياسة والدين الذى كان له دور كبير فى حياة الفرس، وكذلك الأدب والجغرافيا والتاريخ. وكانت المادة الأساسية التى كتب عليها الفرس قد استعاروها من العراق القديم أى ألواح الطين. وكان من الطبيعى أن يأخذوا فكرة المكتبات منهم أيضا فأنشأوا دور الكتب ليضعوا فيها الكتب التى أبدعوها والتى استولوا عليها أيضًا من المناطق التى فتحوها.

اليونان

وإذا اتجهنا صوب الحضارة اليونانية فى العصور القديمة سوف نجد أن اليونانيين فى بادىء أمرهم لم يكونوا سوى مجموعة قبائل من الجنس الهندوأوربى وفى نحو سنة ٢٠٠٠ ق. م كانت تلك القبائل ترحل من مكان إلى مكان وراء الكلأ والمراعى وكانوا مثل عرب الجزيرة العربية أجلافًا ليس لديهم لاعلم ولا أدب ولافن مكتوب.

وكانت جزر بحر إيجة وعلى رأسها كريت قد تأثرت بالحضارة المصرية القديمة

وكونت لنفسها حضارة عظيمة، حيث كانت تلك الجزر ملتقى حضارات الشرق وكانت جسرًا يصل الشرق بأوروبا. ومن المعروف أن جزيرة كريت تمتد امتدادًا كبيرًا فى البحر المتوسط حتى لا يعلم انتماؤها هل هو لأوروبا أم لأفريقيا وبينما كان اليونانيون بدوًا رحلاً وقبائل لا تستقر على حال سنة ٢٠٠٠ ق. م، كان الكريتيون قد بلغوا فى ذلك الوقت شأوا عظيمًا من التحضر وكانت لهم الكتابة الخاصة بهم وهى أقدم كتابة على حدود أوروبا وقد خلفوا لنا نصوصًا وأعمالاً فكرية مختلفة وبلغت حضارتهم أوج ازدهارها فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ١٦٠٠ ـ ١٥٠٠ ق. م فيما عرف بالعصر الذهبى.

كان اليونانيون فى نهاية الألف الثانية قد بدأوا الاستقرار فى شبة جزيرة اليونان والجزر المحيطة بها ولكنهم كونوا آنذاك ما يعرف بالمدن الدول، حيث كانت كل مدينة وما حولها من قرى تؤلف فى حد ذاتها مملكة قائمة بنفسها لها شريعتها وقانونها ولها جيشها ولها آلهتها. وقد انطوت بلاد اليونان على مئات من هذه الدويلات المدن كما كان حال جزر بحر إيجة الذى كانت كل جزيرة دويلة قائمة بذاتها.

ومع التقاء اليونانيين بالحضارة الإيجية وخاصة الكريتية منها وكذلك بالحضارة الفينيقية والحيثية، بدأ اليونانيون تدريجيا (بين ١٠٠٠ ـ ٧٥٠ق.م) يستعيرون عناصر تلك الحضارات المشبعة أصلاً بالحضارة المصرية والعراقية القديمة ولعل أولى مشاعل التحضر لدى اليونانيين اقتباسهم للأبجدية الفينيقية التى هى أصلاً من أصول مصرية. ومن الطريف أن اليونانيين هم الذين نبهونا إلى أنهم استقوا أبجديتهم من الأبجدية الفينيقية (السامية أو الكنعانية كما يطلق عليها أحيانا). وربما حدث ذلك الأمر فى مطلع الألفية الأولى قبل الميلاد أى حوالى ٩٠٠ ق.م. وجاء إلى أوروبا لأول مرة مع حروف الهجاء القلم والحبر والورق وجاء مع الورق اسمه المصرى بابيروس ثم بيبليوس حيث اشتق اليونانيون بعد ذلك اسم الكتاب (ببليو).

وكانت الأشعار وخاصة الشعر الملحمى تنتقل شفاهة بين الناس وتلقى على النواصى والطرقات والأسواق العامة وعلى رأس الشعر الملحمى كانت ملحمتا الإلياذة

والأوديسة. وكذلك كانت سائر المعلومات والروايات والأخبار والتواريخ تنتقل شفاهة عن طريق التواتر.

وقد تطورت الديانة اليونانية وخرجت من بطن الأساطير المرتبطة بالظواهر الكونية المختلفة ولذلك تعددت الآلهة عند اليونانيين تعددًا غريبا لا نصادفه عند شعب آخر. وكان كل إله عندهم أو إلهة لديهم متسلطًا على جزء من الطبيعة. وصور اليونانيون آلهتهم بهيئات بشرية وحسبوها ذات صفات إنسانية طيبة أو شريرة.

وقد برز بين الممالك اليونانية العديدة أربع ممالك كبيرة هى: آرجوس؛ إسبارطة؛ أثينا؛ طيبة. وقد بلغت تلك الممالك درجة من الرقى والاستقرار فى القرن الثامن قبل الميلاد مما خلف لدى أفراد الشعب نوعًا من الإحساس بالذات ثم التفكير فيما آلت إليه الأحوال وسعوا إلى الاشتراك فى الحكم ولذلك كان اليونانيون هم أول شعب فى العالم القديم يحصل على ما يسمى بالحكم الديموقراطى وكان أول شعب يخلع الملك فى بعض الدويلات المدن وبعد انتهاء عصر الملوك وبداية عصر النبلاء (٧٥٠ ـ ٦٥٠ ق.م) أخذت القوات اليونانية فى التوسع غربا فى جنوبى إيطاليا ثم استولوا بعد ذلك على صقلية ثم أسسوا بعض مستعمراتهم فى جنوبى فرنسا وواصلوا زحفهم حتى ما يعرف بأسبانيا الآن. وقد ساعد على تكوين مستعمرات وجاليات يونانية مختلفة إلى جانب التوسع العسكرى التوسع فى الهجرة حتى امتدت مستعمراتهم من البحر الأسود إلى الساحل الشمالى من البحر الأبيض. هذا التوسع العظيم أدى بالقطع بالنبلاء الحاكمين إلى أن يتحولوا إلى طغاة.

وظل النبلاء قابضين على زمام الحياة الاجتماعية رغم ما كان عليه العامة فى زيادة القوة والنفوذ. وقد ازدهرت فى هذا العصر الموسيقى والشعر والبناء والنحت والرياضيات والعلوم الطبيعية. وقد عد عصر الطغاة من أعظم أزمنة تاريخ العالم حيث نبغ فيه أعظم الرجال وأكبر قادة الأفكار. وكما يقول هنرى برستيد فى هذا الصدد «فكأن العقول حُلَّت فيه من عقالها أو انبعثت من رقادها تحت عوامل الجهاد الشديد لإحراز قصب السبق فى التجارة والسياسة والهيئة الاجتماعية ودخلت عالمًا جديدا: عالم العلم والفلسفة فكأن جميع القوى الخفية فى حياة اليونان المملوءة نشاطًا

قد برزت من مكامنها وتجلت فى السياسة والآداب والدين والحفر والتصوير والهندسة وفن البناء. ونرى أن قادة الأفكار فى هذا العصر بوجه الإجمال ـ وكثيرون منهم كانوا طغاة ـ قد أحدثوا تأثيرا فى بيئتهم لم تقو على محوه الأيام ولقبوا بالحكماء السبعة وهم أول سياسيى اليونان ومفكريهم...»

وفى نفس ذلك الوقت كانت قوة الفرس فى أوجها فأخذت تهدد بلاد اليونان وبدأوا هجومهم عليها فى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد وأخذوا داريوس يطبق عليها ولكن اليونانيين انتصروا وصدوهم فى بادىء الأمر ومات داريوس فاستأنف ابنه أحشويروش الحرب على اليونان إلا أنه أيضا رغم التدمير والتخريب الذى أحدثه فى بلاد اليونان هزم هو الآخر بعد معارك طاحنة ولم يستطع الفرس احتلال أرض اليونان فى أوروبا. كما قضى على قوة الفرس البحرية فى البحر الأبيض فى معركة فاصلة (٤٦٨ ق.م).

ولم يلبث الكابوس الفارسى أن انزاح حتى بدأ الصراع بين الممالك اليونانية الكبرى نفسها حين أصبح بريكليس، الزعيم السياسى لأثينا دون منازع سنة ٤٦٠ ق.م. وكان الصراع بين أثينا وإسبارطه مريراً. وكان المجتمع الأثينى فى ذلك الوقت يتألف من وطنيين وأجانب وعبيد. وكان العبيد يمثلون ٤٠٪ والأجانب مابين ١٠ و ٢٠٪ والوطنيون وهم جميعا من الأحرار البقية الباقية ولقد بدأت الحضارة اليونانية الحقة اعتباراً من ذلك القرن الخامس قبل الميلاد حيث بدأ التعليم فى الانتشار وإلى جانب المدارس الثابتة كان هناك المعلم المتنقل فإذا ما أتم الشاب اليونانى تعلم الموسيقى والقراءة والكتابة فى المدارس القديمة سعى وراء المعلمين الجدد المتنقلين ليتعلم البيان والخطابة وكتابة النثر كما علموهم الرياضيات والفلك ومبادىء الطبيعيات. وقد برز فى هذه الفترة طاليس وفلسفة السفسطة، وتقدمت علوم الفلك والهندسة والرياضيات وقد قدموا فيها نظريات جديدة وقاموا باكتشافات مهمة. وتقدم الطب تقدما كبيراً بفضل التأثير المصرى عليه وقد استطارت شهرة الطب اليونانى فى الآفاق حتى أن ملك الفرس نفسه قد استقدم طبيبا يونانيا كى يعالجه. وعند ختام حياة بريكليس قام المؤرخ اليونانى ذائع الصيت هيرودوت بنشر كتابه «**تاريخ العالم**» الذى

قضى سنين عديدة فى تأليفه وانتشر أيضًا تأليف الروايات والمسرحيات الهزلية الكوميدية والجادة المأساوية وانتشرت المسارح لتمثيل تلك المسرحيات وكانت المباريات فى الموسيقى والرقص والرياضة وسباق الزوارق تقام فى كل مكان لتسلية الجماهير. ولقد تطورت فنون التصوير والنحت تطورا كبيراً.

ويهمنا فى هذا الصدد تلك الظاهرة التى انتشرت بين الشعب اليونانى وأعنى بها ظاهرة القراءة والمطالعة وخاصة لتلك الروايات والمسرحيات التى يجرى تمثيلها. وقد احتل الكتاب منزلة سامية لدى الشعب الأثينى ولقد نتج عن ذلك انتشار المكتبات الشخصية على نطاق واسع وكانت تلك المكتبات تعج بمؤلفات المؤلفين المختلفين وإن كانت مؤلفات الشعراء بالذات والروائيين لها الغلبة فى هذا الصدد.

لقد انتشر فى ذلك الوقت استخدام ورق البردى المستورد من مصر فى كتابة الكتب اليونانية، وكانت بعض لفافات البردى تصل إلى مائة وخمسين وأحيانا مائتى قدم.

وإلى جانب كتب الثقافة العامة التى انتشرت فى بلاد اليونان فى ذلك الوقت أخذ المتخصصون ينشرون كتبا فى تخصصاتهم فالنحات ينشر كتبا فى فن النحت والرياضى ينشر كتبا فى الرياضيات والمهندس ينشر فى الهندسة والطبيب ينشر فى الطب وعلماء الأدب ينشرون فى البيان واللغة؛ «حتى ربة البيت استطاعت أن تجد كتابا فى فن الطبخ».

وفيما كانت الأحوال داخل الإمبراطورية الأثينية جارية على هذا النمط كانت أحوالها الخارجية تزداد شؤماً وخطرًا بسبب حسد الحساد لها على عظمتها الظاهرة وتقدمها التجارى وازدياد قوتها وثرائها ونهضتها الفكرية وجنوحها نحو الديموقراطية. ومن الغريب أن يتحد يونانيو أوروبا كلهم ضد أثينا ولم تلبث الأحوال أن تقلبت بها فاجتاحها الطاعون وقضى على كثير جدا من أبنائها بأضعاف أضعاف ما فعلته الحرب؛ ولم تلبث الحرب أن قامت مرة ثالثة بين أثينا وإسبارطة فى سنة ٤١٣ ق.م، تداعت أثينا على إثرها بعد انهيارات تدريجية وسقطت الإمبراطورية الأثينية

سنة ٤٠٤ ق.م ومن الغريب أن القرن الذى شهدت بدايته صد أثينا للفرس وانتصارها عليهم شهدت نهايته سقوطها فى يد إسبارطة التى أصبح لها اليد الطولى. وبعد فترة من الزمن تحالفت أثينا وطيبة ضد إسبارطة مما كان وبالا عليها ودارت الدائرة عليها وهزمت بعد انتصار.

ومهما يكن من أمر الأحوال السياسية والعسكرية فإن من المسلم به أن بلاد اليونان فى القرون الخمسة قبل الميلاد كانت بلاد حضارة تعوزها الوحدة. ولذلك هب المفكرون والعلماء اليونانيون بدءاً بسقراط وأفلاطون وأبقراط وغيرهم يحضون الشعب اليونانى على أن يدفنوا أحقادهم ويقلعوا عن منازعاتهم التافهة حتى يلتئم العالم اليونانى ولكن المشكلة الحقيقية أنه لم تكن هناك مدينة واحدة يونانية تميل إلى أن تخضع لزعامة مدينة أخرى.

يقول هنرى برستيد «ولكن مع تقهقر قوة اليونان السياسية لا نستطيع إلا أن نعترف على رؤوس الأشهاد بأن الحضارة اليونانية التى حاولنا تصويرها للقارىء بالكلام، كانت حضارة مجيدة لا مثل لها... ولقد كان أمام العبقرية اليونانية انتصارات أخرى مستقبلة بعد فقد الزعامة السياسية التى نراها الآن قد أخذت تنتقل أزمتها إلى أيد أخرى».

لقد امتدت الحضارة اليونانية إلى مقدونيا التى أخذ ملوكها فى غرس بذور الآداب والفنون اليونانية وتعهدوها بعنايتهم. وكان من حسن حظ فيليبس المقدونى - والد الإسكندر - أنه تربى فى بلاد اليونان إذ تعلم علومها وعرف ما آل إليه حالها من تفكك وضعف وعندما تبوأ عرش مقدونيا اعتزم أن يستولى على الممالك اليونانية ويبسط نفوذه على العالم اليونانى كله. وفعلاً نظم جيشا كبيراً زحف به على الممالك اليونانية واستولى عليها واحدة إثر أخرى وكان من بين أنصاره فى هذا الشأن أبقراط ودانت له بلاد اليونان كلها بعد معركة كيرونيا سنة ٣٣٨ ق.م وتبوأ منصب الزعامة فى البلاد طراً.

ولقد تربى «الإسكندر الأكبر» فى ظل هذه الزعامة وكان أستاذه هو أرسطو الذى

استقدمه أبوه ليتولى تهذيب وتثقيف ولده الأمير الشاب وهو فى سن الثالثة عشرة وكانت «لأرسطو» مكتبة عظيمة كان لها أثرها الطاغى على «الإسكندر» وكان من جملة ما صبت إليه نفس الأمير الشاب أثناء تحصيل العلوم، عيون آداب اللغة اليونانية ولا سيما ملاحم هوميروس وداعبت أحلام الأمير الشاب الأعمال البطولية التى قام بها أبطال تلك الملاحم. ولقد خلف الإسكندر أباه وهو فى سن العشرين وحاولت بعض الممالك اليونانية الثورة عليه وعلى رأسها «طيبة» ولكنه زحف إليها بجنوده ودمرها تدميراً تامًا ولم يترك قائمًا فيها سوى بيت واحد هو منزل الشاعر الكبير بندار ومن هنا لقن اليونانيين درسين: الأول أن يخافوه ويرهبوه ويحترموه والثانى إجلال العلم واحترام العبقرية والعلماء. وأدرك اليونانيون ـ إلا أهل إسبارطة ـ أنه الزعيم والقائد فانصاع الكل له وعملوا تحت لوائه.

ولقد أراد الإسكندر أن ينتقم من الفرس لما قاموا به من اعتداءات مدمرة من قبل على بلاد اليونان، فقاد بنفسه حملة عسكرية حرر بها كل آسيا الصغرى من قوات الفرس وعندما وصلت قوات الإسكندر إلى العراق طلب داريوس آخر ملوك الفرس التسليم على أن يكون الفرات الحد الفاصل بينهما ومن ثم يكون كل ما هو غربى الفرات ملكاً للإسكندر ولم يكن الإسكندر قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره. وكان الأسطول الفارسى لايزال فى البحر الأبيض يحمى فينيقيا ومصر، ولكن الإسكندر استطاع محاربته واستولى على الموانىء الشرقية وسقطت مصر فى يده دون حرب تذكر. وبعد هذه الانتصارات العظيمة التى حققها الاسكندر على الفرس فى المستعمرات زحف على بلاد فارس نفسها وبدأ فى تدميرها وفيما كان داريوس يهرب من وجه الإسكندر طعنه أحد أفراد حاشيته بخنجر فمات سنة ٣٣٠ ق. م ومن الطريف أن الإسكندر قد اقتص من القتلة وأمر بإرسال جثة داريوس إلى أهله محفوفة بكل مظاهر التكريم. ولعبت هذه الانتصارات برأس الإسكندر فواصل زحفه إلى الهند التى استولى عليها بسهولة ثم عاد إلى بابل. ومن هنا وفى زمن قصير كون الإسكندر إمبراطورية عظيمة قامت أساسًا على انقاص الإمبراطورية الفارسية وورثتها.

وما يهمنا فى هذا المقام أن الإسكندر نقل إلى بلاد اليونان حضارات الهند وفارس

والعراق، ونقل إلى تلك المناطق حضارات بلاد اليونان ومصر. واستولى على المكتبات والكتب التى وجدها فى تلك المناطق ولقد أسس فى المناطق الاستراتيجية من هذه الإمبراطورية مدنا تسمى كل منها «الإسكندرية» وأنشأ على حدود الهند مراكز للنفوذ والحضارة اليونانية. وعن طريق هذه المراكز دخلت الفنون والصناعات اليونانية إلى بلاد الشرق الأقصى ولاسيما الصين ويرى المؤرخون أن هذا الاختلاط بين الشرق والغرب وهذا التلاقح بين الحضارات المختلفة لم يحدث فى زمن من الأزمان كما حدث فى ظل غزوات الإسكندر الرائعة فى الشرق. لقد مكث الاسكندر فى آسيا اثنتى عشرة سنة كانت مليئة بالإنجازات العظيمة ومحاولات إرساء دعائم النظام وأسس الحكم اليونانى فى تلك المناطق المترامية الأطراف.

وكما هو الحال فى جميع الإمبراطوريات والبلاطات لابد أن تكون هناك مؤامرات ومنازعات سياسية وشخصية وتطلعات وطموحات؛ ولم يسلم الاسكندر من مؤامرات تحاك لاغتياله وخاصة بعد أن اغتر الإسكندر بما آل إليه ملكه وسلطانه وطلبه من كل من يقابله أن يسجد أمامه ويعفر جبينه فى التراب ويقبل قدميه. وكان الإسكندر يسرف كثيرا فى الشراب وبينما هو يتأهب لحملة على بلاد جزيرة العرب لاخضاعها هى الأخرى وضمها إلى الإمبراطورية حتى يتفرغ بعد ذلك لفتح البلدان التى فى الجهة الغربية من المتوسط، بينما هو فى هذا الحال مرض مرضا شديدًا وتوفى سنة ٣٢٣ ق.م وهو فى الثالثة والثلاثين من العمر وبعد ثلاثة عشر عامًا فى الحكم.

بعد وفاة الإسكندر كان ولابد أن ينشب الصراع والعراك الهائل بين القواد الأقوياء على اقتسام السلطة ولم يلبث الصراع أن تحول إلى معارك ضارية وانقسمت إمبراطورية الإسكندر بعد ذلك إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوروبى؛ القسم الآسيوى؛ القسم الإفريقى ورأس كل قسم أحد القواد خلفاء الإسكندر فاستولى على مقدونيا واليونان أنتجونس ؛ وكانت بلاد الفرس والشام من نصيب القائد سلوقس؛ وكانت مصر الافريقية من نصيب بطليموس أدهى قواد الاسكندر.

وكان قسم مقدونيا واليونان (أى القسم الأوروبى) قسمًا صغيرا إذا ما قيس بقسم

السلوقيين والقسم الإفريقي. . وكم حاولت اليونان الاستقلال عن مقدونيا وقامت الحروب والاضطرابات فى سبيل استعادة الحرية بعيدًا عن مقدونيا. ولكن فى سنة ٢٨٠ ق.م كانت جماعات من البرابرة الكلتيين أو الغاليين قد زحفت على مقدونيا واليونان معًا واحتلوا أجزاء منها (جلاتيا) فترة قصيرة إلى أن تم طردهم.

وكان السلوقيون فى القسم الذى عرف بمملكة السلوقيين أهم خلفاء الإسكندر ولكنهم بسبب اتساع رقعة الأرض التى ورثوها كانوا أضعف فى السيطرة عليها. وواجه سلوقس داخل هذه المملكة فتنًا وحروبًا عديدة ولكنه بعدها دعم أركان مملكته وتطلع إلى غزو القسم الأوروبى نفسه ولكن المنية وافته قتلاً. وأخذت الولايات النائية تستقل وربما ساعد على ذلك نقل عاصمة السلوقيين من بابل إلى أنطاكية سورية التى أسسها سلوقس وسماها باسم أبيه (أنطيوخوس)، كما ساعد ذلك أيضا على تقلص النفوذ اليونانى فى الشرق وزيادته فى سوريا.

وفى مصر ظل بطليموس بالتدريج يتخذ مظاهر الأبهة الملكية ثم بعد ذلك نصب نفسه فعلاً ملكا وأصبح مؤسس أسرة البطالمة أو البطالسة فى مصر وأخذ فى دعم سلطانه على البلاد وبنى أسطولاً كبيرًا لتكون له السيادة على بحر الروم (الأبيض المتوسط) وجعل من الإسكندرية التى أسسها الإسكندر عند الطرف الغربى من دلتا النيل عاصمة له ومقرًا ومقامًا ولذلك أصبحت أهم مرافىء البحر المتوسط مما جعل شرقى البحر بحرا مصريًا على مدى قرن من الزمان، وقام البطالمة بالاستيلاء على فلسطين وجنوبى سوريا لتكون حاجزًا بينهم وبين السلوقيين. وتصرف البطالمة فى مصر تصرف الفراعنة فلم يعطوا الحكم المحلى إلا لثلاثة مدن فقط منها الإسكندرية أما سائر أنحاء البلاد فكانت تدار إدارة مركزية.

وفى القرن الثالث قبل الميلاد أخذت بلاد اليونان الأم فى التخلف التدريجى، وفقدت المدن اليونانية ازدهارها السياسى والاقتصادى والفكرى وانتقلت الزعامة إلى مدن: الإسكندرية، أنطاكية، أفسوس، رودس. ومالبثت ينابيع الثروة أن نضبت من مدائن اليونان وأصبحت أعجز من أن تدافع عن نفسها ولجأت إلى التحالفات والاتفاقيات للحفاظ على حريتها وحيادها.

روما

بينما كانت الحضارة اليونانية فى أوروبا آخذة فى الذبول كانت إيطاليا آخذة فى الصعود. وكانت إيطاليا فى العصور القديمة أهم بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ويبلغ طولها ٩٦٠ كيلو مترا، كما تبلغ مساحتها أربعة أمثال مساحة بلاد اليونان.

لقد غرقت المدن الدول اليونانية فى العالم الهلينى الأكبر، ذلك العالم الذى لم تأت عليه سنة ٢٠٠ ق. م. إلا وكانت حروبه ومنازعاته الداخلية قد عرضته للوقوع تحت سيطرة قوة حربية جديدة عظيمة جاءته من غربى البحر المتوسط ونقصد بها قوة الرومان التى أخذت فى التعاظم شيئا فشيئًا حتى ضمت الشرق والغرب معًا وألفت منهما إمبراطورية شاسعة الأكتاف مترامية الأطراف، دخلت تحت سيطرتها بلدان البحر الأبيض المتوسط جميعًا.

لقد كانت إيطاليا منطقة جذب للهجرات بسبب سهولها الزراعية الكبيرة ومراعيها الخصبة للأنعام والمواشى والتى لا تضاهيها سهول ومراعى اليونان رحابة ونضارة. لقد جذبت أرض إيطاليا شعوب أوروبا الشمالية شديدة البرودة والزمهرير فبدأوا هجراتهم إليها منذ نحو مطلع القرن الثانى قبل الميلاد؛ واحتلوا الجزء الشمالى من إيطاليا وحيث كانت القبائل الإيطالية المعروفة باسم اللاتين تعيش فى عزلة عن بعضها البعض فى مناطق متفرقة من شبه الجزيرة الإيطالية. وكانت المساحة التى تعيش عليها تصل بالكاد إلى ٦٥كم × ٥٠كم فى منتصف الساحل الغربى من إيطاليا وقد أطلق على تلك المساحة اسم «لاتيوم».

وكانت مدينة روما قد أسست من مجموعة من القرى فى القسم الجنوبى من وسط نهر التيبر حوالى سنة ١٠٠٠ ق. م (وقيل ٧٥٣ ق.م). وكانت فى أول عهدها مملكة ٧٥٣ ـ ٥٠٩ ق.م ثم غدت جمهورية ٥٠٩ ق. م ـ ٣١ ق. م، اشتد فيها الصراع بين الأشراف والعامة حتى شغل العامة سائر الوظائف فى القرن الثالث قبل الميلاد. ولما اشتد ساعد المدينة الدولة ضمت إليها قسمًا كبيرًا من أقاليم إيطاليا ٤٩٦ ـ ٢٦٤ ق.م، وأخذت فى التوسع الخارجى كما سنرى تفصيلاً فيما بعد، ودمرت

قرطاجنة سنة ١٤٦ ق.م ثم احتلت بلاد اليونان ومقدونيا وآسيا الصغرى وبلاد الشام وحولتها إلى أقاليم روميه إلا أن الحروب الأهلية والمشاكل الاجتماعية زعزعت أركان النظام الديمقراطى (حروب الحلفاء، حرب العبيد) وأدت إلى المثلثات العسكرية وبعد أن انتصر «أوكتافيوس» على «أنطونيوس» فى معركة اكسيوم ٣١ ق.م، أعلن قيام الإمبراطورية سنة ٢٣ ق.م. واتخذ لقب أغسطس وازدهرت الإمبراطورية ردحا من الزمن ثم توالت عليها السلالات المختلفة من الحكام (البوليانية، الغلافية، الأنطونية، الأباطرة السوريون ثم الإيليريون) ومع سلالة الإيليريون بدأت روما تفقد مركزها وأهميتها كعاصمة. ولم تلبث الامبراطورية الرومانية أن قسمت إلى الإمبراطورية الرومانية الشرقية والإمبراطورية الرومانية الغربية ٣٩٥م. والإمبراطورية الشرقية هى التى عرفت باسم بيزنطة أو الإمبراطورية البيزنطية. وفى القرن الخامس أخذت هجمات البربر القادمين من شمالى أوروبا فى التزايد حتى سقطت الإمبراطورية الغربية تحت جحافلهم سنة ٤٧٦م ومع سقوطها سقطت العصور القديمة وسقطت أوروبا فى ظلام العصور الوسطى مع القرن السادس الميلادى.

لقد شهد غربى البحر المتوسط فى الألف الأولى قبل الميلاد ثلاث قوى متصارعة كانت تتصارع على السيطرة على المنطقة وتتنازع النفوذ فيها. هذه القوى كانت اللاتين أو الرومان نسبة إلى روما القوية التى سيطرت على كل إيطاليا فيما بعد؛ والإتروسكيين؛ والقرطاجنيين.

ونحن لا نعرف على وجه اليقين أصل الإتروسكيين وإن كان من المرجح أنهم قدموا من آسيا الصغرى وربما كانوا من القبائل الهند وأوروبية التى نزحت من آسيا الغربية للبحث عن وطن جديد فاستولوا على الساحل الغربى لإيطاليا من خليج نابولى وحتى جنوا وتوغلوا فى الداخل حتى حدود جبال الآبنين ووادى نهر البو ومن هنا سيطروا على غربى إيطاليا وكانوا قوة لا يستهان بها. وقد ازدادت قوتهم وخطرهم مع مر السنين حتى أنهم عبروا نهر التيبر واستولوا على منطقة روما ومجموعة القرى القائمة على التلال حولها حوالى سنة ٧٥٠ ق.م وهكذا أصبحت روما مملكة تتألف من روما وضواحيها وقراها وعليها ملك إتروسكى كسائر المدن

الممالك الإتروسكية الأخرى التى امتدت من كبوا فى الشمال إلى جنوا فى الجنوب؛ وظلت روما قرنين على الأقل تحت سيطرة هؤلاء الإتروسكيين؛ وإن ظل معظم السكان - سكان لاتيوم - من اللاتين ويتكلمون اللغة اللاتينية. ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن الإتروسكيين قد أخذوا الكتابة من اليونان ومن ثم كتبوا اللغة الإتروسكية بالخط اليونانى المشتق أصلاً من الخط الفينيقى السينائى. وقد قام اللاتين بدورهم باشتقاق الخط اللاتينى من الخط الإتروسكى ومانزال حتى الآن عاجزين عن فهم اللغة الإتروسكية وإن كنا نجيد قراءتها والتلفظ بها.

ولقد أدخل الإتروسكيون إلى روما تحسينات وإصلاحات عديدة، ولكنهم كانوا جبابرة طغاة مما حمل اللاتين على الثورة ضدهم وأدى فى النهاية إلى طردهم من روما نحو سنة ٥٠٠ ق. م. وإن كان الحكم الإتروسكى لروما قد انتهى رسميا فى ذلك الوقت إلا أن الحضارة الإتروسكية ظلت مؤثرة واضحة المعالم طيلة قرنين ونصف من الزمان.

لم تقع روما تحت تأثير الحضارة الإتروسكية وحدها وإنما تأثرت بالضرورة كذلك بالحضارة اليونانية التى كانت صقلية وجنوبى إيطاليا منفذاً لها. لقد تعلم الرومان من اليونان صناعة السفن وتعلموا منهم التجارة وسك النقود؛ وأخذوا عن اليونان ديانتهم وآلهتهم وأخذوا عنهم كما أخذوا عن الإتروسكيين فن الإدارة والسياسة والتنظيم.

وبعد طرد الإتروسكيين من روما سنة ٥٠٠ ق. م تولى حكم روما نفر من النبلاء الذين توفروا على طردهم. وتم الاتفاق على أن ينتخب اثنان منهم لإدارة شئون الحكومة ويدعى الواحد منهما «القنصل» ويكونان متساويين فى الرتبة والمقام والقدر وتدوم فترة حكمهما سنة كاملة يخليان بعدها المنصب لاثنين آخرين. وكانت انتخاب القنصلين يتم عن طريق مجلس يسيطر عليه النبلاء سيطرة تامة. وقد عرف نظام الحكم هذا بالحكم الجمهورى؛ وعرفت الحكومة بالجمهورية وقد ظلت هذه الصفة لصيقة بروما ردحًا طويلاً من الزمن. وعرف المجلس الذى ينتخب القناصل باسم مجلس الشيوخ (سناتوس).

وبعد تأسيس الجمهورية بنصف قرن وضعت القوانين وسنت التشريعات وحفرت على اثنى عشر لوحا من البرونز سنة ٤٥٠ ق.م وقد استتبع هذه التشريعات والقوانين إدخال إصلاحات جذرية على مجلس الشيوخ بحيث أصبح المجلس يتكون من رجال روما الثلاثمائة الذين يديرون مرافق الدولة المختلفة.

وكما أسلفت لم تكن الجمهورية الرومانية فى بادىء الأمر سوى أمة صغيرة جدا لا يأبه لها وتتألف أساسًا من مدينة روما والقرى والحقول المحيطة بها فى دائرة بضعة أميال. وكان الإتروسكيون يقيمون على جانب من نهر التيبر وعلى الجانب الآخر فى مواجهتهم يقيم الرومان تحيط بهم قبائل اللاتين التى كانت قد اتحدت وتحالفت فيما يعرف بالحلف اللاتينى. وفى نحو سنة ٤٠٠ ق. م بدأ الرومان فى التوسع من جميع الاتجاهات وضم أراضٍ جديدة إلى روما إلا أن الغاليين البرابرة بدأوا يزحفون من الشمال على إيطاليا واكتسحوا بلاد الإتروسكيين وحطموا الجيش الرومانى واقتحموا روما سنة ٣٨٢ ق.م ودمروا كل ما فيها وأخذوا فدية كبيرة من الذهب ثم غادروا روما وارتدوا إلى الشمال، ولكنهم ظلوا خطرًا كبيرًا على الرومان.

ولم تلبث جراح روما أن التأمت حتى بدأت القبائل اللاتينية تدخل فى حرب معها استمرت لمدة عامين خرجت منها روما منتصرة وعقدت لها ألوية الزعامة على القبائل اللاتينية من جهة ثم على إيطاليا كلها بعد ذلك من جهة ثانية. وتعتبر سنة ٣٣٨ ق.م التى وقع فيها هذا الحدث علامة فارقة فى تاريخ روما وأيضا فى تاريخ بلاد اليونان لأنها نفس السنة التى اكتسح فيها فيلبس المقدونى (والد الإسكندر الأكبر) الممالك اليونانية. ووجد اليونان واللاتين أنفسهم مغلوبين مقهورين تحت حكم أجنبى وقد حاول اللاتين تجميع صفوفهم مرة أخرى تحت رئاسة قبائل «السمنيين» وبالتحالف مع الإتروسكيين والغاليين ولكنهم جميعا هزموا فى معركة سنتنوم سنة ٢٩٥ ق.م وأصبحت روما القوة العظمى فى إيطاليا كلها.

قرطاجنة

والقوة الثالثة التى ظهرت فى غربى البحر المتوسط فى ذلك الوقت هى

القرطاجنيون. والقرطاجنيون هم فى الأصل فينيقيون وتجار مهرة؛ أسسوا فى الجزء المعروف الآن بمدينة تونس بشمال إفريقيا مملكة عرفت بقرطاجنة على الرأس الناتىء فى البحر المتوسط تجاه صقلية. وكان هذا الموقع ممتازاً لا يبارى من الناحية التجارية فامتدت تجارتها بالتدريج حتى القيروان شرقًا وشواطىء الأطلنطى غربًا حتى سيطرت على جنوبى أسبانيا وبوغاز البحر الأبيض (جبل طارق الآن) وانتشرت مستعمرات قرطاجنة على سواحل أسبانيا وإفريقيا سواء تلك المطلة على البحر المتوسط أو على المحيط الأطلنطى وتوغلوا جنوباً حتى وصلوا إلى سواحل غينيا بفضل البحار الفينيقى العظيم حنون من رودان. وفى نفس الوقت سيطر القرطاجنيون على جزء كبير من صقلية وأنشأوا لهم مستعمرات فى كورسيكا وسردينيا وفى معظم الجزر المنتشرة بين سردينيا وأسبانيا. وكانت لهم سفن حربية تدافع عن سفنهم التجارية بل وتسد بوغاز جبل طارق وموانىء الجزر فى وجه السفن القادمة من الممالك الأخرى.

وقد اعتمد القرطاجنيون فى تكوين قوتهم الحربية على استئجار الجنود المرتزقة حيث لم تسمح لهم الظروف بتكوين جيش وطنى على نحو ما فعلت اليونان أو روما. وكانت تلك نقطة ضعف أساسية فى حكومة قرطاجنة وقد اتبعت قرطاجنة فى نظام الحكم الخطوط العامة للحكم فى روما حيث كان يرأس الحكومة حاكمان منتخبان يسمى الواحد منهما (القاضى). وكان مجلس الشيوخ يقبض على زمام السلطة فى البلاد. وقد غلب التجار الأشراف على هذا المجلس، ويمكننا أن نصف حكومة قرطاجنة بأنها كانت حكومة ارستقراطية غنية. ومهما يكن من أمر هذه الحكومة فقد جعلت من قرطاجنة دولة عظيمة أعظم من أية مملكة يونانية بل وأعظم من روما نفسها فى ذلك الوقت.

والحقيقة أن حضارة قرطاجنة كانت حضارة شرقية أساسًا ولم تتأثر بالحضارة اليونانية إلا لمامًا. وكان تجار قرطاجنة يتعاملون أساسًا بسبائك المعادن الكريمة (الذهب والفضة أساسًا). ولما اتسع نطاق تجارتهم أصدروا نقود الجلد - أقدم سلف للنقد الورقى - وكانت هذه النقود الجلدية تختم بخاتم الدولة ضمانا لقيمتها المالية. وقد برز من بين القرطاجنيين بحارة عظماء وكتاب من أمثال حنون سالف الذكر،

ماجو أحد رجال السياسة الذى كتب كتابا فى الزراعة أمر مجلس الشيوخ الرومانى بترجمته إلى اللاتينية.

وكان القرطاجنيون يميلون إلى الفخامة والأبهة. فكانت مدينتهم جميلة واسعة جدا تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة روما. وكانت البيوت فخمة ضخمة تحيط بها الحدائق. وكانت هناك حدائق عامة وساحات وأسواق. وكان تحدق بالمدينة أسوار عالية ضخمة وحصون هائلة تجعل مهاجمتها والدخول إليها عنوة أمرًا مستحيلاً. وكان حول المدينة مزارع تمد المدينة باحتياجاتها.

وكان من الطبيعى أن يحدث احتكاك يصل إلى حد الحرب بين قوتين ناميتين وخاصة بسبب الأمور التجارية والاقتصادية. ففى خلال الحرب اللاتينية كان الرومان يرغبون فى بسط تجارتهم فقام مجلس الشيوخ الرومانى بعقد معاهدة مع قرطاجنة سنة ٣٣٨ق. م تقضى برسم حدود فى البحر لا تتخطاها سفن الجانبين؛ ثم وقعت معاهدة ثانية سنة ٣٠٦ ق.م تم الاتفاق فيها على ألا تدخل سفن قرطاجنة إلى مرافىء إيطاليا؛ وألا تدخل سفن روما مرافىء صقلية. ومن جهة أخرى كان استيلاء الرومان على المدن اليونانية فى إيطاليا قد عزل يونانيى صقلية تحت رحمة قوات قرطاجنة فيها. وقد استمر القرطاجنيون فى التقدم ناحية الشرق حتى أصبحت صقلية كلها لهم. وبدا للعيان أن قرطاجنة قد أصبحت فى مركز ربما تمكنت فيه من قطع خطوط الاتصال بين روما وموانيها على الساحل الإيطالى الإدرياتيكى، ذلك أن الإيطاليين كى يبلغوا تلك الموانىء كان عليهم أن يمروا فى بوغاز مسانا بين إيطاليا وصقلية.

وبعد خروج الإتروسكيين من الصورة، أصبحت هناك ثلاث قوى عظمى تسيطر على البحر المتوسط: القوة اليونانية الهلينية فى شرقى البحر؛ والقوة الرومانية والقوة القرطاجنية فى غربى البحر. وكانت كل قوة تتربص بالأخرى وتتوجس منها خيفة وتسعى إلى القضاء عليها.

كانت روما تستطيع أن تحشد جيشًا قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل بل ويمكنها

مضاعفته إذا استدعى الأمر ذلك، بيد أن الرومان لم تكن لديهم قوة بحرية. وكان العكس صحيحًا لدى القرطاجنيين حيث لم يكن لهم جيش وطنى بل اعتمدوا أساسًا على المرتزقة وكانت لهم قوة بحرية هائلة.

وكان لا مناص من وقوع الحرب بين الطرفين، فبدأت سنة ٢٦٤ ق.م بعد أن أعد الرومان قوة بحرية لأول مرة فى تاريخهم بلغت نحو مائة وعشرين سفينة ولكن هذا الأسطول خرب عن آخره وأعيد بناؤه سنة ٢٤٢ ق.م، وبلغ عدد سفنه هذه المرة مائتى سفينة حربية هزموا بها القرطاجنيين فى صقلية وأخرجوهم منها سنة ٢٤١ ق.م وفرضوا عليهم غرامة حربية ضخمة. ومن هنا أنتهت الحرب الأولى بين روما وقرطاجنة تلك الحرب التى دامت نحو ثلاث وعشرين سنة وكانت فى صالح روما من جوانب كثيرة.

ورغم عقد معاهدة الصلح بين الطرفين إلا أن روما صرفت همتها إلى التوسع خارج إيطاليا على حساب قرطاجنة، فقامت بالاستيلاء على بعض الجزر التابعة لقرطاجنة وكسرت الغاليين كسرة لا قيام لهم بعدها. وقد ظهر بين القرطاجنيين قائد بطل صغير السن هو هانيبال (هانيبعل) إن هملقار الذى توسع فى أسبانيا توسعا كبيرًا وأراد منازلة الرومان من هناك وزحف بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل على إيطاليا من جبال الألب ودخل الأرض الإيطالية وكان يتمثل فى ذلك خطى الاسكندر الأكبر الذى لم يكن يفصل بينهما إلا نحو قرن من الزمان. وفى سنة ٢١٧ ق.م اجتاز سلسلة القلاع الرومانية التى تحمى دروب جبال الآبنين وحقق انتصارات رائعة، وأصبح قريبًا من روما. وفى سنة ٢١٦ ق.م عبأ الرومان جيشًا جديدًا قوامه سبعون ألف جندى. والتقى الجيشان فى الجنوب عند كنى أو كان وهزم الرومان هزيمة كبرى ودمر معظم القوات الرومانية ولم يبلغ من العمر ثلاثين عامًا. وقد أراد هانيبال أن يزحف على روما نفسها ولذلك طلب المدد من أخيه هسدروبال فى أسبانيا إلا أن ذلك المدد أبيد عن آخره سنة ٢٠٧ق.م. ودارت الدائرة على القرطاجنيين فطردوا من أسبانيا، ونقلت المعارك بعد ذلك إلى جنوبى إيطاليا ثم نقلت إلى قرطاجنة نفسها فى إفريقيا مما استدعى رحيل هانيبال إلى إفريقيا وفى سنة ٢٠٣ ق.م نشبت المعركة

الفاصلة فى زاما داخل الأراضى القرطاجنية نفسها حيث انتصر الرومان انتصاراً حاسمًا وقضى على قوة قرطاجنة وكان عليها أن تؤدى الجزية للرومان وتتخلى عن سفنها لهم. ومن ثم فقدت استقلالها وغدت تابعة لروما. ونفى هانيبال إلى بلاد الشرق وهو فى الخمسين من عمره، وبعد خمسين سنة أى فى سنة ١٤٦ ق.م لم يعدم الرومان ذريعة لدك قرطاجنة دكا وضمها نهائيا إلى روما لتصبح ولاية إفريقيا (الرومانية) وأصبح عالم غربى البحر المتوسط تحت سيادة أمة واحدة عظيمة هى الأمة الرومانية والتفتت روما إلى شرقى البحر المتوسط وشرقه أى إلى دول خلفاء الإسكندر التى كانت قد بلغت إلى أقصى درجات الحضارة والرقى فى تلك الفترة.

بينما كان خلفاء الإسكندر يتناحرون فيما بينهم كانت روما تزداد كما رأينا قوة ومنعة مع مطلع القرن الثانى قبل الميلاد. وكان من الطبيعى أن يتطلع الرومان إلى التوسع شرقًا فزحفوا على مقدونيا بجيش كبير ولما نشبت معركة «سينوسفلى» أى رؤوس الكلاب سنة ١٩٧ ق.م هزمت مقدونيا هزيمة كبرى وسقطت معها اليونان الأم وأصبحت خاضعة لروما وفى عداد الولايات التابعة لها. وأصبح الطريق ممهدا أمام روما للزحف على الجزء الآسيوى من الإمبراطورية اليونانية وأعنى بها مملكة السلوقيين؛ ولم يلبث السلوقيون أن استسلموا سنة ١٩٠ ق.م واستكمل الرومان فتحهم بلدان آسيا من جهة الشرق. وهكذا فإنه فى غضون عقد واحد (٢٠٠ ـ ١٩٠ ق.م) سقط فى يد الرومان إثنتان من ممالك إمبراطورية الإسكندر الثلاث أما المملكة الثالثة ونعنى بها مصر فقد دخلت إلى الحكم الرومانى طواعية دون حرب سنة ١٦٨ ق.م. وهكذا فإنه فى خلال قرن وربع من بدء التوسع الرومانى سنة ٢٤٦ ق.م أصبح لروما السيادة المطلقة على عالم البحر المتوسط وورثت إمبراطورية الإسكندر الأكبر بممالكها الثلاث جميعا. وغدت تلك القرية الحقيرة على نهر التيبر أعظم قوة على الإطلاق فى العالم القديم منذ منتصف القرن الثانى قبل الميلاد.

ولم يكن الرومان فى حقيقة الأمر أصحاب حضارة أصيلة وإنما كانوا أصحاب فضيلة، هذه الفضيلة تمثلت فى حفاظهم على حضارة اليونان ومحاولة استيعابها وعدم

اللجوء إلى تخريبها كما يفعل المنتصر عادة. كذلك حاول الرومان تطوير تلك الحضارة والإضافة إليها قدر الطاقة وإن لم يضيفوا الشىء الكثير.

لقد قسم الرومان أملاكهم إلى ولايات وجعلوا على رأس كل منها والياً رومانياً مطلق السلطة مثل ملوك الشرق وكان عليه أن يجبى الضرائب اللازمة لتمويل الجيش وإدارة شئون الدولة. وكانت فترة الولاية للوالى سنة واحدة ومن ثم كان حرص الوالى شديداً على الإثراء الفاحش السريع. وقد أدى ذلك إلى ثراء فاحش للحكومة الرومانية والأفراد على السواء.

ولقد راجت التجارة رواجًا عظيما وازدهر الاقتصاد وقد استتبع ذلك بالضرورة ظهور مظاهر الفخامة والأبهة فى المساكن والبنايات وقد استبدل الرومانى الجديد البيوت الرثة ببيوت أنيقة تبنى على أسس هندسية راقية متأثرة فى ذلك بالطرز المعمارية لدى الإغريق. وكان بيت الرومانى عادة ما يضم رواقا معمدًا تنفتح منه أبواب تؤدى إلى غرف النوم والطعام والمكتبة والاستراحة وكان فى مؤخرة البيت يأتى المطبخ. وكان البيت غالبا ما يزين بالتماثيل والتصاوير وثمار الفنون. ومن المدهش حقيقة أن يحرص أثرياء الرومان على وجود مكتبة فى بيوتهم حتى ولو لم يكونوا بقارئين.

وقد أدخل الرومان إلى بيوتهم كثيراً من أساليب الراحة التى صادفوها فى منازل الهلينين كأنابيب حمل المياه والصنابير والحمامات ووسائل التدفئة والتهوية. وكانوا يستخدمون العبيد كخدم وطهاة فى البيوت وخاصة هؤلاء الأسرى اليونانيين.

واقتبس الرومان من اليونانيين المسرح وطوروه تطويراً عظيمًا؛ كما طوروا جوقات الموسيقى وسائر وسائل الترفيه عندهم.

ولم يكن من عادة الرومان فى بداية أمرهم أن يهتموا بالتعليم ولم تكن عندهم مدارس، وأقصى ما هناك أن يقوم الوالد على تعليم أولاده بنفسه إذا كان هو متعلمًا. ولم تنشأ المدارس فى بلاد الرومان إلا بعد التوسع فى الإمبراطورية الرومانية والتأثر المباشر باليونان والمصريين فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد، حين قام العبيد

اليونانيون المحررون بافتتاح المدارس فى روما لتعليم الصغار ودأب أولياء الأمور على إرسال أولادهم إليها بل والأطرف من ذلك أنه كان فى كثير من البيوتات الرومانية عبيد مثقفون متعلمون كانوا يتوفرون على تعليم أرباب تلك البيوت؛ ولم يكن هؤلاء الروماني يستنكفون أن يتعلموا من عبيدهم.

وبطبيعة الحال لم يكن عند الرومان فى بداية أمرهم أدب ولا فن ولا علم مكتوب وظل هذا هو حالهم إلى أن توسعت الإمبراطورية واحتكوا احتكاكا مباشراً بالآداب والعلوم والفنون اليونانية خاصة. وتذكر المصادر أن أول صلة الرومان بالأدب كانت فى نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الثانى قبل الميلاد حيث كان هناك عبد معتوق اسمه «أندرونيكس» رأى شغف الرومان بالآداب اليونانية فتوفر على ترجمة الأوديسة إلى اللاتينية وقد غدت هذه الترجمة كتاباً مدرسياً لأولاد الرومان تتداوله الأجيال كما قام على ترجمة التراجيديات اليونانية وكذلك الكوميديات. وهذا هو أول ذكر لأعمال أدبية لدى الرومان وأول ذكر لأديب أو مشتغل بالأدب لديهم. ويذكر بعد أندرونيكس رجل فذ هو الآخر من بلاد اليونان أخذ رهينة إلى روما خلال الحروب التى قامت بين البلدين، هذا الرجل هو «بوليبيوس» الذى أثرى الفكر الرومانى بما كتبه من كتب التواريخ.

وبعد أن استوعب الرومان الفكر اليونانى وامتزجوا أكثر مع الطبقات الراقية من اليونان حتى ولو كانوا عبيداً ورهائن عندهم، كان لابد للرومان وأن يتمثلوا الفكر اليونانى وينسجوا على منواله فنبغ فى إيطاليا العديد من الشعراء والخطباء والمؤرخين والقصاصين وكتّاب المسرح. وظهر فى روما إنتاج فكرى يعتد به وانتشرت دور الوراقة فيها. وكانت ثمار ذلك انتشار المكتبات الخاصة والمكتبات العامة لدرجة أنه كان فى روما وحدها فى أيام مجد الإمبراطورية ثمان وعشرون مكتبة عامة. وقد أسلفت أن الأثرياء كانوا يحرصون فى بيوتهم على تخصيص إحدى الغرف لتكون مكتبة حتى ولو لم يكن رب البيت بقارىء. ولم يكن يسوغ لأحد أن ينتمى إلى الطبقة الراقية مالم تكن لديه مكتبة مليئة بالكتب اللاتينية واليونانية

وكان تأثير اليونان واضحًا في الحياة الرومانية. ويظهر ذلك فى العبارة الشهيرة «لقد غزت أثينا فاتحها البربرى».

لقد سيطر على روما نظام الإقطاع والعبيد بأبشع صوره ومظاهره وقد انتشرت تجارة العبيد والنخاسة وذلك بسبب تناقص أعداد أسرى الحرب الذين كانوا يقومون مقام العبيد. وكان هذا النظام سببًا من أسباب القلاقل والاضطرابات التى كانت تظهر من حين لآخر فى الدولة الرومانية. وقد صادفت الدولة الرومانية بعد التوسع العظيم ثلاث مشكلات طاحنة فى وقت واحد **أولاها**: الصراع الداخلى الفتاك بين الأغنياء والفقراء، بين الأحرار والعبيد **وثانيتها**: ضرورة تنظيم حكومة رومانية قوية تصلح لإدارة الدولة المترامية الجديدة وحيث لم يعد النظام القديم صالحًا **وثالثتها**: . هجوم برابرة الشمال على الأطراف الشمالية لإيطاليا.

وقد نجح الرومان فى تنظيم حكومتهم وإدارة شئون البلاد وصد هجمات برابرة الشمال مما حافظ على تماسك الإمبراطورية خمسة قرون تالية وعلى التوسع الكبير.

ولقد رأينا فيما سبق كيف بدأ الحكم فى روما جمهورياً عن طريق الانتخابات، وكيف أدى التوسع إلى تحولات اجتماعية كبيرة كان أخطرها انقسام المجتمع إلى أغنياء وفقراء، سادة وعبيد. هذه التحولات الاجتماعية انطوت بالضرورة على بذرة الشقاق والصراع بين الطبقات، تلك البذرة التى أخذت تنمو وتترعرع طوال قرن كامل من القلاقل والثورات والحرب الأهلية (١٣٣ ق.م - ٣٠ ق.م). وقد أدت هذه القلاقل بالضرورة إلى ظهور سلطة الفرد والدكتاتورية والتى بدأها «ماريوس» و«سوللا» ثم حدث الانقلاب والتحول من النظام الجمهورى إلى النظام الإمبراطورى الفردى. وبدأ ذلك بانتخاب بومبيوس كقنصل وحيد سنة ٧٠ ق.م. وكان بومبيوس أحد ضباط سوللا وهو الذى حاول إقرار النظام وإخماد الفتن.

وفى تلك الأثناء ظهر «يوليوس قيصر» (١٠١ - ٤٤ ق.م) وقد ألف المثلث الأول مع «بومبيوس» و«كراسوس» سنة ٦٠ ق.م، وقد انتخب قنصلاً سنة ٥٩، ٥٦ق.م كما قام بفتح بلاد الغاليين ٥٨ - ٥١ ق.م ولما عاد إلى روما تخلص من «بومبيوس»

بعد معركة فرساليا سنة ٤٨ ق.م وفرض حكم الفرد على الدولة وتحولت إلى إمبراطورية. ومن المعروف أنه عشق كليوباترة وأنجب منها ولداً وألف كتاب تاريخ الغاليين والحرب الأهلية. وكان الرجل داهية سياسية وجندياً مقاتلاً من الطراز الأول. ولأن له صلة بحريق مكتبة الإسكندرية كما سنرى ذلك تفصيلا فيما بعد فإن السياق يفرض علينا هنا أن نذكر قصته فى الإسكندرية. ذلك أنه بعد انكسار «بومبيوس» فى معركة فرساليا سنة ٤٨ ق.م والتى نشبت بينه وبين يوليوس قيصر، هرب بومبيوس إلى مصر حيث قتل قتلا شنيعا وقد لحق به قيصر إلى مصر فوجد على عرش المملكة كليوباترة الجميلة ـ السابعة بهذا الاسم ـ وخاتمة البطالمة فلما شاهد جمالها الفتان ووجد أن فى صداقتها منافع سياسية وكانت هى الأخرى تريد الاحتفاظ بالعرش، هام بها هياماً شديداً وقضى فى قصرها بالإسكندرية تسعة أشهر (أكتوبر ٤٨ ق.م ـ يونية ٤٧ ق.م) ولم يكن قيصر فى حياته كلها ضعيفا إلا أمام كليوباترة. وخلال إقامة قيصر بالإسكندرية حدثت اضطرابات ضخمة ومظاهرات عنيفة ضده وهاجمه العامة ولم يكن لديه ما يكفى من الجنود لحمايته والقضاء على تلك الاضطرابات فبقى حبيس القصر. ولما كان يخشى أن يسدوا عليه سبيل الهرب عن طريق الميناء اضطر إلى اضرام النار بسفن المصريين فى الميناء فاحترقت السفن ويقال أن النار أدركت مكتبة الإسكندرية العظيمة فى تلك المنطقة فاحترق جانب كبير منها ـ ولنا عودة إلى هذا الموضوع فيما بعد ـ وبقى قيصر محصوراً فى القصر بالإسكندرية حتى أتاه المدد من سوريا فخرج من القصر وبَددً شمل المصريين المتظاهرين، وأَقرَّ كليوباترة على العرش ـ بعد أن حملت منه ـ على أن تتزوج أخاها الأصغر حيث كان أخوها الأكبر قد هلك.

وبعد خروجه من مصر سار إلى آسيا الصغرى لمحاربة أعدائه فيها وبعث بتقريره الحربى المشهور الذى قال فيه ثلاث كلمات فقط هى «أتيت، رأيت، انتصرت» وبعد ذلك سيطر على الولاية الإفريقية فى قرطاجنة وما وراءها ثم فى أسبانيا ودانت له الإمبراطورية سنة ٤٥ ق.م أى بعد سيطرته على روما بأربع سنوات فقط. وفى الفترة القصيرة التى عاشها فى قمة السلطة أدخل الكثير من الإصلاحات الأدبية والمادية.

ولأن قيصر بدا للبعض دكتاتوراً قوض أركان الجمهورية ونحا بالبلاد نحو الإمبراطورية فقد قام نفر منهم باغتياله فى الخامس عشر من شهر مارس سنة ٤٤ ق.م وقد جر اغتيال قيصر الإمبراطورية كلها إلى شراك الحروب الأهلية.

وقام ابن أخت قيصر (أوكتافيوس) بالاستيلاء على السلطة، بعد أن قتل أعداء خاله فى معركة هائلة نشبت فى فيلبى سنة ٤٢ ق.م ودانت للشاب «أوكتافيوس» إيطاليا كلها. وكان مارك أنطونيو - أحد رجالات قيصر المشاهير - قد هام حبا هو الآخر بكليوباترة ولذلك أقام بين الإسكندرية وأنطاكية وطلق زوجته «أوكتافيا». ولم يعجب هذا السلوك أوكتافيوس فزحف على مصر واستولى عليها دون مقاومة تذكر وكان من نتيجة ذلك أن انتحر أنطونيو وانتحرت كليوباترة وكانت آخر البطالمة الذين حكموا مصر طيلة ثلاثة قرون عدداً منذ موت الإسكندر وتحولت مصر على أثر ذلك إلى ولاية رومانية سنة ٣٠ ق.م.

وكانت تلك السنة وفوز «أوكتافيوس» على جميع مناوئيه علامة على انتصار حكم الفرد، وبداية السلم والسلام فى ربوع الإمبراطورية ذلك السلم الذى دام قرنين من الزمان لم يتزعزع خلالهما إلا مرة واحدة.

لقد أسفرت تجربة «يوليوس قيصر» وابن أخته «أوكتافيوس» فى حكم الإمبراطورية عن شعور عام بفشل النظام الجمهورى لإمبراطورية مترامية، وضرورة اللجوء إلى حكم فردى متسلط دكتاتور. ومن هذا المنطلق قام مجلس الشيوخ بمنح «أوكتافيوس» لقب «أوغسطوس» الموقر وهذا اللقب معناه باللاتينية الأول والمقدم على الجميع كما منح لقبا آخر كان سابقًا يمنح للقائد وهو لقب إمبراطور.

وكانت الإمبراطورية التى بسطت روما سلطانها عليها تحت زعامة أوغسطوس تتألف أساساً مما سمى عالم البحر المتوسط أى تلك البلدان التى تحيط به من كل جوانبه. وكان أول ما فعله أوغسطوس تأمين الحدود الشرقية والشمالية على وجه الخصوص، كما قام بتنظيم الجيش وتعظيم كفاءته وقد قدر عدد أفراده آنذاك بنحو مائتين وخمسة وعشرين ألف مقاتل. ومن الطريف أن يقوم أوغسطوس بإعداد

ميزانيات للإمبراطورية وإحصاءات بما يجب جبايته وما يجب إنفاقه. كما قام بإحصاء السكان والأملاك. ومن هذا المنطلق استطاع أن يحدد بالضبط مقدار الضريبة التى يجب على كل ولاية أن تدفعها لخزينة الدولة وكان جانب من تلك الضرائب يعاد إلى الولاية للإنفاق منه على القيام بالأشغال العامة كتمهيد الطرق وتشييد الكبارى والجسور وبناء القناطر وتشييد المبانى العامة والحكومة وقد تأثر فى هذه الإنجازات تأثراً كبيراً ومباشراً بمصر وما حققه المصريون القدماء. وقد تحقق للإمبراطورية فى عهده السلم والاستقرار والرخاء. ولعل أهم ما سعى إليه أوغسطوس هو إعادة القيم والأخلاق والفضائل التى كان عليها الرومان قبل أن يفسدها الثراء والسؤدد. وسن الرجل قوانين للأحوال الشخصية وخاصة الزواج والطلاق وقضى على الآلهة التى وردت إليهم من اليونان واجتث آلهة اليونان التى كانت قد انتشرت فى إيطاليا وطالب بالعودة إلى ديانة الآباء والأجداد الرومان.

لقد أراد أوغسطوس لإيطاليا أن تتبوأ مكانة سامية متميزة عن سائر ولايات الإمبراطورية وأن يحتل الرومان بين تلك الشعوب مكان الصدارة، فشرع فى إقامة المبانى الفخمة والقصور الفارهة وبنى للإله أبوللون هيكلاً جديداً فوق تل بلاتين إلى جانب قصره وبنى مكتبة عامة بالقرب من باب القصر. وقد نهج الرومان فى هندستهم البنائية نهج اليونانيين والمصريين وخاصة مبانى الإسكندرية التى لم تكن تضارعها مدينة فى العالم القديم كله.

وقد نبغ فى ظل أوغسطوس كُتّاب ومؤلفون من بينهم «سترابو» اليونانى الذى اتخذ روما مقرًا ومقامًا. كذلك نبغ شيشرون الرومانى والذى يقال إنه أعظم من أنجبت روما على الإطلاق علمًا وأدبًا وخلقًا والذى أخفق فى السياسة فتحول إلى الأدب وذاع صيته فى الخطابة ومقالات السلوك والصداقة والشيخوخة وما إليها وقد جعل من اللاتينية لغة جميلة يتداولها الناس فى أنحاء مختلفة من أوروبا. ونبغ فى الشعر الشاعر العظيم هوراس الذى درس فى بلاد اليونان، ولاتزال أشعاره صورة حية لحياة الأمة الرومانية فى عصر أوغسطوس. وفى ذلك العصر أيضا ظهر فرجيل صاحب ملحمة «الإنيادة» التى نسجها على غرار الإلياذة والأوديسة. وقام أوغسطوس

نفسه عندما بلغ الخامسة والسبعين بكتابة مذكراته السياسية وقد نقشت فيما بعد على صفائح من البرونز ونصبت أمام قبره. وقد توفى أول أباطرة الرومان فى التاسع عشر من شهر أغسطس ـ الذى تسمى باسمه فيما بعد ـ سنة ١٤م.

وقد خلف أوغسطوس على العرش أربعة من سلالته كان أولهم «طيباريوس» ـ ابن زوجته من زواج سابق ـ ولأنه تربى فى معيته فقد سار على نهجه وأثبت أنه سياسى محنك ومصلح بارع ولما مات «طيباريوس» خلفه «جايوس قيصر» ابن حفيد أوغسطوس (الملقب كالجيلا) وكان شابا فى الخامسة والعشرين من عمره مملوءًا غروراً وطيشًا ومما يذكر عنه أنه نصب جواده قنصلا عاما وكان يحضره الولائم ويطعمه ألذ الطعام ويسقيه الخمر فى كئوس من ذهب وبدد أموال الدولة مما أثار مشاعر الناس ودفع حرسه إلى قتله بعد أربعة أعوام فقط فى الحكم.

ومن الطريف أن يأتى بعد جايوس قيصر (كالجيلا) إمبراطور الصدفة البحتة «كلوديوس»، ذلك أنه بعد أن قتل الحراس جايوس راحوا ينهبون القصر ويفتشون فى حجراته فوجدوا شخصا مختبئًا يرتعد خوفًا ناحل الجسم فى سن الخمسين يدعى «كلوديوس» ـ حفيد «طيباريوس» وعم «جايوس» ـ فأخذوه ونادوا به إمبراطوراً يخلف القتيل رغم إرادته واضطر مجلس الشيوخ إلى أن يقره على العرش.

ورغم أنه كان إمبراطوراً بالصدفة وضعيف البنية مسنًا إلا أنه تجرد لخدمة الإمبراطورية وعمل فى سبيلها كل ما استطاع. ومن جملة ما فعل قيامه بنفسه على رأس غزوة لبريطانيا انتصر فيها وضم الجزء الجنوبى منها إلى الإمبراطورية الرومانية. كذلك قام بإصلاحات عديدة وإنشاءات كثيرة. وأرسى الرجل أسس عدد من الوزارات منها وزارة المالية ووزارة الداخلية ووزارة الأشغال العامة وغيرها.

وجاء بعد «كلوديوس» «نيرون» ابن زوجته «لاجريبينا» آخر نسائه. وكان «نيرون» سليل أسرة أوغسطوس سواء من ناحية الأم أو الأب. وقد توفر الفيلسوف الشهير «سينيكا» (٢ق.م ـ ٦٦م) على تربيته وتثقيفه فجعله «نيرون» رئيس وزرائه فى السنوات الخمس الأولى من حكمه فساد جو من العدل والاستقرار. ولم يلبث

«نيرون» أن انقلب رأسًا على عقب وعاد إلى طبيعته الشريرة وخاص بحور الشرور والمنكرات وسلك مسالك الجور والتعسف والقسوة المتناهية. وكان «نيرون» يدعى الفن فسلم إدارة الحكم لبعض رجال القصر وخرج إلى السياحة فى بلاد اليونان وتنقل بين مدنها وكان يدخل مسابقات الرقص والغناء والمركبات وكان ولعا بفن التمثيل والصيد والملاكمة والمصارعة لقد كان «نيرون» مريضًا بالوسواس القهرى جبانا متشككا سيء الظن بالناس ولشكه فى أستاذه «سينيكا» أمره بأن يقتل نفسه واغتال ابن كلوديوس وغيره من أفاضل الناس كما قتل زوجته بل بلغ من الجنون حدا جعله يقتل أمه التى وضعته على العرش. ولقد تمادى فى غيه وإسرافه فى قتل الأشراف والأغنياء حتى حلت عليه نقمة الناس وسخطهم فعزل وقيل أنه بعدها أضرم النار فى روما لمدة لسبوع كامل وبينما النار تلتهمها جلس يلهو بمنظرها ويعزف على قيثارته لحنا من تأليفه عن حرب طروادة وقد أباح مجلس الشيوخ دمه ولكنه استل سيفه وقتل نفسه قبل أن يقتله أحد، وكان ذلك فى سنة ٦٨م ومن ثم انتهت سلالة أوغسطوس وانتهى بموته قرن من السلم (٣١ ق.م - ٦٨م).

وبعد هلاك «نيرون» بهذا الشكل ران على روما حول كامل من النزاع والصراع على السلطة كاد يهدد بحرب أهلية جديدة.

من حسن حظ الإمبراطورية أن يفوز القائد القوى «فسباسيانوس» بمنصب الإمبراطور سنة ٦٩م مما جنب البلاد الوقوع فى براثن الحرب الأهلية وأسبغ على الإمبراطورية فترة سلام طويلة امتدت لقرن آخر. وكان الرجل قد تحنك خلال ولايته فى آسيا ذلك أنه قبيل انتخابه للعرش قضى على ثورة اليهود فى فلسطين ودمرهم تدميراً كاملاً سنة ٧٠م فى المسادا المشهورة. ولقد قام هذا الإمبراطور وابناه: «تيطس» و «دوميتانس» بتأمين الثغور وتحصين الحدود. ويحمد لهذا الإمبراطور وابنيه إعادة مجد روما إلى سابق عهده.

وبعد موت «دوميتانس» انتخب مجلس الشيوخ خليفة له هو «نيرفا» ٩٦م وكان «نيرفا» أحد أعضاء المجلس وقد استمر فى نفس السياسة الاصلاحية مما حقق الاستقرار فى ربوع الإمبراطورية رغم أن مكوثه على العرش لم يدم طويلاً. وجاء

بعده قائد عظيم آخر هو «تراجانوس» (تراجان) الذى بسط سلطان رومان على ما بقى من جيوب مستقلة مثل مملكة الفرتيين (آشور وبابل قديما) أنسباء الفرس وضم أرمينيا وبقية بلاد ما بين النهرين. وقد توفى «تراجانوس» سنة ١١٧م بعد مرض عضال، وقد خلفه على السلطة الإمبراطور «هدرويانوس» (هادريان) الذى استأنف أعمال الفتح والتحصين وتحقيق السلم والهدوء فى ربوع الإمبراطورية.

وكان الجيش الرومانى فى تلك الفترة قد أعيد تنظيمه وانخرط فيه الجنود من كل أمة ومن كل لسان. وكان الجنود يستطيعون مكاتبة أهلهم وأصحابهم فى أوطانهم ولو كانوا فى أقصى أطراف الإمبراطورية. ولذلك كان الجيش قادرًا على حماية الحدود وصد غارات البرابرة على الأطراف بل وفتح مناطق جديدة وضمها إلى الإمبراطورية. ومن الطريف أن الجنود فى حال السلم والاسترخاء كانوا يستخدمون فى بناء السكك وتشييد الجسور والكبارى وشق القنوات وتطهيرها وإقامة المبانى الحكومية والعامة وترميم الحصون وتقويتها.

وفى نفس الوقت أعيد تنظيم الدولة من الداخل وقسمت الأداة الحكومية إلى دوائر يقوم على رأس كل دائرة مدير كذلك الذى كان موجودا عند المصريين القدماء؛ وقد بلغ النظام الإدارى أوج مجده أيام الإمبراطور «هدريانوس» الذى أصبح يشرف إشرافاً مباشرًا على جميع الدوائر الحكومية. ولقد وحدت القوانين التى تحكم العلاقة بين الأفراد والدولة والأفراد والأفراد وطبقت فى جميع أنحاء الإمبراطورية. وكان رجال القانون فى ظل الإمبراطورية الرومانية وخاصة فى الفترة التى نحن بصددها لهم مكانة مرموقة لاتدانيها مكانة وكان نبوغهم فى هذا الصدد لا حد له. فى نفس هذه الفترة أصدر رجال القانون **المؤلف الشامل فى القوانين الرومانية** الذى عد بكل المعايير من أول المراجع فى هذا الصدد والذى مايزال معمولاً ببعض قواعده حتى الآن ومن بينها أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته. وكان أساس هذا القانون هو العدل والمساواة بين جميع أفراد الأمبراطورية بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية أو المذهبية أو الاجتماعية. ومن هناك كان إخلاص الناس عموما وولاؤهم للإمبراطورية والإمبراطور

ويتجلى ذلك كأحسن ما يكون فى رسائل الحب التى كان البعض يبعث بها إلى الإمبراطور «تراجانوس» نفسه.

لقد تراوح عدد السكان فى الإمبراطورية الرومانية ما بين سبعين إلى مائة مليون نسمة يمثلون شعوبًا وأممًا مختلفة: من مغاربة وأفريقيين شماليين ومصريين على الشاطىء الأفريقى للبحر المتوسط إلى فينيقيين وسوريين وأرمن وحيثيين وعرب ويهود وعراقيين على الجانب الآسيوى إلى يونانيين وإيطاليين وغاليين وأسبان وبريطانيين وجرمان على الجانب الأوروبى.

ومن المؤكد أن الحضارة الرومانية قد بدأت من حيث انتهت حضارات تلك الأمم والشعوب وأنتجت لنا نمطاً جديداً مركباً من كل تلك الحضارات فقد كان انتقال الناس والعادات والتقاليد والأفكار بين أجزاء تلك الإمبراطورية المترامية أمرًا سهلا ميسوراً لا قيود عليه. وكانت مظاهر الحضارة بادية فى كل مكان وإن نال إيطاليا الحظ الوافر منها باعتبارها مقر الحكومة ووطن الإمبراطور فكانت المبانى الفخمة الضخمة والشوارع والطرقات النظيفة المرصوفة والبيوت التى تكشف عن الثراء والعظمة والأبهة والمكتبات التى تدل على ازدهار الفكر وحركة النشر.

ولكن سنة الحياة كما تنطبق على البشر تنطبق أيضًا على الإمبراطوريات فهى تبدأ طفلة ثم تشب ثم تصبح كهلة ثم تدب فى أوصالها أعراض وأمراض الشيخوخة حتى يصيبها الفناء. ولعل الإمبراطور «هدريانوس» كان آخر الأباطرة الأقوياء؛ أباطرة التوسع والسلم والاستقرار والهيبة والمنعة وقد جاء بعده الإمبراطور «أنطونيوس بيوس» (التقى) وكان رقيقا حليما يؤثر السلامة على النضال ودخول الحروب مما أغرى بعض الشعوب على محاولة الانفصال والاستقلال. وقد تسبب ذلك فى حرج شديد لخليفته «مرقس أوريليوس» حيث ثار عليه الفرتيون واضطر لمحاربتهم أربع سنين كاملة ٦١٠م ومن جهة الشمال قام الجرمان البرابرة بالزحف على إيطاليا زحف الطوفان سنة ١٦٧م ورغم أنه حقق انتصارات محدودة عليهم إلا أنهم استقروا فى شمالى إيطاليا وكانت بداية قرن جديد من الاضطرابات والثورات والحروب الأهلية والانتفاضات كانت

مجرد مقدمات لانهيار الإمبراطورية الرومانية وتفسخها وتأخر جميع مرافق الحياة من اجتماعية إلى اقتصادية إلى سياسية إلى نفسية إلى تعليمية، وأصيبت الزراعة بالذات بعجز كلى.

مات «مرقس أوريليوس» سنة ١٨٠م، وبدأ الصراع على السلطة بين قادة الجيش حتى استقر الأمر لأحدهم من أصل دنىء هو: «سبتيميوس سفيروس»، وقد قام بدوره بشغل أعلى المناصب فى الدولة بعسكريين من أصول أكثر دناءة وانحطاطًا من أصله حتى يضمن ولاءهم. وغدت السلطة فى يد العسكريين الرعاع وران على الدولة نصف قرن من الفوضى كانت السلطة خلالها تنتقل من عسكرى إلى عسكرى والإمبراطورية تنتقل من الرمضاء إلى النار حتى انقرضت سلالة «سبتيميوس سفيروس» سنة ٢٣٥م. وحدث بعدهم انفجار عظيم إذ قام الجنود البرابرة فى الأقاليم بالثورة على الحكومة المركزية ونصَّبوا من بينهم امبراطورًا على كل إقليم. ومن ثم ظهر صف ثانٍ من الأباطرة الصغار تطاحنوا فيما بينهم فلا يلبث الواحد منهم أن يعين حتى يتم اغتياله وتصفيته.

وقد أغرى ذلك الوضع برابرة الشمال وخاصة الغوط الشرقيون - إحدى القبائل الجرمانية البحرية القوية - بالزحف على بعض أجزاء الإمبراطورية وبالذات المدن الساحلية ونهبها وتدميرها كما تعرضت شبه جزيرة البلقان لتخريب مماثل ولم تسلم أثينا من الخراب؛ وتوغل البرابرة فى إيطاليا ودخلوا غاليا وأسبانيا بل ووصلوا إلى شمالى أفريقيا. وكان هؤلاء البرابرة يتلذذون بمناظر الخراب والدمار والنيران وهى تلتهم كل مظاهر الحضارة الرومانية.

ولما كانت الحكومة المركزية والجيش قد عجزا عن إيقاف هذه الفوضى والدمار، شجع ذلك الشعوب المختلفة على تكوين حكومات خاصة والجنوح نحو الاستقلال وإعادة بناء المدن وإحاطتها بأسوار منيعة. وقام الفرس سنة ٢٢٦م بالاستيلاء على السلطة والاستقلال ونشأت هناك أسرة ملكية جديدة (الساسانيون) مما قسم العالم مرة ثانية إلى شرق وغرب. وبدأ الصراع بين قوتين بعد أن كان صراعا داخل دولة واحدة.

وفى تلك الأثناء قامت مملكة تدمر بالاستقلال عن كل من بلاد فارس وروما على السواء وكانت بمثابة الحاجز بين الاثنين، وقد قويت هذه المملكة تحت حكم «زنوبيا» وعظم شأنها. كذلك فإن أحد أعضاء مجلس الشيوخ نصب من نفسه إمبراطوراً على غاليا وأسبانيا وبريطانيا. وبدأ للجميع أن الإمبراطورية قد أخذت تصفى وترد إلى عناصرها الأولية. إلا أن الإمبراطور المركزى «أوريليانوس» (حكم ٢٧٠ ـ ٢٧٥م) زحف على «زنونيا» واستولى على تدمر وأسرها، كما زحف على «تتريقوس» فى الغرب وقبض عليه وأعاد غاليا وأسبانيا وبريطانيا إلى حظيرة الحكومة المركزية الرومانية.

وكان لابد للفوضى التى نشبت أظفارها فى كل اتجاه من يد حديدية تقبض على أعنة الأمور. وقد تمثلت تلك اليد فى الإمبراطور «دقلتيانوس» الذى بذل جهدا كبيراً فى تنظيم الدولة ومحاولة إعادة الأمور إلى نصابها وتحقيق الحد الأدنى من السلم والأمن، وإن جاء ذلك على حساب دافعى الضرائب وروح الابتكار والتقدم؛ فقد فرض «دقليتانوس» على الدولة نوعاً من الاستبداد والدكتاتورية لم يعرف من قبل؛ نعم لقد تحقق ضرب من ضروب السلم ولكنه أدى إلى انحطاط إيطاليا وتوقف نموها الحضارى.

جاء بعد «دقلتيانوس» الإمبراطور «قسطنطين» (٣٢٤م) الذى وجه اهتمامه الأكبر إلى الجزء الشرقى من جزيرة البلقان فأسس روما جديدة مكان البلدة اليونانية الصغيرة بيزنطيا على الجانب الأوروبى من البسفور والتى توسعت بعد ذلك وعرفت باسم القسطنطينية، تلك المدينة التى لم يكن يضارعها جمالاً وأبهة سوى مدينة الإسكندرية فى مصر وهكذا انتقلت عاصمة الدولة الرومانية من روما إلى القسطنطينية أى من الغرب إلى الشرق، وتمهيدا للانفصال الذى حدث بعد ذلك وشق الإمبراطورية إلى شقين واستمرار انحطاط روما وإهمالها.

وقد تجددت هجمات البرابرة الشماليين من الجرمان والغاليين على إيطاليا التى كانت قبل ذلك تصدهم وتردهم طالما كانت جيوش الدولة الرومانية قوية عزيزة ولكن بعد ضعف الإمبراطورية وتفسخ جيوشها تغير الحال وتبدل فقد ازدادت أعداد

القبائل البربرية وظهرت برابرة جدد هم الهون وكانوا أكثر تخريبًا وأعنف من غيرهم من بربر الجرمان والغاليين والفرنكيين.

وقد خلف قسطنطين الإمبراطور «فالنس» وحاول قدر طاقته الحفاظ على تماسك الإمبراطورية ثم جاء بعده «ثيودوسيوس» آخر الأباطرة العظام فى تلك الفترة وقد جهد هو الآخر فى الحفاظ على وحدة الإمبراطورية وصد الغزاة ما استطاع ولكنه لم يستطع ذلك إلا بعد أن استخدم كبار الجرمان وزراء وقوادا فى حكومته وعقد عقود مصاهرة مع بعضهم وعلى رأسهم «استيليخوس الفاندالى» وعندما دنا الأجل سنة ٣٩٥م جعل هذا القائد وصيًا على ابنيه القاصرين «هنوريوس» و «أركاديوس» وكان «ثيودوسيوس» قد قسم الإمبراطورية بين إبنيه هذين فأعطى أركاديوس الشرق وأعطى هنوريوس الغرب فوضع بذلك بذور الانفصال بين شطرى الإمبراطورية. وإن كان الشطر الشرقى قد تماسك فترة طويلة من الزمن بعد ذلك فيما عرف بالإمبراطورية البيزنطية، إلا أن الشطر الغربى أخذ فى التجزؤ السريع فلم يمر نصف قرن حتى تلاشت الإمبراطورية والإمبراطور.

لقد شدد البرابرة هجماتهم على الجزء الغربى من الإمبراطورية وكانوا عندما يحتلون أرضا يستوطنونها على نحو ما فعل «الفندال» و شعبان جرمانيان آخران عبروا نهر الراين واستقروا فى أسبانيا وأنشأوا بها ثلاث ممالك خاصة بهم سنة ٤٠٠م، ثم عبر جزء منهم بعد ذلك إلى أفريقيا واستولوا على ولاية أفريقيا الرومانية سنة ٤٢٩م. وجاء رهط آخر واستولوا على جنوب شرقى غاليا. وفى تلك الأثناء أيضًا عبرت بعض القبائل الجرمانية بحر الشمال واستقرت فى بريطانيا وطردوا الرومان منها. وظلت الإمبراطورية الغربية تقتطع قطعة وراء أخرى حتى لم يعد لإمبراطور الغرب سوى إيطاليا فقط. بل وبدأ غزو إيطاليا نفسها ففى سنة ٤٥٠م بدأ الهون فى الهجوم على إيطاليا ولكن تحالف القوط الغربيين والجرمان الغربيين مع روما أدى إلى هزيمة الهون وردهم على أعقابهم سنة ٤٥١م. بيد أنه فى سنة ٤٥٥م استولى الفاندال الذين قدموا من قرطاجنة إلى صقلية ثم إلى إيطاليا، على روما نفسها ونهبوا ما استطاعوا نهبه بيد أنهم لم يدمروا شيئا من المبانى.

وفى إيطاليا التى بقيت من الإمبراطورية الرومانية الغربية كان الأباطرة ألعوبة فى يد القواد العسكريين الجرمان. ومن سخرية القدر أن آخرهم كان «رومولس أوغسطولس» «أى أوغسطوس الصغير». وحتى هذا الإمبراطور خلعه القادة الجرمان ووضعوا مكانه أحدهم ويدعى «أودواسر».

وزحفت على إيطاليا موجات بعد موجات من برابرة الشمال بين ٤٧١ و٤٧٦م ودمروها تدميراً تاماً ولم يتركوا شيئًا قائما يذكر واختفت آخر أجزاء الإمبراطورية الرومانية الغربية وسقطت أوروبا فى ظلام العصور الوسطى التى تبدأ تاريخياً فى القرن السادس الميلادى.

ظهور المسيحية وانتشارها

لم نشأ أن نقطع سياق التتابع التاريخى للإمبراطورية الرومانية ونتحدث عن ظهور المسيحية وانتشارها وأثرها فى الإمبراطورية وآثرنا معالجتها هنا حيث أن للمسيحية والمسيحيين علاقة وثيقة بمكتبة الإسكندرية كما سنرى تفصيلا فيما بعد.

لقد ولد المسيح عيسى بن مريم فى يهوذا من أعمال فلسطين إبان حكم «أوغسطوس قيصر» أول قياصرة روما. وقد بدأ دعوته فى نحو سن الثلاثين خلال حكم «تبيريوس قيصر». وكان المسيح شخصًا ذا جاذبية حادة يجذب إليه الأتباع ويملأ قلوبهم محبة و رحمة وشجاعة. ومن المؤكد أن الدعوة التى جاء بها أحدثت هزة عميقة فى الأفكار الدينية التى سادت فى الإمبراطورية الرومانية والتى استقرت أمدًا طويلاً. بل إنه هز الديانة اليهودية نفسها وما شابها من تجاوزات وخاصة فيما يتعلق بتميز اليهود عمن سواهم من خلق الله.

ولم تكن دعوة المسيح مجرد ثورة أخلاقية أو اجتماعية وإنما كانت أيضا ثورة سياسية واقتصادية. ومن هنا وجدت المسيحية مقاومة عنيفة من جانب الكهنة من جهة والجنود والأباطرة الرومان من جهة ثانية وطبقات التجار والأغنياء من جهة ثالثة. لقد كان القيصر ينصب من نفسه إلها يعبد ولما جاء الدين المسيحى أبى

ذلك تماما ومن ثم اعتبره القياصره عقيدة تدعو إلى التمرد والفتنة وبالتالى حاربوه واضطهدوا المسيحيين أتباعه اضطهادا لاحد له وقصص إطعام الوحوش الضارية بالمسيحيين معروفة ومألوفة.

ولقد انتشرت تعاليم الديانة المسيحية فى كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية خلال قرنين من ميلاد المسيح وأخذت توثق العلاقات بين جموع المسيحيين فى أنحاء الإمبراطورية. وقد تفاوتت مواقف الأباطرة من هذا الانتشار فمنهم من عاداها ومنهم من وقف موقف الحياد ومنهم من تسامح معها. وكانت هناك خلال القرنين الأول والثانى محاولات مختلفة ومتباينة للقضاء على هذه العقيدة. وكان الإمبراطور «دقلتيانوس» من أشد الأباطرة عداوة للمسيحية واضطهاداً لها وفى سنة ٣٠٣م وما بعدها أوقع بالمسيحيين أضطهاداً شديداً فصادر أملاك الكنيسة الضخمة وجميع الكتب المقدسة وكل الكتابات الدينية وأحرقت، وأهدرت دماء المسيحيين باعتبارهم خارجين عن القانون وأعدم كثير منهم.

يقول هـ. ج. ويلز أن تدمير تلك الكتب أمر جدير بالملاحظة فهو يبين كيف عرفت السلطات قدرة الكلام المكتوب على ربط اتباع العقيدة الجديدة معًا ولقد فشل اضطهاد «دقلتيانوس» فشلاً تاما فى القضاء على المسيحية وعلى المجتمع المسيحى وكان عديم الأثر فى كثير من الولايات وذلك لأن نسبة كبيرة من السكان فى تلك الولايات كانوا مسيحيين. وفى سنة ٣١٧م صدر مرسوم بالتسامح مع المسيحية واعتبارها دينا رسميا فى الإمبراطورية، والذى توفر على إصدار هذا المرسوم هو الإمبراطور «جاليريوس الشريك» (أشركه دقلتيانوس فى الحكم سنة ٣٠٥م وجعله قيصرا على منطقة الليريا وأقاليم الدانوب وإنفرد بحكم الإمبراطورية الشرقية بعد تنازل دقلتيانوس. وفى سنة ٣٢٤م غدا الإمبراطور «قسطنطين» الحاكم الأوحد للعالم الرومانى وكان نصيرا للمسيحية بل يقال إنه اعتنقها وهو على فراش الموت وأمر بوضع شارات المسيحية ورموزها على دروع الجنود وألويتهم.

ولم تمض بضع سنين بعد ذلك حتى رسخت قدم المسيحية وأصبحت الديانة

الرسمية للإمبراطورية وتلاشت أو كادت الديانات الوضعية المناوئة لها. وفى سنة ٣٩١م أمر «ثيودوسيوس الأكبر» بتدمير تمثال «جوبيتر سيرابيس» فى الإسكندرية. ولم يعد هناك كهنة ولا معابد فى الإمبراطورية الرومانية منذ مطلع القرن الخامس الميلادى. وانتشرت المسيحية وتوغلت حتى فى الحياة المدنية وغدا هناك فى الإدارة حاكم علمانى وحاكم دينى.

وهناك قضية أخرى لابد وأن نتوقف عندها قليلاً لأن لها صلة ولو غير مباشرة بقضية حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية. فنحن نعلم أن الدين الذى جاء به المسيح هو دين توحيد وتعاليم المسيح صريحة واضحة فى ذلك إلا أنه بعد وفاة المسيح بفترة من الزمن ظهرت فى المسيحية عقيدة التثليث، تلك العقيدة التى أفسدت المسيحية وجعلت من يعتنقها مشركًا بالله. ويقال أن الذى أدخل عقيدة التثليث فى المسيحية يهودى فى الأصل اسمه «شاؤول» كان من أبرز وأنشط العناصر المضطهدة للحواريين، ولكنه فجأة تحول واعتنق المسيحية وغير اسمه إلى «بولس» وكان شديد الاهتمام باليهودية والميثرائية وديانة الإسكندرية. وطفق بولس ـ الذى أصبح قديسا ـ يدخل فى عقول تلاميذه فكرة أن عيسى مثل «أوزوريس» كان ربا مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود وقد فجر ذلك خلافات لا حد لها فذهب أتباع «آريوس» إلى أن عيسى إله غير أنه متميز عن الآب وأدنى منه مرتبة؛ وذهب أتباع «سابيليوس» إلى أن يسوع ليس إلا أقنوما من أقانيم الآب؛ وأن الله هو يسوع والآب فى وقت واحد، بل وغالى بعضهم ـ الثالثيون ـ فقالوا إن الله واحد وثلاثة فى نفس الوقت وأنه «الآب والابن والروح القدس».

يقول هـ. ج. ويلز أنه قد انقضى ردح من الزمن لاح فيه أن مذهب «آريوس» سيفوز بالنصر على منافسيه ثم حدثت صراعات ومنازعات ومشاحنات عنيفة بل ونشبت حروب أسفرت عن فوز عقيدة التثليث وحازت القبول لدى العالم المسيحى بأكمله. ولعل أتم صورة لهذه العقيدة نجدها فى مذهب «القديس إثناسيوس». وبهذه الطريقة فسدت الديانة المسيحية وأنحرفت عن جوهرها التوحيدى الذى جاء به المسيح. وقد رأى البعض أن انتشار عقيدة التثليث فى الإسكندرية كانت من بين

الدفوع التى دفعت بالمسلمين إلى حرق مكتبة الإسكندرية. وسوف نرى ذلك تفصيلاً فيما بعد عند حديثنا عن حرق المكتبة.

ظهور الإسلام وانتشاره

طالما أنه زج بالمسلمين فى قضية حرق مكتبة الإسكندرية فلابد وأن نعرض هنا ولو لماماً لظهور الإسلام وانتشاره واهتمام الإسلام بالعلم والعلماء وأدوات العلم.

ولد الرسول الكريم فى مكة البلدة الوثنية سنة ٥٧٠م العام الذى عرف بعام الفيل. وبعث فى سن الأربعين (حوالى ٦١٠م). وكان جوهر دعوته عبادة الله الواحد الأحد وإكمال مكارم الأخلاق. وحوربت الدعوة واضطهد أتباعها وهاجر الرسول وصديقه الصدوق وتلميذه الأمين أبو بكر الصديق إلى المدينة كما هاجر المسلمون إلى الحبشة. وقويت شوكة المسلمين وعاد الرسول إلى مكة وفتحها سنة ٦٢٩م وبعدها راح يرسل الرسائل إلى الملوك فى الجزيرة العربية وخارجها يدعوهم فيها إلى الدخول فى الإسلام. وقبيل سنة ٦٣٢م كان الإسلام يرفرف على أنحاء الجزيرة العربية. ولقد كان الإسلام فى حقيقة الأمر ثورة دينية رائعة وعميقة أعادت العقيدة إلى نصابها الصحيح، وثورة اجتماعية تدعو إلى الإخاء والمساواة والصلاح النفسى والاجتماعى؛ وثورة سياسية؛ وثورة اقتصادية بكل المعايير؛ كما كان الإسلام ثورة علمية من جميع الجوانب.

وينظر البعض إلى الخليفة أبو بكر الصديق على أنه مؤسس الدولة الإسلامية بجيش بسيط محدود قوامه من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف مقاتل عربى. ولقد بدأت قصص الفتوحات تتوالى، تلك الفتوحات التى يصفها البعض بأنها أعجب فتوحات مرت على مسرح تاريخ الجنس البشرى فقد تمزق الجيش البيزنطى فى معركة اليرموك فى سنة ٦٣٤م. ولم يلبث «الإمبراطور هرقل» أن رأى ممتلكاته التى استردها وشيكا من الفرس فى سوريا وهى دمشق وتدمر وأنطاكية والقدس وغيرها تتداعى أمام المسلمين دون مقاومة تقريبًا، واعتنقت نسبة كبيرة من السكان دين الإسلام ثم اتجه المسلمون شرقا صوب بلاد الفرس الذين نصبوا «رستم» المحنك القدير قائدًا على

جيش عرمرم استمروا يقاتلون به ثلاثة أيام عند القادسية سنة ٦٣٧م وأحرز المسلمون النصر المؤزر عند القادسية، وبعد ذلك تم فتح بلاد فارس بأجمعها وتقدم المسلمون صوب التركستان ثم توغلوا شرقاً حتى حدود الصين.

واتجه المسلمون غربًا نحو مصر حيث قاد عمرو بن العاص فى عهد عمر بن الخطاب الحملة على مصر ٦٣٩م وعلى الإسكندرية ٦٤٢م. وفى هذا التاريخ تبدأ قصة المسلمين مع مكتبة الإسكندرية، القصة التى تقول بأن عمرو بن العاص أحرقها بناء على تعليمات من عمر بن الخطاب ولنا إليها عودة. واندفع سيل الفتوحات على ساحل أفريقيا الشمالى حتى بلغ مضيق جبل طارق وعبرته إلى بلاد الأندلس سنة ٧١٠م ووصل المسلمون الفاتحون إلى جبال البرانس سنة ٧٢٠م ولم يلبث العرب أن تقدموا حتى بلغوا وسط فرنسا سنة ٧٣٢م ولكنهم توقفوا بعد ذلك إلى الأبد بعد معركة بواتييه أو بلاط الشهداء التى هزم فيها عبد الرحمن الغافقى على يد شارل مارتل الفرنكى. ورغم أنهم حاولوا فتح القسطنطينية مرات عديدة بين ٦٧٢ و٧١٨م إلا أنهم لم ينجحوا فى ذلك.

ورغم أن الإمبراطورية العربية كانت أول إمبراطورية سامية فى خلال الألفية إلا أنها تفككت سريعا ولم تدم لها الوحدة أكثر من قرن ثم انشطرت إلى أموية الأندلس وعباسية المشرق، ولم تلبث كل منهما أن تداعت وتفككت وأغرت الأعداء من الداخل والخارج بها. ورغم وحدتها القصيرة نسبيًا وتفككها السياسى إلا أن أثرها فى العقل الإنسانى وفى المصائر العامة للجنس البشرى كان عميقًا وكما يقول هـ. ج. ويلز «لقد قذفت المقادير بالذكاء العربى فى طول العالم وعرضه بصورة أسرع وأروع مما فعلت بالعقل اليونانى قبل العرب بألف سنة؛ لذا عظمت إلى أقصى حد الاستثارة الفكرية التى أحدثها وجودهم للعالم أجمع غربى بلاد الصين؛ كما اشتد تمزيق الأفكار القديمة وتطور أخرى جديدة».

لقد انصهرت فى الحضارة العربية الإسلامية جميع حضارات الشعوب التى دخلت فى الإمبراطورية الإسلامية وتلك التى احتكت بها مجرد احتكاك: الحضارة والفكر عند اليونان؛ الحضارة والفكر عند الرومان؛ الحضارة والفكر لدى المصريين؛

الحضارة والفكر لدى الفرس؛ الحضارة والفكر لدى الصينيين؛ الحضارة والفكر لدى الهنود.

وفى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى بدأ التدوين وأخذت حركة النشر والتأليف والترجمة فى الازدهار وإثراء الحياة الفكرية وأصبح للدولة مؤسسات فكرية وتعليمية وأخذت المكتبات فى الظهور بأشكال مختلفة وحجوم متفاوتة. وفى القرن التاسع أخذ تواصل العلماء المسلمين فى التعاظم فكان العلماء يرتحلون من الأندلس والمغرب إلى أقاصى المشرق وكانوا يتراسلون مع نظرائهم فى كل مكان. وكان تأثير الفكر العربى الإسلامى فى أوروبا عظيمًا وساعد فى قيام النهضة الأوروبية.

ولم يكن الفكر العربى الإسلامى مجرد فكر دينى أو إنسانى بحت بل تخطى ذلك إلى العلوم البحتة والتطبيقية فبرع العرب المسلمون فى الرياضيات ودخل اسم الخوارزمى فى نظريات هذا العلم، كما برعوا فى الطب والفلك والطبيعة والكيمياء وعلم الحيل (الميكانيكا). إن الأرقام العربية التى يستخدمها العالم الآن قاطبة تحمل ذكرى تلك الكشوف العلمية العظيمة، وإن الأسماء العربية لبعض النجوم تكشف عن باعهم فى علم الفلك.

ولقد وفق العرب المسلمون فى صناعة بعض العقاقير الفعالة لمداواة الأمراض كما استخرجوا المعادن وصنعوا السبائك والأصباغ وعرفوا التقطير والألوان والعطور وزجاج العدسات.

ولقد نشطت هذه النهضة العلمية ونهضت إلى علوم الرفاهية ومن بينها محاولة الوصول إلى «حجر الفلاسفة» الذى يحولون به العناصر والمعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة وخاصة الذهب. كذلك محاولتهم البحث عن «أكسير الحياة»، ذلك الترياق الذى يطيل العمر ويعيد الشباب. ولكن هذه المحاولات فى الاتجاهين ذهبت سدى والبشرية لم تتوصل إلى أيهما حتى الآن.

لقد استمرت الحضارة العربية الإسلامية رغم التفسخ السياسى المبكر فى الازدهار والعطاء ربما حتى القرن الثالث عشر الميلادى، حينما بدأ الأعداء يحيطون بالدول الإسلامية المفككة من كل جانب ويجهزون عليها.

ولقد أهدى العرب المسلمون إلى البشرية أسس منهج البحث العلمى النظرى وأسس منهج البحث التجريبى.

ذلك كان السياق التاريخى الذى قامت فيه مكتبة الإسكندرية القديمة والذى اختفت فيه تلك المكتبة العظيمة. ولننظر فى الفصل القادم السياق الحضارى والجغرافى الذى قامت عليه المكتبة.

الإسكندرية القديمة والحضارة الهللينية

أنشأ «الإسكندر الأكبر» فى كل بلد يغزوه ويفتحه مدينة تعرف باسمه «الإسكندرية» وربما يكون قد خطط لإنشاء مكتبة فيها أيضًا أو أنشأها بالفعل. بيد أن إسكندرية مصر كانت أجمل الإسكندريات على الأطلاق. وقد وقفت على عبارة فى وثيقة قديمة تؤكد على هذا المعنى تقول العبارة «نعم هناك مدن كثيرة ولكنها مدن محلية وتبقى الإسكندرية مدينة العالم كله».

ولعل مصدرنا الأساسى عن مدينة الإسكندرية القديمة هو كتاب «سترابون» المسمى الكتاب السابع عشر والذى وصف فيه المدينة حوالى ٢٤ ق.م. ومعظم من كتبوا عن تأسيس مدينة الإسكندرية يعتمدون عليه.

لقد حقق الإسكندر الأكبر انتصارًا سهلاً على الفرس فى مصر وكان من اليسير عليه الاستيلاء عليها ومن ثم كان عليه أن يظهر الود والاحترام للمصريين وآلهتهم وأن يتلقى بركات الإله آمون إله مصر الأعظم فى واحة سيوة وبالتالى أبحر من ممفيس (ميت رهينة) فى النيل إلى البحر الأبيض عند كانوبوس المصب (الفرع) الغربى للنيل وقد دارت سفنه حول بحيرة المريوطية ورست هناك. وكانت هناك على اليابسة قرية صيادى السمك المصريين تسمى راكوتيس (راقودة) وهى عبارة عن لسان من الأرض عرضه نحو أربعة كيلومترات وطوله بين البحر والبحيرة نحو سبعة

كيلومترات تمثل شاطىء البحر فى تلك المنطقة وتقع جنوب هذا اللسان بحيرة المريوطية وكانت واحدة من بحيرات كثيرة انتشرت فى دلتا النيل آنذاك (وهى شبيهة ببحيرات ومستنقعات دلتا المسيسبى). وشمال هذا اللسان كان هناك بطبيعة الحال البحر الأبيض المتوسط وتظهر فيه فى تلك البقعة جزيرة طويلة ضيقة هى جزيرة فاروس التى تبعد عن الشاطىء بنحو ميل وهى تحمى الشاطىء خلفها من الرياح والعواصف والأمواج العاتية وتؤمن أساسيات الميناء الآمن المطمئن الذى يجمع ملامح الطبيعة وصنعة الإنسان حيث تم مد جسر بين هذه الجزيرة وبين الشاطىء بطول ٤٢٧٠ قدمًا أى بنحو ١٣٠٠ متر. ونتيجة لإنشاء هذا الجسر أصبح هناك ميناءان أحدهما شرقى عرف بالميناء الكبير والثانى غربى عرف بالصغير أو العود الحميد. وكان الميناء الشرقى هو بطبيعة الحال أهمها فى العصرين البطلمى والرومانى.

وفى اليوم الخامس والعشرين من شهر طيبى (بتقويمنا الحالى العشرون من يناير سنة ٣٣١ق.م) من تحديد الإسكندر الأكبر لموقع المدينة فى المكان المذكور بدأت أعمال تأسيس مدينة الإسكندرية المصرية وقد أصدر الإسكندر قراره الشهير بذلك. وهذا التاريخ هو الذى جرى عليه الاحتفال السنوى بقيام مدينة الإسكندرية طوال الحقبة الهللينية. وقد كان الإسكندر يتابع بنفسه أعمال التخطيط والتصميم ووضع حدود المدينة وتحديد مواقع معابد الآلهة والأعمال العامة. ولقد عهد الإسكندر الأكبر إلى مهندسه المعمارى الذى صحبه فى حملته على مصر: «دينوقريطس» بوضع المخطط العام وتنفيذ بناء المدينة التى أريد لها أن تأتى مترامية الأطراف فخمة المبانى تتوسط العالم المتحضر المعروف آنذاك سيدة التجارة من الشرق والغرب مركز الفنون والآداب والفكر فى العالم. وقد وعد «دينوقريطس» بإقامة مبانٍ تناطح السحب؛ وقصور غاية فى الفخامة ومعابد تشيع الرهبة والطمأنينة.

وهكذا فى شتاء سنة ٣٣١ ق.م، كانت أعمال الإنشاء قد بدأت فى المدينة مدينة الإسكندر ابن فيليس المقدونى؛ المدينة التى لم يرها الإسكندر نفسه أبدا والتى ربما يكون قد دفن فيها جثمانه ورفرفت عليها روحه. وقد عين الإسكندر بعد مغادرته مصر «كليومينس» واليا عليها وجابيا لضرائبها. وقد كان واليا سىء الخلق جشعا

يمارس الغش والخداع مع كل خلق الله من تجار إلى موظفين إلى كهنة وقد قال فيه آريان «إنه شيطان بشرى ارتكب أبشع الفظائع فى حق مصر».

وما يعنينا من ذكر هذا الرجل «كليومينس» هنا هو أنه بدأ بناء الإسكندرية حيث قال عنه أرسطو أن الإسكندر الملك قد ألقى إليه الأمر أن ينشىء المدينة قرب جزيرة فاروس وأن ينقل إليها الأسواق التى كانت موجودة في كانوبوس. ويصفه البعض بأنه هو الآخر كان مهندسًا معماريا إلى جانب دينوقريطس. ونحن فى حقيقة الأمر لا نعرف على وجه التحديد ماذا قام به كليومينس النوقريطى فى بناء مدينة الإسكندرية. ولقد مات الإسكندر سريعا سنة ٣٢٣ ق.م. وعند توزيع إمبراطوريته أصبحت مصر من نصيب البطالمة، واستمر كليومينس فى ظل بطليموس الأول جابيا للضرائب وقد شك فى أمره بعد ذلك وحكم عليه بالإعدام وصودرت ثروته الضخمة التى كونها من دماء الناس.

ومن هنا يتفرد دينوقريطس بدور المعمارى الوحيد فى بناء الإسكندرية، وقد أقام بالفعل المبانى الرئيسية فى المدينة. وقد نمت المدينة فى عهد «بطليموس سوتر» (أول مَرْزُبان على مصر حتى ٣٠٥ ق.م ثم ملكاً على البلاد حتى ٢٨٣ ق.م) «وبطليموس الثانى» (فيلادلفوس) ابنه نموا سريعًا على الرغم من أن جميع الحكام البطالمة بعدهما أحاطوها بما تستحقه من عناية وتطوير. وقد ظلت المدينة الرئيسية فى العالم القديم منذ وفاة الإسكندر الأكبر ٣٢٣ ق.م وحكم «بطليموس الأول» حتى النصر النهائى لحفيد قيصر المحظوظ أوغسطوس ٣٠ ق.م ـ كليو باترا، حين أخذت تتوارى عن الأنظار وتخفت من حولها الأضواء.

ويسجل لنا القدماء وعلى رأسهم «إسترابون» و«بلوتارخ» المخطط العام للمدينة وهو على هيئة الكلامس اليونانى أى العباءة العسكرية. لقد كانت المدينة تغسل بمياه البحرين: المتوسط من الشمال وبحيرة مريوط من الجنوب، لقد شيدت المدينة على رقبة ضيقة من اليابسة تنتشر فيها تلال غير منتظمة الارتفاعات تجرى من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى لمسافة تقترب من ستة كيلومترات وعرضها غير منتظم

ويقترب من نصف الطول ويبلغ قطر المدينة نحو خمسة وعشرين كيلو مترًا داخل أسوارها.

وقد قسمت المدينة من الداخل على أساس العرقيات أو الجنسيات التى كانت تقطنها أو تقيم فيها وذلك على النحو الآتى:

١ ـ حى المصريين وهم أهل البلد الأصليون وكان يطلق عليهم الراقوط وفى هذا الحى قام معبد السيرابيوم والذى اعتبر أهم مبنى فى تلك المدينة بل فى كل أنحاء العالم ولم يكن يبزه سوى الكابيتول فى روما.

٢ ـ حى البروكيوم (وأحيانا البروكيون) أو ما أطلق عليه الحى الملكى اليونانى المقدونى والذى كان يحتل واجهة الميناء الكبير كلها ابتداءً من قنة التل لوكياس وحتى حاجز الأمواج (هيبتاستاديوم) الذى كان يربط المدينة بجزيرة فاروس. وفى هذا الحى الملكى كان يسكن اليونان والمقدونيون والأجناس الأخرى الكثيرة من أوروبا وآسيا التى وفدت لتعيش فى الإسكندرية وفى هذا الحى أيضا نصادف الدواوين الحكومية وحوانيت التجارة الرئيسية والمبانى العامة الفخمة الكبيرة وفوق كل هذا ضريح العظماء (سوما) المنتصرين؛ والمتحف الكبير بمكتبته ذائعة الصيت موضع كتابنا هذا وملحقاتها مثل مسرح المحاضرات العامة والمرصد الفلكى وكانت تربط فيما بينها ببهو أعمدة رائع وفخم مصنوعة من الرخام المصرى النادر، وخلف هذا كله وعلى الشريط الممتد على قنة تل لوكياس ووسط الحدائق الغناء وصفوف الأشجار الباسقات والنباتات والورود والزهور قامت قصور البطالمة، صفوف من المبانى الفخمة الفسيحة والعزب التى امتدت حتى قلب المدينة اليونانية.

٣ ـ الحى اليهودى. ومن المدهش أنه كان من الامتداد والاتساع بحيث يعدل الحى اليونانى نفسه أى الحى الملكى وكانت له أسواره الخاصة به التى تفصله عما سواه. وفى هذا الحى كانت تسكن الجالية اليهودية الضخمة، ولا يجب اعتبار هذا الحى بمثابة جيتو لليهود ولكنه كان فى حد ذاته مدينة قائمة بنفسها يحكمها الإتنارش اليهودى مباشرة ولهم المجلس الخاص بهم والقوانين الخاصة المنظمة لشئونهم. وكانت هناك

معارك ومشاجرات مستمرة وكثيرة بين اليونانيين واليهود فى الإسكندرية مما أدى إلى إلغاء الامتيازات الخاصة الممنوحة لهؤلاء اليهود، تلك الامتيازات التى كانت تتقلص أو تزداد (وخاصة فى ظل الرومان) طبقا للأوضاع السياسية المتقلبة التى كانت تتعاور تلك المدينة المضطربة.

وإذا كانت تلك هى الأحياء الثلاثة الرئيسية فى مدينة الإسكندرية، فقد ورد فى المصادر أن المدينة ككل كانت مقسمة إلى خمسة أقسام تحمل الحروف الخمسة الأولى من الأبجدية اليونانية: ألفا؛ بيتا (ويقع فى نطاقهما قصور الملوك البطالمة والمتحف والمكتبة وضريح العظماء (سوما) أو ضريح الإسكندر كما أطلق عليه)؛ جاما، دلتا (ويقع فى نطاقهما الحى اليهودى)؛ إبسلون (وأغلب الظن أنه كان يقع فى نطاقه الحى الوطنى). وللأسف لا نعرف على وجه التحديد مواقع هذه الأقسام الثلاثة الأخيرة الآن.

وفى داخل الأحياء الثلاثة: المصرى واليونانى واليهودى ذات الأقسام الخمسة المرقمة هجائيا كان السواد الأعظم من السكان ينقسم إلى جماعات أو طبقات اجتماعية يمكننا أن نتميز أهمها:

١ ـ طبقة الأثرياء الشرقيين المرفهين.

٢ ـ طبقة العسكريين المقدونيين.

٣ ـ طبقة اليونانيين من اليونان الأم والجزر المحيطة فى البحار الهللينية.

٤ ـ طبقة اليونانيين ذوى الأصول الأفروآسيوية والذين انحدروا أساسًا من كيرين وقالقيدونيا.

٥ ـ طبقة السوريين وكل ولايات آسيا الصغرى.

٦ ـ طبقة العرب والبابليين والآشوريين والميديين والفرس.

٧ ـ طبقة الأيبريين ومن والاهم من وراء أعمدة هرقل وما وراء الهند.

٨ ـ طبقة القرطاجنيين والإيطاليين والغاليين.

٩ ـ طبقة المفكرين والباحثين والشعراء والنقاد والعلماء والفنانين من كل فئة ورؤساء المتحف والمكتبيين فى المكتبة.

١٠ ـ التجار من جميع أنحاء العالم ومن مصر.

١١ ـ طبقة اليهود وهم كثيرون ومهمون.

١٢ ـ طبقة العامة والتى تتراوح من المشتغلين بالسياسة (من غير المصريين) إلى طبقة العمال والحرفيين (وهم أساسًا من المصريين).

١٣ ـ طبقة العبيد من جميع أنحاء الأرض سواء عبيد الحكومة أو عبيد الخاصة وهم الوصمة التى وصمت الحضارة القديمة وخاصة الكلاسيكية.

لقد وصلتنا قطعة بردى ترجع إلى القرنين الثانى والثالث بعد الميلادى تعرف باسم «نبوءة الخزافين» نجد فيها أحسن عبارة لوصف مجتمع هذه المدينة «هذه المدينة كانت حضانة عالمية، استقر فيها ناس من كل جنس».

وكانت الإسكندرية منذ إنشائها واحدة من أجمل مدن العالم. لقد ران على روما أكثر من سبعة قرون كى تتحول من بيوت الطوب إلى بيوت الرخام فى عهد «الإمبراطور أوغسطوس»، بينما بدأت الإسكندرية بالرخام منذ مولدها وخططت المدينة طبقا لأعظم وأروع تخطيط معمارى بحيث تقوم على شوارع واسعة عريضة بزوايا قائمة مع شوارع جانبية عريضة هى الأخرى بما يسمح للخيول وعربات الخيول أن تسير فيها بسهولة.

لقد قطع شارعان كبيران المدينة إلى أربعة أجزاء غير متساوية، وتم رصف هذين الشارعين بمربعات من الجرانيت. كان أحد الشارعين هو الطريق الكانوبى الشهير بالميزونبديوم ويبدأ هذا الشارع عند بوابة كانوبوس فى الحى اليهودى ويمتد لمسافة ستة كيلومترات تقريبًا من الشمال الشرقى وحتى الجنوب الغربى مخترقاً الحى الملكى ويخرج من الحى المصرى (راقوط) عن طريق بوابة نكروبوليس وحيث يوجد فى غربى المدينة ما عرف باسم «مدينة الموتى». والشارع الرئيسى الثانى كان يمتد من

الجنوب الشرقى حتى الشمال الغربى أى من بوابة الشمس على بحيرة مريوط أو بالقرب منها حتى بوابة القمر حتى حاجز الأمواج الذى يربط الحى الملكى بجزيرة فاروس وإلى الشرق أكثر مع الميناء الكبير. لقد كان عرض الشارع من هذين الشارعين أكثر من ثلاثين مترا (١٠٠ قدم)؛ وكانا يتقاطعان بزاوية قائمة عند حى البروكيوم أى الحى الملكى أو اليونانى. وعلى جانبى كل شارع منهما كان هناك صف من الأعمدة الرخامية كانت تتخللها مناطق مغطاة لحماية المشاة من العواصف والأمطار على نحو ما نصادفه اليوم فى شوارع بولونيا المغطاة.

وكانت باحات الشوارع تزين بالآثار التى يبرز بينها عدد كبير من المسلات وأبو الهول التى تذكر المصريين العظماء بسالف زمانهم ومجدهم.

وإلى جانب الشارعين الكبيرين كان هناك على الأقل سبعة شوارع أخرى أصغر متوازية معهما على امتداد طول المدينة مع الشارع الطولى الكبير ولكن الواحد من تلك الشوارع لم يكن ليزيد طوله عن ثلاثمائة متر (١٠٠٠ قدم)، كما كان هناك على الأقل أحد عشر شارعًا تمتد بالتوازى مع وتضم شارع الشمس ـ القمر (أى الشارع المتقاطع الكبير) وكان طول الواحد منها نحو أربعمائة متر (١١٠٠قدم) وكان هناك سلسلة متواصلة من الشوارع العمودية بعرض المدينة.

وكانت مساكن المدينة حتى فى المناطق المتواضعة تبنى أساسًا من الحجر، ولا تستخدم فيها الأخشاب فى الأرضيات وتقوم الأسقف على عقود من الحجر أيضا. وكانت هناك قنوات توصل مياه النيل إلى البيوت وكانت المياه تنقى أساسًا قبل أن تصل إلى البيوت. وكانت أسطح البيوت تغطى بطبقة من الدبش أو الحجارة. وكان لعدم استخدام الخشب فى الأرضية أو السقوف والأسطح ميزة مقاومة الحريق قدر الإمكان أكثر من أية مدينة أخرى فى العصور القديمة.

ولم تلبث المدينة مع مر السنين أن توسعت توسعًا كبيرًا خارج الأحياء الثلاثة الموجودة على الشريط الأساسى وفى جزيرة فاروس.

ونشأ خارج تلك المناطق أسواق تجارية كبيرة ومصانع مختلفة، ومعاهد للثقافة

والفكر متنوعة، ومساكن لأناس جاءوا إلى المدينة من دول مختلفة. ولقد ازدحم الميناءان بالسفن الراسية والغادية والقادمة. وكان هناك ميناء على كل جانب من جانبى الهيبتاستاديوم حيث كانت تأتى السفن من كل حدب وصوب وكانت هناك مخازن ضخمة تقع إلى الغرب من حاجز الأمواج لتخزين الحبوب والمنتوجات التى ينتجها وادى النيل الخصب، تمهيدا لتصديرها إلى بلاد اليونان والرومان وكانت هناك سلالم رخامية تتدرج من تلك المخازن إلى مياه البحر لتسهيل التحميل والتنزيل.

ولقد كانت هناك ثكنات ومنشآت عسكرية للجنود المقدونيين والمرتزقة ومصانع للأسلحة لزوم الحروب وكانت هناك ملاعب وستاد رياضى وساحات لسباق الخيول وعربات الخيول. كما شوهدت مسارح المحاضرات العامة والقراءات العامة والمسرح اليونانى المكشوف للمسرحيات وحيث كان المشاهدون يمكنهم من مقاعدهم أن يروا شعلة فنار فاروس إحدى عجائب العالم القديم. ويعتبر هذا الفنار هو الأنموذج الذى أخذت عنه كل الفنارات. هذا الفنار الذى بناه «سوستراتوس السنيدى»، بلغ ارتفاعه ٥٩٠ قدما (حوالى ٢٠٠ متر) ويقال إنه استمر ولو جزئيا فى الوجود حتى القرن الرابع عشر حين دمره الزلزال وألقى به فى البحر. وقد انتشر المسرح الكوميدى إلى حد كبير فى الإسكندرية كما انتشر مسرح العرائس وكان صاحب هذا الاختراع هو المهندس العظيم «هيرون» الذى أبدع كثيراً من مسرحيات العرائس تلك. وانتشرت فى الإسكندرية معابد الآلهة جميعا وخاصة آلهة اليونان والمصريين كلها تجمعت فى السيرابيوم وحيث كان من المألوف أن يجتمع اليونان والمصريون فى عبادة جماعية عامة. لقد أقيم البانيوم (مزار مقدس) على ربوة صناعية ومن يتسلق تلك الربوة ويصل إلى قمة البانيوم يستطيع أن يرى الإسكندرية كلها. وكانت هناك حدائق للحيوانات البرية وحدائق للنباتات الاستوائية وفوق كل ذلك كان هناك شىء لا يوجد فى أية مدينة فى العالم القديم ألا وهو متحف ومكتبة الإسكندرية.

لقد وصف «أخيليس تاتيوس» آخر القصاصين اليونانيين وربما يكون قد استقر نهائيا فى الإسكندرية، وصف هذه المدينة الجميلة فى افتتاحية كتابه القصصى الخامس «كليتوفون وليوسبى» وجاء فى هذا الوصف: «بعد رحلة استمرت ثلاثة أيام وصلنا

إلى الإسكندرية وقد دخلتها من بوابة الشمس كما كانت تسمى وقد ووجهت منذ اللحظة الأولى بجمال وفخامة المدينة التى ملأت عينى بالبهجة. ومن بوابة الشمس

وحتى بوابة القمر - الحارسان المقدسان للمداخل - كان هناك صفان مزدوجان من الأعمدة على جانبى الطريق وفى الوسط كان هناك الجزء المكشوف من المدينة ويخرج من هذا الطريق شوارع جانبية عديدة. وعلى بعد مئات قليلة من الياردات وصلت إلى حى جديد أنشىء بعد وفاة الإسكندر مما يعتبر مدينة ثانية. وهذه المدينة الثانية كانت مقسمة إلى ميادين تقوم عليها صفوف من الأعمدة تتعامد عليها صفوف أخرى بزوايا قائمة ولقد حاولت أن أسرح الطرف على امتداد كل شارع ولكن عينى لم تكن تستطيعان الإلمام بكل جمال الشارع مرة واحدة ولقد استطعت أن ألتقط بعض المناطق بعينى والبعض الآخر لم أستطع، وكل ما وقعت عليه عيناى كان جميلا. ولقد جاهدت حتى أرى جميع الشوارع. وأخيرا كلَّت عيناى من كثرة النظر إلى هذا الجمال. ولقد تسمرت أمام حقيقتين هامتين إزاء تلك المدينة الأولى عدم قدرتى على المفاضلة بين ما هو أعظم وما هو أفخم وما هو أجمل: المدينة نفسها أم سكانها لأن الأولى كانت كبيرة جدا مثل قارة والثانية كانت أكبر من أن تحصى؛ لقد كانت أمة بأكملها. أما الحقيقة الثانية فإنها تأتت من كثرة نظرى إلى المدينة وتعجبى هل يستطيع أى جنس أن يملأها عن آخرها وكلما نظرت إلى السكان تعجبت هل تستطيع أى مدينة أن تستوعبهم جميعا. لقد كانت معادلة رائعة.

لقد تصادف وقت وصولى الاحتفال المقدس بإله الإغريق الأكبر المسمى زيوس وكذلك احتفال المصريين بسيرابيس، وكان هناك مواكب متلاحقة من حملة المشاعل. ولقد كان أعظم احتفال شاهدته فى حياتى فقد كان الوقت مساءً وقد غربت الشمس ولم تكن هناك أية علامة على الليل من شدة الضوء كما لو كانت ثمة شمس أخرى قد سطعت ولكنها موزعة على قطع صغيرة فى كل اتجاه ولقد وقر فى ذهنى أن السماء تحسد المدينة على كل هذا الجمال».

وإلى جانب هذا الوصف الرائع الذى قدمه لنا الروائى السكندرى «أخيليس تاتيوس»، نضيف بعض ما ذكره الجغرافى الرائع «سترابون» الذى زار مصر أيام

«أوغسطوس» وعاش فى الإسكندرية (٢٥ق.م ـ ٢٠ق.م) مما يعتقد معه أنه استخدم مكتبة الإسكندرية فى أبحاثه واقتبس الكثير من أعمال المؤلفين الذين اقتنت المكتبة أعمالهم على نحو ما نصادفه فى كتابه (الجغرافيا) والوصف الذى قدمه لنا يبدأ منذ دخوله الميناء الكبير وحيث عن يمين الداخل إلى الميناء نصادف جزيرة وبرج فاروس وعلى اليسار نجد سلسلة الحواجز وقنة تل لوكياس وعلى قمته القصر الملكى وعندما نبحر قليلا داخل الميناء نجد على اليسار بقية من القصور الملكية التى تتبع القصر الموجود على قنة التل وحولها العديد من المساكن المدهونة بدهانات بديعة ملونة. وفى مقدمة الميناء نجد الرصيف الصناعى الخاص بالملك وأمامه جزيرة صغيرة تعرف باسم أنتيرودس أقيم عليها قصر وميناء صغير. وعلى هذا الرصيف الملكى أقيم مسرح عرف آنذاك باسم (بوسايديوم). وهو على شكل كوع ناتىء من الإمبوريوم، وإلى هذا الكوع من اليابسة قام «أنطونيو» بإضافة حاجز للأمواج يمتد داخل الماء وعلى امتداد هذا الحاجز من الطرف الآخر بنى مسكناً ملكياً أسماه تيمونيوم حيث اعتزم أن يقضى بقية أيامه الأخيرة فى عزلة. ويأتى وراء هذا كله القيصارية (سيزاريوم)، الأمبوريوم، والمخازن، يليها بيوت السفن التى تمتد حتى هيبتاستاديوم هذا كله نصادفه عند دخولنا الميناء الكبير.

ويستأنف «سترابون» وصفه للمدينة فيقول: وبعد الهيبتاستاديوم أتينا إلى ميناء إينوستوس (إلى الغرب)، وبعد ذلك ثمة ميناء صناعى يسمى سيبوتوس ومزيد من بيوت السفن يليه ترعة صالحة للملاحة تؤدى إلى بحيرة مريوط؛ وخارج تلك الترعة أو القناة نجد على اليسار مرفأ صغيراً للمدينة وعندما أشرفنا على ضاحية نيكروبوليس ذات الحدائق والجداول ومنشآت تحنيط أجسام الموتى داخل القناة. وعلى الأكروبوليس فى راقودة (راكوتيس) أقيم معبد السيرابيوم العظيم.

لقد غصت المدينة بالمبانى العامة والمقدسة، لعل أجملها مبانى المعهد العلمى (الجمنازيوم) ذات الأروقة المعمدة التى يزيد الواحد منها فى الطول عن مجرد الاستاد. وفى وسط المدينة نجد محاكم العدل وهنا أيضا نجد البانيوم وهو تل صخرى يتم الصعود إليه عن طريق حلزونى ومن قمته تشاهد المدينة كلها. ويمتد الشارع العريض

بالطول من نيكروبوليس مارًا بالجمنازيوم وحتى البوابة الكانوبية وبعدها يأتى المرء إلى هيبودروم خارج أسوار المدينة، وعندما نعبر هيبودروم نأتى إلى مستعمرات نيكوبوليس حيث هزم أوغسطوس البقية الباقية من أتباع أنطونيو وإليوسيس على القناة الكانوبية، وهو أيضا مكان للهو والعربدة التى لا حياء فيهما للذين يريدون أن يحيوا حياة كانوبية.

لقد ضمت مدينة الإسكندرية أحياء أكثر من جميلة وقصوراً ملكية تبلغ مساحتها ربع مساحة المدينة كلها «وكان هناك مبنى فوق مبنى» وكلها مربوطة ببعضها البعض.

لقد كان المتحف جزءا لا يتجزأ من القصور الملكية وكان فيه ممشى عام تنتشر على جانبيه المقاعد وكان فيه بيت كبير يجتمع فيه العلماء من كل حدب وصوب يتشاطرون العلوم.

وكان ضريح العظماء هو الآخر جزءا هاما من القصور الملكية. وكان المكان مخصصًا كمدافن للملوك وللإسكندر الأكبر.

لقد تبلورت مميزات هذه المدينة فى أنها:

١ ـ المكان الوحيد فى مصر ذو الموقع الطبيعى المهيأ لتجارة البحر حيث الميناء الرائع وتجارة البر حيث كان النيل يحمل كل شىء إليه. إنها أعظم مركز تجارى فى كل العالم المعمور.

٢ ـ إمكانية توصيل مياه الشرب العذبة من النيل إليها بسهولة عن طريق فرع كانوب.

٣ ـ إمكانية وصل جزيرة فاروس بها على نحو ما صادفناه قبلاً.

٤ ـ تعتبر جزيرة فاروس خط دفاع أمامى للمدينة.

٥ ـ وجود بحيرة مريوط فى الجنوب يشكل خط دفاع جنوبى عن المدينة، وتغسل المدينة بمياهها من الظهر كما يغسل البحر المدينة بمياهه من الوجه.

٦ ـ اعتدال المناخ على مدار العام.

لقد غدت مدينة الإسكندرية سيدة مدن العالم بلا منازع وسيدة طرق التجارة وقلب مراكز الفكر والثقافة فى العالم المعروف آنذاك.

لقد كان هناك فى تلك المدينة أربعة مبان تذكارية فاقت وبزت أى نظير لها مما وصلنا خبره. ونأتى على الصفحات التالية ببعض التفاصيل عن كل منها:

ضريح العظماء (سوما):

توفى الإسكندر الأكبر فى بابل فى الأولمبياد الرابع عشر بعد المائة (وفى التقويم الجريجورى يكون التاريخ هو ١٣ من يونية ٣٢٣ ق.م. وكان آنذاك فى سن الثانية والثلاثين وثمانية شهور طبقا لما قال به آريان. ومن الناحية العملية البحتة بقى جثمانة مهملاً هناك وانصرف جنرالاته إلى التناحر على اقتسام السلطة واقتسام الإمبراطورية التى خلفها وبعد شهر من موته قام المصريون المهرة بتحنيط الجثمان، ثم لف الجثمان بأرقى أنواع الكتان الفاخر وفوقه لف بصفائح رقيقة من الذهب وذلك حفاظًا على الجسم الرائع الجميل للبطل الإغريقى ويقص علينا ديودورس الصقلى كيف أعد الكفن ليناسب حجم الجسم. وهذا الكفن هو الآخر من الذهب وكان فيه فجوات ملئت بالتوابل النادرة للحفاظ عليه وكان للكفن أيضا غطاء آخر من الذهب المطروق لكى يناسب أيضا مقاييس جسم الإسكندر. وإن دراسة متأنية للنص الذى أورده هذا المؤرخ تكشف عن أن الإسكندر كان يحنط طبقا للطريقة المصرية شأنه شأن الفراعنة العظماء فى مصر القديمة. وقد صنعت عربة جنائزية غير عادية فى فخامتها وصلابتها حتى تتحمل وعورة الطرق الآسيوية وقد زينت هذه العربة بزينات هللينية شرقية غاية فى الأبهة. وفى مركز هذه العربة الجنائزية من أعلاها شيدت غرفة مستطيلة للجثمان مساحتها ١٢ × ١٨ قدمًا على هيئة معبد أيونى ذى أعمدة ذهبية وفوق الأعمدة سقف هو الآخر من الذهب مرصع بقطع من الأحجار الكريمة، وقد أحيطت الأعمدة هى الأخرى بكورنيش من صفائح الذهب ولم تكن ثمة جدران لتلك الحجرة بل مجرد شبكة من الذهب حتى تسمح برؤية الناووس أى التابوت المسجى فيه الجثمان. وكما يقول ديودورس الصقلى كانت الشبكة الذهبية هذه تقوم على الإفريز الذهبى الذى

أشرت إليه سابقًا وكانت هذه الشبكة المذهبة تصور:

١ ـ الإسكندر فى عربته الملكية مع حارسيه المقدونى والفارسى.

٢ ـ أفيال الحرب تتبع الملك وحاشيته.

٣ ـ سلاح الخيالة فى هيئتهم الحربية.

٤ ـ السفن الحربية فى وضع الاستعداد للحرب.

وفى مدخل هذه الحجرة نصبت أسود من ذهب كحراس للجثمان الملكى. وإلى جوار هذه وعلى قاعدة عريضة وضع تاج ذهبى كبير يرتفع حتى السقف وكان هذا التاج على هيئة إكليل الغار للمنتصر، وكلما تحركت العربة الجنائزية تحت أشعة الشمس خرج من التاج ضوء يشبه الضوء المنبعث من زيوس. لقد كانت العربة الجنائزية مزدوجة المحاور وكانت عجلاتها الأربعة مصنوعة من الحديد على الطراز الفارسى ومطعمة برقائق من الذهب كما كان المحوران ينتهيان برؤوس أسود من الذهب الخالص وتخرج من أفواهها سهام ذهبية أيضًا. ويذكر ديودورس لنا أن محورى العجلات كانا مزدوين بآلة عجيبة تحمى غرفة الجثمان ومحتوياتها الثمينة من الاهتزازات العنيفة والصدمات التى تنتج عن السير فى الطرق الوعرة. وكان يجر العربة أربعة جياد فى المقدمة اثنان على كل جانب واحد أمام الثانى وخلف كل جواد كانت هناك أربع مجموعات من البغال كل مجموعة منها تتألف من أربعة بغال ومن هنا يكون عدد البغال أربعة وستين بغلاً وكانت الجياد والبغال ذات سروج مزينة بحليات الذهب المبالغ فيها وقد صحب العربة الجنائزية فريق من المهندسين والميكانيكيين وممهدى الطرق. ومن المؤكد أنه كان يحمى هذا كله فرقة مختارة من الجنود كانت فى شرف الوداع الأخير لقائدها الراحل العظيم. لقد استغرق تنفيذ هذا العمل والاستعداد له عامين كاملين وانفقت عليه كما رأينا مبالغ طائلة للغاية ليس فقط بسبب كميات الذهب المستخدمة فيه وإنما أيضا بسبب الدقة المتناهية فى الاعداد والاستعداد.

وعلى طول الطريق من المدينة التى انطلقت منها الجنازة حتى مدينة المثوى الأخير

خرجت الجموع لتشهد الموكب الفخم الضخم. لقد خرج المحفل الجنائزى من مدينة بابل واخترق بلاد ما بين النهرين وسط المظاهر العسكرية التى تليق بالقائد ثم اخترق سوريا حتى وصل إلى دمشق ثم إلى معبد آمون فى الصحراء الغربية لمصر حتى يبارك الإله ابنه المقدس ثم ينقل الجثمان بعد ذلك إلى مدينة إيجه المقدونية القديمة حتى يدفن الإسكندر هناك مع بقية الملوك من الأسرة الحاكمة. وهنا يتوقف ديودورس ويقول لنا إن هذه الخطوة الأخيرة من الموكب الجنائزى تم تغييرها فى اللحظات الأخيرة بناء على قرار من «بطليموس» الذى أدرك الأهمية السياسية الكبرى لدفن القائد المنتصر فى المدينة التى أنشأها فى مصر وأعطاها اسمه الخالد. ومن هنا قام «بطليموس» فى كوكبة من جنوده بمقابلة حملة الموكب الجنائزى وتفاوض مع قائدهم حتى يسمح له بتنفيذ الخطوة الأخيرة من مراسيم الدفن. ومن ثم حمل «بطليموس» الجثمان إلى منف حيث استقر هناك لفترة حتى تم تشييد مقبرة العظماء أو الضريح الأكبر فى قلب حى البروكيوم الحى الملكى فى مدينة الإسكندرية على النحو الذى بسطناه سابقًا بالقرب من الميدان الذى يتعامد فيه الشارعان الرئيسيان وهنا دفن «الإسكندر» فى مقبرة خاصة داخل حرم الضريح وضرب حولها سور خاص بها وقد أطلق عليها اسم (سوما) لأنها تضم جثمان أشهر رجل عرفه التاريخ. وحول هذا المكان الذى دفن فيه الملوك نشأت أفخم منطقة مقابر عرفها التاريخ. لقد صنعت هذه المقابر من أندر أنواع الرخام اليونانى والمصرى وتوفر عليها أشهر الصناع الإغريق وأمهر البنائين والمهندسين حتى تليق بالمكان الأبدى لجثمان القائد ذى الروح الخالدة وقد امتزج فى هذه المقابر فن العمارة فى القرن الخامس قبل الميلاد مع فن العمارة فى القرن الرابع قبل الميلاد. لقد أقيمت مراسيم الدفن فى ساحة الضريح ذات الأعمدة الشاهقة الفخمة ثم فى قاعة الشعائر التى تنحدر عن الساحة بضعة درجات تلك القاعة التى أطلق عليها قاعة الأحزان، وقد امتزجت فى تلك الشعائر: الشعائر الإغريقية القصيرة اللائقة بالبطل الإغريقى والشعائر المصرية الطويلة المستفيضة اللائقة بالإله الشرقى. وفى مؤخرة غرفة الأحزان هذه وضع تابوت الإسكندر مغلفاً برقائق الذهب الخالص وفوق قاعة الأحزان هذه أقيم رواق عظيم أو لنقل معبد من الرخام الأبيض

على الطراز اليونانى القديم البالغ الجمال ودقة المناسيب. وفى هذا المعبد وضعت بعض متعلقات الإسكندر وبعض قطع الأثاث الجنائزى النادرة وذات القيمة العالية. وفى هذا المكان كانت تمارس طقوس العبادة العامة المشتركة بين المصريين والإغريق.

والسؤال الذى يطرح نفسه عادة فى هذا السياق هو من بنى الضريح (سوما) وأحضر جثمان الإسكندر ليدفن فى مدينة الإسكندرية المصرية؟ يعتقد الكثيرون أن «بطليموس سوتر» هو الذى قام بكل ذلك؛ وهذا أمر طبيعى حيث مات الإسكندر ودفن فى عهد «بطليموس سوتر» فى حكم مصر والإسكندرية. وربما تكون هناك توسعات قد حدثت فى الضريح خلال حكم «بطليموس الثانى» وخلفائه وخاصة «بطليموس الرابع فيلوباتر» الذى يقال أنه أعاد ترتيب وضع المقابر داخل الضريح. ولكن طبقا لأقوال «بوزانياس» ظل جثمان «الإسكندر الأكبر» فى منف لمدة أربعين سنة ولم ينقل إلى مدينة الاسكندرية إلا على يد «بطليموس الثانى» ابن سوتر؛ ويؤكد على ذلك ما ذهب إليه كثير من الكتاب القدامى والمحدثين حيث يعزون هذا الفضل إلى «بطليموس الثانى»، وإن كان ذلك لا يتسق مع الجهود الكبيرة والمخاطر التى تجشمها «بطليموس سوتر» للاستيلاء على الجثمان والعربة الجنائزية من قائد الموكب، ومن ثم لم يكن بطليموس الأول (سوتر) بالرجل الذى يترك الجثمان فى منف أو فى غيرها بل كان يرغب فى أن يعزى الفضل إليه، وقد أدرك بحسه مدى الفائدة الكبرى التى تعود على الإقليم الذى يحكمه (مصر) من دفن الإسكندر فى المدينة التى أسسها وحملت اسمه واتخذت حاضرة لمصر وأصبحت منارة للعالم، وبالتالى لم يتردد فى القيام بتلك الإنجازات.

وفى هذا الصدد يقول الدكتور إدوين بيفان لقد أكد «ديودورس واسترابون» وغيره من الثقاة الأقدمون أن «بطليموس الأول» هو الذى قام بنفسه بوضع جثمان الإسكندر فى مقبرته (سوما) فى مدينة الإسكندرية وكانت هناك حتى العصر الرومانى. وربما كانت تلك هى الحقيقة ولكن السبب وراء عبارة «بوزانياس» أن الجثمان بقى فى ممفيس عدة سنوات حتى تعد العدة فى الإسكندرية لاستقباله ودفنه هناك.

وبعد ذلك انتشرت حول ضريح الإسكندر مقابر ملوك الأسرة البطلمية وبدأت بمقبرة

«بطليموس سوتر» أخلص خلصاء الإسكندر ومؤسس الأسرة اليونانية ـ المصرية التى انتهت بموت «كليوباترا» بطريقة درامية؛ وقد قيل أن «كليوباترا» و«أنطونيو» قد دفنا بدورهما بالقرب من ضريح «الإسكندر» (سوما).

وقد ظل هذا الضريح (سوما) لعدة قرون مزاراً يحج إليه العظماء والسفلة من الحكام والعامة على السواء على مدار الأيام. لقد حج إلى هذا المقام «قيصر» وحفيده ذائع الصيت «أوغسطوس» الذى يقال أنه أثناء تحسسه لجثمان الإسكندر المحنط كسر جزءا من أنفه الملكى. وإلى هذا المقام حج «الإمبراطور سيفيروس» الذى وضع فى مكتبة الضريح مجموعة من الكتب الدينية المقدسة المصرية وأغلق المكان فى وجه العامة ولم يسمح بعد ذلك بزيارتهم للمكان. فى نفس هذا المكان جاء ابن سيفيروس «كاراكاللا» سيىء الخلق، وبعد أن أودع فيه مجوهراته الخاصة وملابسه الإمبراطورية أمر بذبح شباب المدينة الذين كانوا يسخرون من شخصيته البشعة. ولقد تواتر على هذا المكان «فسباسيان»، «دوميتيان»، «هادريان»، «أورليان» وغيرهم من أباطرة روما، ويقال أن المسلمين عندما جاءوا إلى الإسكندرية بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م كان الضريح مايزال فى أبهى حلله وهيئته الأصلية التى كان عليها. ولقد قال ليو أفريكانوس ـ الذى تنصر وعمده أبوه الروحى البابا ليو العاشر ـ فى كتابه (وصف أفريقيا) الذى نقله إلى الإنجليزية جون بورى ما نصه؛ وكان هذا النص فى نهاية القرن الخامس عشر:

«إن مما لا يمكن إغفاله بين أطلال مدينة الإسكندرية الأثرية منزل صغير على شكل معبد تحته مقبره تحتوى على رفات نبى وملك (هكذا يسمونه) يجله المسلمون ورد ذكره فى القرآن آلا وهو الإسكندر الأكبر».

وإذا كان هذا الكلام قد ذكر فى نهاية القرن الخامس عشر فإن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد أسطورة يتم تناقلها من جيل إلى جيل أو ربما فعلا بقايا حطام ضريح الإسكندر الذى كان يزين المدينة لفترة طويلة، تلك المدينة التى بهتت وانهارت وتعاورتها ضروس السنين وطحنتها الأيام فغدت أثرا بعد عين وغلفتها العزلة.

وهناك دارسون وباحثون آخرون يؤكدون استمرار ضريح الإسكندر فترة طويلة بعد دخول العرب المسلمين إلى الإسكندرية من بينهم «إدوارد دانييل كلارك» الذى وضع كتابا قيما مثل كتاب ليو أفريكانوس بعنوان (مقبرة الإسكندر) وهذا الباحث جاء قبل «شامبليون» الفرنسى بفترة وهو انجليزى الجنسية وباحث فى الكلاسيكيات وقد أثبت فى هذا الكتاب أن مقبرة الإسكندر وتابوته كانا على غرار مقابر وتوابيت الفراعنة المصريين وأنها استمرت فى الوجود بنفس الفخامة والأبهة لعدة قرون بعد دخول المسلمين وربما بقيت كذلك حتى القرن الخامس عشر.

يقول «إدوارد ألكسندر بارسونز» أنه من المحتمل أنه البقايا الإمبراطورية وضريح الإسكندر قد استمرت فى أبهتها الأصلية وفخامتها على امتداد سبعة قرون بعد إنشائها ويستشهد على ذلك بقول «القديس جون كرايسوستوم» بعد تدمير معبد سيرابيس والآثار الوثنية (٣٩١م) بثمانية أعوام الذى نطق به بعد الانتصار الكاسح للمسيحية بأعلى صوت «أين الآن قبر الإسكندر؟ أرونى إياه». وهكذا اختفت مقبرة البطل الإغريقى الإسكندر الأكبر التى قامت فى قلب الحاضرة المصرية والتى كانت مثار إعجاب العالم ومحط أنظارهم حتى لقد قيل: مات الإسكندر؛ دفن الإسكندر؛ تحول الإسكندر إلى تراب.

المتحف

لم يكن المتحف كما يبدو من اسمه مجرد مكان لتجميع التحف بل كان فى حقيقة أمره أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمى. وقد قامت هذه الأكاديمية هى الأخرى فى قلب الحى الملكى، الحى اليونانى، حى البروكيوم. وكان يتألف من مجموعة من البنايات الفخمة الضخمة المشيدة من الرخام الأبيض والحجارة البيضاء وكانت هذه البنايات عبارة عن صالات لإقامة التماثيل، ومعارض للوحات، وقاعات محاضرات ومساكن لإقامة العلماء والباحثين المغتربين والذين كان يقدر عددهم بأكثر من مائة عالم وباحث فى الوقت الواحد، كلهم كانوا يقيمون تحت كفالة ورعاية تلك المؤسسة الملكية: المتحف. هنا كان الباحثون وبالمجان والإقامة الكاملة، يدرسون ويبحثون ويكتبون فى كل مجالات المعرفة البشرية: فى التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية

والتطبيقية واللغة والأدب. وفوق كل هذا وذاك كانوا يقومون بتحقيق النصوص، ويقومون بنسخها وتعديد نسخها ويبيعونها لمن يريد أن يكون مكتبة شخصية. لقد كان كبير أمناء المتحف أو مدير الأكاديمية شخصا عالمًا بل وأهم مفكر فى عصره.

يقول «بارسونز» فى هذا الصدد أن المتحف كان يعتبر أكبر جامعة فى العالم الهلليني. ولم يكتف المتحف بأن يقدم للعلماء والباحثين أماكن للنوم والإقامة وصالات الطعام وأماكن للراحة والمشى والنقاش والتأمل، وقاعات للمحاضرات فى الفلسفة والعلوم وقراءة أعمال الشعراء والمؤرخين الكلاسيكيين؛ ولم يكن كذلك مجرد مكان لحدائق النباتات والحيوانات اللازمة للبحث والدرس، ولكنه كان قبل ذلك وفوق ذلك المكان الذى لا نظير له فى جمع وتنظيم أكبر مجموعة من مصادر المعلومات فى العالم القديم ونعنى بذلك مكتبة الإسكندرية مما سنراه تفصيلاً فى هذا البحث.

يقول «فيرديناند جريجوريوس» فى كتابه عن الإمبراطور هادريان «لقد نشرت مدرسة الإسكندرية العلم والمعرفة فى العالم المتحضر بأوسع وأطول مما قامت به أية جامعة لاحقة عليها سواء تلك التى وجدت فى باريس أو بولونيا أو بادوا لقد استمر هذا العطاء العلمى فترة أطول كثيرا بعد توقف قوة العلم الإغريقى والمعرفة الموسوعية للإغريق. لقد تجمع هذا كله وأتى أكله فى مكتبة ومتحف الإسكندرية».

السيرابيوم

يعتبر معبد السيرابيوم الذى أقيم على ربوة عالية فى الحى المصرى القديم (راقودة)، والذى بنى أساسًا من الرخام المصرى ومواد أخرى نادرة، يعتبر أهم المبانى الأثرية فى الإسكندرية القديمة على الإطلاق. وقد سيطر على الحاضرة كلها بكل أحيائها. وفى هذا المعبد كما ألمحت من قبل كان يمكن للمصريين واليونانيين على السواء أن يتعبدوا فى الصلوات الجماعية معًا ويؤدوا شعائر مشتركة بينهم وتحت قيادة كاهن واحد مشترك، سواء كان الكاهن تابعا للإله زيوس اليونانى أو الإله أوزيريس المصرى القديم.

هذا السيرابيوم أو معبد سيرابيس كان من الجمال والجلال بحيث قال عنه «إميانوس مارسللينوس»:

«لا يمكن لوصف أن يوفيه حقه. إنه تزينه ردهات ذات أعمدة بهية وتماثيل تكاد تتنفس وقطع فنية أخرى كثيرة. وهو يلى فى روعته مبنى الكابيتول فى روما الذى تتطلع به إلى الخلود ولا يوجد فى الدنيا كلها ما هو أفخم منه».

ومن المعروف أن المكتبة الصغرى أو المكتبة الإبنة للإسكندرية كانت قد وضعت فى هذا المعبد، على النحو الذى سوف نراه تفصيلا فيما بعد.

لقد كانت الإسكندرية مدينة الجن والملائكة، مدينة العلم والملاهى ويصدق عليها وصف «هيرودس» حيث قال:

«مصر ـ الإسكندرية ـ !! هناك تجد معبد الإلهة آرسينوى. هناك تجد كل شىء من أى مكان: الثراء الفاحش؛ دور العلم؛ القوة؛ الراحة والاسترخاء؛ المجد؛ العروض الفنية؛ الفلاسفة؛ الذهب؛ الشباب؛ الآلهة والإلهات الأخوة والأخوات؛ الملك؛ الرجل المتحرر؛ المتحف؛ النبيذ؛ كل الأشياء الجميلة الطيبة التى يتمناها القلب، والنساء أيضا هناك أكثر عددا من النجوم، وهن فى جمال الإلهات اللائى ذهبن إلى باريس للتقاضى!!».

وبينما كانت شمس أثينا تغرب وأيام خريفها تقترب وكانت الثقافة اليونانية آخذة فى التجمد وكتابها الذهبى بدأ يغلق، ظهر هناك شاب حمل المشعل المتهاوى وحمله عبر القارات الثلاث، وفى قلب العالم القديم بنى أثرا بقى لمدة ثلاثة قرون حاملاً مجد الفكر الهلليني فى التجارة والفن والعلم. وعندما ماتت بلاد اليونان وقام على أنقاضها الرومان بعثت روح الإسكندر فى المنطقة أربعة قرون أخرى.

لقد بقيت الإسكندرية رمزًا لعظمة بانيها؛ واستغرقت ألف سنة من الثورات المتلاحقة وحملات التخريب حتى خفت صوتها وخنقت فيها روحها الكلاسيكية، وسقطت فى ظلام العصور الوسطى.

المكتبة

كانت المكتبة هى أحد ملحقات المتحف الأساسية وكانت ترتبط بمبانى المتحف عن طريق بهو من أعمدة الرخام الأبيض. وكان مبنى المكتبة نفسه هو الآخر من الحجر الأبيض والرخام الأبيض ومن ثم كان منسجمًا مع سائر مبانى المتحف وجزءا متكاملا معها بحيث يقدم العلم والحكمة حسب مشورة ونصيحة «ديمتريوس الفاليرى» إلى «بطليموس الأول». وهنا فى هذا المكان كانت المكتبة الأم مكتبة المتحف كما كانت تسمى والتى اعتبرت إحدى عجائب العالم القديم. لقد ضمت المكتبة كما سنرى تفصيلا فيما بعد عشر صالات واسعات، كانت جدرانها مقسمة إلى خزانات مرقمة ومعنونة وفى كل خزانة كانت ترتب الكتب التى تحوى الحكمة والعلم والمعرفة التى تراكمت عبر قرون البشرية العالمة. ولقد خصصت كل صالة من الصالات العشر لأحد فروع المعرفة البشرية حسب التصنيف العشرى الهللينى للمعرفة على نحو ماجاء فى فهرس «كاليماخوس» المسمى بيناكس. وكان من المألوف أن يرتاد هذه الصالات العلماء والباحثون للقراءة والبحث والاطلاع، على الرغم من أنه كانت هناك قاعات أصغر منفصلة للبحث الفردى أو للمجموعات الصغيرة التى تقوم بأبحاث خاصة ودراسات مشتركة.

لقد أنشئت المكتبة مع نهاية عصر الكتّاب اليونانيين العظام (أرسطو، ديموثينز: توفيا سنة ٣٢٢ ق.م)، وحيث قدمت أثينا كل أدوات ومقومات قيام تلك المكتبة: القوة والابتكار والعلم والإنتاج الفكرى اللازمة للقيام والاستمرار والحماية. لقد كان قيام المكتبة أهم إنجاز فى الحياة الفكرية للبشر فى حينه.

الحضارة الهللينية

يقصد بالحضارة الهللينية تلك الحضارة التى ازدهرت فى القرون الثلاثة السابقة على ميلاد المسيح مباشرة أى التى أعقبت موت الإسكندر الأكبر. وهى فى أصلها وجوهرها حضارة يونانية امتزجت بحضارات المناطق التى فتحها الإسكندر وكون منها إمبراطوريته. ولابد وأن نقرر بداية أنها كانت حضارة اللغة اليونانية لأن تلك اللغة

أصبحت لغة الدواوين الحكومية فى عموم الإمبراطورية وكانت لغة التخاطب بين التجار ولغة المعاملات التجارية حيث انتشر التجار اليونانيون فى عموم الإمبراطورية وأكثر من هذا انتشرت الجاليات اليونانية فى مشارق الدولة ومغاربها وافتتحوا المدارس فانتشرت معهم لغتهم وخاصة لغة أهل أثينا.

لقد كانت اللغة اليونانية أيضا هى لغة التأليف والنشر ليس فقط من جانب المفكرين والعلماء الإغريق ولكن أيضا من جانب العلماء والمفكرين فى الدول المفتوحة الذين وجدوا أنه من الضرورى لانتشارهم وذيوع صيتهم أن يكتبوا وينشروا باللغة الرسمية لغة السيادة، وعليه فلم يكن الفكر الذى أبدع فى الحقبة الهللينية كله فكرًا يونانياً إغريقياً خالصًا، بل ولم يكن هذا الفكر يمثل إلا جزءا صغيرا مما نشر فى تلك القرون.

من جهة أخرى فلابد وأن نتوقف أمام حركة الترجمة والنقل التى قام بها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه من لغات الدول المفتوحة إلى اللغة اليونانية فنقل كثيرًا من أعمال الفرس وأعمال البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم إلى اللغة اليونانية وكانت حركة نقل وترجمة واسعة النطاق أثَّرت فى وأثرت مقتنيات مكتبة الإسكندرية إلى حد كبير. إن المرء فى تلك الفترة كى يبدو متحضراً ومثقفًا كان عليه أن يجيد اللغة اليونانية قراءة وكتابة ويستعملها فى حياته اليومية كما نفعل نحن اليوم بالنسبة للغات السيادة: الإنجليزية والفرنسية. ولم يقتصر انتشار اللغة اليونانية على المدن فقط بل تسللت إلى القرى وإن كان أهل القرى يتكلمون اليونانية المكسرة غير اليونانية الفصحى السليمة التى يتحدثها أهل المدن. ومما يكشف عن أهمية وخطورة تعلم اللغة اليونانية فى تلك الحقبة قيام اليهود أنفسهم بترجمة العهد القديم من العبرية والآرامية إلى اللغة اليونانية فى الإسكندرية فيما عرف بالترجمة السبعينية.

ولعله من نافلة القول أن نذكر فى هذا السياق أن اليونانيين قد اشتقوا لهم أبجدية من الأبجدية الفينيقية، وأن هذه الأبجدية هى التى كتب بها الفكر فى الحقبة الهللينية. وكانت مادة الكتابة الأساسية فى تلك الحقبة هى ورق البردى المصرى الذى كان سيد مواد الكتابة ربما حتى القرن الرابع الميلادى، وإن لم يعدم الأمر وجود مواد

أخرى كالرق وألواح الخشب وألواح الطين. ومن هذا المنطلق فقد كان الجانب الأعظم من الإنتاج الفكرى آنذاك مكتوبا على البردى؛ وكانت مقتنيات مكتبة الإسكندرية هى أساسًا من هذه المادة.

لقد عاش سكان المدن الهللينية فى بلهنية من العيش وبحبوحة من النعيم ورفاهية وترف مقيم. وكان الأثرياء منهم يبنون منازلهم بالحجر الأبيض بدلاً من الطوب ويحيطونها بأروقة ذات أعمدة من الجوانب الأربعة. وكانوا يستخدمون الفسيفساء والرخام بغزارة فى أرضيات المنازل وجدرانها. وفى معظم الحالات كانت البيوت تؤثث بأفخر الأثاث وآنقه. وفى عصور الرفاهية المطلقة كان الماء يدخل إلى المنازل عبر أنابيب خاصة تمتد تحت بلاط الشوارع، كما عرفت البيوت أيضا أنابيب الصرف الصحى.

وانتشر فى العصر الهللينى إنشاء المدن الجديدة بكثرة واضحة وكانت تلك المدن الجديدة منظمة تنظيماً جيدًا بحيث تكون الشوارع قائمة الزوايا وتقسم المدينة إلى أحياء كل حى يتألف من مجموعة مربعات أو مستطيلات يضم المستطيل والمربع الواحد عددًا من المنازل. وكانت الشوارع مبلطة تجرى تحتها أنابيب المياه والمجارى. وكانت الشوارع تضاء ليلا بالمصابيح. وكان فى كل مدينة مبانى عامة وحكومية، وأسواق وحدائق وملاعب وحمامات وميادين للسباق ومسارح للتمثيل ومعابد لعبادة الآلهة. ولم يكن ذلك الأمر قاصرًا على المدن الكبيرة فقط بل امتد إلى المدن الصغيرة التى لم يكن سكانها ليزيدوا عن بضعة آلاف نسمة ومن الطريف أنه كان فى كل مدينة صالة اجتماعات فسيحة تسمى قاعة المجتمع تعقد فيها الاجتماعات العامة وكان اليونانيون يطلقون عليها «بازيليكا» وكان مكانها غالبا على جانب من السوق العامة. وقد أسلفت كيف تأنق المهندسون الهللينيون فى تخطيط وتنفيذ مدينة الإسكندرية. ومن المدن الجميلة أيضا فى العصر الهللينى مدينة برجاموم التى أسست هى الأخرى مكتبة كبيرة أرادت أن تنافس بها مدينة الإسكندرية. وقد ازدهر فى تلك المدينة فن نحت التماثيل وأعمال الصخور والرخام.

لقد ازدهرت فى العصر الهللينى فنون التصوير إلى جانب فن النحت. ولم يكتف

فنانو ذلك العصر برسم الصور والمناظر على مواد التصوير بل رسموها أيضا على الجدران وأرضيات الفسيفساء. ومن الطريف أن الشخصيات الكبيرة كان لها رساموها الخصوصيون فهذا هو الإسكندر الأكبر كان له مصور رسام اسمه «أبلاس» رسمه ذات مرة وهو ممتطيا جواده وقد أحكم الرسام تلوين الجواد إحكاماً مدهشًا حتى ظهر الجواد وكأنه حى يركض، ويقال أن حصاناً مر بتلك الصورة وتوقف أمامها وركض إليها وحمحم. ولقد انتشرت أعمال تصوير المناظر الطبيعية والأشخاص انتشاراً كبيرًا وإن لم يصلنا منها شيئ كثير. ولقد وصلتنا المنحوتات بكثرة سواء على الحجر أو المعدن أو النياشين وقطع النقود.

ولم تنتشر فى العصر الهللينى العلوم الطبيعية النظرية وحدها بل طبق العلم على العمل وانتشرت العلوم التطبيقية على نطاق واسع كما سنرى فيما بعد. لقد ارتفع شأن علم الرياضيات وبرز «إقليدس» من بين رجال أكاديمية الإسكندرية (المتحف) وكان أعظم علماء الرياضيات طرا ومازال اسمه يتردد حتى يومنا هذا وماتزال كتبه فى الهندسة يدرس حتى الآن. وظهر فى ذلك العصر أيضا «أرشميدس» ووضع نظريات جديدة فى الرياضيات وطبق العلم على العمل على نحو ما سنعالجه فيما بعد. وبلغ من صعوبة النظريات التى وضعها أنها لم تنتشر فى ذلك الزمان إلى أن أعيد إحياؤها الآن. ولقد ازدهر علم الفلك أيضا ازدهارًا عظيما وعُنَّى به البطالمة أيما عناية ونحن نعلم أنه ألحق بالمتحف فى الإسكندرية مرصد فلكى استخدم فى القيام باكتشافات فلكية عظيمة توفر عليها فلكى من ساموزا اسمه «أرسترخس» وهو الذى قال بأن الشمس ثابتة والأرض وغيرها من الكواكب حولها تدور على العكس مما كان سائدًا آنذاك. كما وضع أحد الفلكيين فى ذلك العصر جدولاً فلكياً يضم أسماء وأوصاف نحو تسعمائة نجم من النجوم الثابتة. وفى ذلك الوقت تم قياس محيط الأرض وجاء قريبا جداً من القياس الحقيقى لها الآن.

ازدهر علم النبات وعلم الحيوان وقاد «أرسطو» وتلاميذه التفكير والتأليف فى هذين العلمين، وقد اكتشفوا بدون آلات أو ميكروسكوبات الكثير من الحقائق العلمية والنظريات الجديدة وأسقطوا معلومات ونظريات قديمة. وكان لديهم فى متحف

الإسكندرية معمل للتشريح: تشريح الحيوانات والبشر وكان البطالمة يقدمون لهذا المعمل عدد كبيراً من المحكوم عليهم بالإعدام لإجراء التجارب العلمية عليهم وهم أحياء. وكان من جراء تلك التجارب اكتشاف الجهاز العصبى ودوره فى توصيل رسائل اللذة والألم إلى المخ من سائر أجزاء الجسم واكتشفوا أن المخ هو مركز ذلك الجهاز العصبى. ونحن نعلم أن الإسكندرية كانت فى تلك الحقبة أهم مركز للدراسات والبحوث الطبية فى العالم القديم يقصده طلاب الطب من جميع أنحاء ذلك العالم.

وعندما تذكر اليونان والعالم الهللينى فلابد وأن تذكر الفلسفة والأخلاق والمنطق حيث هى علوم يونانية هللينية صرفة. ولقد انتشرت التربية والتعليم فى بادىء الأمر على شكل مدارس خاصة فى أول الأمر ولكنها أصبحت حكومية تتولى الدولة أمرها وتتحمل تكاليفها. وكان الطالب الذى يجتاز المرحلة الإبتدائية يواصل تعليمه العالى فى اللغة والفلسفة والرياضيات. ورغم أن الفلسفة كانت تتضمن دراسة كل فروع المعرفة البشرية تقريبًا إلا أنه كان هناك نوع من التخصص فى الدراسة على حسب المهنة التى يرغب الشخص فى امتهانها بعد الانتهاء من الدرس، وعلى سبيل المثال: الطب والهندسة والفلك والكيمياء.. ويمكننا القول مطمئنين بأنه كانت هناك فى ذلك العصر مدرستان أو جامعتان كبريان لتدريس العلوم وتدارسها. أولى تلك المدارس مدرسة الإسكندرية التى تجمع منها رهط عظيم من العلماء يدرسون فى موضوعات مختلفة كالفلك والطب والرياضيات وعلم النبات وعلم الحيوان وعلوم اللغة والآداب والجغرافيا وغيرها. وكانت مدرسة الإسكندرية تميل إلى التجريب والتطبيق أكثر من ميلهم نحو التجريد والفلسفة ولذلك لم تحفل الإسكندرية كثيرا بالعلوم الفلسفية النظرية على نحو ما حفلت به أثينا كما سنرى بعد قليل والمدرسة الثانية أو الجامعة الثانية فى الحقبة الهللينية كانت مدرسة أثينا وكانت هذه المدرسة تجنح نحو العلوم الفلسفية أكثر، وكان طلاب الفلسفة يأتون إلى أثينا من كل حدب وصوب وكان على رأس هذه المدرسة أتباع أفلاطون وطلابه (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق.م) يدرسون كتب أفلاطون ونظرياته فى المكان الذى اختاره وهو الأكاديمية. وكان «أرسطو» تلميذ «أفلاطون»

ومعلم الإسكندر قد عاد من مقدونيا إلى أثينا بعد أن أتم تعليم الإسكندر. وقد انشأ «أرسطو» مدرسة خاصة به لاختلافه علميًا مع أستاذه «أفلاطون». وقد عرفت مدرسة أرسطو باسم الليسيوم نسبة إلى المكان والمشائين نسبة إلى طريقة التدريس أثناء المشى أو بمعنى آخر المشى أثناء التدريس. وقد جمعت أعمال أرسطو فى موسوعة ضخمة اعتبرت المرجع الأساسى في العلوم طوال العصور الوسطى واعتبر «أرسطو» أعظم مفكر فى العالم القديم والوسيط على الاطلاق ولما مات «أرسطو» تفككت مدرسته.

ومن الطبيعى أن تأخذ فلسفة أفلاطون وقتها ثم يتحول عنها الناس، وكذلك الحال بالنسبة لفلسفة أرسطو، وكان من الطبيعى أن تنشأ مدارس فلسفية أخرى من أثينا؛ مدارس تواكب العصر الجديد وتحاول أن تقدم للناس فلسفة تساعدهم على الحياة العملية وطيب العيش بدلاً من الفلسفة التى تطلب منهم المجاهدة والمجالدة لتحقيق الكمال. ومن هذه الحال والأوضاع خرجت مدرستان جديدتان للفلسفة هما: مدرسة الفلسفة الرواقية ومدرسة الفلسفة الأبيقورية. ومؤسس الفلسفة الرواقية هو «زينون» القبرصى المولد الشرقى السامى الأصل وسميت فلسفته بالرواقية لأنه كان يعلم تلاميذه في الرواق القديم فى المدينة فنسبت المدرسة والفلسفة إلى المكان الذى تلقى فيه المحاضرات. وملخص هذه الفلسفة الجديدة أن الحياة تقوم على شيئين فقط أحدهما صالح وهو الفضيلة والآخر فاسد وهو الرذيلة وأنه لكى تعيش النفس فى سلام وطمأنينة فلابد أن تحيا حياة الفضيلة وفى هذه الحالة سوف يستوى لديها اللذة والألم فإذا حدث ما ينغص الحياة لم تشعر النفس الفاضلة بذلك التنغيص. وقد انتشرت هذه الفلسفة بين الناس انتشاراً كبيراً لأنها تحقق لهم السلام الداخلى والطمأنينة. أما المدرسة الثانية وهى الأبيقورية فإنها تنسب إلى «أبيقورس» الذى كان يحاضر طلابه فى حديقته بأثينا. وتقوم الفلسفة الأبيقورية على أن الخير الأعظم للإنسان هو اللذة سواء كانت لذة فكرية معنوية أو لذة حسية مادية بشرط أن تكون هذه اللذة «حلالاً» أى تدخل فى دائرة الفضائل ولا تقترب من دائرة الرذائل. ومن هذا المنطلق انغمس الأبيقوريون فى تحقيق الملذات وخاصة الأكل ولذلك وجدت هذه الفلسفة رواجاً عظيماً لدى الناس فأقبلوا عليها إقبالاً شديداً، بيد أنهم مع مرور الوقت أنحرفوا عن مبادىء

الفضيلة وانخرطوا فى لذات الرذيلة غير المشروعة حتى غدا شعار هذه الفلسفة «لنأكل ونشرب ونمرح لأننا غدا سوف نموت».

لقد كان من بين حسنات الفلسفة الرواقية والأبيقورية أن اتخذها المثقفون والمتحضرون دينا لهم أحلوه محل الآلهة المتعددة، وبالتالى انصرفوا عنها وفقدت تلك الآلهة ماكان لها من منزلة فى نفوس الناس بل وأكثر من هذا وأصبحت الآلهة فى نظر هؤلاء الناس مجرد كائنات بشرية يمجدونها فقط. وكتب «أهميروس» الذى عاش بعد عصر الإسكندر قصة خيالية تؤكد على أن هذه الآلهة التى اخترعها اليونانيون كانت فى الأصل ملوكا من ذوى الحول والطول والدهاء بذلوا جهدًا كبيرًا فى استعباد الناس. وهذه القصة حقيقية مائة فى المائة ولنا فى الملوك والأباطرة اليونانيين أنفسهم الدليل على ذلك حتى الإسكندر نفسه سعى هذا السعى.

لقد جاد العصر الهللينى علينا بأربعة مدارس فكرية: الأكاديمية (امتداد أفلاطون فى الزمان والمكان والفلسفة)؛ الليسيوم (مدرسة أرسطو التى كانت أعظم المدارس أثناء حياته وإن خفتت بعد وفاته). الرواق (رواق زينون الذى كان يدرس فيه فلسفته)؛ حديقة أبيقورس (المكان الذى كان يلقى فيه أبيقور محاضراته على تلاميذه). وفى ظل هذا كله قامت مدرسة الإسكندرية على النحو الذى سنراه تفصيلاً.

لقد ازدهر علم الجغرافيا فى العصر الهللينى إلى حد كبير بفضل تقدم علم الفلك من جهة وتقدم الرحلات والأسفار من جهة ثانية فقد ساعد علم الفلك على معرفة حجم الأرض وحركات الشمس صيفا وشتاءً. وساعدت الأسفار والرحلات على معرفة مساحات المناطق المسكونة وقياس علو الجبال. ويذكر أن التجار اليونانيين خاضوا عباب البحار والمحيطات بسفنهم التجارية وداروا حول أفريقيا وارتادوا جزيرة سيلان (سريلانكا الآن) والساحل الشرقى للهند. كما قام الفينيقيون بعبور بوغاز جبل طارق. ويذكر أن الجغرافى والفلكى «بيثياس» جهز سفينة على حسابه الشخصى واخترق بها جبل طارق ودار حول الجزر البريطانية وعبر إلى بحر الشمال وجزيرة ثول (أيسلندا الآن).

وبرز فى العصر الهللينى الجغرافى الأشهر «إراتوثينز» الذى وضع كتابا ضخمًا في الجغرافيا رسم فيه خريطة للعالم القديم المعروف له بقاراته الثلاث: أوروبا ـ آسيا ـ أفريقيا. ورسم على هذه الخريطة خطوط الطول والعرض ووصف حوض البحر الأبيض المتوسط وصفا دقيقًا وجمع فى هذا الكتاب مادة علمية غزيرة لم يسبقه إليها غيره.

لم يكتف علماء العصر الهللينى بالنظر والبصر فقط بل انطلقوا من ذلك كله إلى التجريب والتطبيق واستخدام العلم فى العمل، فجاد العصر باختراعات عديدة، بعضها كان عامًا من النوع الذى يحدث الانقلاب فى مجال العلم والعمل، وبعضها محدود طريف. من بين الاختراعات العامة آلات إطفاء الحرائق، الآلات الحربية التى تقذف اللهب بضغط الهواء فقط، المسارح المتحركة تلقائيًا، الساعات الشمسية والمائية، عصَّارات زيت الزيتون. ومن الاختراعات المحدودة مغاسل أوتوماتيكية تقدم الماء والصابون بقدر اللزوم، طرق فتح وغلق الأبواب أوتوماتيكيا، صنابير الماء.

وتذكر المصادر أن أعظم رحالات العلوم التطبيقية فى ذلك العصر هو أرشميدس الشهير من سيراقوسة، وهو صاحب آلات رفع الأثقال التى تقوم على مجموعة من البكرات تساعد على تعظيم قوة الدفع والرفع إلى درجة خيالية حتى أنه يمكن دفع سفينة ضخمة مملوءة بالبضائع فى البحر بحركة بسيطة من تلك البكرات. ولقد اخترع الرجل أيضا آلات حربية جبارة لم تُعرف قبل زمانه وغير ذلك من الاختراعات العملية التى دفعت الحضارة الهللينية قدماً إلى الأمام. لقد فاخر الرجل إلى حد الشطط باختراعاته هذه حتى قال «أعطونى مكانا أقف فيه أزحزح لكم الأرض». لقد كان أرشميدس مدرسة فى حد ذاتها وكانت هناك مراسلات وصلات علمية مع زملائه فى مدرسة الإسكندرية، وقد ألفوا فيما بينهم جمعية علمية داخل متحف الإسكندرية ودفعوا البحث العلمى واكتشاف القوانين العلمية خطوات كثيرة إلى الأمام.

ولعله من نافلة القول أن هذه الحركة العلمية الثقافية الفكرية الحضارية فى العصر الهللينى واكبها وساعد عليها ازدهار حركة التأليف والترجمة والنشر وانشاء المكتبات. لقد جاءت روافد حركة النشر من مصادر ثلاثة هى:

١ ـ تحقيق التراث القديم وتدوينه، ذلك أن الشعب اليونانى كان فى بادىء الأمر يجنح نحو النقل الشفوى للمعلومات وظل ردحاً طويلاً من الزمن على ذلك الحال ومن ثم فإنه فى العصر الهلليني وجد تراث ضخم انتقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان عن طريق التواتر وبالتالى كان لابد من تسجيله وتدوينه ونشره بين الناس، وما وصل إلى هذا العصر مكتوباً كان لابد من الوقوف أمامه وتحقيقه وإمعان النظر فيه.

٢ ـ الترجمة، فكما ألمحت من قبل حرص الإسكندر الأكبر على نقل تراث الشعوب المفتوحة إلى اللغة اليونانية وكانت حركة الترجمة قد اشتدت بعد وفاته وعظمت إلى حد كبير سواء من الفارسية أو المصرية القديمة أو البابلية أو الأشورية أو الآرامية والعبرية ولو نظرنا إلى رصيد الفكر البابلى والآشورى والمصرى القديم لوجدناه من الضخامة بحيث يمد حركة الترجمة إلى اليونانية أرداحا طويلة من الزمن.

٣ ـ التأليف الجديد، إن المتأمل فى الثقافة الهللينية سوف يجدها إلى حد كبير نتاج ثقافات وفكر العديد من الشعوب المفتوحة يضاف إليها الثقافة اليونانية الأصلية المتأثرة بداية بالثقافة المصرية والأشورية وكما أشرت من قبل قام المؤلفون فى عموم الامبراطورية الجديدة بوضع المؤلفات فى كل المجالات والموضوعات باللغة اليونانية التى أصبحت لغة العلم والأدب.

هذه الروافد الثلاثة أمدت حركة نشر الكتب فى الحقبة الهللينية بوقود لا ينفد يدلنا على ذلك العدد الكبير من المجلدات التى تجمعت لدى مكتبة الإسكندرية على النحو الذى سنراه تفصيلا فيما بعد، والمكتبات الأخرى التى انتشرت فى العصر الهللينى.

لقد انتشرت المكتبات الخاصة فى تلك الحقبة انتشارًا كبيرًا بسبب انتشار التعليم من جهة وانتشار البحث العلمى من جهة ثانية. يضاف إلى ذلك المكتبات الرسمية التى بدأت منذ زمن الإسكندر واستمر مدها بعد وفاته وعظمت حركتها فى الحقبة

الهللينية. ويذكر أن أول مكتبة أسستها حكومة يونانية كانت مكتبة «هرقلية» على ساحل البحر الأسود نحو سنة ٣٥٠ ق.م وتوالت المكتبات الرسمية بعد ذلك فى أماكن مختلفة وكانت الحكومة هي التى تشرف عليها وتقوم بنفقتها. وكانت مكتبة الإسكندرية تتويجًا رائعًا لحركة إنشاء المكتبات فى الحقبة الهللينية.

يقول الدكتور مصطفى العبادى أنه بعد وفاة الإسكندر وانقسام الإمبراطورية بين قادته إلى ممالك مستقلة، نشأت بينهم منافسة شديدة حيث أراد كل منهم أن تكون مملكته هي الأقوى والأعظم والأكثر تحضرا فى مضمار العلم والثقافة ومن أهم من برز فى هذا الشأن البطالمة فى مصر والسلوقيون فى سوريا والأتاليون فى برجاموم، حيث حاول هؤلاء جميعا إحراز قصب السبق فى العلم والثقافة وإنشاء المكتبات على الأقل فى عواصم ممالكهم وهى على التوالى الإسكندرية وأنطاكية وبرجاموم. ومع التطور وبالتدريج وجدنا المكتبات العامة تتخذ شكل الظاهرة فى معظم المدن الهللينية كبيرها وصغيرها حتى إن مؤرخًا مثل بوليبيوس فى القرن الثانى قبل الميلاد يعتبر وجودها أمرًا مفروغًا منه على النحو الذى نستشفه من عبارته الساخرة «إنه من اليسير على أى شخص أن يكتب بالنقل من الكتب إذا ما أقام فى مدينة مزودة بوفرة من الوثائق ومكتبة».

تأسيس وقيام مكتبة الإسكندرية القديمة

كانت مكتبة الإسكندرية القديمة لغزًا فى قيامها وتأسيسها ولغزًا فى نهايتها ومصيرها. نحن لا نعرف على وجه اليقين من أسس المكتبة كما لا نعرف على وجه اليقين الأسباب التى دعت إلى إنشائها، كذلك لا نعرف حجمها ولا نوعيتها بل وجنسيتها. وكل مالدينا من معلومات عبارة عن نتف مبعثرة هنا وهناك وآراء وأقوال متضاربة فى معظم الأحيان ونحن هنا نحاول جهد الطاقة أن نرسم لوحة متكاملة قريبة مما نعتقد أنه الحقيقة من تلك النتف المبعثرة، ومن المؤكد أن هناك دائمًا بذرة الحقيقة الكامنة فى بطن كل أسطورة.

بعد وفاة الإسكندر فى يونية ٣٢٣ ق.م كان هناك صراع على السلطة بين قادته

وخلصائه ومناورات ومؤامرات حول من يخلفه. ومن الناحية الرسمية البحتة نصب أخوه المختل عقليا «فيليب آرهيدايوس» ملكا على الإمبراطورية خلفًا للإسكندر ولكن السلطة الحقيقية كانت فى يد القادة المقدونيين وغدا «بيرديكاس» الوصى الأعلى على الإمبراطورية. وكانت هناك صفقة من نوع ما بين «بيرديكاس» و«بطليموس» وبمقتضى هذه الصفقة عضد «بطليموس» «بيرديكاس» فى الوصاية على الإمبراطورية بينما يمنح «بطليموس» حكم مصر. وقد قام أحد القادة المقدونيين بإعداد ترتيبات الجنازة على نحو ما رأيناه سابقا وكان هذا القائد يعرف باسم «آرهيدايوس» أيضا ـ وهو غير شقيق الإسكندر ـ وفى خلال خمسة شهور فقط ارتحل «بطليموس» إلى مصر لتولى السلطة ويصبح السوتراب.

كان «بطليموس» سليل عائلة نبيلة فقد كان أبوه «لاجوس» من نبلاء الريف فى مقدونيا وأمه تمت للعائلة الملكية بنسب. وكانت هناك شائعة تقول بأنه ابن فيليب الكبير ومن ثم فإنه يكون أخ غير شقيق للإسكندر. وفى صباه تربى داخل البلاط الملكى مع الإسكندر وكان دائما صديقا حميمًا له وقد صحبه فى حملته فى آسيا الوسطى فى أعماق الهند بل وكان واحدا من حراسه السبعة. وكان بطليموس قائداً وجندياً فذاً. وكان الرجل مسيطراً على نفسه بحيث تجنب الكثير من الإغراءات التى وقع فيها كثير من خلصاء الإسكندر ويقول عنه الثقاة أنه كان بعيد النظر ثاقب البصيرة يجيد لعبة السياسة ويخرج منها منتصراً عادة. وكان إذا دخل صفقة مع رجل أو امرأة كسبها وربحها، كان يعرف بالضبط ماذا يريد ويصل إلى غايته بهدوء وسرعة وسرعان ما اكتسب الرجل حنكة سياسية بارعة ومن ثم أصبح بلا منازع أنجح خلفاء الإسكندر وكان حيثما تفشل السياسة يستخدم القوة المسلحة، ويستخدم القوة المسلحة فقط عندما لا يجد مفراً من ذلك. ولقد كانت لديه الجسارة والجرأة فى الاستيلاء على مصر واتخاذ القرارات المناسبة التى تتطلبها المخاطر الجسيمة.

لقد ظهر «بطليموس» فى مصر فى الوقت الذى وصلت فيه جنازة الإسكندر إلى جنوبى سوريا بقيادة «آرهيدايوس» بعد سفر طويل من بابل. وكما ألمحت سابقا قابل «بطليموس» موكب الجنازة بحفاوة بالغة ومراسيم شديدة القوة والروعة وأخذ الجثمان

إلى ممفيس (منف) مقر حكم الفراعنة فى مصر القديمة حيث أقيمت الصلوات والمراسيم الدينية للراحل العظيم. وكان «بطليموس» يعلم أنه بهذا الإجراء واعتزامه إبقاء الجثمان فى مصر إنما يعتدى على سلطات «بيرديكاس» الوصى على الإمبراطورية، ولكنه اتخذ هذه الخطوة لإظهار قوته الشخصية. ولقد أبقى الجثمان فى ممفيس بعض الوقت حتى أتم بناء ضريح العظماء (سوما) الذى يدفن فيه جثمان الإسكندر وسائر ملوك الأسرة البطلمية على النحو الذى ألمحت إليه سابقًا، تلك الأسرة التى حكمت مصر ثلاثة قرون بعد ذلك.

ولما أصبح العداء هكذا ظاهرًا بين «بطليموس» و «بيرديكاس»، قبض «بطليموس» على «كليومينيس» مهندس مدينة الإسكندرية وجابى الضرائب سابق الذكر وكان صديقا للوصى على الإمبراطورية «بيرديكاس» بل وجاسوسًا له على «بطليموس» وحاكمه وحكم عليه بالإعدام وصادر الأموال التى نهبها من الشعب وكانت تقدر بمبلغ ثمانية آلاف تالنت (مرتب العالم فى سنة كان ١٢ تالنتًا انذاك) فيما يذكر كل من «أرسطو»، «ديموثينز»، « آريان».

بعد عام واحد من تولى «بطليموس» السلطة فى مصر قام بالاستيلاء على كيرين وهى جمهورية يونانية مستقلة ظلت بعيداً عن الحكومة المركزية لمدة قرن من الزمان وقد برز فيها علماء وباحثون وفنانون على درجة عالية من الشهرة ونظرا لوقوعها جهة الغرب فإنها تعتبر حماية لحدود مصر من جهة البحر. وفى ربيع ٣٢١ ق.م جاء «بيرديكاس» على رأس جيش كبير لتدمير «بطليموس» ومعاقبته ولم يكن قد مضى عليه عام فى السلطة فى مصر (نهاية ٣٢٣ ق.م) ولكن «بيرديكاس» فشل فى مهمته واغتيل فى معسكره، ورغم أنه عرض على «بطليموس» أن يحتل منصب الوصى على الإمبراطورية محل «بيرديكاس» إلا أنه رفض وفضل البقاء حاكما على مصر وحدها. وقد أثبتت الأيام حنكة قراره فقد تناحر الحكام الآخرون طيلة أربعين عامًا يغيرون على بعضهم البعض بينما بقى «بطليموس» آمنا مطمئنا فى مصر لم يقترب منها أيهم. وفى خلال عامين فقط من استيلائه على السلطة فى مصر وعلى جثمان

الإسكندر وإبقائه فيها كان قد تم القضاء على «بيرديكاس» وعميله فى مصر «كليومينيس».

وفى العشرين عامًا التى تلت كانت هناك مغامرات عسكرية محدودة، برز من بينها اثنتان تستحقان الذكر: حروبه فى جنوبى سوريا وفينيقيا وانتصاره هناك واستيلائه على بيت المقدس (أورشليم ٣١٩ ـ ٣١٨ ق.م) كما احتل قبرص (٣٢٠ أو ٣١٥ ق.م) وبالتالى أصبحت هناك حماية مؤكدة لجزر بحر إيجه.

ولابد من التوقف هنا أيضًا أمام موقعة إبسوس ٣٠٥ ـ ٣٠٤ ق.م حيث قام «أنتيجونيوس» العجوز بحشد قوة ضاربة قوامها قوات مشاة بطول ثمانين ألف قدم، ثمانمائة حصان، ثلاثة وثمانون فيلا هنديا، وقوات بحرية ١٥٠ سفينة حربية ومائة سفينة ناقلة جنود وعتاد. تلك الموقعة اشترك فيها ضد «انتيجونيوس» كل من «ليسيماخوس» و«سلوقس» و«كاساندر» حيث كسبوا المعركة وتحقق لهم النصر فى صيف ٣٠١ ق.م. ورغم أن «بطليموس» لم يشترك فى المعركة ولم يظهر فيها إلا أنه طالب بنصيبه من الغنائم وحصل على جنوبى سوريا للمرة الرابعة. وبعد هذه الموقعة كان فى حوزه «بطليموس» إضافة إلى مصر جنوبى سوريا وفلسطين وقبرص ولم يدخل بعدها فى أية حروب واستطاع «بطليموس» بعد ذلك أن يرسى دعائم الإمبراطورية البطلمية واتخذ من الإسكندرية عاصمة لها وأخذ فى تطوير الإسكندرية ووضع دعائمها الأساسية كعاصمة ليس لمصر وحدها ولكن كعاصمة للعالم كله ويتم ما أنجزه «كليومينيس» بين العشرين من يناير ٣٣١ ق.م وحتى نهاية ٣٢٣ ق.م فى ظل الإسكندر الأكبر، وكان ما أنجز كثير وكثير جدا.

ومنذ نهاية ٣٢٣ ق.م وحتى ٣٠١ ق.م أى طيلة واحد وعشرين عامًا رغم أن «بطليموس» كان مشغولاً فى الأمور العسكرية وإرساء قواعد الإمبراطورية، إلا أنه على الجانب الآخر أعطى وقتا كافيا لتطوير مدينة الإسكندرية وتنفيذ بعض المشروعات الحيوية فيها بما يليق بها كحاضرة ملكه. وقد لمسنا كيف دعته حنكته السياسية أن يبقى جثمان الإسكندر فى مصر وأن يبنى لهذا الجثمان الضريح الفخم الضخم كى يدفن فيه ويضع فيه أيضا كل متعلقات الإسكندر. لقد نجح «بطليموس»

أيضا فى خلق دين جديد مزيج من ديانات اليونانيين والمصريين وجمع بين الزعيم الدينى اليونانى «تيموثينز» والزعيم الدينى المصرى «مانيتو»، وهما معًا ابتدعا الديانة الجديدة التى أشرنا إليها عبادة سيرابيس التى أرضت الطرفين وجمعتهما فى شعائر جماعية واحدة. وتوفر «بطليموس الأول» على انشاء معبد السيرابيوم ثانى أفخم وأضخم مبنى فى العالم القديم.

ونأتى بعد ذلك إلى الفضل الأكبر الذى قام به الجندى الفذ والسياسى المحنك بانى الإمبراطورية، منشىء الديانة الجديدة ونعنى بهذا الفضل المتحف والمكتبة سواء كان هو صاحب الفكرة أو بايحاء من «ديمتريوس الفاليرى».

هناك جدل كبير حول منشىء المتحف والمكتبة فثم من يقول بأنه «بطليموس الأول» (سوتر) وثم من يقول بل ابنه «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس)، وسواء كان هذا أو ذاك فإن المصادر تُجمع على أن الفكرة نبعت من «ديمتريوس الفاليرى»، وحيث لا يوجد إلا مصدر واحد يقول بأن فكرة المتحف والمكتبة جاءت من طرف شخص آخر أوحى بها إلى بطليموس.

لقد أورد «ألكسندر بارسونز» عددًا كبيرًا من النصوص والنقولات من مؤلفين مختلفين كلهم أكدوا على أن صاحب الفكرة هو «ديمتريوس الفاليرى» ومن ثم فإن هذا الشخص يكون هو صاحب المشروع وهو الذى أوعز بانشاء المتحف والمكتبة ولأن «ديمتريوس الفاليرى» هذا عاصر الملكين: «بطليموس الأول» (سوتر) و«بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) فإن السؤال إذن مَن من الملكين يكون المنفذ للمشروع؟ هل هو بطليموس الأول؟ أم ابنه بطليموس الثانى؟ وللإجابة على هذا السؤال فإن الأمر يحتاج إلى التوقف برهة أمام حياة «ديمتريوس الفاليرى» وعلاقته بالملكين ومقارنة هذه الحياة بالنصوص التى تحدثت عن تاريخ انشاء المتحف والمكتبة وعن ظروف إنشائهما. وربما كان أحسن من كتب فى هذه الجزئية هو الدكتور جورج هنريتش كليبل عن متحف الإسكندرية والذى نشره فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٨٣٨ وقد أكد فى بحثه بدون تردد أن المتحف والمكتبة أنشئا مابين سنة ٣٠٠ و ٢٩٠ ق.م ومن ثم يكون الإنجاز العظيم حدث فى عهد بطليموس الأول. ويحلل الدكتور مصطفى

العبادى شخصية وسيرة «ديمتريوس الفاليرى» لكى يصل إلى نفس النتيجة. ومن المعروف أن «يمتريوس الفاليرى» (ديمتريوس من فاليرون) كان تلميذاً من تلاميذ «أرسطو» وعضواً بارزاً فى مدرسة المشائين التى أسسها أرسطو وأصبح حاكما مستبداً لأثينا إلى أن طرد سنة ٣٠٧ ق.م ففر إلى مدينة طيبة فى وسط اليونان ومنها ارتحل هارباً متخفياً إلى مصر حيث لجأ إلى بلاط «بطليموس سوتر». وكان الرجل إلى جانب عمله السياسى مفكراً ومثقفاً وعالماً فى مجالات مختلفة ومن ثم هيئت له كل الظروف ليكون مستشاراً للملك.

ويقول الدكتور جورج كليبل فى هذا الصدد أن «بطليموس الأول» كان لابد وأن يرحب به ويشجعه على الإقامة فى بلاطه لأنه وجد فيه الشخص المناسب الذى يساعده فى جعل الإسكندرية أثينا الثانية فى عالم الفن والعلم والأدب وهو ما سعى إليه كما رأينا من قبل. صحيح ليس هناك من بين الكتاب المعاصرين لتلك الفترة ما يؤكد ذلك ولكن أيضا ليس هناك ما ينفى أو يعكر صفو تلك الحقيقة. لقد بدأت الفكرة بأن أوعز «ديمتريوس» إلى الملك بأن يستقطب من أثينا العلماء والمفكرين والفلاسفة أقرانه على الأقل من مدرسة الليسيوم وبالتالى عندما اقتنع الملك بالفكرة كان لابد من إنشاء أكاديمية لهم على غرار الليسيوم أو أكاديمية أفلاطون، تجمعهم وتدبر لهم فيها أسباب العيش والعمل ومن هذا المدخل فكر «بطليموس» فى إنشاء المتحف الذى هو أكاديمية على غرار مدارس أثينا.

ولعله من نافلة القول أن نذكر هنا بأن الاقتناع السريع من جانب بطليموس بإنشاء الأكاديمية يرجع إلى أنه هو نفسه كان تلميذا «لأرسطو» مع الإسكندر فى مدينة بيلا عاصمة مقدونيا آنذاك، ومن هنا أيضا كان احترامه لمدرسة المشائين وقد حاول استقطاب رئيس المدرسة بعد وفاة «أرسطو» وهو المدعو «ثيوفراستس» الذى رفض الحضور إلى الاسكندرية فدعا تلميذه الأشهر «سترابون».

ولقد ظل «ديمتريوس الفاليرى» فى بلاط «بطليموس الأول» معززاً مكرماً إلى أن توفى «بطليموس الأول» سنة ٢٨٣ ق.م؛ فتبدل الحال حيث غضب عليه «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) لمواقف سابقة منه فأبعده عن البلاط وعن الإسكندرية في أبوصير

حتى توفى ودفن هناك. ومن هنا لا يمكن أن يكون «بطليموس الثانى» هو الذى أنشأ المكتبة بداية بإيعاز من «ديمتريوس الفاليرى» بل ربما يكون قد توسع فيها بعد وفاة أبيه وتوليه هو السلطة من بعده. وهذه القصة نفسها نصادفها فى حالة (بيت الحكمة فى بغداد) المكتبة العظيمة التى أنشأها هارون الرشيد وتوسع فيها ونماها ابنه المأمون.

وطالما أننا قد أثبتنا الآن أن «بطليموس الأول» هو الذى أنشأ المتحف والمكتبة بناء على نصيحة من ديمتريوس الفاليرى فإن السؤال الذى يفرض نفسه بعد ذلك هو متى تم الإنشاء مع الأخذ فى الاعتبار أن إنشاء المكتبة قد تم قبل إنشاء المتحف فيما يقول الدكتور جورج كليبل، وأن المتحف نفسه اكتمل ما بين ٢٩٠ ـ ٢٨٤ ق.م قبيل وفاته مباشرة؛ وبالتالى فإن المكتبة تكون قد أسست مابين ٣٠٠ ـ ٢٩٠ ق.م.

والمشكلة التى تواجهنا حقيقة أن المصادر المختلفة لا تربط بين المتحف وبين المكتبة إلا فيما ندر فكثير من المصادر تتحدث عن المتحف وحده ومصادر أخرى تتحدث عن المكتبة وحدها مما يشير إلى صدق ما ذهب إليه الدكتور «كليبل» من أن المكتبة قد نشأت قبل المتحف وأنها لم تكن كما ذهب البعض جزءا منه بل وجدت الصلة فيما بعد عندما احتاج الباحثون إلى استخدام مصادر المكتبة وأدواتها ونحن نجد أن «تيمون» و«هيروداس» يشيران فى أشعارهما إلى المتحف فقط. وفى القرن الثانى قبل الميلاد نجد «أريتياس» يتحدث عن المكتبة وحدها وهو أقدم من وصلتنا كتاباته عن المكتبة. كذلك فإن «استرابون» عندما وصف الإسكندرية لم يتحدث عن المكتبة بل تحدث فقط عن المتحف. وفى العصر الرومانى نجد الكتَّاب يتحدثون عن المؤسستين معًا على نحو ما فعل «أثينايوس» و«إيريانوس» فى القرن الثانى الميلادى.

لا ينبغى أن نتزعج من مصطلح المتحف (الموسيون) وننظر إليه على أنه مكان لعرض التحف ولكنه فى حقيقة الأمر كان أكاديمية أو بمعنى عصرى مركز بحوث واسع النطاق يضم كبار الباحثين والعلماء المنغمسين فى القيام بدراساتهم وبحوثهم وتجاربهم العلمية وإلى جانبهم شباب الباحثين ممن يتدربون على منهج البحث وأساليب عمل الدراسات والبحوث تحت إشراف شيوخ البحث وأساطينه وهكذا كان يتم التواصل العلمى بينهم. ولم يكن المتحف مدرسة يلقى فيها العلم بطريقة منظمة

أو منتظمة وإن لم يعدم الأمر وجود ما يمكن أن نطلق عليه المحاضرات العامة أو المناظرات العلمية التى كان الملك يحضر جانبا منها. ولذلك نعتقد أن المتحف كان قاصرا على صفوة العلماء وأنه لم يلتحق به إلا من يسمح له الملك بالانخراط فى سلك أعضاء المتحف.

ونظرًا لأننا لم يصلنا وصف تفصيلى لمبنى المتحف أو أقسامه وكل ما وصلنا هو وصف عام قدمه لنا استرابون الذى شاهده عند زيارته للإسكندرية ووصفه من خلال وصفه لها يقول استرابون أن هذا المتحف أو الموسيون يقع فى حى البروكيوم أى الحى الملكى وله ممشى طويل محاط بأعمدة مزدوجة وينتهى برواق معقود. وفيه بيوتات من بينها قاعة كبيرة للطعام يأكل فيه أعضاء الموسيون، وهم يشكلون جماعة واحدة لهم ملكية مشتركة معهم كاهن يعينه الملك (ثم الإمبراطور فى العصر الرومانى) ويكون هذا الكاهن رئيس المتحف ـ يقول الدكتور مصطفى العبادى ربما يكون المتحف قد بنى على نفس طريقة أكاديمية أفلاطون وليسيوم أرسطو فى أثينا وأن «ديمتريوس الفاليرى» الذى أشرف على تخطيط وبناء المتحف كان متأثرا إلى حد كبير بأكاديميات أثينا وخاصة الليسيوم الذى كان ينتمى إليه.

وقد رأينا أن الملك «بطليموس الأول» حرص كل الحرص على استقطاب العناصر العلمية المتميزة للانخراط فى سلك علماء وباحثى المتحف وفى نفس الوقت تربية أبنائه وتأديبهم. وتذكر المصادر أنه من بين من استقدمهم عالم الطبيعة «استراتون» والأديبان اللغويان «فيليتاس» من قوص و«زينودوتس» من أفيسوس والرياضى الأشهر «إقليدس».

كان المتحف يمول كلية من قبل الدولة أى من ميزانيتها العامة وكان العلماء والباحثون فى المتحف يتقاضون إلى جانب الإقامة الكاملة ـ سكن وطعام وانتقالات ـ مرتبات شهرية كانت تتراوح ما بين تالنت واحد وخمسة تالنتات شهريًا على حسب الدرجة والمقام. ونحن وإن لم تصلنا جداول المرتبات فإننا نستطيع من السياق تقديرها واستنتاجها على النحو السابق، ذلك أن «سوسيبيوس» الأديب والناقد اشتكى «البطليموس الثانى» (فيلادلفيوس) من عدم حصوله على مرتبه الملكى، كما أن

«بناريتوس» العالم المغمور كان يتقاضى اثنى عشر تالنتًا؛ وأن عالم الطبيعة المشار إليه «استراتون» الذى كان يعلم ابن بطليموس «سوتر» قد تقاضى مبلغ ثمانين تالنتًا نظير هذا العمل كله ولا نعرف المدة التى انقضت فى هذا العمل. من ناحية أخرى أعفى العلماء والباحثون فى المتحف من الضرائب وهو امتياز كان يحصل على المدرسون فى عهد بطليموس الثانى.

ويبدو أن المتحف رغم اشتغاله الأساسى بالعلم إلا أنه كان فى نفس الوقت مكانا لربات العلوم والفنون حيث وضعت تماثيل هذه الربات ربما كراعيات للعلوم والفنون والآداب، وربما يفسر هذا أيضا أن رئيس المتحف كان كاهناً إلى جانب وجود مدير للشئون المالية والإدارية فيه.

ورغم أن المتحف قد تأثر بالظروف السياسية باعتباره مؤسسة حكومية ممولة من قبل الدولة ويعين رئيسه ومديره بل والعلماء والباحثون فيه بموافقة من الملك، إلا أنه لم يقف عن العمل وممارسة النشاط حتى بعد زوال ملك البطالمة ودخول مصر والإسكندرية إلى حوزة الحكم الرومانى. ولقد حباه الرومان بكل العناية والرعاية واستمر الوضع على ما كان عليه أيام البطالمة من حيث التمويل الحكومى والإقامة الكاملة مع الرواتب الشهرية والإعفاء الضريبى وزيارة الأباطرة الرومان له والإلتقاء مع العلماء وعقد المناظرات معهم.

لقد حرص الأباطرة الرومان هم الآخرون على استقطاب العناصر العالمة إلى المتحف وقد قام كثير من العلماء والباحثين بإضافات علمية لها خطرها وشأنها ومن بين العلماء والباحثين الذين برزوا وازدهروا فى المتحف فى ظل الرومان «هيرون» الذى اخترع عدداً من الآلات الميكانيكية، و«كلوديوس بطليموس» عالم الفلك والجغرافى الشهير و«جالينوس» الطبيب المؤلف و«فيلون» و«أفلوطين» أصحاب المذاهب الفلسفية المجددة فى ذلك العصر وكذلك «آريوس» الفيلسوف الرواقى وغيرهم كثيرون.

وسواء نشأ المتحف حول المكتبة أو كانت المكتبة أداة من أدوات المتحف شأنها

شأن حدائق الحيوان والنباتات والمعامل والمراصد الفلكية فقد كانت مؤسسة قائمة بذاتها وفاقت شهرتها شهرة المتحف نفسه، ربما لأنها نشأت قبله واستمرت بعده وربما لأنها كانت أهم أدواته تستقيم بدونه ولا يستقيم بدونها. المهم أنها نالت من الحظوة والاهتمام والكتابة مالم يحظ به المتحف نفسه.

ونحن لا نعرف على وجه اليقين ماهى الأسباب التى دعت إلى إنشاء المكتبة أو الأهداف المبتغاة من وراء إقامتها. وهل كانت مجرد محاكاة لمكتبات سبقت أو مكتبات عاصرت؟ هل كانت مكتبة يونانية أم مصرية أم قصد بها أن تكون مكتبة عالمية؟

ليست لدينا في حقيقة الأمر إجابات محددة وقاطعة فى هذا الصدد وليس لأية إجابات أن تكون محددة أو قاطعة وإلا خرجت عن طبيعة الأشياء.

نحن نعلم أن الإسكندر الأكبر كان تلميذًا لأرسطو الذى كانت عنده مكتبة خاصة عظيمة الشأن أفاد منها الإسكندر وتأثر بها ومن المحتمل أنه عندما خطط لإقامة مدينة الإسكندرية كان من بين ما خطط له أن يكون فيها أكاديمية ومكتبة عظيمة على غرار أكاديمية ومكتبة أرسطو وهو الأمر الذى نفذه خلفاؤه لأنه هو نفسه لم يشأ له القدر أن يرى الإسكندرية بعدما قامت وأسست.

هناك آراء تشى بأن مكتبة الإسكندرية قصد بها أن تكون مستودعًا للفكر اليونانى، ولكن هناك على الجانب الآخر آراء توحى بأن مكتبة الإسكندرية قد قصد بها أن تكون مستودعًا للفكر العالمى سواء كان يونانياً محضًا أو أجنبياً نقل إلى اللغة اليونانية أو كتب أصلا باللغة اليونانية أو بقى بلغته الأصلية وخطه الأصلى. وأنا أميل فى حقيقة الأمر إلى هذا الرأى الأخير. لقد قامت مكتبة الإسكندرية منذ بادىء أمرها كى تكون مكتبة عالمية حيث بدأ الإسكندر الأكبر هذا الاتجاه إذ أمر بنقل التراث الفارسى والآشورى والبابلى والمصرى إلى اللسان اليونانى وسواء أنه أمر بحرق الأصول أم أن هذه فرية افتريت عليه فى بعض المصادر فإن اللغة اليونانية قد ثريت بالفكر الأجنبى الذى نقل إليها ومن هنا تكون مكتبة الإسكندرية مكتبة عالمية

قامت على الأرض المصرية ذات التاريخ العريق فى إنشاء المكتبات، ومواد الكتابة وأدوات الكتابة وأمناء المكتبات وحركة نشر الكتب والتأليف والمؤلفين فى كل المجالات؛ وبقرار من الحكام اليونانيين.

إدارة المكتبة

إن مما يؤكد على استقلال المكتبة عن المتحف أنه كانت لها إدارة مستقلة قائمة بذاتها وأن رئيس المكتبة كان يُعيَّن بقرار من الملك شأنه فى ذلك شأن رئيس المتحف ومديره، مما حمل البعض على اعتبار المؤسستين صنوين على مستوى واحد وهو ما أميل إليه وتشير إليه كل الشواهد ولقد حاولت جاهدًا أن أوفق قائمة رؤساء المكتبة من العديد من المصادر وعلى رأسها القائمة التى تناثرت فى حاشية تزيتزيس وبردية أوكسيرنخس (البهنسا من أعمال الصعيد). وربما تتفق قائمتنا جزئيا مع بعض القوائم التى استنبطها زملاء لنا وربما تختلف فالأمر كله متروك للمناقشة، لأنه فى حالة مكتبة الإسكندرية القديمة يكون الاستنتاج والاستنباط هو الأصل والأساس وليس ثمة شىء مسلم به:

قائمة خليفة	قائمة العبادي	قائمة غندور
- ديمتريوس الفاليرى ٢٩٠-٢٨٢ ق.م		
- زينودوتس الأفوسى ٢٨٢-٢٦٠ ق.م	رينودوتس ٢٨٥-٢٧٠ ق.م	زينودوكس الأفسى ٢٨٤-٢٦٠ ق.م
- كاليماخوس الكرينى ٢٦٠-٢٤٠ ق.م		كاليماخوس البرقاوى ٢٦٠-٢٤٠ ق.م
- أبو للونيوس الروديسى ٢٤٠-٢٣٠ ق.م	أبو للونيوس الرودسى ٢٧٠-٢٤٥ ق.م	أبو لونيوس الروديسى ٢٤٠-٢٣٥ ق.م
-إيراستوثينز الكرينى ٢٣٠-١٩٦ ق.م	إراتوستنيس ٢٤٥-٢٠٤ أو ٢٠١ ق.م	إيراتوستنيس القورينيائى ٢٣٥-١٩٥ ق.م

قائمة خليفة	قائمة العبادي	قائمة غندور
- أرستوفانيس البيزنطى ١٩٦-١٨٥ ق.م -	أرستوفانيس ٢٠١/٢٠٤-١٨٩ أو ١٨٦ق.م	أرسطوفان البيزنطى ١٩٥-١٨٠ ق.م
أبو للونيوس الأيدوجرافى ١٨٠-١٦٠ ق.م	أبو للونيوس «المصنف» ١٨٦/١٨٩-١٧٥ ق.م	أبولونيوس إيدجرافوس ١٨٠-١٦٠ ق.م
- أرستاخوس الساموثى ١٦٠-١٤٦ ق.م	أريستارخوس ١٧٥-١٤٥ ق.م-	أرسطو خاروس الثامورثيتى ١٦٠-١٤٦ ق.م
- كوداس (الرماح) ١٤٥-١١٦ ق.م		
- أونيساندر القبرصى ١٠٠-٨٩ ق.م		أنسندر القبرصى ١٠٠-٨٩ ق.م
- كايريمون السكندرى ٥٠-٧٠ م		خيرمون الإسكندرى (من المرجح أنه فى القرن الأول الميلادى)
- ديونيسيوس بن جلوكوس ١٠٠-١٢٠م		
- كايوس يوليوس فاسينوس ١٢٠-١٣٠م		

ومن الواضح أن القائمة التى أعدها صاحب هذا البحث تحمل أحد عشر اسمًا وتصل إلى نحو منتصف القرن الثانى الميلادى ولا تتضمن اسم كوداس (الرماح) الذى انفردت به قائمة العبادى ويغطى ثلاثين عاما مفقودة من القائمتين الأخريين. وتتضمن قائمة العبادى سبعة أسماء فقط اتفقت فى ست منها مع القائمتين الأخريين وانفردت كما رأينا باسم كوداس الرماح الذى يغطى فترة ثلاثين عاما لم تظهر فى

القائمتين الأخريين. وقد أتت قائمة غندور على تسعة أسماء كلها ظهرت فى القائمة الأولى. والخلاف بين القوائم الثلاثة فى تواريخ تولى رئاسة المكتبة وضع طبيعى لأنه يوجد مثيل له حتى فى تواريخ الميلاد، كما أن الخلاف فى هجاء الأسماء وضع طبيعى بسبب الخلاف فى نطق الأسماء ونقحرتها من اليونانية إلى العربية. نفس هذا الخلاف حتى في ترتيب رؤساء المكتبة نجده داخل قوائم تزيتزيس نفسه فقد جاءت بعد زينودوتس بثلاث طرق مختلفة هى:

القائمة الأولى	القائمة الثانية	القائمة الثالثة
كاليماخوس الكرينى	أبو للونيوس السكندرى	كاليماخوس
إيراتوسثينز الكرينى	إراتوسثينز	إراتوسثينز
أبو للونيوس الروديسى	أريستوفانيس البيزنطى	أريستوفانيس البيزنطى
أريستوفانيس البيزنطى	أبو للونيوس «المصنف»	أبو للونيوس الإيدوجرافى
أريستارخوس الساموثى	أريستارخوس الساموثى	أريستارخوس

هذه الأسماء التى ظهرت كرؤساء للمكتبة أو مديرين لها يرى الباحثون فى بعضها أنها لم تصل إلى مرتبة رئيس أو مدير المكتبة ومن بينهم على سبيل المثال «كاليموخوس»، ويرون أنه كان مجرد أمين مكتبة وربما رئيس قسم فقط وأن وجه شهرته الحقيقى وارتباطه بالمكتبة يرجع إلى الفهرس العظيم الذى أعده لمجموعات المكتبة؛ كما أن من بينهم أيضا «كوداس الرماح» الذى يتساءل الدكتور مصطفى العبادى عن عمل رجل يحمل الرمح بين العلماء ثم يجيب على تساؤله بأنه تعيين استثنائى لظروف استثنائية عام ١٤٥ ق.م، وهى ظروف استئثار «بطليموس الثامن» بالسلطة فى أعقاب الحرب الأهلية مع أخيه الأكبر وأن «كوداس» عُيِّنَ لينفذ سياسة بطليموس الثامن والقضاء على خصومه داخل جماعة الموسيون حيث نعرف أن «أريستارخوس» رئيس المكتبة السابق عليه اعتزل المنصب سنة ١٤٥ ق.م. وفر خارج البلاد مع علماء آخرين.

وتضيف بردية أوكسيرنخوس بعد كوداس الرماح هذا بطريقة غامضة غير مفهومة أسماء «أمونيوس»، «زينو»، «ديوكولوس»، «أبوللونيوس»، وكلهم من المؤلفين الذين التحقوا بالمتحف ولكن ليس ثمة دليل إطلاقا على أنهم تولوا رئاسة المكتبة بل ولا حتى كانوا من المكتبيين العاديين فيها. ورغم أن الدكتور مصطفى العبادى لم يسجل اسم «أونيساندر» فى قائمته إلا أنه فى تعليقه ذكر أن أونيساندر هذا هو آخر من ورد أنه تولى المنصب وهو قبرصى من بافوس ويستند فى ذلك إلى نقش من عهد «بطليموس التاسع» (سوتير الثانى)حيث نجد «أونيساندر» يحمل لقب المشرف على المكتبة الكبرى فى الإسكندرية ويقول سيادته بأنه من المحتمل أن أونيساندر هذا كان من أعوان «سوتير الثانى» فى فترة نفيه فى قبرص ثم كوفىء بتعيينه فى منصب المشرف على المكتبة بعد عودة الملك إلى الإسكندرية فى سنة ٨٨ ق.م.

ولابد حتى للعين العابرة من أن تلاحظ أن رؤساء المكتبة حسب القائمة السابقة قد جاءوا من مناطق مختلفة وجنسيات متعددة مما يؤكد عالمية المكتبة ويفسر ذلك أن مدينة الإسكندرية نفسها كانت فى ذلك الوقت مدينة جديدة جاء سكانها كما أشرنا سابقًا من أصقاع الأرض المختلفة ولم يكن فيها ما نطلق عليه السكان الأصليون أو السكان الوطنيون أصحاب المكان اللهم إلا مجموعة الصيادين المصريين فى قرية راقودة والذين لم يكونوا يمثلون سوى كسرة من سكان الإسكندرية بعد ذلك. ومن ثم فإنه طالما كانت الإسكندرية مدينة عالمية ومكتبتها مكتبة عالمية كان لابد للعاملين فيها ولمديريها بالضرورة أن يكونوا عالميين ينتمون إلى جنسيات ومناطق عالمية.

لقد كانت الشخصية الأولى فى رئاسة المكتبة هو بالضرورة المشرف على إنشائها «**ديمتريوس الفاليرى**»، الرجل الذى جاء من اليونان الأم، والذى تصفه المصادر بأنه شخص غير عادى، ثرى فى تجاربه سواء الناجحة أو الفاشلة، صاحب قلم ومفكر، فيلسوف ورجل دنيا، سياسى محنك، شرب من معين القوة، عاش عيشة فخمة مترفة ولكنه أيضًا أكل العيش الجاف والجبن الخشن وشرب التفالة. لقد كان الرجل الذى فهم بطليموس الأول وفهمه بطليموس الأول ووثق فيه واتخذه صديقا وصاحبا ومستشاراً. وفى سنوات عمره المتأخرة شهد عصره الذهبى بمصاحبة الملوك وعليه القوم لدرجة أن «بطليموس سوتر» استشاره كما رأينا فيمن يخلفه على العرش من أبنائه.

ولد «ديمتريوس» فى فاليرون، أحد موانى أثينا الثلاثة فى أى من السنوات بين ٣٥٤ ـ ٣٤٨ ق.م. وكان أبوه يدعى «فانوستراتوس». ومهما كانت نشأته المتواضعة فلقد تلقى تعليم شباب أثينا من الطبقة الراقية، ولقد واصل تعليمه العالى بعد ذلك فى الليسيوم (أكاديمية أرسطو) وتتلمذ على يد «ثيوفراستوس» تلميذ وخليفة أرسطو، وتشرب ينبوع حكمة هذه المدرسة، ورغم أنه لم يعاصر أرسطو إلا إنه بالضرورة سمع عنه وتعلم الأخلاقيات النبيلة التى دعا إليها ونمط الحياة الهادىء الوديع المعتدل الذى كان يدرسه فى الليسيوم والذى يقوم على ملاحظتنا الفاحصة للأشياء ولأنفسنا واعتناقنا لكل ماهو خير ورفضنا لكل ماهو سيء وشرير. ولقد دخل «ديمتريوس» معترك الحياة اليومية العامة بين الرابعة والعشرين والثلاثين من عمره (حوالى ٣٢٤ ق.م) وظهرت مواهبه الفذة كخطيب مفوه. وكان أخوه «هيمرايوس» عضواً نشيطاً فى الحزب المعادى للمقدونية وضد الإسكندر وحركته، كما اشترك فى الحرب اللامية ولكنه أعدم مع كل من «ديموسثينز» و«هيبريدس». ورحل «ديمتريوس» إلى بيرايوس للإقامة مع نيكانور حيث التقى مع «كاساندر» والتحق بحزب فوكيون حزب السلام والإصلاح. وكان «كاساندر» واحدا من حكماء اليونان ويحفظ أشعار «هوميروس» عن ظهر قلب ورجلاً من رجالات النهضة اليونانية وقد قام بتعيين ديمتريوس نائبًا له فى حكم أثينا وكان ذلك من حظ أثينا فيما يقول المؤرخون وبقى فى هذا المنصب عشر سنوات (٣١٧ ـ ٣٠٧ ق.م) وربما كان ذلك من أصعب المهام التى نجح فيها ديمتريوس ويقال أن مواطنيـه اعترافاً بفضله صنعوا له ٣٦٠ تمثالا فى أوضاع مختلفة. وإلى جانب الخدمات السياسية والإدارية التى قدمها لأثينا قام بأعمال ثقافية وفكرية جليلة لبلده ومن بينها قيامه بإحصاء السكان ولم يكن أحد قبله قام بهذا العمل ونذكره هنا فقط على سبيل التمثيل:

٩٠,٠٠٠ مواطن أصلى

٤٥,٠٠٠ أجنبى

٣٦٥,٠٠٠ عبد

٥٠٠,٠٠٠ مجموع السكان

وبعد تقسيم إمبراطورية الإسكندر عقب وفاته كان من نصيب «ديمتريوس» مدينة بيرايوس وما حولها ونصبه مواطنوه هو وأباه ملوكا وآلهة. ثم قلبت الدنيا له وجهها ونفى إلى طيبة (اليونانية) وربما ارتحل بعدها إلى مقدونيا واشتغل بالعلم والفلسفة طيلة سنوات النفى.

لقد كتب الرجل فى كل المجالات تقريبا من الحب إلى التشريع ومن هوميروس إلى بطليموس وكتب أشعاراً دينية ظل الناس يرددونها طيلة ستة قرون بعده وكتب تاريخًا مطولاً عن أثينا من واقع الوثائق التى توافرت لديه. وكنا نود لو وصلتنا السيرة الذاتية التى كتبها عن نفسه بعنوان (سنوات سيادتى العشر) لقد كان الرجل آخر الكُتّاب العظام فى الفترة الأثينية وربما أول عظماء فترة الإسكندرية.

لقد دعاه «بطليموس الأول» (سوتر) إلى القدوم إلى الإسكندرية سنة ٢٩٧ ق.م ولم يكن من بين من دعاهم بطليموس إلى بلاطه من ساسة وشعراء وفلاسفة وعلماء ولغويين وخطباء من يعدل «ديمتريوس الفاليرى» فى خدماته للملك وانجازاته لمدينة الاسكندرية وللفكر الإنسانى عمومًا. ومن السهل أن نفهم كيف أصبح هذا الرجل متعدد المواهب صديقاً ومستشارً للملك وأخلص خلصائه ولكن من الصعب أن نفهم كيف احتفظ بهذه المنزلة طوال حياة بطليموس الأول وكيف أنه كان يختار للملك الكتب التى يقرؤها بل وكيف حمل الملك على قراءة ودراسة كتب الديمقراطية والحكومات المتحررة، بل وكيف كان الملك يستشيره فيمن يخلفه فى الحكم من أبناء زوجتيه؛ مما أغضب عليه بطليموس الثانى فيما بعد وجعله ينفيه إلى صعيد مصر، حيث عضه الصل (أفعى صغير) فمات ودفن هناك.

لقد تابع الرجل خلال حكم بطليموس الأول عملية دعوة الأدباء والفلاسفة والعلماء إلى الإسكندرية التى أدرك بحسه أنها ستكون درة مدن العالم ومركزها الفكرى والتجارى والسياسى. ولذلك اقترح على بطليموس الأول انشاء الجامعة المصرية التى عرفت باسم المتحف (الموسيون) مكان التقاء العلماء والباحثين من كل أنحاء الأرض ولتكون محراباً لربات الفنون التسع. وهنا يجب أن يكون للعلماء سكن وإقامة وقاعات محاضرات ومناظرات ومعامل ومراصد وقاعات طعام وحدائق

حيوانات ونباتات. هناك يجب أن تجتمع علوم آسيا وافريقيا وأوروبا ولم يكن ديمتريوس بالرجل الحالم بل كان الرجل المفكر، الرجل المنفذ. وإلى جانب اقتراح إنشاء الجامعة المصرية، اقترح انشاء مكتبة الإسكندرية وشرع فى جمع أول مجموعة كبيرة من الكتب والتى قدرها البعض بنحو مائتى ألف مجلد وقد أدرك بطليموس سوتر بحسه ومعرفته قدرة الرجل فعينه مشرفاً على المكتبة فيما تذكر المصادر. وقد أمل «ديمتريوس» أن يصل بتلك المجموعات إلى نحو خمسمائة ألف مجلد فى عهده. ومن هنا يكون «ديمتريوس الفاليرى» هو صاحب الفضل فى تنفيذ مكتبة الإسكندرية القديمة وأول رئيس لها وواضع لبنات المجموعات الأولى فيها وذلك فى عهد «بطليموس سوتر». ولقد نمت المجموعات بعد ذلك من بطليموس إلى بطليموس حسب اهتمامات كل منهم وما يرصده للمكتبة من إمكانيات وحسبما يتوافر لها من مديرين ورؤساء ومن الموكد أن «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) قد حباها بنصيب كبير من اهتمامه ورصد لها مبالغ كبيرة من المال ساعدت بالقطع على تنميتها وتوسيع نطاق خدماتها.

من الشخصيات التى لمعت فى إدارة المكتبة «زينودوتس» من إفسوس الذى خلف «ديمتريوس الفاليرى» وقد جاء «زينودوتس» بطبيعة الحال بعد نفى ديمتريوس الفاليرى إلى صعيد مصر واعتلاء «بطليموس الثانى» عرش مصر. ومن المعروف أن «زينودوتس» كان تلميذ «فيليتاس» الشاعر اللامع والنحوى البارع ومربى «بطليموس الثانى». لقد كان «رينودوتس» نحويًا وناقدًا. وقد ولد فى سنة ما بين ٣٢٥ و ٣٢٠ ق.م. ولقد بدأ نجمه فى السطوع حوالى ٢٨٢ ق.م أى بعد وفاة بطليموس الأول مباشرة ولا نعرف متى توفي. وترى المصادر أنه أول رئيس للمكتبة، وربما كان ذلك صحيحا إذا اعتبرنا أن «ديمتريوس الفاليرى» هو المنشىء لها ولم يتول هذا المنصب بصفة رسمية وقد قضى الفترة من ٣٠٧ ـ ٢٨٢ (أو من ٢٩٦ ـ ٢٨٢ فى مصادر أخرى) ق.م فى مجرد جمع الكتب من جميع أنحاء العالم وتنظيمها وتهيئتها للاستخدام وكان مديراً للمكتبة الملكية قبل فتحها أمام جمهور المستفيدين ولكن المنطق

والإنصاف يقتضى منا أن نضع ديمتريوس الفاليرى كأول مدير للمكتبة وزينودوتس كثانى مدير لها.

كذلك فإن من الشخصيات التى لمعت فى سماء مكتبة الإسكندرية فى عهد بطليموس الثانى شخصية «ألكسندر الآيتولى» (من آيتوليا) المولود فى نحو ٣١٥ ق.م وهو شاعر ونحوى عاش معظم حياته فى الإسكندرية. وكان واحدا من الشعراء السبعة المعدودين في التراجيديا السكندرية. وقد كلفه بطليموس الثانى بإعداد قائمة بالمسرحيات الكوميدية والتراجيدية وعينه فى إحدى الوظائف المرموقة فى مكتبة الإسكندرية وقام بدور هام فى إدارة وتنظيم المكتبة وربما مساعداً للرئيس الثانى للمكتبة زينودوتس وإن ذكرت بعض المصادر أنه خلفه فى وظيفة المدير أو الرئيس. ونحن نعرف أن «ألكسندر الآيتولي» ترك الإسكندرية سنة ٢٧٦ ق.م والتحق ببلاط «أنتيجونوس جوناتيس» في بيللا. ولم يصلنا من أعماله إلا مسرحية تراجيدية واحدة وبعض القصائد.

ومن الأسماء التى وصلتنا من مكتبة الإسكندرية وكان دور فى إدارة وتنظيم المكتبة وإن لم تظهر فى قائمة المديرين اسم «ليكوفرون» من تشاليكيس كاتب التراجيديا والشاعر والنحوى والذى لا نعرف عن حياته إلا النزر اليسير ولقد تبناه المؤرخ ليكوس عدو ديمتريوس اللدود. وهو من الشعراء السبعة المعدودين فى التراجيديا السكندرية وهو صاحب القصيدة العظيمة **الإسكندرية** التى ظل الناس يرددونها قرونا طويلة. ورغم أن مسرحياته كانت ضعيفة المستوى إلا أن أشعاره كانت قوية ناعمة أعجبت بطليموس وأرسنوى ومن أهم أعماله دراسته المستفيضة حول الكوميديا فى تسعة كتب. لا نعرف بالضبط متى ولد (فى سنة مابين ٣٣٠ - ٣٢٠ ق.م) ولا نعرف متى توفى وإن كان أوفيد يقول بأنه قتل بسهم. وتذكر بعض المصادر أنه عين مديراً للمكتبة بعد الكسندر الآيتولى، ولكن ربما كان مساعداً للمدير أو رئيس قسم على أكثر تقدير. وتقدم المصادر أعماله الفكرية بنحو ستة وأربعين أو أربعة وستين مسرحية تراجيدية، ومسرحية كوميدية واحدة. وإن كان ما حصر منها هو عشرون عنوانا فقط.

ومن الأسماء التى يجب التوقف أمامها طويلا نسبيًا «كاليماخوس الكرينى»، وربما كان أشهر شخصية فى تاريخ مكتبة الإسكندرية، أشهر من «ديمتريوس الفاليرى» نفسه وذلك بسبب الفهرس العظيم الذى أعده لمقتنياتها؛ وتضعه المصادر كثالث رئيس للمكتبة وإن كانت هناك مصادر أخرى تنكر ذلك وتنفيه ويعتبر «كاليماخوس» فى نظر الكثيرين هو «أبو الببليوجرافيا» وأعظم كتبى فى عصره لقد كان باحثا قديراً عالميا. ولد كاليماخوس حوالى ٣٠٥ ق.م وتاريخ وفاته غير معروف على وجه الدقة ويحدده البعض بنحو سنة ٢٤٠ ق.م ومن ثم يكون قد عاش فى عهد «بطليموس الثانى» ورد حاً من الزمن فى عصر «بطليموس الثالث» الملقب «يورجيتس» وكانت إدارته للمكتبة بين ٢٦٠ - ٢٤٠ ق.م أى نحو عشرين عامًا. وسوف نعود إلى مجهوده الفذ فى إعداد فهرس المكتبة (بيناكيس) وتطفو على السطح أيضا شخصية «إراتوسثينز الكرينى» التى ليس عليها أى خلاف فى الوصول إلى منصب مدير المكتبة وإن كان الخلاف حول الترتيب فقط هل جاء بعد «زينودوتس» أم «كاليماخوس» أو «أبوللونيوس الروديسى»؟ ومهما يكن من أمر هذا الترتيب فقد كان الرجل أهم وأمهر تلاميذ «كاليماخوس» وكان موسوعى المعرفة متعدد المواهب: هو عالم فى الرياضيات والجغرافيا والفلك والنحو والتاريخ والأنساب، واللغة والفلسفة بل وشاعر أيضًا. ويقال أنه مؤسس علم الفلك والجغرافيا الطبيعية. ولد سنة ٢٧٥ ق.م. ومن بين أساتذته كان «أريستون»، «زينودوتس»، «كاليماخوس» على الترتيب. يقول «ألفرد كرواست» عنه «بعد حياة حافلة فى أثينا دعاه «بطليموس يورجيتس» مرة ثانية إلى الإسكندرية وكان فى نحو سن الأربعين لإدارة مكتبة الإسكندرية الشهيرة بعد وفاة كاليماخوس» وتوفى الرجل فى سن الثمانين بسبب الامتناع عن الطعام وكان قد فقد بصره ومل حياته سنة ١٩٦ ق.م. وللرجل أعمال فكرية عديدة نثرًا وشعرًا. وليس هناك خلاف فى أنه مؤسس علم الحوليات وعلم الجغرافيا. ويعزى إليه قياس محيط الأرض وإذا كان فيثاغورس قد لقب بالفيلسوف الأول فإن «أراتوسثينز» قد لقب بعالم اللغة الأول. ويبالغ البعض ويعتبره أعظم باحث فى العصر البطلمى كله.

من الشخصيات الفذة أيضا فى مكتبة الإسكندرية «أبوللونيوس ألكسندرى» الذى عرف باسم «أبوللونيسو الروديسى»، وأيا ما كانت نسبته فهو واحد من تلاميذ كاليماخوس. وربما كان على خلاف كل مديرى المكتبة الوحيد الذى كان مصريا ولأنه كان ضد النظام الطبقى الذى ساد المتحف والمكتبة فقد ارتحل إلى رودس حيث حقق شهرة واسعة وسعادة غامرة فى مدارسها الفكرية هناك؛ ثم عاد إلى الإسكندرية فى عهد «بطليموس الثالث» (يورجيتس) (٢٤٧ ـ ٢٢١ ق.م). وقد خلف كاليماخوس فى إدارة المكتبة بعد وفاته وكان للرجل انتاج فكرى غزير شعراً ونثراً وقد أثار غيرة وحسد الكثيرين من أقرانه فى المتحف ونشب بينه وبينهم نزاع طويل انتهى كما رأينا برحيله إلى رودس. ليس هناك خلاف حول توليه منصب المدير ولكن الخلاف كما هى العادة فى الترتيب فهناك من يسجل أنه جاء بعد كاليماخوس وهناك من يذكر أنه جاء بعد إراتوسثينز إلا أن الرأى عندى أنه جاء بعد كاليماخوس لأنه لو جاء بعد إراتوسثينز لكان طاعنا فى السن حيث توفى إراتوسثينز بين ١٩٦ ـ ١٩٣ ق.م. وقد دفن فى المقبرة التى تلى مقبرة كاليماخوس مما يؤكد تلك الحقيقة.

ويعتبر «أريستوفانيس البيزنطى» من العلامات المضيئة فى إدارة وتاريخ مكتبة الإسكندرية بل وفى كل العالم القديم. ولقد كان الرجل تلميذاً لكل من كاليماخوس وإراتوسثينز. كما كان على الجانب الآخر استاذاً ومعلماً لأرستارخوس الذى خلفه فى إدارة المكتبة. ومما يذكر عنه أنه قد عين مديراً للمكتبة وهو فى سن الستين من عمره وإذا كان الرجل قد ولد بين ٢٥٧ و ٢٥٠ ق.م وتوفى حوالى ١٨٠ ق.م فإنه بالتالى يكون قد تولى أمانة المكتبة لمدة تصل إلى خمسة عشر عامًا. ومن المعروف أن أريستوفانيس جاء إلى الإسكندرية فى شبابه مع والده الجندى وبعد أن تعلم على يد أساتذتها العظام كرس حياته لدراسة علم اللغة وعين مديراً للمكتبة حوالى سنة ١٩٥ ق.م ويقال أنه زهد فى الوظيفة قبل وفاته بل وزهد فى الإسكندرية كلها ورحل إلى سوريا فى سن متأخرة. ويقال أن «يومينس الثانى» ملك برجاموم فى الفترة (١٩٧ ـ ١٥٩ ق.م) دعاه ليتولى رئاسة مكتبة برجاموم الشهيرة. وكان أريستوفانيس من أخصب المؤلفين فى مجال علم اللغة والأدب، وقد احتل فيهما مكانة مرموقة بين المتخصصين فيهما.

وقد خلف «أريستوفانيس» فى إدارة المكتبة تلميذه «أرستارخوس الساموثى» وإن كان هناك جدل حول هذه الخلافة لأن بردية أوكسيرنخوس تضع بينهما شخصية أخرى هى شخصية أبوللونيوس «المصنف» أو الأيدوجرافى في الفترة بين ١٨٠ ـ ١٦٠ ق.م وتزحزح أرستارخوس بين ١٦٠ ـ ١٣١ ق.م ولو كان أرستاخوس قد ولد حوالى ٢٢٠ ق.م حسب بعض المصادر فإن عمره عند تولى إدارة المكتبة يكون ستين عامًا وإن كان قد ولد بين ٢٠٢ ـ ٢٠٠ ق.م حسب مصادر أخرى فإن عمره آنذاك يكون أربعين عامًا. ونحن لا نعرف على وجه التحديد متى هرب من الإسكندرية وإن كان يظن أنه كان فى حكم «بطليموس يورجيتس الثانى» الطاغية (١٤٥ ـ ١١٦ ق.م) الذى كان تلميذا له. وإن كان يرجح أنه خرج مع تلميذه العجوز يورجيتس الثانى عندما طرد من الإسكندرية ١٣١ ـ ١٣٠ ق.م واستقر فى قبرص. ويقال أنه امتنع عن الطعام حتى الموت فى تلك الجزيرة قبيل عودة يورجيتس إلي الإسكندرية. ومن الغريب أن «بطليموس يورجيتس الثانى» هذا كان يعمل رغم طغيانه ووحشيته على دعم العلوم والفنون والآداب وتنمية مكتبة الإسكندرية بل ويقال أنه وضع بعض المؤلفات من بينها دراسة نقدية مطولة عن ملحمة الأوديسة فى ٢٤ كتاباً، ومن بينها مؤلف مستفيض عن الآثار التاريخية. وفيما يذكر الدكتور كليبل أن أرستارخوس كان وراء التوسيع الكبير والإضافات القيمة التى قام بها «بطليموس يورجيتس الثانى» فى مكتبة الإسكندرية. ومن المعترف به أنه فى عهد هذا «البطليموس السابع» (يورجيتس الثانى فايسكون) استخدمت ثروات مصر فى رشوة حكام روما حتى يخففوا الضغط على مصر وكانت النتيجة أن عانت المكتبة والمتحف معاناة شديدة فتقلص البحث العلمى وقل إنتاج العلماء وبحث كثير منهم عن مكان آخر خارج مصر وتحول المتحف من أكاديمية للبحث العلمى إلى جامعة لتدريس العلوم وتعليمها وعندما دخلت مصر فى حوزة الرومان، انتهى دور البحث العلمى وابتدأ أو استمر دور التدريس والتعليم فقط. وتذكر المصادر أن أرستارخوس كان أهم وأشهر النقاد فى الإسكندرية بل كان أمير النقاد فى كل العصر الكلاسيكى ومازال نقده لأعمال هوميروس يُدرس ويُدَرَّس إلى اليوم. ومع نهاية عمله فى إدارة المكتبة يكون عصر المديرين العمالقة للمكتبة قد انتهى وجاء بعده عصر المديرين المغمورين الذين لا نشك

أنه كان من بينهم بعض الشخصيات التى دفعت المكتبة والمتحف قدما إلى الأمام ولكن تعوزنا معلومات تفصيلية عنهم. إن مصدرنا الأساسى فيما بعد أرستارخوس هى بردية أوكسيرنخوس وهى بردية عثر عليها بين ما عثر عليه الدكتور «بيرنارد جرينفل» والدكتور «آرثرهنت» من برديات قديمة وحديثة بالشعر والنثر فى أطلال مدينة أوكسيرنخوس فى الصحراء الغربية المصرية على بعد ١٣٠ كيلو مترا من القاهرة وكان هذا الكشف سنة ١٩٠٣/ ١٩٠٤م وهذه البردية تدور حول مكتبة الإسكندرية هذه البردية تحمل رقم ١٢٤١ بين برديات هذه المجموعة من أوكسيرنخس وتحمل هذه البردية ستة أعمدة من الكتابة المتصلة كتبت بخط أونسيال وترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى بعد الميلاد فى عصر الأباطرة الرومان الأول. ويتضمن هذا العمل مجموعة من القوائم من بينها:

أ ـ قائمة بالنحاتين والمثالين والرسامين والنحويين المشاهير.

ب ـ أمناء المكتبة فى الإسكندرية.

ج ـ الأشخاص الذين أشعلوا الحروب والذين اخترعوا آلات حربية وقننوا قواعد الصراع.

ونحن لا نعرف من وضع تلك البردية أو أعد تلك القوائم، هل أعدها أحد الباحثين أم أحد طلاب العلم وهل كانت توضع فعلاً موضع الاستخدام الفعلى أم أنها كانت فقط للاستخدام الشخصى؟ إن قائمة أمناء مكتبة الإسكندرية تالفة جزئيا فى نهاية العمود الأول ولكنها فى حالة جيدة فى كل العمود الثانى والقائمة كلها تحتل عشرين سطراً ونصف السطر.

ومهما يكن من أمر فإنها تمدنا بمعلومات إضافية عن مديرين آخرين للمكتبة فى نهاية العصر البطلمى وأوائل العصر الرومانى مثل «أونيساندر» القبرصى و«كايريمون» السكندرى (خيرمون فى قراءات أخرى) و«ديونيسيوس» ابن جلوكوس و«كايوس يوليوس فاسينوس». ويمكن الرجوع إلى النص المنشور للبردية والذى توفر على تحريره ونشره بعناية فائقة الدكتور «آرثرهنت» ومساعده اللامع البروفيسور «ف. فون فيلاموفيتز ـ مولندورف»؛ وحيث لم يدخر العالمان وسعًا فى تحقيق هذه الوثيقة النادرة تحقيقا علميًا متأنيا.

مجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة وفهارسها وتصنيفاتها

ألمحنا فيما سبق إلى أن مكتبة الإسكندرية كانت مكتبة عالمية ومن ثم كان لابد لهذه العالمية من أن تنعكس على تكوين المجموعات وطبيعتها. وكان لثروة وسلطان وقوة البطالمة، كما كان لاسم الإسكندر فعل السحر أمام وكلائهم الذين جابوا الأركان الأربعة للعالم الهللينى والبحر الأبيض المتوسط والمدن الآسيوية بل وحتى المناطق الريفية بحثًا عن الكتب والوثائق من كل نوع وشكل. وكانت الكتب يتم الحصول عليها بأى شكل وبأى طريقة سواء كانت شريفة أو غير شريفة؛ بالشراء أو بالقوة. وعندما عرف أن هناك سوقًا رائجة للكتب فى الإسكندرية أسرع تجار الكتب من كل حدب وصوب إلى ملكة المدن المصرية لبيع أندر الكتب وأثمن الوثائق للبطالمة هناك.

المجموعات:

ولقد جلبت كميات كبيرة من الكتب بصفة خاصة من أثينا ورودس مركزى النشر الكبيرين للكتب اليونانية فى ذلك الوقت. ومن المؤكد أن المدن اليونانية الكبرى فى آسيا الصغرى وفى بلاد الشام كانت هى الأخرى أماكن محتملة لتوريد الكتب إلى الإسكندرية ومن جهة أخرى كانت المكتبات الشخصية مجالاً خصبًا لتغذية مكتبة الإسكندرية بمجموعات كبيرة والمثال هنا يأتى من مكتبة أرسطو ومكتبة ثيوفراستوس، اللتين باعهما نيليوس تلميذ وقريب ووريث ثيوفراستوس بثمن ضخم إلى أبليكون ثم إلى مكتبة الإسكندرية.

ومن طرق الحصول على الكتب تفتيش حمولات السفن التى كانت ترسو فى ميناء الإسكندرية ومصادرة أية كتب توجد على متنها وتستنسخ منها نسخ فقط تعطى لأصحابها ويحتفظ بالأصول فى المكتبة مع أية تعويضات تطلب إذا كانت هناك أية مشاكل فى هذا الإجراء. ومن الطريف أنه فى السنوات الأولى للمكتبة كانت المجموعات المصادرة من السفن تعزل فى مكان خاص ويؤشر عليها بعبارة (كتب السفن) ولا نعرف الدلالة الحقيقية لتلك التأشيرة.

وهناك قصة مشهورة أشار إليها «جالينوس» عن كيفية حصول «بطليموس الثالث» (يورجيتس) على النسخ الأصلية والنسخ التى بخط مؤلفيها من أعمال «أسخيلوس»، «سوفوكليس»، «يوريبيدس» من داخل أثينا حيث ذهب صيادو الكتب ودفعوا رهنًا مقابل الحصول على تلك النسخ الأصلية وذلك لاستنساخها ولكنهم أعادوا النسخ الجديدة واحتفظوا بالأصول وتنازلوا عن الرهن.

ومن خلال هذه الطرق تجمع عدد ضخم من الكتب لابد وأنه شمل كل الإنتاج الفكرى اليونانى المكتوب شعرًا أو نثرًا. وربما نتوقف هنا برهة لنقول بأن المكتبة الرئيسية فى حى البروكيوم ربما تكون قد ضاقت بما تجمع فيها من كتب فاستدعى الأمر إنشاء مكتبة فرعية لها فى معبد سيرابيس أو السيرابيوم فى حى راقودة (راكوديس). ومن هناك دأب الكُتَّاب والمؤرخون على الإشارة إلى المكتبة الرئيسية فى الحى الملكى باسم المكتبة الكبرى أو المكتبة الأم وإلى المكتبة الفرعية فى السيرابيوم على أنها المكتبة الصغرى أو المكتبة الابنة.

والحقيقة أنه ليست لدينا أرقام محددة أو دقيقة عن حجم المجموعات أو عدد الكتب التى كانت موجودة فى المكتبتين؛ ولا ينبغى أن يكون لدينا مثل هذه الأرقام المحددة أو الدقيقة إلا إذا ارتبطت بتاريخ معين. فإذا وضعنا تلك الحقيقة نصب أعيننا فإننا يجب أن نقبل الأرقام التى نجدها على علاتها ونحللها على ضوء مصدرها. لقد أعطى الكُتَّاب الإغريق واللاتين أرقامًا مختلفة عن عدد الكتب (اللفافات) التى كانت مقتناة فى المكتبة؛ ويجب أن نعرف أن اللفافة الواحدة تمثل مجلدًا فى زماننا وأن العمل الواحد قد يقع فى عدة لفافات كما أن اللفافة الواحدة قد تنطوى على عدد من الأعمال سواء كانت أعمالاً شعرية أو أعمالاً نثرية.

لقد بدأ «ديمتريوس الفاليرى» (٣٥٤ ـ ٢٨٣/٢ ق.م) الذى جاء إلى الإسكندرية بعد سنة ٣٠٧ ق.م كما رأينا مهمة جمع الكتب فى ظل «بطليموس الأول» (سوتر). وقد ذكر «جوزيفوس» (يوسف) المؤرخ اليهودى فى القرن الأول الميلادى أن «ديمتريوس الفاليرى» جمع ٢٠٠,٠٠٠ لفافة وكان سند جوزيفوس فى هذا الشأن رسالة أرستياس وربما كان جمع هذا العدد قد تم دون فرز ودون ترتيب وتركت هذه

المهمة لأمناء المكتبة فى عهد «بطليموس فيلادلفوس» ومن بعده. من جهة ثانية أمدتنا حاشية تزيتزيس على أرستوفانيس التى كتبت على هامش مخطوط بلوتوس من القرن الخامس عشر والذى عثر عليه سنة ١٨١٩ فى الكلية الرومانية الباحث أوسان، أمدتنا هذه الحاشية بالأرقام الآتية عن عدد اللفافات فى كل من المكتبتين:

* فى المكتبة الرئيسية بالمتحف فى حى البروكيوم ٤٠٠,٠٠٠ لفافة غير مصنفة
(التى أطلق عليها المكتبة الداخلية) ٩٠,٠٠٠ لفافة مصنفة ومرتبة
* فى المكتبة الخارجية التى فى حى راقودة
المصرى فى معبد السيرابيوم. ٤٢,٨٠٠ لفافة مرتبةومصنفة

وهذه الأرقام تدل على ما كانت عليه المجموعات فى زمن «كاليماخوس» الذى توفى فى سنة ما بين ٢٣٥ و ٢٤٠ ق.م.

وفى القرن الثانى الميلادى كتب «أولوس جيليوس» عن مجموعات المكتبة خلال الكتاب أو العمل الذى كتبه لأطفاله «ليالى أثينا» ـ يقول:

«كمية ضخمة من الكتب تصل إلى حوالى ٧٠٠,٠٠٠ مجلد تم شراؤها أو نسخها فى مصر تحت حكم الملوك المعروفين باسم البطالمة».

كذلك كتب «إميانوس مارسيللينوس» سنة ٣٩٠م عن المجموعات يقول: «لقد كان هنا فى هذا السيرابيوم مكتبات ثمينة وقد وقفت على مصادر قديمة مجهولة المؤلف تقول بأنه تجمع فيها ٧٠٠,٠٠٠ مجلد توفر على جمعها الملوك البطالمة». وقد جاءت هذه المعلومات فى كتابه «التاريخ الرومانى» الذى يعتبر تتمة أو تكملة لتاريخ تاكيتوس.

وفى مطلع القرن الخامس كتب «باولوس أوروسيوس» يقول بأنه كان فى مكتبة السيرابيوم نحو أربعين ألف لفافة. ويؤكد «سينيكا» (٤ ـ ٦٥م) على وجود أيضًا نفس هذا الرقم.

هذه الأرقام المختلفة تشير إلى أن أقصى رقم وصلت إليه المجموعة هو ٧٠٠,٠٠٠ مجلد وذلك حتى القرن الأول قبل الميلاد أى قبل الحريق الجزئى الذى

عساه يكون قد وقع مع ضرب يوليوس قيصر للإسكندرية. ومن أسف أنه ليست لدينا أرقام مؤكدة بعد القرن الأول قبل الميلاد بعد ذلك الحادث وبعد تعويض كليوباترا كما قيل بمكتبة برجاموم بعد سقوطها فى يد أنطونيو سنة ٤١ ق.م والتى قدرت بنحو ٢٠٠,٠٠٠ لفافة من رقوق وبردى تلك المكتبة التى كانت فخراً للملوك الأتاليين. كذلك فإن من الصعب معرفة الاتجاهات الموضوعية لمقتنيات المكتبة حيث لم يصلنا حتى الفهرس الذى وضعه «كاليماخوس» للمجموعات.

يقول «إدوارد ألكسندر بارسونز» أنه من المؤكد بعد الدفعة القوية والبداية العظيمة التى ابتدأها «ديمتريوس الفاليرى» فى جمع الكتب للمكتبة فى فترة قدرت بعشر سنوات، قام المديرون المتعاقبون على المكتبة كل حسب طاقته ومنزلته بجمع المزيد من الكتب بأعداد ونوعيات مختلفة؛ وأن هذا التيار المتدفق من التزويد عبر قرنين ونصف من الزمان انصرمت بين «ديمتريوس الفاليرى» و«كليوباترا» والذى بدأ كما رأينا بمائتى ألف كتاب، وانتهى بمائتى ألف أخرى من مكتبة برجاموم أضيفت إلى المكتبة السكندرية، هذا التيار لابد وأن يكون قد ارتفع بمجموعات مكتبة الإسكندرية إلى نحو مليون لفافة.

إن المرء ليدهش حقيقة من هذا العدد الضخم من الكتب حتى ولو انطوى على نسخ مكررة أو وقع العمل الواحد فى عدة مجلدات. إننا نستطيع أن نركب الموضوعات التى عالجها هذا الإنتاج المتراكم على الأقل بالنسبة للكتب اليونانية على أساس أن جميع الكتب اليونانية فى الحقبة الكلاسيكية قد تم جمعها ابتداءً من «هوميروس» وحتى «ديموسثينز» و«أرسطو» والمؤلفين السكندريين والمؤلفين الأجانب الذى كتبوا باليونانية أو ترجمت أعمالهم إلى اليونانية. كما أننا يجب أن نضيف إلى ذلك الحواشى والتعليقات وكتب الكتب. لقد كان هناك الشعر الذى أبدعه شعراء الحقبة الممتدة وأتباعهم من أمثال «فيليتاس»، «كاليماخوس»، «لايكوفرون»، «أبوللينوس»، «إيفوريان»، «ثيوقريطس»، «بيون»، «موسخوس». وكان هناك النثر الذى أبدعه الكتاب والدارسون من أمثال «ديمتريوس»، «زينودوتس»، «ألكسندر الآيتولى»، «أريستوفانيس البيزنطى»، «أرستارخوس». وكانت هناك الكتابات العلمية

والاختراعات والاكتشافات التى أبدعها العلماء من أمثال «إراتوسثينز»، «إقيلدس»، «أرشميدس»، «كونون»، «هيبرارخوس» النيقى الذى أضاف إلى الفكر اليونانى مالم يضفه أحد طوال الفترة الكلاسيكية. لقد كانت هناك أيضًا الكتابات اللغوية والدراسات الفيلولوجية والنحوية التى أبدعها علماء اللغة والنقد. لقد جاء جانب كبير من الإنتاج من مراكز النشر المختلفة خارج مصر أنتجتها المناسخ فى أثينا، رودس، قوص، أنطاكية، برجاموم، طرطوس، نيقيا، بيزنطة، سراقوسة، كوماى، بيللا وغيرها كثير. ولا ينبغى أن نغفل إلى جانب الكُتَّاب والمؤلفين المحدثين أولئك المؤلفين اليونانيين القدامى.

وإذا كانت مكتبة الإسكندرية القديمة قد حرصت على جمع كل أو جل الإنتاج الفكرى اليونانى قديمه وحديثه فإنها بالضرورة قد تطلعت أيضًا إلى جمع ما يمكن جمعه من كتب الأمم الأخرى بلغاتها أو خطوطها مثل كتب اليهود وكتب المصريين، وكتب البابليين والآشوريين وكتب الفرس، وهذا يتمشى بطبيعة الحال ولا يتنافر أبدًا مع التركيبة السكانية لمدينة الإسكندرية التى جمعت كل الجنسيات وكل اللغات وكل الخطوط البشرية.

لقد ورث الإغريق حضارتين عظيمتين فى الشرق القديم هما الحضارة الآشورية امتداد الحضارة البابلية والتى سبقت الحضارة الفارسية والحضارة المصرية؛ ومن ثم سعى الإغريق إلى محاولة معرفة لغة وتاريخ وثقافة مصر وآشور ويؤكد السير فلندرزبترى ماذهبت إليه سابقًا من أن مكتبة الإسكندرية القديمة اشتملت على ترجمات يونانية لكثير من الكتب باللغات الأخرى كاللغة المصرية القديمة، واللغة العبرية واللغة الفارسية واللغة البونية وغيرها.

ومن الثابت تاريخيًا أنه عاش فى الإسكندرية رهط كبير من اليهود وكان لهم كما أسلفنا حى خاص بهم وكانوا يشعرون بالتميز دون سائر البشر لأنهم شعب الله المختار وكانت لهم شريعتهم ودينهم وكتبهم المقدسة التى وجدت طريقها إلى المكتبة سواء عن طريق الترجمة إلى اليونانية أو عن طريق النص الأصلى.

ولقد ورد خبر تلك الكتب اليهودية فى وثيقة عرفت باسم «رسالة آرستياس» الذى كان موظفًا رسميًا فى بلاط «بطليموس فيلادلفوس» (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م). وتشير هذه الوثيقة إلى خبر ترجمة أسفار اليهود إلى اليونانية حسب طلب «ديمتريوس الفاليرى» أمين المكتبة الملكية وقد عرفت تلك الترجمة بالترجمة السبعينية، والتى اشتهرت فيما بعد بالعهد القديم اليونانى. وسميت بالترجمة السبعينية لاشتراك اثنين وسبعين مترجماً فى عملها. وهذه القصة جاءت على شكل رسالة بعث بها «آرستياس» إلى أخيه «فيلوكراتيس». ويزعم «آرستياس» أنه كان عضواً فى البعثة التى أرسلت من الإسكندرية إلى أورشليم القدس لجلب نسخة من شريعة اليهود (العهد القديم) والاتفاق مع عدد من المترجمين الفلسطينيين.

وعندما كتب «ديمتريوس الفاليرى» إلى بطليموس يخبره بالتقدم العظيم الذى حققه فى جمع الكتب للمكتبة ذكره بأن هناك عددًا كبيرًا من كتب الشريعة اليهودية تستحق أن تجمع وتقتنى فى المكتبة إلا أنها مكتوبة بالخط العبرى غير المقروء بالنسبة لليونان وأن هذه الكتب اليهودية مليئة بالحكمة المخفية وليس عليها أى غبار لأنها شريعة الله ولا يدرى السبب الذى من أجله كما يقول «هيكاتيوس الأباديرى» أغفل الشعراء والمؤرخون ذكرها وذكر أحبار اليهود الذين يحملون هذه الشريعة رغم أنها شريعة مقدسة ولا ينبغى للأفواه الدنسة أن ترددها.

ولطرافة هذه الرسالة فسوف أقتبس منها النص الآتى حسب كلام «آرستياس» نفسه.

[«لقد أخبرت أنا (ديمتريوس) أن لليهود أيضًا شرائع خاصة بهم تستحق النسخ والاقتناء فى المكتبة» فرد الملك «وما الذى يمنع من القيام بذلك إذن؟ إن كل الوسائل الضرورية لذلك موجودة فى خدمتك. ورد «ديمتريوس» بأن الترجمة مطلوبة أيضًا لأنهم فى بلاد اليهود يستخدمون خطًا خاصًا بهم (كما هو الحال بالنسبة للمصريين الذين لهم حروفهم) كما أنهم يتكلمون لغة خاصة. إنه يظن على العموم أنهم يستخدمون اللغة السوريانية ولكن هذا خطأ، إنها لهجة مختلفة». وعندما علم الملك كل الحقائق، أصدر أمره بكتابة خطاب إلى كبير أحبار اليهود حتى ينفذ الاقتراح السابق»].

ويقال أن الملك أمر بتحرير الأسرى والعبيد اليهود فى مصر، كما أمر «ديمتريوس» بأن يكتب تقريراً عن أوضاع المكتبة. وقد وضع «ديمتريوس» التقرير التالى بناء على أوامر الملك:

[« إلى الملك العظيم من ديمتريوس. إطاعة لأوامر جلالتكم أيها الملك بإضافة الكتب المطلوبة إلى مجموعات المكتبة وترميم تلك الكتب التالفة وإصلاحها، لقد بذلت أقصى العناية فى سبيل ذلك وتم المطلوب فعلاً. إننا نحتاج إلى كتب الشريعة اليهودية وقليل غيرها وهى مكتوبة بالحروف العبرية وباللسان العبرى وهى مترجمة ترجمة مهملة إلى حد ما بحيث لا تمثل النص الأصلى وذلك طبقًا للمعلومات التى قدمها لى الخبراء لأن تلك الترجمات لم تتم أبدًا تحت رعاية الملك. ومن المهم أيضًا أن تقتنى تلك الكتب فى حالة جيدة بالمكتبة لأن هذه الشرائع لكونها مقدسة مليئة بالحكمة وخالية من الأخطاء. ولهذا السبب أمسك المؤلفون والشعراء وجموع المؤرخين عن ذكر تلك الكتب والرجال الذين يؤمنون بها لأن الآراء الموجودة فيها لها طهارة وقدسية من نوع خاص فيما يقول هيكاتيوس الأباديرى. فإذا كان ذلك بالأمر الطيب أيها الملك فإن من الممكن كتابة خطاب إلى كبير الأحبار فى أورشليم القدس نسأله فيه أن يرسل ستة أشخاص كبار من كل سبط، رجالاً من أعلى مستوى متفقهين فى شريعة بلدهم ليدلونا على الأجزاء الأكثر أهمية فى تلك الكتب ومن ثم نحصل على ترجمة دقيقة تتخذ مكانها السامى، وبطريقة تنفيذ تتفق مع الإرادة السنية. ولنا النجاح والتوفيق»].

وقد كتب الملك «بطليموس» خطابًا إلى كبير الأحبار «إليعازار» يقول فيه «إننا نريد أن نصنع معروفًا ليس فقط فى اليهود الموجودين فى الجيش والبلاط ولكن أيضًا لكل يهود العالم وللأجيال المقبلة، ولذلك فقد انصرفت إرادتنا إلى ترجمة شريعتكم من اللسان العبرى المستخدم لديكم إلى اللغة اليونانية، وكذلك أن توضع هذه الكتابات فى مكتبتنا مع المجلدات الملكية الأخرى».

وقد رد إليعازار بالإيجاب قائلاً «لقد اخترنا ستة رجال كبار من كل سبط، رجال طيبين وصادقين وقد أرسلنا معهم نسخة من الشريعة».

ونجد فى الرسالة أسماء المترجمين ووصفًا للهدايا الملكية وتقريرًا عن رحلة البعثة اليونانية إلى يهوذا ووصف حى شاهد عيان لمدينة أورشليم ووصف إليعازار المكتوب للشريعة اليهودية، ووصف لاستقبال المترجمين فى مدينة الإسكندرية وإقامتهم والأسئلة التى وجهها الملك إليهم والإجابات التى تلقاها منهم. وبعد ثلاثة أيام اصطحب «ديمتريوس» المترجمين إلى بيت مخصوص أعد لهم فى جزيرة فاروس. وقد انتهت أعمال الترجمة فى اثنين وسبعين يومًا وياله من اتفاق فى عدد المترجمين وعدد الأيام.

إلى جانب ترجمة العهد القديم إلى اليونانية ووضع الترجمة والأصول فى المكتبة، تمت ترجمة العديد من الكتب المصرية القديمة إلى اليونانية ووضعت الترجمات والأصول فى المكتبة وعلى رأسها أعمال «مانيتو» وقبل أعمال «مانيتو» ترجم تقويم سايس إلى اليونانية. كما كتب المؤلفون اليونانيون فى فترات مختلفة عن العجائب المصرية والأسرار الفرعونية ولكن للأسف لم تصلنا تلك الأعمال. لقد عاش «مانيتو» الكاهن المصرى فى زمن كل من «بطليموس الأول» (سوتر) (٣٢٣ ـ ٢٨٣ ق.م) وولده «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق.م). وهذا الكاهن الأعظم كاتب الأسرار المقدسة المصرية ولد فى سيبنتوس واتخذ هيليوبوليس مقرًا له. وكان «مانيتو» فيما يبدو مستشارًا لبطليموس سوتر وله علاقة وطيدة بالمستشار الروحى للملك «تيموثيوس» وكان لهما اليد الطولى فى إرساء عبادة سيرابيس التى اجتمع عليها المصريون واليونانيون معًا.

لقد كان «مانيتو» كاهنًا على درجة عالية من الثقافة والفكر ورجل أدب من الطراز الأول وكتب كثيرًا من الكتب باليونانية حول التاريخ والدين المصرى ومن ثم نقل إلى اليونانيين كثيرًا من المعلومات المقدسة والحوليات التاريخية للقدماء المصريين التى كتبت بالكتابة الهيروغليفية. ولقد كان الرجل مؤهلاً كل التأهيل لينقل العلوم المصرية إلى اللغة اليونانية فقد تعلم فى جامعة هيليوبوليس، العلوم التى كانت ترعاها الإلهة «سيشات» (حتحور) سيدة الفكر وسيدة المكتبات والتى كتبت بخط يدها أعمال وإنجازات حكام مصر. وقام الرجل بنقل ما أمكن نقله من العلوم المكتوبة

بالهيروغليفية إلى اليونانية والتى يعتقد أنها كانت مكتوبة بخط يد «حتحور». ولقد كانت درجة الثقة فيما كتب «مانيتو» أعلى بكثير من درجة الثقة فيما كتبه «هيرودوت». لقد وقعنا على نص مكتوب على ورق الشجر بخط يد «حتحور» و«تحوت» و«آتوم» عن الشجرة المقدسة. وقد توفر «مانيتو» على نقل هذه الشجرة المقدسة إلى اليونانية كأحسن ما يكون النقل، ويعتقد أن تسمية «مانيتو» تعنى «محبوب تحوت» أو «لسان صدق تحوت». ولم يكتف «مانيتو» بنقل كتابات «حتحور» فقط بل نقل أيضًا الكثير من المصادر التى تمكن من الوصول إليها فى مكتبات القصور الفرعونية، مكتبات المعابد كما لكل الكتب المقدسة المصرية، كتاب الموتى، الوصفات الطبية للأحياء، حوليات الملوك المصريين التى دأب الكهنة على الاحتفاظ بها عبر الأجيال كما نقل الوثائق الاقتصادية الخاصة بالمعابد والإقطاعيات، كما نقل قسطًا كبيرًا من القطع الأدبية النثرية والشعرية على السواء. لقد بقى إلى زمن مانيتو الآلاف من البرديات والمسلات والآثار التى تحمل كتابات دينية وتاريخية وأدبية وعلمية خاصة بالآلهة والبشر والأموات والحكام مكتوبة بالكتابات المصرية القديمة (هيروغليفية، هيراطيقية، ديموطيقية) ترجم منها «مانيتو» ما استطاع ترجمته إلى اليونانية، واستقر الباقى بلغته وكتابته المصرية فى مكتبة الإسكندرية. ومن بين ما ترجم نستطيع أن نميز:

١ ـ قائمة أبيدوس الملكية. وتضم معلومات عن ٦٧ ملكًا (وكانت مكتوبة على جدار الممر المعتم فى «معبد سيتى الأول» فى أبيدوس وتبدأ من «مانيس» حتى «سيتى الأول»).

٢ ـ قائمة الكرنك الملكية. وتضم معلومات عن ٦١ ملكًا (من «مانيس» وحتى «تحتمس الثالث»). وهى موجودة الآن فى متحف اللوفر.

٣ ـ قائمة سقارة الملكية. وتضم معلومات عن ٥٨ ملكًا ولكن جزءًا منها كسر ولم يتبق سوى معلومات عن ٤٧ ملكًا (من ميبيس الأسرة الأولى). وهى موجودة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة.

٤ ـ بردية تورينو. وهى مكتوبة بالخط الهيراطيقى على ظهر وثيقة قديمة ترجع

إلى عصر رمسيس الثانى (حوالى ١٢٠٠ ق.م). وبيانات عن الملك الخاصة به على الوجه. أما الوثيقة التى نحن بصددها (الظهر) فإنها تضم أسماء الملوك متتابعين والتى تربو على ثلاثمائة مع ذكر سنوات حكم كل منهم بالسنين والشهور والأيام وللأسف لم تنشر هذه البردية نشراً سليمًا دقيقًا كاملاً حتى الآن. وهذه البردية موجودة الآن فى متحف تورينو.

٥ ـ حجر باليرمو. ويحمل قائمة بالملوك العظام فى المملكة القديمة بدءاً من الأسرة الخامسة.

وإذا كان «مانيتو» قد نقل هذه الأعمال وغيرها من كتابات غيره فإن المصادر قد سجلت أنه كتب باليونانية أعمالاً من تأليفه من بينها:

١ ـ تاريخ مصر.

٢ ـ كتاب سوثيز.

٣ ـ الكتاب المقدس.

٤ ـ ملخص قوانين الطبيعة.

٥ عن الاحتفالات.

٦ ـ عن الشعائر والديانات القديمة.

٧ ـ حول صناعة الكايفى (نوع من البخور).

٨ ـ نقد هيرودوت.

ومن أسف أنه لم يصلنا أى عمل من أعمال «مانيتو» المترجمة أو المؤلفة؛ وكل ما وصلنا مجرد مقتطفات عبر مقتطفات فى أعمال أخرى نقلت من الأصول على نحو ما نجده فى كتابات «جوزيفوس» اليهودى (نحو ٣٧ ـ ١٠٠م) الذى كان يكتب تاريخ اليهود حتى ذلك الوقت. وقد قام أحد المؤلفين بتلخيص ملخصه عن قوانين الطبيعة ولكنه هو الآخر فقد وبقيت منه مقتطفات فى كتب بعض الكتاب المسيحيين. وقد اعتمد «سكتوس جوليانوس أفريكانوس» (الأفريقى) فى كتابة حولياته منذ بدء

الخليقة من سنة ٥٤٩٩ وحتى «إيلاجابالوس» سنة ٢١٧ أو ٢٢١م والتى بلغت خمسة كتب، اعتمد على حوليات مانيتو ولكن حتى حوليات أفزيكانوس نفسها فقدت ولم يصلنا منها سوى مقتطفات فى كتابات بعض الكُتَّاب المتأخرين فى العصرين الهللينى والرومانى وفى القرن الثامن قام جورج الراهب بنقل بعض المقتطفات التى نقلها «سينسيلوس سيدرينوس» من «مانيتو»، وكان عمل جورج الراهب بعنوان تاريخ العالم (منذ آدم حتى الإمبراطور ديوقليتيان). ومن الثابت أيضًا أن من بين من اقتطفوا من مانيتو ولكن على نطاق ضيق كل من: «بلوتارخ»، «ثيوفيلوس»، «آيليان»، «فورفوريوس»، «ديوجينيس لايرتيوس»، «ثيودوريتس»، «لايدوس»، «مالالاس»، «حواش أفلاطون»، وغيرهم؛ ومن الطريف أننا من هذه المقتطفات نستطيع أن نخرج بكتب كاملة من أعمال مانيتو (ومن المعروف أن مانيتو عاش عهد «بطليموس الثانى» (فيلادلفوس) وكان محورًا لبحوث ودراسات العديد من المؤلفين فى عصرنا).

ونريد أن نؤكد للمرة الثانية أن كثيرًا جدًا من الكتب المصرية جمعت من مظانها المختلفة لتستقر كما هى فى مكتبة الإسكندرية القديمة ولعل هذا هو سر عدم عثورنا على مقتنيات المكتبات المصرية القديمة قبل مكتبة الإسكندرية وهى كثيرة جدًا رغم عثورنا على مبانيها بل وبعض فهارسها.

وكما حرصت مكتبة الإسكندرية القديمة على اقتناء الكتب المصرية القديمة سواء فى أصولها أو ترجماتها فقد حرصت أيضًا على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسية. وكما فعل مانيتو قام «ميناندر» الفينيقى بكتابة تاريخ الفينيقيين وقام «بيروسوس» كاهن بعل ـ ماردوك البابلى بكتابة تاريخ بابل. ونحن لا نعرف إلا القليل عن حياة بيروسوس، فقد كان كاهنا بابليًّا من قالديا وكان ذا تعليم راق وعاصر الإسكندر الأكبر وعاش فى عهد «أنطيوخوس الأول» (٢٨٠ ـ ٢٦١ ق.م) وقد أهدى له كتابه عن تاريخ بابل، وكان عالمًا بالفلك ويقال أنه أسس مدرسة للفلك فى قوص ودرَّس فى أثينا، كما يقال أنه صنع له هناك تمثال لسانه من ذهب. وكانت له نظريات جديدة فى البصريات لعكس أشعة الشمس والقمر وقد وصفه البعض بأنه أكثر

المؤرخين فى غربى آسيا علمًا وقد انتشرت أعماله الفكرية فى بلاد اليونان وبلاد الرومان. ويقدر المؤرخون أن بيروسوس عاش ما بين ٣٥٦ و ٢٦١ ق.م.

وإلى جانب تاريخ بابل قام «بيروسوس» بكتابة العديد من الكتب باليونانية من بينها عمل مستفيض عن تاريخ بلاد مابين النهرين فى ثلاثة مجلدات: الأول منذ بدء الخلق حتى الطوفان والثانى من الطوفان حتى نبوخذ نصر والثالث من نبوخذ نصر حتى «الإسكندر الأكبر» و«أنطيوخوس الأول». لقد رسم الرجل فى كتابه صورة للحياة البدائية استقاها من الكتابات التى وجدها على معبد بعل فى بابل جاء فيها دراسة طيبة عن حيوانات ما قبل التاريخ كما درس ألواح الطين وما عليها من كتابات مسمارية حول الملوك الغابرين فى المنطقة. ولكن للأسف الشديد لم يصلنا هذا العمل العظيم وكل ما وصلنا كما هو الحال فى أعمال مانيتو مجرد مقتطفات فى أعمال تلاميذه والكُتّاب الذين تعاقبوا بعده ومن بين من نقلوا عنه تلميذه «أبيدينوس» الذى وضع كتابًا عن تاريخ آشور، وكذلك «أبوللودورس» و«ألكسندر» الملقب بأبى التاريخ (بوليهستور). وبعض مقتطفات من هذه المقتطفات نجدها عند «نيقولاس» الدمشقى صديق هيرود، ونجدها عند «جوزيفوس» المؤرخ اليهودى و«أثينايوس» و«جوليوس أفريكانوس» و«بوسبيوس» و«جورج سينسيلوس».

لقد وجدت الكتب التى كتبت فى قالديا، بابل، ميديا، بلاد الفرس طريقها بالضرورة إلى مكتبة الإسكندرية. يقول إدوارد بارسونز إنه من الصدف العجيبة أن يكتب بيروسوس كاهن بعل - ماردوك تاريخ قالديا فى ثلاثة كتب، ويكتب مانيتو الكاهن المصرى فى الإسكندرية تاريخ مصر فى ثلاثة كتب ويهدى الأول مجلداته إلى أنطيوخوس الأول الحاكم اليونانى فى غربى آسيا، ويهدى الثانى مجلداته إلى بطليموس الثانى الحاكم اليونانى فى مصر.

لقد وُجِد كُتّاب آخرون كثيرون غير يونانيين أقل مرتبة من «مانيتو» المصرى و«بيروسوس» البابلى، استقرت أعمالهم فى مكتبة الإسكندرية وإن لم يصلنا منها شىء سوى مقتطفات ومقتطفات المقتطفات. من بين هؤلاء المؤلفين نذكر:

١ ـ «ميناندر» الصورى، الإفسوسى وربما البرجامى. صاحب كتاب تاريخ صور أو تاريخ فينيقيا أو وقائع اليونانيين والبرابرة فى عهد ملوك صور.

٢ ـ «ديوس». صاحب كتاب تاريخ فينيقيا الذى نقل عنه «جوزيفوس» المؤرخ اليهودى مقتطفات كثيرة وطويلة تتعلق بسليمان وحيرام.

٣ ـ «هيبسكريتس». صاحب كتاب تقرير فينيقيا وقد كتب بالفينيقية وترجمة «أسيتوس» أو «لايتوس».

٤ ـ «ثيودوتوس». صاحب عمل مستفيض عن تاريخ فينيقيا ترجم كذلك إلى اليونانية.

٥ ـ «فيلوستراتوس». كتب عن تاريخ فينيقيا وعن تاريخ الهند كما كتب عن حصار صور.

٦ ـ «هيرونيموس» من كانديا فى عهد «أنتيجونوس» وهو أحد المؤرخين الفينيقيين المعدودين. كتب أيضًا عن تاريخ فينيقيا.

٧ ـ «موخوس». مؤرخ فينيقى ورد ذكره كثيرًا فى كتب أثينايوس، ربما كان من صيدا. يعزو إليه استرابون النظرية الذرية.

٨ ـ «سانخونياثون». مؤلف فينيقى مجهول ربما كان مسئولاً عن الكتب المقدسة الفينيقية. كما سجل الأساطير الفينيقية وكلها ترجمت إلى اليونانية وإن لم يصلنا منها شيء سوى مقتطفات.

٩ ـ فيلو من ببلوس. كتب فى الأساطير والديانات الفينيقية ونقل كثيرًا عن «سانخونياثون». ولم يصلنا من إنتاجه سوى مقتطفات.

ومن الهند أيضًا جاءت كتب وأعمال كثيرة مترجمة وأصلية إلى مكتبة الإسكندرية تلك القارة التى غزاها الإسكندر بعد أن دمر الإمبراطورية الفارسية ووضع حدًا للممالك المتشرذمة هنا وكانت مهيأة للدخول فى الإمبراطورية الجديدة عندما توفى الإسكندر. ولكن قفز إلى الحكم واحد من أبنائها هو «شاندراجوبتا» الذى كان معجباً بالإسكندر وعبده ضمن ما عبد من آلهة هندية، وقد خلف شاندراجوبتا ابنه

«بندوسارا» الذى أنجب الحاكم العظيم (أسوكا) الذى يمثل الجيل الثالث فى تلك الأسرة الحاكمة هناك. هؤلاء الحكام الهنود الثلاثة: شاندراجوبتا ـ بندوسارا ـ أسوكا ـ كانت لهم صلات وثيقة وعلاقات طيبة مع خلفاء الإسكندر المقدونيين، والعالم الهلليني. وقد أرسل «سلوقس» سفيره «ميجاسثينز» إلى بلاط «شاندراجوبتا» فى مهمة أو بعثة محددة هى جمع كل الإنتاج الفكرى الذى أبدعه الهنود القدماء فى جميع فروع المعرفة البشرية. وإلى بلاط «انبدوسارا» أرسل السفير «ديماخوس» من بلاتيا. ولم يتردد البطالمة فى إرسال البعوث هم أيضًا إلى الهند كما فعل السلوقيون فى سوريا فأرسل «بطليموس الثانى» سفيره «ديونيسيوس» إلى البلاد الهندى لجمع الكتب الهندية لمكتبة الإسكندرية.

لقد قام أسوكا بإرسال بعوث هندية كثيرة إلى البلاطات الهللينية ومنها بطبيعة الحال بلاط البطالمة فى مصر حيث شوهدت هذه البعثات فى شوارع الإسكندرية وفى المدن المصرية المختلفة ومن المؤكد أن تلك البعثات قد حملت معها كتبًا هندية كثيرة ولكن للأسف ضاعت كلها مع ضياع سائر مقتنيات المكتبة. لقد ظل تيار العلاقات الثقافية المصرية الهندية متدفقًا يجلب معه بصفة مستمرة الكتب الهندية إلى مكتبة الإسكندرية.

إننى أختتم هذه المعالجة لمجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة بسؤال جسور ليست له إجابة وهو هل تعرف ما كانت عليه مجموعات مكتبة الإسكندرية وماذا كانت الكتب الموجودة بين جنباتها؟ لقد كانت فى ظنى جميع الكتابات التى كتبها اليونانيون منذ هوميروس مرورًا بالحقبة الهللينية والتقويم الوثنى كله وما بعده حتى القرن السابع الميلادى، كما كانت جل الكتابات غير الإغريقية التى تجمعت من مصر وفينيقيا والهند وروما وغربى أوروبا؛ جمعت جميعًا باللغة التى أجادها المقدونيون وأعنى بها لغة القوة.

لم تكن مكتبة الإسكندرية فقط أكبر وأعظم وأهم مجموعة كتب يونانية تجمعت على مدار التاريخ، ولكنها أيضًا فى أزهى عصورها كانت أعظم وأكبر مكتبة عرفها العالم والتاريخ حتى القرن الثامن عشر الميلادى.

وأجد لزامًا عليَّ فى هذه الخاتمة أن أقدم هنا حاشية تزيتزيس على الأقل فى صيغة واحدة من صيغها حيث أنها النص الوحيد الذى نعتمد عليه فى تقدير حجم مجموعات مكتبة الإسكندرية والذى نقل عن نص معاصر للمكتبة لم يصلنا.

لقد اكتشف هذا النص باحث يعرف باسم «ف. أوسان» فى مكتبة الكلية الرومانية القديمة فى كتاب من رق يرجع إلى القرن الخامس عشر من تأليف بلوتوس يتضمن خمس عشرة مسرحية وكان ذلك الكشف فى سنة ١٨١٩م. لقد وجد هذا الباحث حاشية فى ورقة بين مسرحيتين. وقد وقعت هذه الحاشية باسم كايكيوس، وهذه الحاشية تتعلق بمكتبة الإسكندرية. وقد قدم «كايكيوس» هذه الحاشية إلى «ماينكه» الذى قام بنشرها وقد بلغ عدد سطورها فى المخطوط ١٣ سطرًا وفى المطبوع خمسة عشر سطرًا. وكان أول نشر لها سنة ١٨٣٠م وقد قام «و.وندورف» بتحقيق اسم «كايكيوس» وقال بأن اسمه الحقيقى هو «جوهان تزيتزيس» وهو باحث بيزنطى من القرن الثانى عشر. وقام «ف. ريتشل» سنة ١٨٣٨ بنشر النص اللاتينى ثم مرة أخرى مع تعليقات سنة ١٨٦٦م.

ويسير النص مترجمًا إلى العربية على النحو الآتى:

[قام «ألكسندر» من آيتوليا و«لايكوفرون» من كالكيس و«زينودوتس» من أفيسوس بناء على طلب من «الملك بطليموس» المشهور باسم «فيلادلفوس» الذى كان يهتم جدًا بمواهب وشهرة العلماء، بجمع كتب الشعر اليونانية وتنظيمها وترتيبها: ألكسندر قام بجمع وترتيب التراجيديات؛ لايكوفرون قام بجمع وترتيب الكوميديات، زينودوتس قام بجمع وترتيب قصائد هوميروس وغيرها من القصائد الرائعة. ولأن هذا الملك كان على معرفة بالفلاسفة وغيرهم من الكتاب المشهورين فقد طلب الحصول على الكتب من جميع أنحاء العالم بقدر الإمكان على نفقة البلاط الملكى السخى وكلف ديمتريوس الفاليرى (وغيره من المستشارين) بذلك. وقد أعد مكتبتين لذلك إحداهما خارج القصر والثانية داخل القصر. وفى المكتبة الخارجية كان هناك ٤٢,٨٠٠ مجلد وفى مكتبة القصر كان هناك ٤٠٠,٠٠٠ مجلد مركب و٩٠,٠٠٠ مجلد مفرد وملخصات طبقًا لما قال به «كاليماخوس» رجل البلاط وأمين المكتبة الملكى والذى

سجل بيانات تلك المجلدات الكثيرة. وكان هناك شخص آخر قدم نفس هذه المعلومات هو «إراتوسثينز» الذى كان رئيسًا لنفس المكتبة ليس بمتأخر كثيراً عن كاليماخوس. هذه المجلدات العلمية التى استطاع الحصول عليها جاءت من كل الشعوب وبكل اللغات وقد أمر الملك بترجمتها إلى لغته بأقصى درجة من العناية على يد أمهر المترجمين. والآن تم جمع كل الأشعار على يد «بيزستراتوس» الذى عاش قبل بطليموس فيلادلفوس بمائتى عام، بأقصى درجة من العناية. والآن جمع شعر هوميروس الذى كان مشتتًا من قبل، وقد قام بتلك المهمة المقدسة أربعة من العلماء المشهورين وهم بالاسم: «كونيلوس»؛ «أونوماكريتوس» الأثينى؛ «زوبيروس» من هرقلية؛ «أورفيوس» من كروتون. وقبل ذلك الوقت كانت أشعار «هوميروس» مشتتة قطعًا قطعًا وتقرأ بصعوبة. وبعد عناية بيزستراتوس بأشعار «هوميروس» للمرة الأولى، وتحت رعاية «بطليموس» يقوم «أرستارخوس» بكل الدقة باستكمال مجموعة هوميروس. يقول «هيليودوروس» أشياء كثيرة مناقضة لذلك بشكل مضحك قام تزيتزيس بدحضها على نحو مطول؛ لأنه (هليودوروس) يقول بأنه تم جمع أعمال هوميروس بواسطة ٧٢ عالمًا عينهم بيزاستراتوس لهذا الغرض لأن هؤلاء (أى الاثنين وسبعين عالمًا) قاموا فى حقيقة الأمر بأعمال كلفوا بها من قبل زينودوتس وأرستارخوس وقد فضلوا عمن سواهم، والزيف واضح هنا حيث أنه كانت هناك ٢٠٠ سنة بين بيزستراتوس وزينودوتس وكان أرستارخوس أصغر بنحو أربع (و ■) سنوات من كل من زينودوتس وبطليموس.

وإلى هنا تنتهى حاشية تزيتزيس وليس هنا مجال التعليق عليها سطراً بسطر لأنها كانت فى حقيقة الأمر مثار تعليقات كثيرة باعتبارها أقرب مصدر إلى مكتبة الإسكندرية.

فهرسة وتصنيف مجموعات مكتبة الإسكندرية

لكى نكشف عن المجهود الخرافى الذى بذل فى فهرسة وتصنيف مقتنيات مكتبة الإسكندرية على يد كاليماخوس ومعاونيه لابد أن نستدعى أرقام تلك المقتنيات

وطبيعتها حيث قلنا أنه كانت هناك على وقت كاليماخوس ٤٠٠ ألف لفافة مركبة و١٣٢ ألف لفافة مفردة، ومعنى اللفافة المركبة أنها تشتمل على عدد من المؤلفات القصيرة داخل اللفافة الواحدة سواء كانت تلك المؤلفات لمؤلف واحد أو لعدد من المؤلفين، وسواء كانت كلها فى مجال واحد أو فى عدد من الموضوعات. ويقصد باللفافة المفردة أنها تضم عملاً واحداً لمؤلف واحد ومن ثم فى موضوع واحد. ومن جهة ثانية فإن العمل الواحد يمكن أن يقع فى عدة مجلدات أى لفافات، خذ على سبيل المثال عملاً مثل الإلياذة أو الأوديسة التى قام «زينودوتس» الذى أشرت إليه سابقًا بتقسيمها إلى ٢٤ كتابا ليس فقط كى تتساوى مع حروف الأبجدية الإغريقية ولكن أيضًا كى يضم كل كتاب ألف بيت من الشعر ومن ثم يمكن تسجيل كل كتاب فى لفافة من الحجم المعقول. ومن الطبيعى أن يكون هناك من الأعمال فى اللفافات المركبة بقدر ما تشتمل كل لفافة من عدد هذه الأعمال ويكون العدد النهائى للأعمال المجموعة ضخمًا للغاية وعلى سبيل التقدير والتقريب لو اشتملت كل لفافة مركبة فى المتوسط على خمسة أعمال قصيرة لكان مجموع الأعمال نحو مليونى عمل فى المجموعة المركبة فى المكتبة الأم يضاف إليها ١٣٣ ألف عمل مفرد ليصل عدد الأعمال إلى نحو مليونين ومائة وخمسين ألف عمل. وحتى لو كانت هناك نسخ مكررة من العمل الواحد أو من اللفافة المركبة فإنها لابد وأن تخضع جميعًا للفهرسة والتصنيف لأننا فى حالة المخطوطات نفهرس كل نسخة على حدة لأن الملامح المادية التى توصف تتفاوت حتمًا من نسخة إلى نسخة وليس هناك أية فرصة للتطابق كما هو الحال فى المطبوعات. وإذا أضفنا إلى ذلك أن كل لفافة كانت تحتاج إلى فردها لاستقاء البيانات منها وحيث لا توجد لا صفحة عنوان ولا عناوين جارية ولا بيانات معزولة فى مكان خاص عن المؤلف والعنوان والناسخ ومكان النسخ وتاريخ النسخ، ويجب أن نضيف إلى ذلك أيضًا عوامل تلف بعض اللفافات وعدم وضوح الخط فى بعضها وانطماس البيانات فى البعض الآخر وعدم التنميط فى إخراج اللفافات؛ إذا وضعنا ذلك كله فى الحسبان وأضفنا إليه العصر الذى أعد فيه فهرس مكتبة الإسكندرية أدركنا مدى الجهد الضخم والوقت والمال الذى بذل فى إعداد هذا الفهرس

ولقتلنا الحزن والأسف والغم على المصير الذى لقيه هذا الفهرس مع مقتنيات تلك المكتبة.

لقد احتاج الأمر للتعامل مع هذا الكم الهائل من اللفافات إلى فرز مبدئى لها لترميم ما يحتاج أو يمكن ترميمه ثم توزيع مبدئى على أساس المؤلفين أو الموضوعات أو ربما الخطوط وربما أيضًا مصدر الحصول عليها كما ألمحنا من قبل «كتب السفن»، بل يذهب البعض إلى أن الفرز المبدئى ربما يكون على أساس الشعر والنثر وقد يكون الأمر قد انصرف إلى عزل الأعمال الدرامية عن الأعمال غير الدرامية ومهما يكن من أمر الفرز المبدئى فإن الفهرسة النهائية والتصنيف قام بهما كاليماخوس ورفاقه فى فهرس عرفه العرب باسم فينكس تحريفًا عن الاسم اليونانى بيناكيس أى القوائم.

فهارس كاليماخوس

من الثابت تاريخياً أن قدماء المصريين ومن بعدهم الآشوريون ثم «كاليماخوس» كانوا رواداً فى علم المكتبات وإعداد الفهارس والببليوجرافيات. وإن كان «كاليماخوس» يوصف بأنه أبو الببليوجرافيا، وذلك لعدم حصولنا على أسماء المصريين أو الآشوريين الذين سبقوه فى هذا المضمار وإن كانت أعمالهم قد وصلتنا. ومن المؤكد أن ما قام به «كاليماخوس» هو أكبر وأضخم عمل ببليوجرافى ليس فقط فى وقته ولكن حتى القرن التاسع عشر الميلادى، وما قام به «جزنر» فى القرن السادس عشر وخلفاؤه فى السابع عشر والمحاولات التى جرت فى الثامن عشر، وما حاوله كل من «بول أوتليت» و«هنرى لافونتين» فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين؛ كل ذلك ليس سوى كسرة محدودة للغاية مما نفذه فعلاً وقام به «كاليماخوس» ورفاقه فى القرن الثالث قبل الميلاد. وعندما ندرك أن ثلاثة فقط هم الذين قاموا بهذا العمل المستفيض أدركنا مدى الجهد الذى قام به كل منهم والزمن الذى استغرقه كل منهم من عمره فى هذا العمل حتى لقد قيل بأن كاليماخوس قد ودع الشعر وطلقه وتزوج العمل الببليوجرافى وتفرغ له. ولعل أحسن من أرخ لكاليماخوس وفهارسه وجهوده الببليوجرافية هو «رودلف بلوم» فى كتابه

«كاليماخوس: مكتبة الإسكندرية وأصول الببليوجرافيا». وقد كتب بالألمانية وترجمه إلى الإنجليزية هانز ويليش ونشرته جامعة ويسكونسن سنة ١٩٩١.

والكتابات عمومًا حول كاليماخوس وحياته وأعماله محدودة بل ومليئة بالتناقضات. وقد تواتر فى المصادر القليلة أنه «كاليماخوس» أبوه «باتوس» وأمه «ميزاتما» [أوميجاتيما] من كيرين اشتغل بالنحو وهو تلميذ النحوى «هيرموكراتيس» من إياسوس وقد تزوج ابنة «يوفراتيس» من سيراكيوز وابن أخته يدعى أيضًا كاليماخوس (الأصغر) كتب ابن أخته شعرًا كثيرًا عن الجزر ويحدث اللبس بينهما من هذا المنطلق. ولقد عاش كاليماخوس القرن الثالث قبل الميلاد. ويقال أنه كتب أكثر من ثمانمائة كتاب وربما كانت عبارة عن رسائل صغيرة. وقد عاش فى عصر «بطليموس فيلادلفوس». وقبل أن ينخرط فى بلاط الملك كان يعمل مدرسًا فى المدرسة الابتدائية فى إيلوسيس وكانت ضاحية من ضواحى الإسكندرية ويقال أنه عاش حتى وقت بطليموس الثالث يوجريتيس.

ومن خلال إنتاجه الفكرى والكتابات القليلة التى كتبت عنه يمكننا القول أنه كان نحوياً أى مشتغلاً بعلم اللغة، كما كان شاعرًا وكما أسلفنا كان ببلوجرافياً. وكما يظهر من قائمة مديرى مكتبة الإسكندرية فى الفصل السابق عمل الرجل فى المكتبة من ٢٦٠ ـ ٢٤٠ ق.م.

وكببليوجرافى فقد أعد «كاليماخوس» عددًا من الببليوجرافيات والفهارس من بينها قائمة بأعمال كُتَّاب المسرحيات الأثينيين وقائمة بكتابات ديموقريطس. وأهم أعماله الببليوجرافية على الإطلاق هو فهرس مكتبة الإسكندرية ولابد من التنبيه بداية إلى حقيقة هامة وهى أن جميع أعماله الببليوجرافية وفهارسه يشار إليها باسم: بيناكيس على سبيل الاختصار.

والعنوان الكامل لقائمة أعمال كُتَّاب المسرحيات الأثينيين هو «قائمة وسجل كُتَّاب المسرحيات مرتبة زمنيًا منذ البداية». أما قائمة أعمال ديموقريطس فعنوانها «قائمة حواشى وكتابات ديموقريطس».

والعمل الببليوجرافى الذى يتصل بمكتبة الإسكندرية هو قوائم المؤلفين الإغريق وأعمالهم. وهذا العمل هو أعظم عمل أنجزه كاليماخوس ويفوق جميع أعماله الأخرى كلها شعرية أو نثرية بمراحل، ليس فقط بسبب استفاضته (١٢٠ كتاباً أو مجلداً) ولكن أيضاً فى أهمية هذا العمل وخطورته. وهذا العمل العلمى هو قمة أعمال كاليماخوس العلمية والذى تردد ذكره كثيراً عند المؤلفين القدامى جميعهم. والعنوان الكامل لهذا العمل كما وضعه كاليماخوس نفسه هو: «قائمة بهؤلاء الذين تميزوا فى كل فروع المعرفة وكتاباتهم».

وينظر إلى هذه القوائم على أنها: **فهرس مشروح** لمكتبة الإسكندرية كما ينظر إلى كاليماخوس على أنه الراعى المقدس للمفهرسين. وينظر بعض الباحثين إلى هذه القوائم ليس فقط على أنها فهرس ولكن أيضا على أنها ببليوجرافية عالمية مستفيضة للعصور القديمة؛ ذلك أنها تتضمن معلومات أكثر بكثير مما يتضمنه فهرس أى مكتبة؛ فهى تقدم عن كل مؤلف نبذة مختصرة عن حياته وسيرته وقائمة بأعماله الفكرية حتى تلك الأعمال المفقودة التى لم تصل إلى المكتبة ومعلومات عن أى شك يتطرق إلى نسبة العمل إلى المؤلف. وكما سنرى فيما بعد رتب المؤلفون تبعاً لفئات واسعة. لقد جاءت هذه القوائم سجلاً تحليلياً وافياً بالإنتاج الفكرى فى العالم القديم؛ وربما كانت أول تأريخ للفكر يحاول مسحًا كاملاً للكتب الإغريقية حيثما وأنىّ وجد.

ورغم أنه كان فى مصر فهارس وفى العراق القديم فهارس وربما فى مناطق أخرى من الشرق القديم فإن كاليماخوس لم يكن أمامه نموذج يحتذيه فى عمله المستفيض لأن أهدافه الببليوجرافية كانت غربية تمامًا. لقد قصد الرجل إلى جعل المعلومات والأفكار المخبأة فى الإنتاج الفكرى الإغريقى متاحة للباحثين فى كل مكان وفى كل زمان كما أمل. ومن جهة ثانية نجد أن الشرق نظر إلى الكتب كأشياء ثمينة ولم يشأ إتاحتها إلا على نطاق ضيق ومن ثم اخترع نظاما معقداً لحفظها.

وللأسف الشديد لم يصلنا من هذا الفهرس إلا مقتطفات من مقتطفاته التى تسربت إلى أعمال مؤلفين آخرين وقام مؤلفون سواهم باقتباس بعضها ومن هنا فإن

معلوماتنا عن هذا الفهرس وعن طريقة تنظيمه وعن طريقة تنظيم اللفافات وترتيبها داخل المكتبة هى مجرد تخمينات غير يقينية جاءت من خلال إعادة تكوين المتقطفات المحدودة التى وصلتنا.

لقد قَسَّم كاليماخوس فهرسه إلى أقسام رئيسية وكل قسم قسَّمه إلى شُعَب وربما قُسِّمت كل شُعْبَة إلى فروع. ولكن كم كان عدد الأقسام الرئيسية، هذا أمر لم نعرفه تحديدًا وإن كان قد وصلتنا سياسته فى تقسيم الموضوعات عن طريق الاقتباسات التى نجدها فى المصادر. ولسوء الحظ لم يصلنا سوى ثلاث فقط من الأقسام الرئيسية هى:

١ ـ الخطابة.

٢ ـ القوانين.

٣ ـ متفرقات.

وهذه الأقسام الثلاثة جاءتنا عن طريق مقتطفات أثينايوس من هذا الفهرس، وقد أمدنا عرضًا بمعلومات عن قسمين آخرين هما التاريخ والفلسفة وقد أكد على قسم الفلسفة كاتب مقتبس آخر هو ديوجينس لايرتيوس.

لقد كانت هناك بدون شك قوائم أخرى أعدت بعد عهد كاليماخوس اعتمدت على الخطوط العريضة لتلك القوائم التى أعدها كاليماخوس ويقال إن من بينها قوائم أعدها هيرميبوس من سميرنا وهو من أتباع كاليماخوس وربما أحد معاونيه فى إعداد فهرسه، كما يقال أن أرستوفانيس البيزنطى الذى كان واحدًا من مديرى المكتبة بعد كاليماخوس قد أعد نسخة منقحة من ذلك الفهرس وربما أعد فهرسًا جديدًا مبنيًا على عمل كاليماخوس. ومن المحتمل أن يكون هناك من الباحثين فى سنوات مختلفة بعد هذا الفهرس قد قاموا باستخراج بعض الفصلات منه كما أنه من المحتمل أن تكون مكتبات أخرى قد نقلت عن هذا الفهرس نموذجًا لها والأمثلة على هذا الاتجاه كثيرة.

ويعتقد رودلف بلوم أن فهارس كاليماخوس قد أعدت منها نسخ مختلفة وكانت تستخدم استخدامًا مكثفًا داخل وخارج المكتبة طالما كانت المكتبة فى أوج ازدهارها. ومن الثابت أن الباحثين فى القرون الأولى الميلادية كانت لديهم نسخ من تلك الفهارس ولما كانت رغبة الباحثين فى الكتب الكلاسيكية ماتزال متأججة فى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد فقد تم نقل هذه الفهارس من اللفافة إلى الكراس، ولكن بعد القرن الرابع الميلادى وخفوت الرغبة فى الكتب الكلاسيكية وبعد إهمال مكتبة الإسكندرية، أهمل الفهرس نفسه ولم يعد يستنسخ وإذا نسخ فقد كان ذلك بعدد ضئيل من النسخ اختفت مع اضمحلال الثقافة والفكر الكلاسيكى ودخول العالم إلى منعطف آخر.

ومن خلال المقتطفات التى وصلتنا وإعادة تركيب المعلومات يمكننا تتبع تصنيف هذه الفهارس والأسلوب الببليوجرافى بها على الوجه الآتى:

١ ـ تم تقسيم المؤلفين إلى فئات وداخل كل فئة يتم تقسيمهم إلى فئات فرعية إذا استدعى الأمر ذلك (حوالى ١٢٠ فرعاً). وكان كل قسم أو فرع فى لفافة أو مجلد واحد.

٢ ـ تم ترتيب المؤلفين داخل القسم الواحد أو الفرع الواحد فى ترتيب هجائى.

٣ ـ تمت إضافة معلومات بيوجرافية عن حياة كل مؤلف كلما أمكن ذلك.

٤ ـ تحت اسم كل مؤلف تم إدراج عناوين كتبه مع تجميع مفردات النوع الواحد منها معًا.

٥ ـ تحت كل كتاب تقدم الكلمات الأولى فى النص وعدد السطور التى يقع فيها العمل

أما عن الأقسام الرئيسية فقد وصلنا عدد من التصورات لها نأتى على بعضها. لقد قدم لنا بارسونز تصوره للأقسام الرئيسية على أنها عشرة أقسام تسير على النحو الآتى:

١ ـ الشعر الملحمى وغيره من الأشعار غير الدرامية.

٢ ـ الدراما.

٣ ـ القوانين.

٤ ـ الفلسفة.

٥ ـ التاريخ.

٦ ـ الخطابة والبلاغة.

٧ ـ الطب.

٨ ـ العلوم الرياضية.

٩ ـ العلوم الطبيعية.

١٠ ـ متفرقات.

وهناك من بين هذه الأقسام العشرة ثلاثة (القانون، الخطابة، المتفرقات) وصلتنا عبر مقتطفات مباشرة من فهرس كاليماخوس، وخمسة (القانون، الفلسفة، التاريخ، الخطابة، المتفرقات) وصلتنا عبر إشارات وصفية إلى الفهرس مما يؤكد على الثلاثة المباشرة. أما الثلاثة الباقية فهى مجرد استنتاجات تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ وفى انتظار ما يؤكدها، أو ينفيها. وكما قلنا قُسِّم كل قسم منها إلى شُعَب وكل شُعْبَة إذا احتاج الأمر إلى فروع وعلى سبيل المثال قُسِّمت الدراما إلى: تراجيديا وكوميديا.

المهم أنه تحت كل قسم رئيسى أو فرعى قدم الفهرس اسم المؤلف ومكان الميلاد (النسبة)، اسم والده، أسماء أساتذته وتعليمه، اسم الدلع إن وجد، الاسم المستعار إن وجد، سيرته مختصرة كلما أمكن. بعد هذه البيانات البيوجرافية، تدرج أسماء أى عناوين المؤلفات (وإن لم يكن لأيها عنوان قام المفهرس باختيار عنوان مناسب) ويصحب كل عنوان تعليق على صحته وصحة نسبته إلى المؤلف وأخيراً ترد تبصرة بالكلمات الأولى من النص، ثم عدد السطور التى يقع فيها النص بالضبط لكل عمل على حدة ولمجموع أعمال المؤلف الواحد. وعدد السطور فى كل عمل كان مسألة هامة لضبط حجم النص وتحديد مكافأة الناسخ وأيضًا كمرجع عام.

وكما أشرت من قبل رتب المؤلفون داخل القسم أو الفرع فى ترتيب هجائى ولكن مع بعض الاستثناءات. وهذا النظام فى الوصف اقتبسه الرومان من الإسكندرية فى

قائمة المسرحيات الواحدة والعشرين الخاصة بالكاتب «بلوتوس»، ونجده أيضًا فى «سويداس»، «ديوجينس» وغيرهم. وسوف نستعرض هنا بعض النماذج من داخل كل قسم ونرى كيف كان القسم.

١ ـ الشعر الملحمى وغيره من الأشعار غير الدرامية

ـ تحت «هوميروس» الذى له أكثر من ألف لفافة فى المكتبة قسمت اللفافات إلى

أ ـ الأعمال الأصلية لهوميروس.

ب ـ الأعمال المنتحلة له والقصائد المشكوك فى نسبتها مع تعليقات حول صحتها.

ـ تحت «هيسويد». استخدمت نفس الطريقة.

ـ تحت «بندار». نجد تقسيمات فرعية بالأماكن.

ـ تحت «سيمونيدس». جرى التقسيم على حسب نوع القصائد. ويعتقد أن كاليماخوس صنف كل قصيدة على حدة وفهرسها أيضًا.

٢ ـ الدراما

نجد تحت كل مؤلف نفس البيانات البيو ـ ببليوجرافية مع بعض المعلومات النقدية. ويعتقد بعض الببليوجرافيين أنه جرى ترتيب المؤلفين هنا زمنيًا وليس هجائيًا وداخل كل مؤلف على حسب تاريخ تأليف المسرحية لأن تواريخ المسرحيات أعطيت هنا. ومن الطريف أن السياق الزمنى هنا كان ينبذ أحيانًا ويتبع الترتيب الهجائى.

٣ ـ القوانين

أورد كاليماخوس فى فهرسه المجلد الثالث وصفًا لقواعد القانون مثال ذلك: «القاعدة العامة هى أن الكل متساوون أمام القانون والعدل يطبق على الجميع». وهذه القاعدة القانونية تقع فى ثلاثمائة وثلاثة وعشرين سطراً.

٤ ـ الفلسفة

لم تصلنا أية قطع عن موضوع الفلسفة فى فهرس كاليماخوس ولكن وصلتنا

بعض قوائم مفصلة نقلها «هيرميبوس» من سميرنا الذى يعتقد أنه كان تلميذ كاليماخوس ومساعده فى المكتبة وقد عمل معه فى إعداد الفهارس، وعندما توجد قوائم ترجع إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد فإنها ولابد وأن تكون قد استقيت من فهارس كاليماخوس. ولقد كان هيرميبوس باحثاً فى المتحف وأصبح كاتباً متميزاً وله كتاب مرموق فى التراجم هو «سير الفلاسفة والمؤرخين والشعراء» يعتقد البعض أنه أسس بلاشك على البيانات البيوجرافية التى جاءت فى فهارس كاليماخوس، وجاء فيه بسير كاملة لهم ومن ثم عمل كتاباً عظيماً مفصلاً ظل يرجع إليه حتى وقت الأباطرة الرومان. ويرى بعض الثقاة أن القائمة الهجائية «لكتابات ثيوفراستوس» والتى تضمنها عمل «ديوجينس لايريتوس» إنما ترجع إلى فهارس كاليماخوس عبر هيرميبيس.

٥ ـ التاريخ

ليست لدينا معلومات كثيرة عن قسم المؤرخين فى فهارس كاليماخوس ولم تصلنا أى قطع مباشرة من هذا الفهرس ولا قوائم مطولة غير مباشرة عن هذا القسم، وربما كان ذلك بسبب أن المؤرخين القدامى لم يكتبوا كتباً كثيرة مقارنة بكُتَّاب الشعر والخطباء؛ والنماذج القليلة التى وصلتنا مرتبة هجائياً. ومن المدهش أن نشير إلى أن عناوين كتب المؤرخين القدماء لم تكن ثابتة وكانت تلك الكتب تُعرف بمؤلفها أكثر مما تعرف بعناوين محددة لها كما حدث فى حالة هيرودوت وثيوكيديدس وغيرهما.

٦ ـ الخطابة

فى هذا القسم رتب الخطباء هجائياً بأسمائهم وتحت كل خطيب أدرجت الخطبة بعنوانها وإن لم يكن لها عنوان رسمى أعطى لها عنوان من قبل المفهرس. ويبدو أن الخطب تحت كل خطيب قُسِّمت على حسب الأغراض مثل: خطب رسمية، سياسية، الحكم، قانونية، مهنية، مدنية أو على حسب المناسبات. ويعزى إلى كاليماخوس نفسه أنه هو الذى رتب خطب ديموثينس وقد وصلنا الترتيب الأصلى لها فى فهارس كاليماخوس عبر مصادر أخرى.

٧- الطب

لم تصلنا هنا أيضاً قوائم مطولة أو قطع مباشرة؛ ولكن قام هيسكيوس بإعداد قائمة بيليوجرافية استندت فى تصنيفها على فهارس كاليماخوس وجاء الطب فى تلك القائمة رقم ٧. وهذه القائمة كانت مصدراً لكثير من القوائم التى تلتها لعدة قرون، ربما حتى القرن العاشر الميلادى إذ يذكر الثقاة أن سويداس ربما يكون قد اعتمد عليها فى جانب من معجمه الذى أعده فى ذلك القرن.

٨ ـ العلوم الرياضية

لم تصلنا أية معلومات محددة عن قسم العلوم الرياضية فى فهارس كاليماخوس ولكن يعتقد أنه قد خصص لها قسم رئيسى نظراً للاهتمام الكبير بها فى الفكر اليونانى والهللينى. ونفس الشىء حدث فى فهارس أريستوفانيس البيزنطى.

٩ ـ العلوم الطبيعية

لم تصلنا كذلك معلومات مؤكدة عن العلوم الطبيعية أى العلوم البحتة، ولكن نظراً لوجود إنتاج فكرى غزير فى هذه المجالات فإن من الطبيعى أن نعتقد بوجود قسم رئيسى فى تصنيف كاليماخوس يتعلق بهذه العلوم؛ خاصة وأن أكاديمية الإسكندرية (المتحف) لم تكن تحفل كثيراً بالفلسفة وإنما انصب اهتمامها الرئيسى حول دراسات العلوم الطبيعية والطب وعلم اللغة والشعر.

١٠ ـ المتفرقات

ذكرت من قبل أن المتفرقات كانت من الأقسام الرئيسية التى وصلتنا منها قطع مباشرة من فهارس كاليماخوس. وقد رتب المؤلفون فى هذا القسم ترتيبًا هجائيًا. أما المختلط منها فقد قسم إلى مجالات موضوعية وداخل كل مجال رتبت الأعمال هجائيًا. وقد نقل أثينايوس نماذج طيبة من هذا القسم. ونقتطع منها المثال الآتى:

[هناك كتاب كتبه كايريفون سجله كاليماخوس فى قائمة المتفرقات وكتب عنه ما يلى؛ المؤلفون عن الولائم: كايريفون. أهدى إلى بود ثم يرفق بعد ذلك مباشرة بداية النص «طالما أنك قد دعوتنى» ثم يضيف الحجم «فى ثلاثمائة وخمسة وسبعين سطراً».

وليست ببعيد عن شعبة الولائم والمآدب فى قسم المتفرقات نصادف شعبة عن كتب الطهى، وحيث أدرج قائمة هجائية بأسماء مؤلفى كتب الحلويات.

يقول إدوارد «ألكسندر بارسونز» أن فهارس كاليماخوس كانت أعظم فهارس مكتبية أنجزتها الحضارة الغربية. ولقد تضمنت فى نسختها الأصلية أساسيات الفهرسة الحديثة واستحق صاحبها كاليماخوس أن يلقب بأبى الببليوجرافيا. وككل الجهود الفكرية العظيمة التى جادت عندهم أرسى الإغريق قواعد الفهرسة وأسس التصنيف التى أثرت بطريقة أو بأخرى فى قواعد الفهرسة ونظم التصنيف الحالية. ولابد وأن نقر بأن قوائم كاليماخوس لم تكن مجرد فهارس، لقد كانت كما أشرت من قبل ببليوجرافية عالمية أعدها أكبر ببلوجرافى فى عصره. إن التصدى لتسجيل الإنتاج الفكرى المكتوب باليونانية وإعطاء نبذات بيوجرافية عن المؤلفين وبيانات ببليوجرافية عن أعمالهم منذ هوميروس حتى كاليماخوس وتقديم نبذات تحليلية ونقدية عن تلك الأعمال، إنما يستند فى حقيقة الأمر على رصيد ثرى وعميق من الفكر والعلم لدى كاليماخوس، جعله يستحق إلى جانب لقب أبى الببليوجرافيا لقب أبى التاريخ الفكرى.

وقد يقال بأن كاليماخوس قد مسح الإنتاج الفكرى اليونانى كما وجده أو كما تجمع واقتُنىَ فى مكتبة الإسكندرية مما فرض عليه قيوداً محددة، ولكننا نعلم أنه فى حصره لإنتاج المؤلف الواحد لم يكن يتقيد فقط بما هو متاح للمؤلف فى المكتبة بل تجاوز ذلك إلى مجموع إنتاج المؤلف على حسب علم كاليماخوس ورفاقه. ومن هنا فإن قوائم كاليماخوس تقف فى منطقة ما بين الفهرس والببليوجرافية والتاريخ الفكرى وإن كانت إلى الفهرس أقرب بطبيعة الحال. لقد انطوى الفهرس على معالجة علمية لكل مؤلف وأعماله قدر الإمكان وهى وإن لم تكن معالجة مطولة فى كل الأحوال إلا أنها كانت كافية ومشبعة وفتحت الباب واسعًا أمام من يريد التوغل فى العلم وحيث أن نصف العلم تنظيمه وبالتالى يكون كاليماخوس قد قام وحده بنصف العلم لجيله والأجيال التى تلت لعدة قرون. وتنبع أهمية هذا الفهرس أيضاً فى أنه يسير مع التعليمات التى أرساها أرسطو بين تلاميذه حيث قال لهم إنه قبل البدء فى أى بحث

علمى لابد من جمع مصادره وتحليلها ونقدها قبل استقاء أى مادة علمية منها. ولقد خرج من بطن فهارس كاليماخوس أجيال من كُتَّاب التراجم، وأجيال من الببليوجرافيين وأجيال من مؤرخى الفكر، كما وجد فيه المؤرخون والحوليون معيناً لا ينضب من المعلومات الجاهزة المفيدة لهم. ونقف هنا على عينة فقط من المدارس التى خرجت من عباءة هذا العمل. فهناك مدرسة «هيرميبوس»، وهناك مدرسة «سوتيون»، وهناك مدرسة «إراتوسثينز»، وهناك «ليسانديوس» من كيرين، وهناك «يوفوريون»، وهناك «أستروس» من كيرين.

لقد شعر «أريستوفانيس» البيزنطى مدير المكتبة وأحد عمالقة المتحف كما رأينا بضرورة إعداد إصدارة منقحة من فهارس كاليماخوس. ورغم أن الإصدارة الجديدة كانت عملاً أصلياً قام به شخص جديد له وزنه وثقله إلا أنه اعتمد على الأسس الأولى التى وضعها كاليماخوس. لقد ضاعت فهارس أريستوفانيس هى الأخرى.

إن خسارة البشرية فى فقد فهارس كاليماخوس هى خسارة فادحة بلاشك تسببت فى طمس معالم علوم العصور القديمة كلها ودفعت بالبشرية إلى ظلام العصور الوسطى ضمن عوامل أخرى كثيرة.

مصير مكتبة الإسكندرية القديمة

كما كانت مكتبة الإسكندرية لغزًا فى قيامها كانت أيضاً لغزًا أكبر فى مصيرها ونهايتها. واختفاء مكتبة الإسكندرية إما أنه كان نتيجة تدمير عفوى أو متعمد، أو أنه كان نتيجة التبدد والشيخوخة التى تصيب المؤسسات كما تصيب البشر وخاصة بسبب التحولات التى تطرأ على الحياة. وهناك شبه إجماع على أن التحلل والتبدد والشيخوخة لم تتسبب فى اختفاء المكتبة. وإنما كانت نهايتها نهاية مفجعة ليس عن طريق السلب أو النهب أو الغرق أو المصادرة بل كانت تلك النهاية عن طريق الحريق، سواء كان ذلك الحرق عمدًا (الحرق) أو غير عمدى (الاحتراق). ومن العرض المستفيض فى الفصول السابقة جميعاً للظروف التى نشأت فيها المكتبة وشقت طريقها فيها يمكننا القول أنها ظلت مزدهرة على الأقل طيلة قرنين ونصف من الزمان

تنمو وتكبر عقدًا بعد عقد وجيلاً بعد جيل. ولكن اعتبارًا من النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد يبدأ الحديث عن حرق المكتبة ومن خلال المصادر الكثيرة التى قرأناها وهى مصادر عربية مؤلفة وعربية مترجمة وعربية مكتوبة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومصادر أجنبية باليونانية أو الإنجليزية والفرنسية والألمانية، من هذه المصادر جميعاً نستخلص أن المكتبة احترقت على يد كل من أو على يد واحد من:

١ ـ يوليوس قيصر ٤٧ ق.م

٢ ـ أورليان ٢٧٣م

٣ ـ ثيودوسيوس وثيوفيلوس ٣٩١م

٤ ـ عمرو بن العاص ٦٤٢م

وبالتالى تكون المكتبة إما عمرت قرنين ونصف أو سبعة قرون أو عشرة قرون كلياً أو جزئيًا. وسوف نستعرض هنا كل حالة ما لها وما عليها.

يوليوس قيصر فى مصر

أسلفنا فى فصل سابق أن «يوليوس قيصر» جاء إلى مصر وقضى نحو تسعة أشهر بين ٤٨ ـ ٤٧ ق.م. وكانت هناك حرب أهلية بين الرومان، وجاء قيصر إلى مصر لتعقب «بومبيوس» مناوئه الذى كان قد فر إلى مصر ولكنه كان قد لقى مصرعه قبيل وصول قيصر إليها. وعندما دخل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية كان هناك صراع دموى بين «كليوباترا» وشقيقها «بطليموس الثالث عشر» على السلطة واتخذ يوليوس قيصر جانب كليوباترا التى حملت منه فى ذلك الوقت، وثار المصريون ثورة عامة ضد قيصر الذى دخل فى حرب مع بطليموس الثالث عشر لصالح كليوباترا، ولكن قيصر وجد نفسه محاصرًا فى البر والبحر حيث تفوق عليه عدوه فى عدد السفن، وفى البر قطعت إمدادات المياه عن قواته وكادت تهلك عطشًا ولكى يخرج من هذا المأزق العسكرى عمد إلى إحراق كل السفن فى الميناء بما فى ذلك السفن المدنية التى كانت فى الترسانة البحرية التى أشرنا إليها فى فصل سابق وبعد ذلك أنزل قواته

المحدودة إلى جزيرة فاروس للتحكم فى الموقف. ومن الجدير بالذكر أن قيصر آنذاك كان فى الثالثة والخمسين من عمره.

وتذكر المصادر بعد ذلك أن حريق السفن فى الميناء كان هائلاً وقد امتدت ألسنة اللهب من الميناء إلى ما حول الميناء من مبانٍ فى حى البروكيوم الذى كان يتحلق الميناء وأتت عليها بما فى ذلك المكتبة والمتحف بطبيعة الحال ومعنى الامتداد هنا أن النار شبت فى المبانى، وربما تكون المكتبة أقرب للميناء من المتحف نفسه وربما العكس فلا نعرف على وجه اليقين أيهما كان أقرب للميناء من الثانى.

وقد كتب قيصر نفسه عن تلك الموقعة ولكنه لم يذكر شيئًا عن مدى الحريق وآثاره ولم يصلنا ما كتبه المؤرخ «ليفيوس» عن حرب الإسكندرية وزيارة قيصر، وأول كتابة مفصلة عن حقيقة ما حدث جاءت بعد أكثر من قرن (حوالى ١١٠ سنة) من وقوع الحريق فى ملحمة لوكانوس عن الحرب الأهلية الرومانية وهو الذى اتهمه نيرون بالخيانة والتآمر ضده وأعدمه سنة ٦٥م، كما أعدم الفيلسوف العظيم فى نفس السنة. وما قاله «لوكانوس» فى هذا الصدد يسير بالنص على النحو الآتى:

«انتشر الحريق وراء السفن إلى أجزاء أخرى من المدينة فاشتعلت المبانى المجاورة للبحر واندفعت ألسنة اللهب فوق أسطح المبانى فى سرعة الشهب» ولكن الرجل لم يشر إلى احتراق المكتبة أو المتحف حيث جاءت عبارته عامة.

وإذا كان أول نص عن الحريق قد جاء بعد مائة وعشرة أعوام من الموقعة فإن سائر النصوص التى وصفت الحريق وآثاره ترد بعد هذا النص الذى جاء به لوكانوس. ومن بين الآراء التى قيلت فى هذا الصدد:

١ ـ كتب «سينيكا» (٢ ق.م ـ ٦٥م) في منتصف القرن الأول الميلادى أن النار التى أضرمها قيصر فى الميناء أتت على أربعين ألف لفافة ويضيف الدكتور «مصطفى العبادى» من عنده (والراجح الآن أربعمائة ألف) وهو مالم يقل به سينيكا.

٢ ـ كتب «بلوتارخ» (٥٠ ـ ١٢٥م) المؤرخ اليونانى الذي عاش فى روما يقول على وجه التحديد أنه لما أوشك أسطول قيصر أن يقع فى أيدى أعدائه المصريين الذين

حاصروه اضطر إلى درء الخطر بإشعال الحريق وانتشر الحريق من الترسانة البحرية ودمر المكتبة الكبرى. ويجب أن ندرك أن بلوتارخ كتب ذلك فى نهاية القرن الأول أو مطلع القرن الثانى الميلادى أى بعد مرور قرن ونصف تقريباً على الموقعة نفسها.

٣ ـ كتب «أولوس جيليوس» (١٢٣ ـ ١٦٩م) العالم اللغوى والناقد اللاتينى تحديداً يقول عن المكتبة: أنه فى زمن سابق جمعت أو نسخت كميات هائلة من الكتب على يد الملوك البطالمة وصلت إلى ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد. ولكن هذه الكتب جميعاً احترقت فى حرب الإسكندرية الأولى ولم يكن ذلك عن قصد أو عمد.

٤ ـ ويشير المؤرخ «كاسيوس» الذى عاش نهاية القرن الثانى الميلادى وأوائل القرن الثالث الميلادى إلى حريق المكتبة فيؤكد أن النار شبت فى أماكن كثيرة كما أحرقت مخازن الغلال والكتب التى كانت قريبة من المرفأ. ويقال أن هذه الكتب كانت كثيرة العدد عظيمة ويشير بعض الباحثين إلى أن كاسيوس قصد بذلك المكتبة الكبرى وهو مالم يقله الرجل تصريحًا أو تلميحًا.

٥ ـ ذكر المؤرخ «إميانوس فيلنيوس» الذى عاش القرن الرابع الميلادى بأنه كانت هناك فى الإسكندرية مكتبة ثمينة لا تقدر بثمن أجمع الكُتَّاب على أنها كانت تقتنى مالا يقل عن سبعمائة ألف كتاب، احترقت فى حرب الإسكندرية عندما دمرت المدينة زمن يوليوس قيصر.

هذه الروايات جميعاً تشير إلى احتراق مجموعات من الكتب خلال موقعة الإسكندرية وحرق السفن التى كانت موجودة فى الميناء والترسانة البحرية، وذلك على يد «يوليوس قيصر» سنة ٤٧ ق.م. ولما غضبت كليوباترا من ذلك أراد «مارك أنطونيو» أن يعوضها عن احتراق تلك المجموعات فحمل إليها مجموعات مكتبة برجاموم وكانت تقدر بمائتى ألف مجلدِ من بردى ورقوق على النحو الذى أشرت إليه سابقاً.

وعلى الجانب الآخر من الصورة يرى البعض أن الحريق لم يمتد ليشمل المكتبة

الكبرى، وإن كانت هناك كتب احترقت فربما كان ذلك فى مخازن بالميناء حسب تعبير «كاسيوس» (مخازن الغلال والكتب). أى أن الربط بين الغلال والكتب يؤكد على أنها ليست المكتبة الكبرى بأى حال من الأحوال وربما تكون لفافات بردى معدة للتصدير إلى روما وتوهم البعض أنها كتب. ويرى هؤلاء الكُتَّاب أن الروايات السابقة يمكن تفنيدها على النحو الآتى:

أ ـ أن أقرب الروايات إلى زمن الموقعة والحريق يبعد عنه بأكثر من قرن كما رأينا وهى رواية سينيكا الذى حدد عدد اللفافات التى احترقت بأربعين ألفًا ومن ثم تكون فعلاً هى تلك الموجودة بالمخازن فى الميناء لأن النار لو امتدت إلى المكتبة الأم لالتهمت كل مقتنياتها. ومن جهة ثانية ربما تكون سائر الروايات التالية له قد أخذت عنه دون تمحيص أو تحليل أو روية.

ب ـ أنه مهما اشتعلت النار فى الأسطول ومهما امتد اللهب إلى الشاطىء فقد كانت المكتبة والمتحف بمنأى عن ألسنة النار لأن المبانى كانت بالضرورة بعيدة عن الميناء وإن أتت النار على المبانى فلتكن مبانى الميناء نفسه ومخازنه وإن كان فيها كتب فليست بحال كتب المكتبة الكبرى أو غيرها إلا أن تكون كتباً معدة للتصدير أو واردة فى انتظار الفسح ولو كانت على ذمة المكتبة. ومهما كان عددها فلن يصل إلى سبعمائة ألف أو أربعمائة ألف حسبما ذكر وربما يكون رقم سينيكا أقرب إلى الصحة.

ومن جهة ثانية فإن مبانى الإسكندرية القديمة لم تكن لتحترق بسهولة على نحو ما قدمناه عن كيفية بناء المبانى بالحجر وخاصة تغطية الأسطح بالحجر ومن المؤكد أن مبنى المكتبة كان من الحجر الخالص الذى لا يمكن أن تخترقه ألسنة النيران القادمة من البحر بسهولة وبساطة.

ج ـ أن الروايات جميعاً أكدت على أن حريق المكتبة لم يكن عمدًا، ونشير هنا أن قيصر لم يقصد غزو الإسكندرية وكانت زيارته للإسكندرية مجرد زيارة ودية وبالتالى فإن نية التخريب لم تكن واردة ولم يكن من أخلاق الرومان أو من

سلوكيات قيصر أن يدمروا الكتب فهم الشعب الذى حافظ على كتب اليونان والثقافة اليونانية واستوعبها وبنى عليها حتى لقد قيل بأن اليونان المقهورة غزت فاتحها البربرى بعلمها وثقافتها.

د ـ لم تصلنا وثيقة واحدة تشير إلى أن مارك أنطونيو عندما حمل مكتبة برجاموم إلى كليوباترا هدية لها، أن ذلك كان بقصد التعويض عن مجموعات احترقت، ولماذا لا يكون الأمر توددًا لها وعربون محبة وصداقة.

ومن هنا فإن نسبة فرضية حرق المكتبة على زمن يوليوس قيصر لاتزيد على ١٠٪، وإن صحت رواية برجاموم فإنها ستكون إضافة إلى مجموعات المكتبة أو تكون قد استخدمت فى إنشاء مكتبة جديدة فى معبد قيصرون الذى أخذت «كليوباترا» فى إنشائه تكريماً «لمارك أنطونيو» وتخليداً لها والذى أكمله الإمبراطور «أوغسطوس». وقد ذكر «فيلون» (٢٠ ق.م ـ ٥٤م) الفيلسوف اليهودى الذى ولد وعاش فى الإسكندرية أن من بين ما اشتمل عليه هذا المعبد الجديد مكتبة عظيمة الشأن ومن المرجح أن تكون نواتها هذه المجموعة.

أورليان

الحريق الثانى للإسكندرية وقع فى الحقبة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى. تقول المصادر بأن المكتبة ومدينة الإسكندرية بكل مؤسساتها على وجه العموم استمرت بعد حرب الإسكندرية الأولى تؤدى دورها ونشاطها العلمى والفكرى وإن لم يكن بنفس القدر من الإزدهار فى القرون الثلاثة السابقة على الميلاد. بيد أن القرن الثالث الميلادى قد حمل للإسكندرية ويلات وأهوالاً وفتنًا ومحنًا واضطرابات ففى عام ٢١٦م قام «الإمبراطور كاراكاللا» (حكم بين ٢١١ ـ ٢١٧م) بإراقة الدماء وإغلاق المحال العامة وأغلق المكتبة والمتحف وأوقف رواتب العاملين بهما وطرد العلماء والدارسين الأجانب من الإسكندرية وألغى جميع الامتيازات الممنوحة للجميع. وكانت تلك أول ضربة حقيقية توجه لهذا الصرح العلمى وإن لم يذكر عن الإمبراطور أنه قد مس مجموعات المكتبة أو المتحف بسوء.

أما فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى فإننا يجب أن نتوقف أمام المد المسيحى فى مصر ونظرته إلى مكتبة الإسكندرية على أنها معقل للفكر الوثنى دون تمييز بين ماهو دينى وماهو علمانى من الكتب وكان الصراع بين المسيحيين وغيرهم ينعكس أثره بالضرورة أول ما ينعكس على الكتب والمكتبات ثم على سائر مؤسسات المدينة عموماً. وفى سنة ٢٦٥م تعرضت مدينة الإسكندرية لفتنة طائفية كبرى واضطرابات شديدة وخاصة فى حى البروكيوم الذى توجد فيه المكتبة الكبرى. وفى سنة ٢٧٣م قام «الإمبراطور أورليان» (أورليانوس) بغزو الإسكندرية وأحدث بها دماراً شديداً فى نفس الحى الملكى مما أدى إلى فرار موظفى المكتبة والعلماء والباحثين إلى خارج المدينة ولجوء بعضهم إلى معبد السيرابيوم للاحتماء به. وفى سنة ٢٩٦م قام «الإمبراطور دقلديانوس» بأكبر عملية اضطهاد للمسيحيين حيث كان يقتلهم ويعذبهم ويمثل بهم ودمر بسبب ذلك جانباً كبيراً من المدينة وكان يأمر بإحراق الكتب دون تمييز وأعمل فيها النار دون شفقة. وربما يكون «الإمبراطور دقلديانوس» قد عَمَدَ إلى حرق الكتب المسيحية ولكنه من الممكن أن يكون قد أتى على جانب من الكتب الأخرى فى المكتبة الأم. ولم يثبت لنا أنه حرق المكتبة نفسها أو المتحف فهما من تراث الوثنية وليس المسيحية.

المهم أنه لم يأت القرن الرابع الميلادى إلا وكانت الأضواء قد خفتت من حول المتحف والمكتبة وإن لم ينته دورهما تمامًا ويذكر البعض أن الموسيون قد تحول إلى مؤسسة تعليمية وليست بحثية وبالتالى ضعف دور المكتبة وانتقل النشاط الأكبر للبحث العلمى والقراءة إلى معبد السيرابيوم.

ثيودوسيوس وثيوفيلوس

فى القرن الرابع الميلادى اشتدت الحركة المسيحية واعتنقتها الدولة ديناً رسمياً لها على النحو الذى كشفنا عنه فى فصل سابق، وبدأ الصراع يحتدم وكان لابد للمسيحيين من أن ينتقموا ممن اضطهدوهم قبلاً ومحاربة الوثنية بل بلغوا من التعصب حد الانقسام فيما بينهم إزاء المسيحيين الذين رضوا بالاضطهاد واستسلموا له هل

ترفضهم الكنيسة أو تقبل توبتهم وعودتهم إليها؟ وفى سنة ٣٦٦م كان التعصب المسيحى على أشده ويقال أنهم فى تلك السنة هجموا على معبد القيصرون وهدموه ودمروا مكتبته التى كانت كليوباترا قد أنشأتها من المجموعات التى يقال بأن مارك انطونيو قدمها له من مكتبة برجاموم.

ومع انتشار المسيحية وتوسعها وزيادة الداخلين إليها يوماً بعد يوم توسعت حربها ضد الخصوم الوثنيين والفكر الوثنى ومصادره. وبعد إعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة أخذت المعابد الوثنية وكل ماهو وثنى معرض الآن للاضطهاد من جانب المسيحيين. وبقدر ما كان من قسوة واضطهاد للمسيحيين على يد «دقلديانوس» كان اضطهاد الوثنية والوثنيين ومعابدهم على يد «الإمبراطور ثيودوسيوس» (٣٧٩ ـ ٣٩٥) فى جميع أنحاء الإمبراطورية. ويقال أن هذا الامبراطور قد أصدر قرارًا فى سنة ٣٩١م بتدمير جميع المعابد الوثنية فى مدينة الإسكندرية. وكان فى الإسكندرية آنذاك الأسقف شديد التعصب «ثيوفيلوس» والذى يقال عنه أنه نجح فى الحصول على موافقة الإمبراطور على تحويل ديونيسيوس إلى كنيسة ومارس كثيرًا من أعمال العنف والتطرف ضد الوثنيين وأدوات الوثنية فى الإسكندرية، ولذلك هرع كثير من الناس الذين كانوا مايزالون على وثنيتهم إلى معبد السيبرابيوم الذى كان كما قلت من قبل فوق تلٍ عالٍ وكان مبناه فى غاية الضخامة والفخامة والمتعة أشبه ما يكون بالقلعة المنيعة، وحاول هؤلاء القوم الاحتماء به أو الدفاع عنه ضد هجمات «ثيوفيلوس» وأتباعه.

ويقال أن ثيوفيلوس حتى يهجم على المعبد ويحطمه طلب مساعدة والى الإسكندرية وقائد الحامية الرومانية، ولكن المصادر تؤكد على أنهما رفضا أية مساعدة عسكرية فى هذا الشأن دون موافقة مباشرة من الإمبراطور الرومانى وهو ما حدث حيث أصدر «الإمبراطور ثيودوسيوس» قراره بتدمير معابد الإسكندرية على النحو السابق. ويقال أن ثيوفيلوس ذهب إلى المعبد فى حشد من أنصاره وقرأ القرار على الملأ ثم أخذ معوله وسدد الضربة الأولى لتمثال سيرابيس ثم اندفع وراءه حشد

الأنصار وعاثوا فى المعبد فساداً وتدميراً ثم قرر ثيوفيلوس بعد أن تم تدمير المعبد إقامة كنيسة أو تحويل المبنى إلى كنيسة.

وقد رأت بعض المصادر أن عملية التدمير لم تصب سوى تمثال سيرابيس وبعض مظاهر الوثنية الواضحة فى أرجاء المعبد وربما بعض الكتابات الدينية الوثنية فى المكتبة وأن المبنى نفسه لم يدمر عن آخره وإلا فكيف يحول إلى كنيسة بين يوم وليلة، لأنه إذا كان قد هدم من أساسه فإن الأمر يتطلب وقتاً طويلاً فى ظل الحجارة الثقيلة والكتل الصخرية التى بنى منها المعبد. ومن هذا المنطلق ترى تلك المصادر أن مكتبة المعبد ربما تكون قد استمرت فى ظل الشكل الكنسى الجديد له ودخلت ولو بخسائر محدودة إلى القرن الخامس الميلادى وربما تكون فقط قد أغلقت فى وجه المستفيدين وطواها النسيان أو ربما تكون قد نقلت إلى مقبرة داخل الشكل الجديد للمعبد، وهذا القبو تحت الأرض كان مسألة مألوفة فى المعابد والكنائس القديمة؛ على النحو الذى قال به «إميانوس مارسيللينوس» الذى زار الإسكندرية فى مطلع القرن الخامس وتحدث عن أوضاع المكتبات فى عموم الإمبراطورية وما أصابها على يد المسيحيين وذكر من بينها «مكتبات أغلقت إلى الأبد كالقبور».

ورغم الصورة الظاهرة بأن المكتبة الأم (الكبرى) قد دمرت وخرجت من الوجود إما مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، أو مع نهاية القرن الثالث الميلادى وبأن مكتبة القيصرون التى حلت محل المكتبة الكبرى قد خرجت من الوجود فى منتصف القرن الرابع الميلادى؛ وبأن المكتبة الصغرى (الابنة) انتهت هى الأخرى وخرجت من الوجود فى نهاية القرن الرابع الميلادى أيضاً وبالتالى يكون الستار قد أسدل على مكتبة الإسكندرية القديمة درة مكتبات العالم القديم وتبدأ سحب العصور الوسطى المظلمة تطل على العالم كله؛ رغم هذه الصورة الظاهرة ورغم كل الحديث عن الحرائق وعمليات التخريب والتدمير يرى بعض الباحثين أن المكتبة الأم قد استمرت بطريقة أو بأخرى بعد القرن الرابع الميلادى ولم تغلق أبوابها كلية ولم تفن عن آخرها؛ وربما تكون قد خبت جذوتها وخفتت شعلتها ولكن بقى فيها بالضرورة شىء ينتفع به، كما يؤكدون على أن المكتبتين الآخريين فى القيصرون والسيرابيوم استمرا

كذلك ولكن على نحو آخر. ويؤكد هؤلاء الباحثون على الحقائق الآتية:

١ ـ أن مجموعات كبيرة من الكتب البردية قد نجت من كل هذه الأهوال لأن الأباطرة الرومان كانوا شديدى الحرص على العلم ومصادره ولم يعمدوا أبدًا إلى حريق أو تخريب مقصود للمكتبات، بل أفادوا منها فوائد عظيمة ولو باستغلال الأسرى والعبيد اليونانيين المثقفين على النحو الذى صادفناه من قبل، وهى سمات رومانية اعترف بها جل المؤرخين، وإن لم يهتم الأباطرة الرومان بالإسكندرية نفسها كمركز لفكر العالم، وحاولوا جهدهم نقل هذا المركز إلى روما عندما أصبحوا فى وضع يسمح لهم بذلك.

٢ ـ أن مجموعات مكتبة برجاموم التى نقلت إلى الإسكندرية، سواء استقرت فى المكتبة الكبرى أو مكتبة معبد القيصرون كانت تتألف أساسًا من رقوق لأننا نعلم أن برجاموم قد طورت صناعة الرقوق بعد توقف تصدير ورق البردى إليها زمن الآتاليين. والرقوق تستعصى على الحريق العادى ولا تحترق إلا بعد سكب زيوت معينة عليها. ومن هنا فسواء كانت هذه المجموعات بالمكتبة الأم أو بمكتبة القيصرون فإنها لابد وقد استمرت بعد القرن الرابع الميلادى؛ والقول بحريقها فيه تجاوز.

٣ ـ أن رواية استصدار المسيحيين لأمر من الإمبراطور بهدم معبد السيرابيوم وحرقه وتخريبه، قول فيه تجاوز شديد أيضاً وتضارب فكيف يتحول المعبد الوثنى بعد تخريبه إلى كنيسة. إن التحويل يتم على مبنى قائم على نحو ما حدث فى كنيسة أياصوفيا عندما حولت إلى مسجد. ثم كيف يتم حمل الكتب الموجودة فى مكتبة المعبد إلى روما والقسطنطينية بعد أن تكون قد احترقت وخربت. أغلب ظنى أنه كى يستقيم الأمر، أن قرار الامبراطور كان بتحويل المعبد إلى كنيسة دون هدم أو تخريب أو تدمير وأقصى ما هناك هو إتلاف الأصنام التى كانت قائمة فيه أى تماثيل آلهة الوثنية المصرية واليونانية على السواء. وربما كان القرار أيضاً باستبعاد الكتب الدينية الوثنية وأن تحمل منه بعض الكتب إلى روما والقسطنطينية وليس كل الكتب. ويكون معنى هذا أن مكتبة معبد السيرابيوم ربما تكون قد نقحت ونقيت واستبعد منها ما استبعد ونقل منها ما نقل ولكن مع ذلك بقى فيها شىء يوائم الشكل الجديد لدار

العبادة أى الكنيسة وبالتالى تكون المكتبة أو هذا الشطر من مكتبة الإسكندرية قد عاش هو الآخر بطريقة أو بأخرى بعد القرن الرابع الميلادى. ويكون المسلمون عندما دخلوا الإسكندرية فى منتصف القرن السابع الميلادى قد وجدوا فيها مكتبات أو بقايا من مكتبة الإسكندرية القديمة.

عمرو بن العاص

ثمة رواية أخرى تنسب إلى العرب المسلمين حرق مكتبة الإسكندرية عندما دخلوها بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م فاتحًا لمصر. وقد قال بهذه الرواية عرب مسلمون قدامى كما قال بها عرب مسلمون وعرب مسيحيون حاليون؛ وقال بها أجانب مستشرقون وغير مستشرقين. كذلك فقد نفاها وفندها عرب وأجانب حاليون. وفى كلتا الحالتين ليس لدينا أدلة نقلية مادية وكل ما لدينا أدلة عقلية استنباطية. وقد تناقلت المصادر العربية بالذات الرواية مصدرًا عن مصدر ولم يحاول أيها التوقف والتحليل.

ولسوف نحاول هنا الوقوف طويلاً أمام هذه الرواية لأنها تمس العرب والمسلمين مسًا مباشرًا. تقول هذه الرواية بأن عمرو بن العاص عندما دخل الإسكندرية قابله عالم سكندرى يسمى يحيى النحوى (الغراماطيقى أو الجراماتيكى) وكان أسقفًا فى كنيسة الإسكندرية ناقمًا على مذهب التثليث الذى أفسد العقيدة المسيحية على النحو الذى أشرت إليه فى فصل سابق ورفض رفضاً قاطعًا أن يكون الله الواحد الأحد ثلاثة ولهذا طرده المسيحيون من الكنيسة وأسقطوه من المنزلة الدينية التى كان فيها. وربما لهذا السبب أعجب به عمرو بن العاص وأكرمه وأحله منزلة طيبة، وكان عمرو بن العاص يحسن الاستماع ويعرف أقدار الرجال فقربه منه ولازمه يحيى النحوى. وبعد أن أتم عمرو فتح المدينة والسيطرة على مرافقها قال له يحيى فى يوم من الأيام ما نصه:

[إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به، فأمر بالإفراج

عنه. فسأله عمرو وما الذى تحتاج إليه؟ فقال كتب الحكمة التى فى الخزائن الملكية وقد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها. فقال له عمرو: ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟ فقال له يحيى: إن بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية، لما ملك حبب إليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها أو فرد لها خزائن فجمعت وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة (ديمتريوس) وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغه فى أثمانها وترغيب تجارها فى نقلها ففعل ذلك فاجتمع من ذلك عدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابًا. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة أترى بقى فى الأرض من كتب العلوم مالم يكن عندنا؟ فقال له زميرة قد بقى فى الدنيا شىء كثير من السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وباب والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له دم على التحصيل فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محفوظة محروسة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا.

[فاستكثر عمرو ما ذكر يحيى وعجب منه وقال لا يمكننى أن آمر فيها بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى الذى ذكرناه واستأذنه ما الذى يصنع فيها فورد عليه كتاب عمر الذى يقول فيه: وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها.

[فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وانصبتها فذكروا أنها استنفدت فى ستة أشهر فاسمع واعجب].

وأول حلقة فى هذه الرواية وصلتنا من عبد اللطيف البغدادى (وهو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على الشافعى) المولود سنة ٥٥٧هـ والمتوفى سنة ٦٢٢هـ. وكان هو ووالده من أعوان صلاح الدين الأيوبى.

تلك الرواية بنفس النص تواترت فى مصادر مختلفة بعد البغدادى فقد عاصره

وردد نفس القصة القفطى (وهو جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم القفطى) المولود فى قفط بصعيد مصر سنة ٥٦٥هـ وتولى منصب القضاء فى حلب وعرف هناك بالقاضى الأكرم وقد توفى فى حلب ٦٤٦هـ.

وربما يكون الحلقة الثالثة فى هذه الرواية هو أبو الفرج المالطى (أبو الفرج ابن هارون المالطى الشهير بابن العبرى) المولود سنة وفاة البغدادى ٦٢٢هـ والمتوفى سنة ٦٨٤هـ. ثم نقلت هذه الرواية بشحمها ولحمها بعد هؤلاء عن طريق مؤلفين تالين لهم من أمثال المقريزى وحاجى خليفة من القدماء وجورجى زيدان من المحدثين.

وقد تكون هناك مصادر أكبر من البغدادى والقفطى وابن العبرى حيث أن ما وصلنا من مصادر ترجع إلى القرن السادس والسابع وبينهما وبداية القرن الأول الهجرى ما بين خمسمائة وستمائة سنة ولابد من أن تكون هناك سلسلة من المصادر السابقة عليهما تصلهما بالقرن الأول أو الثانى الهجرى القريبين من الحدث. فالعقل يرفض تمامًا أن تكون هذه الرواية مختلفة كلية أو أن تكون نبتت من فراغ تماماً اعتباراً من القرن السادس خاصة إقحام اسم يحيى النحوى فيها. ومن المحتمل أن تكون المصادر السابقة عليهما قد احترقت فيما احترق من مصادر المكتبات العربية المختلفة. وعبد اللطيف البغدادى طاف بمصر وكتب عن آثارها وخططها وذكر حرق العرب لمكتبة الإسكندرية وكانت زيارته لها فى نهاية القرن السادس الهجرى. وهو يقول حول هذا الموضوع فى كتابه عن تلك الزيارة كتاب: **الإفادة والاعتبار والأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر** «ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها، وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطو طاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضى الله عنه».

وعندما يذكر رحالة مثل البغدادى تلك العبارة المختصرة عن مكتبة الإسكندرية وقد جاءت عرضاً فلابد أن القصة كانت معروفة قبله ولذلك أثبتها على أساس الاستطراد

وأن الشيء بالشيء يذكر فقط. وهذا يؤكد ما سبق أن أكدت عليه وهو وجود مصادر سابقة على البغدادى فى سلسلة متلاحقة.

والقفطى الذى عاصر البغدادى ولا نقول أخذ منه ردد نفس الرواية بتفصيل كاف يحتمل بالضرورة أنه نقله من مصدر سابق عليهما معًا. وقد جاءت هذه الرواية عند القفطى فى معجم تراجم الفلاسفة الذى وضعه بعنوان «تاريخ الحكماء» منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية حديثة النسخ نسبيًا (١١٩٧هـ أى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى). وقد سجل تفاصيل القصة عند ترجمته ليحيى النحوى. ومن الواضح فى كلام القفطى والحوار الذى دار أنه ينطوى على بذرة الحقيقة الكامنة وراء كل أسطورة وأنه لم يخترع هذه القصة من فراغ وإنما نقله عن مصدر سابق عليه مما يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل ولكن المشكلة الأساسية هنا هى أن نص القفطى المفصل هذا ـ وقد يكون مختصراً أو ملخصاً للنصوص السابقة عليه ـ أصبح الأساس لكل من أتى بعده فى هذه الجزئية. وعلى سبيل المثال فإن أبا الفرج ابن هارون الملطى الشهير بابن العبرى مؤلف كتاب «تاريخ مختصر الدول» نقل عن القفطى نقلاً حرفياً ولكنه لخص نصه قليلاً. ومما يذكر فى هذا الصدد أن ابن العبرى كما يبدو من اسم الشهر قد تحدر من أصل يهودى ولكن أباه تنصر وشب هو على النصرانية وارتقى فى رتب الإكليروس إلى الأسقفية ثم ألف تاريخًا فى السريانية استخرجه من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا الكتاب المؤلف بالسريانية كتاباً كتبه بالعربية سماه (مختصر الدول) كما سبقت الإشارة وهو الكتاب الذى وصلنا وفيه تلك الرواية. ومن المؤسف أن يعتبر بعض الكُتَّاب أن ابن العبرى هو أول من قال بهذه الرواية ويبنون دفوعهم على هذا الأساس.

المقريزى فى خططه نقل هذه الرواية حرفياً وبنفس الإسهاب. وحاجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، أشار إلى الرواية على وجه الإجمال فليس فى كتابه مجال للإسهاب وهو لم يذكر مدينة الإسكندرية على وجه التحديد إنما أشار إلى أن «العرب فى صدر الإسلام لم يقنعوا بشيء من العلوم إلا بلغتهم وشريعتهم. . . ويروى أنهم أحرقوا ما وجدوه من الكتب فى فتوحات البلدان».

وفى هذه العبارة تلخيص للموقف كله وتلميح إلى أمر عمر بن الخطاب بحرقها وسبب ذلك أو تبرير له. وكيف أن هذا السلوك لم يكن خاصًا بمكتبة الإسكندرية وحدها وإنما كان سلوكاً عربياً عاماً إزاء كتب الأمم المفتوحة.

وقد جاء جورجى زيدان فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى وبداية القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) وفتح الملف العربى من جديد. وتردد بين مكذب لهذه الرواية أولاً ثم مصدق لها بعد تحليل وتدقيق. وقد ركز همه على تبرئة أبى الفرج بن هارون الملطى (ابن العبرى) حيث اتهمه البعض بأنه أول من اختلق هذه الرواية تعصبًا ضد الإسلام وتحيزًا للمسيحية التى ألصقت بها هذه التهمة كما ألمحنا إلى ذلك من قبل. وقد جاء حديث جورجى زيدان عن تلك الرواية وتحليلاته فى نحو سبع صفحات من الجزء الثالث من كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى».

هذا على الجانب العربى أما على الجانب الغربى فقد رأينا كيف أن تزيتزيس ذكر خبر المكتبة فى القرن الثانى عشر فى الحاشية التى تحدثنا عنها؛ إلا أن قصة حرق المكتبة لم تتم إثارته فى أوروبا إلا فى القرن السابع عشر وما بعده وتناولها كُتَّاب عديدون ما بين مؤيد ومعارض لحرق العرب لها، مما ليس هنا مجال لتقصيه وسرده. ولكن المشكلة الحقيقية أن أول من قال بحرق المكتبة على يد العرب المسلمين هم عرب ومسلمون ولو لم ترد هذه القصة فى المصادر العربية لما فتح هذا الملف أيضاً ولانطوت صفحة تلك المكتبة كما انطوت صفحات مكتبات أخرى مثل مكتبة رمسيس الثانى وغيرها.

المهم أننا أمام رواية تقول بأن العرب المسلمين قد أحرقوا مكتبة الإسكندرية فهل هي رواية صادقة، أم رواية كاذبة مختلقة من أساسها لسبب أو لآخر؟ هناك من يؤيد تلك الرواية وله دفوعه وأسانيده، وهناك من ينفيها ويكذبها وله أيضاً دفوعه وأسانيده. وفى كلتا الحالتين هى أدلة عقلية استنباطية ليس من بينها دليل نقلى مادى واحد.

وقبل استعراض دفوع وأسانيد كل من الفريقين أود أن أبرز ثلاث حقائق هامة:

الأولى: أن الرد الذى رد به عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص عندما سأله عما يفعل بمجموعات الكتب فى المكتبة وهو «فأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها». هذا الرد جاءت فحواه أيضًا فى تبرير المسيحيين حرق كتب الوثنية فى نفس مكتبة الإسكندرية فقد ورد فى أعمال الرسل أن الكتاب المقدس فيه الكفاية والغنى عن أى كتاب آخر «إذا كنت تريد تاريخًا فعليك بسفر الملوك وإذا أردت البلاغة فعليك بسفر الأنبياء وإذا كنت تريد الشعر فعليك بالمزامير وإذا أردت فلكاً أو قانوناً أو أخلاقًا فقانون الرب المجيد».

الثانية: أن العرب المسلمين قد عرفوا فى القرون الأولى للهجرة بوجود مكتبة الإسكندرية فقد أورد ابن النديم فى «الفهرست» معلومات عن هذه المكتبة وعن يحيى النحوى فى أكثر من موضع ولكن الموضع الألصق بالمكتبة نجده تحت أخبار الفلاسفة الطبيعيين عند حديثه عن فيلسوف اسمه إسحق الراهب الذى كان يبحث فى فلسفة اليونان وتاريخهم وأخبارهم وكذلك أيضًا تاريخ الرومان وآدابهم ومن جملة ما ذكره عنهم خبر إنشاء مكتبة الإسكندرية على يد زميرة ونص ما ذكره ابن النديم فى هذا الصدد لا يخرج عما ذكره ابن القفطى «إن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية لما ملك بحث عن كتب العلم وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين وقال له: أيها الملك قد بقى فى الدنيا شىء كثير فى السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم». وإذا كان ابن القفطى قد استخدم نفس العبارات ولكنه أفاض فيها وابن النديم لم يذكر شيئًا عن حريق المكتبة فأغلب ظنى لم يأخذ عن ابن النديم وإنما من مصدر آخر ربما يكون ابن النديم نفسه قد استعمله حيث كانت مكتبة بيت الحكمة فى بغداد ماتزال عامرة بالمصادر سواء بالنسبة لابن النديم فى القرن الرابع الهجرى أو ابن القفطى وغيره فيما قبل منتصف القرن السابع الهجرى حين أحرقها التتار وأغرقوها. ويخالجنى الظن بأن العرب عرفوا خبر مكتبة الإسكندرية فى القرن الثانى والثالث للهجرة من المصادر اليونانية التى توسعوا فى الحصول عليها وترجمتها إلى العربية .

الثالثة: أن العرب المسلمين عرفوا يحيى النحوى كما عرفوا مكتبة الإسكندرية وربما ترجموا له كتباً فى القرنين الثانى والثالث للهجرة وقد كتب عنه ابن النديم أيضاً فى الفهرست أى قبل ابن القفطى بثلاثة قرون تقريباً وقد ذكر عنه: «كان يحيى تلميذ شاوارى وكان أسقفًا فى بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يدى عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً، وقد فسر أرسطليس. وقد ذكرت ما فسره فى موضعه وله من الكتب كتاب الرد على برقلس، ثمان عشرة مقالة؛ كتاب فى أن كل جسم متناه فقوته متناهية، مقالة؛ كتاب الرد على أرسطاليس، ست مقالات؛ كتاب تفسير مابال لأرسطاليس العاشر، مقالة يرد فيها على نسطورس؛ كتاب يرد فيه على قوم لا يعترفون، مقالتان، ومقالة أخرى يرد فيها على قوم آخر. وله تفسير شىء من كتب جالينوس نحن نذكر ذلك عند ذكرنا جالينوس. وذكر يحيى النحوى فى المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعى فى الكلام فى الزمان مثلاً قال فيه: مثل سنتنا هذه وهى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة لدقلطيانوس القبطى. وهذا يدل أن بيننا وبين يحيى النحوى ثلاثمائة سنة ونيف. وقد يجوز أن يكون فسر هذا الكتاب فى صدر عمره لأنه كان فى أيام عمرو بن العاص».

إذا وضعنا تلك الحقائق الثلاث والقصة كاملة حسب سياقها الذى أتينا عليه فلنستعرض الآراء المؤيدة والمعارضة لهذه الرواية.

أما الذين ينفون عن العرب أنهم حرقوا المكتبة ويرون أنهم أبرياء من دم هذه المكتبة فإنهم يسوقون الدفوع الآتية فى هذا الصدد ومنهم عرب وأجانب:

١ ـ أن العرب عندما دخلوا الإسكندرية لم تكن أى من المكتبات الأم أو الابنة أو حتى مكتبة معبد القيصرون موجودة، ولابد أنها جميعاً قد خرجت من الوجود فى قرون سابقة على دخول العرب مصر. ولو كانت تلك المكتبات موجودة وتمثل معلمًا من معالم الإسكندرية لذكرها الرحالة الذين زاروا الإسكندرية قبل الفتح العربى.

وكذلك لذكرها المؤرخون العرب المعاصرون للفتوحات الإسلامية من أمثال البلاذرى وابن عبد الحكم واليعقوبى. ولو كانت هذه المكتبة موجودة عند الفتح فإن الهدنة التى عقدت بين المسلمين والمقوقس عظيم القبط فى شروط الصلح كانت تتيح للروم نقلها إذا أرادوا، ذلك أنه سمح لهم بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة وكانت تلك المدة طويلة بما يكفى نقل المكتبة وغيرها.

٢ ـ أن يحيى النحوى الذى تذكر الرواية أنه أكبر عنصر فيها لم يكن موجوداً على قيد الحياة عندما دخل عمرو بن العاص المدينة وإن كان حياً لكان عمره يزيد عن مائة وعشرين عامًا. وقد ذكر «أ. ج. بتلر» أن هذا الشخص هو يوحنا فيلوبونوس وقد عاش فى عصر «الإمبراطور جستنيان» وكتب ضد المذهب النسطورى حوالى ٥٤٠م ويكاد يكون مستحيلاً أنه عاش حتى الفتح العربى لمصر ٦٤٢م. ومن ثم فإن الرواية تنقض من أساسها.

٣ ـ أن المؤرخ الأديب «يوحنا النيقى» (النايقوس) عاصر الفتح العربى لمصر وتحدث عن وقائع ذلك الفتح بالتفصيل دون أن يذكر شيئًا عن إحراق المكتبة ومن غير المعقول ألا يتوقف عنده، وقد توقف عند أشياء أقل أهمية.

٤ ـ لقد زار المؤرخان «يوحنا مسكويه» و«سفرنيوس» مصر قبل الفتح الإسلامى وتحدثا كثيرًا عن المكتبات فى الإسكندرية ولم يذكرا شيئًا عن المكتبة الأم والمكتبة الإبنة ولو كانت أيهما على قيد الحياة لذاكرها لأهميتها وخطورتها حيث تكون فى ذلك الوقت عمرت ألف عام.

٥ ـ أن مكتبة الإسكندرية لو كانت موجودة على قيد الحياة عند فتح العرب لمصر لكان عمرها يقترب من الألف سنة. وهذا ضد طبيعة الأشياء وخاصة فى ظل الظروف المضطربة التى عاشتها مدينة الإسكندرية وبالذات منذ القرن الأول بعد الميلاد. أضف إلى ذلك الظروف المناخية طوال تلك الألفية والتى كان من الضرورى أن تفت فى عضد أوراق البردى وخاصة فى ظل الإهمال وانعدام الصيانة. وبالتالى فإن المكتبة لابد وأن تكون قد شاخت قبل دخول العرب مصر.

٦ ـ أنه لو صحت رواية أن المكتبة كانت موجودة عند دخول العرب إلى الإسكندرية لكانت معظم مجموعاتها من الرقوق لسببين أولهما نقل مجموعة المائتى ألف مجلد من برجاموم وقد أشرنا أنها كانت أساسًا من الرقوق وثانيهما الحركة النسخية الكبرى التى حدثت فى القرن الثالث والرابع للميلاد حيث تم إعادة نسخ أو تحميل المادة العلمية التى كانت موجودة على البردى على رقوق أى من وسيط هش إلى وسيط أقوى وأكثر تحملاً. ومن هنا فإن هذه الرقوق كانت تستعصى على الحريق إلا فى ظروف خاصة لا يمكن لعمرو بن العاص فى تلك الفترة أن يتعامل معها.

٧ ـ أن الإسلام يحض على العلم وتكريم أهله والحفاظ على أدواته وهناك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة ما يؤكد ذلك. وقد حرص الحكام المسلمون على إنشاء المكتبات وتشجيع حركة النشر والترجمة ومكافأة المؤلفين والمترجمين بمثل وزن أوراقهم ذهباً. وأن حرق المكتبات والكتب ضد مبادىء الإسلام.

تلك هى أهم دفوع الذين ردوا على الشبهات التى حامت حول العرب المسلمين فى حرق مكتبة الإسكندرية.

أما الذين قالوا بحرق العرب للمكتبة فإنهم يبنون نظريتهم على الوجوه الآتية:

١ ـ أن يحيى النحوى (الغراماطيقى) كان حياً عندما دخل عمرو بن العاص إلى الإسكندرية وأنه كان فى سن الشباب حسب التحليل الذى قدمه ابن النديم نفسه حيث قال ما نصه «وهذا يدل أن بيننا وبين يحيى النحوى ثلاثمائة سنة ونيف. وقد يجوز أن يكون فسر هذا الكتاب فى صدر عمره لأنه كان فى أيام عمرو بن العاص». وربما لا يكون يحيى الوارد ذكره فى الرواية ليس هو يوحنا فيلوبونس الذى كان ضد عقيدة التلثيث والذى تتبع بتلر آثاره. ذلك أن اسم يوحنا (يحيى) كان منتشراً فى تلك الفترة وصفة النحوى كانت تطلق على اللغويين والأدباء وليست جزءاً من الاسم، وبالتالى ربما يكون يحيى آخر غير الذى عناه بتلر والذى نقض به الرواية. ولعل فى عبارة ابن النديم ما يفسر ذلك ويؤكده.

٢ ـ أننا يجب أن نفرق تمامًا بين الإسلام كعقيدة تحض على العلم وكل الفضائل الإنسانية وبين حاملى هذه العقيدة الذين قد يخرقونها ولا يعملون بقواعدها تحت وطأة الضعف الإنسانى. ويكفى أن نشير هنا إلى غزوة أحد التى ترك المقاتلون فيها مواقعهم التى تحمى ظهور المسلمين ونزلوا لحصد الغنائم فانقلبت دفة الأمور وهزم المسلمون بعد انتصار. ويدخل هنا أيضاً قضية توزيع الغنائم والتمييز بين الطوائف المختلفة على أسس عرقية؛ وكذلك الفتن والحروب الداخلية بين المسلمين حتى فى العقود الأولى للإسلام فى عهد عثمان وعلى بن أبى طالب طلبًا للسلطان والملك وعرض الحياة الدنيا. إذن فلا يجب أن يحتج بأن الإسلام يحرم حرق الكتب وتخريب المكتبات لأنه يحض على العلم وتكريم العلماء فكل ذلك جزء من العقيدة وليس من الضرورى أن يكون جزءاً من سلوك المسلم.

٣ ـ أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى بعض خصال العربى وكيف أنه لا يطيق أن يرى حضارة مزدهرة وأنه يميل إلى تخريبها كلما سنحت له الفرصة. وكان الجنود الذين صحبهم عمرو بن العاص فى فتوحاته فى مصر من البدو القح الذين لم تهذبهم الحضارة والمدنية بعد ومن ثم فإنهم لم يقدروا الكتب والمكتبات حق قدرها.

٤ ـ أن عمر بن الخطاب يمكن فعلاً أن يكون قد أصدر تعليماته المذكورة بحرق المكتبة والكتب باعتبارها من تراث الوثنية وقد أراد بحسه الدينى أن يجنب المسلمين كل ما يفتنهم فى دينهم. وكما أشرت مراراً من قبل كانت الإسكندرية موطن عقيدة التثليث التى أفسدت الديانة المسيحية وجعلتها هى والوثنية شىء واحد وقد أثمها القرآن الكريم وكَفَّر معتنقيها. ولعمر بن الخطاب سوابق فى تجنيب المسلمين كل ما يفتنهم فى دينهم فهو الذى أمر بقطع شجرة البيعة التى كان المسلمون يتبركون بها، ولما رأى افتتان المسلمين بخالد بن الوليد خشى أن يقدسوه فعزله رغم الانتصارات الساحقة التى حققها ورغم أنه لم يكن فى جسمه موضع خال من أثر لرمح أو خنجر ومات على فراشه وكان يتمنى لو مات فى ساحة القتال شهيداً. ولا يجب أن ننفى عن عمر بن الخطاب ذلك بل يجب أن نبرره بالهدف السامى الذى سعى إليه وأمر الردة فى عهد أبى بكر الصديق مشهور معروف.

٥ ـ تردد فى المصادر المختلفة حالات إحراق للمكتبات على يد المسلمين فى بلاد أخرى غير مصر. وقد أتى حاجى خليفة فى كشف الظنون على بعض الأمثلة فقال بأن المسلمين عندما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم، كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب إليه عمر أن اطرحوها فى الماء فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله تعالى فطرحوها فى الماء أو فى النار فذهبت علوم الفرس فيها. كذلك فإنه فى أثناء كلام حاجى خليفة عن «أهل الإسلام وعلومهم» يقول بأنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب فى فتوحات البلدان، وربما كان لذلك صدى عند ابن خلدون مرة ثانية حيث تساءل بقوله «فأين علوم الفرس التى أمر عمر بمحوها عند الفتح». وحاجى خليفة هو الذى قال بأن «العرب فى صدر الإسلام لم يقنعوا بشىء من العلوم إلا بلغتهم وشريعتهم».

٦ ـ أن من سلوك المنتصر فى كل العصور ـ بعد الانتصار العسكرى ـ أن يأخذ فى تدمير فكر المهزوم حتى لا تقوم له قائمة بعد ذلك أبدًا، ويكون ذلك إما بحرق وسحق الكتب والمكتبات أو بنقل تلك الكتب والمكتبات إلى بلد المنتصر.

ومن المعروف أن الماديات يمكن تعويضها بينما الدعائم المعنوية لا يمكن أن تعوض إلا بعد فترات طويلة وحيث يبدأ المهزوم من جديد. انظر إلى هولاكو التترى وما فعله بالمكتبات الإسلامية فى المناطق التى اكتسحها فى القرن السابع الهجرى حيث قيل أنه اتخذ من الكتب جسرًا فى النهر تعبر عليه قواته ومحوًا لما فيها من العلوم بل إنه بنى من تلك الكتب اصطبلات للخيول وطوالات للمعالف بدلاً من الآجر والطوب، وانظر إلى صلاح الدين الأيوبى نفسه عندما أمر بتدمير المكتبات الفاطمية فى مصر سواء بيت العلم أو مكتبات القصور وكيف أن جنوده كانوا ينزعون جلود الكتب ليصنعوا منها نعالاً وأحذية لهم. ونفس صلاح الدين الأيوبى فعل بمكتبات الشام نفس ما فعله بمكتبات مصر حتى قيل أن المجموعات التى دمرها قد بلغت فى مصر والشام نحو أربعة ملايين مجلد. انظر أيضاً إلى الصليبيين الذين أحرقوا مكتبات الشام خلال الحروب الصليبية ومكتبة طرابلس تقف شاهداً على ذلك، تلك

المكتبة التى ضمت نحو ثلاثة ملايين مجلد وكانت هناك قاعات بأكملها مخصصة للمصحف الشريف وكلما دخل الصليبيون قاعة وجدوا بها المصحف فاعتقدوا أن المكتبة كلها مخصصة للمصاحف فأمر الكونت برترام سانت جيل بإحراق المكتبة عن آخرها.

وأنظر كذلك إلى إيزابيلا وفرديناند اللذين تغلبا على ملوك الطوائف فى الأندلس وطردوا المسلمين واليهود منها وأحرقا ما استطاعا حرقه من الكتب والمكتبات الإسلامية فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى.

كذلك فإن هذا السلوك هو أيضاً سلوك مذهبى حيث يعمد أهل ملة معينة أو مذهب بالذات إلى حرق كتب المذهب المعادى حتى يقهروا فكر هذا المذهب، وهذا السلوك ليس سلوكاً إسلامياً فقط وإنما هو موجود كذلك فى المسيحية وغيرهما. كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لاتزال باقية إلى أيامه سنة ٢١٣هـ من مؤلفات المجوس وقد عرضت عليه ولما تبين حقيقتها أمر بإلقائها فى الماء وبعث إلى الأطراف أن من وجد شيئًا من كتب المجوس فليعدمه. واضطهاد فكر الشيعة وكتبهم أمر معروف مشهور فى التاريخ الإسلامى.

٧ ـ أن أصحاب الدين الجديد يعتقدون أن دينهم يَجُبُّ الأديان السابقة عليه ومن ثم فلابد من هدم معابد تلك الأديان وما بها من كتب ومكتبات تؤيدها وتساعد أنصارها على فهمها والتمسك بها. وقد أشرنا من قبل أن أباطرة الروم بعد أن اعتنقوا المسيحية تعصبوا لها ـ بعد أن كانوا أعداءها اللدودين ـ وأمروا بهدم المعابد التى أقيمت قبل المسيحية وأحرقوا ما بها من مكتبات. ومن ثم فإن سلوك المسلمين إزاء مكتبة الإسكندرية ليس بغريب عن سلوك أصحاب الديانات الجديدة. وربما كانوا يعتبرون ذلك تقرباً إلى الله.

٨ ـ لقد انتشرت بين بعض علماء المسلمين ظاهرة من أغرب ظواهر السلوك إزاء الكتب والمكتبات وهى ظاهرة حرق وغسل ودفن الكتب. فالعَالِم منهم يظل طول حياته يجمع الكتب ويكدسها فى مكتبته الشخصية وينفق عليها بسخاء بل يستدين

ويقترض ويرهن ممتلكاته فى سبيلها حتى تتضخم وتصبح «ملء بيت إلى السقف» أو «تُحمل على أربعمائة بعير» وغير ذلك من العبارات الدالة على حجم المكتبة وفى نهاية حياته يحملها إلى شاطىء النهر ليغسلها أو يحملها إلى الصحراء ليحرقها أو يدفنها هناك والأمثلة على ذلك كثيرة جداً مثلما فعل أحمد بن أبى الحوارى، وسفيان الثورى، وأبو عمرو بن العلاء بل وأبو حيان التوحيدى نفسه وغيرهم مئات. وفى تعليل تلك الظاهرة يقال بأن العالم منهم قد يرى فى نهاية عمره أن الكتب قد ألهته عن ذكر الله فيقرر التخلص منها أو كما قال أبو حيان التوحيدى «لم أشأ أن أجعل الهم همين»، كما كان بعض العلماء يخشى أن تقع تلك الكتب فى أيدى من يسيئون استخدامها، وبعض العلماء يتخلص من مكتبة ضناً بها على من لا يستحقون من الأجيال التالية.

٩ ـ أن الرواية المذكورة حتى ولو كانت فيها مبالغة فإنها لابد وأن تنطوى على بذرة الحقيقة ولا يمكن عقلاً أو منطقًا أن تكون من أولها إلى آخرها محض اختلاق من عدم. ومن غير المعقول أن يكون كل هذا التواتر لقصة خيالية لا أساس لها من الصحة والواقع كما ذهب أ. ج. بتلر.

تلك إذن هى أهم الأدلة العقلية الاستنباطية التى يسوقها أصحاب الرأى الذى يميل إلى تصديق رواية حرق العرب لمكتبة الإسكندرية. وأود أن أؤكد فى نهاية هذه المعالجة أن باب الاجتهاد مازال مفتوحًا وأن الكلمة النهائية الحاسمة لم تعلن بعد وربما يجود علينا الزمن بأدلة نقلية تحسم هذه القضية فقد تكشف الحفريات عن مكتبة الإسكندرية الأم أو عن مكتبة معبد السيرابيوم أو مكتبة القيصرون مطمورة مغمورة فى باطن أرض الإسكندرية كما حدث فى مكتبات العراق القديم ومكتبة برجاموم أو مكتبة الهيركلانيوم. ساعتئذ سوف نقفل باب المناقشة والاجتهاد ويسدل الستار على أعظم مكتبات العالم حتى بداية القرن العشرين الميلادى.

مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية فى الوقت الحاضر

ربما تبدأ المشروعات العظيمة بالصدفة أو بحماس رجل واحد، ومشروع إحياء مكتبة الإسكندرية هو من هذا النوع الذى بدأ بحماس شخص معين فقد كان أحد

أساتذة جامعة الإسكندرية (د. مصطفى العبادى) فى زيارة لمكتبة الكونجرس وقابل مدير تلك المكتبة العالمية التى ليس لها مثيل فى التاريخ سوى مكتبة الإسكندرية القديمة. ويبدو أن انبهار أستاذ جامعة الإسكندرية بمكتبة الكونجرس جعله يربط أثناء تلك الزيارة التى وقعت فى منتصف السبعينات من القرن العشرين بين مكتبة الكونجرس ومكتبة الإسكندرية القديمة وتطرق الحديث إلى المقارنة بين عالمية كلتا المكتبتين، ثم داعب أستاذ جامعة الإسكندرية مدير مكتبة الكونجرس ـ دانييل بروستين آنذاك ـ وقال له لماذا لا نحيى مكتبة الإسكندرية القديمة وفى نفس المكان وأخذ مدير مكتبة الكونجرس الدعابة على محمل الجد ومن هذه النقطة بدأ التفكير الجدى فى مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة. وقد أبدى دانييل بروستين (مدير مكتبة الكونجرس ١٩٧٤ ـ ١٩٨٧) استعداد مكتبة الكونجرس للقيام بدور فعال ودولى فى هذا الصدد وابتدأ من يونيو ١٩٧٦م فى إعداد ملف خاص بالموضوع وأرسل بذلك مذكرة إلى مدير منظمة اليونسكو فى باريس وطلب اعتبار هذا المشروع مهمة دولية تقوم بها المنظمة. وكان لابد لجامعة الإسكندرية ورئيسها فى ذلك الوقت أ. د. محمد لطفى دويدار، من أن تقوم بدورها باعتبار أن الفكرة نبتت من داخلها وأن أستاذًا بها هو الذى طرح الموضوع ونظرت جامعة الإسكندرية آنذاك إلى المشروع على أنه مشروع محلى سكندرى بحت. وفى سنة ١٩٨٠ بدأ طرح المشروع على نطاق أوسع ودخلت فيه أطراف عديدة وكانت الفرصة مواتية حيث كانت مصر تحتفل بإنقاذ معبد أبو سمبل إقامته فى موقعه الجديد أمام ممثلين من دول العالم المختلفة.

الفكرة والتنفيذ

تبرعت جامعة الإسكندرية بقطعة الأرض التى ستقام عليها المكتبة وكذلك بمركز المؤتمرات المقام فعلاً إلى جوار تلك الأرض. وقام خبراء من منظمة اليونسكو بزيارة جامعة الإسكندرية، كما قام بعض أساتذة جامعة الإسكندرية بزيارة للمنظمة الدولية فى باريس لتنسيق الخطط الرامية لإحياء فكرة المكتبة ومراجعة تلك الخطط والاتجاه بها صوب الدولية. وتوفر الفريقان على إعداد دراسات الجدوى وإعداد التقارير الخاصة بالاستعدادات اللازمة لهذا العمل سنة ١٩٨٧. وفى العام التالى سنة ١٩٨٨

صدر النداء الدولى لدعم ومساندة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية. وكان مدير اليونسكو فى ذلك الوقت أحمد مختار أمبو قد قام فى فبراير ١٩٨٦ بزيارة إلى جامعة الإسكندرية لوضع صياغة النداء الدولى، ودعا المجلس التنفيذى لليونسكو فى دورته التى عقدت فى يونية ١٩٨٦ إلى التعاون مع الحكومة المصرية فى إعداد وتنفيذ المشروع وتمويل دراسة الجدوى المشار إليها. وفى أكتوبر ١٩٨٧م أصدر المؤتمر العام لليونسكو موافقته على صيغة النداء الدولى لدعم المشروع وطبع هذا النداء وصيغ بخمس لغات هى العربية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية؛ وقد وجه النداء فى مطلع سنة ١٩٨٨ إلى الدول والمنظمات والأفراد فى جميع أنحاء العالم.

وفى يونية ١٩٨٨ توج هذا النداء بوضع حجر الأساس لهذا المشروع العظيم وقد وضع الحجر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والمدير العام الجديد لليونسكو فيديريكو مايور الذى خلف أحمد مختار أمبو.

وبمقتضى هذه الخطوات خرج المشروع من المحلية وأصبح مشروعاً وطنيًا مصريًا ولم تعد جامعة الإسكندرية هى المشرفة عليه ولكن أصبح المشرف عليه هو وزارة التعليم العالى مع تمثيل منظمة اليونسكو الدولية. وكان لابد من أن يأخذ هذا المشروع بعده الدولى ويعلن عنه فى احتفال يليق بالعمل التاريخى هذا.

عقد اجتماع دولى فى مدينة أسوان فى صعيد مصر ١١ ـ ١٢ من فبراير ١٩٩٠ وأعلن عن بدء المشروع فيما عرف بإعلان أسوان، وفتح باب التبرعات وجاءت التبرعات فى حينها من مصادر مختلفة، وقد حدد تاريخ الافتتاح فى شهر يوليو ١٩٩٥.

الإدارة والتنظيم فى مكتبة الإسكندرية الجديدة

قُدرت تكاليف مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية بنحو ١٦٠ مليون دولار. وقد جاءت المساهمة المصرية على شكل قطعة الأرض ومبنى مركز المؤتمرات، وقدرت هذه المساهمة بحوالى ستين مليون دولار: قطعة الأرض التى تبلغ مساحتها أربعين ألف متر مربع بقيمة أربعين مليون دولار (أى ألف دولار للمتر الواحد المربع) ومبنى مركز

المؤتمرات الذى قدرت قيمته بنحو عشرين مليون دولار. وترك للمساهمات الدولية الأموال السائلة والتى تقدر بمائة مليون دولار تم جمع ٦٤ مليوناً منها فى نفس يومى اجتماع أسوان التاريخى ١١ ـ ١٢ من فبراير ١٩٩٠م، وهو مبلغ المساهمة العربية وحدها وقد جاءت تبرعات مالية من جهات مختلفة دولية ومحلية ومن أفراد محليين ودوليين بما يرفع المبلغ المتحصل كثيراً مع فوائد البنوك ليصل إلى الميزانية المستهدفة بداية. والذى نريد أن نخلص إليه هو أن المشروع لا تعوزه الموارد لا المادية ولا المالية ولا البشرية. وليس هناك مبرر لتأخر افتتاح المكتبة.

ولعله من نافلة القول أنه فى ١٤ من ديسمبر ١٩٨٨ (الرابع من جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ) صدر قرار رئيس الجمهور بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية وهو القرار الذى وضع الخطوط العريضة لعمل الهيئة التى تتبعها المكتبة. وحيث يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى عدم وجود لوائح داخلية تنظم عمل المكتبة أو ترسم خطوط التنظيم الداخلى لها. (انظر نص القرار الجمهورى فى نهاية هذا الفصل).

وتحدد المادة الثامنة من هذا القرار موارد الهيئة على النحو الآتى:

١ ـ ما تدرجه الدولة من اعتمادات لها فى الموازنة.

٢ ـ الإعانات والتبرعات والهبات والوصايا والإسهامات الداخلية والخارجية.

٣ ـ القروض التى تعقد لصالح الهيئة.

٤ ـ مقابل الخدمات التى تقدمها الهيئة.

٥ ـ عائد استثمار أموال الهيئة.

٦ ـ أية موارد أخرى تتقرر للهيئة.

كما نصت المادة التاسعة من نفس القرار على أن تكون للهيئة موازنة خاصة فى إطار الموازنة العامة للدولة وتبدأ السنة المالية للهيئة ببداية السنة المالية للدولة وتنتهى بنهايتها، ويفتح حساب خاص للهيئة بالبنك المركزى المصرى أو بأحد البنوك التجارية بموافقة وزارة المالية تودع فيه أموالها ويرحل فائض هذا الحساب من سنة إلى أخرى.

وقد حددت المواد الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة عناصر إدارة هيئة مكتبة الإسكندرية؛ فقد نصت المادة الرابعة على تشكيل مجلس الإدارة من قبل مجلس الوزراء على النحو الآتى:

- وزير التعليم (العالى) رئيسًا.
- رئيس جامعة الإسكندرية نائبًا للرئيس.
- محافظ الإسكندرية أو من ينيبه.
- ثلاثة من الأساتذة بجامعة الإسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- ممثل لكل من وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والتعليم العالى والتربية والتعليم والخارجية يختارهم الوزراء المختصون أعضاء.
- عدد لا يجاوز خمسة من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة فى مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم (العالى) وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- مدير الهيئة.

ولمجلس الإدارة أن يشكل لجاناً من أعضائه للقيام بدراسات أو أبحاث أو مهام معينة وله أن يعهد إليها ببعض اختصاصاته. وللمجلس أن يفوض مدير الهيئة فى القيام بمهمة محددة. وتحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء المكافآت التى تصرف لأعضاء مجلس الإدارة.

كما نصت المادة الخامسة على أن مجلس الإدارة هو السلطة المهيمنة على شئون الهيئة وتصريف أمورها وإقرار السياسة التى تسير عليها وله اتخاذ ما يراه لازماً من قرارات لتحقيق الغرض الذى أنشئت الهيئة من أجله وذلك فى حدود السياسة العامة للدولة فى مجال العلم والفكر وتنمية القيم الإنسانية والحضارية وله على الأخص ما يلى:

١ - إصدار اللائحة الداخلية للهيئة واللوائح المنظمة للشئون العلمية والإدارية والفنية. ويكون إصدار اللوائح المالية بعد موافقة وزارة المالية.

٢ ـ إقرار الخطط اللازمة لإتمام تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية والعمل على تذليل ما يعترضه من عقبات.

٣ ـ وضع اللوائح المتعلقة بشئون العاملين وتحديد مرتباتهم ومكافآتهم دون التقيد بالنظم الحكومية، مع مراعاة الحدود القصوى للمرتبات المنصوص عليها فى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة.

٤ ـ وضع الهيكل التنظيمى للهيئة وجداول الوظائف بها.

٥ ـ إجراء الاتصالات بالهيئات وبالدول الأجنبية والمؤسسات العامة والشخصيات البارزة التى تهتم بتنفيذ المشروع لدعوتها للمساهمة فيه بالأساليب التى تتراءى لها وقبلها مجلس الإدارة.

٦ ـ قبول الإعانات والهبات والتبرعات والوصايا والإسهامات الداخلية منها والخارجية التى تتفق مع أغراض الهيئة وذلك فى حدود النظم المقررة.

٧ ـ النظر فى التقارير الدورية التى تقدم عن سير العمل بالهيئة ومركزها المالى.

٨ ـ الموافقة على مشروع الهيئة وحسابها الختامى.

٩ ـ مباشرة جميع التصرفات اللازمة لإدارة الهيئة.

١٠ ـ النظر فى كل ما يرى رئيس مجلس الإدارة عرضه من مسائل تدخل فى اختصاص الهيئة وتعرض قرارات مجلس الإدارة على وزير التعليم لاعتمادها.

وجبرًا لخاطر جامعة الإسكندرية ولأن المشروع قد سحب منها وأضفيت عليه الصبغة الوطنية العامة فقد نصت المادة السادسة من القرار الجمهورى على أن تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علميًا وأكاديميًا وفقًا للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس جامعة الإسكندرية.

ونصت المادة السابعة على تعيين مدير للهيئة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض من وزير التعليم العالى ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته. ويكون مدير الهيئة مسئولاً عن تنفيذ سياسة الهيئة التى يخطها مجلس الإدارة ويتولى متابعة تنفيذ قراراته وتصريف شئون الهيئة وفقًا للقانون ولأحكام هذا القرار وتحت إشراف مجلس الإدارة وفى حدود الاختصاصات الأخرى المخولة له فى لوائح الهيئة.

وحتى تكتسب الإدارة شيئًا من الدولية وانسجامًا مع ما جاء فى القرار الجمهورى من أن مجلس إدارة الهيئة له سلطات تشكيل لجان دائمة ومؤقته لأغراض محددة شكلت لجنة دولية تحت اسم «اللجنة التنفيذية الدولية» وتتألف هذه اللجنة من خمسة مصريين على حسب مناصبهم: وزير التعليم العالى (رئيس مجلس إدارة الهيئة) ويكون رئيساً للجنة؛ مستشار وزير التعليم العالى، رئيس جامعة الإسكندرية؛ نائب رئيس مجلس الدولة، رئيس هيئة الاستعلامات. وهناك أعضاء تحددهم دولهم وهى: اليونان ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ عمان ـ السعودية ـ تركيا ـ الإمارات ـ الولايات المتحدة بالإضافة إلى ممثل اليونسكو فى اللجنة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم تشكيل هذه اللجنة التنفيذية الدولية للمشروع بناء على اتفاق عقد بين مصر ومنظمة اليونسكو وقد صدق على ذلك التشكيل مجلس الشعب فى مصر وذلك فى شهر فبراير ١٩٩٢. وقد باشرت اللجنة عملها بعد ذلك مباشرة وعقدت أول اجتماع لها ٢٦/٤/١٩٩٢ فى مركز المؤتمرات بالإسكندرية وتوصلت فى ذلك الاجتماع إلى:

أ ـ الإحاطة بقرارات تعيين رئيس اللجنة التنفيذية الدولية ومدير المشروع ونائب مدير المشروع.

ب ـ الموافقة على الهيكل التنظيمى للأمانة التنفيذية لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية وهى الجهاز المنوط به تنفيذ قرارات اللجنة والإشراف على تنفيذ المشروع.

ج ـ الموافقة على خطة وبرنامج العمل فى المشروع على المدى الطويل ١٩٩٢ ـ ١٩٩٦ من حيث المبدأ والذى قدرت تكاليفه المبدئية فى ذلك الاجتماع بنحو ١٧١ مليون دولار.

د ـ الموافقة على الموازنة المبدئية التقديرية لعام ١٩٩٢، وأن يتم الصرف على البنود الواردة حسب المصروفات الفعلية لكل بند.

هـ تشكيل لجنتين فرعيتين: الأولى لدراسة وإقرار مشروع التعاقد المقدم من المكتب الهندسى النرويجى «سنوهيتا» لإعداد تصميمات المشروع الهندسية؛ والثانية

للدراسة مجالات المجموعات التى تغطيها المكتبة والأنشطة الثقافية التى سوف تمارسها المكتبة.

و ـ الموافقة على شراء ١٥٠٠م٢ مبانى كمقر للأمانة التنفيذية والهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ولإدارة المكتبة كى تجمع فيها المجموعات وتعدها تمهيداً لتسكينها فى المكتبة عندما يكتمل مبناها. وقد تم شراء هذا المسطح فى أحد العقارات وسط مدينة الإسكندرية.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ دولاب العمل بالمكتبة فى أعمال التنفيذ الفعلية ومباشرة الصلاحيات المخولة له فى القرار الجمهورى ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨.

وتضرب إدارة الهيئة ستاراً كثيفاً على عدد العاملين الآن فى المشروع ومؤهلاتهم والأعمال التى تم إنجازها والأعمال التى هى قيد الإنجاز.

الموقع والمبنى والتجهيزات

كانت هناك مجموعة من الاقتراحات لاختيار مكان لإقامة مكتبة الإسكندرية خارج إطار حرم المدينة الحالية وذلك للحصول على مساحة كبيرة من الأرض تسمح بالتوسع المستقبلى وتوفير الضوء والتهوية الطبيعية وليس من الضرورى أن يسهل الوصول إليه. ولكن جامعة الإسكندرية قدمت قطعة من الأرض تملكها إلى جانب مركز المؤتمرات القائم بالفعل وكان مبرر ذلك أن تلك البقعة هى نفسها التى يعتقد أنها كانت تضم المكتبة القديمة والمتحف. تبلغ مساحة الأرض التى قدمتها الجامعة أربعين ألف متر بما فى ذلك مبنى وأرض مركز المؤتمرات (أى حوالى تسعة أفدنه ونصف) وذلك على كورنيش المدينة بالسلسلة بحيث يحد الموقع الكورنيش فى مواجهة الميناء الشرقى وعلى ا متداد البصر قلعة قايتباى على ما يعتقد أنه جزء من جزيرة فاروس القديمة. وعبر شارع بور سعيد نجد المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية (كليات الآداب الحقوق ـ التجارة ـ التربية). وفى مبنى مركز المؤتمرات نجد مسارح وقاعات اجتماعات مجموع طاقتها نحو ٣٢٠٠ مقعداً.

وبعد تحديد الموقع على هذا النحو ووضع حجر الأساس كما ألمحت فى شهر

يونيو ١٩٨٨م، طرح مبنى المشروع فى مسابقة دولية للتصميم المعمارى، وقد قدم برنامج الأمم المتحدة مبلغ ٦٠٠ ألف دولار لتمويل تلك المسابقة الدولية بالاشتراك مع الاتحاد الدولى للمعماريين.

ولقد تقدم إلى هذه المسابقة حوالى ١٤٠٠ معمارى متسابق من ٧٧ دولة وقد وقع اختيار لجنة التحكيم على المشروع المقدم من الشركة النرويجية والذى فاز بالجائزة الأولى وقدرها ستون ألف دولار والمشروع النرويجى يدخل فيه ثلاثة نرويجيون وأمريكى ومصرى واسترالى. وهذا المشروع الفائز يجعل تصميم المكتبة على شكل قرص الشمس الغارب فى الماء ويجعل سطح المكتبة كلاً واحداً منحدراً متدرجاً بمناسيب محددة بحيث يتمتع المبنى كله بضوء النهار ويمكن لمن يقف على حافة القرص المنحدر أن يرى جميع جوانب المبنى. وسطح المكتبة كله من الزجاج وجدار المكتبة المنخفض جداً من ناحية البحر والمرتفع جداً من ناحية المجمع النظرى لجامعة الإسكندرية، أصم ليست به فتحات أو نوافذ بأى حال من الأحوال ويكسى هذا الجدار بنقوش هيروغليفية وحروف الأبجديات المختلفة. ويعكس التصميم الخارجى هذا شكل التصميم الداخلى حيث نجده عبارة عن مستويات متعاقبة فى الارتفاع تقوم على أعمدة هى الأخرى متعاقبة الارتفاع بنفس القدر وبحيث يكشف كل صف من الأعمدة عن بداية طابق جديد من الناحية النظرية فقط لأنه من الناحية العملية لا توجد طوابق فعلاً. وإذا كانت المكتبة كلها تتمتع بضوء الشمس نهاراً فإنها ليلاً تضاء من سقف واحد.

وكانت لجنة التحكيم التى شكلتها الجهات الراعية الثلاث للمشروع (مصر - اليونسكو - برنامج الأمم المتحدة للتنمية)، قد وضعت مجموعة من المعايير لاختيار المشروع الفائز ومن بين تلك المعايير:

أ - علاقة التصميم المعمارى بالصورة العامة للمدينة والموقع المحدد للمكتبة.

ب - انسجام التصميم مع الموقع والبيئة المحيطة به.

ج - الشكل والطراز المعمارى للمبنى عندما يقام.

د - التصميم الوظيفى العام.

هـ - الإمكانية الاقتصادية لتنفيذ التصميم.

و ـ المكونات الرمزية للمبنى من الداخل.

لقد كان هناك تفكير فى أن يكون تصميم المكتبة الجديدة على غرار شكل مبنى المكتبة القديمة التى بنيت فى القرن الثالث قبل الميلاد ولكن أثيرت عدة مشاكل أمام هذا النوع من التفكير من بينها أنه لم يصلنا أى تصميم متكامل للمكتبة القديمة وكل ما لدينا مجرد تخمينات وقياسات، كما أن تصميم المكتبة القديمة كان يتمشى بالضرورة مع الطراز المعمارى السائد فى مدينة الإسكندرية وربما سائر المدن الجديدة فى عموم الإمبراطورية. ومن هنا كان لابد من أن يأتى تصميم المكتبة الجديدة مراعياً لظروف الوقت الذى تقوم فيه وظروف المكان الذى تنشأ فيه؛ وفى نفس الوقت يكون تصميمًا فريداً جديداً فذًا بين أقرانه من تصميمات المكتبات العالمية فى زماننا.

ورغم فوز المشروع النرويجى فى المسابقة إلا أنه كانت هناك بالضرورة بعض الانتقادات الموجهة له وهو أمر طبيعى ولذلك قامت الشعبة القومية لليونسكو فى مصر بعقد ندوة قومية عن مشروع إحياء المكتبة فى فندق فلسطين بالإسكندرية وذلك لمناقشة المشروع الفائز والنظر فى الانتقادات الموجهة له. وقد ضمت الندوة نخبة من كبار أساتذة العمارة والهندسة المدنية فى الجامعات المصرية والهيئات والمؤسسات المعنية ببحوث البناء والإسكان والتخطيط. وحضر أيضاً لفيف من الخبراء فى العمارة والهندسة المدنية، وكان لابد من تواجد ممثلين عن منظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية والاتحاد الدولى للمعماريين. ولقد قام الحاضرون على مدى عشر ساعات بإبداء آرائهم ومناقشة المشروع الفائز وكانت الملاحظات تدور أساسًا حول الجوانب الإنشائية والمعمارية والتخطيط الحضرى وعلاقة التصميم بالمواقع المحيطة والبيئة الحضرية. وقد أبدى الفريق النرويجى استعداده التام لأخذ تلك الملاحظات فى الاعتبار عند التنفيذ الفعلى للمبنى.

وحتى يناير ٢٠٠١ لم يكن قد تم من المبنى سوى الهيكل الخرسانى فقط وعلى الجدران من الخارج بدأت الرسومات الفرعونية والكتابات الهيروغليفية وأبجديات الشعوب المختلفة فى الظهور على تلك الجدران الصماء المرتفعة المطلة على شارع بورسعيد فى مواجهة المجمع النظرى لجامعة الاسكندرية. وفى خلال شهور قليلة تم الانتهاء من التشطيب الداخلى ووضعت الرفوف ورتبت عليها بعض الكتب والدوريات واتخذت سيماء المكتبة وافتتحت افتتاحا تجريبيًا فى الأسبوع الأول من اكتوبر ٢٠٠١.

ونحن لا نستطيع والحالة هذه أن نقدم أية معلومات عن التنظيم الداخلى أو التصميم الداخلى وتوزيع الأقسام والإدارات والشعب على المبنى من الداخل وكل ما نملكه تصور مبدئى للهيكل التنظيمى للمكتبة قد ينفذ بعد الافتتاح أو قد يظهر أنه غير قابل للتنفيذ.

ينقسم التنظيم الداخلى إلى قطاعين كبيرين هما قطاع الخدمات العامة وقطاع المرافق الداخلية. وتحت كل قطاع نصادف عدداً من الإدارات. تحت الخدمات العامة نجد:

١ ـ إدارة الأنشطة الثقافية.

٢ ـ إدارة مجموعات الكتب والدوريات.

٣ ـ إدارة المجموعات الخاصة.

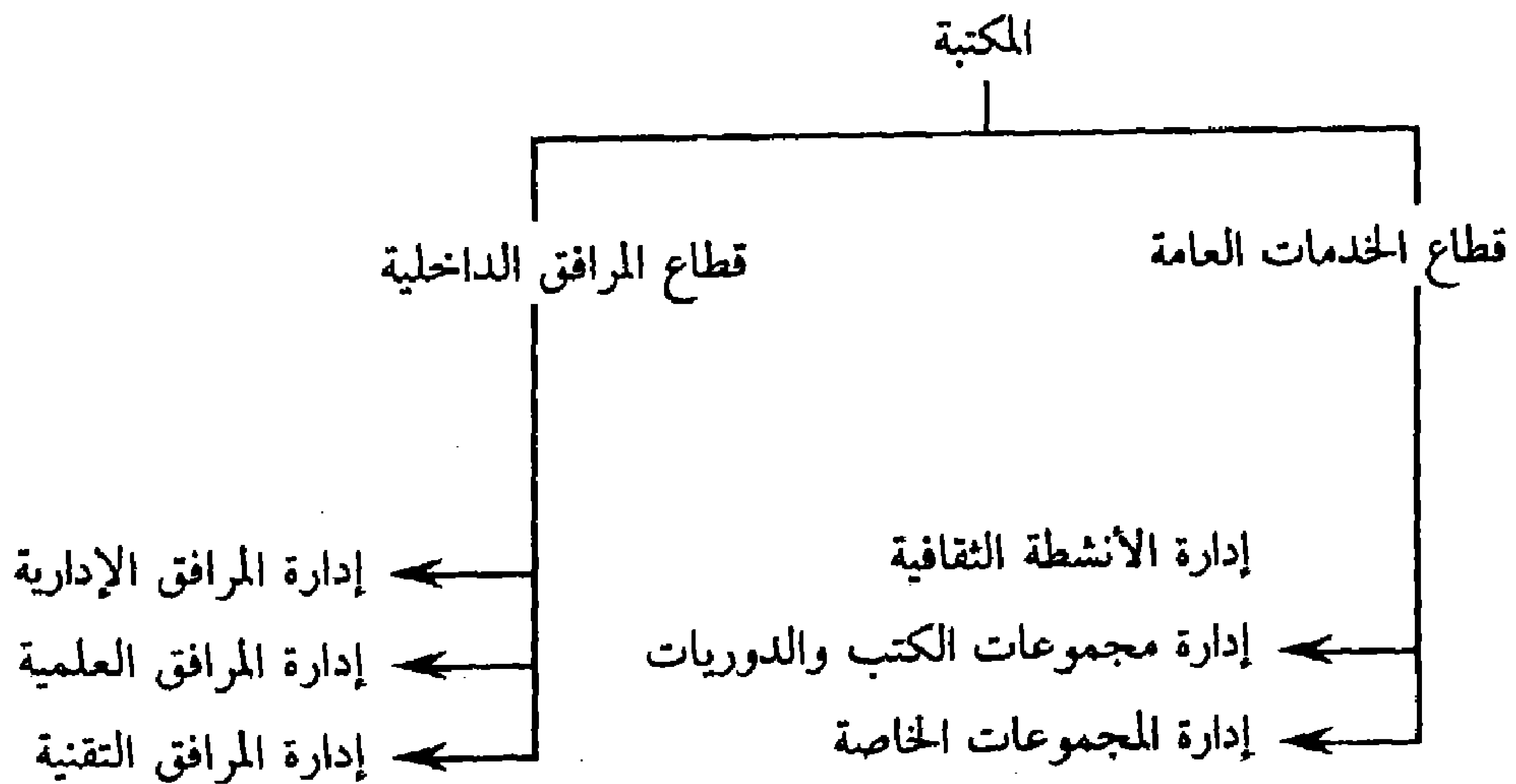
وتحت المرافق الداخلية نجد:

١ ـ إدارة المرافق الإدارية.

٢ ـ إدارة المرافق العلمية.

٣ ـ إدارة المرافق التقنية.

ويمكن تصوير هذا التنظيم فى الشكل الآتى:



ومن الجدير بالذكر أن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية سوف تضم أيضاً معهداً لتعليم علوم المكتبات والمعلومات ويظهر فى أوراق الهيئة تحت تسمية «المدرسة الدولية لعلم المعلومات». وكان المفروض أن تفتتح المدرسة منذ بداية المشروع فى نحو سنة ١٩٩٢/ ١٩٩٣ ولكن رغم وضع مقررات المدرسة وتصور أسلوب الدراسة والتدريس والمستوى الأكاديمى إلا أنه لم تتخذ أية خطوات عملية فى هذا الاتجاه لأسباب نفسية وإدارية.

وإذا عدنا للهيكل التنظيمى للمكتبة، سوف نجد أن إدارة الأنشطة الثقافية يقصد بها أن تقوم بدور العلاقات العامة والدعوة المكتبية وجذب الجمهور القارىء إلى المكتبة ومن الأنشطة المقررة لهذه الإدارة إقامة معارض الكتب والأجهزة والمواد المكتبية المختلفة سواء الدائمة أو المؤقتة؛ وتنظيم المناسبات المختلفة مثل الحفلات الموسيقية والمحاضرات الثقافية والندوات والمؤتمرات... ونجد فى أوراق المكتبة أن هذه الإدارة سوف تنطلق فى أنشطتها من قاعة فسيحة أو داخل مبنى مركز المؤتمرات، حيث تذكر الأوراق أن أحد منافذ قاعة بطليموس سيفضى إلى المكتبة الرئيسية عبر ممر واحد مراقب يطل على قاعة كاليماخوس. وتذكر أوراق المكتبة أيضاً أن المبنى سوف يضم متحفًا للخطوط ومواد الكتابة وتاريخ العلوم ومتجرًا لبيع الكتب والأدوات والقرطاسية كما قامت بالفعل خارج مبنى المكتبة القبة السماوية على غرار الجناح أو المرصد الفلكى فى المكتبة القديمة.

وفيما يتعلق بإدارة مجموعات الكتب والدوريات تذكر أوراق المكتبة أنه سوف تخصص فى بهو المكتبة مساحة مركزية للفهارس وقواعد البيانات الببليوجرافية والإعارة والاستعلامات. وحول هذه المساحة تقسم مجموعات الكتب والدوريات إلى خمسة أركان (أقسام) على النحو الآتى:

١ ـ المراجع عامة ومتخصصة.

٢ ـ الجغرافيا والتاريخ والآثار والتراجم.

٣ ـ العلوم الاجتماعية والفنون وتاريخ العلم.

٤ ـ اللغات والآداب.

٥ ـ العلوم البحتة والتطبيقية (التكنولوجيا).

أما إدارة المجموعات الخاصة فإنها سوف تختص بالمواد خارج الكتب والدوريات وقد حددت مبدئيًا على أنها تقع فى الفئات الأربعة الآتية:

أ ـ المواد السمعية البصرية والإلكترونية وأجهزة استعمالها.

ب ـ المخطوطات والكتب النادرة أى أوائل المطبوعات، والوثائق ذات القيمة.

ج ـ الخرائط بكل أنواعها وفئاتها: جغرافية على اتساعها وجيولوجية وآثارية وغيرها.

د ـ الموسيقى سواء القطع المسجلة أو المدونات (النوتات) الموسيقية نفسها.

وعندما نعود إلى تقسيم قطاع المرافق الداخلية فسوف نجد فيه ثلاث إدارات تختص إحداها بالشئون الإدارية: السكرتارية، الموظفون، الاتصالات والنقل، الشئون المالية. أما إدارة المرافق العلمية فإنها تعنى كما تشير أوراق المكتبة بأعمال الاقتناء والتزويد والفهرسة والتصنيف والتحسيب الآلى، أى أنها تضم فيما نقول أقسام الإعداد الفنى وبناء مجموعات المكتبة. وإدارة المرافق التقنية تقوم بنوعين من الأعمال: تجليد وصيانة المجموعات وترميمها وصيانة الآلات والأجهزة وإعدادها للتشغيل؛ كافة الأعمال المتعلقة بالمبنى نفسه من صيانة إلى نظافة إلى أمن إلى إحلال...

ولم نقف حتى الآن على موقع تلك الإدارات والأقسام على خريطة التنظيم الإدارى والتوزيع على المبنى، هل ستكون فى مركز المؤتمرات أم داخل مبنى المكتبة نفسه؟

هوية المكتبة والمجموعات

وضع تصميم المبنى فى المساحة المحددة له على أساس أن يتسع لأربعة ملايين مجلد، على أن تفتتح المكتبة بمائتى ألف مجلد كتب وألف وخمسمائة دورية، على أن تنمو المجموعات مع السنوات حتى تكتظ المكتبة عن آخرها بالملايين الأربعة من

المجلدات كأقصى طاقة مقدرة لها. ويجب أن نلاحظ أنه لا توجد أية فرصة للمكتبة كي تتوسع مستقبلاً إلا إذا استولت على مبنى المستشفى المجاور لها وهدم المستشفى ونقل إلى مكان آخر أو استولت على مبانى المجمع النظرى للجامعة فالبحر من أمامها والمجمع النظرى من خلفها والمستشفى من يمينها وشارع سوتير من يسارها.

والمشكلة الكبرى التى واجهت المسئولين واللجنة التنفيذية الدولية عند التفكير فى إقامة المكتبة هى تحديد هوية أو شخصية المكتبة وتأطير هذه الهوية وتنظيرها، أو بمعنى آخر تسكين هذه المكتبة داخل فئة من الفئات المعروفة للمكتبات، وتحديد أهداف معينة تسعى المكتبة إلى تحقيقها؛ ولما لجأ المسئولون إلى حل حاسم لهذه المشكلة وتحديد قاطع لهوية المكتبة اتفقوا على ترك هذه القضية ولتقم المكتبة أولاً ثم تكون لنفسها هوية وقد انعكس ذلك كأوضح ما يكون على القرار الجمهورى الذى صدر بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية حيث يقول ذلك القرار فى مواده الثلاثة الأولى:

١ ـ تنشأ هيئة عامة تسمى الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها مدينة الإسكندرية وتتبع وزير التعليم (العالى).

٢ ـ تهدف الهيئة إلى تنفيذ وإدارة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكون مكتبة عالمية ومركزًا للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى وتحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى فى أية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن إجراء الدراسات المتصلة بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ولمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

ومن الواضح أن هذه المادة الثانية من القرار الجمهورى قد صيغت صياغة فضفاضة أقرب ما تكون إلى الخطب المنبرية بحيث لا يمكن تكوين هوية للمكتبة بناء عليها ويمكن تحليل عناصر هذه المادة على النحو التالى:

أ ـ مكتبة عالمية.

ب ـ مركز للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى.

ج ـ تحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى بجميع صوره من كل الحضارات القديمة والحديثة، بجميع اللغات.

د ـ إجراء الدراسات المتصلة بتاريخ وجغرافية وثقافة مصر والشرق الأوسط عموماً ومدينة الإسكندرية خاصة.

وإذا نظرنا فى أى من هذه العناصر فإن المكتبة بتصميمها وظروفها التى وضعت فيها لا يمكن بحال من الأحوال أن تفى به وحيث لا يمكن أن تكون عالمية تجمع كل ما أنتجه العقل البشرى بكل صوره فى كل العصور وبجميع اللغات. ذلك أنه فى العام الواحد ينتج العقل البشرى:

مليون كتاب (يضاف إليها ما يقرب من ٣ مليون تقرير علمى ذات نشر محدود).

نصف مليون دورية (بصرف النظر عن الأعداد السنوية لكل دورية).

٢ مليون مصغر فيلمى.

٢ مليون مادة سمعية بصرية.

١٥٠,٠٠٠ ملف حاسبات آلية.

٥٠,٠٠٠ قرص ليزر.

وعدد اللغات التى يصدر بها هذا الإنتاج يصل تعسفياً إلى ٣٠٠ لغة (من أصل أربعة آلاف لغة يتكلمها سكان العالم).

ومن هذه الحسبة البسيطة فإن المكتبة لو حرصت على هذا الكل فسوف تمتلىء عن آخرها فى ثلاث سنوات فقط.

وكما جاءت المادة الثانية فضفاضة إعلامية أكثر منها علمية فقد جاءت المادة الثالثة من نفس القرار فضفاضة واسعة دعائية تقصر عن الوفاء بها ظروف المكتبة وإمكانياتها على النحو الذى سردناه سابقاً.

تقول المادة الثالثة بأن للهيئة فى سبيل تحقيق أغراضها مباشرة جميع الأعمال المتصلة بأنشطتها ولها على الأخص ما يأتى:

١ ـ الحصول على ما هو متاح من الكتب والدوريات والمخطوطات أو مصوراتها بأنواعها المختلفة خاصة مماله صلة بالتراث العلمى والفكرى للبلاد الكائنة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

٢ ـ الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع كل المنشورات البردية والنقوش الكتابية فى اللغات المختلفة سواء المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية أو الآرامية أو القبطية أو العربية أو غيرها.

٣ ـ الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تضم الإنجازات الفكرية للعالم الإسلامى.

٤ ـ تكوين مجموعات خاصة بالدراسات الأفريقية تضم جميع المنشورات المشتملة على النقوش التقليدية وكذلك الدراسات العلمية الحديثة التى تتناول شئون القارة الأفريقية.

٥ ـ الحصول على جميع الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم وخصوصًا تاريخ منطقة الشرق الأوسط.

٦ ـ الحصول على جميع الدراسات الخاصة بتاريخ الطب والعلوم الأخرى المختلفة وإنجازات الحركة العلمية الحديثة.

٧ ـ إنشاء معهد عالى دولى للمكتبات أو غيره من معاهد أو مراكز البحوث والدراسات.

٨ ـ إنشاء قاعات لعرض القبة السماوية ولعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها وقاعات للموسيقى.

٩ ـ إنشاء قاعة لتخليد الأعلام من رجال الفكر والعلم فى التاريخ الإنسانى.

١٠ ـ إنشاء مكتبات للاسطوانات والأفلام وأرشيف للصور والشرائح التصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة.

١١ ـ إعداد شبكة إلكترونية لتبادل المعلومات مع مكتبات العالم والجهات الخارجية.

١٢ ـ إعداد فهارس متكاملة بالكمبيوتر فى شتى مجالات أنشطة الهيئة.

١٣ ـ إنشاء مركز للوثائق والإحصاء.

١٤ ـ إنشاء مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية والعبرية وغيرها ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية.

١٥ ـ إنشاء ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعها المختلفة.

كان المفروض أن تفتتح المكتبة فى يوليو ١٩٩٥ حسب الخطة المرسومة لها والتى يشملها الجدول المعلن من قبلها بمائتى ألف كتاب وألف وخمسمائة دورية ولكن بما أنه قد انقضى ذلك الأجل بخمس سنوات ولم تفتتح المكتبة فإننا نتوقع أن يكون رصيد المكتبة الآن قد وصل إلى ٤٠٠,٠٠٠ كتاب و٣٠٠٠ دورية ولكن الحقيقة ورغم تكتم إدارتها عدد الكتب التى تم اقتناؤها وإعدادها، وعدد الدوريات فإن المكتبة لم تجمع حتى الآن مائة ألف مجلد وألف دورية، ولأننا لا نعرف متى تفتتح المكتبة حتى الافتتاح المبدئى التجريبى فإن ما جمع من كتب ودوريات هو أقل بكثير مما قدر له.

وهناك أسباب ونتائج فى نفس الوقت لهذا التباطؤ فى جمع المقتنيات، ومن الأسباب الرئيسية عدم وجود تحديد قاطع لهوية المكتبة وبالتالى عدم تحديد من سوف تخدمهم المكتبة وبالتالى عدم وجود سياسة للاقتناء، سياسة واضحة ومحددة وإذا كان القرار الجمهورى قد جاء واسعًا فى أهدافه فكان أجدر بإدارة المكتبة أن تضع لائحة داخلية تصوغ فيها أهدافها بدقة وتحدد هويتها بوضوح وترسم سياسة التزويد حسب الظروف والإمكانيات والهوية ولكن ذلك كله لم يحدث فحدثت عشوائية التزويد وبناء المجموعات. إن السبب الرئيسى فى هذا الأمر كله هو عدم وجود متخصصين فى المكتبات والمعلومات وبالتالى ترك الأمر برمته إلى الهواة وغير المتخصصين.

ولقد طالب الدكتور عبد اللطيف إبراهيم أستاذ الوثائق فى كلية الآداب ـ جامعة القاهرة فى نشرة مكتبة الإسكندرية عدد يونية ١٩٩٢ بنقل المخطوطات وأوائل

المطبوعات الموجود فى مكتبة بلدية الإسكندرية (مكتبة محافظة الإسكندرية الآن) إلى مكتبة الإسكندرية. وبالفعل تم نقل مجموعة المخطوطات إلى المكتبة الجديدة وقد تم ترميمها وصيانتها من التلف فى المعمل الذى قدمته إيطاليا هدية للمكتبة الجديدة كما جرى إعداد قاعدة بيانات ببليوجرافية لتلك المخطوطات التى تقترب من خمسة آلاف مخطوط. وسوف تتلو هذه الخطوة خطوات أخرى للحصول على المخطوطات وأوائل المطبوعات المبعثرة فى أنحاء متفرقة من محافظة الإسكندرية مثل مخطوطات مسجد المرسى أبو العباس وغيره.

إن غياب تحديد هوية المكتبة يؤثر حتماً فى مسيرتها ولابد بادىء ذى بدء وقبل أن يستفحل الأمر من أن نقف وقفة علمية ونسأل أنفسنا سؤالاً مؤداه ماذا نريد لمكتبة الإسكندرية أن تكون:

هل نريدها مكتبة عالمية؟

هل نريدها مكتبة وطنية ثانية لمصر؟

هل نريدها مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية؟

هل نريدها مكتبة بحث متخصصة؟ وفى أى مجال؟

هل نريدها مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية؟

بالنسبة للسؤال الأول وقد أجبنا عليه من قبل بالاستحالة ومن ثم بالنفى، ونضيف هنا أنه لا توجد سوى مكتبة واحدة فى العالم يمكنها الادعاء بالعالمية وهى مكتبة الكونجرس التى أنشئت سنة ١٨٠٠م وقد وصلت مقتنياتها فى نهاية القرن العشرين إلى نحو ١٢٠ مليون قطعة ويعمل بها ستة آلاف موظف وتبلغ ميزانيتها الآن نحو نصف مليار دولار ولها مكاتب فى أنحاء متفرقة من العالم لجلب مصادر المعلومات لها من تلك الأنحاء، وتتمتع بالإيداع القانونى. هذه المكتبة يدخلها كل صباح نحو ٢٠,٠٠٠ قطعة بمعدل سبعة ملايين قطعة فى السنة ومع كل هذه الضخامة فى كل شىء إلا أن المكتبة لم تقل فى يوم من الأيام أنها تجمع كل، لأن هذا الكل مستحيل، وربما تستخدم المكتبة كلمة (جل) أو (معظم) أو (أهم).

ورغم ضخامة وإمكانيات المكتبة البريطانية، والمكتبة الوطنية الفرنسية، ومكتبة لينين فى روسيا ومكتبة الدايت فى اليابان فإن أياً منها لم يجرؤ على تحديد كلمة الكل أو كلمة العالمية هدفاً له يسعى إليه.

وبالنسبة للسؤال الثانى (مكتبة وطنية ثانية لمصر) نقول بأن لمعظم دول العالم مكتبة أم تعرف بالمكتبة الوطنية هذه المكتبة الوطنية تسعى إلى:

١ - جمع كل الإنتاج الفكرى الوطنى بكل صوره وأشكاله ولغاته ومستوياته ويساعدها فى هذا الصدد قانون أو تشريع يصدر لها يعرف بقانون الإيداع.

٢ - جمع عيون الإنتاج الفكرى الأجنبى أى أهم ما فيه وتحدد كل مكتبة الدوائر التى تدور فيها عملية اقتناء هذا الفكر الأجنبى من حيث العدد والشكل والموضوع والمستوى.

٣ - إصدار الببليوجرافية الوطنية التى تحصر وتسجل وتصف الإنتاج الفكرى الوطنى.

ولظروف خاصة قد يكون فى الدولة الواحدة أكثر من مكتبة وطنية واحدة إما على أساس جغرافى أو أساس موضوعى أو أساس شكلى. كأن ترغب الدولة أن يكون هناك مكتبة وطنية فى مناطق مختلفة بها حتى لا يضطر المواطنون إلى الارتحال للعاصمة لاستخدام المكتبة الوطنية الوحيدة بها، كذلك قد ترغب الدولة فى تخفيف العبء على المكتبة الوطنية الواحدة فتقسم هذا العبء موضوعياً على أكثر من مكتبة أو تقسمه شكليًا على أكثر من واحدة. تعدد المكتبات الوطنية على أسس مدروسة فى البلد الواحد قائم ومعمول به. ومن هنا فإن مكتبة الإسكندرية يمكن أن تصبح مكتبة وطنية ثانية لمصر بعد دار الكتب المصرية التى أنشئت سنة ١٨٧٠م، ونجد فى مكتبة بلدية الإسكندرية بذرة هذا الاتجاه حيث أنشئت تلك المكتبة فى نهاية القرن التاسع عشر بعد دار الكتب المصرية وكانت تتمتع بالإيداع القانونى حيث تحصل على نسخة من كل ما ينشر من إنتاج فكرى مصرى طبقًا لأحكام القانون ٢٠ لسنة ١٩٣٦. فإذا أصبحت مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة وطنية لشمال الدلتا فإنها يمكن أن تستوعب

مكتبة البلدية ومن ثم تستوعب قرنًا كاملاً من الإنتاج الفكرى والمقتنيات وتتمتع بالإيداع القانونى وهو أمر سهل الوصول إليه وتحقيقه.

أما بالنسبة للسؤال الثالث وهو (مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية) فقد كانت هذه هى الصيغة المطروحة لمكتبة الإسكندرية طالما كان المشروع فى حوزة جامعة الإسكندرية أما بعد أن سحب من الجامعة وأعطى الصبغة الوطنية فإنه لم يعد فى الإمكان طرح هذه الصيغة مرة ثانية لأن المشروع أصبح أكبر بكثير من أن يكون مجرد مكتبة جامعة تخدم مناهج دراسية محددة ومجتمعًا أكاديمياً محدودًا بل وميزانية محدودة تقصر عن الوفاء بالتزامات مكتبة كبيرة بهذا الشكل. ومن المعروف أن جامعة الإسكندرية قد صفَّت مكتبة الجامعة التى كانت تضم مجموعات الكتب ونقلت مجموعة المخطوطات والخرائط والكتب النادرة إلى ما يعرف بالمكتبة العلمية (الدوريات + المصغرات الفيلمية) والاعتماد الرئيسى الآن هو على مكتبات. الكليات وتعويضاً لجامعة الإسكندرية عن سحب المشروع وإعطائه الصبغة الوطنية قررت المادة السادسة من القرار الجمهورى أن تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علميًا وأكاديمياً وفقًا للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة. وطبقا لهذه المادة فإن الدعم يأتى من جانب الجامعة وليس العكس، إلا أنه من المفهوم لدى إدارة المكتبة أن توضع احتياجات الجامعة من الكتب وغيرها من المواد المكتبية موضع الاعتبار عند تزويد المكتبة بالمصادر كذلك فإنه من المقرر مد جسر أى كوبرى علوى بين المكتبة والمجمع النظرى للجامعة عبر شارع بورسعيد. ومن هذا المنطلق فإن السؤال المطروح بجعل المكتبة مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية لا مكان له وقد نبذ جانبًا الآن.

أما السؤال الرابع (مكتبة بحث متخصصة وفى أى مجال) فقد لقى ارتياحًا عامًا لأنه أقرب إلى طبيعة المكتبة القديمة، التى كانت عبارة عن أكاديمية أو مركز معلومات يخدم الموسيون. ومن المعروف فى زماننا الآن أن المكتبة المتخصصة لابد وأن تقتصر على مجال محدد تتعمق التجميع فيه وتخدم الباحثين والعلماء فى هذا المجال فأى المجالات ترى تصلح لكى تتخصص فيه المكتبة الجديدة. إن مكتبة مثل مكتبة

الكونجرس أو المكتبة البريطانية أو الفرنسية قد غطت وبتعمق جميع فروع المعرفة البشرية ومن فترة طويلة تمتد عبر قرون فهل تجد مكتبة الإسكندرية مجالاً تنافس فيه وتثبت وجودها وتبز فيه المكتبات القائمة الراسخة سواء الوطنية أو الجامعية أو المتخصصة.

لقد رأى كل من الدكتور لويس عوض والدكتور محمد محمد أمان أن تتخصص المكتبة فى كل ما له علاقة بحوض البحر الأبيض المتوسط من جغرافيا إلى تاريخ إلى فلسفة إلى اجتماع إلى كيمياء وطبيعة وأدب ولغة... منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا. ومن هنا تتحول المكتبة فعلاً إلى مركز بحوث ودراسات متخصصة فى هذا المجال ويمكنها أن تنافس فيه وتحافظ فعلاً على الصبغة العالمية وتنشد فى نفس الوقت مساعدة دول حوض البحر الأبيض المتوسط كله، خاصة وأن هناك برامج للتعاون بين تلك الدول فعلاً سواء على مستوى الدول أو على مستوى المؤسسات كالجامعات مثلاً. ويطور الدكتور لويس عوض اقتراحه هذا باقتراح آخر يدعو فيه إلى إنشاء معهد علمى ينشأ بين أحضان المكتبة على مستوى الدراسات العليا يمنح درجة الدكتوراه فى دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط.

أما بالنسبة للسؤال الخامس (مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية)، فإن طرح صيغة المكتبة العامة يتطلب منا بادىء ذى بدء أن نضع أيدينا على خصائص المكتبة العامة، حيث هى:

١ ـ تفتح أبوابها وتقدم خدماتها لجميع طوائف الشعب دون تمييز بين سن وسن وطبقة وأخرى وبين جنس وجنس ودين ودين ومستوى تعليمى وآخر.

٢ ـ تجمع مصادر المعلومات فى جميع فروع المعرفة البشرية ومن كل الأشكال (كتب ـ دوريات ـ مواد سمعية بصرية ـ مصغرات فيلمية ـ ملفات الحاسب الآلى ـ أقراص الليزر ـ الوثائق)، وبمستويات المعالجة المختلفة.

٣ ـ أنها تقدم خدماتها بالمجان وبدون أى مقابل، حيث هى خدمة عامة للشعب.

٤ ـ أنه لا إكراه ولا إجبار على ارتياد المكتبة العامة.

ومن هذه الخصائص نجد أن المكتبة العامة هى عمل محلى بحت ومن غير المقبول

أن نطلب مساعدات دولية لإنشاء مكتبة عامة، ومن جهة ثانية لا يوجد فى العالم مكتبات عامة مليونية إلا فى حالتين فقط هما مكتبة نيويورك العامة ومكتبة بوسطن العامة فى الولايات المتحدة. ومن ثم فإن تحويل مشروع عالمى مثل مكتبة الإسكندرية إلى مجرد مكتبة عامة قد يكون أمرًا مرفوضًا على المستوى المهنى وعلى المستوى العالمى. ولذلك ينصح الخبراء بإبقاء مكتبة بلدية الإسكندرية كمكتبة عامة وعدم المجازفة والمخاطرة بتحويل المكتبة الجديدة إلى مكتبة عامة.

من هذه المنطلقات جميعاً فإن الصيغتين المقبولتين لهوية مكتبة الإسكندرية الجديدة هما: إما مكتبة وطنية لشمال الدلتا وإما مكتبة بحوث متخصصة فى دراسات حوض البحر المتوسط. وفى كلتا الحالتين فإن الصبغة البحثية ستكون من نصيب هذه المكتبة. والذين يرون أن تصبح مكتبة وطنية لشمال الدلتا يحبذون فى الوقت ذاته إنشاء مكتبة وطنية ثالثة فى جنوب الوادى وبالتالى يصبح لدينا ثلاث مكتبات وطنية لتغطية مصر كلها: دار الكتب المصرية بالقاهرة؛ مكتبة الإسكندرية الجديدة؛ مكتبة جنوب الوادى ويقترحون لها مدينة سوهاج على أن مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى نواة لها بما فيها من مقتنيات رائعة مخطوطة ومطبوعة.

ومن جانبى فإننى أميل إلى الرأى القائل بجعل مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة بحوث متخصصة فى دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط حيث يمكنها المنافسة فيه وشق طريقها إليه.

فإذا حددت هوية المكتبة على أى نحو من النحوين السابقين فإن من السهل بعد ذلك رسم سياسة التزويد بمنتهى الاطمئنان والتحديد ومن ثم يمكن تشكيل أنواع الخدمات التى تقدمها المكتبة ونوع المستفيدين الذين يفيدون من تلك الخدمات.

ولقد بلور الرئيس حسنى مبارك فى خطبته فى ختام الاحتفال بصدور إعلان أسوان التاريخى العالمى فى ١٢ من فبراير ١٩٩٠ هذا المعنى حين قال:

«نرجو أن تضم مكتبة الإسكندرية الأكاديمية كل الوثائق والموسوعات والمؤلفات القديمة والحديثة التى تتصل بمصر وحوض البحر المتوسط وإفريقيا والشرق الأوسط

مع الاهتمام بصفة خاصة بالإسكندرية».

افتتاح المكتبة الجديدة

كان إعلان أسوان سنة ١٩٩٠ قد حدد موعدا لافتتاح المكتبة يوليو سنة ١٩٩٥ ولكن هذا الموعد تأجل عدة مرات إلى أن حسمت السيدة الفاضلة سوزان مبارك راعية المشروع هذا الأمر بتحديد الثالث والعشرين سنة ٢٠٠٢ وهو اليوم العالمى للكتاب؛ وقد تم الافتتاح التجريبى للمكتبة فى مطلع شهر اكتوبر سنة ٢٠٠١ وعلى مدى ستة شهور بين الافتتاح التجريبى والافتتاح الرسمى تبين لإدارة المكتبة كثير من الثغرات التى سارعت إلى سدها وتعديل مسارها، وعلى مدى تلك الشهور فتحت المكتبة ليس فقط للاستخدام الفعلى وإنما أيضا أمام وفود الزوار الذين جاءوا من كل حدب وصوب لزيارة المكتبة وتفقد أرجائها.

وسوف يتم الافتتاح الرسمى للمكتبة فى احتفال دولى يحضره نحو سبقعين من رؤساء وملوك وسلاطين الدول؛ كما يحضره عدد محدود من الشخصيات العامة المصرية والعربية والأجنبية.

ولسوف تستمر الاحتفالات الرسمية لمدة ثلاثة أيام، والاحتفالات الاعتيادية لجمهور القراء. وبعد عدة أعوام يمكن النظر فى أمر المكتبة والحكم عليها.

بعد الانتهاء من مراسيم افتتاح المكتبة فإننى أدعو إدارة المكتبة وبحرارة شديدة إلى أن تجمع كل وثائق المكتبة من كل مكان منذ أن كانت فكرة فى ذهن الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى وحتى الآن واستنساخها ووضعها تحت تصرف الباحثين والدارسين والمؤرخين من جيلنا والأجيال المقبلة حتى يري الجميع الجهد الذى بذل فى صنع هذا الصرح الفكرى العظيم.

وبسبب الأحداث الدامية التى شهدتها أرض فلسطين من اجتياح إسرائيلى غاشم؛ والذى بدأ مع مطلع شهر إبريل ٢٠٠٢ أعلن السيد الرئيس حسنى مبارك تأجيل الافتتاح الرسمى للمكتبة وبعد فترة استقر الموعد الجديد بالسادس عشر من اكتوبر سنة ٢٠٠٢.

مكتبة الاسكندرية الجديدة

الملاحق

ملحق (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية
رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨
بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

رئيس الجمهورية:

بعد الاطلاع على الدستور، وعلى القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٣م بإصدار قانون الهيئات العامة، وعلى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢م بشأن تنظيم الجامعات، وعلى القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٢م بشأن الموازنة العامة للدولة، وعلى القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨١م بشأن المحاسبة الحكومية وعلى القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعليم. وعلى قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣٦٩ لسنة ١٩٨٧م بتشكيل لجنة قومية عليا لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، وبعد موافقة مجلس الوزراء، وبناء على ما ارتآه مجلس الدولة، قرر:

مادة ١:

تنشأ هيئة عامة تسمى: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية: تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها مدينة الإسكندرية وتتبع وزير التعليم.

مادة ٢:

تهدف الهيئة إلى تنفيذ وإدارة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكوين مكتبة عالمية ومركز للإشعاع الثقافى والفكرى فى خدمة البحث العلمى وتحتوى على كل ما أنتجه العقل البشرى فى أية صورة متاحة فى شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن إجراء الدراسات المتصلة بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة

والمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

مادة ٣:

للهيئة فى سبيل تحقيق أغراضها مباشرة جميع الأعمال المتصلة بأنشطتها ولها على الأخص ما يأتى:

١ - الحصول على كل ما هو متاح من الكتب والدوريات والمخطوطات أو مصوراتها بأنواعها المختلفة، خاصة مما له صلة بالتراث العلمى والثقافى والفكرى للبلاد الكائنة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

٢ - الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع كل المنشورات البردية والنقوش الكتابية فى اللغات المختلفة سواء المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية أو الآرامية أو القبطية أو العربية أو غيرها.

٣ - الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تمثل الإنجازات الفكرية للعالم الإسلامى.

٤ - تكوين مجموعات خاصة بالدراسات الأفريقية تضم جميع المنشورات المشتملة على النقوش التقليدية وكذلك الدراسات العلمية الحديثة التى تتناول شئون القارة الأفريقية.

٥ - الحصول على جميع الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم وخصوصًا تاريخ منطقة الشرق الأوسط.

٦ - الحصول على جميع الدراسات الخاصة بتاريخ الطب والعلوم الأخرى المختلفة وإنجازات الحركة العلمية الحديثة.

٧ - إنشاء معهد عالى دولى للمكتبات أو غيره من معاهد أو مراكز البحوث والدراسات.

٨ - إنشاء قاعات لعرض القبة السماوية ولعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها

وقاعات للموسيقى.

٩ ـ إنشاء قاعة لتخليد الأعلام من رجال الفكر والعلم فى التاريخ الإنسانى.

١٠ ـ إنشاء مكتبات للإسطوانات والأفلام وأرشيف للصور والشرائح التصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة.

١١ ـ إعداد شبكة إلكترونية لتبادل المعلومات مع مكتبات العالم والجهات الخارجية.

١٢ ـ إعداد فهارس متكاملة بالكمبيوتر فى شتى مجالات أنشطة الهيئة.

١٣ ـ إنشاء مركز للوثائق والإحصاء.

١٤ ـ إنشاء مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية العبرية وغيرها ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية.

١٥ ـ إنشاء ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعها المختلفة.

مادة ٤:

يُشكل مجلس إدارة الهيئة من مجلس الوزراء على الوجه الآتى:

- وزير التعليم (العالى) رئيسًا.
- رئيس جامعة الإسكندرية نائباً للرئيس.
- محافظ الإسكندرية أو من ينيبه.
- ثلاثة من الأساتذة بجامعة الإسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- ممثل لكل من وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والتعليم العالى والتربية والتعليم والخارجية يختارهم الوزراء المختصون، أعضاء.
- عدد لا يجاوز خمسة من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة فى مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

ـ مدير الهيئة.

ولمجلس الإدارة أن يشكل لجانًا من أعضائه للقيام بدراسات أو أبحاث أو مهام معينة، وله أن يعهد إليها ببعض اختصاصاته، وللمجلس أن يفوض مدير الهيئة فى القيام بمهمة محددة. وتحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء المكافآت التى تصرف لأعضاء مجلس الإدارة.

مادة ٥:

مجلس إدارة الهيئة هو السلطة المهيمنة على شئونها وتصريف أمورها وإقرار السياسة التى تسير عليها وله أن يصدر ما يراه لازماً من قرارات لتحقيق الغرض الذى أنشئت الهيئة من أجله وذلك فى حدود السياسة العامة للدولة فى مجال العلم والفكر وتنمية القيم الإنسانية والحضارية. وله على الأخص ما يأتى:

١ ـ إصدار اللائحة الداخلية للهيئة واللوائح المنظمة للشئون العلمية والإدارية والفنية، ويكون إصدار اللوائح المالية بعد موافقة وزارة المالية.

٢ ـ إقرار الخطط اللازمة لإتمام تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية والعمل على تذليل ما يعترضه من عقبات.

٣ ـ وضع اللوائح المتعلقة بشئون العاملين بالهيئة وتحديد مرتباتهم ومكافآتهم دون التقيد بالنظم الحكومية، وذلك بمراعاة الحدود القصوى للمرتبات المنصوص عليها فى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة.

٤ ـ وضع الهيكل التنظيمى للهيئة وجداول الوظائف بها.

٥ ـ إجراء الاتصالات بالهيئات وبالدول الأجنبية والمؤسسات العامة والشخصيات البارزة التى تهتم بتنفيذ المشروع لدعوتها للمساهمة فيه بالأساليب التى تتراءى لها ويقبلها مجلس الإدارة.

٦ ـ قبول الإعانات والهبات والتبرعات والوصايا والإسهامات الداخلية منها والخارجية التى تتفق مع أغراض الهيئة وذلك فى حدود النظم المقررة.

٧ ـ النظر فى التقارير الدورية التى تقدم عن سير العمل بالهيئة ومركزها العالى.

٨ ـ الموافقة على مشروع الهيئة وحسابها الختامى.

٩ ـ مباشرة جميع التصرفات اللازمة لإدارة الهيئة.

١٠ ـ النظر فى كل ما يرى رئيس مجلس الإدارة عرضه من مسائل تدخل فى اختصاص الهيئة وتعرض قرارات مجلس الإدارة على وزير التعليم لاعتمادها.

مادة ٦:

تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علمياً وأكاديمياً وفقاً للنظم التى يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة.

مادة ٧:

يصدر بتعيين مدير الهيئة قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التعليم ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته.

ويكون مدير الهيئة مسئولاً عن تنفيذ سياسة الهيئة التى يخططها مجلس الإدارة ويتولى متابعة تنفيذ قراراته وتعريف شئون الهيئة وفقاً للقانون ولأحكام هذا القرار وتحت إشراف مجلس الإدارة وفى حدود الاختصاصات الأخرى المخولة له فى لوائح الهيئة.

مادة ٨:

تتكون موارد الهيئة مما يأتى:

١ ـ ما تدرجه الدولة من اعتمادات لها فى الموازنة.

٢ ـ الإعانات والتبرعات والهبات .والوصايا والإسهامات الداخلية والخارجية.

٣ ـ القروض التى تعقد لصالح الهيئة.

٤ ـ مقابل الخدمات التى تقدمها الهيئة.

٥ ـ عائد استثمار أموال الهيئة.

٦ ـ أية موارد أخرى تتقرر للهيئة.

مادة ٩:

يكون للهيئة موازنة خاصة فى إطار الموازنة العامة للدولة وتبدأ السنة المالية للهيئة ببداية السنة المالية للدولة وتنتهى بنهايتها. ويفتح حساب خاص للهيئة بالبنك المركزى المصرى أو بأحد البنوك التجارية بموافقة وزارة المالية تودع فيه أموالها، ويرحل فائض هذا الحساب من سنة مالية إلى أخرى.

مادة ١٠:

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية، ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره.

صدر برئاسة الجمهورية فى (٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ ـ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٨٨).

حسنى مبارك

ملحق (٢)
مكتبة الإسكندرية: حقائق وأرقام

الموقع

تقع مكتبة الإسكندرية الجديدة بين البحر ومجمع الكليات النظرية بجامعة الإسكندرية (بمنطقة الشاطبى) وتطل واجهتها الشمالية على البحر المتوسط عند لسان السلسلة، وموقع المكتبة الجديد هو ذاته موقع البروكيوم (الحى الملكى القديم المنتمى للحضارة اليونانية الرومانية) كما تدل على ذلك الحفريات الأثرية التى أجريت بالمنطقة فى عام ١٩٩٣. ويحد موقع المكتبة الكورنيش والبحر من الشمال مما يجعل المكتبة تطل على المنظر الرائع للميناء الشرقية. كما أن وجود مركز المؤتمرات بالموقع على مساحة ٥٠٠٠ متر مربع يساعد على الارتقاء بخدمات المكتبة.

حقائق وأرقام

عدد الأدوار: ١١ دوراً.

إجمالى مسطح الأدوار: ٨٥٤٠٥م٢.

ارتفاع المبنى: ٣٣ متراً.

مسطح المكتبة العامة: ٣٦٧٧٠م٢.

مسطح النشاطات الثقافية: ٤٢١٠م٢.

مسطح الخدمات الفنية والتقنية: ١٠٨٦٠م٢.

المعهد الدولى لدراسات المعلومات: ٣٥٠٠م٢.

مركز المؤتمرات بالإضافة إلى خدمات فرعية ومسطحات إضافية: ٣٠٨٤٠م٢.

عدد المجلدات: ٢٠٠,٠٠٠ عند الافتتاح/٨ مليون مجلد على المدى البعيد.

عدد الدوريات: ٤٠٠٠/ ١٥٠٠ دورية.

مواد سمعية وبصرية -ووسائط متعددة: ١٠٠٠٠/ ٥٠٠٠٠.

عدد المخطوطات والكتب النادرة: ١٠٠٠٠/ ٥٠٠٠٠ مخطوطة وكتاب نادر.

عدد الخرائط: ٥٠٠٠٠ خريطة

نظم معلومات وقواعد بيانات متكاملة باستخدام الحاسب الآلى والوسائط المتعددة والاتصال بشبكة الإنترنت الدولية.

عناصر المكتبة

يضم مجمع مكتبة الإسكندرية: المكتبة الرئيسية، مكتبة الشباب، مكتبة المكفوفين، القبة السماوية، متحف العلوم، متحف الخطوط، المتحف الأثرى، المعهد الدولى لدراسات المعلومات، معمل الحفاظ والترميم، مركز المؤتمرات والخدمات الملحقة به بالإضافة إلى الفراغات المتعددة الأغراض والمعارض.

مراحل الإنشاء

المرحلة الأولى (الأساسات وأعمال التربة):

المقاولون: اتحاد شركات روديو تريفى (إيطاليا)/ المقاولون العرب (مصر).

بدأت أعمال التنفيذ فى ١٥/٥/١٩٩٥ وانتهت ٣١/١٢/١٩٩٦، بتكلفة ٥٩ مليون دولار أمريكى.

الأعمال الإنشائية بالمكتبة تضمنت التقنيات الأكثر تقدماً: فبالإضافة إلى الحائط اللوحى الإسطوانى الذى أنشئ بقطر ١٦٠ متر، ترتكز المكتبة على ٦٠٠ خازوق بالتفريغ مما يعتبر إنجازاً هندسياً مميزاً.

المرحلة الثانية (أعمال الإنشاءات والمبانى، الخدمات والتركيبات، الأعمال الخارجية بموقع المشروع):

المقاولون: اتحاد شركات بلفوربيتى (المملكة المتحدة)/ المقاولون العرب (مصر)

بدأت الأعمال بالموقع فى ٢٧/١٢/١٩٩٦ بتكلفة ١١٧ مليون دولار أمريكى.

المعماريون/ المهندسون (استشاريوا المكتبة)

سنوهتا (النرويج)/ حمزة (مصر)

نبذة عن تطور المشروع

١-كان الراعى الأول لهذا المشروع الحضارى العظيم منذ بدايته وحتى الآن السيدة الفاضلة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية، التى شملت كل أنشطة برعايتها.

٢- وكانت جامعة الإسكندرية صاحبة الفضل فى النداء بفكرة إحياء مكتبة الإسكندرية، وقامت بالفعل بتخصيص الأرض وبناء مركز المؤتمرات فى ذلك الموقع المتميز عند السلسلة، ثم تفضل السيد رئيس الجمهورية بتبنى المشروع كمشروع قومى، وتولى الدكتور فتحى سرور وزير التعليم آنذاك الدعوة الدولية مع اليونسكو بقرار جمهورى سنة ١٩٨٨، وكانت تبعيتها لوزارة التعليم، وتابع المشروع الدكتور حسين كامل بهاء الدين ثم الدكتور مفيد شهاب حين توليه وزارة

التعليم العالى، وساعد الوزير المهندس صفوت سالم رئيس القطاع بالوزارة خصوصاً فى الفترة الأخيرة من تنفيذ المشروع، وقد كان للدكتور مفيد شهاب دور قيادى فى إعداد التشريعات الجديدة وما واكبها من تنظيمات إدارية.

٣- شارك مدير عام اليونسكو بالدعوة للمشروع بنداء عام ١٩٨٧، ونظم اليونسكو مسابقة معمارية شارك فيها مئات من المكاتب المعمارية من عشرات الدول واختير أفضل التصميمات والذى فاز به مكتب «سنوهنا» النرويجى بالاشتراك مع الاستشارى المصرى ممدوح حمزة الذى تولى التصميمات الإنشائية. وحضر العديد من الشخصيات العالمية مؤتمر ١٩٩٠ الذى أصدر إعلان أسوان، وكون اللجنة التوجيهية الدولية برئاسة السيدة سوزان مبارك، وبادرت منذ ذلك الحين بعض الدول العربية بدعم هذا المشروع مادياً ثم تبعها عدد من الدول الأخرى فى هذاا لدعم. بدأ التنفيذ فى سنة ١٩٩٥، وقام بالتنفيذ المقاولون العرب بالاشتراك مع شركات إيطالية وبريطانية، وكان للدكتور محسن زهران دوراً متميزاً فى نقل التصور المعمارى إلى واقع ملموس، حيث باشر العمل عبر سنين طويلة إلى أن ظهر المبنى رائعاً مبهراً على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

٤- والآن وقد حان وقت الافتتاح رأت القيادة السياسية ضرورة تطوير أوضاع المكتبة بما يتناسب ورسالتها العالمية، فصدر للمكتبة تشريعاً خاصاً (القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١) نقل تبعيتها لرئيس الجمهورية الذى حدد بالقرار الجمهورى رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ التشكيلات الإدارية المناسبة للإشراف عليها وتصريف شئونها الإدارية والمالية.

- الناحية التنظيمية

أ-مجلس الرعاة برئاسة رئيس الجمهورية أو من يختاره (ويشمل رئيس جمهورية فرنسا وملكة أسبانيا وغيرهما من القادة العالميين).

ب- مجلس الأمناء برئاسة رئيس الجمهورية أو من يختاره (ويشمل عدد من الشخصيات المصرية وغير المصرية).

جـ- مدير المكتبة له كل المسئوليات التنفيذية فى تصريف شئونها.

وقد قام رئيس الجمهورية بتكليف السيدة سوزان مبارك برئاسة مجلس الأمناء، كما شكل مجلساً للأمناء من الشخصيات المتميزة (مرفق سيرهم الذاتية) واختار الدكتور إسماعيل سراج الدين مديراً للمكتبة.

ويبدأ العمل فى المكتبة فى الخريف، وتجرى الاتصالات الدولية لتحديد الموعد الأنسب للعديد من الشخصيات البارزة للمشاركة فى احتفال الافتتاح الكبير خلال الشهور التالية للبدء فى العمل بالمكتبة.

ملحق (٣)

خطاب السيدة سوزان مبارك

خلال زيارتها لمكتبة الإسكندرية فى ٣ مايو ٢٠٠١

سيداتى سادتى

يسعدنى اليوم أن أكون معكم فى مكتبة الإسكندرية الجديدة....

كما أننى بعد هذه الزيارة التفقدية للمكتبة ومكوناتها من قبة سماوية ومتاحف ومعاهد علمية ومركز المؤتمرات (الذى نحن به الآن)... رأيت أن أحدثكم عن هذه المكتبة التى عقدنا عليها الآمال لتكون مركز إشعاع حضارى مصرى ومنارة للفكر والثقافة والعلوم، ولتضم أفضل ما أنتجه العقل البشرى فى الحضارات القديمة والحديثة.....

وليكون عملنا هذا إحياءً لتراث مكتبة الإسكندرية القديمة التى مازال العالم أجمع يتحدث عنها وعن إسهاماتها فى مختلف مجالات المعرفة.....

اليوم، يتابع العالم جهودنا ويترقب إعادة افتتاح مكتبة الإسكندرية...

لماذا كل هذا الاهتمام بمكتبة الإسكندرية؟

أولاً: لأن مكتبة الإسكندرية القديمة، كان ولايزال تراثها من أروع ما أنتجه الإنسان.

فمنذ تأسيسها من ٢٣٠٠ سنة، فى مكاننا هذا، ارتفع صرح ثقافى كبير على أسس أرستها الحضارة المصرية القديمة، وعبر سبعة قرون، كانت مركز الفكر والحضارة فى العالم.

هنا جمعت المعارف من العالم بأسره حتى وصلت إلى ٩٠٠٠٠٠ كتاب (مخطوط)

هنا كان ملتقى كل المفكرين، ومقصد كل طلاب العلم والمعرفة.

هنا وضعت أسس الهندسة والفلك والرياضيات والجغرافيا وعلوم المكتبات.

هنا تمت أول ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية.

هنا كان ملتقى الحضارات والثقافات والعلوم وكانت مكتبة الإسكندرية أول معهد بحثى فى التاريخ، ضمت متحفاً وأكاديمية، ودعت إلى وحدة المعرفة والمنهج العلمى، ونادت بالتعددية والتسامح والعقلانية... كانت منارة للفكر فى عالم كان يسوده الجهل والشعوذة والحروب....

وبالرغم من مرور ١٦٠٠ سنة تقريبا على اندثار المكتبة إلا أنه لايزال لها فضل كبير يقدره حق قدره العلماء والمفكرون حتى يومنا هذا.

فليس غريبا أن يترقب العالم افتتاح مكتبة الإسكندرية الجديدة....

ولكن ليست القضية إحياء لتراث مهما كان عظيماً أو عودة لماضى مهما كان مجيداً فحسب إنها أيضاً قضية مستقبلية بالدرجة الأولى..... فالعالم يترقب الافتتاح لأن هذه أول مكتبة كبيرة تفتتح فى الألفية الثالثة، وأول مؤسسة من نوعها تبدأ فى عهد الإنترنت وثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فى عهد غلبت فيه السرعة على التأنى وكادت الصورة تقضى على الكلمة المكتوبة.... تقدر الصفحات الموجودة على الإنترنت اليوم بحوالى مليار صفحة ومن المتوقع أنه بحلول عام ٢٠٠٥

سيصل عدد الصفحات إلى ثمانية مليارات صفحة، كيف يتم الفصل بين الغث والنفيس وسط هذا الكم الهائل من المعلومات؟ وما دورنا فى الحفاظ على هويتنا فى ظل التيارات الجارفة للعولمة التى ينقلها الإنترنت؟

هل ستمكن مكتبتنا الجديدة أن تمتلك هذه التقنيات الحديثة وتطوعها لحاجاتنا، ومن ثم تمكنا من أن نستفيد منها للحصول على المعلومات عن بعد، ومضاعفة المتاح من المعلومات فوق ما ستحويه المكتبة من مجلدات؟ وأن تستعمل نفس هذه التقنيات لعرض نتاج الإبداع المصرى على الساحة العالمية؟

حتى تتمكن المكتبة من تحقيق مثل هذه القفزة التكنولوجية، ولتأخذ مكانها فى هذا العالم السريع التغير والتقلب، مكانة تليق بمصر وأهميتها، وتتمشى مع مكتبة الإسكندرية وتراثها، علينا أن نستفيد من كل الخبرات المحلية والدولية على أعلى المستويات.

سيداتى سادتى

هذا هو التحدى، وتلك هى أهمية هذا المشروع، الذى أعطيته جل اهتمامى منذ يومه الأول، وضاعفت الجهود من أجل دفعه إلى الأمام.....

ومنذ اجتماع أسوان فى فبراير ١٩٩٠، الذى حضره الملوك والرؤساء وعدد من الشخصيات العالمية بدعوة من رئيس الجمهورية وأقيمت اللجنة الدولية لإحياء مكتبة الإسكندرية، وتشرفت برئاستها، وصدر إعلان أسوان الذى دعا الحكومات والأفراد والمؤسسات كى تسهم فى هذا العمل الكبير، باعتباره مشروعاً فريداً من نوعه يهم المجتمع الدولى بأسره وليس مصر وحدها.....

منذ ذلك الحين وحتى الآن تضافرت جهود الخبراء المصريين والمتخصصين الدوليين فى وضع التصورات والتصميمات ومباشرة التشييد والبناء وتجسيد الحلم فى ذلك المبنى العظيم، الذى يجذب الزوار- حتى قبل الانتهاء من تنفيذه- والذى بلا شك زاد عدد المعجبين والمتشوقين إلى افتتاحه من أجل الرسالة السامية التى علينا أن نحققها من خلال الأنشطة والخدمات التى سنقدمها فى هذه المبانى المبهرة.

لقد وصف بعض الكُتَّاب هذا المبنى بأنه «الهرم الرابع».. نعم إنه يستحق هذا الوصف لأنه نتاج جهد العمال المصريين، الذين حفروا الأرض بالإسكندرية ونحتوا الحجر بأسوان، وحققوا المعجزات.. ولا غرابة فهم أحفاد بناة الأهرام التى أعيت الزمن...

إنه يستحق هذا الوصف لأنه رغم ما يبدو عليه من حداثة فى التصميم، استلهم شكله المستدير المائل من قرص الشمس عند الشروق وهو بذلك الرمز يربط نفسه بجذور حضارية عميقة فى تراثنا المصرى كما يشير إلى إطلالة على يوم جديد، وألفية جديدة...

إن مكتبة الإسكندرية بما تمثله من ارتباط بالماضى واستشراف للمستقبل سيكون عليها أن تضطلع بدور حضارى فريد، يتركز حول محاور أربعة:

أولا: أن تكون نافذة العالم على مصر

ستصبح المكتبة نافذة العالم على الحضارة المصرية بحقبها المختلفة وما تشتمل عليه من تعدد وعمق ويمثل هذا تحدياً صعباً للمكتبة فيما يختص بتجميع وتصنيف كل ما يتصل بهذه الحضارة من مواد ثقافية وعلمية بالإضافة إلى توفير هذه المواد لطالبيها بطريقة سهلة وعصرية.

ولا يعنى هذا أننا بالضرورة سنجمع كل ما لدينا من كتب ومخطوطات ونضعها فى هذا المكان... بل سنضيف على ما سيتواجد على رفوف المكتبة من مجلدات بالارتباط المباشر بالإنترنت مع دار الكتب ومكتبة الأزهر مثلا حيث توجد صور رقمية لعشرات الألوف من المخطوطات.

ثانياً: أن تكون نافذة مصر على العالم

يجب أن تكون المكتبة هى الجهة الأولى التى يتوجه إليها طلاب العلم فى مصر للتعرف على ثقافات العالم الخارجى وحضاراته وعلومه وبصفة خاصة حضارات وثقافات منطقة حوض البحرالمتوسط.

ومن ثم ستكون من الاهتمامات الأولى لمجلس أمناء المكتبة رسم سياسة لاقتناء

الكتب وتحديد أولويتها وتحقيق التوازن المناسب من حيث التغطية الجغرافية والزمنية لما توفره المكتبة لروادها والمتعاملين معها.

ثالثا: أن تكون مكتبة العصر الرقمى الجديد

إننا نأمل أن تكون مكتبة الإسكندرية مؤسستنا الرائدة فى التعامل مع هذه الثورة المعلوماتية الكبيرة وأن تتمكن المكتبة من الربط بين كل الجهود الكبيرة المبذولة من قبل المؤسسات التعليمية الرائدة فى العالم مثل مكتبة الكونجرس وغيرها وتسهل الوصول مباشرة بكفاءة وفعالية إلى معظم الموارد الإلكترونية للمعلومات المنتشرة فى جميع أرجاء العالم كما يجب أن تسهم المكتبة فى تلك التطورات حتى يتمكن طلاب العلم من الإطلاع على النتاج الفكرى المصرى بعرض المكتبة له فى المحيط الإلكترونى.

وستوفر الثورة الرقمية الجديدة وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فرصاً هائلة للدول النامية مثل مصر لتحديث طريقة استثمار الموارد البشرية بها ولفتح آفاق جديدة لطلبة الجامعات لمواكبة العصر وتطوراته. ومن هنا يأتى دور مكتبة الإسكندرية فى التعاون مع منظومة كاملة تضم المؤسسات التعليمية والثقافية -وخاصة التعليم العالى والبحث العلمى -فى مصر والمنطقة بأسرها.

كما أرى أن مكتبة الإسكندرية ستكون أداة لتطوير سبل التعاون والتواصل بين الوكالات الدولية والدول الأخرى عن طريق مشروعات جديدة تعود بالفائدة على جميع الأطراف فى حقول التعليم والبحوث، مثل التعليم عن بعد والمشاركة فى استعمال قواعد البيانات الرقمية، وغير ذلك من المشروعات.

رابعاً: أن تكون مركزاً للتعليم والحوار

وأخيراً وليس آخراً، ستكون مكتبة الإسكندرية مركز إشعاع للفكر ومنتدى للنقاش والحوار فى كل ما يتعلق بالفكر والعلوم والفنون والثقافة وملتقى بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وبذلك، فدور المكتبة هو تشجيع الحوار بين الحضارات وليس التصادم بين الثقافات.

إننى أتوقع أن يتجسد هذا المحور فى ندوات ومحاضرات ومطبوعات عديدة حول الآتى:

- العلوم: وبصفة خاصة أخلاقيات البحث العلمى والتطبيقات التكنولوجية الجديدة.

- العلوم الإنسانية: وبصفة خاصة قضايا التراث وأملى أن يكون من أول ما تنتجه المكتبة مرجعاً عالمياً عن مكتبة الإسكندرية القديمة ودورها الحضارى العظيم.

-الفنون والثقافة: بإقامة المعارض بالإضافة إلى البحث والنقد.

-التنيمة : فإن قضايا التنمية هى قضايا العصر كله.

الآن قد انتقلت المهمة من الإنشاء والبناء والتجهيز إلى إرساء القواعد المؤسسية ووضع الأنظمة المناسبة لتمكين المكتبة من تحقيق رسالتها.

سيداتى سادتى

فى ظل كل هذه التحديات، كان ضرورياً أن تحظى المكتبة بالوضع القانونى والنظام الإدارى الذى يتناسب مع دورها كمؤسسة مصرية ذات رسالة عالمية، ولذلك صدر القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ الذى حدد أهداف المكتبة ومكوناتها، وجعل تبعيتها لرئيس الجمهورية مباشرة، ثم تحدد لها ملجسان، وهما:

أولاً: مجلس للرعاة... الذى حل محل اللجنة الاستشارية الدولية التى أصدرت إعلان أسوان سنة ١٩٩٠.... ومازالت الاتصالات جارية لتشكيل المجلس ومن المتوقع أن يكون بين أعضائه رئيس جمهورية فرنسا وملكة أسبانيا.. ونأمل أن نعلن عن اكتمال تشكيله قريباً.

ثانياً: مجلس الأمناء... وهو مكون من عدد من كبار الشخصيات العالمية من ذوى المكانة العلمية أو الخبرة الدولية من المصريين وغير المصريين، حتى يتسنى

للمكتبة الاستفادة من خبراتهم العلمية- والفنية، والانتفاع من اتصالاتهم الواسعة والاستئناس برؤيتهم المتميزة، لتنفيذ برنامجها الطموح لخدمة مصر والعالم، ولتحقيق رسالتها الإنسانية السامية.

وعند اطلاعكم على السير الذاتية لأعضاء المجلس سيتبين لكم مدى تفرد هذا المجلس من حيث التنوع الثقافى والجغرافى والريادة الفكرية وشمول التجربة وتميز الخبرة ومن بين أعضاء المجلس شخصيات مصرية وعربية بارزة إلى جانب وزراء التعليم العالى والثقافة والخارجية ومحافظ الإسكندرية ورئيس جامعة الإسكندرية بصفتهم الرسمية.

ويسعدنى أيضا أننا وفقنا فى اختيار مدير للمكتبة وهو شخصية مصرية تجمع بين الخبرة الدولية الواسعة والمكانة العالمية المرموقة، وهو الدكتور إسماعيل سراج الدين، وهو معروف لديكم جميعاً.

فإلى جانب ما يحظى به من سمعة عالمية وثقة دولية فإنه يحظى أيضا بثقتى الشخصية وثقة المسئولين هنا فى مصر على أعلى المستويات للقيام بهذا الدور المهم.

وقد تقرر أن يكون الافتتاح الرسمى للمكتبة فى ٢٣ أبريل المقبل باعتباره اليوم العالمى للكتاب، وما أنسب الاحتفال بالمكتبة فى ذلك اليوم العظيم، ليواكب احتفالنا احتفالات أخرى فى شتى أنحاء العالم، سيرتبط بعض منها باحتفال الإسكندرية إلكترونيا.

ولكن المكتبة ستفتح أبوابها لرواد العلم من الخريف، وستعقد فيها مؤتمرات علمية وندوات ثقافية منذ أكتوبر المقبل، حيث سيعقد المؤتمر العالمى عن «التكنولوجيا الحيوية والتنمية» من ١٥ -١٧ أكتوبر بإذن الله، وستعقبه نشاطات أخرى كثيرة.

ولكننا أردنا أن يشاركنا العالم فى الاحتفال بالمكتبة على عدة مستويات وكم تلقينا من عروض واقتراحات للاحتفال من مصر ومن شتى أنحاء العالم، فرأينا أن نشرك

هذه الجهات فى الاحتفال، قابلين العطاء كوسيلة للإسهام فى إثراء الحياة الثقافية بالإسكندرية، إنطلاقا من المكتبة ومؤسساتها فى فترات مختلفة طيلة عام كامل، إبتداءاً بالمؤتمر العلمى عن التكنولوجيا الحيوية فى أكتوبر وإنتهاءاً بمؤتمر عن «التنمية وعمالة الشباب» فى سبتمبر ٢٠٠٢، يتوسطها الاحتفالية الكبيرة يوم ٢٣ أبريل وهو اليوم العالمى للكتاب.

ولاشك أن كل هذا سيقوى من دور المكتبة كملتقى لرواد الفكر والعلم والفن والثقافة من العالم أجمع، مع كل ما فى ذلك من مكاسب لأبنائنا.. ولكننى أرى أنه من المهم أن يكون للمكتبة جذورها فى مصر وحضارتها، وأن يشارك أهل الفكر والرأى فى مصر فى تحديد معالم مسيرتها، ولذا سعدت حقا بأن يقوم المجتمع المدنى بإنشاء «الجمعية المصرية لأصدقاء مكتبة الإسكندرية» التى يشارك أعضاؤها مع «الهيئة القبطية الأنجيلية للخدمات الاجتماعية» بتنظيم ندوة حول «دور مكتبة الإسكندرية فى دعم الحوار والتسامح» وكم كنت أود أن أشارك فى أعمال هذه الندوة، ولكننى سأتابع نتائجها باهتمام، كما أنى واثقة تماما أن الدكتور إسماعيل سراج الدين سيمثل المكتبة وإدارتها خير تمثيل.. كما أننى واثقة أن هذه الندوة ستكون بداية للعديد من اللقاءات الدولية والمحلية والتى نريد للمكتبة أن تستقبلها..

وأرجو أن تكون إحدى هذه الندوات عن مستقبل مدينة الإسكندرية، عروس البحر الأبيض المتوسط بمكتبتها الجديدة ومؤسساتها العريقة..

سيداتى، سادتى

إننا اليوم فى نهاية تفقدنا للمكتبة ومكوناتها، نريد أن يكون هذا اللقاء إعراباً عن انتقال من مرحلة إلى أخرى... ننتقل من مرحلة البناء إلى مرحلة الأنشطة والأعمال والتحرك فى شتى مجالات العلم والمعرفة والثقافة والفن، لتكون مكتبة الإسكندرية الجديدة، كما كانت مكتبة الإسكندرية القديمة، منارة للفكر، وملتقى لحوار الأمم والحضارات، ومركزاً للبحث والتوثيق، ومفخرة لمصر والعالم أجمع.

والله ولى التوفيق.

ملحق (٤)

قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية

باسم الشعب

رئيس الجمهورية

قرر مجلس الشعب القانون الآتي نصه، وقد أصدرناه؛

(المادة الأولى)

مكتبة الإسكندرية شخص اعتبارى عام مقره الإسكندرية يتبع رئيس الجمهورية، وهو مركز إشعاع حضارى مصرى، ومنارة للفكر والثقافة والعلوم، وتضم ما أنتجه العقل البشرى فى الحضارات القديمة والحديثة بجميع اللغات.

(المادة الثانية)

تتكون مكتبة الإسكندرية من المكتبة والقبة السماوية، ومركز المؤتمرات، وتنشأ بها المراكز الثقافية والعلمية الآتية:

١- معهد دولى للدراسات المعلوماتية

٢- مركز للتوثيق والبحوث.

٣- متحف للعلوم.

٤- معهد للخطوط.

٥- متحف للمخطوطات.

٦- مركز للحفاظ على الكتب والوثائق النادرة.

ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية إنشاء أو إضافة مراكز ثقافية وعلمية أخرى.

ويحدد رئيس الجمهورية بقرار منه النظام القانونى للمراكز المشار إليها فى هذه المادة.

(المادة الثالثة)

تباشر المكتبة جميع الأعمال والتصرفات المحققة لرسالتها، وتتخذ ما يتصل بذلك من إجراءات ومنها:

١- الحصول على الدراسات والكتب والدوريات والمخطوطات والبرديات وغيرها، مما له صلة بالحضارة المصرية فى مختلف عصورها، وبالتراث العلمى والفكرى والثقافى لدول العالم.

٢- جمع أصول أو صور المخطوطات المعبرة عن الإنجازات الفكرية للعالم العربى والإسلامى باللغات القديمة والحديثة.

٣- جمع ما يتصل بالسير الذاتية وبإنجازات أهل الفكر والعلم والسياسة والدين فى التاريخ الإنسانى.

٤- إجراء الدراسات المتصلة بالأصول التاريخية والجغرافية والثقافية والدينية لمنطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط ولمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

(المادة الرابعة)

يحدد رئيس الجمهورية بقرار منه أساليب الإشراف على المكتبة وإدارتها وتصريف شئونها المالية والإدارية وذلك على النحو الذى يتفق مع طبيعة نشاط المكتبة ويمكنها من تحقيق رسالتها، ودون التقيد بنظم الإدارة المنصوص عليها فى أى قانون آخر.

(المادة الخامسة)

تتكون مصادر تمويل المكتبة ومواردها من:

١- الاعتمادات التى تخصصها لها الدولة.

٢- الإعانات والتبرعات والهبات والوصايا والإسهامات المالية الداخلية والخارجية.

٣- القروض التى تعقد لصالح المكتبة.

٤- مقابل الخدمات التى تؤديها المكتبة وعائد استثمار أموالها.

٥- الموارد الأخرى التى تقرر للمكتبة طبقاً للقانون.

(المادة السادسة)

تكون للمكتبة موازنة مستقلة، وتبدأ السنة المالية للمكتبة ببداية السنة المالية للموازنة العامة للدولة وتنتهى بنهايتها.

ويكون للمكتبة حساب خاص فى البنك المركزى المصرى أو فى أحد البنوك التجارية بموافقة وزير المالية تودع فيه حصيلة مواردها، ويرحل فائض هذا الحساب من سنة مالية إلى أخرى.

(المادة السابعة)

تعفى المكتبة وأجهزتها فى حدود أغراضها، من الضرائب العامة على فوائضها وإيرادات نشاطها الجارى، ومن رسوم الشهر والتوثيق، كما يعفى ما تستورده المكتبة من المستلزمات العلمية من الضرائب الجمركية.

(المادة الثامنة)

يستمر العمل بقرار رئيس الجمهورية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية فيما لا يتعارض مع أحكام هذا القانون لحين صدور قرار رئيس الجمهورية المنصوص عليه فى المادة الرابعة من هذا القانون.

وتؤول إلى المكتبة أصول وحقوق والتزامات الهيئة الملغاة.

(المادة التاسعة)

ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية، ويعمل به من اليوم التالى لتاريخ نشره.

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة، وينفذ كقانون من قوانينها.

صدر برئاسة الجمهورية فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٤٢١هـ

(الموافق ١٢ مارس سنة ٢٠٠١م)

حسنى مبارك

ملحق (٥)

قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية

قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠١ بشأن تنظيم الإشراف على مكتبة الإسكندرية وطريقة إدارتها وتصريف شئونها المالية والإدارية.

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور وعلى القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية وبعد موافقة مجلس الوزراء قرر:

مادة (١)

مكتبة الإسكندرية شخص اعتبارى عام مقره مدينة الإسكندرية يتبع رئيس الجمهورية

مادة (٢)

إدارة مكتبة الإسكندرية

يتولى إدارة مكتبة الإسكندرية:

(أ) مجلس الرعاة.

(ب) مجلس الأمناء.

(جـ) مدير المكتبة.

مادة (٣)

مجلس الرعاة

يتكون مجلس الرعاة من عدد من كبار الشخصيات من مختلف دول العالم لا يقل عن ثمانية ولا يزيد على أربعة وعشرين عضواً يتم اختيارهم بدعوة من رئيس الجمهورية على أن يكون من بينهم رئيس منظمة اليونسكو.

ويتولى رئاسة المجلس رئيس الجمهورية أو من يختاره لهذا الغرض، كما يتولى وزير التعليم العالى أمانة المجلس.

ويختص المجلس بدعم ومتابعة نشاط المكتبة وإسداء ما يراه من توجيه فى هذا الشأن ويعقد اجتماعاً كل ثلاث سنوات بدعوة من رئيسه.

مادة (٤)

مجلس الأمناء

يتكون مجلس الأمناء من عدد من الشخصيات العامة من ذوى الشخصيات العامة العلمية أو الخبرة الدولية من المصريين وغير المصريين لا يقل عن خمسة عشر ولا يزيد على ثلاثين عضواً من بينهم خمسة أعضاء من الحكومة المصرية بصفاتهم الرسمية وهم وزير التعليم العالى، ووزير الثقافة، ووزير الخارجية، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس جامعة الإسكندرية.

ويتولى رئيس مجلس الرعاة رئاسة مجلس الأمناء ويختار من بين أعضائه من يحل محله فى حالة غيابه.

ويتم تعيين أول مجلس للأمناء بقرار من رئيس الجمهورية، وتكون مدة عضوية أعضاء هذا المجلس من غير المعينين بصفاتهم الرسمية سنتين تجدد بعدها عضوية الثلث كل سنة.

ويتم تعيين أعضاء مجلس الأمناء من غير المعينين بصفاتهم ـ بخلاف المجلس الأول ـ بقرار من مجلس الأمناء بناء على ترشيح من أحد أعضائه وتكون مدة العضوية فى هذه الحالة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة.

مجلس الأمناء هو السلطة المهيمنة على شئون المكتبة ويتولى رسم السياسة العامة لإدارتها والتخطيط لأنشطتها وإقرار لوائحها المالية والإدارية.

ويجتمع مجلس الأمناء مرة كل سنة، وله أن يعقد اجتماعات استثنائية بدعوة من الرئيس أو بناء على طلب من نصف الأعضاء على الأقل.

ويكون اجتماع مجلس الأمناء صحيحاً إذا حضره أغلبية الأعضاء على الأقل، وتصدر القرارات بأغلبية أصوات الحاضرين وعند التسواى يرجح الجانب الذى منه الرئيس.

وللمجلس أن يكون من بين أعضائه لجاناً يسند إليها القيام بمهمة محددة أو إجراء بحوث أو دراسات معينة.

وتتحمل المكتبة نفقات وبدلات حضور الاجتماعات لأعضاء مجلس الأمناء واللجان المنبثقة عنه.

مادة (٥)

مدير المكتبة

يعين مجلس الأمناء مدير المكتبة لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد ويحدد مخصصاته المالية، ويصدر بذلك قرار من المجلس بأغلبية ثلثى الأعضاء الحاضرين، ويشترط في المرشح أن يتمتع بمكانة دولية مرموقة وثقافة واسعة وأن يكون من ذوى الكفاءة الإدارية والخبرة الفنية.

ويكون مدير المكتبة الرئيس التنفيذى لها، ويناط به تنفيذ السياسة التى وضعها مجلس الأمناء، ويعد جدول أعمال اجتماعات المجلس، وله حق حضور جلساته دون أن يكون له صوت معدود فى المداولات.

ويرأس مدير المكتبة جهاز العاملين ويصدر قرارات تعيينهم وترقيتهم وإنهاء خدمتهم، وفقاً لأحكام القانون الذى يخضعون له.

ويكون مدير المكتبة هو الممثل القانونى لها أمام القضاء وفى صلاتها بالغير.

مادة (٦)

اللوائح المالية والإدارية ولائحة العاملين بالمكتبة

يعد مدير المكتبة لوائحها المالية والإدارية ولائحة العاملين بها على النحو الذى يتفق مع طبيعة نشاط المكتبة ويمكنها من تحقيق رسالتها دون التقيد بنظم الإدارة

المنصوص عليها فى القوانين الأخرى، وتعرض هذه اللوائح على مجلس الأمناء لاعتمادها.

وتكون لائحة العاملين بعد إقرارها هى النظام القانونى الذى يحكم علاقة العاملين بالمكتبة.

مادة (٧)

الميزانية ومراقبو الحسابات

يكون للمكتبة ميزانية مستقلة، ويرحل فائض الميزانية من سنة إلى أخرى.

ومع عدم الإخلال برقابة الجهاز المركزى للمحاسبات، يعين مجلس الأمناء مراقبى الحسابات الخارجيين، ويتلقى المجلس تقاريرهم.

مادة (٨)

ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية، ويعمل به اعتباراً من تاريخ نشره.

حسنى مبارك

ملحق (٦)

راعية المشروع

السيدة سوزان مبارك قرينة السيد رئيس الجمهورية

البيانات الشخصية:

-ولدت فى المنيا بمصر.

- متخصصة فى علم الاجتماع.

- لها ابنان وحفيدان.

التعليم:

-درجة الماجستير فى علم الاجتماع التربوى من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام

١٩٨٢، وكان موضوع الرسالة «بحث فى العمل الاجتماعى فى حضر مصر: دراسة حالة فى رفع مستوى المدرسة الابتدائية فى بولاق».

- بكالوريوس فى العلوم السياسية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٧٧.

- دبلوم الثانوية الأمريكية من مدرسة سانت كلير الجديدة بالقاهرة.

الأنشطة الدولية والإقليمية:

-المتحدثة الرئيسية ورئيسة الوفد المصرى فى:

- المؤتمر العالمى للأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلام وهو المؤتمر الذى عقد فى نيروبى بكينيا عام ١٩٨٥.

- «الندوة الدولية حول كتاب الطفل» عقدت بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٨٦ ورئيسة شرف الندوة.

- الاجتماع الإقليمى العربى حول تأسيس المجلس العربى للأطفال والتنمية عقد فى عمان بالأردن فى أبريل ١٩٨٧.

- «مؤتمر حول الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل» عقد فى لينيانوسابيادورو بإيطاليا فى سبتمبر ١٩٨٧.

- «المؤتمرالثالث والعشرون للاتحاد الدولى للناشرين» عقد فى لندن فى يونيو ١٩٨٨.

- «مؤتمر حول الاتفاقية المستقبلية للأمم المتحدة لحقوق الطفل» عقد فى الإسكندرية فى نوفمبر ١٩٨٨.

- «دورة عام ١٩٨٩ للمجلس التنفيذى لليونيسيف» عقدت فى نيويورك فى أبريل ١٩٨٩.

- «ندوة حول المرأة والتنمية الاجتماعية: الماضى والحاضر والمستقبل» والتى نظمها المجلس القومى الأمريكى للنساء السود بمدينة القاهرة فى يوليو ١٩٨٩.

- «المؤتمر الإقليمى الإفريقى الرابع حول المرأة والتنمية» عقد فى نيجيريا فى نوفمبر ٨٩.

- «المؤتمر العالمى حول الاستعداد لتغيير المناخ» عقد فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٨٩.

- «اللجنة الدولية لإحياء مكتبة الإسكندرية» اجتمعت فى أسوان فى فبراير ١٩٩٠ وفى الإسكندرية فى أبريل ١٩٩٢ رئيسة شرف اللجنة.

- «المؤتمر الدولى لمجلس كتب الشباب» عقد فى مدينة ويليا فربرج بولاية فيرجينيا الأمريكية فى سبتمبر ١٩٩٠.

- «القمة العالمية للأطفال» عقدت فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك فى سبتمبر ١٩٩٠.

- «حلقة البحث الدولية لمنظمة الصحة العالمية حول الصحة كشرط للتنمية الاقتصادية» والتى عقدت فى أكرا بغانا فى ديسمبر ١٩٩١.

- «قمة التقدم الاقتصادى للمرأة الريفية» عقدت بمقر الأمم المتحدة بجنيف فى فبراير ١٩٩٢.

- «الدورة الثانية للمجلس الخاص والرفيع المستوى للأمم المتحدة والمختص بدراسة طرق ووسائل الكوارث الطبيعية» عقدت فى نيويورك فى يناير ١٩٩٣.

- «حلقة القاهرة للسيدات الأوليات فى أفريقيا لبحث حالة المرأة والطفل فى أفريقيا» عقدت فى القاهرة فى يونيو ١٩٩٣ رئيسة حلقة البحث.

- «مجموعة عمل منظمة الصحة العالمية لسياسات الصحة والتنمية» عقدت فى جنيف فى يونيو ١٩٩٤.

- «مؤتمر الأمم المتحدة الدولى حول السكان والتنمية منتدى للمنظمات غير الحكومية» عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٩٤.

- «احتفال جامعة سوكا بطوكيو فى أبريل ١٩٩٥».

- «اجتماع جامعة الأمم المتحدة بطوكيو فى أبريل ١٩٩٥».

- «مؤتمر الروتارى الدولى السنوى العام» بمدينة نيس فى يونيو ١٩٩٥.

- «مؤتمر الأمم المتحدة الدولى الرابع حول المرأة» عقد فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥.

- حاضرت بكلية سانت أنتونى بجامعة أكسفورد حول موضوع «السلام والتنمية والمرأة فى مصر».

الجوائز الدولية:

- قرر المجلس التنفيذى لمنظمة اليونيسيف عام ١٩٨٩ منح السيدة سوزان مبارك أرفع جوائزه وهى جائزة موريس بيث وذلك اعترافاً بتفانيها وجهودها لبقاء وحماية وتنمية الطفل.

- منحت أعلى جائزة فى عام ١٩٨٩ من المركز الدولى للتأهيل لخدماتها البارزة ومساندتها للأطفال ذوى العاهات.

- منحت جائزة فولبرايت الشرقية عام ١٩٩٢ اعترافًا بجهودها فى مجال تنمية وتربية الطفل.

- منحت مؤسسة «معاً من أجل السلام» السيدة سوزان مبارك جائزة أنريك ديلا ماتا الدولية للسلام اعترافاً بتفانيها فى تشجيع تنمية الطفل ورفع المعاناة عن ضحايا الكوارث الطبيعية.

- منحت مؤسسة الروتارى الدولية السيدة سوزان مبارك زمالة بول هاريس تقديراً لمساندتها الملموسة والمتميزة لتحقيق تفاهم أكبر وتعزيز علاقات الصداقة بين شعوب العالم.

- منحت منظمة الصحة العالمية السيدة سوزان مبارك «الميدالية الذهبية للصحة من

أجل الجميع» وهي أعلى جائزة للامتياز تمنحها المنظمة وذلك فى يونيو ١٩٩٤ للتعبير عن اعترافها بإسهامات سيادتها البارزة لتحسين نوعية حياة المرأة والطفل فى مصر ولإلتزامها الشخصى بالجهود الدولية التى تستهدف إدماج الصحة فى عملية التنمية.

- منحت السيدة سوزان مبارك الجائزة الدولية للكتاب من اللجنة الدولية للكتاب فى أبريل ١٩٩٥ اعترافاً بجهودها البارزة لنشر القراءة فى ربوع مصر.

-منحت جامعة سوكا اليابانية السيدة سوزان مبارك جائزة الشرف الأولى فى أبريل ١٩٩٥.

- منحت كلية ويستمنيستر فى نيو ويلمنجتون درجة الدكتوراة فى القانون للسيدة سوزان مبارك اعترافاً بإنجازاتها البارزة لصالح الشعب المصرى وفى مجالات تحظى بالتقدير العالى للمجتمع الدولى.

-منحت المنظمة الأمريكية للكتاب العالمى جائزة النشر للسيدة سوزان مبارك اعترافاً بدورها فى مجال نشر الكتب وجهودها فى دعم حملة القراءة للجميع.

- منحت السيدة سوزان مبارك جائزة اتحاد الناشرين العرب تقديراً لجهودها فى تشجيع ونشر الأدب العربى وذلك بمدينة القاهرة عام ١٩٩٦.

-منحت منظمة اليونسكو عام ١٩٩٧ أرفع جوائزها وهى «ميدالية ابن سينا» للسيدة سوزان مبارك تقديراً لدورها فى تشجيع الأنشطة الثقافية فى مصر.

- منحت «جائزة التسامح» من الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون فى مدينة سالزبورج عام ١٩٩٨.

- منحت درجة الأستاذ المستشار من جامعة شنغهاى فى أبريل ١٩٩٨.

- منحت درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة إيوا بمدينة سول بكوريا لجهودها فى تشجيع تعليم المرأة والتنمية الاجتماعية فى مصر وذلك فى أبريل ١٩٩٩.

- منحت جائزة الروتارى لجهودها فى مكافحة شلل الأطفال فى يونيو ١٩٩٩.

- منحت درجة الدكتوراه الفخرية فى الآداب الإنسانية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة فبراير ٢٠٠٠.

- منحت درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية بأسبانيا فى فبراير ٢٠٠٠ تقديراً لجهودها البارزة فى الميدان الاجتماعى فى مصر.

الخدمات الاجتماعية

-مؤسسة ورئيس مجلس إدارة جمعية الرعاية المتكاملة التى أسست عام ١٩٧٧ كجمعية لا تستهدف الربح، وهدف الجمعية الرئيسى هو تقديم الرعاية الاجتماعية والثقافية والصحية لتلاميذ المدارس. ولجمعية الرعاية المتكاملة أنشطة ذات نوعيات مختلفة وهى:

- تأتى فى مقدمة هذه النوعيات من الأنشطة إنشاء مكتبات الأطفال فى كل أنحاء مصر ويندرج تحت هذا النوع من النشاط مساعدة ودعم مكتبات المدارس الحكومية وتملك المكتبات المتنقلة والمحمولة.

- من الأهداف طويلة الأجل لهذا المشروع تشجيع وتنمية عادة القراءة على مدى الحياة.

- فى عام ١٩٨٥ بدأ تنفيذ برنامج للتدريب المكثف لأعضاء طاقم الإدارة فى المكتبات ومسئولى الأنشطة بها، وقام بتنفيذ هذا البرنامج خبراء وطنيون ودوليون متخصصون فى علم المكتبات الخاصة بالأطفال.

- فى يونيو ١٩٩١ بدأت السيدة سوزان مبارك حملة قومية لبرنامج «القراءة للجميع» ونتج عن هذه الحملة قيام حركة قومية تركز على تنمية القراءة بين الأطفال والشباب والكبار.

- تشجيع الجمعية القيام بخدمات فى المجتمعات الصغيرة اعتماداً على المشاركة الشعبية ومن بين هذه الخدمات مراكز الصحة المتعددة الأغراض الواقعة فى المناطق المضغوطة والمحرومة والتى تقدم الخدمات الصحية ومنها البرامج المشتركة لتنظيم الأسرة ورفع مستوى التعليم المهنى من خلال برامج التربية خلال مرحلة ما قبل المدرسة وأنشطة أخرى.

- هناك نوع آخر من أنشطة المجتمعات الصغيرة وهو أندية الأطفال والأنشطة الثقافية والترويحية الموجهة للأطفال والشباب.

- قامت الجمعية بعد الزلزال الذى ضرب مصر عام ١٩٩٢ برعاية مشروع رائد لخدمة أحد المجتمعات الصغيرة فى عين حلوان وذلك بتقديم المساعدة والمساندة لضحايا الزلزال.

- قامت الجمعية بمساعدة هيئة الصحة العالمية واليونيسيف برعاية مشروع تنمية أحد المجتمعات الصغيرة فى منطقة محرومة، وقد تركز العمل فى هذا المشروع على رعاية صحة جماعات معرضة للأمراض وعلى تشجيع برامج التعليم المهنى للنساء واستحداث أنشطة تدر دخلاً مالياً، ولقد اعتمد هذا المشروع على المشاركة الشعبية لإحداث تغيير فى هذا المجتمع الصغير وللإسهام فى تحقيق نوعية ومستوى أفضل للحياة.

- مشروع دولى آخر عكس اهتمام الجمعية للتعاون مع المجلس الدولى لكتب الشباب. فقد أنشأت مصر فرعاً لهذا المجلس على أرضها ترأسه السيدة سوزان مبارك وقام هذا الفرع بدعم نشاط لتأليف كتب للأطفال وترجمة أمهات الكتب العالمية لهم، كما قامت الجمعية برعاية تنظيم ندوة وطنية حول كتب الأطفال بالتعاون مع المجلس الدولى لكتب الشباب واليونسكو واليونيسيف.

الأنشطة الاجتماعية الأخرى:

- مؤسسة ورئيس مجلس إدارة جمعية تنمية خدمات المجتمع فى مصر الجديدة، وقد قامت الجمعية برفع مستوى مستشفى عام والارتقاء بخدماتها، وأنشأت العديد من المكتبات العامة للكبار والأطفال وأسهمت فى إنشاء «متحف سوزان مبارك للأطفال» فى مصر.

- مؤسسة ورئيسة مجلس إدارة الجمعية المصرية للطفولة والتنمية وهى منظمة غير حكومية أنشأت أساساً لتشجيع مشاركة القطاع الخاص فى مجال تنمية الطفل، وبعد زلزال أكتوبر ٩٢ بدأت الجمعية حملة واسعة استهدفت إعادة بناء وترميم المدارس

المهدمة واتخذت الحملة عنواناً هو «مشروع مائة مدرسة جديدة»، ولما كان من بين اهداف الجمعية بالتعاون مع وزارة التعليم برعاية الندوة الأولى فى هذا المجال خلال فبراير ١٩٩٣.

- صاحبة المبادرة ومؤسسة مركز أدب الطفل المصرى للتوثيق والبحوث والمعلومات وهو أول مركز مرجعى لأدب الطفل فى العالم العربى، والغرض الأساسى من هذا المركز هو تجميع كل المواد المتعلقة بأدب الطفل فى مصر وعلى المستوى الدولى وبخاصة ما يتصل منها بالمعلومات والتوثيق والخدمات المرجعية.

- مؤسسة متحف التاريخ الطبيعى للأطفال فى مصر والذى يحمل اسم «متحف سوزان مبارك للطفل»، وقد تم افتتاحه فى يونيو ١٩٩٦.

والمتحف عبارة عن مركز تعليمى وترويحى يقدم المعلومات والخدمات التى تكمل التعليم المدرسى الرسمى ويهدف إلى تعريف الأطفال المصريين بالظواهر التاريخية الطبيعية وعلاقتها بالبيئة الطبيعية الثقافية المصرية، ويهدف المتحف أيضاً إلى رفع مستوى الفهم وحب الطبيعة والاهتمام بحمايتها والحفاظ عليها لدى زواره.

- رئيس المجلس الاستشارى للمجلس القومى للطفولة والأمومة.

- رئيس اللجنة المصرية القومية للمرأة ورئيسة المؤتمر القومى الأول والثانى للمرأة فى يونيو ١٩٩٤ وأبريل ١٩٩٦.

- صاحبة المبادرة فى القانون الموحد للطفل (مايو ١٩٩٦) وهو بشكل أساسى تجميع للتشريعات المتعلقة بقضايا الطفل فى القانون المصرى، إنه قانون شامل لحقوق كل الأطفال وبخاصة أطفال الشوارع والمشردين والأطفال الذين يتعرضون لسوء المعاملة والاستغلال.

- رئيس القسم المصرى للمجلس الدولى لكتب الشباب والذى يعمل على الارتقاء بمستوى الأدب وجودة المطبوعات الخاصة بالأجيال الصغيرة والشابة.

- رئيس الجمعية المصرية للهلال الأحمر وصاحبة المبادرة فى الحملة القومية للنقل

الآمن للدم وهى الحملة التى وجهت لصالح طبقات المجتمع الأكثر عرضة للإصابة بالدم الملوث، وتقدم الجمعية أيضاً المساعدات الإنسانية على المستويين المحلى والدولى (وتم ذلك مؤخراً إلى السودان وتركيا والبوسنة حيث أقامت الجمعية ملجأ للأطفال اليتامى ومكتبة فى مدينة موستار فى أغسطس ١٩٩٩).

- نائب رئيس الكومست COMEST.

-رئيس المجلس القومى للمرأة الذى تم إنشاؤه فى فبراير ٢٠٠٠.

ملحق (٧)

أعضاء مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية

يتكون مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية الذى ترأسه السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية، من اثنين وعشرين عضواً بصفتهم الشخصية بالإضافة إلى خمسة أعضاء بصفتهم الرسمية وهم وزراء التعليم العالى، والثقافة، والخارجية، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس جامعة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية.

الأعضاء المختارون بصفتهم الشخصية هم (حسب الترتيب الأبجدى):

أحمد كمال أبو المجد (مصر)

تلقى الدكتور أبو المجد تعليمه الجامعى بكلية الحقوق، جامعة القاهرة ثم فى جامعة ميتشجان فى آن أربر بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد شغل عدة مناصب جامعية منها أستاذ القانون العام والقانون الدستورى بجامعة القاهرة، وعميد كلية الحقوق بجامعة الكويت وهو عضو أكاديمية البحث القانونى الإسلامى بجامعة الأزهر، كما شغل العديد من المناصب الحكومية المهمة منها المستشار الثقافى لمصر بالولايات المتحدة الأمريكية.

وعمل د. أبو المجد وزيراً للشباب ثم وزيراً للإعلام (١٩٧٢-١٩٧٥) لجمهورية مصر العربية. وتولى الدكتور أبو المجد منصب المستشار القانونى والدستورى لولى عهد الكويت ورئيس وزرائها فيما بين ١٩٧٩-١٩٨٥.

يشغل حالياً منصب قاضٍ (رئيس سابقاً) بالمحكمة الإدارية للبنك الدولى بواشنطن العاصمة، ويزاول الدكتور أبو المجد الآن مهنة المحاماة وهو من كبار المحامين أمام المحكمة الدستورية العليا بمصر. ويعد د. أبو المجد من كبار المفكرين على المستويين العربى والإسلامى.

أحمد زويل (مصر)

حاصل على جائزة نوبل فى الكيمياء عام ١٩٩٩ ولد د. زويل فى ٢٦ فبراير ١٩٤٦. وحصل على درجة البكالوريوس والماجستير من جامعة الإسكندرية، والدكتوراه من جامعة بنسلفانيا. يعمل حالياً أستاذاً (كرسى لينوس بولينج) فى الكيمياء وأستاذاً فى الفيزياء بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا (كالتك)، كما يعمل مديراً لمعمل «إن إس إف» للعلوم الجزيئية. ولقد حصل د. زويل على العديد من الدرجات الفخرية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة أكسفورد (إنجلترا)، والجامعة الكاثوليكية (ليوفن-بلجيكا)، وجامعة بنسلفانيا (الولايات المتحدة) وجامعة لوزان (سويسرا)، وجامعة سوينبورن (أستراليا).

كما حصل على العديد من الجوائز التقديرية إعترافاً بالجهود التى بذلها فى مجال العلوم، ومن بينها جائزة نوبل، وجائزة «روبرت ويلش» وجائزة «ولف» وجائزة «الملك فيصل» ووسام «بنيامين فرانكلين» وجائزة «ليوناردو دافنشى للامتياز» وجائزة «رونتجن» ووسام «بول كارر الذهبى» وجائزة «بونركميبرس» ووسام أكاديمية هولندا الملكية للفنون والعلوم وجائزة «كارل زيس» وجائزة «هوشست» وجائزة «ألكسندر فون همبولدت» من الجمعية الأمريكية للفيزياء وجائزة «هربرت برويدا أيرل بليلر» وجائزة الجمعية الأمريكية للكيماء ووسام «ريتشارد تولمان» ووسام «نيكولس» ووسام «لينوس بولينج» ووسام «برايت ويلسون» ووسام «باك ويتنى» من الأكاديمية القومية للعلوم وجائزة الكيمياء من جامعة يال وجائزة «كى جى كيركوود» وجائزة من الحكومة الأمريكية، وجائزة «إى أو لورانس». وفى عام ١٩٩٥ حصل د. زويل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من الرئيس حسنى مبارك وقد قامت هيئة البريد المصرية بإصدار طابع بريد تذكارى باسمه.

د. زويل عضو بالأكاديمية القومية للعلوم (الولايات المتحدة الأمريكية)، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والجمعية الأمريكية للفلسفة، وأكاديمية العالم الثالث للعلوم (إطاليا)، والأكاديمية الأوروبية للفنون والعلوم والإنسانيات (فرنسا)، وزميل الجمعية الأمريكية للفيزياء وجمعية «سيجما زاى» إلى جانب عضويته للجمعية البابوية للعلوم (روما).

أديل سيمونز (الولايات المتحدة الأمريكية)

تعمل د. سيمونز حالياً نائباً للرئيس والمدير التنفيذى «للشيكاغو متروبوليس ٢٠٢٠» حيث توجه نشاط المنظمات غير الهادفة للربح لخدمة المجتمع. وتضم هذه الخدمات تعليم الصغار وتنمية القوى العاملة. كما تعمل كأستاذ غير متفرغ فى مركز الدراسات الدولية بجامعة شيكاغو. وعملت فى السابق كرئيس لمؤسسة ماك آرثر وذلك لمدة عشرة أعوام، وتملك تلك المؤسسة أصولاً تصل إلى أربعة بلايين دولار أمريكى وتقدم منح سنوية يبلغ قدرها ١٧٠ مليون دولار أمريكى لتحسين المستوى المعيشى للشعوب، وأثناء عملها مع مؤسسة ماك آرثر أشرفت على توزيع بليون دولار أمريكى فى صورة منح، وقد فاز أربعة ممن حصلوا على تلك المنح، بما فيهم قادة عملية السلام بأوسلو بجائزة نوبل. ومن بين أهم مبادرات المؤسسة إنشاء مؤسسة الطاقة بالتعاون مع مؤسسة «روكفيلر» ووقف «بيو».

وقبل انضمامها لمؤسسة ماك آرثر فى ١٩٨٩ تولت د. سيمونز منصب رئيس جامعة «هامسفير» في أمهرست بماساتشوستس، كما عملت كعميد لشئون الطلبة بجامعة بزستون، وعميد وأستاذ غير متفرغ بجامعة تافتس. وقد عينها الرئيس الأمريكى كارتر فى اللجنة التى أسسها لمكافحة الجوع فى العالم. وكانت عضواً فى لجنة سلامة البيئة التى أسسها الرئيس جورج بوش كما رأست لجنة حملة «ديلى» لتنمية الشباب التى أطلقها عمدة شيكاغو «ديلى» وهى عضو فى مجلس إدارة معهد «سينرجوس» واتحاد العلماء المعنيين.

وتخرجت د. سيمونز من رادكليف بالولايات المتحدة وحصلت على الدكتوراه فى التاريخ الأفريقى من جامعة أكسفورد بإنجلترا. وألفت العديد من الكتب حول أفريقيا

وعمل المرأة. ونشرت بعضا من كتاباتها فى كل من «نيويورك تايمز» و «بوسطون جلوب» و «شيكاغو تريبيون» كما حصلت د. سيمونز على كثير من الجوائز التقديرية.

أمبرتو إكو (إيطاليا)

ولد د. إكو عام ١٩٣٢ فى ألساندريا، وهى مدينة صغيرة شرق تورين وتبعد ٦٠ ميلاً جنوب ميلانو والتحق بجامعة تورين حيث درس فلسفة وأدب القرون الوسطى، وحصل على درجة الدكتوراه فى ١٩٥٤ وتناول موضوع الرسالة «توما الأكواينى» وعمل د. إكو محرراً للبرامج الثقافية بشبكة التليفزيون الإيطالى. ونشر أول كتاب له فى عام ١٩٥٦. وفى نفس العام بدأ بالتدريس فى جامعته الأم، وفى عام ١٩٥٩ اصبح رئيساً لتحرير القسم غير القصصى فى «كاسا إديتريس بومبيانى» بميلانو وذلك حتى ١٩٧٥. ومنذ عام ١٩٥٩ بدأ أيضاً فى كتابة «عمود دياريو منيمو» وذلك فى «إل فرى» وفى عام ١٩٦٢ نشر «أوبرا أبريتا» أو العمل المفتوح.

وفى عام ١٩٦٤ انتقل إلى ميلانو حيث عمل كمحاضر هناك ثم أختير لاحقاً أستاذاً للاتصالات البصرية بفلورنس عام ١٩٦٥. وفى عام ١٩٦٦ انتقل إلى جامعة العلوم التطبيقية بميلانو وعمل أستاذاً لعلم الدلالة (أحد فروع علوم اللغويات). وفى عام ١٩٧١ عين رئيساً لقسم علم الدلالة فى جامعة بولونيا وهى أقدم جامعات أوروبا. ولقد حصل د. إكو خلال حياته المهنية على عدد يصعب حصره من الجوائز والأوسمة بما فيها ٢٣ دكتوراه فخرية.

جاك أتالى (فرنسا)

يعد الدكتور جاك أتالى من كبار المهتمين والكُتّاب والبُحّاث فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية. ولقد شغل العديد من المناصب، منها مستشار الرئيس الفرنسى السابق فرنسوا ميتران (منذ ١٩٨١ وحتى ١٩٩١) ورئيس البنك الأوروبى للتعمير والتنمية (منذ ١٩٩١ وحتى ١٩٩٣) وعضو فى مجلس الدولة بفرنسا منذ ١٩٩٣ وحتى الآن. وقد قام بتأسيس ورئاسة مؤسسة «بلانت فينانس» وهى منظمة

دولية غير هادفة للربح تستخدم شبكة الإنترنت لمكافحة الفقر وتركز على هيكلة القطاع المالى الصغير. وحصل د. أتالى على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة باريس، كما حصل على درجات أخرى من جامعات «إيكول بولى تكنيك» و«إيكول دى مين» ومعهد الدراسات السياسية وكلية الإدارة. ولقد قام بتدريس النظريات الاقتصادية فى «إيكول بوليتكنيك» و «إيكول دى بون إيه شواسيه» وجامعة باريس دوفين.

وللدكتور أتالى مؤلفات عديدة فى موضوعات شتى منها الاقتصاد والموسيقى والرواية والأغانى والقصص القصيرة والمسرحيات، وقد تمت ترجمة أعماله إلى أكثر من عشرين لغة وطبع منها أكثر من ٣ ملايين نسخة.

حنان عشراوى (فلسطين)

ولدت د. عشراوى فى رام الله بفلسطين، وتقيم حالياً فى القدس ودرست فى كل من جامعة بيروت وكلية كلتنهام للبنات، حصلت على درجة الدكتوراه من فرجينيا بالولايات المتحدة وتشغل د.عشراوى حالياً منصب عميد كلية الآداب بجامعة بير زيت فى فلسطين، كما تقوم بتدريس الأدب الإنجليزى بنفس الجامعة. شغلت منصب وزير التعليم والبحث العلمى فى السلطة الوطنية الفلسطينية حتى أغسطس ١٩٩٨. انتخبت فى عام ١٩٩٦ لعضوية المجلس التشريعى الفلسطينى. كانت المتحدثة الرسمية باسم الحركة الفلسطينية إبان مفاوضات السلام بمدريد من ١٩٩١ وحتى ١٩٩٣. قامت فى عام ١٩٩٤ بتأسيس اللجنة المستقلة لحقوق المواطنين الفلسطينيين والمبادرة الفلسطينية لتعزيز الحوار العالمى والديمقراطية.

ستيفن جاى جولد (الولايات المتحدة الأمريكية)

يعتبر د. جولد واحداً من أكبر الكُتّاب فى مجال العلوم على المستوى العالمى. كما يعد من أهم علماء الحفريات (البلويونتولوجيا) ونظرية التطور. ولد بمدينة نيويورك وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة أنتيوش عام ١٩٦٣ ثم درجة الدكتوراه فى «البلويونتولوجيا» من جامعة كولومبيا فى ١٩٦٧ يعمل حالياً أستاذاً فى

علم الحيوان بجامعة هارفارد وأميناً عاماً لقسم «البلويونتولوجيا» اللافقرية بمتحف هارفرد لعلم الحيوان المقارن وعضو غير متفرغ بقسم تاريخ العلوم. كما يعمل أيضاً كأستاذ زائر لعلم الأحياء بجامعة نيويورك منذ ١٩٩٦.

وحصل د. جولد على العديد من الجوائز منها جائزة الزمالة لمؤسسة ماك آرثر وذلك فى ١٩٨١ حين كان رئيسا للجمعية الأمريكية لعلماء التاريخ الطبيعى وجمعية البلويونتولوجيا وجميعة دراسة التطور.

وكتبه العلمية من أكثر الكتب شعبية ومبيعاً على المستوى العام بالرغم من كونها تتناول أخطر نواحى التقدم العلمى الحديث. وعمل د. جولد رئيساً للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم منذ ١٩٩٩ وحتى ٢٠٠٠.

طاهر بن جلون (المغرب)

ولد بن جلون فى عام ١٩٤٤ بالمغرب، ثم هاجر بعد ذلك إلى فرنسا عام ١٩٦١ وكتب د. بن جلون العديد من كتبه بالفرنسية فى مجالات الشعر والنثر والنقد، كما يكتب بانتظام بمجلة «لوموند» الباريسية. ومن بين أعماله «طفل الرمال» و «الليلة المقدسة» والتى حصل عنها على جائزة جونكور وهى أعلى جائزة فرنسية فى الأدب عام ١٩٨٧، ذلك بالإضافة إلى «يوم ساكن فى طنجة» و «خطيئة الليل» عام ١٩٩٧.

عبد اللطيف الحمد (الكويت)

رئيس الصندوق العربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. شغل منصب وزير مالية الكويت سابقاً كما أسس صندوق التنمية الكويتى ويعد د. الحمد عميد جهود التنمية العربية. شارك فى العديد من اللجان الدولية رفيعة المستوى مثل «براندت» و «برونتلاند» وآخرها اللجنة العالمية للمياه فى القرن الحادى والعشرين.

فاروق الباز (مصر)

يعمل الدكتور الباز حالياً كرئيس مركز الاستشعار عن بعد فى جامعة بوسطن والذى قام بتأسيسه منذ عام ١٩٨٦. ويدعم المركز تكنولوجيا الفضاء فى علوم الآثار

والجغرافيا والجيولوجيا. كما يعمل أستاذاً غير متفرغ للجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة عين شمس مصر.

ولد الدكتور الباز بالزقازيق وحصل على بكالوريوس الكيمياء والجيولوجيا من جامعة عين شمس بمصر ثم درجة الدكتوراه فى الجيولوجيا من جامعة ميسورى بالولايات المتحدة الأمريكية وخلال دراسته قام بإجراء عدة أبحاث (١٩٦٢-١٩٦٣) بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا فى كمبردج بالولايات المتحدة. وقام بتدريس الجيولوجيا فى كل من جامعة أسيوط بمصر وجامعة هايدلبرج بألمانيا. ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٢ عمل ببرنامج أبولو بوكالة ناسا للفضاء كمشرف على تخطيط علوم القمر. كما عمل مستشاراً فى العلوم للرئيس السادات (١٩٧٨-١٩٨١)

عمل د. الباز بلجنة التوجيه بمعهد سميثسونيان وبرامج المؤسسة القومية للعلوم ومجلس الولايات المتحدة للأسماء الجغرافية ومجموعة الاصطلاحات القمرية للاتحاد الدولى للفلك. وفى عام ١٩٨٥ أختير زميلاً لأكاديمية العلوم للعالم الثالث ومثل الأكاديمية أمام المنظمات غير الحكومية التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى بالأمم المتحدة.

ومن المعروف عنه ريادته فى الاستفادة من البيانات المأخوذة من الفضاء فى اكتشاف المياه الجوفية، وللدكتور الباز حضور إعلامى مميز فى المجالات العلمية وقد نشرت أحاديثه فى «نيويورك تايمز» و «واشنطن بوست» و «بوسطن جلوب» و «التايمز» و «النيوزويك» إلى جانب الشبكات التليفزيونية العربية والعالمية ولقد حصل على العديد من الجوائز منها جائزة برنامج أبولو بوكالة ناسا الفضائية وميدالية التحصيل العلمى المتميز وجائزة التقدير الخاصة وجائزة خريجى جامعة ميسورى للتحصيل العلمى المتميز وشهادة تقدير المنظمة الدولية التعليمية للغلاف الجوى ووسام الاستحقاق المصرى من الدرجة الأولى وغيرها.

فيجرس فينبو جادتير (أيسلندا)

كانت السيدة فينبو جادتير رئيساً لجمهورية أيسلندا لفترة تزيد على العشرة أعوام من ١٩٨٠ وحتى ١٩٩٢ وهى شخصية عالمية معروفة وقد درست الأدب إلى جانب

اللغات فى جامعات جرينوبل والسربون فى فرنسا وأبسالا فى السويد وجامعة أيسلندا.

فى بداية حياتها عملت فى مجال السياحة لدعم وتعزيز العلاقات بين أيسلندا وفرنسا كما عملت كمدير لمسرح «ركيفيك» من عام ١٩٧٢ إلى ١٩٨٠.

وعينت من قبل التليفزيون الأيسلندى لتدريس الفرنسية إلى جانب تقديم حلقات ثقافية عن المسرح. كما كانت عضواً فى أول مجموعة مسارح تجريبية بأيسلندا وتولت منصب رئيس برنامج التعاون الثقافى الفرنسى، كما كانت عضوا فى اللجنة الاستشارية للعلاقات الثقافية لمجلس دول الشمال «نورديك» وتولت رئاسته من ١٩٧٨ - ١٩٨٠.

وتعتبر السيدة/ فينبوجادتير الرئيس المؤسس لمجلس السيدات رؤساء الدول والحكومات والذى تحتضنه هارفرد منذ ١٩٩٦ وحتى الآن وتشارك السيدة/ فينبوجادتير فى العديد من الأنشطة الدولية وهى حاليا رئيس اللجنة الدولية لأخلاقيات العلم والتكنولوجيا إلى جانب كونها مستشاراً لمؤسسة الشباب الدولية وسفيرة اليونسكو للنوايا الحسنة فى مجال اللغات ومكافحة كل من العنصرية وخشية الأجانب.

كارل ثام (السويد)

تخرج د. ثام فى الأدب والتاريخ من جامعة ستوكهولم فى ١٩٦٣. ويعمل مديراً تنفيذياً لمعهد «أولف بالم» ونشط د. ثام فى العمل الحكومى منذ عام ١٩٦٩، فى الحزب الليبرالى، وكعضر فى البرلمان، وكوزير للتعليم العالى والعلوم، وكوزير للطاقة، وكمدير عام للوكالة السويدية للتنمية الدولية، وكمدير للعديد من الوكالات الحكومية.

وعمل عن كثب فى مجال التنمية الثقافية كرئيس مجلس إدارة المتحف السويدى للفنون، ورئيس مجلس إدارة مسرح الرقص الحديث، ورئيس مجلس إدارة معهد الدراسات المستقبلية، ورئيس لجنة «أرتس جرانتس» أو منح الفنون، ورئيس مجلس

إدارة الأوبرا الملكية السويدية. وأظهر د. ثام دائماً اهتماماً خاصاً بالعلاقة بين الثقافة والتنمية وكان من أول من عملوا فى مجال تمويل المشروعات الثقافية كجزء لا يتجزأ من دعم التنمية وله العديد من الكتب والمؤلفات، كما يعد كاتبًا منتظماً فى العديد من الصحف والمجلات ويعمل فى العديد من اللجان وحاليًا هو عضو اللجنة العليا الخاصة بالتعليم العالى لمنظمة اليونسكو والبنك الدولى.

كازووتاكاهاشى (اليابان)

يعمل د. تاكاهاشى حاليًا مديراً للمعهد الدولى لبحوث التنمية التابع لمؤسسة الدراسات الحديثة حول التنمية الدولية بطوكيو باليابان. كما يعمل أستاذاً زائراً بجامعة طوكيو، ويساهم بالعمل فى الكثير من اللجان التابعة للحكومة اليابانية والهيئات الدولية (كاللجنة الدولية للمياه للقرن الحادى والعشرين ووزارة الصحة اليابانية ومجلس الأرض ونادى طوكيو).

وحصل على درجة البكالوريوس والماجستير من الجامعة المسيحية الدولية باليابان ودرجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وعمل فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية التى تضم كل الدول الصناعية والمكسيك وكذلك لجنة متابعة الدعم المالى من الدول الغنية للدول الفقيرة. كما عمل كمدير برنامج ومستشار خاص بمؤسسة ساسكاوا للسلام. ومن أهم موضوعات أبحاثه الحالية العلاقة بين العولمة والتنمية الدولية، والنماذج الجديدة للتعاون من أجل التنمية والصراعات المسلحة وأثرها على التنمية والإدارة العالمية لموارد المياه.

ليلى تكلا (مصر)

د. تكلا شخصية مصرية ودولية ومعروفة تعمل حالياً فى مجال حل مشكلات المياه، خاصة ما يتعلق بنهر النيل. كما عملت فى لجنة بيريز دو كويلار (الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة) حول الثقافة والتنمية، وكان لتقرير اللجنة بعنوان «التنوع الخلاق» أكبر الأثر فى حث العالم أجمع على احترام مختلف الثقافات والمحافظة عليها. كما تقوم بكتابة المقالات للصحافة بانتظام.

لويس مونريال (أسبانيا)

يعمل د. مونريال حالياً مديراً عامًا لمؤسسة «لاكسيا» ببرشلونة، أسبانيا. ويعد د.مونريال متخصصا فى مجال الصون. كما يعمل أستاذاً فى تاريخ الفن، وحصل على البكالوريوس فى الآثار والفنون الجميلة من جامعة برشلونة وفالنسيا. وضمن نشاطاته عضويته فى بعثة الآثار الأسبانية للنوبة. وشغل العديد من المناصب فى كثير من المؤسسات، منها مدير عام بمنظمة اليونسكو ومدير عام معهد «جتى» للصون حتى عام ١٩٩٠. وبتوليه رئاسة مؤسسة لاكسيا أصبحت المؤسسة قوة دفع ثقافية كبيرة لدعم المناسبات الثقافية والمعارض إلى جانب دعم المؤسسات الثقافية فى أوروبا بصفة عام. ويعمل د. مونريال فى العديد من اللجان، بما فيها لجنة التسيير لجائزة الأغاخان للعمارة ويعتبر من أكبر العاملين فى مجال الثقافة فى العالم.

مارجرت كاتلى كارلسون (كندا)

ولدت السيدة/ كاتلى كارلسون فى ساسكاتشوان ونشأت فى كولومبيا البريطانية بكندا. تخرجت من روجرز فى ١٩٦٠ ثم التحقت بجامعة كولومبيا البريطانية ومنها حصلت على ليسانس مع مرتبة الشرف. وبعد تخرجها، انضمت للعمل بوزارة الخارجية الكندية حيث عملت فى كل من سريلانكا فى ١٩٦٨، وبعد ذلك لندن فى ١٩٧٥. كما قامت بعمل دراسات عليا فى جامعات غرب الهند وترينيداد وتوباجو.

وفى عام ١٩٧٨ أوكل إليها منصب نائب رئيس الوكالة الكندية للتنمية الدولية وفى عام ١٩٧٩ عُينت فى منصب النائب الأول للرئيس. وبعد ذلك بعامين شغلت منصب وكيل أول وزارة الخارجية الكندية وذلك فى أوتاوا.

فى أواخر عام ١٩٨١ تولت منصب نائب المدير التنفيذى بمنظمة اليونيسيف بالأمم المتحدة ومنذ عام ١٩٨٣ وحتى ١٩٨٩، شغلت منصب رئيس الوكالة الكندية للتنمية الدولية، ومنذ عام ١٩٨٩ وحتى ١٩٩٢، عملت نائباً لوزير الصحة الكندية، وفى عام ١٩٩٣، شغلت منصب رئيس مجلس السكان بالأمم المتحدة فى نيويورك.

فى عام ١٩٨٥، منحت مارجريت درجة الدكتوراه الفخرية فى الحقوق من جامعة رجينا والدكتوراه الفخرية فى الحقوق من جامعة رجينا والدكتوراه الفخرية فى الآداب

من جامعة سانت مارى. وحصلت خلال حياتها المهنية على منح عديدة من مختلف المؤسسات التعليمية ومنها مؤسسة «رايرسون» للعلوم التطبيقية فى ١٩٨٦ و«كنكورديا» فى ١٩٨٩ و «مونت سانت فينسنت» فى ١٩٩٠، و «اليوبى سى» فى ١٩٩٣، وجامعة كالجارى فى ١٩٩٣، وجامعة كارلتون فى ١٩٩٣.

ماريانا فاردينويانس (اليونان)

ولدت السيدة فاردينويانس فى أثينا، ودرست الاقتصاد فى دنفر -كولورادو بالولايات المتحدة. وتتحدث كل من اليونانية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة. وتعمل بنشاط فى المجال الاجتماعى، خاصة فى الموضوعات التى تخص التضامن البشرى والسلام وصحة الطفل والتعليم والرفاهية الاجتماعية ومكافحة الفقر.

كما تعمل كسفيرة لليونسكو للنوايا الحسنة فى مجال حماية الطفل، وتتعاون مع اليونسكو فى العديد من المجالات مثل «بيت لحم ٢٠٠٠» ومركز موارد الطفولة.

وتعمل أيضًا مع العديد من المؤسسات الصحية والخيرية، ولها مجهوداتها الحثيثة فى مجال مكافحة استغلال الأطفال. ولقد حصلت ماريانا على العديد من الجوائز بما فيها الدكتوراه الفخرية من شيفلد بإنجلترا عام ١٩٩٧، وتم اختيارها لجائزة المرأة فى أوروبا عام ١٩٩٦.

مونكومبو سواميناثان (الهند)

اعتبرت مجلة «التايمز» د. سواميناثان واحداً من أهم عشرين شخصية آسيوية فى القرن العشرين تضمنت القائمة ثلاث شخصيات هندية فقط وهم إلى جانبه، غاندى وطاغور.

تلقى تعليمه فى جامعة «ترافانكور» فى عام ١٩٤٤ حيث حصل على البكالوريوس ثم التحق بكلية الزراعة، جامعة كمبردج حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٢. وعمل كأستاذ مساعد بجامعة ويسكونسون بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٣. وفى الستينات، عمل كعالم وراثة وكمدير للمعهد الهندى للبحوث الزراعية حيث توصل لكثير من الاكتشافات العلمية والحلول للعديد من المشكلات

الزراعية فى آسيا، وكان له الفضل فى استحداث نوعيات متميزة من محاصيل القمح والأرز فى الهند، وبذلك فتح الطريق أمام «الثورة الخضراء» لتجتاح جنوب آسيا بالكامل. وأدت تلك الجهود التى قام بها إلى مضاعفة محاصيل الحبوب فى الهند من ١٢ مليون طن إلى ٢٣ مليون طن وذلك فى أربعة مواسم زراعية، الأمر الذى أحدث طفرة زراعية فى الهند ومن المعروف عنه أنه مهندس الثورة الخضراء بالهند.

وحصل على جائزة الغذاء العالمية الأولى فى ١٩٨٧ بفضل جهوده فى كل من علم الوراثة للمحاصيل والتنمية الزراعية المستدامة فى الهند والعالم الثالث. كما حصل أيضاً على جائزتى «تايلر» و «هوندا» فى ١٩٩١، إلى جانب جائزة «ساساكاوا» الخاصة ببرنامج الأمم المتحدة للبيئة وذلك فى ١٩٩٤. كما حصل على جائزتى «بادما بهوشان» و «بادما فيبهاشان» من الحكومة الهندية وجائزة «ماجسيسى» وجائزة «بورلوج» إلى جانب حصوله على الزمالة من الجمعية الملكية بلندن. ولقد خصص القيمة المالية لكل تلك الجوائز لإنشاء مؤسسة سواميناثان فى شيناى بمدراس بالهند. وتعد تلك المؤسسة مركزاً حيوياً للعمل الفكرى، حيث يقوم د. سواميناثان بتدريب جيل كامل من العلماء الهنود على ممارسة أرقى أنواع العلوم جنبًا إلى جنب مع العمل من أجل الفقراء ولمساعدتهم. وتدرس جهوده الرائدة حول العالم فى كل من مجال القرى الحيوية (زيادة وتنمية الإنتاج الزراعى للفقراء بشكل مستدام) ومجال القرى المعلوماتية (توصيل خدمات البريد الإلكترونى للفقراء لتمكين تلك الفئات فى الهند).

هانس بيتو جيه (ألمانيا)

درس دكتور جيه فى كل من جامعات فرانكفورت وبريستول وكولونى ولقد تخصص فى علم المكتبات وتلقى تدريبًا عليه فى جامعة فرانكفورت وفى جامعة كولونى ولقد شغل مناصب عديدة منها رئيس الاتحاد الدولى للمكتبات (إيفلا) من ١٩٨٥ حتى ١٩٩١، ويرأس حاليًا المؤسسة الأوروبية للتعاون بين المكتبات وذلك منذ عام ١٩٩١.

ويليام وولف (الولايات المتحدة الأمريكية)

يرأس د. وولف الأكاديمية الأمريكية للهندسة كما يرأس الأكاديمية القومية للعلوم. تعمل الأكاديمية الأمريكية للهندسة بموجب ميثاق من الكونجرس وذلك لإمداد الحكومة بالاستشارات اللازمة حول قضايا العلوم والتكنولوجيا من بين المهام التى اضطلع بها د. وولف مراجعة مناهج علوم الكومبيوتر بالولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب معاونة دارسى العلوم الإنسانية فى استخدام تكنولوجيا المعلومات. كما يعمل فى الأبحاث الخاصة بأمن أنظمة الكمبيوتر وتصميمها.

وإلى جانب عضويته فى الأكاديمية الأمريكية للهندسة، فهو زميل للأكاديمية الأمريكية للعلوم والفنون بالإضافة إلى عضويته لثلاث جمعيات متخصصة أخرى وهى جمعية آليات الكومبيوتر ومعهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين وأخيراً الجمعية الأمريكية للتقدم العلمى ولقد قام د. وولف بإجازه من منصبه كأستاذ جامعى للعمل كمساعد لمدير المؤسسة القومية للعلوم بالولايات المتحدة، حيث يرأس قسم الكومبيوتر ومبادرة الاتصالات، إلى جانب إعداد القرارات الخاصة بالقاعدة القومية للمعلومات بالولايات المتحدة الأمريكية.

وول سوينكا (نيجيريا)

حاصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٨٦.

ولد سوينكا فى يوليو ١٩٣٤ بالقرب من إيبادان، غرب نيجيريا وبعد انتهاءه من دراسته الجامعية فى الجامعة الحكومية بإيبادان، التحق بجامعة ليدز بإنجلترا، حيث حصل على الدكتوراه فى عام ١٩٧٣. وقد قضى ستة أعوام فى إنجلترا حيث عمل مؤلفًا مسرحيًا فى مسرح «رويال كورت» بلندن. وفى عام ١٩٦٠، حصل على منحة مالية من مؤسسة «روكفيلر» وعاد بعد ذلك إلى نيجيريا حيث درس الدراما الأفريقية. وفى تلك الأثناء قام بتدريس الدراما والأدب فى العديد من الجامعات فى أيبادان وليجوس وايف حيث عمل كأستاذ للأدب المقارن وفى عام ١٩٦٠ أنشأ المجموعة المسرحية التى أطلق عليها أقنعة ١٩٦٠، ثم فى ١٩٦٤ أسس شركة «أوريسون»

المسرحية حيث قام بالإخراج والتمثيل معًا. كما عمل من حين إلى آخر كأستاذ زائر في جامعات كمبردج وشفيلد ويال. وإبان الحرب الأهلية بنيجيريا، نادى سوينكا بوقف إطلاق النار، وكنتيجة لذلك تم اعتقاله فى ١٩٦٧ بتهمة التآمر مع متمردى بيافرا وتم احتجازه كمسجون سياسى لمدة اثنتين وعشرين شهراً حتى ١٩٦٩. وقد أدى دفاعه بعد ذلك عن حقوق المدنيين وعن حقوق الإنسان إلى نفيه وعاش فى المنفى يدرس بجامعة إيمورى فى الولايات المتحدة ولم يعد إلى نيجيريا إلا بعد عودة الحكم الديمقراطى.

ولقد نشر لسوينكا أكثر من عشرين كتابًا فى كل من النقد والدراما والأدب القصصى والشعر. وبرع فى الكتابة باللغة الإنجليزية، حيث تميزت لغته بالثراء. ودقة اختيار الكلمات وحصل على العديد من الجوائز منها جائزة نوبل للآداب فى ١٩٨٦.

يولندا كاكابيدزو (إكوادور)

ولدت السيدة كاكابيدزو فى الإكوادور عام ١٩٤٨. ودرست علم النفس فى الجامعة الكاثوليكية بكيتو. وقد بدأ عملها مع حركة حماية البيئة فى عام ١٩٧٩ وذلك لدى تعينها مدير تنفيذى لمؤسسة الطبيعة «ناتورا» فى كيتو وذلك حتى عام ١٩٩٠ وبفضلها أصبحت المؤسسة واحدة من أهم المنظمات البيئية فى أمريكا اللاتينية وذلك من خلال تطوير السياسات لدعم المجتمع الإكوادورى والمجتمع الدولى، وذلك عن طريق التوعية البيئية واقتراح سياسات جديدة للتنمية، وبذلك احتلت المؤسسة مكاناً مرموقًا فى عالم المنظمات غير الحكومية.

ومنذ عام ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٢، عملت على تنسيق عملية مشاركة المنظمات الأهلية فى مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والبيئة (قمة الأرض). وفى عام ١٩٩٣، أسست ورأست عدة منظمات غير حكومية فى مجال البيئة وفى أغسطس ١٩٩٨، تم تعيينها وزيرة للبيئة بحكومة الإكوادور وذلك حتى عام ٢٠٠٠.

وشاركت فى كثير من الأنشطة والأعمال من بينها رئيس الاتحاد العالمى للحفاظ

على البيئة (١٩٩٦)، وعضوية مجلس إدارة معهد الموارد العالمية (١٩٩٦)، وعضو مجلس أمناء مؤسسة فورد (١٩٩٧-١٩٩٨ ثم منذ عام ٢٠٠٠ وحتى الآن)، ومستشار رئيس المرفق العالمى للبيئة (١٩٩٣-١٩٩٨)، وعضو مجلس الألفية لتقييم النظم البيئية (٢٠٠٠)، وعضو المجلس الاستشارى الدولى للأنبيو (٢٠٠٠)، وعضو مجلس إدارة الصندوق الدولى للدعم العالمى (١٩٩٥-١٩٩٧).

حصلت على العديد من الجوائز التقديرية، من بينها وسام الاستحقاق القومى كضابط مكلف للحكومة الإكوادورية وذلك فى عام ١٩٩٠، الجائزة العالمية «الـ ٥٠٠ الكبار» لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة فى عام ١٩٩١، ووسام القوس الذهبى من الأمير برنارد -هولندا فى عام ١٩٩١.

اسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية

* ولد بالجيزة فى عام ١٩٤٤.

* تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى فى كلية الهندسة جامعة القاهرة- قسم الهندسة المعمارية عام ١٩٦٤.

* حصل على درجة الماجستير بامتياز فى التخطيط الإقليمى من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٨.

* نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٧٢. (رسالة الدكتوراه: دور التعليم فى التنمية).

• درجات فخرية

منح الدكتور إسماعيل سراج الدين ثلاثة عشر (١٣) درجة دكتوراه فخرية:

* فى علم الاجتماع من جامعة بوخارست برومانيا (١٩٩٦)

* فى العلوم الزراعية من جامعة ملبورن بأستراليا (١٩٩٦)

* فى العلوم من المعهد الهندى للأبحاث الزراعية بالهند (١٩٩٧).

* فى العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن العاصمة بالولايات المتحدة (١٩٩٨).
* فى العلوم من جامعة البنجاب الزراعية بالهند (١٩٩٨).
* فى العلوم من جامعة تاميل نادو لعلوم الحيوان والطب البيطرى بالهند (١٩٩٨)
* فى إدارة الموارد الطبيعية من جامعة ولاية أوهايو بالولايات المتحدة (١٩٩٨)
* فى العلوم من جامعة تاميل نادو الزراعية فى كويمبباتور بالهند (١٩٩٩)
* فى العلوم من الجامعة الزراعية القومية حيدر أباد بالهند (١٩٩٩)
* فى الاقتصاد والإدارة من الكونسرفتوار القومى بباريس -فرنسا (١٩٩٩).
* فى العلوم من جامعة إيجرفتون بكينيا (١٩٩٩)
* فى العلوم الزراعية من جامعة توسيكا بإيطاليا (١٩٩٩)
* فى الآداب من الجامعة الأمريكية فى القاهرة بجمهورية مصر العربية (٢٠٠٠)

● عمل الدكتور إسماعيل سراج الدين عقب إنهاء دراساته بجامعة هارفارد عام ١٩٧٢ فى البنك الدولى بواشنطن العاصمة بالولايات المتحدة الأمريكية وشغل مواقع عدة بالبنك حتى عين نائبًا لرئيس البنك فى عام ١٩٩٣ وظل بهذا المنصب حتى استقال منه فى منتصف عام ٢٠٠٠.

وحتى استقالته كنائب لرئيس البنك الدولى شغل الدكتور سراج الدين المواقع التالية

- رئيس المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية (١٩٩٤-٢٠٠٠)
- رئيس المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء (١٩٩٥-٢٠٠٠)
- رئيس الشراكة الكوكبية (الدولية) للمياه (١٩٩٦-٢٠٠٠)
- رئيس اللجنة الدولية للمياه فى القرن الحادى والعشرين (أغسطس ١٩٩٨-مارس ٢٠٠٠).

● كما عمل أستاذًا زائرًا متميزًا بجامعات فاجنجن بهولنده والأمريكية بالقاهرة، ويعمل الدكتور إسماعيل سراج الدين حاليًا مديرًا لمكتبة الأسكندرية.

يتمتع الدكتور إسماعيل سراج الدين بعضوية

-الأكاديمية العالمية للفنون والعلوم.

- الأكاديمية الوطنية للعلوم الزراعية بالهند.

- الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون -النمسا

-الأكاديمية البنجلادشية للعلوم -دكا.

- كما أنه رئيس أو عضو فى العديد من اللجان والمؤسسات الأكاديمية.

قام الدكتور سراج الدين بتأليف أو تحرير أكثر من ٤٥ كتابًا بالإضافة إلى ٢٠٠ مقالة وبحث تقنى وفصل فى كتاب فى العديد من مجالات العلم والثقافة والأدب.

ملحق (٨)

دليل مكتبة الإسكندرية

مكونات المكتبة

الخدمات الفنية

المستوى٣ مكتبة الموسيقى وقسم المواد السمعية والبصرية والوسائط المتعددة وسيبدأ التشغيل فى أبريل ٢٠٠٢.

المستوى ٤ معامل الحفاظ

الكتب النادرة والمخطوطات

المعارض

المتاحف

المستوى ٥ مكتبة طه حسين للمكفوفين

منفذ لبيع الكتب

المستوى ٦ كافيتريا

مكتبة النشأ (الأعمار من ١٤ إلى ١٨ سنة)

مقر الجمعية المصرية لأصدقاء مكتبة الإسكندرية.

القبة السماوية و متحف العلوم

مركز المؤتمرات بالإسكندرية

مكاتب المعلومات فى كل مستوى

توزيع مقتنيات المكتبة

١-جذور المعرفة: ١٠٠ فلسفة؛ ٢٠٠ علوم دينية؛ ٩٠٠ جغرافيا وتاريخ؛ خرائط مرجع للمخطوطات والكتب النادرة

٢- ٤٠٠ لغات؛ ٨٠٠ آداب مركز للغات المتعددة مواد سمعية/ بصرية/ وسائط متعددة

٣- ٧٠٠ فنون وثقافة (ماعدا ٣/ ٢/ ٧٧١) ٧٨٠ موسيقى

٤- متاحف للمخطوطات والآثار والعلوم الدوريات العامة (تصنف باقى السلسلات بالموضوع) المعارف العامة/ مرجع للمعارف العامة (ماعدا ٣٠٠/ ٤/ ٥/ ٦) ٠٢٠ علوم المكتبات، ٠٧٠ الوسائط الإعلامية ٣١٠/ ٣٣٠/ ٣٤٠/ ٣٨٠/ ٦٥٠ اقتصاد وإدارة الأعمال والتنمية (ماعدا ٣٨٤). مكتبة الإيداع: المطبوعات الرسمية (مطبوعات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والحكومة المصرية)

٥- المدخل الرئيسى -ساحة بطليموس قاعات الاستماع وقاعات الاجتماعات المعلومات والعضوية والاستعارة مكتبة طه حسين للمكفوفين ٣٠٠ العلوم الاجتماعية ماعدا (٣١٠, ٣٣٠, ٣٤٠, ٣٨٠)

٦- مدخل معهد الدراسات الدولية للباحثين ٠٠٠-٩٩٩ مكتبة النشأ (الأعمار من ١٤ إلى ١٨ سنة) ٥٠٠ العلوم ٦٠٠ التكنولوجيا (ماعدا ٦٥٠)

٧- معهد الدراسات الدولية للباحثين- الإدارة ٣٠٠/ ٤/ ٥/ ٦/، ٣٨٤، ٣/ ٢/ ٧٧١ التكنولوجيا الحديثة

رسالة المكتبة

تهدف المكتبة الجديدة إلى خلق مكتبة حديثة متخصصة ومجموعة مقتنيات فريدة إلى جانب التمسك بتقاليد المكتبة القديمة. وكما تسعى المكتبة أن تكون مصدر قيم للمعلومات بنية دعم اتخاذ القرار ورسم آفاق جديدة للمستقبل لتحقيق التنمية الثقافية

والاجتماعية والاقتصادية بمصر والمنطقة. وبالتالى ستلعب المكتبة دوراً أساسياً لتعزيز التعاون بين شمال وجنوب وكذا شرق وغرب حوض المتوسط وستعمل المكتبة من خلال أربعة محاور رئيسية الا وهى أن تصبح:

(١) نافذة مصر على العالم

(٢) نافذة العالم على مصر

(٣) مكتبة للعصر الرقمى الجديد

(٤) مركز للحوار والمناقشة.

ويرتبط هذا المنهج مباشرة بسياسة الاقتناء وخلق كيان متميز للمكتبة بين المكتبات العالمية. ولن يقتصر دور المكتبة على كونها مكتبة فحسب بل سيمتد دورها لتصبح مؤسسة ثقافية موجهة لخدمة المستفيدين منها فى الفنون المسرحية والعروض الفنية والموسيقية والمعارض والمتاحف فى الأماكن المخصصة لتلك الأغراض وكذا ساحة الحضارات.

الخدمات

الفهرس الإلكترونى - المخطوطات النادرة - مكتبات الإبداع - الخدمات العامة خدمات المعلومات

تبدأ ساعات العمل بالمكتبة

أيام الأحد إلى الخميس من ١٠:٣٠ ص إلى ٧:٣٠م يومياً

ويومى الجمعة والسبت من ٣:٣٠ م إلى ٧:٣٠م

تنظيم زيارات المكتبة

أيام الأحد والخميس الساعة ١١:٠٠ص و٤:٠٠م وعلى المجموعات الكبيرة الاتصال بمكتب الخدمات العامة لتنظيم موعد الزيارة

مكتبة الإسكندرية -الشاطبى -صندوق بريد ٢١٥٢٦.

تليفون: ٤٨٣٠٣٤٥ -٠٣- ٠٠٢ فاكس: ٤٨٣٠٣٣٩ -٠٣- ٠٠٢

البريد الإلكترونى: Secretariat @ bibalex, gov. eg

الموقع على الإنترنت: www.bibalex. gov.eg

المصادر

- إبراهيم سيف الدين وزكى على وأحمد نجيب هاشم. مصر فى العصور القديمة .ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١ .

- أحمد أمين وزكى نجيب محمود. قصة الأدب فى العالم .ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.

- أحمد أمين سليم. دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم: مصر، العراق، إيران .ـ بيروت: دار النهضة، ١٩٩٢ .

- أوروسيوس، بول. تاريخ العالم/ ترجمة عبد الرحمن بدوى .ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢ .

- بتلر، ألفرد ج. فتح العرب لمصر/ تعريب محمد فريد أبو حديد.ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٠ .

- بريستد، جيمس هنرى. تاريخ العصور القديمة/ نقله إلى العربية داود قربان .ـ بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٩٨٣ .

- بريستد، جيمس هنرى. تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى/ ترجمة حسن كمال .ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٠ .

- بسام العسلى. الإسكندر الأكبر: المقدونى .ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠ .

- بسام العسلى. يوليوس قيصر .ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠ .

- بول غليونجى. عبد اللطيف البغدادى: طبيب القرن السادس الهجرى؛ شخصيته، إنجازاته .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ .

- جورجى زيدان. تاريخ التمدن الإسلامى .ـ بيروت: دار الحياة، د. ت. (القاهرة: دار الهلال، ١٩٠٤).

- دودلى، دونالد. حضارة روما/ ترجمة جميل يواقيم الذهبى .- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩.

- رحاب خضر عكاوى. موسوعة عباقرة الإسلام فى الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة .- بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٩٣.

- ستيس، وولتر. تاريخ الفلسفة اليونانية/ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد .- القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور القديمة .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧ (إعادة طبع ١٩٩٩).

- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨.

- عباس محمود العقاد. عبقرية عمر.- بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د.ت.

- عبد الرحمن بدوى. أرسطو .- بيروت: دار القلم، ١٩٨٠.

- عبد الرحمن بدوى. أفلاطون .- بيروت: دار القلم، ١٩٧٩.

- عبد الرحمن بدوى. ربيع الفكر اليونانى.- بيروت: دار القلم، ١٩٧٩.

- عبد اللطيف البغدادى: موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على الشافعى. الإفادة والاعتبار والأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر .- القاهرة: دار سلامة موسى، ١٩١٣.

- ابن العبرى، أبو الفرج بن هارون الملطى. تاريخ مختصر الدول .- بيروت: دار الرائد اللبنانى، ١٩٨٣ (بنيت على الطبعة الأوروبية ١٨٠٦).

- عزت زكى حامد قادوس. آثار الإسكندرية القديمة .- الإسكندرية: المؤلف، ١٩٩٨.

- على عبد الواحد وافى. الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى .- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩.

- عمر الإسكندرى و ا. ج. سفدج . تاريخ مصر إلى الفتح الفارسى.ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٠.

- عمر فروخ. تاريخ العلوم عند العرب.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

- القرشى المصرى: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم بن أعين. فتوح مصر وأخبارها .ـ القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١.

- القفطى: جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى يوسف. كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء .ـ القاهرة: مكتبة المتنبى، د. ت. (وهناك أيضاً طبعة ليبزج ومخطوطة دار الكتب).

- لويس عوض. دراسات فى الحضارة.ـ بيروت: دار المستقبل العربى، ١٩٨١.

- لويس، نفتالى. مصر الرومانية/ ترجمة فوزى مكاوى .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

- كلينكل، هورست. حمورابى البابلى وعصره/ تعريب محمد وحيد خياطة .ـ دمشق: دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٠.

- كوركيس عواد. خزائن الكتب القديمة فى العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة .ـ بيروت: دار الرائد العربى، ١٩٨٦.

- محمد جلال سيد غندور. مكتبة الإسكندرية القديمة: دراسة بيوجرافية .ـ القاهرة: عالم الكتب .ـ مج ١٧، ٤٦ (نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٦).ـ ص ص ٥٠٢-٥٢٦.

- محمد عبد الرحمن مرحبا. الجامع فى تاريخ العلوم عند العرب .ـ بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٨.

- مصطفى العبادى. مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى .ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.

- مصطفى العبادى. مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها ومصيرها .ـ باريس: اليونسكو، ١٩٩٢.

- مكتبة الإسكندرية. . الإسكندرية: المكتبة، ٢٠٠١.

- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية/ مجموعة من العلماء والكتاب .- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.

- ناصر الأنصارى. حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم .- القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١.

- ابن النديم: محمد بن اسحق. الفهرست: دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية/ تحقيق ونشر شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة .- القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

- هسى، ج. م. العالم البيزنطى/ ترجمة رأفت عبد الحميد .- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤.

- هونكه، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب/ ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى.- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٦.

- هيسيل، ألفرد. تاريخ المكتبات/ نقله إلى العربية شعبان عبد العزيز خليفة.- الرياض: دار المريخ، ١٩٨٠.

- ويلز، هـ. ج. موجز تاريخ العالم/ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩. (الألف كتاب الثانى؛ ٣١١).

ثانياً: مصادر بالإنجليزية

- Bevan, Edwin. The House of ptolemy .- Chicago: Argonaut, 1968.

- Blum, Rudolf. Kallimachos : the Alexandrian Library and the origin of bibliography / translated by Hans H. Wellisch .- Madison: The University of Wisconsin Press, 1991.

- The Egyptian Book of the Dead .- San Francisco : Chronicle Books, 1994.

- Irwin, R. "Ancient and Medieval Libraries" in Encyclopedia of Library

and Information Science .- New york : Marcel Dekker, 1968. vol. 1.

- Johnson, Elmer **and** Michael Harris. History of libraries in the Western World .- 3 **rd** ed.- Metuchen : The Scarecrow Press, 1976.
- Mahaffy, J. P. A Survey of Greek Civilization .- New York : Chautauqua Centrup Press, 1896.
- Oldfather, Charles Henry. The Greek Literary Texts From Graeco : Roman Egypt.- Madison: University of Wisconsin Press, n.d.
- Parsons, Edward Alexander. The Alexandrian Library Glory of the Hellinic World : its rise, antiquities and destruction.- New York: American Elsevier, 1952 (reprinted 1955, 1967).
- Pinner, H. L. The world of Books in Classical Antiquity .- Leiden : sij THoff, 1958.
- Rider, Alice Daman. A History of Books and Libraries .- Metuchen : The Scarecrow Press, 1976.
- Savage, E. A. The Story of Libraries and Book Collecting .- London, 1913. (Reprinted: New York: Franklin, 1969).
- Thompson, James Westfall. Ancient Libraries .- London : Archon Books, 1940.

إسكوجين، مارجريت كلارا ١٩٠٥-١٩٦٨

Scoggin, Margaret Clara 1905 -1968

اشتهرت مارجريت كلارا إسكوجين بنشاطها فى مجال الخدمات المكتبية للشباب فى المكتبات العامة الأمريكية. وقد توفرت بنفسها على تصميم وافتتاح وإدارة فرع مكتبة نيويورك العامة «ناثان ستراوس» الذى خصص كلية للشباب تحت سن الواحدة والعشرين. ونتيجة لتجربتها هذه دعاها اتحاد المكتبات الأمريكية كى تنشئ وتنظم وتشرف على «المكتبة الدولية للشباب» فى ميونخ بألمانيا، كما زارت العديد من

المكتبات الأوروبية لتقديم الاستشارات والمساعدة الفنية كخبيرة لليونسكو هناك. وقد خلفت «مابيل وليامز» فى الإشراف على خدمات الشباب فى مكتبة نيويورك العامة من ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٧. وقد حصلت على العديد من الجوائز والتكريم ولعل أهمها جائزة جرولبيه - اتحاد المكتبات الأمريكية لخدماتها المكتبية المتميزة للشباب.

لقد ولدت مارجريت إسكوجين فى الرابع عشر من إبريل سنة ١٩٠٥ فى مدينة كارثزفيل من أعمال ميسورى. وأنهت دراستها فى المدارس الثانوية بتقدير متوسط وأنهت دراستها العالية فى رادكليف واختُيِرت عضواً فى منظمة فى - بيتا - كابا. وربما كانت ميولها للعمل مع الشباب قد بدأت مع الدروس التى كانت تدرسها لهم فى أحد المعسكرات خلال دراستها الجامعية. وفى يولية ١٩٢٦ عملت مارجريت إسكوجين كبديل صيفى فى مكتبة نيويورك العامة، وقد بدأت فى فرع هافن وتنقلت بين فروع أخرى لاكتساب مزيد من الخبرة تحت إشراف وتشجيع فابيل وليامز، كما عملت مع الشباب فى المدارس، وكانت آراء الشباب مهمة لها، وكانت تعتقد أن المكتبات يمكن أن تخدم الشباب بطريقة أفضل من خلال تعرفها على ميولهم والاستماع إليهم جيدا والإنصات لما يقولونه باهتمام. ولقد كتبت ذات مرة «إن الإرشاد القرائى يكمن فى اكتشاف الميول والرغبات الموجودة داخل كل شاب وشابة»... إنها تدعو إلى التسامح مع اختيارات الشباب - والاستماع بدلاً من الحديث.. وقد رأت أن هذه العملية الاتصالية إنما تنمى فى الشباب القدرة على الحكم والتحليل والنقد من خلال اختبار أفكارهم فى جو مشجع. لقد خلقت هذا الجو فى ذلك الوقت عن طريقين: الأول النوادى المدعومة من جانب المكتبات وحيث قام الشباب بمناقشة الكتب وأخرجوا المسرحيات وقدموا عروض العرائس، والثانى الإرشاد القرائى الواعى من شخص إلى شخص.

وبعد الانتهاء من الحصول على دبلومة المكتبات من مدرسة المكتبات فى جامعة لندن، عادت إسكوجين إلى مكتبة نيويورك العامة لمواصلة عملها مع الشباب، وأعدت كتيباً عن كيفية عرض ونقد الكتب للشباب المراهق وقد حمل هذا الكتيب عنوان «الحديث الراجع» وقد تضمن مقالات عن بعض الموضوعات المحببة للشباب

إضافة إلى بعض عروض الكتب وقد قالت «فى المدرسة يحصل الطالب على أحسن شىء، ولكن فى المكتبة العامة يحصل على كل شىء». وهذا المدخل هو الذى كان يميز العمل مع الشباب فى مكتبة نيويورك العامة عن الأنشطة المدرسية.

ورغم أن مارجريت إسكوجين قد انخرطت فى دراسة ماجستير المكتبات فى جامعة كولومبيا إلا أنها لم تكمل دراستها بسبب ضغوط الوقت والمال. وفى سنة ١٩٣٥ رشحت لوظيفة «الأمين المسئول عن المدارس المهنية والصناعية» فى مكتبة نيويورك العامة. ومن هذه الوظيفة استطاعت أن تتحدث إلى جموع الشباب وتقوم بزيارات للفصول ولتجمعات الشباب فى جميع أنحاء المدينة. وقامت أيضاً بإعداد القوائم البيليوجرافية بأهم الكتب وأبسطها لطلاب المدارس المهنية، لأنها لمست حاجتهم إلى كتب تناسب مستوى إدراكهم وفهمهم.

وقد نشرت لها مكتبة نيويورك العامة إحدى هذه البيليوجرافيات «كتب تكنولوجية سهلة» سنة ١٩٣٩.

وفى أبريل ١٩٤٠م أكملت إسكوجين عملها مع المدارس المهنية، وبدأت عملها مع المخططين والمصممين لفرع المكتبة ناثان ستراوس التى قصد بها أن تخصص للأطفال والشباب فقط. وقد أصرت على الإضاءة الكافية والألوان الزاهية والجو العام الجذاب ومجموعات من الكتب تبنى حسب ميول الشباب، كما أصرت على أن يكون جميع الموظفين من المؤهلين للعمل مع الشباب. ولقد افتتح الفرع فى سنة ١٩٤١ ويمكن أن يعزى نجاحه إلى عدة عوامل حسب تعبير إسكوجين نفسها وحسب تعليقات القراء هى:

١- «أستطيع أن أحصل على الكتب التى أريدها دون الخوض فى كتب فوق مستواى الذهنى».

٢- «المكتبيون يحبون مساعدتك فى حل أية مشكلة لديك وهم جميعا ظرفاء»

٣- «أشعر عندما آتى إلى هنا كما لو كنت ذاهبا إلى منزلى».

٤- «أعتقد أننى لا أكره أحدا ولا أمقت شيئا هنا فى هذه المكتبة».

فى خلال فترة إشرافها على مكتبة ناثان ستراوس الفرعية والتى سرعان ما أصبحت المكتبة النموذجية فى مجالها، وواجباتها الأخرى إزاء الشباب قامت مارجريت إسكوجين بإلقاء المحاضرات فى جامعة سان جونز وعملت فى المجالس المتخصصة المحلية كما خدمت فى اللجان المعنية باتحاد المكتبات الأمريكية، وقدمت استشاراتها للعديد من دور النشر والجمعيات العاملة مع الشباب. وأثناء وجودها فى مكتبة ناثان ستراوس الفرعية كانت تنظم العديد من البرامج الموسيقية فى المكتبة، وكانت من أخطر المدافعين عن وجود المواد السمعية البصرية ضمن مجموعات المكتبة. لقد استمرت مكتبة ناثان ستراوس الفرعية من ١٩٤١ وحتى ١٩٥٥ حين نقلت المجموعات والخدمات إلى موقعها الحالى فى مكتبة دونيل فى شارع ٥٣.

فى سنة ١٩٤٥م أدلت مارجريت إسكوجين بحديث إلى محطة راديو نيويورك التى كانت مملوكة لحرم ناثان ستراوس زوجة المحسن الكريم الذى قدم المال لإقامة الفرع الذى سمى باسمه قالت فيه إنه من الضرورى أن يخصص برنامج فى هذه المحطة لعرض كتب الشباب وفعلا أنشئ هذا البرنامج الذى استمر نجاحه حتى اليوم تحت اسم «نقاد كتب الشباب» وقد نال هذا البرنامج جائزة «معهد التعليم بالراديو والتليفزيون» فى جامعة ولاية أوهايو. كما نال جائزة إذاعة جورج فوستر بيبودى التى تقدمها مدرسة هنرى وجرادى للصحافة فى جامعة جورجيا. وفى سنة ١٩٦٥ قُيِّم البرنامج على أنه أحسن برنامج إذاعى للشباب ونال عن ذلك جائزة توماس ألف إديسون التى تقدمها مؤسسة وسائل الاتصال الجماهيرى.

وبسبب إحساسها المرهف بميول واتجاهات الشباب، جمعت إسكوجين ست مجموعات قصصية للشباب، تم انتقاؤها أساسًا من كتب الكبار، اثنتان منها فكاهية بعنوان «الضحك الخفى» و «مزيد من الضحك الخفى» سنة ١٩٤٥؛ وثلاثة تدور حول المغامرات: «إغراء الخطر» ١٩٤٥؛ «حافة الخطر» ١٩٥١، «الهروب والإنقاذ» ١٩٦٠. والمجموعة السادسة عبارة عن قصص حقيقية من وقائع الحرب العالمية الثانية وهى بعنوان «محطات المعركة» ١٩٥٣.

لقد خلفت إسكوجين وراءها كمية كبيرة من الكتابات المهنية ففى سنة ١٩٤٧

كتبت بحثاً بعنوان «المكتبة كمركز للشباب فى المجتمع» وقد ألقته فى ندوة بجامعة شيكاغو؛ وفى نفس السنة نشرت بحثاً بعنوان «الشباب والاتصال والمكتبات».

وفى سنة ١٩٤٨ استحدثت عمودا فى مجلة «هورن بوك» تستعرض فيه أهم الكتب الصالحة للشباب وقد ظلت تكتب هذا العمود طيلة عشرين عاما. وفى سنة ١٩٥٢ حررت إسكوجين بالاشتراك مع آخرين كتاب «البوابات إلى الكتب الصالحة للقراءة: قائمة متدرجة مشروحة بالكتيب للقراء بطيئى القراءة فى المدارس الثانوية ولقد كانت مقالاتها هادفة بقدر ما كانت مسلية.

لقد استمرت إسكوجين فى أن تكون «امرأة نهضة» من خلال إشرافها على العمل مع الشباب. وحتى مع انشغالها فى هذا الموقع كان لديها وقت تدرس فيه درساً أسبوعيا فى مدرسة المكتبات فى سيمونز. وفى تلك الفترة أيضا كانت تحرر بيليوجرافية «كتب للمراهقين» وهى قائمة سنوية بدأتها مكتبة نيويورك العامة سنة ١٩٢٩.

بعد الحرب العالمية الثانية نظمت هيللا ليبمان معرضاً دولياً للكتاب فى ألمانيا تحت إشراف الحكومة الأمريكية العسكرية هناك. وبسبب النجاح الكبير الذى حققه هذا المعرض تقرر إقامة مكتبة دولية دائمة للشباب. وكان الهدف من تلك المكتبة الدائمة أن تجمع أحسن كتب الأطفال والشباب للمساعدة فى تحقيق التفاهم العالمى عن طريق الكتب. وقد جاءت المعونات بهذا المشروع من مؤسسة روكفلر، وحكومة بارفاريا، واتحاد المكتبات الأمريكية الذى اختار مارجريت إسكوجين بسبب عملها مع الشباب، للقيام بهذه المهمة. ولقد قضت إسكوجين ستة أشهر بطولها فى فرز وتصنيف ثمانية آلاف كتاب جاءت من ٢٤ دولة وبرنامج للتنمية حتى تحبب الشباب الألمانى فى القراءة. وأكثر من هذا قامت بزيارات للعديد من المكتبات الأوروبية بدعم من اليونسكو وحثت الحكومات على إرسال المزيد من الكتب لتلك المكتبة. وبعد مجهود عنيف افتتحت «مكتبة الشباب الدولية» سنة ١٩٤٩؛ واستمرت إسكوجين فى تأمين الكتب والأجهزة لتلك المكتبة بعد عودتها إلى الولايات المتحدة.

وبسبب الجهد الذى بذلته فى هذه المكتبة قرر مجلس كتب الأطفال تسمية مجموعة

من مجموعات المكتبة باسمها «مجموعة إسكوجين التذكارية» وهذه المجموعة تضم مجموعة كتب الأطفال المتميزة التى يختارها اتحاد المكتبات الأمريكية كل عام، وأحسن الكتب للشباب.

ولقد كانت إسكوجين نشيطة فى الاتحادات المهنية من عدة وجوه: كانت أول رئيسة لفرع خدمات الأطفال والشباب الذى كان قد أنشئ حديثاً فى اتحاد مكتبات نيويورك ١٩٥١ -١٩٥٢؛ كما رأست لجنة العلاقات الدولية والمائدة المستديرة حول قراءات الشباب، وانتخبت عضوة فى مجلس اتحاد المكتبات الأمريكية. وحصلت على جائزة جروليه. وحصلت من «اتحاد المرأة للكتاب الوطنى» على جائزة كونستانس لندساس سكنر.

إن التقدير الكامل لإسهامات مارجريت إسكوجين وإضافاتها إلى مجال المكتبات إنما يمكن استشعاره واستخلاصه من تعليقين: أولهما من برنامج نقاد كتب الشباب «عرفاناً بفضلها عليه وقد أهداها شهادة على لفافة يقول فيها: إلى مارجريت إسكوجين التى فتحت الباب إلى عالم الكتب العجيب أمام الكثيرين الذين ربما لم يهتدوا إلى الطريق بأنفسهم.

والتعليق الثانى نشر فى جريدة نيويورك سيتى فى الحادى عشر من يولية ١٩٦٨ بعد وفاتها؛ كتبته دورثى د. كرومبين، إحدى مساعداتها السابقات فى مكتبة ناثان ستراوس الفرعية ونصه:

إن عالم المهنة الآن تتوفر على خدمته فى كثير من الأنحاء، أشخاص شجعتهم الآنسة إسكوجين وأخذت بيدهم فيها. ولعل أعظم ضريبة وأخلدها يمكن أن نقدمها إلى مارجريت إسكوجين هى أن نتوجه بكرمها وجودها إلى الأجيال التى نادرا ما التفتنا إليها والتى تأتى خلفنا.

المصادر

1- Lowly, Beverly. Margaret C.Scoggin: 1905 -1968: Her Professional Life and Work in Young Adult Librarianship._ M.A. Thesis, Palm-

er Graduate Library School. Long Island'University, May 1970.

2- Chelton, Mary R,Scoggin, Margaret C.-in.- World Encyclopedia of Library and Information Services.- Chicago: A.L.A., 1993.

اسلوتر، هنرى ب ١٨٧١-١٩٥٨

Slauter, Henry p.1871-1958

اشتهر هنرى اسلوتر بأنه أكبر جامع للكتب عن الشئون الأفريقية الأمريكية، وهو مؤرخ ومن دعاة الأخوة. ولد فى لويزفيل من أعمال كنتكى سنة ١٨٧١ . وهو ابن اثنين من الرقيق المعتقين ولذلك كرس حياته لدراسة تاريخ الزنوج. ففى صباه وقعت له حادثة جعلته يتجه هذا الاتجاه، فقد كان وهو صبى يحتار من معالجة الكتب الدراسية لموضوع الرقيق والرق فى الأمريكية والظروف المعنوية والأخلاقية المحيطة بالرق. وكان المدخل المنحاز وغير الموضوعى إزاء الرق والعبيد وتجاوز الحقيقى فى الكتب الدراسية من العوامل التى دفعته للبحث فى المصادر المختلفة حول تاريخ الأفارقة الأمريكيين. وقد ظلت الرغبة فى معرفة وفهم تاريخ أهله وشعبه هى محور حياته كلها.

بعد أن أتم هنرى اسلوتر تعليمه المدرسى فى لويزفيل ذهب إلى واشنطن العاصمة حيث حصل على درجة البكالوريوس فى القانون سنة ١٨٩٩ من جامعة هوارد وبعد سنة واحدة حصل على درجة الماجستير. وكان فى سنة ١٨٩٦ قد ذهب إلى مكتب الطبع الحكومى ليحصل على وظيفة هناك. ورغم محدودية دخله من هذه الوظيفة الحكومية فقد بدأ اسلوتر يجمع كل شىء يجده فى موضوع الأفارقة الأمريكيين ونتيجة لهذا الميل الشديد كون صداقات حميمة مع تجار الكتب ربما فى جميع أنحاء الولايات المتحدة وخارجها. وأصبح اسمه أسطورة بين جماعى الكتب ومشتريها كأحسن جمّاع للكتب فى مجال الأفارقة الأمريكيين والشئون الأفريقية الأمريكية.

وكلما زاد دخل اسلوتر دائرة اهتمامه بجمع تلك الكتب وكانت لاستثماراته فى الأسهم والسندات فى البورصة أثرها فى زيادة اهتمامه بجميع الكتب المتخصصة وغيرها حيث لم يقتصر فقط على الكتب بل أيضا على التحف والتذكارات. وفى سنة ١٩٤٤ بلغت المجموعة نحو عشرة آلاف قطعة وذلك طبقا لما ذكره والاس فان جاكسون الذى كان فى ذلك الوقت مديرا لمكتبة جامعة أتلانتا حيث عرض اسلوتر بيع هذه المجموعة لجامعة أتلانتا سنة ١٩٤٤ بسبب تقدمه فى السن ولأن الجامعة كانت ترغب فى بناء مجموعة بحث قوية حول الحياة الأفريقية الأمريكية وتاريخ الأفارقة الأمريكيين.

لقد تكونت هذه المجموعة من ٨٥٠٠ كتاب ونشرة، ٧٠ ملف قصاصات جرائد ومجلات، ١٠٠ كليشيه وكتل مجربة واستكشات والعشرات من المدونات الموسيقية من إعداد مؤلفين موسيقيين أفارقة ـ أمريكيين. لقد جمع اسلوتر مواد نادرة وقيمة من إفريقيا، هاييتى وكوبا تعالج التواريخ والرحلات وأحاديث الرحلات والقصص والروايات.

وكان من بين المجموعة ٣٥ مجلداً تتناول حياة مؤيدى أبطال الرق وإلغاء هذا النظام كما تتناول حياة الشهداء من الرقيق وعلى رأسهم «جون براون». كما استطاع اسلوتر أيضا أن يشترى خمسين مجلدا تغطى عصابة كوكلوكس كلان التى ترجع إلى عهد «إعادة البناء» وكان من بين هذه المجموعة الشخصية طبعات أولى كثيرة لِكُتّاب مشاهير مثل «فيليس هويتلى»، «فردريك دوجلاس»، «وليام ويلز براون». ولقد قضى اسلوتر سنوات طويلة فى البحث عن كتاب جريجوار «عن أدب الزنوج» (١٨٠٨م باللغة الفرنسية) وكان من بين الكتب والمخطوطات النادرة التى جمعها اسلوتر كتب ومخطوطات عن حياة «إبراهام لنكولن». وقد دأبت على جمع ملفات مستفيضة حول «مونرو تروتر» تضمنت أوراقاً وقصاصات ضد قانون الإعدام بدون محاكمة.

ولقد علق «فان جاكسون» على هذه المجموعة قائلا:

رغم أن مجموعة اسلوتر لا تتضمن العناوين الأجنبية التى نجدها فى مجموعة اسكومبرج (الموجودة الآن فى مكتبة نيويورك العامة ومكتبة جامعة هوارد) فإن تغطيتها

الزمنية والموضوعية عظيمة للغاية. إن مجموعة مورلاند (الموجودة فى مكتبة جامعة هوارد) فيها عدد كبير من الصور الشهيرة ولكن مجموعة اسلوتر فيها كثير من تلك الصور وبعضها لا يوجد فى المجموعة الأولى. إن مجموعة اسلوتر تتضمن ضعف ما كان يوجد فى كل من مجموعة اسكومبرج ومجموعة مورلاند عندما نُقِلا إلى المكتبات.

وقد لاحظت «آرنا بونتامب» أن مجموعة اسلوتر تملأ منزلا متوسط الحجم، اشتراه اسلوتر خصيصا ليضع فيه مكتبته الشخصية هذه التى جمعها على مدى أربعين عاما.

وقد توفرت «**إدارة مشروعات الأشغال**» فى الثلاثينات من القرن العشرين على إعداد فهرس لهذه المجموعة بناء على اقتراح من «دورثى بورتر» وغيرها من أبناء مكتبة جامعة هوارد. ويتاح هذا الفهرس فى مكتبة جامعة هوارد ومكتبة الكونجرس؛ كما أن اسلوتر يتيح مجموعاته للعلماء والباحثين فقط ممن تصرح لهم بذلك مكتبة جامعة هوارد ومكتبة الكونجرس.

لقد اشترت مكتبة جامعة أتلانتا هذه المجموعة سنة ١٩٤٩، مما جعل هذه الجامعة قبلة يتجه إليها الباحثون الدارسون للشئون الأفريقية ـ الأمريكية. واليوم نجد كثيرا من المفردات فى هذه المجموعة نادرة الوجود فى أى مكان آخر.

وبسبب ميوله الكتبية هذه تم اختيار هنرى اسلوتر ليكون محررا لمجلة: **أودفيلوز** (الزملاء الغرباء) لسان حال أودفيلوز، وقد تولى هذا العمل من ١٩١٠ وحتى توقف المجلة عن الصدور سنة ١٩٣٧. وكان تفانيه وتكريسه لحياة الأخوة قد أوى به إلى أن يعين كسكرتير دائم لمجموعة كورنثيان لودج فى منظمة أودفيلوز (واشنطون العاصمة). وقد ظل عضوا لسنوات طويلة فى مجلس مديرى اتحاد أود فيلوز.

لقد ظل منذ كان طالباً فى المدرسة فى لويزفيل وحتى وفاته سنة ١٩٥٨ فى واشنطون العاصمة يبحث عن الحقيقة حول شعبه وأناسه «الزنوج» ويبدو أنه مات دون أن يصل إلى تلك الحقيقة، لأن الحقيقة لها ألف وجه ووجه فى هذه القضية بالذات. ولم يبق من الرجل إلا مكتبته الشخصيه التى جمعها بالجهد والعرق والمال

والتى استقرت فى مكتبة جامعة أتلانتا ليستخدمها باحثون آخرون فى بحثهم عن نفس الحقيقة.

المصادر

1- Bantemps, Arna. Special Collections of Negroana._in._ Library Quaterly._ July 1944.pp 197-199.

2- Correspondence Form Wallace Van Jackson to Dr.Rufus E.Clement, president of Atlanta University._ November, 29,1944.

3- Wright, Dorothy. A Comprehensive Thesaurus of Literature by and on the Negro._in._ School and Society, June, 15, 1946.pp 2-3.

الأسماء كمداخل الفهارس

Names as Catalogue Entries

تعتبر مداخل أسماء الأعلام من المشكلات التى تلقى بظلالها فى عملية الفهرسة سواء الفهرسة اليدوية أو الفهرسة الآلية وأسماء الأعلام قد تكون أسماء شخصية أو أسماءً غير شخصية؛ وهذه الأخيرة قد تضم أسماء الهيئات والمؤسسات وأسماء النباتات والحيوانات والطيور والأسماء التجارية والأسماء الجغرافية وغير ذلك من فئات أسماء الأعلام. ويمكننا تصنيف أسماء الأعلام على النحو الآتى:

١- أسماء الأشخاص

٢- أسماء الهيئات

٣- الأسماء الجغرافية

٤- أسماء المصنفات والمركبات

٥- أسماء الأزمنة والحروب والمعارك

٦- أسماء الأساطير والخزانات والملاحم والأسماء الخيالية والنظريات العلمية

٧- أسماء الكتب المقدسة.

وتعتبر أسماء الأشخاص هى الأكثر استخداماً فى الفهارس عما عداها من أسماء الاعلام وهى تستخدم فى الفهارس الموضوعية وفهارس المؤلفين. وقد أُجريت دراسات حول نسبة أسماء الأشخاص بين أسماء الأعلام فى مكتبة الكونجرس فاتضح أنها قد بلغت نحو ٧٥٪ (٧٤,٧٪ على وجه الدقة). وفى المكتبات الجامعية المتوسطة الحجم بلغت فى حدود ٣٨٪ من مجموع المداخل الرئيسية والإضافية والموضوعية. وبصفة عامة فإن أسماء الأشخاص فى المداخل تمثل ٥٠٪ بين الفئات السبع المذكورة.

ويمكننا تقسيم الأسماء الشخصية من حيث صياغتها فى المداخل إلى فئات:

أ- أسماء العائلات مضافا إليها الأسماء الأولى.

ب- الأسماء الثلاثية: الأول ـ الأوسط ـ العائلة.

ج- الأسماء الفردية وحدها.

د- الأسماء الشخصية مقرونة بالمؤهل أو اللقب.

هـ- أسماء الدلع والكنى والألقاب.

و- الأسماء المستعارة والعبارات المتخذة.

ز- الأسماء المتغيرة والمُطبعَّة.

وفى دول الغرب استقرت أسماء العائلات كمداخل وللتنادى بها منذ القرن الحادى عشر الميلادى وكان من المألوف فى ذلك الزمان أن يتغير اسم العائلة من الأب إلى الابن بل ويتغير فى حياة الفرد الواحد. وقد أدى القرار الذى أصدره مجلس ترنت سنة ١٥٦٣م إلى تثبيت أسماء العائلات إلى حد كبير حيث طلب هذا القرار إلى كل أبرشية أن تقيم سجلات كاملة ودقيقة بأسماء الأطفال الذين يتم تعميدهم بحيث يسجل اسم الطفل واسم والديه وجدّيه. وقد جاء هذا القرار فى موعده مع انتشار الطباعة بالحروف المتحركة فى كل أنحاء أوروبا. وليست ثمة شك فى أن الطباعة والديمقراطية فى أوروبا قد زديا إلى انتشار التعليم ومع التوسع الهائل فى التأليف أصبحت الحاجة إلى التمييز ملحة. ونتيجة لذلك كله بدأ تقنين الأسماء الغربية فى المداخل يتخذ شكل الظاهرة وكان الناشر البريطانى مانسيل هو أول من استخدم الاسم المقلوب بالعائلة فى ببليوجرافياته التجارية.

وفى الصين يقال إن الإمبراطور الصينى فوشى كان أول من أصدر قراراً سنة ٢٨٥٢ ق.م باستخدام أسماء العائلة ومازال الاسم الصينى حتى على صفحة العنوان يبدأ باسم العائلة إلى يومنا هذا منذ ذلك الحين؛ وقد تَرسَّخ استخدام أسماء العائلات فى جميع الأوراق منذ القرن الرابع قبل الميلاد فى الصين. وقد انتقل هذا التقليد إلى سائر الدول الآسيوية وخاصة دول جنوب شرقى القارة بطرق مختلفة وفى فترات مختلفة. ولعل آخر الدول استخداماً وتطبيقاً لأسماء العائلة فى آسيا على التوالى كانت تايلاند ١٩١٦؛ إيران ١٩٢٦؛ تركيا ١٩٣٤. وتذكر بعض المصادر بأن فترة استخدام أسماء العائلات فى تايلاند لم تلق نجاحاً وتم صرف النظر عنها. ومن المعروف أن اليابان وكوريا كانتا على مدار التاريخ منطقة نفوذ فكرى للصين ومن ثم أخذتا عنها فكرة استخدام أسماء العائلات بحذافيرها دون تردد. وفى شمالى وشرقى الهند يحمل أبناء الطبقات الأرستقراطية والمتعلمة أسماء موضوعة إلى جانب أسماء العائلات مثل جواهر لال نهر؛ إنديرا غاندى على النمط الإنجليزى. وقد لاحظ رانجاناثان تأثير الإنجليز الواضح فى استخدام أسماء العائلات فى الأسماء البنغالية والكشميرية والماراثية والجوجراتية. فى غربى وجنهوبى الهند لم ينتشر استخدام أسماء العائلات فى نفس وقت استخدامها فى الشمال والشرق؛ وعلى أية حال فإنه فى جنوبى آسيا على وجه العموم هناك اتجاه قوى لاستخدام أسماء العائلات. وهذا الاتجاه نصادفه فى الدول النامية عموماً مع ازدياد رقعة التعليم من جهة وخاصة التعليم العالى واتجاه الدول النامية إلى تقليد ما يجرى فى الدول الغربية من جهة ثانية، وما تبثه وسائل الإعلام والرأى العام من جهة ثالثة. وعلى نحو ما حدث فى العصور الوسطى فى الحضارة الغربية فإن هذا التقليد انتشر فى مطلع القرن العشرين من الطبقة الأرستقراطية والمدن الكبيرة بين الطبقات الوسطى والمدن الصغيرة؛ وتقول دائرة المعارف البريطانية إن النموذج الأصلى الذى يجمع بين الاسم الموضوع واسم العائلة قد عم جميع الأرجاء فى القرن العشرين. وعلى المستوى الدولى شاعت الفكرة وإن لم تطبق بحذافيرها فى أماكن كثيرة.

إن النمط الأساسى هو الإسم الأول + اسم العائلة، ولأن يطلق على الشخص

اسم ثنائى لهى الطريقة الأقدم فى تمييز الأفراد وليس ثمة شك فى وجود اختلافات فى هذا النمط الأساسى. وكما ألمحت سابقاً فإنه فى حالة الأسماء الصينية واليابانية والكورية والفيتنامية والمجرية يسبق اسم الفرد. ومع ذلك فإن المجريين يغيرون الترتيب عندما يكتبون بالإنجليزية ولكن الآخرين يثبون على الترتيب كما هو. ومن السهل فهرسة مثل هذه الأسماء طالما أن ترتيب عناصر الاسم واضحة فالإسم: ماوتس ـ تونج فيه اسم العائلة هو: ماو واسمه الشخصى هو تس ـ تونج ومن هنا فإن كل ما نحتاج إليه لتمييز اسم العائلة عن الإسم الأول هو وضع فاصلة بين الاسمين فى المدخل وبنفس الطريقة نعامل اسم نوردوم سيهانوك.

وفى الدول الغربية نجد أن اسم العائلة هو الكلمة المناسبة للمدخل ذلك أن الأسماء الشخصية قليلة نسبيا وتكرر كثيرا بين الأشخاص، بينما فى جنوبى اسيا نجد وفرة غامرة فى الأسماء الشخصية الأولى ومن هذا المنطلق يقترح رانجاناثان جعل المدخل بالإسم الأول بينما قد لا تصدق تلك الحقيقة بالنسبة لأسماء المسلمين فى تلك المنطقة أى جنوبى آسيا. بالإضافة إلى ذلك فإن وجود تنوع واسع فى الأسماء الأولى لا يعنى بالضرورة أن هذه الأسماء قد تم اختيارها اختياراً عشوائياً أو متوازناً. ذلك أن كل جماعة ثقافية أو لغوية تحدد عالم الأسماء الذى يتم اختيار الأسماء منه. وقد وجد أن الأسماء ذات الشعبية الواسعة هى محدودة فى عددها ومن أمثلتها: رام، أناندا؛ جورج، جون، وهى ظاهرة عالمية توجد فى كل دول ومناطق العالم. وكما هو الحال فى الأسماء الأمريكية ـ على نحو ما نجده فى أدلة التليفونات فى أى مدينة كبيرة ـ نجد أن أسماء العائلات واسعة الاستخدام لا تمثل أكثر من ١٪ من مجموع أسماء العائلات هناك. وهو ما نصادفه أيضا بنفس القدر فى حالة الأسماء الأولى. ولقد أجريت دراسة مستفيضة لتحديد الأسماء العائلية المتفردة وخرجت بنحو ٣٠٠,٠٠٠ اسم بين ٣,٥ مليون اسم. والوضع أسوأ من هذا بين الأسماء الشرقية على نحو ما كشفت عنه الدراسة التى أجرتها ونشرتها جامعة بتسبرج سنة ١٩٧٠.

من جهة ثانية كشفت الدراسات عن أن معظم عناصر الاسم وخاصة اسم العائلة يتم هجاؤها بطرق مختلفة. وربما تكون تلك الاختلافات نتيجة لتغيرات طبيعية أو

بسبب النقحرة من لغة إلى أخرى، أو جزءاً من البنية العامة للغة . يضاف إلى تلك الاختلافات الحادثة فى جميع اللغات فإن عناصر الاسم يمكن التعبير عنها بصورة مختصرة فيما عدا اسم العائلة مثال ذلك ج. ب. شو؛ جورج ب. شو؛ جورج برنارد شو.

وللتغلب على تلك المشكلات تنهض قوائم الاستناد معيناً هاماً فى توحيد الأسماء حسب الصيغة الأكثر شيوعا.

وفى الأسماء العائلية الغربية نصادف الأنماط الآتية:

١- أسماء التعميد أو الأسماء الأولى ومشتقاتها.

٢- أسماء الأماكن ومشتقاتها.

٣- أسماء الدلع المشتقة من المهنة أو الوظيفة.

وعند فهرسة الأسماء ليس من الضرورى إطلاقاً أن نفهم أصول أسماء العائلات الغربية أو نوعها، ولابد لنا من أن نعترف بأن المشكلة الحقيقية تكمن فى الأسماء العائلية المركبة والتى تتطلب البحث فى طبيعة وأصل الاسم حتى يتم التعامل معه تعاملاً فنياً، والأسماء العائلية المركبة شائعة ومنتشرة فى كل اللغات وإن كانت اللغة التركية القديمة قد برئت من هذا التركيب إلى أن دخلتها عملية التركيب هذه من اللغة العربية: عبد الرحمن، أبو بكير (من أبو بكر) وقد أدمج العنصران فى واحد بعد استخدام الحرف اللاتينى فى اللغة التركية الحدية. وفى اللغة الروسية نصادف البادئة من أصل أجنبى وقد التحمت بالاسم العائلى وغدت جزءا منه. وفى اللغة الأسبانية التحمت الحروف والأدوات فى بعض الأسماء المركبة لتغدو اسماً واحداً مثل آل فرحان: الفرحان؛ أبو مدين: بومدين؛ أبو جنيد: باجنيد. وإن ظل فى اللغة العربية والأسبانية ما يميز الأسماء المركبة ويبقى عليها. فى الأسماء المركبة بصفة عامة عادة ما تكون هناك علامة تميز الاسم المركب فى معظم اللغات وإن اختفت هذه العلامة فى بعض اللغات كالصينية والفارسية والعربية حيث لا توجد الشرطة أو ما يعادلها لتمييز الاسم المركب. وفى مثل هذه الحالات تكون الألفة والخبرة هى العامل الرئيسى فى تمييز الاسم المركب. فى الأسماء الفنلندية لا نصادف مشكلة فى تميز

الأسماء المركبة حيث إنها جميعاً تحمل شرطة الربط بين العنصرين. وعند نقحرة الأسماء المركبة اليونانية والسويدية والتايلندية والعربية والفارسية فإنها فى الأعم الأغلب تحمل شرطة الربط وإن لم تكن تحملها فى أصلها اللغوى. وقد خلق الاسم المركب مشاكل حادة فى المدخل مما أدى إلى تفاصيل دقيقة وقواعد عديدة لحسم قضية المدخل فى حالة إعداد المداخل بأسماء العائلات. وقد تأرجحت القواعد بين الإدخال بالجزء الثانى من الاسم المركب أو الجزء الأول حسب مقتضيات الأحوال وظروف كل جنسية. والمشكلة الحقيقية تكمن فى الأسماء المركبة التى لا تحمل شرطة الربط بين عنصرى الاسم المركب حيث لا نعرف ما إذا كان العنصر الأول هو الاسم الأوسط للمؤلف أو اسم الأب أو اسم الأم أو الجزء الهام فى اسم العائلة. ويرى البعض فى وجود الشرطة فى الأسماء التايلندية مشكلة حادة خاصة حيث توجد هذه الشرطة داخل العنصر الواحد للاسم ومثال ذلك: فام - كوينه ف - ترونج - فونج. وفى اللغة الفرنسية ربما يكون الاسم الأول بادئه لاسم العائلة مثال ذلك راؤول - روشيت؛ وفى مثل هذه الأحوال يكون من الواضح أن الجزء الثانى وحده هو اسم العائلة. وفى الأسماء السريلانكية (السيلانية) إذا كان التركيب واضحًا فى الاسم فإن المدخل يكون بالجزء الأخير فقط. وفى الأسماء النرويجية إذا لم يكن الاسم المركب مميزًا بشرطة فإن المدخل يكون بالجزء الأخير. وفى الأيرلندية إذا كان الاسم مركبًا من اسمين عائليين يدخل بالاسم العائلى الثانى.

والوضع فى الأسماء الأسبانية مختلف حيث جرت عادة الأسبان ومن ينتمى إلى الثقافة الأسبانية أن يحمل اسم الأم بعد اسم الأب. وهكذا فإنه فى حالة اسم الروائى الأسبانى «فيسنت بلاسكو إيبانيز» فإن فيسنت هو الاسم الأول أى الاسم الذى سمى به عند ولادته وبلاسكو هو اسم الأب بينما إيبانيز هو اسم أمه. ومن سخرية القدر أنه يعرف فى دولة مثل الولايات المتحدة باسم أمه إيبانيز على أساس أنه اسم العائلة. بينما اصطلح على أن اسم العائلة فى هذه الحالة يكون الاسمين الأخيرين معًا (اسم الأب متبوعًا باسم الأم)، وإن كان لابد من كلمة واحدة فإن اسم الأم يحذف ويدخل الاسم باسم الأب فقط. وعلى سبيل المثال فإن «فرانشسكو فرانكو باهاموند»

(الجنرال الذى أطاح بالملكية وأعادها إلى أسبانيا بعد خمسة وعشرين عامًا من حكمه) يعرف دوليًا باسم فرانكو أى باسم أبيه. وهناك مجموعة من الاعتبارات لتقرير ما إذا كان مدخل الاسم الأسبانى يكون بكلمتين الأخيرتين معا (اسم الأب + اسم الأم) أم باسم الأب فقط ومن بين تلك الاعتبارات طول الاسمين وانسجام جرس الاسمين معًا وما إذا كان اسم الأم مشهورًا متميزًا وعما إذا كان اسم الشخص سوف يختلط باسم آخر إذا أدخل باسم الأب فقط. وفى النظام القديم للأسماء الأسبانية كان يضاف حرف «y» بين اسمى الأب والأم للفصل بينهما مثال ذلك Sar. Maria Teresa Arco y yanes. والمرأة الأسبانية قد تضع اسم زوجها كآخر عنصر فى اسمها مسبوقًا بحرف de مثال ذلك Sra. Dolores Fernandez de Zanyas أى Sra. Dolores Zayas Fernandez.

إن استخدام اسمين عائليين ليس قاصرًا على الأسبانية وحدها ولكنه موجود أيضا فى رومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والنرويج وأيرلندا والبرتغال والبرازيل، وإن كانت الممارسة تتفاوت من ثقافة إلى أخرى ففى يوغوسلافيا على العكس من رومانيا يعرف الشخص بالاسم العائلى الثانى، بينما فى رومانيا تكون الأفضلية للاسم العائلى الأول لأنه فى الأعم الأغلب يشير إلى فرع العائلة المباشر أو الجد الأعلى للأم أو حامى العائلة.

وربما يتأتى الشكل المركب للاسم من التحام أداة التعريف أو التنكير أو حرف الجر بالكلمة الأخيرة حيث يأتى فى مطلعها جزءا منها مثل **فونهاوزن، ديلا كروا**، مكميلان، فيتز جيرالد. وربما يأتى فى نهاية الكلمة مثل ريتشاردسون.

والمشكلة الحقيقية فى المداخل هذه ليست فى اختيار المدخل وإنما فى صياغته تلك التى يجب أن تضع فى الاعتبار الممارسات الوطنية والتقاليد المرعية هناك وحتى لو لم يكن هناك إجراء موحد على نحو ما نصادفه فى بلجيكا والهند وغيرهما من دول العالم ولابد لنا من الاعتراف بأن الهجرات والأنجلة والرومنة والفرنجة والنقحرة كلها عوامل تضيف أبعادًا جديدة لهذه المشكلة. كذلك فإن التغيرات التى تحدث فى اسم الشخص على مدى حياته مثل الحصول على رتب الشرف والنبالة والزواج وغيرها

تضيف هى الأخرى عبئًا إضافيًا إلى المشكلة. وتبلغ المشكلة حدها الأقصى مع الأسماء ذات البوادئ واللواحق وأدوات وشرطات الربط والواوية وأدوات التعريف والتنكير والحروف. والحقيقة أنه إن كانت هناك بعض القواعد المرشدة إلى حل تلك المشكلة إلا أنها حتى الآن ليست كافية حتى فى ظل الفهرسة الآلية ولعل أحسن تعبير عن قصور قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية أنها لم تقدم سوى «سكتشات» أى محددات عامة فقط دون حل المشكلة من جذورها ولم تغط الاختلافات التى تسبب صعوبات التطبيق بأية قواعد.

إن مشكلة الأسماء ذات البوادئ تسير فى ثلاثة اتجاهات

١- إن الاستخدام الوطنى فى بلد ما قد يختلف بالضرورة من بلد إلى بلد

٢- أن الأسماء الخاصة ببلد معين أو لغة معينة قد يتسمى بها مواطنون من دول اخرى أو جماعات لغوية أخرى.

٣- أن الأفراد الحاملين لتلك الأسماء قد يفضلون صيغة معينة للاسم ومن هنا يحدث كسر شديد للقاعدة العامة حتى داخل البلد الواحد واللغة الواحدة.

وحدَّة المشكلة تبلغ أقصاها عند ترتيب المداخل فى الفهرس حيث إن الموضع الدقيق للمدخل يتحدد حسب الصيغة التى يدخل بها الاسم إما بالبادئة أو بدونها.

فى حالة الأسماء الأمريكية والإنجليزية بصرف النظر عن اللغة التى اشتق منها الاسم تعتبر البادئة جزءا من الاسم العائلى سواء كتبت البادئة منفصلة أو ملتحمة بالاسم وعلى سبيل المثال دى لامير؛ فان دايك؛ دزرائيلى. ويلاحظ أن هذه القاعدة متبعة إلى حد كبير فى كل الدول الناطقة بالإنجليزية وإيطاليا فيما يتعلق بالمؤلفين المحدثين. ومن الجدير بالذكر أن الببليوجرافية التجارية الفرنسية بالنسبة للأسماء الفرنسية. والفهرس الوطنى الموحد فى الولايات المتحدة يدخل الأسماء الألمانية ذات البادئة تحت البادئة مع بعض الاستثناءات وعلى سبيل المثال فإن جوته لا يدخل تحت فون جوته رغم أن ببليوجرافية «الكتب الموجودة بالسوق» وضع اسم جوته تحت البادئة. والببليوجرافية الوطنية البريطانية تحيل من الاسم بدون البادئة إلى الاسم تحت البادئة.

وفى سويسرا تدخل الأسماء الألمانية ذات البادئة تحت البوادئ بينما فى السويد تدخل هذه الأسماء بالجزء الذى بعد البادئة. والإجراء الألمانى على وجه الإطلاق هو إدخال الاسم تحت البادئة إذا كانت البادئة حرف جر أو أداة مدمجة فى حكمة واحدة أما إذا كانت البادئة منفصلة عن الاسم فإن المدخل يكون بالاسم التالى للبادئة وعلى سبيل المثال: جوته، جوهان ولفجانج فون. ونجد فى دائرة المعارف الألمانية «بروكهاوس الكبيرة» أن كلمة فون التحمت بأسماء العائلات منذ القرن السابع عشر واستخدمت أساسًا للدلالة على النبالة والشرف.

وكما هو الحال فى الأسماء الألمانية تطبق نفس القاعدة على الأسماء الهولندية والأسبانية فتدخل الأسماء ذات البادئة بما بعد البادئة مثل: فيلد؛ فان دير ومثل: كاساس، دى لاس بينما في الفرنسية تهمل الأداة دى فقط حيث دخل الاسم بما بعد هذه الأداة أو الحرف وعلى سبيل المثال: لافونتين، جين دى. هذا على حين تدخل الأسماء الفرنسية التى تم تطبيعها فى السويد والنرويج والدنمرك وبلجيكا تحت البادئة؛ وتصدق هذه القاعدة على رومانيا فيما عدا الأسماء التى تبدأ بالحرف دى.

ويستحق الموقف فى بلجيكا منا اهتمامًا خاصًا حيث إنها دولة ثنائية اللغة: لغة الرومانس (الفرنسية) ولغة الجرمان (الفلمنكية) متعددتا اللهجات؛ ومما يجدر ذكره أن الأصل العرقى واللغة لادخل لهما كثيرا فى تسمية الناس وبمعنى آخر فإن الدوافع والعمليات والأصول الكامنة خلف تسمية العائلات واستمرار هذه التسمية إنما تعبر الحدود اللغوية وتتجاوزها وتخضع لظروف تاريخية واجتماعية وجغرافية أكثر من أى شيء آخر. ومن هذا المنطلق فإن فهرسة الأسماء البلجيكية إنما تتفاوت فيما بينها تفاوتًا كبيرا ففى المناطق الناطقة بالفرنسية نجد اتجاها لمعاملة الأسماء ذات الأصل الفرنسى على النحو المعمول به فى فرنسا، بينما فى الأسماء ذات الأصل الفلمنكى يدخل الاسم بالبادئة. وفى المناطق الناطقة بالفلمنكية يسود الاتجاه نحو معاملة جميع الأسماء ذات البوادئ بنفس الطريقة الهولندية أى تُرحَّل البوادئ سواءً فى ذلك ذات الأصل الفلمنكى أو الفرنسى إلى نهاية الاسم وإدخال الاسم بما بعد البادئة وفى

سويسرا تدخل الأسماء ذات البوادئ الألمانية تحت البادئة، بينما فى السويد تدخل بما بعد البادئة.

لو كان من الممكن معاملة جميع البوادئ كجزء متمم غير مستقل من اسم العائلة بصرف النظر عن الشكل الذى تكتب به لأصبحت فهرسة الأسماء عملية بالغة السهولة حيث تدخل جميعها بالبادئة. أو لو أُهملت جميع البوادئ سواء التحمت باسم العائلة أم لم تلتحم به لكانت العملية أيضا سهلة وميكانيكية؛ إلا أن هذا الأمر وذاك لا يمكن تحقيقه بسبب الخلاف الحاد فى الاستخدام. ولقد قرر مؤتمر باريس حول المداخل سنة ١٩٦١م ترسيخ الاستخدام السائد فى البلد الذى ينتمى إليه المؤلف أو الاستخدام السائد فى اللغة التى يكتب بها عامة. ومن الواضح أن التوصيات التى خرج بها مؤتمر باريس سنة ١٩٦١ عمقت الخلاف ورسخت المشكلة ولم تحلها.

خاصة وأن الاستخدام داخل البلد الواحد واللغة الواحدة بلد المؤلف ولغة التأليف قد يختلف بل ويتناقض. ونعتقد أن التوحيد الدولى لمداخل المؤلفين فى الفهرسة يمكن أن يتم من خلال تقنين وقواعد صارمة على نحو ما حدث بالنسبة لقواعد الوصف: التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى.

فى العصور القديمة والباكرة كان لكل شخص اسم واحد حيث كان الإنسان يعيش فى مجتمعات صغيرة منعزلة وكان يكفيه اسم واحد. وفى أوروبا عندما اعتمد اليهود العيش فى مجتمعات مغلقة (جيتو ـ حارة) فإنهم لم يكونوا يحتاجون إلى أسماء العائلات ولكن بعد أن ازدادت أعدادهم وأخذوا فى النمو سَنَّت دول كثيرة قوانين تطالبهم باتخاذ أسماء عائلية.

وفى النظام الهندو ـ أوروبى القديم كان الاسم المفرد ذاك مركبًا أو غير مركب وقد انتشرت الأسماء المركبة فى السنسكريتية خاصة. ويقول رانجاناثان بأن التأثير البريطانى ذا النمط القصير للاسم المكون من كلمتين ربما يكون قد أسفر فى شمال الهند عن تمزيق الاسم الطويل إلى اسمين مثال ذلك: رامناث = رام ناث وربما يكون هذا الاستنتاج من جانب رانجاناثان خاطئًا حيث يبدو أن الاسم الثانى اسم عائلة

وكلمة المدخل وهو فى الحقيقة ليس كذلك. وفى مناطق أخرى من آسيا مايزال الاسم المفرد (سواء من كلمة واحدة أو كلمتين) هو السائد وعلى سبيل المثال: سويدارسونو (اسم إندونيسى)؛ كوى (اسم بورمانى). وفى حالة الأسماء البورمانية نجد أن الاسم المفرد يسبق عادة باسم تشريفى يحدد السن أو المكانة الاجتماعية أو الجنس وكقاعدة عامة يعتبر هذا الاسم الشرفى من ضرورات الاسم الشخصى يكتب ويذكر معه. وفى حالة الأسماء الإندونيسية تضاف الأسماء التشريفية هذه أحيانًا فى بداية الاسم الشخصى ويعتمد اختيار الاسم التشريفى على الجزيرة التى ينتمى إليها الشخص.

ولقد سبق الذكر بأنه فى عصور ما قبل التاريخ كان المرء يتخذ اسما مفرداً ينادى به ويتميز وربما ظل هذا الأمر سائدا حتى العصر الرومانى حين ظهرت عادة اتخاذ ثلاثة أسماء وربما أكثر. ولكن هذه العادة بطلت فى العصور الوسطى ثم استيقظت مع بزوغ فجر العصور الحديثة حين غدت كظاهرة منذ بضعة قرون قليلة. وأصبح من المعتاد لدى الأوروبيين والأمريكيين أن يدرجوا اسما أو اسمين بين الاسم الأول والاسم الأخير؛ وإن لم يكن من الشائع فى أوروبا وجود الاسم الأوسط (الأب) على نحو ما هو شائع فى الولايات المتحدة، بينما فى بلد مثل ألمانيا قد يكون هذا الاسم الأوسط هو أهم عناصر الاسم. وفى أيسلندا وجمهوريات وسط آسيا وروسيا كما هو الحال فى الدول العربية يكون الاسم الأوسط هو اسم الأب.

وفى كثير من الأحيان يكون الاسم الأوسط غير متساوٍ فى الغالبية العظمى من الأسماء ولذلك يغدو من الضرورى تسجيل هذا الاسم وهجاؤه بالكامل. وفى البرتغالية أصبح الاسم الأوسط ضروريًا لتمييز الشخص. إن وجود ثلاثة عناصر فى الاسم لا يعنى بالضرورة أن العنصر الأوسط هو الاسم الأوسط إذ ربما يكون الجزء الثانى من الاسم الشخصى أو الجزء الأول من اسم العائلة المركب على النحو المشروع سابقًا وعلى سبيل المثال: بو سيك كيم (اسم كورى) العنصر الأوسط فيه هو الجزء الثانى من الاسم الأول.

لقد أفرز لنا الاستعمال الشعبى للأسماء عبر العصور العديد من الصيغ من خلال المناصب والوظائف الدينية والاجتماعية والفكرية وغيرها فى جميع الثقافات وكثير منها قبل الآن كأسماء عائلات؛ وفى بعض الثقافات لا نستطيع أن نميز اللقب من اسم العائلة كما هو الحال فى الأسماء الإسلامية والمجرية. ولقد جلب الفاتحون المسلمون معهم إلى شبه القارة الهندية ألقابًا رسمية عديدة مثل خان، أمير، ملك مما يمكن مقارنته بالألقاب البريطانية مثل دوق، إيرل، بارون. ولقد انتشر فى أيامنا هذه لقب خان كلاحقة لأسماء المسلمين من كل الطبقات فى شبه القارة الهندية. وفى العديد من الثقافات يضاف الاسم الشرفى أو اللقب إلى نهاية الاسم. وهناك قليل من الألقاب التى تضاف عادة إلى بداية الاسم مثل سير، جراف، السيد. وبين المسلمين فى جنوب آسيا وبين الجماعات اللغوية فى التاميل، التيلوجو، الملايالام، الكنَّادا تستخدم بعض الألقاب سواء فى بداية الاسم أو فى نهايته.

وسوف نجد أن عنصر المدخل فى تلك الأسماء يختلف من مكان إلى مكان ومن ثقافة إلى أخرى هناك. وفى الإيطالية والبرتغالية قد يكون عنصر المدخل هو لقب النبالة فى حالة ما إذا كان الشخص معروفًا به أو متميزًا عن طريقه.

وفى كثير من الثقافات قد يطلق اسم الدلع على شخص ما إلى جانب اسمه الشخصى واسم الدلع اسم غير رسمى قد يمنح للفرد عند مولده أو فى أى وقت من حياته وفى بعض الأحيان قد يكون هذا الاسم صفة تطلق عليه وعلى مستوى العالم كله يعرف الفنانون بأسماء الدلع غالبًا وعلى سبيل المثال اسم الدلع تتيان يطلق على تزيانو فيسيللى، واسم الدلع إلى جريكو يطلق على ثيوتوكوبولى دومينكو. ومن الناحية العملية البحتة ليست هناك قيمة كبيرة فى استخدام اسم ليس بينه وبين الاسم الذى اشتهر به الكاتب أية علاقة والفهرس الذى لا يستخدم أسماء الدلع الاستخدام الصحيح يترك فجوات كبيرة فى التعرف على الشخص. إن هذه التسميات وليس من الضرورى أن تكون مجاملات ـ ربما تضيف أبعادًا جديدة إلى الشخص أو المكان أو الشيء الذى أطلقت عليه تلك التسمية. ومن حسن حظنا أن أسماء الدلع المستخدمة فى الإنتاج الفكرى ليست كثيرة ومن ثم فلا تتسبب فى مشاكل كثيرة فى الفهرسة.

والأسماء الثانوية هي الأخرى تقع فى فئة أسماء الدلع؛ وهى تستخدم أساسًا لتمييز الأشخاص المتفقين فى أسماء العائلة بينما هم ينتمون لعائلات مختلفة كما أن أسماءهم الأولى غير محددة. والاسم الثانوى أو المساعد قد يكشف عن الجنسية أو مكان الميلاد أو الإقامة أو الوظيفة أو أى شيء آخر محدد وعلى سبيل المثال: جونز آت ذابوند؛ ويليام من وايكهام؛ ألكسندر آب ألكسندرو؛ ألكسندر دى انجليس. وبين التيلوجو والمالايالام فى الهند قد يضاف اسم المكان إلى اسم الشخص عند الحاجة إلى التمييز.

وقد يلجأ بعض المؤلفين إلى إخفاء اسمه الحقيقى باتخاذ اسم أو صفة أو رمز غير حقيقى يطلقه على كتبه. وقد يخلط بعض المفهرسين بين الاسم غير الحقيقى والاسم الحقيقى ولذلك وجب التنبيه والتحذير. وقد يكون الاسم المستعار مجرد اسم أول أو اسم عائلة وقد يكون اسمًا كاملاً يتكون من العناصر الثلاثة أو الأربعة المألوفة وقد يكون الاسم المستعار عبارة متخذة أو علامة أو رمزًا أو حروفاً مقتطعة. وأيا كان شكل الاسم المستعار فليس ثمة مشكلة إذا كان المؤلف معروفاً فى كل كتبه وأعماله بذلك الاسم. ولكن المشكلة الحقيقية تنشأ حين يستخدم المؤلف الاسم الحقيقى فى بعض الكتب والاسم المستعار فى البعض الآخر وربما يستخدم أكثر من اسم مستعار إلى جانب اسمه الحقيقى. وقد كانت القواعد الأنجلو أمريكية تحث على استخدام الاسم الحقيقى والإحالة إليه من الاسم أو الأسماء المستعارة ولكن تلك القواعد عادت فى ظل التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى وكرست نوعا من التقديس والالتزام الصارم بما يرد على صفحة العنوان ومن ثم طالبت باستخدام الاسم المستعار الوارد عليها حتى وإن عُرِف الاسم الحقيقى.

يرتبط بقضية اسم الدلع واسم العلم قضية تغير الاسم أو تطبيع الاسم، فهناك أسماء جرى تطبيعها فى الإنتاج الفكرى الغربى فى سياقه اللاتينى وعلى سبيل المثال ابن سينا (العربى) أصبح أرفسينا فى اللغات الغربية؛ كونفوشيوس فى اللغات الغربية هو بالصينية كوانج فو - تسى؛ زرادشت بالعربية هو زوروستر باللغات الغربية بينما هو فى أصله الفارسى زاراثوسترا. ولا يجدى الفهرسة إلا قليلا إثبات الاسم الأصلى

للمؤلف طالما أن الإنتاج الفكرى المفهرس لا يحمل إلا الاسم المطبوع. ومن الأسماء الشهيرة التى جرى تغييرها أو لنقل تحريفها عبر الاستخدام العام: تشارلز سيلزفيلد هو فى الأصل كارل بوستل؛ أندريه موروا كان فى الأصل إميل سولومون فيلهلم هيرتزوج.

وهناك على الجانب الآخر مشكلة أسماء السيدات المتزوجات. وحول هذه المشكلة كتبت إديت إ. كلارك فى مقال مضى عليه أكثر من قرن من الزمان (١٨٩٤م):

«المرأة فى الإنتاج الفكرى بالنسبة للمفهرس حقيقة مؤلمة وشوكة داخل اللحم، تقف فى طابور مشكلات ذات الإنتاج الإرهابية ولو كان الأمر بيدى لمنعت المرأة المؤلفة من أن تتزوج».

ومشكلة المرأة المتزوجة فى الغرب أنها تحمل اسم عائلة زوجها كآخر عنصر فى اسمها وإذا طلقت عادت إلى اسم عائلتها الأصلى وإن هى تزوجت مرة ثانية أو ثالثة تغير العنصر الأخير من اسمها طبقا لعدد حالات زواجها. وعلى المفهرس أن ينصاع لما ورد على صفحة العنوان ويشتت إنتاج المرأة المؤلفة تحت أسماء عائلية مختلفة.

فى العهد القديم جرت العادة على تغيير اسم الشخص بتغير وضعه الاجتماعى أو عمله فى الحياة.

من هذا العرض، يجب أن نتخذ أقصى درجات الحيطة لتقرير ما إذا كان الاسم الموجود أمامنا هو اسم دلع، اسم مستعار، اسم مطبع أو متغير ويجب ألا نخلط بين الأسماء الأولى وأسماء العائلات. وعند الاختيار بين اسم الدلع والاسم الأصلى والاسم المتغير أو بين الاسم الحقيقى والاسم المستعار فإن المشكلة يمكن أن تكون سهلة لو أننا عرفنا كل شيء عن الاسم وجمعنا حوله كل الحقائق وكانت كل الكتب وغيرها التى ألفها الكاتب موضوعة أمام المفهرس. ولكن فى غياب كل ذلك لا نتوقع أن تكون فهرسة أعمال المؤلفين من ذوى الأسماء المختلفة فهرسة دقيقة أو كاملة.

إذا كانت صياغة الأسماء الشخصية بهذا الحجم من المشاكل فلماذا لا ننبذها أو

على الأقل نقتصد فى استخدامها. والحقيقة أن القواعد التى وضعت لصياغة أسماء المؤلفين قد وصفت بأنها مزعجة ومربكة. ولابد لنا على الجانب الآخر من أن نعترف بأن تمييز العمل باسم الشخص هو مسألة أساسية وسهلة فى آن واحد واسم الشخص من أحسن العناصر اليقينية لاسترجاع الكتاب وهو أكثر تحديدًا من أى عنصر استرجاع آخر مثل العنوان أو الموضوع. وفى بحث قام به **معهد المعلومات العلمية** فى جامعة سانت جونز سنة ١٩٧٤ جاء فى مقدمته أن الاسترجاع فى كشاف استشهادات علم الاجتماع باسم المؤلف يستغرق ثلث الوقت فقط الذى يستغرق فى الاسترجاع بالعناصر الأخرى. نعم لقد بنت القواعد الأنجلو أمريكية المدخل الرئيسى على أساس اسم المؤلف باعتباره المسئول عن إبداع العمل والسبب فى وجوده ومن هنا اكتسب تلك الأهمية، رغم تلك الأهمية قد تصبح نسبية فى حالة تشتت المسئولية واختيار العنوان مدخلاً رئيسياً. بل ويذهب البعض إلى أبعد من هذا فيتساءل عما إذا كان الشخص الذى يقوم بجمع مجموعة من الكتابات ويضعها بين دفتى كتاب يعتبر مؤلفاً رغم أنه ليس مسئولاً عن المحتوى الفكرى فى تلك الكتابات ولكن الرد على ذلك هو أننا فى معرض الفهارس لسنا بحكام على نسبة المحتوى الفكرى ولكن ما يهمنا هنا هو المسئول عن وجود الكتاب وعندما يعد المدخل بالجامع فليس ثمة مشكلة، إنما تنشأ المشكلة من قواعد التقنين الأنجلو أمريكى التى لا تعتبر الجامع أو المحرر ومن فى حكمهما مؤلفا ومن ثم لا يمكن اعتبارهم مدخلا رئيسيا وإنما يدخل العمل بالعنوان وفى حالة الكتب مشتركة التأليف فيما يزيد على ثلاثة والكتب المركبة تركت القواعد القضية كلها لتقدير المفهرس. وهو الأمر الذى قد يثير الجدل من جديد لأن مسألة التقدير هذه هى الأخرى مسألة نسبية. وقد اقترح «ل. جولى» فى مقال له نشر عقب «مؤتمر باريس الدولى حول مبادئ الفهرسة سنة ١٩٦١» بعنوان «أفكار لما بعد باريس» سنة ١٩٦٣م اعتبار الجامع والمحرر ومن فى حكمها بديلا عن المؤلف واعتمادهم كمدخل رئيسى للعمل. وقد أجرى تجربة عملية على عينة عشوائية صغيرة قوامها مائة كتاب من ذلك النوع من الكتب فوجد أن «الفهرس الوطنى الموحد» قد أدخلها جميعا تحت العنوان، وفى «الكشاف التركيمى للكتب» وجد أن ٥٨ كتابًا من

المائة لم يستدل عليها فيه على الإطلاق بينما ٣٢ وضعت تحت العنوان على نحو ما وجد فى الفهرس الوطنى الموحد وأن عشرة كتب فقط وضعت تحت المحرر والجامع.

والنتيجة الهامة التى نخرج بها من هذه التجربة على بساطه أرقامها أن العمل طالما حمل اسم شخص أو أسماء أشخاص فى حكم المحرر والجامع فإن من الأفضل استخدام تلك الأسماء كمداخل رئيسية عِوضًا عن المؤلف.

وثمة مشكلة أخرى مع الأسماء الشخصية تتمثل فى ترتيبها سواء يدوياً أو آلياً فقد جرت العادة على ترتيبها ترتيباً هجائياً وكلما تضخمت الفهارس كلما تعقدت المشكلة. ولكن هناك طريقة أخرى للترتيب هى الهجائية الرقمية التى أخذت فى التزايد فى الاستعمال مؤخراً لسهولة استخدام الأرقام ولأن حروفاً قليلة تستخدم فى تحديد الأرقام للمؤلفين الأفراد. ولقد استخدمت أرقام كثيرة فى هذا الصدد طيلة قرن من الزمان فى المكتبات للدلالة على المؤلفين وإن لم يكن لترتيب المداخل فى الفهارس وإنما لترتيب الكتب بالمؤلفين (داخل رقم التصنيف) هجائياً.

وفى حالة استخدام الطريقة الهجائية الرقمية فى ترتيب الأسماء نجد النظام الآلى يرتب تلك الأسماء هجائياً بالجزء الأخير أو باسم العائلة ومشكلة النظام الآلى فى ترتيب الأسماء الغربية هى فشله فى تمييز الأسماء المتفقة نطقاً المختلفة هجاءً ومع الأسماء العربية نجد أن المشكلة أكبر وأعمق بسبب أدوات التعريف والربط والهمزات. ومن المعروف أن شركة آى بى إم لها باعاً طويل فى تطوير النظم الآلية الخاصة بترتيب الأسماء والمداخل عموما ولا تكتفى نظمها بمجرد بيانات الاسم بل يتيح الفرصة لمعلومات إضافية عن المؤلف مثل تاريخ الميلاد والوفاة والجنس بل ولون العينين والطول؛ فيما يشبه الرقم القومى.

وثمة طريقة ثالثة لترتيب الأسماء وخاصة فى الفهارس الآلية وهى الطريقة المصنفة بحيث ترتب الأسماء حسب أصولها ومن هنا تأتى الأسماء ذات الأصل الواحد معا ولكن بعد فترة من تجريب هذه الطريقة فى الترتيب وجد أنها مكلفة

للغاية ومستهلكة للوقت وغير عملية، فعُدِل عنها وسقطت فى ذمة التاريخ وإن كانت قادرة على حل بعض المشكلات التى لا تقوى عليها الأنظمة الأخرى ومن بينها على سبيل المثال الإحاطة الكاملة بالحالات التي لا يستطيع الترتيب الهجائى عرضها مسلسلة كذلك فإن مشكلة الأسماء المنقحرة يمكن وضعها تحت السيطرة فى النظام المصنف للأسماء استنادا إلى عملية تجميع الأسماء حسب أصولها. وعلى سبيل المثال فإن اسم بورك Burke يمكن هجاؤه بعشرة طرق مختلفة واسم ليس له على الأقل ثلاث هجائيات واسم عبد الحق عندما ينقحر إلى اللاتينية نجد له على الأقل ثمانى هجائيات. وطالما أن الأسماء ـ بما فيها أسماء العائلات ـ يمكن ردها إلى أصول لغوية مشتركة فإن من السهل جمع عدد من الأسماء تحت أصل واحد مثل أحمد، محمود، حامد، محمد، حمدان، حماد، حمدون، حميد، حمد، أبو الحمد، عبد الحميد، حميدة، حمود، حمودة، حمادة، حميدو.

هذه جميعاً سوف ترد فى الترتيب المصنف تحت أصلها جميعا (حمد).

ومهما يكن من أمر هذه الطرق الثلاث فى الترتيب فإن أوسعها انتشاراً وربما تكون الوحيدة فى فهارس المكتبات حتى الآلى منها، هى الطريقة الهجائية.

ومن الظواهر العادية أن نجد مليون بطاقة فى فهارس المكتبات الأكاديمية متوسطة الحجم وخاصة فى حالة الفهرس القاموسى. وفى حالة فهرس مكتبة جامعة شيكاغو عندما كان بطاقياً نجده يشتمل على خمسة ملايين بطاقة، وفهرس مكتبة الكونجرس قبل أن يغلق كان يضم ١٥ مليون بطاقة. كما كانت مكتبة نيويورك العامة قبل أن تتحول إلى الفهرس الآلى تضيف سنويا مليون بطاقة إلى فهارسها. هذه الفهارس العملاقة بطاقية كانت أم محسبة تضم قسماً كبيراً من مداخل الأسماء والإحالات ويتم استرجاع الملايين منها. وتحاول المكتبات جاهدة أن تزيد من فاعلية المداخل أو كما تسمى حاليا نقط الوصول أو نقط الولوج وذلك ليس عن طريق قواعد جامدة أو صارمة وإنما عن طريق استخدام أى شكل وأى صيغة ممكنة رسختها الممارسة والعرف. ومن المؤكد أن وجود قائمة استناد بالأسماء على نحو ما قامت به مكتبة الكونجرس يمكن أن يكون الخطوة الأولى فى سبيل التوحيد.

وفيما يتعلق بالأسماء الجغرافية استقر الأمر على أن يكون المدخل بالاسم الشائع وخاصة فيما يتعلق بأسماء الدول فنقول السعودية وليس المملكة العربية السعودية ونقول ليبيا وليس الجماهيرية الليبية الشعبية العظمى ونقول الأردن وليس المملكة الأردنية الهاشمية. ومن المقطوع به أن الاسم الجغرافى هو أكثر استخداماً فى المداخل الموضوعية وأحيانا فى مداخل المؤلفين وذلك كما فى حالة تفريع القوانين والتشريعات، والدساتير والقوات المسلحة والسلطة التشريعية والسلطة القضائية من اسم البلد، على النحو الذى نصت عليه تقنيات الفهرسة.

ومن مداخل الأسماء أيضا أسماء الهيئات، والهيئة إما دولية وإما إقليمية وإما وطنية والهيئة أيا كانت تدخل باسمها الرسمى الأكثر تردداً فى المصادر وخاصة الصادرة عنها. وفى حالة الأسماء الاستهلالية كانت القاعدة القديمة تنص على استخدام الاسم الكامل مع الإحالة من الاسم الاستهلالى أما القاعدة الجديدة والتى كرست نوعا من التقديس لما يرد على صفحة العنوان فقد آثرت استخدام الصيغة الاستهلالية. اليونسكو = منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم؛ الأوبك = منظمة الأقطار المصدرة للبترول وهكذا.

وفيما يتعلق بأسماء المصنفات والمركبات الكيميائية والأزمنة والحروب والمعارك والنظريات العلمية والملاحم.. فإنها أكثر استعمالاً فى المداخل الموضوعية ومن ثم فإنها تدخل بالصيغة التى تواترت بين المؤلفين والمستفيدين مثال ذلك الحرب العالمية الثانية وليس الحرب الثانية العظمى.

والكتب المقدسة تدخل باسمها مباشرة كمدخل رئيسى ويجمع تحت الاسم الرئيسى الكتاب الكامل والأجزاء. مثال ذلك القرآن الكريم: سورة يس..؛ القرآن الكريم: جزء عم.

مداخل الأسماء العربية

تخلف العمل المكتبى العربى عن نظيره الغربى ردحًا طويلاً من الزمن يربو على القرن؛ وعندما بدأت النهضة المكتبية العربية على استحياء فى النصف الثانى من

القرن العشرين بعد إنشاء معهد المكتبات والوثائق فى جامعة القاهرة سنة ١٩٥٠/١٩٥١، التفتت المكتبة العربية إلى الغرب تحاول تلمس الأسس والإجراءات التى تعمل بمقتضاها وكانت العمليات الفنية على رأس الأولويات التى نقلتها المكتبة العربية ومن بينها بطبيعة الحال الفهرسة الوصفية والتصنيف.

ولكن لما كانت المكتبات الغربية تقتنى الإنتاج الفكرى العربى سواء منه المخطوط والمطبوع: الكتب والدوريات فقد طبقت عليه نفس قواعد الكتاب الغربى ومن المؤكد أن للكتاب العربى بعض خصوصياته التى يتفرد بها والتى تميزه عن نظيره الغربى. وكان للاسم العربى كذلك ما يميزه عن الاسم الغربى على النحو الذى سنعرض له تفصيلاً فيما بعد. وكان التطبيق الأعمى للقواعد الغربية قد أدى إلى الإخلال بأساسيات الاسم العربى وعلى سبيل المثال قلب اسم طه حسين فأصبح حسين، طه. أحمد شوقى أصبح شوقى، أحمد وغير ذلك من الأمور التى بدت غريبة شاذة ومنافية حتى للقواعد الغربية فالقواعد الغربية تدعو إلى أن يدخل الاسم الغربى بالصيغة الأشهر والأشهر بالنسبة لهم الآن هو اسم العائلة. واسم طه حسين اشتهر بهذه الصيغة التى تتألف من الاسم الشخصى واسم الأب ولا يبدو فيه اسم العائلة. كما اشتهر أحمد شوقى باسمه الشخصى المؤلف من اسم مركب ولا يبدو فيه اسم الأب أو اسم العائلة ويشبهه فى ذلك محمد على ومن هنا فإن القلب التلقائى للاسم دون تَدبُّر ودون فهم لطبيعة الاسم العربى قد جانبه الصواب يقيناً.

ومما عقد مشكلة الاسم العربى أن بعض الذين تعلموا فى الخارج وخاصة بالولايات المتحدة عندما عادوا إلى الوطن حاولوا تطبيق نفس القواعد التى تطبقها المكتبات الغربية فى المكتبة العربية وبالتالى أثار الأمر جدلاً عنيفاً فى الأوساط المكتبية العربية. وتعصب الأصوليون للتقاليد العربية وتمسك المتأمركون بالاتجاه الغربى إلى أبعد حد وسفهوا اتجاهات الأصوليين ونسى الطرفان أن يجلسا ويتفقا اتفاق العلماء والمتحضرين وذهب كل فريق يدعو لمذهبه ولقد أردت فى هذا البحث أن أصل إلى كلمة سواء فى هذه القضية غير متحيز لطرف أو متعصب لفكرة فنبذت هذا وذاك، وبدأت البحث من جديد وقدمت هنا بعض الرؤى والمقترحات أرجو أن تساعد فى

حل مشكلة مداخل الاسم العربى. وقد قصرت معالجتى هنا على الأسماء الخاصة بالأشخاص كمؤلفين وموضوعات لأنه ليس ثمة فوارق فى أسماء الهيئات بين عربية وأجنبية ولا فى أسماء الأماكن أو الأزمنة. وإنما المشكلة الحقيقية تكمن فى خصوصية الأسماء العربية والتقاليد العربية والتى منها على سبيل المثال إن المرأة العربية لا تحمل اسم عائلة زوجها بعد الزواج بل تحتفظ باسم عائلتها بعد الزواج وتدخل باسمها بترتيبه الطبيعى وليس من بين الزوجات العربيات من تحمل اسم عائلة زوجها إلى زوجات الرؤساء والسلاطين والملوك والأمراء ومن حسن الحظ أنه ليس من بينهن من هن مولفات. وسوف نتناول هنا قضية الاسم العربى من حيث هو مدخل. وسوف نركز بطبيعة الحال على الاسم الشخصى.

أهمية المدخل

يعتبر المدخل ـ وخاصة فى نظم الفهرسة اليدوية التى تسود دول العالم الثالث ـ الوسيلة الوحيدة للاستدلال على الكتاب واسترجاعه، وهو بكل تأكيد أكثر خطورة من بيانات الوصف الببليوجرافى إذ يمكن وصف الكتاب بطريقة أو بأخرى وأياً كانت الطريقة المتبعة فى الوصف يمكن تكوين صورة واضحة الحدود والمعالم والأبعاد عنه. أما إذا لم يتم تحديد المدخل بدقة فإن الوصول إلى الكتاب سيصبح فى حكم المستحيل أو على الأقل يستغرق وقتاً وجهداً كبيراً وتخمينات لا حد لها إذ المدخل هو المفتاح إلى الكتاب.

وسواء كان المدخل رئيسياً أم إضافياً فهو النافذة التى يطل فيها القارئ على الكتاب حسبما يتذكره. والمدخل هو مجموعة الكلمات أو الألفاظ التى ترتب البطاقات بحسبها فى الفهارس والتى تُطلَب الكتب بمقتضاها.

وقد يكون المدخل باسم المؤلف. والمؤلف قد يكون مؤلفاً طبيعياً (علم شخصى)، وقد يكون مؤلفاً معنوياً (علم هيئة)، ذلك أن المؤلف هو المسئول عن المادة العلمية فى الكتاب وهو الذى يحقق ذاتية الكتاب. ويتسع مفهوم المؤلف ليشمل أيضا دور المترجم والمحقق والمحرر والمراجع والرسام.

وقد يكون المدخل بعنوان العمل. حيث هو الاسم الذى أطلق على الكتاب

واشتهر بين الناس به. وكثير من الأعمال لا مولف لها وبعضها يشتهر بالعنوان أكثر مما يشتهر بمؤلفه.

وقد يكون المدخل هو رأس الموضوع حيث يمكن تجميع الكتب ذات الموضوع الواحد تحت هذا الرأس وحيث تطلب نسبة كبيرة من الكتب بموضوعاتها بصرف النظر عن مؤلفيها أو عناوينها.

ولعل مشكلة المشاكل بالنسبة للكتاب العربى هى مداخل المؤلفين وخاصة المؤلف الطبيعى. ومن هنا سنوليها عناية أكبر لأن مشكلات المداخل الأخرى هينة وعامة يشترك فيها الكتاب العربى مع سائر الكتب الأجنبية.

مداخل المؤلف الشخصى

أولا: تشخيص المشكلة:

جرت عادة المكتبات ومراكز المعلومات فى دول الغرب على أن يكون مدخل المؤلف الفرد بالجزء الأشهر من الاسم وفى الأعم الأغلب يكون هذا الجزء الأشهر هو اسم العائلة، وبالتالى يرد الاسم الغربى فى فهارس المكتبات مقلوباً حيث يبدأ باسم العائلة متبوعًا بالاسم الأول (اسم الشخص) فاسم الأب ويفصل بين اسم العائلة والأسماء الأولى بفاصلة وبذلك ينقلب ترتيب عناصر الاسم من صورتها الطبيعية كما وردت على صفحة عنوان الكتاب إلى الصورة المقلوبة فى الفهرس.

والفلسفة الكامنة وراء عملية القلب هذه هى أن القارئ مستخدم الفهرس قد ينسى الأسماء الأولى للمؤلف ولكنه فى الأعم الأغلب يتذكر الاسم الأخير ألا وهو اسم العائلة وبالتالى يبحث عن الكتاب تحت هذا الجزء من الاسم ويرجع تذكر اسم العائلة فى الغرب إلى مكانة هذا الاسم ودورانه على الألسن وبروز أسماء العائلات عبر التطور التاريخى للمجتمعات الغربية.

وبسبب هذا التطور التاريخى وتقديس اسم العائلة فى دول الغرب أصبح من البديهيات والمسلمات أن يكون اسم العائلة هو المدخل الطبيعى فى اسم المؤلف ولم يتطلب الأمر جدلاً أو نقاشاً حتى يستقر الوضع على هذا النحو.

ولما كانت نهضة المكتبات والحركة المكتبية فى العالم العربى قد جاءت متأخرة

جداً عنها فى الغرب إذ لما تزال هذه الحركة لدينا فى طور التكوين غدا من الضرورى نقل أساليب الغرب المكتبية لتطبيقها فى مكتباتنا العربية إذ انقطعت الصلة بين حاضرنا وماضينا وغدونا نلهث وراء الغرب وننقل على عجلة ما يمكن أن يسد الفجوات الأساسية ولم يكن لدينا الوقت لنهضم تلك الأساليب أو نضع أساليب عربية محضة فى هذا الشأن. ولذلك اختلفت المكتبات العربية اختلافاً بيناً فى أساليب العمل طبقاً لموقع كل منها من التطورات التى وقعت فى الغرب، وطبقاً لرؤية كل منها لتلك التطورات.

وفيما يتعلق بالمداخل انقسمت المكتبات العربية انقساماً خطيراً ليس فقط بين الدول العربية المختلفة بل أيضا بين المكتبات ومراكز المعلومات فى الدولة الواحدة والمدينة الواحدة والشبكة الواحدة من المكتبات داخل المدينة الواحدة واتجهت المكتبات العربية فى هذا الصدد أربعة اتجاهات:

الاتجاه الأول: يجعل المدخل بالصيغة الطبيعية للاسم حسبما ورد على صفحة العنوان مع إعداد أو عدم إعداد إحالات من الجزء الأشهر إلى هذه الصيغة الطبيعية حسب اجتهاد كل مكتبة واجتهاد العاملين فيها. وقد أدى هذا الاتجاه فى بعض الأحيان إلى تشتيت مداخل المؤلف الواحد تحت صيغ متعددة وخاصة بالنسبة للأسماء الأولى المركبة من اسمين والأسماء التى تبدأ بكنية أو خطاب مثل:

محمود حسن اسماعيل	حسن اسماعيل
محمد فتحى عمر	فتحى عمر
محمد شوقى البدالى	شوقى البدالى
أبو عبيدة معمر بن المثنى	معمر بن المثنى
نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى	الحسن بن محمد النيسابورى

الاتجاه الثانى: قلب الاسم بحيث يبدأ بالجزء الأخير منه تقليداً لمكتبات الغرب دون فهم ودون وعى لفلسفة القلب لدرجة أن بعض المداخل جاءت مضحكة ومثيرة

للسخرية حيث قلب اسم طه حسين ليصبح حسين، طه ـ وأحمد شوقى ليصبح شوقى، أحمد ـ وعلى مبارك ليصبح مبارك، على. . . ووجه الفساد فى هذا القلب أن الجزء الثانى من هذه الأسماء ليس هو اسم العائلة وأن المولف قد اشتهر بين الناس بهذين الجزءين فقط من اسمه فبعض الأسماء المركبة من عنصرين قد يدل أحدهما على الاسم الشخصى للمؤلف والثانى على اسم أبيه والبعض الآخر يدل العنصران على الاسم الشخصى حيث الاسم مركب من هذين العنصرين دون اسم الأب أو العائلة.

الاتجاه الثالث: وقد جاء نتيجة للفساد الواضح فى الاتجاهين السابقين الأول والثانى وقد قسم الأسماء العربية تقسيماً تعسفياً إلى قسمين الأول يضم الأسماء العربية قبل ١٨٠٠م والثانى يضم الأسماء بعد هذا التاريخ واعتبر التقسيم سنة واحدة هى سنة ١٨٠٠م حداً فاصلاً بين العصور الوسطى العربية والعصر الحديث. اقترح هذا الاتجاه أن تدخل الأسماء العربية القديمة (قبل ١٨٠٠م) بالجزء الأشهر سواء كان هذا الجزء الأشهر هو الكنية أو اللقب أو النسبة أو الاسم الشخصى وأياً كان موضع هذا الجزء من الاسم الكامل للمؤلف أما الأسماء الحديثة بعد سنة ١٨٠٠ فقد اقترح أن تدخل بصورتها الطبيعية كما وردت على صفحة العنوان.

ولهذا الاتجاه بشقيه فلسفته ومبرراته حيث إن القارئ فى معظم الأحيان لا يتذكر الاسم العربى القديم بأكمله أو على وجه الدقة بل يتذكر فقط جزءاً معيناً منه وذلك لبعد الشقة بين القارئ والمؤلف. أما بالنسبة للأسماء الحديثة فإن القارئ فى الأعم الأغلب يتذكرها بكاملها وبوضعها الطبيعى نظراً لقصر الاسم فهو عادة يتألف من الاسم الشخصى ثم اسم الأب فاسم العائلة أو اسم الجد كما هو الحال فى الغالبية العظمى من أسماء المؤلفين ومهما طال الاسم الحديث فلن يزيد على أربعة عناصر.

وعندما يرغب القارئ فى اختصار اسم المؤلف الحديث فإنه يقصره على الاسم الأول واسم العائلة: سعد محمد الهجرسى (سعد الهجرسى)، حشمت محمد على قاسم (حشمت قاسم) أو يقصره على الاسم الشخصى واسم الأب: جمال عبد

الناصر، طه حسين، على مبارك أو يقصره على الاسم الشخصى المركب مثل أحمد شوقى، محمد على، أو يقصره على الاسم الشخصى واسم الجد مثل شعبان خليفة، فتحى زغلول، كذلك لسقوط اسم العائلة فى بعض الدول العربية (وخاصة فى مصر) وحلول اسم الجد محله والاعتداد المطلق بالاسم الأول إلى حد اعتبار النداء باسم العائلة أو الجد إهانة وتنكيراً كمنادى عليه، واعتداد المرأة العربية باسمها الشخصى دون اسم زوجها، كان لهذا كله أثره فى هذا الاتجاه نحو الصيغة الطبيعية فى الاسم كما وردت على صفحة العنوان.

الاتجاه الرابع: رأى أن يلغى مشكلة مداخل الأسماء فاعتنق أن يكون المدخل الرئيسى بالعنوان ومن الطريف أن يجد هذا الاتجاه صداه فى بعض الرسائل الأكاديمية التى أجيزت فى الولايات المتحدة نفسها بل إنه هو الاتجاه فى الفهرسة الآلية.

ونظراً لتعقد مشكلة المداخل ومحليتها الشديدة فقد آثر التقنين الدولى للوصف البيليوجرافى عدم الخوض فيها واكتفى ببيانات الوصف البيليوجرافى وعلامات الترقيم يقلبها ذات الشمال وذات اليمين.

ولكى نصل إلى علاج لمشكلة مداخل الأسماء العربية فى فهرسة الكتاب العربى يجب أن ننبذ أى اتجاه من الاتجاهات الأربعة السابقة بداية وننبذ أى تقليد غربى ونفكر من جديد فى حل عربى ينبع من طبيعة الاسم العربى لا فى دولة عربية بعينها وإنما على مستوى الوطن العربى كله. وقد تكون نقطة الانطلاق هى تحليل الاسم إلى عناصره الأولية يستوى فى ذلك الاسم العربى القديم والاسم العربى الحديث.

تحليل الاسم العربى:

المتأمل فى الأسماء العربية يردها إلى مجموعتين (أ) اسم بسيط يتألف من كلمة واحدة مثل على، حسين، سعاد، عائشة (ب) اسم مركب من كلمتين (مركب إضافة: عبد المجيد ـ شيخ الربوة، سيد الأهل) ومركب إسناد: تأبط شراً ـ جاد الحق ـ جاب الله أو مركب مزج: معدى كرب ـ السلحدار ـ الخازندار) ونعالج أحوال كل منهما على التفصيل الآتى:

الاسم المفرد: قد يرد على الحالات الآتية:

١- مأخوذ من اسم مفعول مثل: مصطفى - محمود - مسعود.

٢- مأخوذ من فعل ماضى مثل: جاد - صفا.

٣- مأخوذ من فعل مضارع مثل: يحيى - يزيد - يونس.

٤- مأخوذ من فعل أمر مثل: سالم - سامر - تامر.

٥- مأخوذ من مصدر مثل: سعد - شوق.

٦- مأخوذ من اسم عين مثل: غزال - حيوان - جحش - قرنفل - ياقوت - ذهب - مرجان.

٧- مأخوذ من صنعة أو حرفة مثل: النجار - الخشاب - الحداد - القطان - الصواف - السقا - الفراء.

٨- مأخوذ من اسم فترة زمنية (يوم - أسبوع - شهر) مثل خميس - جمعة - رجب - شعبان - رمضان.

٩- مأخوذ من اسم لون مثل: الأصفر - الأخضر - الأحمر.

١٠- مأخوذ من اسم مشتق مثل: مصباح - مفتاح.

١١- مأخوذ من منطقة مثل: آسيا - مصر .

١٢- مأخوذ من لقب ذم مثل: الجاحظ - السفاح - الأخرس - العباس - (عباس) - الأحول - الأعمى أو لقب مدح مثل: الأمين (أمين)، الرشيد (رشيد).

١٣- مأخوذ من نسبة وينتهى بياء النسبة إلى:

(أ) قطر مثل: الأفغانى، الهندى، البخارى.

(ب) مدينة مثل: القاهرى، الدمشقى، الأسيوطى، المنوفى، الجرجاوى.

(جـ) قرية مثل: السرساوى، الفيشاوى، التتاوى (التطاوى).

(د) صناعة أو حرفة مثل: الجوهرى، الزجاجى.

(هـ) مذهب مثل: النحوى، اللغوى، القاضى.

(ز) قبيلة أو بطن مثل: القرشى، التغلبى، الهاشمى.

(ح) شخص (قد بدأت بنسبة العبيد إلى أسيادهم، مثل الزيدى، العمرى، القاسمى، القيسى).

١٤- اسم علم خالص ضاعت منا أصول اشتقاقه عبر التطور التاريخى مثل: موسى، عيسى، سركيس، جعفر.

١٥- اسم ينتهى بأصول تركية وهذه لحقت بالأسماء العربية بعد استقرار الأتراك العثمانيين فى الدول العربية طوال خمسة قرون مثل: شوربجى، تونجى، الخربوطللى، المرعشلى.

الاسم المركب قد يرد على الحالات الآتية:

١- مركب من فعل وفاعل مثل جاد الله، جاب الله، جاد الحق، جاد المولى.

٢- مركب من فعل ومفعول مثل: تأبط شراً.

٣- كنية وهو ما بُدِئ بأب وأم وفى أحوال نادرة بأخ وأخت وعم وعمه وخال وخالة وابن وبنت مثل: أبو تمام، أبو العلاء، أبو القاسم، ابن سينا، ابن بيلا، ابن أنس وتطوراتها فى جنوب الجزيرة العربية وشمال أفريقيا: باخشب، باخشوين، بوعزة، بوجديد، بومدين، أم سلمة، بنت خويلد، بنت ظريف.

٤- مركب يبدأ بذى وذات مثل: ذو الإصبع ـ ذو الرمة ـ ذات النطاقين.

٥- مركب من كلمات خطاب تضاف إلى الدين ونحوها مثل: شمس الدين، علاء الدين، نصر الدين، سيد الناس، سيد الأهل.

٦- مركب من كلمة ابن مضافة إلى كنية ونحوها مثل ابن أبى طالب ـ ابن أبى أصيبعة.

٧- مركب من اسم علم شخص مضاف ومضاف إليه مثل: محمد حمدى ـ أحمد شوقى.

٨- مركب من كلمة ابن مضافة إلى اسمى علم مثل ابن قيس الرقيات ـ ابن قيم الجوزية ـ ابن قاضى سماونة.

٩- إضافة كلمة عبد إلى اسم الله أو أى من الأسماء الحسنى مثل: عبد الله، عبد الواحد، عبد الجبار.

١٠- إضافة كلمة عبد إلى لفظ النبى مثل: عبد النبى، عبد المسيح.

١١- إضافة كلمة عبد إلى رب النبى مثل: عبد رب النبى.

هذه هى بعض حالات الاسم العربى قديمة وحديثة على السواء، لم نقصد من ورائها الحصر بقدر ما نقصد من ورائها التمثيل والتصوير. والحقيقة التى لا مناص من الاعتراف بها والتى لا يمكن إنكارها هى أن الاسم العربى قد تطور إلى حد كبير وأن هناك علامات فارقة بين ما يمكن أن يسمى بالاسم العربى القديم والاسم الحديث ويمكننا أن نتتبع بعض ملامح هذا التطور.

ملامح فارقة بين الاسم العربى القديم والحديث

(أ) قصر الاسم العربى الحديث عن الاسم القديم حتى أصبح الاسم الحديث يقتصر فى الأعم الأغلب على ثلاثة عناصر أو أربعة بل فى بعض الأحيان فى عنصرين اثنين. وعلى سبيل المثال:

(قديم)

* شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن حمزة الرملى المنوفى المصرى الأنصارى الشافعى (معروف بالرملى) ت ٩٥٧هـ.

* أبو الحجّاف (و) أبو محمد رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمى السعدى (معروف برؤبة بن العجاج) ت ١٤٥هـ.

* تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن تمام بن حماد بن يحيى بن عثمان بن على بن سوار بن سليم السبكى (معروف بالسبكى) ٦٨٣-٧٥٦هـ.

(حديث)

جابر جاد عبد الرحمن.

جابر عبد الحميد جابر.

ثابت محمود أحمد.

جلال يحيى.

جمال حمدان.

حشمت محمد على قاسم.

أحمد الشهاوى سعد شرف الدين.

وداد سكاكينى.

زكى المحاسنى.

(ب) تخلص الاسم الحديث فى الأعم الأغلب من كلمة «ابن» التى تتخلل عناصره وتسلم العنصر إلى الذى يليه لإثبات البنوة والنسب، بحيث لم يبق من الأسماء العربية المتمسكة بهذا التقليد سوى نسبة قليلة سوف تختفى فى عقود قليلة قادمة تحت وطأة التطور.

(جـ) تخلص الاسم العربى الحديث فى الأعم الأغلب من الكنية فقد كانت الكنية مظهراً من مظاهر العصبيات والبداوة التى أخذت فى الانقراض من حياة المجتمع العربى.

(د) تخلص الاسم العربى الحديث فى الأعم الأغلب من النسبة بكافة أنواعها وبقاؤها فى بعض الأسماء لم تعد له وظيفة النسبة التى كانت فى الاسم القديم بل غدت جزءاً من الاسم. مثل (محمد المصرى عثمان) و (كمال المنوفى) و (العراقى عبد العزيز الشربينى).

(هـ) تغيير عنصر الشهرة فى الاسم العربى الحديث من عنصر معين واحد فى الأعم إلى عنصرين أو ثلاثة أحياناً وقد تكون هذه العناصر:

- الاسم الشخصى المركب من اسمى علم مثل: أحمد شوقى، محمد على، محمد ماهر، جورج عطية وهما عادة العنصران الأولان فى الاسم.
- الاسم الأول الشخصى واسم الجد أو اسم العائلة مثل:

حسب الله الكفراوى   إيمان باناجة

عبد الجليل التميمى	هدى باطويل
شعبان خليفة	جميلة بو حريد
فوزى الخطيب	أحمد بدر
البشير الكافى	

- الاسم الشخصى واسم الأب مثل: محمد لطفى، محمد حسنى، طه حسين، محمد فريد، على مبارك.

(و) التقليل من أهمية اسم العائلة والاعتداد بالاسم الشخصى من جهة ومن جهة ثانية عدم وجود ما يمكن أن يسمى باسم العائلة فى كثير من الأسماء المؤلفة حالياً، ومن جهة ثالثة ضرورة اللجوء إلى الاسم الأول لتمييز الشخصيات المشتركة فى اسم عائلة واحدة مثل: حافظ الأسد، رفعت الأسد، أنور السادات، عصمت السادات.

(ز) تخلص الاسم العربى الحديث فى الأعم الأغلب من ألقاب الذم للرقى الحضارى الذى طرأ على المجتمع العربى وخروجه من مرحلة البداوة والفلاحة ونبذ التهاجى. كما جردت ألقاب المدح غالباً من أداة التعريف مثل: أمين، رشيد، منصور.

(ح) لاشك أن عدد المؤلفين العرب فى العصر الحديث قد زاد زيادة عظيمة عنه فى العصور الوسطى العربية حيث كان المؤلفون يعدون على الأصابع وكان يكفى عنصر واحد فى اسم المؤلف منهم لتمييزه بينما يلزم للاسم الحديث عناصر عديدة لتمييزه.

(ط) أن النساء العربيات لا يحملن أسماء عائلات أزواجهن بعد الزواج بل يحتفظن بأسماء عائلاتهن.

لكل هذه الأسباب ـ وغيرها لم تذكر ـ لابد من الاعتراف بضرورة تقسيم الأسماء العربية إلى قديم وحديث، وهو تقسيم علمى مبنى على أسس سليمة تقتضيها ظروف العصر الذى نعيشه الآن والعصور التالية ويجب ألا يحملنا التقليد الأعمى للغرب على إغفال الظروف التى يعيشها الاسم العربى وألا نتعجل النقل عن الغرب لمجرد أنهم سبقونا فى هذا المضمار، ومن ثم فإن كل ما يفعلونه صالح للتطبيق هنا.

اقتراح لحل المشكلة

كشفت الدراسة فى الصفحات السابقة عن اختلاف وجهات النظر فى معالجة مداخل أسماء المؤلفين العرب، وكشف التحليل عن وجود فروق جوهرية بين الأسماء القديمة والحديثة ومن ثم ضرورة تقسيم الأسماء العربية إلى قديم وحديث.

ولقد ذهب الأستاذ الدكتور محمود الشنيطى وأستاذ الجيل محمد المهدى حنفى إلى تقسيم الأسماء العربية فعلاً إلى أسماء عربية قديمة وأسماء عربية حديثة وجعلا بينهما حداً فاصلاً هو سنة ١٨٠٠م على اعتبار أن العصر الحديث فى مصر يبدأ مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادى بتأسيس مصر الحديثة على يد محمد على، بحيث تعتبر الأسماء التى مات أصحابها قبل ١٨٠٠م أسماء قديمة تدخل بالجزء الأشهر من الاسم. والأسماء التى عاش أصحابها بعد سنة ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) أسماء حديثة تدخل بالاسم الكامل بوضعه الطبيعى دون قلب. وقد وضع الأستاذ الدكتور محمود الشنيطى والأستاذ عبد المنعم السيد فهمى قائمة استناد بأهم الأسماء العربية القديمة تحت عنوان «مداخل المؤلفين العرب، القائمة الأولى إلى عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م». ونشرت بالقاهرة ١٩٦١ وتضم القائمة ٨٣٢ مدخلاً.

ولقد شايعنا هذا الإجراء الذى اقترحاه واعتنقناه طوال ربع قرن مضى ولكن من خلال تجربتنا تدريسًا وتطبيقًا تكشَّف لنا أن القرن التاسع عشر كله يعتبر مرحلة انتقال بين الاسم العربى القديم والاسم الحديث بحيث لا يمكن اعتبار سنة ١٨٠٠م حداً فاصلاً وقاطعاً بينهما. ولذلك فإننا نميل إلى الاقتراحات التالية:

(أ) ضرورة الاعتراف بتقسيم الأسماء العربية إلى قديم وحديث.

(ب) أن يكون الحد الفاصل بين الاسم القديم والحديث هو سنة ١٩٠٠م بدلاً من سنة ١٨٠٠م على اعتبار أن العصر الحديث بالنسبة لمعظم الدول العربية هو القرن العشرون، ومن ثم يدخل القرن التاسع عشر بالنسبة للاسم العربى فى نطاق القديم وعليه يكون المؤلف الذى تاريخ وفاته حتى ١٩٠٠م مؤلفاً قديماً.

(جـ) تدخل الأسماء العربية القديمة (حتى نهاية القرن التاسع عشر) بالجزء

الأشهر من الاسم أياً كان وجه الشهرة وأياً كان وضع هذا الجزء وترتيبه من الاسم الكامل على أن يُتبع هذا الجزء بالاسم الكامل حتى ولو تكرر هذا الجزء مرة ثانية داخل سياقه العام وليفهم أننا بهذا الإجراء لا نقلب الاسم وإنما نبرز فقط عنصر الشهرة والأمثلة الآتية توضح ذلك:

* اليافعى: عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليم بن فلاح اليافعى الشافعى ٦٩٨-٧٦٨ هـ.

* ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله الرومى الحموى البغدادى ٥٧٤٠-٦٢٦ هـ.

* ياقوت المستعصمى: جمال الدين أبو الدر ياقوت بن عبد الله المستعصمى البغداد ٦٨٩هـ.

* صالح بن يحيى: صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين المنوفى ت ٥٨٠هـ.

* صفى الدين الحلى: صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم السنيسى الطائى ٦٧٧-٧٥٠ هـ.

* أبو نواس: أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمى الولاء ١٤٦-١٩٨ هـ.

* أبو بكر الصديق: عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى ٥١ ق.هـ - ١٣ هـ (٥٧٣-٦٣٤م).

* الحاجرى: حسام الدين أبو يحيى عيسى بن سنجر بن بهرام الأربلى ٥٨٢-٦٣٢ هـ.

* حاتم الطائى: أبو سنانة بن عبد الله بن سعد ت ٤٦ ق.هـ.

* رفاعة الطهطاوى: رفاعة رافع الطهطاوى ١٨٠١-١٨٧٣م

١٢١٦-١٢٩٠ هـ.

(د) تستخدم الشارحة (:) للفصل بين عنصر الشهرة والاسم الكامل فى مداخل الأسماء القديمة بدلاً من الفاصلة لأن الفاصلة توحى بالقلب والقلب فى هذه الحالات ليس هو الأساس.

(هـ) تدخل الأسماء الحديثة ويقصد بها التى عاش أصحابها بعد سنة ١٩٠٠ بالصيغة الطبيعية للاسم كما وردت على صفحة العنوان مع إعداد الإحالات اللازمة فى حالات الضرورة مثل:

عبد المنعم السيد فهمى	طه حسين
أحمد أنور عمر	نجيب محفوظ
عصام الغزالى خليل	كامل الباقر
محمود أمين العالم	عفيفى محمود
محمد يوسف	عباس محمد العقاد
على الحلى	عباس صالح طاشكندى
على الجمبلاطى	محمد أمين البناوى
حشمت محمد على قاسم	سلوى على ميلاد

ذلك أن هذه الصيغة الطبيعية هى التى ارتضاها المؤلف لنفسه والتى يجب أن يعرف بها.

(و) أن تقوم هيئة عربية معينة بوضع قائمة استناد تضم الأسماء العربية قديمها وحديثها على مستوى العالم العربى بناء على المقترحات السابقة، تكون هذه القائمة بمثابة الأداة التى يرجع إليها لتحديد المدخل السليم للاسم العربى. وتعد هذه الأداة وخاصة بالنسبة للأسماء الحديثة من واقع الببليوجرافية الوطنية لكل دولة عربية ومن واقع فهارس المكتبات ومقتنياتها فى كل دولة.

إن مهنة المكتبات هى مهنة التوحيد وبالتالى فهى مهنة الأدوات سابقة الإعداد

والتجهيز وأداة الاستناد التى تقنن الأسماء العربية قديمها وحديثها هى أخطر أداة نفتقر إليها فى الفهرسة الوصفية وعندما تصدر مثل هذه الأداة،ويعمم استخدامها على نطاق العالم العربى كله، سيعم استخدامها على نطاق العالم كله الذى يقتنى الإنتاج الفكرى العربى. وبدلاً من أن يضع لنا الأجانب قواعد أسمائنا سيستخدمون القواعد التى نضعها نحن ونستعملها.

وفى قناعتى الشخصية أن عدداً محدوداً من القواعد حتى ولو كانت تعسفية أفضل بكثير من مئات القواعد المنطقية التفصيلية التى تشتت الأداء وتخلق متاهات لا قبل للمكتبات والقراء بها. المهم أن نبدأ.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات .ــط ٣.ــ القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٨ . ٢مج.

2- Clarke, Edith. Woman in Literature at the Fair Fram the Stand Point of a Librarian and Cataloguer._ Library Journal, 1894. Vol 19, P48.

3- Cooper, Helen Margaret and Mary Louise Seely. Biographical Reference Sources for Personal Name Entries._ Urbana : University of Illinois Library School, 1937.

4- Dogra, R.C. Cataloguing of Urdu Names. International Library Review._ vol.5, 1973 pp 351-377.

5- Domanovsky, Akos. Editor Entries and the Principles of Cataloguing._ Libri, Vol. 23, 1973. pp 307-330.

6- Driscoll, Charles B.The Book of Femenine Names._ Daytou : Frigidaire Corporation, 1932.

7- Eno, Joel N.Name- Making and Cataloging of names._ Library Journal._ Vol. 35, Dec. 1410. pp 553-555.

8- Gardiner, Sir Alan. The Theory of Proper Names : a Controversial essay._ 2nd ed._ London : 1957.

9- Gosnell, Charles F. Spanish personal names: Principles Covering their formation and use Which may be presented as a help for Catalogers and bibliographers._ New York : Wilson, 1968.

10- Jolly, L.International Confrenece on Cataloguing principlesII : thoughts after paris._ Journal of Documentation._ Vol. 19, 1963.

11- Ishaq y. Ceutub. Arab Names and Name giving._ Asian Student, Vol.11, March, 1963.

12- Kunitz, Stanely. Authors, Librarians and Names._ Wilson Library Bulletin, Vol. 14, June, 1940.

13- Pulgram, Ernst. Indo-European Personal Names._ Languages, Vol.23 1947. pp 189-206.

14- Pul gram, Ernst. Theory of Names._ Berekely : American Name Society, 1954.

15- Weekly, Ernest. Surnames._ New York : Dutton, 1927.

إسماعيل سراج الدين ١٩٤٤

Ismail Sirag Eldin 1944.

ولد الدكتور اسماعيل سراج الدين فى الجيزة بمصر سنة ١٩٤٤ حيث تعلم فى مدارسها الابتدائية والإعدادية والثانوية والتحق بكلية الهندسة- قسم الهندسة المعمارية فى العام الجامعى ٥٩/ ٦٠ وحصل منها على درجة البكالوريوس فى سن العشرين سنة ١٩٦٤ بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. وحصل على درجة الماجستير بامتياز فى التخطيط الإقليمى من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٨. وحصل على الدكتوراه من نفس الجامعة سنة ١٩٧٢ فى موضوع دور التعليم فى التربية. والدكتور اسماعيل سراج الدين متزوج وله ولد واحد. يجيد ثلاث لغات هى العربية والإنجليزية والفرنسية.

ونظراً لعمله الدولى متعدد المجالات فقد مُنِح العديد من الدرجات الفخرية بلغت ١٣ درجة:

١- فى علم الاجتماع من جامعة بوخارست برومانيا سنة ١٩٩٦ .

٢- فى العلوم الزراعية من جامعة ملبورن باستراليا سنة ١٩٩٦ .

٣- فى العلوم الزراعية من المعهد الهندى للبحوث الزراعية فى الهند ١٩٩٧.

٤- فى العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن العاصمة فى الولايات المتحدة سنة ١٩٩٨ .

٥- فى العلوم من جامعة البنجاب الزراعية بالهند سنة ١٩٩٨ .

٦- فى العلوم من جامعة تاميل نادو لعلوم الحيوان والطب البيطرى بالهند ١٩٩٨.

٧- فى إدارة الموارد الطبيعية من جامعة الولاية بأوهايو بالولايات المتحدة سنة ١٩٩٨.

٨- فى العلوم من جامعة تاميل نادو الزراعية فى كويمبباتور بالهند سنة ١٩٩٩.

٩- فى العلوم من الجامعة الزراعية القومية فى حيدر أباد بالهند سنة ١٩٩٩.

١٠- فى الاقتصاد والإدارة من الكونسرفاتوار القومى بباريس ـ فرنسا سنة ١٩٩٩.

١١- فى العلوم من جامعة إيجرفتون فى كينيا سنة ١٩٩٩ .

١٢- فى العلوم الزراعية من جامعة توسكيا فى إيطاليا سنة ١٩٩٩ .

١٣- فى الآداب من الجامعة الأمريكية فى القاهرة بمصر سنة ٢٠٠٠.

وقد عمل الدكتور اسماعيل سراج الدين عقب حصوله على الدكتوراه من جامعة هارفارد فى البنك الدولى بالعاصمة الأمريكية واشنطن وشغل به عدة مواقع حتى وصل إلى منصب نائب رئيس البنك سنة ١٩٩٣ والذى ظل به حتى منتصف عام ٢٠٠٠ حين استقال ليعود إلى مصر مديراً لمكتبة الإسكندرية الجديدة. وإلى جانب هذا المنصب الحالى فإنه يعمل مستشاراً خاصاً للبنك الدولى، وأستاذاً زائراً متميزاً فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة؛ أستاذاً متميزاً فى جامعة واجا ننجن فى هولندا. كما

يعمل رئيساً وعضواً فى العديد من اللجان الاستشارية العاملة فى ميادين البحث العلمى وفى العديد من المؤسسات والمعاهد الدولية.

ومن الوظائف التى تولاها خلال عمله بالبنك الدولى: خبير اقتصادى فى التربية والمصادر البشرية (١٩٧٢-١٩٧٦)؛ رئيس قسم المعونة الفنية والدراسات الخاصة (١٩٧٧-١٩٨٠)؛ رئيس قسم المشروعات الحضرية فى أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا (١٩٨٠-١٩٨٣)؛ مدير البرامج فى غرب إفريقيا (١٩٨٤-١٩٨٧)؛ مدير مشروعات الريف فى إفريقيا الوسطى وإفريقيا الغربية (١٩٨٧-١٩٨٩)؛ المدير الفنى لكل إفريقيا جنوب الصحراء (١٩٩٠-١٩٩٢)؛ نائب رئيس البنك الدولى للتنمية البيئية والاجتماعية المستدامة (١٩٩٣-١٩٩٨)، إلى جانب عمله بالبنك الدولى كان رئيساً مشاركاً لبعض اللجان وأستاذاً محاضراً فى بعض الجامعات؛ رئيس المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية (١٩٩٤-٢٠٠٠)؛ رئيس المجموعة الاستشارية لمساعدة الفقراء (١٩٩٥-٢٠٠٠)؛ رئيس الشركة الدولية للمياه (١٩٩٦-٢٠٠٠)؛ رئيس اللجنة الدولية للمياه فى القرن الحادى والعشرين (أغسطس ١٩٩٨- مارس ٢٠٠٠).

والأستاذ الدكتور اسماعيل سراج الدين عضو فى العديد من الأكاديميات والاتحادات من بينها:

١- عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم الزراعية فى الهند.

٢- عضو الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون فى النمسا.

٣- عضو أكاديمية بنجلاديش للعلوم فى داكا.

٤- عضو المعهد الأمريكى لرجال التخطيط الموثقين.

٥- عضو الأكاديمية العالمية للفنون والعلوم.

لقد انضم الدكتور اسماعيل سراج الدين إلى جماعة الشخصيات الدولية المتميزة المهتمة بقضايا تشغيل الشباب والتى تسعى إلى عقد قمة دولية لهذا الغرض والمعروفة

باسم «قمة تشغيل الشباب». ويرأس الدكتور اسماعيل سراج الدين اللجنة التنظيمية فى هذه القمة والتى تضم أيضا: جيرترود مونجيللا، مايكل روكارد، بارونيس ويليام، وغيرهم عديدين. ومدير القمة هو بونام أهلو والا من بوسطون التى تستضيف سكرتارية القمة.

ولقد لعب الدكتور اسماعيل سراج الدين دوراً هاماً فى مساندة حركة التمويل الجزئى. كما كان على الدوام مسانداً لجهود دعم الفقراء من خلال مشروعات وخدمات التمويل الجزئى وانضم سنة ١٩٩٥م إلى محمد يونس، سام دالى - هاريس، إلا بهات، نانس بارى وغيرهم فى سبيل تنظيم **قمة الإقراض الجزئى** (القرض الصغير). ولقد قامت هذه المجموعة بعمل فريد من نوعه حين جمعت فى هذه القمة نحو ٣٠٠٠ شخص من ١٤٠ دولة جاءوا إلى واشنطون فى فبراير ١٩٩٧ لبدء حملة لمساعدة مائة مليون أسرة أشد فقرا وخاصة الأسرة التى تعولها امرأة على أن تستمر هذه الحملة حتى سنة ٢٠٠٥م.

من هذا المنطلق كان الدكتور اسماعيل سراج الدين أيضا مؤسس ورئيس **الجماعة الاستشارية لمساعدة الأشد فقرا** (سى جى إيه بى)، وكان هذا الجهد امتداداً طبيعياً لجهد سابق بدأ سنة ١٩٩٣ لمحاربة الجوع فى العالم.

وفى السادس عشر من يونية سنة ١٩٩٩م اختارت مؤسسة جرامين الدكتور إسماعيل سراج الدين الشخصية المكرمة الأولى لينال جائزتها باعتباره المكافح الأول للفقر فى العالم. وقد قدمت له الجائزة فى احتفال كبير فى أروقة الأمم المتحدة فى نيويورك وكان يرأس الاحتفال تيد تيرنر و بيتر جيننجز.

ومن المعروف أن مصر كانت قد رشحت الدكتور إسماعيل سراج الدين فى مايو ١٩٩٨ لمنصب المدير العام لليونسكو وقد ساندته فى هذا الترشيح بشدة منظمة الوحدة الأفريقية فى القمة الرابعة والثلاثين لرؤساء الدول والحكومات الأفريقية المنعقدة فى أوجادوجو فى شهر يونيو ١٩٩٨. ولكن بسبب الانقسام العربى والضغوط اليابانية

على الدول المصوتة فاز المرشح اليابانى، وكتب الدكتور اسماعيل سراج الدين رسالته الشهيرة التى يشكر فيها كل من أيده فى حملته للوصول إلى ذلك المنصب.

المطبوعات والأحاديث

قام الدكتور اسماعيل سراج الدين بتأليف وتحرير أكثر من خمسة وأربعين كتابا إلى جانب أكثر من مائتى مقال وبحث أو فصل فى كتاب، تناولت هذه الأعمال الفكرية مجالات مختلفة فى العلم والثقافة والأدب. كما أدلى بمئات من الأحاديث الصحفية والمحاضرات العامة والبرامج الإذاعية والتليفزيونية. وندرج فيما يلى بيانا بما تيسر لنا من أعماله:-

- Promethean science (with G.persley 2000)
- Biotechnology and Biosafety
- Wanda Collins, and Ismail Serageldin, eds. 1999
- Culture in Sustainable Development: Investing in Cultural and Natural Endowments.

proceedings of Conference on Sustainable Development, September 1998

Ismail Serageldin and Joan Martin -Brown, eds. 1999

- Very special places: The Architecture and Economics of Intervening in Historic Cities.

Ismail Serageldin,1999.

- Themes for the Third Millennium: The Challenge for Rural Sociology in an Urbanizing World. Keynote address to the Nineth World Congress of Rural Sociology in Bucharest, Romania

Ismail Serageldin,1999

- Partnerships for Global Ecosystem Management: Economic, Science, and Law. Proceedings of the Fifth Annual World Bank Conference on ESSD

Ismail Serageldin and Joan Martin- Brown, eds.1998.

- The Modernity of Shakespeare. Cairo, Egypt, and Washington, D.C.:.Cairo University (Center for the Global South) and American University

Ismail Serageldin,1998.

- The Architecture of Empowerment: people, Shelter and Livable Cities

Ismail Serageldin (Editor), published 1997

- Servicing innovative Financing of Environmentally Sustainable Development (Environmentally Sustainable Development proceedings Series, No.11)

Ismail Serageldin (Editor), Published 1997.

The New Abolitionists

Earth Times, July 1996.

- Architecture of the Contemporary Mosque

Ismail Serageldin (Editor), James Steele (Editor), Published 1996

- Effective Financing of Environmentally Sustainable Development: proceedings of the Third Annual World Bank Conference on Environmentally Sustainable)

Ismail Serageldin (Editor), Alfredo Sfeir -Younis (Editor), published 1996.

- Ethics and Spiritual Values: promoting Environmentally Sustainable Development (Environmentally Sustainable Development proceedings Series, No.12)

Ismail Serageldin (Editor), Richard Barrett (Editor), published 1996.

- Sustainability and the wealth of Nations: First Steps in an Ongoing Journey (Environmentally Sustainable Development Studies and Monographs Series)

Ismail Serageldin, published 1996.

- The Self and the Other: Sustainability and Self -Empowerment

(Environmentally Sustainable Development proceedings Series, No13)

Ismail Serageldin (Editor), Afaf Mahfouz (Editor), published 1996

- Architecture Beyond Architecture: Creativity and Social Transformations in Islamic Cultures the 1995 Age Khan Award for Architecture

Cynthia C. Davidson (Editor), Ismail Serageldin, published 1996

- The Business of Sustainable Cities: Public- private partnerships for Creative Technical and Institiutional Solutions (Environmentally Sustainable Development)

Ismail Serageldin (Editor), Published 1995

- Enabling Sustainable Community Development (Environmentally Sustainable Development Proceedings Series, No.8)

Ismail Serageldin (Editor), Published 1995

- The Human Face of the Urban Environment: A Report to the Development Community (Environmentally Sustainable Development proceedings, No. 5)

Ismail Serageldin, Michael A. Cohen (Editor), Published 1995

- Nurturing Development: Aid and Cooperation in Today's Changing World (Directions in Development)

Ismail Serageldin, published 1995.

- Toward Sustainable Management of Water Resources (Directions in Development)

Ismail Serageldin/ published 1995

- Toward Sustainable Management of Water Resources. (Directions in Development Series)

Ismail Serageldin, 1995

Water Supply, Sanitation, and Environmental Sustainability: The Financing Challenge. Directions in Development series

Ismail Serageldin,1994

- Overcoming Global Hunger: Proceedings of a Conference on Actions to Reduce Hunger Worldwide, Hosted by the World Bank and Held at the American Unive.

Ismail Serageldin, Pierre Landell- Mills (Editor), published 1994.

- Water Suppl y, Sanitation, and Environmental Sustainability: The Financing Challenge (Directions in Development)

Ismail Serageldin, published 1994

- Making Development Sustainable: From Concepts to Action (Environmentally Sustainable Development Occasional Paper Series, No.2)

Ismail Serageldin, Andrew Steer (Editor), published 1994.

- Culture and Development in Africa: Proceedings of an International Conference Held at the World Bank, Washington, D.C., April 2 and 3, 1992 (Environ)

Ismail Serageldin (Editor), June Taboroff, published 1994

- Valuing the Environment: Proceedings of the First Annual International Conference on Environmentally Sustainable Development Held at the World Bank,

Ismail Serageldin, Andrew D.Steer, published 1994

- Home and the World: Architectural Sculpture by Two Contemporary African Artists: Aboudramane and Bodys Isek Kingelez (Focus on African Art)

Ismail Serageldin, Published 1993

- Development partners: aid and Cooperation in the 1990s

Ismail Serageldin

- Space for Freedom: The Search for Architectural Excellence in Muslim Societies

Ismail Serageldin, published 1989

- Poverty Adjustment and Growth in Africa

Ismail Serageldin, published 1989

- Hassan Fathy

J.M. Richards, published 1986

- Simulating Flows of Labor in the Middle East and North Africa (World Band Staff Working Papers, No.736)

Ismail Serageldin, published 1985

- Tools for Manpower planning: The World Band Models Vol.3

Ismail Serageldin, published 1984

- Manpower and international Labor Migration the Middle East and North Africa

Ismail Serageldin, published 1983.

أشايم، ليستر ١٩١٤

Asheim, Lesrer E.1914.

قدم ليستر يوجين أشايم إضافات كثيرة لمهنة المكتبات والمعلومات فى أمريكا الشمالية وبطرق عديدة من خلال الكتابة والتدريس ومن خلال العمل فى اتحاد المكتبات الأمريكية وقد ساعد فى وضع أسس ومبادئ اختيار الكتب فى المكتبات، ووضع معايير تعليم علوم المكتبات والمعلومات واختيار العاملين فى المكتبات، وعمل على خلق صلات واتصالات بين المكتبيين فى كل أنحاء الدنيا.

ولد ليستر أشايم فى سبوكين بولاية واشنطون فى الثانى والعشرين من يناير ١٩١٤. وفيما عدا فترة قصيرة فى إيداهو فقد قضى شبابه فى سياتل حيث حصل من جامعة واشنطون درجة البكالوريوس فى اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٦ مع مفتاح [ميدالية] منظمة فى ـ بيتا ـ كابا.

وحصل على بكالوريوس فى المكتبات سنة ١٩٣٧ والماجستير فى الأدب الأمريكى

سنة ١٩٤١. وقد بدأ ليستر أول صفحة له فى تاريخ العمل المكتبى فى مكتبة سياتل العامة ولكنه منذ سنة ١٩٣٧ وحتى ١٩٤١ كان يعمل مساعد أخصائى مراجع فى جامعة واشنطون التى تخرج فيها بينما كان يعد درجته للماجستير. وفى سنة ١٩٤١-١٩٤٢ عمل أمينا لمكتبة السجن فى جزيرة ماكنيل فى واشنطون الولاية، وخلال الحرب العالمية الثانية عمل فى سلاح الإشارة بالقوات المسلحة الأمريكية لمدة ثلاث سنوات قضاها أساسا فى آلاسكا.

وبعد عودته إلى الحياة المدنية سنة ١٩٤٥ نظم ليستر أشايم مكتبة لإدارة الإسكان العام الفيدرالية فى سياتل. وقد أفاد من إحدى المنح المقدمة من ج.أ.بيل فى الحصول على درجة الدكتوراه من كلية الدراسات العليا فى المكتبات بجامعة شيكاغو سنة ١٩٤٩. وكان موضوعها «من الكتاب إلى الفيلم: دراسة تحليلية مقارنة للروايات والأفلام التى بنيت عليها» وهى تعكس خلفيته فى الأدب واللغة والمواد السمعية البصرية، وهو الميل الذى ظل ملازما له طول حياته. وقد نشرت رسالته على حلقات فى «فصلية هوليود» سنة ١٩٥١ و «فصلية الفيلم والراديو والتليفزيون» ١٩٥١-١٩٥٢.

وقد ظهرت مواهب ليستر أشايم مبكراً فى كلية الدراسات العليا فى المكتبات حيث ساعد برنارد بيرلسون فى كتابه «جمهور المكتبة: تقرير استقصاء المكتبات العامة» سنة ١٩٤٩. كما توفر على تحرير البحوث المقدمة لمؤتمر الكلية حول «منتدى استقصاء المكتبات العامة» فى نفس سنة ١٩٤٩. وكان هذا المؤتمر هو الأول فى سلسلة مؤتمرات عقدتها الكلية وتوفر ليستر أشايم على تحرير أوراقها ومن بينها: أساسيات تعليم علم المكتبات (١٩٥٤)؛ مستقبل الكتاب (١٩٥٥)؛ الاتجاهات الحديثة فى تطوير المكتبات العامة (١٩٥٧)؛ قضايا ملحة فى مهنة المكتبات الأمريكية (١٩٦١)؛ العمل مع المواد السمعية البصرية (١٩٧٥).

لقد عُين أشايم أستاذاً مساعداً فى نفس كلية الدراسات العليا فى المكتبات ١٩٤٨-١٩٥٢ وعميداً لشئون الطلاب ١٩٥١-١٩٥٢ ثم عميداً وأستاذاً مشاركاً للكلية ١٩٥٢-١٩٦١.

وخلال العقد الذى تولى فيه عمادة كلية المكتبات استمر فى دراساته وبحوثه حول تعليم علوم المكتبات، وربما كان أفضل ما نشره فى ذلك العقد مقالته «لا رقابة وإنما اختيار» سنة ١٩٥٣م والتى تعتبر الآن من الكلاسيكيات والتى أعيد نشرها عدة مرات، وقد أعاد النظر فيها ونشرتها «مجلة ويلسون للمكتبات» سنة ١٩٨٣. وفى سنة ١٩٥٧ نشر دراسته «الإنسانيات والمكتبة العامة» والتى استخدمت فى مدارس المكتبات كدليل لاختيار الكتب واستخدامها فى مجال الإنسانيات.

وفى سنة ١٩٦١م تولى منصب مدير مكتب العلاقات الدولية فى اتحاد المكتبات الأمريكية وخلال الخمس سنوات التى تولى فيها هذا المنصب زار ٤٤ دولة وأشرك معه فى خبرته بالمكتبات ومهنة المكتبات الأمريكية الطلاب والمكتبيين من جميع أنحاء العالم. ومن نتائج هذا المنصب أيضا أن دُعِىَ إلى إلقاء سلسلة محاضرات فى جامعة إلينوى فى الموسم الثقافى الخاص بـ «محاضرات فنياس لورانس وندسور».

وقد نشرت هذه المحاضرات بعد ذلك فى كتاب بعنوان مهنة المكتبات فى الدول النامية سنة ١٩٦٦ وكانت إضافة رائعة إلى علم المكتبات الدولى والمقارن ونال عنها جائزة مطبعة اسكيركرو برس وجاء فى حيثييات المنح أنها «إضافة قيمة إلى علم المكتبات» سنة ١٩٦٨.

وفى سنة ١٩٦٦م استقال الرجل من منصبه كمدير لمكتب العلاقات الدولية فى اتحاد المكتبات الأمريكية ليتولى منصب مدير مكتب تعليم علم المكتبات فى نفس الاتحاد وكان التوسع الهائل فى المكتبات من خلال برامج «المجتمع العظيم» قد أُلقى بعبء كبير على كليات تعليم علم المكتبات واستحثتها على تخريج المزيد من الأعداد لسد العجز فى العمالة بالمكتبات القائمة والجديدة على السواء. وكان جزء كبير من جهد أشايم قد انصرف إلى تحديد المفاهيم والتعريفات والمناصب والألقاب والمسئوليات وتوصيف الوظائف للعاملين فى المكتبات. وقد قدم بيان سياسات حول «تعليم المكتبات والقوى العاملة» وقد عُرِفَ هذا البيان أو الورقة باسمه وقد تبناه اتحاد المكتبات الأمريكية كسياسة رسمية له فى الثلاثين من يونية سنة ١٩٧٠. وفى ربيع

١٩٧٦م أعيدت عنونة هذه الورقة دون أى تغيير فى محتوياتها إلى «تعليم علم المكتبات والإفادة من العاملين» ومازال هذه الورقة الوثيقة الأساسية لتنمية مهارات العاملين فى مجتمع المكتبات الأمريكية.

وفى خلال فترة عمله مديرا لمكتب تعليم علم المكتبات استمر أشايم يكتب ويحاضر عن مشكلات تعليم علم المكتبات وغير ذلك من الموضوعات، وكان فى فترة سابقة قد تولى «لجنة اعتماد كليات المكتبات» وعَمِلَ مستشاراً فى شئون تعليم علم المكتبات على مدار سنوات طويلة. وكان رئيساً لمجلس تعليم المكتبات فى اتحاد المكتبات الأمريكية ١٩٧٦-١٩٧٧.

وفى سنة ١٩٧١ عاد ليستر أشايم إلى جامعة شيكاغو أستاذاً فى كلية الدراسات العليا فى المكتبات. وفى سنة ١٩٧٢م أصبح محرراً «لفصلية المكتبات» المجلة الأكاديمية الأولى فى مجال المكتبات فى أمريكا. وقد استمر فى هذا المنصب ثلاث سنوات ثم أصبح أستاذاً لعلم المكتبات فى جامعة نورث كارولينا فى تشابيل هيل من ١٩٧٥ إلى أن تقاعد سنة ١٩٨٤.

وتكريماً للرجل عندما بلغ الخامسة والستين أعد له زملاؤه كتاباً تذكارياً أهدوه إليه وجاء بعنوان «بقدر ما تتعلم بقدر ما تُعلِّم» سنة ١٩٧٩.

وعندما نستعرض جانبا من الموضوعات التى عالجها فى سلسلة مقالاته: الحرية الفكرية؛ الخدمة المكتبية للجمهور؛ تعليم المكتبات؛ الاتحادات المهنية؛ علم المكتبات الدولى والمقارن؛ علم الإعلام؛ فإننا نكتشف أن أشايم قد غطى دائرة واسعة من علوم المكتبات وقدم إضافات لها قيمتها وقد اعترف الكثيرون بأنه بقدر ما كان باحثاً جاداً وكاتباً مثابراً صبوراً كان مدرساً ممتازاً وزميلاً رائعاً.

وفى سنة ١٩٧٣م اختير الرجل لنيل جائزة بيتا فى مو لخدماته المتميزة فى مجال تعليم علم المكتبات. وفى العيد المئوى لاتحاد المكتبات الأمريكية منح جائزة جوزيف ليبنكوت لخدماته المتميزة فى مهنة المكتبات؛ كما منحته مدرسة المكتبات فى جامعة واشنطون جائزة الخريج المتميز سنة ١٩٦٦ ومنحه اتحاد مكتبات إلينوى «جائزة الحرية

الفكرية» ورشح عضوا فى «اللجنة الاستشارية لمركز الكتاب» فى مكتبة الكونجرس سنة ١٩٧٨. وعند تقاعده منحه اتحاد المكتبات أعلى جوائز «العضوية الفخرية».

المصادر

1- Holley, Edword G.Asheim, Lester E._in._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ 2 nd ed Chicago : A.L.A, 1993.

2- Lee, Joel M.and Beth Hamilton (edts). As much to Learn as to teach : Essay in Honor of Lester Asheim, 1973.

يتضمن معلومات بيوجرافية وقائمة ببليوجرافية بأعمال ليستر أشايم.

أشتون ـ تيت

Ashton - Tate

تعتبر شركة أشتون-تيت إحدى الشركات العالمية الرائدة فى مجال تطوير وتسويق برمجيات الحاسبات الآلية الصغيرة وهى الشركة الأولى فى مجال توريد نظام إدارة قاعدة البيانات كما تقدم الشركة حزما متكاملة ومعدات كلمات متقدمة وتقدم كذلك مستوى عاليا من خدمة ودعم العملاء مما أصبح معياراً عالمياً فى هذه الصناعة.

أنشئت شركة أشتون ـ تيت فى تورانس كاليفورنيا سنة ١٩٨٠م وأصبحت واحدة من أسرع شركات الحاسبات الصغيرة نمواً وتطوراً وقد نما دخلها من ٤٦٥٠٠٠ دولار فى السنوات الخمس الأول لإنشائها إلى أكثر من ٨٢,٣ مليون دولار سنة ١٩٨٥ وهى الآن تحسب بالمليارات بعد عشرين سنة من قيامها. لقد كانت أشتون ـ تيت أول شركة برمجيات حاسبات مصغرة تصنع نظام إدارة فعلية لقاعدة بيانات الحاسبات المصغرة وهى تقدم فعلا حزم برامج تساعد فى زيادة الإنتاجية زيادة كبيرة وكان من بين منتجاتها دى بيز ٣ بلس، وهى أكمل قاعدة بيانات إدارة النظم للحاسبات المصغرة كما قدمت الحزمة المتكاملة فريمويرك ٢ التى تمزج بين قوة فرخ الانتشار ومعدة الكلمات. وقدمت كذلك دى بيز ٢ أول نظام ربط كامل فى إدارة قاعدة البيانات.

لقد بدأت هذه الشركة عملها كدار لبيع البرمجيات بالبريد سنة ١٩٨٠ عندما قام الشركاء المؤسسون جرج تيت وهال لاشلى وغيرهما برعاية برنامج لإدارة قاعدة البيانات كتبه مهندس شاب اسمه واين راتليف ٠وقد التحق فيما بعد بالشركة باعتباره العالم الأول فى شركة أشتون ـ تيت) وتولت تسويقه باعتباره البرنامج القادر على حل مشكلات تناول (إدارة) كميات كبيرة من المعلومات. وكان دى بيز ٢ هو أول منتج لشركة أشتون ـ تيت يجمع ويفرز وينظم كميات ضخمة من البيانات بلغة برمجة يمكن تطويعها لاحتياجات العمل الفردية.

وأتي النجاح سريعاً للشركة الشابة، ليس فقط بسبب المنتج الجيد الذى قدمه تيت ولاشلى ولكن أيضا لأنهما اقتحما صناعة البرمجيات باستراتيجية فريدة من نوعها وخدمة تسويق كاملة. ففى الوقت الذى ركزت فيه الشركات الأخرى على تطوير برمجيات معقدة، اتخذت شركة أشتون ـ تيت إلى جانب بساطة البرمجيات طرقا إضافية من بينها التسليم السريع، الخصم الكبير، خدمات دعم وصيانة قوية كاملة كما فى ذلك الاتصال التليفونى المجانى.

ولما زاد عدد العاملين فى الشركة إلى أكثر من ٢٥٠ موظفا بين ١٩٨٠-١٩٨٣، أخذ تيت فى تشكيل فريق من المدراء المدربين ذوى الخبرة استطاعوا بمهارة أن يقودوا الشركة فى هذه المرحلة الحركة من النمو. ففى منتصف سنة ١٩٨٢ تولى ديفيد كول شئون الإدارة اليومية كرئيس لشركة أشتون ـ تيت وخلال فترة رئاسته أنتجت الشركة منتجاً أكثر تعقيداً لإدارة قواعد البيانات أطلق عليه دى بيز ٣، كما أضاف كول «فريمويرك» إلى خط إنتاج الشركة وكما أسلفت فإنه هذا المنتج عبارة عن حزمة برامج تمزج بين قوة فرخ الانتشار ومعدة الكلمات، وكانت شركة فور فرونت فى صنى فيل ـ كاليفورنيا قد طورته، وقد منحت شركة أشتون ـ تيت امتياز إنتاج الجيل الثانى منه.

وفى سنة ١٩٨٣م أنشأت الشركة دار نشر مما جعل أشتون ـ تيت أول شركة برمجيات حاسبات صغيرة تنتج كتبا مطبوعة لمساعدة مستخدمى الحاسب فى فهم

الأجهزة والبرمجيات. وفى نفس الوقت أخذت الشركة فى إعداد نفسها للسوق الدولية وذلك بجعل منتجاتها متاحة باللغات الأجنبية.

ولقد مات تيت فجأة فى أغسطس سنة ١٩٨٤، وعلى الرغم من حزن الشركة على فقد أحد كبار مؤسسيها فقد ركزت على رؤيته فى النمو والتطور التكنولوجى المستقبلى وفى أكتوبر ١٩٨٤ ترك كول الشركة وحل محله فى رئاستها إدوارد م. إسبر الذى كان آنذاك نائباً تنفيذياً لرئيس المبيعات فى الشركة.

وفى عهد إسبر وبفضل توجهاته استمرت أشتون ـ تيت فى النمو وقدمت «فريمويرك ٢» فى سبتمبر ١٩٨٥ والذى بنى على النجاح السابق الذى حققه الجيل الأول ومما يحسب لهذا النظام أنه حقق ٢٠٪ من دخل الشركة فى العام المالى المنتهى فى ٣١/١/١٩٨٥ لقد ضمن فريمويرك ٢ وظيفية البرنامج وسهولة استخدامه.

وفى نوفمبر ١٩٨٥ طرحت أشتون ـ تيت فى السوق دى بيز ٣ بلس، أكمل نظام لإدارة قاعدة البيانات لمستخدمى الحاسبات الصغيرة ولقد طور هذا المنتج معايير الصناعة تطويرا كاملا بما قدمه من عمق أكثر وقوة فى الأداء وسهولة فى الاستعمال وفى نفس ذلك الشهر انتقلت الشركة من مقرها الأصلى مدينة كلفر فى كاليفورنيا إلى مقر آخر جديد وأوسع فى تورانس فى كاليفورنيا أيضا.

وفى شهر ديسمبر من نفس سنة ١٩٨٥ وسعت أشتون ـ تيت خط إنتاجها توسيعاً كبيراً وذلك عن طريق ضم شركة ملتى ميت الدولية فى هارتفورد بولاية كونيكتكت. ومن المعروف أن ملتى ميت هى الشركة المنتجة للعديد من حزم معدات الكلمات ومن بينها أحسن المبيعات «معدة الكلمات المهنية». وكان ضم شركة ملتى ميت إلى أشتون ـ تيت قد أعطاها فرصة إنتاج منتجات رائدة فى ٣ قطاعات بسوق البرمجيات: معدات الكلمات ـ إدارة قاعدة البيانات ـ البرنامج المتكامل. ووضعت الشركة فى مكانها اللائق الذى تحتله حاليا باعتبارها ثانى أكبر شركات تطبيقات البرمجيات فى العالم.

وفى الوقت الحاضر تقدم شركة أشتون ـ تيت خدمات ودعمًا شاملاً لإدارة

الأعمال الصغيرة والكبيرة على السواء وتبيع منتجاتها من خلال شبكة تسويق مستفيضة تضم فيما تضم تجار التجزئة وتجار القيمة المضافة وتجار الأجهزة والبرمجيات. وهى الآن رائدة فى السوق العالمية للبرمجيات ومن المعروف أن ٢٠٪ من مبيعات هذه الشركة فى السوق الدولية.

منتجات الشركة

يعتبر دى بيز ٣ بلس آخر منتجات الشركة فى عائلة دى بيز وهو أحسن نظام لإدارة قاعدة البيانات فى الحاسبات الصغيرة فى تاريخ البرمجيات. وقد بيع من هذا البرنامج ٣٠٠,٠٠٠ نسخة مابين ١٩٨٤ و ١٩٨٦. وكان سلف هذا البرنامج دى بيز ٢ هو أول برنامج ربط وظيفى كامل لإدارة قاعدة البيانات فى حاسبات الثمانية بتات الصغيرة. وقد بيع من هذا البرنامج ٣٢٥٠٠٠ نسخة.

وأما برنامج دى بيز ٣ بلس فقد كان موجهاً لحاسبات الست عشرة بتات وهو يلائم المبتدئين والمتمرسين على السواء من مستخدمى الحاسبات الآلية وهو يساعدهم على اختزان وتحديد واسترجاع وطبع المعلومات بسرعة وسهولة عبر دائرة واسعة من التطبيقات بدون برمجة وهو قوى للغاية فى حالة المستفيد الواحد، كما أن إمكانية تعدد المستفيدين المبنية فيه تتيح فرصة التوسع مستقبلا وتخطيط المؤسسات ربط الحاسبات فى شبكات المناطق المحلية.

ويمتاز دى بيز ٣ بلس على دى بيز بتقديم التعمق الأكبر، والقوة، وسهولة الاستخدام. وهو يفرز بسرعة تبلغ ضعف سرعة دى بيز ٣ ويكشف أسرع عشر مرات من دى بيز ٣ كذلك. يضاف إلى ذلك أن المساعد مواجه المستفيد (الوصلة) فى دى بيز ٣ بلس تستخدم قوائم السحب لأسفل بسرعة أعلى وأداء وقوة أفضل.

إن دى بيز ٣ بلس يدفع بالمستفيد إلى طريق الإنتاجية الأعلى والأقوى بسبب الوصول السهل إلى كافة إمكانيات النظام المتزايدة.

كما أن هذا المنتج يحمل مجموعة من الملامح والخصائص التى تزيد وتوسع من إمكانياته دونما حاجة إلى برمجة من جانب المستفيدين. ومن بين هذه الخصائص نظام

السؤال المتقدم الذى يستخدم قوائم السحب لأسفل ـ وليس الأوامر ـ وذلك عند استرجاع معلومات محددة ثم يعرض المعلومات وهو يقدم إمكانيات علاقية متقدمة من خلال الربط الافتراضى (المعراجى) بين قواعد البيانات. ومن بين هذه الخصائص أيضا الشاشة والمولد اللذان ينشئان تطبيقات تفصيل دون حاجة إلى برمجة.

ويعتبر هذا البرنامج فى نفس الوقت أداة قوية للمبرمجين فى تطوير تطبيقات محددة، وهو يقدم ٥٠ إضافة إلى لغة البرمجة دى بيز بما فى ذلك «وقت التشغيل+» كما أنه يضم «فهرس البيانات» الذى يدير وينظم ملفات العلاقات.

ويضم دى بيز ٣ بلس إمكانية تعدد المستفيدين المبنية داخله والتى تسمح بالاتصال التواكبى بالبيانات عن طريق مستفيدين متعددين فى وقت واحد دونما خوف من تداخل البيانات على شبكات المناطق المحلية. ويستطيع المستفيدون أن يشتروا «حزمة شبكات المناطق المحلية الخاصة بـ دى بيز ٣ بلس» التى تتضمن ثلاثة أقراص اتصال تسمح بثلاثة مستفيدين إضافيين على الشبكة للمشاركة فى برنامج دى بيز ٣.

وفى حالة الاستخدام الفردى لنظام دى بيز ٣ بلس فإننا لا نحتاج إلا إلى ذاكرة اتصال عشوائى بطاقة لا تزيد على ٢٥٦ كيلوبايت. ولإدارة شبكة محلية يحتاج النظام إلى ذاكرة اتصال عشوائى لا تقل عن ٦٤٠ كيلوبايت على الخادم و ٣٨٤ كيلوبايت على محطة العمل.

والسعر المبدئى لبرنامج دى بيز ٣ بلس هو ٦٩٥ دولاراً يشمل نظام إدارة قاعدة البيانات للمستخدم الواحد؛ مدير القاعدة؛ برنامج اتصال واحد بالقاعدة. أما حزمة شبكات المناطق المحلية الخاصة بـ دى بيز ٣ بلس» فيباع بسعر ٩٩٥ دولاراً ويشمل ثلاثة برامج اتصال بالقاعدة وثلاث مجموعات كاملة للتوثيق.

أما عن المنتج دى بيز ٢ وهو أول نظام كامل للربط الوظيفى لقاعدة البيانات فى الحاسبات الصغيرة فإنه سرعان ما مكّن لنفسه كنظام قياسى لحاسبات الثمانية بتات.

وهذا البرنامج يمكنه تنظيم وبناء كميات كبيرة من البيانات، ويمكن من الاتصال السريع بمعلومات محددة. ويمكن استخدام هذا البرنامج فى أى بيئة إدارة أعمال

لمعالجة نوعيات مختلفة من المعلومات بما فى ذلك حفظ تلك المعلومات وتوليد التقارير المتعلقة بالحسابات، والمدفوعات والجرد والعاملين والعملاء وكشوف المرتبات وقوائم إرسال البريد.

ويتحد برنامج دى بيز ٢ مع برنامج دى بيز ذى لغة تطوير التطبيقات المبنية داخله، مما يسمح للمستفيدين بكتابة برامج تناسب احتياجاتهم من المعلومات الخاصة.

وهذا البرنامج يباع بسعر مبدئى ٤٩٥ دولاراً لأنه يدير حاسبات الثمانية والست عشرة بتات الشعبية بما فى ذلك آى بى إم وآبل.

والمنتج فريمويرك ٢ عبارة عن حزمة برمجية متكاملة التى تمزج كما قلنا سابقاً بين قوة فرخ الانتشار ومعدة الكلمات وقد بنت شركة أشتون ـ تيت هذا البرنامج فى يولية ١٩٨٤ كما أسلفت، وقد توفر على تصحيحه وتطويره روبرت كار مدير مركز التطوير فى الشركة.

وقد لقى فريمويرك انتشاراً واسعاً وقرظة الكُتّاب والمستشارون المتخصصون ولقب ساعتها بلقب «منتج السنة من البرمجيات» فى فرنسا حيث تفوق فى مبيعاته على لوتس ١-٢-٣ ولقب فى بعض المجالات الأخرى بأنه واحد من «أهم المنتجات».

أما فريمويرك ٢ فإنه يوسع معايير الاستخدام عن طريق إضافة جوانب عملية وظيفية وسهولة أكبر فى التشغيل والاستخدام، أكبر مما كان عليه سلفه.

والتكامل القائم بين فرخ الانتشار ومعدة الكلمات فى فريمويرك ٢ يساعد المستفيدين على تنظيم الأفكار وإنتاج وثائق نهائية كاملة بالكلمات والأرقام والرسومات.

ويقف فرخ الانتشار فى فريمويرك ٢ على قدم المساواة مع أحسن فرخ انتشار قائم بذاته بل ويذهب إلى أبعد مما تذهب إليه الفروخ القائمة بذاتها وذلك بتضمين قاعدة بيانات ورسومات ووصلات الاتصالات البعيدة والبرمجة إلى جانب التكامل مع معدة الكلمات. ولعله من نافلة القول التذكير بأن معدة الكلمات فى فريمويرك ٢ تساوى

احسن معدات الكلمات القائمة بذاتها وأكثرها انتشاراً وتضم واضع المخططات ومراجع الهجاء ودامج البريد الاختصارات إلى جانب التكامل الوثيق مع فرخ الانتشار لقد صمم فريمويرك ٢ وطُوِرَ كى يتعايش مع حزم الإنتاجية الأخرى المنتشرة فى السوق الآن، ويتيح هذا المنتج قوالب الاستقبال والإرسال المختلفة مثل دى بيز ٣/٢ (من صيغة ١,٠)، ويردستار، ملتى ميت، نصوص أسكى، فيزيكال ديف.

ويعمل فريمويرك ٢ على آى بى إم الصغير، إكس تى، إيه تى ٣٢٧٠ الصغير، كما يعمل على الأنظمة المتوافقة مع الذاكرة العشوائية ٣٨٤ كب، مشغلين لأقراص مرنة ٣٦٠ كب أو مشغل واحد مفرد لقرص مرن ٣٦٠ كب وقرص صلب. وقد طرح فريمويرك ٢ بسعر مبدئى ٦٩٥ دولاراً ويشمل مراجع الهجاء وواضع المخططات.

تسويق المنتجات

لقد حصلت أشتون ـ تيت على مكانتها الرفيعة القيادية فى سوق برمجيات الحاسبات الصغيرة وذلك بسبب سياستها واستراتيجيتها التسويقية المتشعبة؛ وحيث توزع منتجاتها فى جميع أنحاء العالم من خلال قنوات مختلفة بما فى ذلك الوكلاء والموزعين وشركات تصنيع الأجهزة وقنواتها التسويقية الخاصة.

وبطبيعة الحال فإن الإدارات الصغيرة والأفراد يشترون الحاسبات ومشتقاتها من الوكلاء؛ ومن هنا فإن جانبا من السياسة التسويقية للشركة يقع على عاتق وكلائها المعتمدين وهناك برنامج محدد يضمن أن منتجات الشركة لا تباع إلا عن طريق الوكلاء المؤهلين فقط. وهذا البرنامج يضمن للمستفيد النهائى أحسن نوعية فى المنتج مغلف بواسطة الشركة نفسها وطبقا لمعايير الخدمة والإمدادات التى وضعتها شركة أشتون ـ تيت وقد وصل عدد وكلاء الشركة فى جميع أنحاء العالم فى نهاية القرن العشرين إلى نحو ٤٠٠٠ وكيل بالإضافة إلى أفضل سلاسل تسويق الحاسبات ومشتقاتها داخل الولايات المتحدة.

وهناك عدد من الموزعين المستقلين الذين يوزعون منتجات أشتون ـ تيت. وهذه

المجموعة من الموزعين تبيع إلى تجار التجزئة منتجات أشتون ـ تيت وغيرها من الشركات؛ كما يتعاملون فى نوعيات مختلفة من الحاسبات ومشتقاتها.

وفى خارج الولايات المتحدة توزع أشتون ـ تيت منتجاتها من خلال موزعين عالميين ومندوبى مبيعات وشركات أجنبية فرعية. وهناك شراكة بين الشركة وبعض شركات تصنيع أجهزة الحاسبات لتسويق منتجات أشتون ـ تيت مع أجهزتها، كما عقدت اتفاقات مع كبار الموزعين فى عدد من الدول الأجنبية.

وتوجد الفروع المنبثقة عن أشتون ـ تيت وشركات الشراكة معها فى المملكة المتحدة، هولندا، ألمانيا، أسبانيا، أستراليا.

وتخدم أشتون ـ تيت السوق اليابانية من خلال الشركة المنبثقة أشتون ـ تيت نيبون، وهى شركة شراكة مع شركة «البرمجيات العالمية» المنبثقة بدورها عن شركة «هندسة النظم اليابانية» فى طوكيو.

وإلى جانب تلك القنوات عقدت الشركة عدداً من الاتفاقات مع شركات مستقلة ومطورى برمجيات أفراد وشركات تصنيع أجهزة الحاسبات الصغيرة. وكثير من مطورى البرمجيات يسوقون تطبيقات دى بيز إلى المستفيد النهائى بنظام «وقت التشغيل» وهو حزمة من صنع أشتون ـ تيت عبارة عن صيغة أساسية من دى بيز٢.

ونظام «وقت التشغيل» هذا يقدم لمطورى البرامج كل الخصائص الضرورية لخلق سوق رأسية لتطبيقات دى بيز فى صناعات مختلفة مثل: التأمين، البترول، الغاز، المهن الطبية.

وتدعم أشتون ـ تيت هذه القنوات التسويقية بقوة مبيعاتها الضارية الموجودة فى خمسة مكاتب إقليمية: الشمال الشرقى ومقره نيويورك سيتى؛ الجنوب الشرقى ومقره واشنطون دى سى؛ وسط الغرب ومقره شيكاغو؛ الجنوب الشرقى أيضا ومقره دالاس؛ الغرب ومقره لوس أنجيلوس. وهناك مندوبو مبيعات مقرهم فى بوسطون، سان فرانسيسكو، ونفر، منيابوليس.

ومندوبو المبيعات فى الأقاليم مسئولون عن الاتصال بالوكلاء الكبار الذين يسوقون ويخدمون فى مجالات الحاسبات الوطنية، ومنهم شركات مالية كبرى وإدارات حكومية كبيرة.

شركة ملتى ميت العالمية

اشترت شركة أشتون ـ تيت شركة ملتى ميت العالمية فى ديسمبر ١٩٨٥. ومن المعروف أن هذه الأخيرة كانت تنتج حزم معدات الكلمات ومن بينها الحزمة الشهيرة «معدة الكلمات المهنية». وكانت صفقة شراء هذه الشركة هى أكبر صفقة فى حينها فى عالم صناعة برمجيات الحاسبات الصغير مما جعل شركة أشتون ـ تيت ثانى أكبر شركات برمجيات الحاسبات الصغيرة فى العالم.

وكانت شركة ملتى ميت العالمية قد أسست سنة ١٩٨٢ وأصبحت رائدة الشركات فى مجال تطوير وتسويق برمجيات معدات الكلمات فى الحاسبات الصغيرة. وقد سيطرت الشركة على سوق معدات الكلمات عن طريق إنتاج منتجات تعطى الحاسبات الصغيرة القوة والمرونة فى أداء هذا العمل وحسب المعايير الدولية التى أقرتها المعدات السابقة عليها وخاصة وانج. ويمكننا القول بأن البرمجيات الجديدة كانت قد سدت فراغاً وحاجات فعلية كان السوق فى تعطش إليها.

وكان أول منتج لهذه الشركة هو المنتج الذى أشرت إليه سابقاً «معدة الكلمات المهنية» وقد توافق هذا البرنامج مع سلسلة واسعة من الحاسبات الشخصية، وترجم إلى خمس لغات واستجاب إلى حد كبير للعمل مع شبكات المناطق المحلية والوظائف المتقدمة.

إن «معدة الكلمات المهنية» من سلسلة ٣,٣ وتعتمد على حزمة قائمة الدفع الأمامى التى تتضمن أكثر من ١٣٠ خاصية لتحرير النصوص وتناول الوثائق إلى جانب مراجع الهجاء لنحو ٨٠,٠٠٠ كلمة وعيانيات لتخليق معلومات اللوح الفاصل، وهناك أيضا إمكانية المزج والإدماج لتبادل البيانات مع برمجيات أخرى.

كما أنتجت ملتى ميت «معدة الكلمات المهنية المتطورة» التى تتفوق على سابقتها

بوضع الحواشى تلقائيا والرسومات الخطية والمصندقة لإعداد التخطيطات والجداول إلى جانب العديد من المميزات الأخرى. وكذلك أنتجت الشركة «معدة الكلمات التنفيذية» وهى صيغة سهلة من سابقتها «المتطورة» مع كل المميزات من تحرير النصوص إلى تناول الوثائق.

وأنتجت الشركة أيضا «مجرد اكتب ـ جست رايت» وهو برنامج لإعداد الكلمات صمم خصيصا للمستخدم العابر ومن ملامحه الأساسية إعادة القولبة والتحشية، ومراجع هجاء من ٥٠,٠٠٠ كلمة والقدرة على تناول الوثائق حتى ٢٠٠ صفحة.

وتقدم الشركة أيضا حزما لترتيب المداخل، والرسومات حيث يمكن للبيانات أن تدلف مباشرة من «على الملف، وصلة الرسومات» إلى وثائق ملتى ميت.

ويعكس شراء شركة ملتى ميت من جانب شركة أشتون ـ تيت، أكبر صفقة فى عالم صناعة برمجيات الحاسبات الصغيرة، سياسة الشركة الأخيرة نحو شراء الشركات التى تقدم أحسن المنتجات التى تلبى احتياجات السوق. وتدير شركة ملتى ميت أعمالها فى مقرها الذى كانت عليه فى إيست هارتفورد، كونكتيكت، كشركة مملوكة تماما لشركة أشتون ـ تيت. وكانت شركة ملتى ميت قد حققت مبيعات قدرها واحد وعشرون مليون دولار فى آخر سنة مالية لها ٣١ مارس ١٩٨٥.

الخدمات والصيانة

تعتبر برامج الخدمات والصيانة التى تقدمها شركة أشتون ـ تيت من مفاتيح النجاح الأساسية لهذه الشركة، وتفيد المصادر أن المستوى العالى للتوثيق والدعم التليفونى وبرامج التدريب التى تقوم بها الشركة مع العملاء يندر وجودها فى أى شركة أخرى وخارجة عن المنافسة.

لقد خصصت الشركة وظيفة رفيعة المستوى لرئاسة قسم التوثيق والخدمات والصيانة ويحتل هذا المنصب روبرت جافورد نائب مدير اتصالات المستهلك وهو يرأس أكثر من مائة شخص فى قطاعات أربعة رئيسية هى: توثيق المنتجات؛ اختبار المنتجات؛ الدعم التليفونى؛ علاقات المستهلكين.

وتقوم أشتون ـ تيت من خلال [برنامج تأكيد الدعم] بتقديم كل عون ممكن وتدريب مستفيض للشركات والوكلاء الذين يبيعون منتجاتها للمستهلكين. ويتضمن برنامج تأكيد الدعم المساعدة على الطبيعة من جانب مهندس المبيعات ومن خلال خط تليفوني مباشر مخصوص، برامج تدريبية في جميع أنحاء الدولة وغير ذلك.

ونظرا لوجود مئات الآلاف من مستخدمي منتجات دى بيز، فريموورك وملتى ميت، فإن شركة أشتون ـ تيت تتلقى كل يوم بمعدل ١٠٠٠ استفسار تليفوني، وقد وفرت الشركة ٣٥ فنياً للرد على تلك الاستفسارات. وعبر هذا الخط الساخن عادة ما يتلقى العملاء إجابات على استفساراتهم خلال حوالى ما بين دقيقتين إلى نصف دقيقة.

ومن جهة أخرى تقوم الشركة بإرسال معلومات وإجابات من خلال البريد الإلكتروني مستخدمة في ذلك ثلاث «نشرات إلكترونية» على الخط المباشر. وهذه النشرات هى: «خدمة الكمبيوتر»، «المصدر» وهما موجهتان للمستخدم العام ثم «نقطة واحدة» للوكلاء والشركات العميلة. وعادة ما تُحَدَّث المعلومات والإرشادات الفنية أسبوعياً إن لم يكن يومياً.

كما طورت الشركة سلسلة من «المرشدات على القرص» وهى عبارة عن توثيق إلكتروني يقدم معلومات بطريقة تفاعلية يستطيع المستفيد من خلالها أن يزيد من سيطرته على البرنامج و «المرشدات على القرص» مضمنة مع دى بيز ٣ بلس وفريموورك ٢.

والتوثيق الموجود مع دى بيز ٣ بلس يشمل مجلداً يعلم المستفيدين كيفية البرمجة بالإضافة إلى كتيب «كيف تبدأ» ومجلد «تعلم واستخدم» دى بيز ٣ بلس.

دار النشر

كانت أشتون ـ تيت أول شركة برمجيات حاسبات صغيرة تنشئ دار نشر سنة ١٩٨٣. وقد نشرت هذه الدار نحو أربعين كتابا في مجالات الحاسبات المختلفة وفي مجال البرمجيات وخاصة برمجيات دى بيز ٣ بلس، فريموورك ٢، الاتصالات، التوثيق، يونيكس، باسكال.

ومن بين عناوين الكتب التى نشرتها نترجم البعض: دليل كل فرد إلى دى بيز ٣ بلس، دى بيز ٢ لكل الأعمال، فريمويرك ٢: مقدمة، سلسلة «من خلال عجائب المايكرو».

كما تنشر الدار مجلة فصلية بعنوان «فصلية أشتون-تيت». والتى تقدم النصح لعملاء الشركة وتمدهم بإرشادات عملية إلى كيفية استخدام منتجات الشركة.

وتقدم دار النشر أيضا حزمة كتاب/ قرص وبرنامجا مضافا لمساعدة مستخدمى الحاسب على الفهم الأفضل والاستخدام الأمثل للبرامج.

العمليات الدولية

اكتسبت شركة أشتون-تيت نجاحاً دولياً مبكراً وسريعاً فى السوق الدولية كأكبر مورد للبرمجيات إلى هذه السوق، وذلك بسبب ترجمة منتجاتها إلى اللغات الأجنبية وبسبب قنوات التوزيع وشبكة المبيعات الواسعة. ومما يذكر فى هذا الصدد أن المبيعات الخارجية للشركة في العام المالى المنتهى ٣١/ ١/ ١٩٨٥ قد بلغت ٢٢٪ من إجمالى مبيعات الشركة فى تلك السنة كما ارتفعت هذه النسبة إلى ٢٥٪ فى نهاية القرن العشرين.

وقد بلغ عدد اللغات التى ترجمت إليها برمجيات أشتون-تيت إحدى عشرة لغة من بينها الهولندية والسويدية واليابانية بالإضافة طبعا إلى اللغات الأوروبية الكبرى كالفرنسية والإيطالية والأسبانية.

وقد سبق أن أشرت إلى أن أشتون-تيت تُسَوِّق منتجاتها عالمياً من خلال شبكة مستفيضة من الموزعين والوكلاء وشركات تصنيع أجهزة الحاسب. وهناك شركات منبثقة أو فرعية فى كل من بريطانيا، هولندا، ألمانيا، أستراليا، أسبانيا. وهى جميعا تقدم خدماتها للعملاء فى تلك المناطق والمناطق المجاورة والقريبة. وهناك موزعون كبار لمنتجات أشتون-تيت فى كل من فرنسا، وإيطاليا. وكبار مصنعى الأجهزة التى يتولون تسويق منتجات الشركة من بينهم: آى بى إم، أو ليفتى، آكت، إريكسون وغيرهم.

وقد سبق أن ألمحت إلى أن أشتون-تيت تخدم السوق اليابانية من خلال شركة بينية هي: أشتون-تيت ينبون التى تطور وتبيع منتجات البرمجيات المصممة خصيصاً للسوق اليابانية.

أما عن إدارة العمليات الدولية فى أستراليا، نيوزيلندة، أمريكا (اللاتينية) والمناطق المجاورة فإنها تتم عن طريق مقر الشركة فى تورانس. ومن الجدير بالذكر أن المقر الرئيسى والإدارة العامة لعمليات أوروبا يوجد فى ميدنهيد فى إنجلترا، والمقر الرئيسى والإدارة العامة لعمليات الشرق الأقصى يوجد فى طوكيو باليابان.

إدارة شركة أشتون-تيت

ربما كان أحد مفاتيح ريادة أشتون-تيت ونجاحها الكبير فى صناعة البرمجيات وجود فريق إدارة رائع ومن الشخصيات الرئاسية فى الشركة لابد وأن نتوقف عند «إدوارد إسبر» الذى قاد الشركة فى مرحلة هامة من مراحل نموها منذ تولى المنصب فى نوفمبر ١٩٨٤ وهو حاصل على ماجستير فى إدارة الأعمال من مدرسة إدارة الأعمال فى جامعة هارفارد، وماجستير أخرى فى الاقتصاد من جامعة سيراكيوز، وبكالوريوس فى هندسة الحاسبات من معهد كيس للتكنولوجيا فى أوهايو.

وهناك ثلاثة نواب للرئيس أحدهم للتسويق والتخطيط الاستراتيجى؛ والثانى للمبيعات والأنشطة الدولية والثالث للتمويل والإدارة؛ أى الشئون المالية والإدارية.

والنائب الأول لديه خبرة فى أعمال التسويق والتخطيط والإدارة تربو على ١٦ سنة قبل أن يلتحق بالشركة فى أغسطس ١٩٨٥ وتقلب فى عدة مناصب فى شركات مختلفة. والنائب الثانى كانت لديه أيضا خبرة طويلة فى الأنشطة والعمليات الدولية قبل أن يلتحق بالشركة فى إبريل ١٩٨٤ . والنائب الثالث كانت لديه خبرة أكثر من عشرين عاما قبل أن يلتحق بالشركة فى ديسمبر ١٩٨٣ .

ومن الجدير بالذكر أن جميع منتجات شركة أشتون-تيت مسجلة تجارياً باسمها وعددها ثمانية منتجات هى:

دى بيز ٢

دى بيز٣

دى بيز ٣ بلس

دى بيز ٣ بلس لان باك (أى الحزمة المعضدة لشبكات المناطق المحلية).

فريمويرك

ملتى ميت

فريمويرك ٢

رن تايم (تشغيل الوقت)

المصدر

1- Ashton-Tate. Ashton-Tate.-in.- Encyclopedia of Library and Information Science.- New York : Marcel Dokker, 1988.vol, 43.

أصدقاء المكتبة

Friends of Libraries

أنظر

جماعات أصدقاء المكتبة

Groups of Library friends

الإعارة بين المكتبات (الإعارة البينية)

Interlibrary Loan (I LL.)

تُفهم الإعارة البينية أو الإعارة بين المكتبات على أنها عملية تسليف إحدى المكتبات مواد مكتبية لمكتبة أخرى لصالح مستفيد معين لا يستطيع أن يستعيرها أو يستخدمها فى المكتبة الأصلية إما لبعد المسافة وإما لأنه يخرج عن نطاق شروط المكتبة المعيرة

وقد حدد تقنين الإعارة البينية الوطنية فى الولايات المتحدة لسنة ١٩٦٨ خطوات الإعارة البينية على النحو الآتى:

١- يفصح مستفيد ما عن حاجته إلى وثيقة معينة.

٢- الوثيقة غير متوافرة فى مكتبته المحلية التابع لها.

٣- يبحث أمين المكتبة فى أدواته الببليوجرافية ليحدد مكان أو أماكن اقتناء تلك الوثيقة.

٤- يملأ أمين المكتبة استمارة الاستعارة البينية ويرسلها إلى المكتبة التى تقتنى تلك الوثيقة.

٥- ترسل المكتبة التى تقتنى الوثيقة تلك الوثيقة للمكتبة الطالبة ويرسل استمارة استعارة مع الوثيقة.

٦- عند ورود الوثيقة يُخطر المستفيد طالب الوثيقة بورودها والموعد المحدد لإعادتها إلى المكتبة صاحبتها.

٧- عندما ينتهى المستفيد من الوثيقة يرسلها أمين المكتبة إلى المكتبة صاحبتها مع استمارة الاستعارة.

وهناك اختلاف بطبيعة الحال بين المكتبات فى خطوة أو خطوات من تلك المذكورة سابقًا كأن يستخدم البريد الإلكترونى أو الراقنة عن بعد بدلاً من الخطابات العادية كما قد يستخدم الفاكس أو التلكس وغير ذلك من التكنولوجيا التى يسرت هذا كله.

ومن الممكن أن تقدم المكتبة المعيرة نسخة من العمل مصورة أو محملة على ميكروفيلم أو قرص ليزر أو قرص رخو مما لا يستدعى رد الوثيقة فى بعض الأحيان.

وبعض جوانب الإعارة البينية عملية روتينية كتابية ولكن هناك خطوتان رئيسيتان تستدعيان بعض الخبرة الفنية:

أ- مناقشة المستفيد حول الوثيقة التى يريدها للتأكد من أن المستفيد فى حاجة فعلية إلى هذه الوثيقة لسد حاجة معلوماتية ملحة لديه.

ب- التأكد من أن الوثيقة ليست موجودة بالمكتبة التابع لها المستفيد ثم البحث فى

الأدوات الببليوجرافية المختلفة لتحديد المكتبة أو المكتبات التى تقتنى الوثيقة المطلوبة والتأكد من إمكانية استعارتها.

وتشى الخطوات السابقة الداخلة فى إجراءات الإعارة البينية أن المكتبات قد قننتها كجانب من جوانب تشاطر المصادر. وهذا النظام وجد بين المكتبات الأمريكية منذ نهاية القرن التاسع عشر ولم يتغير فى القرن العشرين إلا قليلا مع دخول التكنولوجيا الحديثة إلى المجال.

لقد أدى انفجار المعلومات والتطورات الهائلة فى تكنولوجيا الاتصالات إلى تغيير ملحوظ وتوسيع لمفهوم الإعارة البينية. فقد يسرتها اليوم تكنولوجيا المكتبة المعراجية والبريد الإلكترونى والمشابكة والفاكس وغير ذلك من منتجات التكنولوجيا. وتعتبر الشبكات بكل فئاتها ودرجاتها من الأدوات الهامة اليوم فى مضمار الإعارة البينية: شبكات البيانات الببليوجرافية؛ شبكات المعلومات المتخصصة؛ شبكات المناطق؛ شبكة الشبكات (الإنترنت) نظم المعلومات متعددة المستويات، مراكز التمويل، الفهارس الموحدة وغير ذلك من الأدوات والوسائل المعينة على تبادل المعلومات والمصادر على المستوى المحلى والوطنى والإقليمى والعالمى.

وتشير كل الدلائل والاستقراءات على أنه مازال للإعارة البينية دور هام وخطير فى الخدمة المكتبية.

تاريخ الإعارة البينية

الإعارة بين المكتبات قديمة قدم المكتبات نفسها وإن تفاوتت أغراضها ومراميها فقد كانت مكتبة الإسكندرية القديمة تستعير الكتب من المكتبات اليونانية والرومانية لنسخها وإعادتها إليها أو إبقاء الأصول وإعادة النسخ فقط، وإن كان ذلك مقابل رهن. وجرت مكتبات الأديرة أيضاً على هذه السُّنَّة فى العصور الوسطى حيث كانت تستعير الكتب من بعضها البعض لفترات محددة لصالح المستفيدين وربما لنسخها وإعادتها. كانت الإعارة البينية فى العصور القديمة والعصور الوسطى والقرون الأولى من العصر الحديث تتم على نطاق ضيق وعلى نطاق واسع أحياناً ولكنها يقيناً كانت

تتم بطرق ودية أو بخطابات رسمية ولكن الجديد فى الأمر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين هو تقنين الإعارة البينية وعقد الاتفاقات الرسمية بين الأطراف الداخلة فيها أو على الأقل التصديق على اتفاق عام ملزم للأطراف المصدقة عليه.

ولعل أول من أثار قضية تقنين الإعارة البينية هو «صامويل سويت جرين» فى رسالة بعث بها إلى محرر مجلة المكتبات ونشر بها فى أول عدد فى سبتمبر ١٨٧٦م حيث قال جرين ما نصه: «لعل ما يعظم من فائدة مكتباتنا البحثية أن تعقد اتفاقاً فيما بينها يسمح بإعارة الكتب من مكتبة إلى أخرى لفترات قصيرة من الوقت».

لقد تطور النظام الحالى للإعارة البينية فى الولايات المتحدة بعد بزوغ فجر مهنة المكتبات والعمل المكتبى المبنى على أسس علمية فى نهاية القرن التاسع عشر والإنتاج الفكرى المتخصص قبل سنة ١٩٠٠ ملىء بالإشارات إلى مشاكل الإعارة البينية والتجاوزات التى تحدث فيها وإساءة استخدامها وقدمت اقتراحات كثيرة لتحسين تلك الإعارة البينية وإنشاء شبكات رسمية ذات مسئوليات محددة لكل طرف فيها.

وفى السنوات الأولى من القرن العشرين كان «ملفيل ديوى» ينشر مقالات عديدة حول الإعارة البينية من أوروبا وأمريكا فى الدورية التى كان يرأس تحريرها «مجلة المكتبات» مما كان يشجع على انتشار الفكرة. وفى الفترة بين ١٩٠٠ و ١٩١٥م أى قبل سنة واحدة من إصدار مسودة اتحاد المكتبات الأمريكية حول «تقنين الإعارة بين المكتبات» كان قد نشر فى «مجلة المكتبات» تسعة عشر مقالاً حول الإعارة البينية.

ولقد عقدت أول ندوة حول الإعارة البينية سنة ١٩١٣ وبدأت لجنة اتحاد المكتبات الأمريكية لتنسيق العمل فى وضع مسودة تقنين الإعارة بين المكتبات بهدف الوصول إلى معايير محددة تراعيها المكتبات فى ممارستها لهذا النوع من الإعارة وذلك لتذليل بعض العقبات وحل بعض المشكلات. ولقد نُشِرَ تقنين الإعارة البينية لأول مرة سنة ١٩١٦ ثم صار تعديله تعديلاً طفيفاً سنة ١٩١٩. وأهم بنود هذا التقنين هى:

١- الغرض من الإعارة البينية

- مساعدة ومساندة البحث.
- توصيل الكتاب المناسب للقارئ المناسب.

٢- المواد المستبعدة

القصص العادية؛ الكتب ذات الأغراض السريعة السطحية؛ أو التى يمكن الوصول إليها فى مكتبات أخرى تحت يد المستفيد؛ الكتب التى يكثر توافرها فى المكتبات العامة والمطبوعات الجارية التى يمكن شراؤها من السوق.

٣- الإجراءات الكتابية

● بدلاً من ملء «نموذج» خاص هناك قائمة مفصلة بالإجراءات والخطوات التى يمكن اتخاذها بما فى ذلك ما يتعلق بتلقى وردّ المواد المستعارة.

● تقدم الطلبات مرقونة أو بخط مقروء ويفضل على بطاقة من البطاقات القياسية المستخدمة فى فهارس المكتبات.

● تتحمل المكتبة المستعيرة تكاليف الإعارة البينية.

٤- تأمين السلامة

يقع على عاتق أمين المكتبة المستعيرة تأمين المكان الملائم داخل مكتبته لاستعمال المواد المستعارة بهذه الكيفية، واتخاذ نفس احتياطات السلامة التى يوفرها لمقتنيات مكتبته.

وفى سنة ١٩٢٦ فى المؤتمر الخمسينى لاتحاد المكتبات الأمريكية كُرست جميع جلسات قسم مكتبات الكليات والمراجع لقضية الإعارة بين المكتبات وتحدث كثير من المحاضرين فى تلك الجلسات عن ضرورة تنقيح التقنين بقصد ترويج ودعم الإعارة بين المكتبات أكثر من تقنين وتحديد العلاقة بين المكتبات. وقد اقتُرحت بنود جديدة أكثر سلاسة تدعو إلى دعم الإعارة البينية على مستوى الولاية كلها. ودعا بعض المتحدثين إلى عدم التقيد باستعمال المواد المستعارة داخل مبنى المكتبة المستعيرة وإطلاقه، واقترح آخر أن تتحمل مكتبة الولاية نفقات الإعارة البينية وطالب ثالث بأن يُلغى القيد الموضوع على «المواد السطحية»

ومن بين المقترحات الهامة التى قُدمت فى مؤتمر سنة ١٩٢٦م إنشاء دار تخليص

للإعارة البينية باستخدام الفهارس الموحدة ورغم كل ذلك فلم تدخل أية تنقيحات على هذا التقنين إلا بعد عقد من الزمان.

وفى ثلاثينات القرن العشرين توسع الجدل حول مسألة تكاليف الإعارة البينية، وفى نهاية ذلك العقد توصلت المكتبات عن طريق لجنة اتحاد المكتبات الأمريكية إلى تقنين جديد تم إقراره سنة ١٩٤٠م. وقد جاء فى التقنين الجديد أن الهدف من الإعارة البينية «مساندة البحث الرامى إلى توسيع آفاق المعرفة» ولقد أعاد التقنين الجديد تحديد مفهوم الإعارة البينية «بعض المكتبات قد ترغب فى إعارة مقتنياتها لأغراض غير بحثية إلى مكتبات أخرى داخل مجالها الجغرافى أو داخل مجال التزامها الأدبى؛ ومثل هذا العمل يدخل فى عِداد توسيع نطاق الخدمة المكتبية وليس فى عِداد الإعارة البينية».

ومن الواضح أن التقنين الجديد قد قيد مفهوم الإعارة البينية أكثر من ذى قبل، ولم يعش التقنين الجديد أطول من نصف عمر التقنين القديم.

فى سنة ١٩٥٢ صدر تقنين ثالث، وكانت دراسة قد أجريت قبل إصدار ذلك التقنين الثالث كشفت عن أن ٢٠٪ فقط من المكتبات المدروسة قد التزمت بالتقنين المكتوب (كما ورد فى صيغته الثانية ١٩٤٠) وكان افتقار التقنين الثانى إلى القبول العام من جانب كل أو جل المكتبات الداخلة فى النظام مدعاة إلى تنقيح ومراجعة.

ولعل محدودية البند الخاص بالغرض من الإعارة البينية هى السبب الرئيسى لعدم الاتفاق حوله. وكشفت تلك الدراسة أيضاً عن أن أكثر من ثلث المكتبات المدروسة كانت تعير أو تستعير من أجل طلاب المرحلة الجامعية الأولى رغم أن التقنين لم يكن يجيز الإعارة لصالح الخريجين إلا لماما وتحت شروط خاصة وقد أعرب ربع المكتبات المدروسة أنها تستعير لصالح «أى قارئ أو طالب جاد» وأن ٥٠٪ من تلك المكتبات على استعداد لأن تعير من أجل مثل هذا القارئ ومن بين البنود الأخرى التى تجاهلت المكتبات العمل بها هو ذلك البند المتعلق بالقيود المفروضة على المواد المستخدمة فى الإعارة البينية وقد أبدى ٥٠٪ من المكتبات موضع الدراسة اهتماماً واضحًا بقضية التثبت الببليوجرافى وشعرت تلك المكتبات بالحاجة إلى تقوية التقنين

فى ذلك الجانب. وقد تساءل بعض المكتبيين عما إذا كان العائد من وراء الإعارة البينية يبرر التكاليف والمجهود الذى يبذل فيها. ونتيجة لهذا كله جاء تقنين ١٩٥٢ أفضل وأكثر تفصيلاً من سابقيه. وجاء تحديد الغرض من الإعارة البينية فى التقنين الجديد على النحو الآتى «إتاحة المواد المكتبية غير المتوافرة فى المكتبة الطالبة لأغراض البحث والدراسة الجادة». وقد أضيف بند جديد تحت عنوان «معلومات حسب الطلب» خصص لتفصيل فئات المواد التى يمكن إتاحتها للإعارة البينية. كما تبنى التقنين الجديد «استمارة موحدة قياسية للإعارة البينية» وذلك بهدف التثبت الببليوجرافى وتوحيد الإجراءات وتخفيض التكاليف قدر الإمكان. وقد أُلحق بالتقنين مجموعة من الملاحق تتناول تفاصيل الاستمارة الموحدة للإعارة البينية والملصق الموحد القياسى للإعارة البينية وقائمة بالاختصارات القياسية لمصادر التثبت الببليوجرافى وغير ذلك من المواد.

ومن الملاحظ أن تقنين ١٩٥٢ مثل سابقيه لم يحقق أى قبول دولى أو تحذو حذوه أية دولة أخرى ولذلك نجد أنه أعقبه تقنين آخر سنة ١٩٦٨. لقد جاء تقنين ١٩٦٨ نفسه أكثر اختصاراً من كل ما سبقه، إلا أنه قد صدر له فى سنة ١٩٧٠ «دليل إجراءات الإعارة البينية» من ١١٦ صفحة. ويتضمن الدليل طبعة منقحة ومشروحة من التقنين، وتقنين نموذجى للإعارة البينية الإقليمية وتعليمات مختلفة حول الراقنة عن بعد، التصوير والاستنساخ والإعارة البينية الدولية ومجموعة من الملاحق تشمل النماذج والاستمارات الممكنة عن الجوانب المختلفة والأنواع المتعددة من الإعارة البينية.

ورغم أن التقنين الجديد مايزال يقصر الإعارة البينية على «البحث» فإنه يحدد طلبة الدراسات العليا ورسائلهم الجامعية كهدف من أهداف عملية الإعارة بين المكتبات.

ويلاحظ على التقنين الجديد أنه أكثر مرونة فى الحدود التى وضعها على الفئات المستفيدة والمواد التى تستخدم فى الإعارة البينية. والتقنين النموذجى الذى ورد بالدليل يقرر هدف الإعارة البينية بوضوح حيث يذكر «طالما أنه غدا بوضوح شديد استحالة

الاكتفاء الذاتى لدى أية مكتبة وأن بسط المعرفة هو للصالح العام فقد نظرت المكتبات الموقعة على هذا الاتفاق إلى الإعارة والاستعارة البينية على أنها مسألة ضرورية للخدمة المكتبية». وتحت بند «المجال» نجد أنه يدخل ضمن مواد الإعارة البينية «أى نوع من المواد المكتبية يكون مطلوبا للبحث والتعليم والمعلومات» ومن المؤسف أن هذا التقنين الذى صدر ١٩٦٨ لم يلق هو الآخر قبولاً دولياً ولم تنفذه أية دولة أجنبية.

تشجيع الحكومة الأمريكية على التعاون فى مجال الإعارة البينية

نص التشريع الفيدرالى وخاصة قانون الخدمات المكتبية الصادر سنة ١٩٥٦ وقانون الخدمات والإنشاءات المكتبية المعدل لسنة ١٩٦٦ على تشجيع تشاطر المصادر على مستوى الولاية كلها. ونتيجة لقانون ١٩٥٦م الذى خصص مبالغ من المال لتطوير الخدمة المكتبية العامة فى المناطق الريفية قامت ثلاث ولايات هى هاواى وبنسلفانيا ونيويورك بتشكيل نظم مكتبية ولائية شاملة. ولقد أشار قانون الخدمات والإنشاءات المكتبية لسنة ١٩٦٦ الذى حدد مبالغ مالية لإنشاء شبكات مكتبية بينية تعاونية، أشار إلى ضرورة أن تتضمن خطة الولاية «سياسات وأهدافاً للتنسيق الفَعَّال فى تشاطر المصادر بين المكتبات المدرسية والعامة والأكاديمية والمتخصصة ومراكز المعلومات من أجل خدمات مكتبية متطورة» ولقد نص قانون التعليم العالى لسنة ١٩٦٥؛ وقانون الخدمات الفنية الولائية سنة ١٩٦٥ وقانون المساعدات المكتبية الطبية لسنة ١٩٦٥م أيضا على تخصيص مبالغ من المال لتشجيع التعاون والتنسيق بين المكتبات. ولقد صدرت أدلة مفصلة لتنفيذ برامج التعاون والتنسيق وأعطت الأولوية فى منح المخصصات المالية للمشروعات التى تضم أكثر من مكتبة. وكان لتخصيص تلك المبالغ المالية، وتواكب التكنولوجيا الجديدة المساعدة للتنفيذ قد خلق ثورة حقيقية فى مضمار الإعارة البينية وحولها من عملية اختيارية تستخدم من حين لآخر إلى سلوك يومى عام للتعاون بين المكتبات على المستوى المحلى والولائى والإقليمى بل والوطنى كذلك.

مقومات الإعارة البينية وأدواتها

تقوم الإعارة بين المكتبات بالضرورة على مجموعة من المقومات والأدوات لابد من توافرها حتى تنجح ومن بين تلك المقومات والأدوات الفهارس الموحدة، والأدلة والخدمات الببليوجرافية والاتصالات والخدمات المرجعية والمشابكة. وسوف نحاول على الصفحات التالية تصوير أبعاد تلك المقومات والأدوات ودور كل منها فى نجاح الإعارة البينية وتطويرها.

أ- **الفهارس الموحدة والأدلة والببليوجرافيات** تعتبر الفهارس الموحدة والأدلة والببليوجرافيات الأدوات المفتاحية أوالمدخل إلى الإعارة البينية فالببليوجرافيات لازمة للتثبت الببليوجرافى والحصول على البيانات الكاملة للكتاب أو العمل الذى يريده القارئ الذى قد يقدم مجرد معلومات مبتورة أو مشوشة عن الكتاب كما أن الفهارس الموحدة والقوائم الموحدة بالدوريات هى التى تكشف عن المكتبات التى تقتنى مادة بعينها ومن أى طبعات وأدلة المكتبات تقدم بيانات رائعة عن المكتبات المختلفة بما يساعد على توجيه طلبات الإعارة البينية التوجيه السليم.

وتشير كل الشواهد إلى أن «**الفهرس الوطنى الموحد**» و«**القائمة الموحدة بالدوريات**» اللذان بدأ منذ العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين هما الركيزة الأساسية للإعارة البينية فى بلد مثل الولايات المتحدة وكندا إن هذه الأدوات تخدم عملية الإعارة البينية من جوانب ثلاثة **أولها** أنها تقدم بيانات ببليوجرافية كاملة عن الكتاب كما تمدنا بالمدخل القياسى له مما يلزم فى عملية التثبت الببليوجرافى ويساعد أية مكتبة على طلب الوثيقة بتلك البيانات: **وثانيها** أن الفهرس الوطنى الموحد والقائمة الموحدة بالدوريات وقائمة «العناوين الجديدة من الدوريات» تحدد مكان وجود كتاب معين أو دورية بذاتها أو عدد أو مجلد منها ومن ثم يمكن للمكتبة المستعيرة أن توجه طلباتها إلى الجهة السليمة التى تقتنى الأعمال المطلوبة مباشرة. **وثالثها** أن هذه الأدوات منشورة بالفعل وليست مجرد أدوات للاستخدام المحلى وبالتالى تستطيع

المكتبات اقتناء نسخ منها لاستخدامها؛ وهذه الأدوات تُحدَّث بصفة مستمرة مما يرفع من قيمتها فى عملية المراجعة والتثبت ويرفع من أداء إجراءات الإعارة البينية.

ولقد حاول كثير من الدول والولايات داخل الدولة الواحدة التغلب على تلك المشاكل والعقبات بتخصيص الأموال ورصد الجهود لإعداد تلك الأدوات الأساسية وتطويرها وتحديثها على نحو ما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها منذ منتصف الستينات من القرن العشرين. ومع تطور قواعد البيانات الآلية ودخول الإنترنت إلى عالم المعلومات ذُلِّلَت عقبات كثيرة فى هذا الصدد شكلاً وموضوعاً ويجب أن نعترف أن توحيد قواعد الفهرسة على المستوى الدولى قد ساعد مساعدة قيمة فى دفع الإعارة البينية خطوات إلى الأمام؛ وساعد الفهرس الوطنى الموحد والقائمة الموحدة بالدوريات والدوريات الجديدة على تغطية عالمية أكثر شمولاً من ذى قبل، وخاصة فيما يتعلق بالمواد غير الأمريكية. ومع تطور عمليات الفهرسة المقروءة آليا (مارك) فى كثير من دول العالم أصبحت هناك لغة مشتركة بين مكتبات العالم فى الضبط الببليوجرافى وسرعة إدراج بيانات المفردات فى الفهارس والببليوجرافيات.

ب- **الاتصالات** مما لا ريب فيه أن الاتصالات ضرورة حتمية فى أى نظام للإعارة البينية فلابد أن هناك قنوات اتصال للبيانات الببليوجرافية والوثائق والمعلومات تسير فيها من نقطة الانطلاق إلى نقطة الانتهاء. وأعتقد أن الاتصالات قد بلغت فى الوقت الحاضر درجة عالية جدا من التقدم بحيث تنقل أى نص أو مادة فى التو والحال ربما أسرع من انتقال المستفيد بين الرفوف. وهناك عدة أشكال لقنوات الاتصال تستخدم فى عملية الإعارة البينية وتناسب جميع مستويات المكتبات الداخلة فيها.

من الناحية التاريخية كان البريد العادى هو المستخدم فى نقل مصادر المعلومات من مكتبة إلى مكتبة بيد أن بطء هذه الوسيلة جعل المكتبات تبحث عن وسيلة أخرى أسرع لنقل المصادر. وكان من بين الوسائل استخدام البشر فى الانتقال السريع بين المكتبتين المستعيرة والمعيرة؛ واستخدمت أيضا وسيلة التسليم من الباب للباب كبديل للبريد العادى. وكان التليفون يستخدم فى حالات الطوارئ والحالات العاجلة وكانت

الراقنة عن بعد تستخدم على نطاق واسع حتى نهاية السبعينات حين بدأ التلكس ثم من بعده الفاكس يحل محلها ومازال البريد العادى يستخدم فى نقل المواد من مكتبة إلى مكتبة وكان أنبوب شعاع كاثود يستخدم لفترة فى نقل البيانات الببليوجرافية على الخط المباشر والخط غير المباشر أيضا. وبعد انتشار خدمات الإنترنت أصبحت عملية نقل البيانات الببليوجرافية والنصوص الكاملة والاتصال بقواعد البيانات البعيدة مسألة سهلة للغاية وعادية وقد تواكب مع ذلك ارتفاع تكاليف البريد والنقل بالبريد العادى مع البطء النسبى فى الخدمة.

ج- **الخدمات المرجعية** دخلت الخدمات المرجعية إلى مجال الإعارة البينية جنباً إلى جنب مع استعارة الكتب العادية بكياناتها الفيزيقية. كأن تطلب إحدى المكتبات من أخرى إجابات مرجعية على أسئلة أو طلبات محددة ترسل بها إليها وحيث اتضح أن بعض المكتبات الصغيرة كانت تطلب استعارة كتب معينة لأنها تتضمن إجابات على أسئلة لدى المستفيدين ووجد أن من الأفضل والأوفر أن ترسل المكتبة الكبيرة الإجابات من عدد من المصادر بدلاً من إرسال المصادر نفسها. وكانت طلبات القوائم الببليوجرافية المتخصصة هى الأكثر فى حال الخدمات المرجعية ومن ثم كانت المكتبات الكبيرة تسارع إلى إعدادها للمكتبة الصغيرة بدلاً من تجشم عناء وتكاليف إرسال عدد كبير من الببليوجرافيات الضخمة لصالح مستفيد معين فى المكتبة الصغيرة. ولما كان عبء إعداد مثل تلك الببليوجرافيات الموضوعية يقع بداية على عاتق المكتبة الصغيرة المستعيرة فإنها لابد وأن يكون فيها أخصائى مراجع ماهر يستطيع أن يعرف بالضبط ماذا يريد المستفيد ومن ثم يتمكن من بلورة طلباته إلى المكتبة المعيرة.

د- **بنوك المعلومات** بنوك المعلومات فى مرحلة نشوئها الأولى كانت تنقسم إلى نوعين: نوع يقدم المعلومات الببليوجرافية فقط عن أوعية المعلومات فهى ببليوجرافيات آلية فى حقيقة الأمر؛ ونوع يقدم الوثائق أى الأوعية نفسها. وكان يمثل النوع الأول فى سبعينات القرن العشرين «مركز مكتبة كلية أوهايو» الذى تحول بعد ذلك إلى مركز مكتبات الخط المباشر؛ والذى كان نموذجاً لمراكز كثيرة مثله وربما تفوقت عليه بعد ذلك وهذا المركز عبارة عن قاعدة بيانات ضخمة تضم فهارس المكتبات الأمريكية

ومن ثم فإنه يحدد مكان وجود كل قطعة موجودة بياناتها فى تلك القاعدة. وكانت المكتبات التى تمده بفارسها فى بادئ الأمر تصل إلى خمسين مكتبة كبيرة ولكن عددها تضاعف بعد ذلك بحيث أصبح يضم الآن نحو أربعين مليون تسجيلة ببليوجرافية.

وأصبح البحث فيه مباشراً لفهارس تلك المجموعة من المكتبات ومن ثم تقلص الإرسال بالبريد العادى.

وقد يبدو الاتصال المباشر من مكتبة ما إلى قواعد البيانات العالمية بعيداً عن الإعارة البينية التقليدية المعروفة، ولكن الخبراء يرون أنها مع انتشارها الحالى على أوسع نطاق تدخل فى عداد الإعارة البينية وبشكل جديد إذ أنها خطوة ما بين المكتبة التقليدية والمكتبة الإلكترونية؛ ولأن المكتبة الإلكترونية تستطيع أن تقدم للمستفيد منها ما يطلبه من مواد بطريقة أكثر فعالية وأرخص.

وكلما أصبح المكتبيون أكثر اهتماماً بطلب وتوليد المعلومات الإلكترونية وكلما تطورت وسائل نقل المعلومات وتحويلها من مكان إلى مكان فإن بنوك المعلومات ومشتقاتها يكون لها دور أعظم فى التبادل البينى للمعلومات أى إمتداد الإعارة البينية.

هـ- نظم الإحالة والتحويل

فى مرحلة من مراحل تطور الإعارة البينية كانت نظم الإحالة والتحويل عنصراً هاماً من عناصر تلك العملية لأنها تتيح الاتصال المباشر إلى المصدر المطلوب. ومن المعروف أن نظم الإحالة والتحويل تتخذ أشكالاً عديدة وتتركب من عناصر مختلفة؛ وعلى سبيل المثال فإن الفهرس الوطنى الموحد باعتباره أداة من أدوات الإعارة البينية هو عنصر من عناصر عملية الإعارة البينية وعنصر من عناصر عملية الإحالة والتحويل وتعتبر الفهارس الموحدة المحلية ذات الخط التليفونى المباشر من الأمثلة الظاهرة على عملية التحويل.

وبصفة عامة فإنه من خلال الإعارة البينية والنظم المصاحبة لها والشبكات، تغدو المكتبة المحلية مركز إحالة وتحويل لكل احتياجات قرائها من المعلومات إنها تحول

طلباتهم إلى المكان المناسب الذى تحصل منه على المواد المطلوبة أو تحول الطلبات إلى النظام الذى توجد فيه تلك المواد. وكان أشهر مثال على مركز للإحالة والتحويل هو «**المركز الوطنى للإحالة فى العلوم البحتة والتطبيقية**» وهذا المركز هو فى حد ذاته مجرد دليل فهو لا يقدم المعلومات المطلوبة ولكنه يحول الطالب إلى المكتبة أو المؤسسة أو حتى الفرد الذى يقدم المواد المطلوبة.

إن مراكز الإحالة والتحويل إن هى إلا أداة أو وسيلة للوصول إلى المكتبة التى نجد لديها إجابة لطلبات المستفيدين؛ وهى تقدم أحسن البدائل والاختيارات فى حقيقة الأمر بين البدائل المطروحة وعندما تكون هناك تكاليف على الخدمة المقدمة كما سنرى فيما بعد تكون المقارنة مسألة هامة.

تنظيم عملية الإعارة البينية

لكى تحقق الإعارة بين المكتبات أهدافها فلابد من وضع تنظيم لها يكفل لها النجاح المنشود وحتى لا تتم ضبط عشواء وكيفما اتفق وبشكل اعتباطى أو من حين لآخر دون ضابط أو رابط. وفى عملية التنظيم لابد من مناقشة عناصر: المشابكة بين المكتبات الداخلة فى العملية؛ التكاليف والرسوم؛ حقوق المؤلفين؛ التشريعات الضامنة للعملية.

١- **المشابكة** ولا نقصد بالمشابكة هنا المعنى الوظيفى للشبكة فقط وإنما قد يدخل هنا أيضا المعنى اللغوى أو الحرفى، ذلك أن الخطوة الأولى للإعارة البينية هى أن يدخل الأطراف المعنيون فى تنظيم رسمى أو يوقعون اتفاقاً رسمياً لتشاطر المصادر.

وقبل شبكات المعلومات كانت هناك ومنذ مطلع القرن العشرين شبكات المكتبات وما شبكات المكتبات إلا اتفاقات رسمية لتشاطر المصادر؛ والهدف من الاتفاق هو تسوية مسبقة لأية مشاكل قد تنشأ فيما بعد حول الإعارة البينية وتفاصيلها ومن بينها التكاليف والرسوم، قنوات الاتصال، إجراءات الإعارة، مسئوليات الأطراف عن الخدمات الببليوجرافية وأدلة العمل.

لقد قامت بعض شبكات المكتبات على أساس الأنطقة الجغرافية مثل «شبكة

الإعارة البينية فى ولاية نيويورك» والتى بدأت كمشروع ريادى سنة ١٩٦٧، بدأ بما عرف بمشروع مصادر البحث والمراجع وكان يمول من مخصصات فيدرالية وولائية وفى ذلك الزمان كانت الشبكة تستخدم الراقنات عن بعد لتسريع الاتصالات، وفى نفس الوقت تخفف من القيود التى يفرضها التقنين الوطنى للإعارة البينية؛ وكانت كذلك تسعى إلى تخفيض التكاليف قدر الإمكان. وقد يكون من الممتع أن دراسة الجدوى لتلك الشبكة كشفت عن أن تكلفة الطلب الواحد تصل إلى ١٥,٨٠ دولاراً والوقت المستغرق فى تلبيته ٢٢ يوماً قبل قيام الشبكة، وبعد قيام الشبكة والتنفيذ الفعلى لها نجد أن تكلفة الطلب الواحد بلغت ١٠,٨٢ دولاراً، والوقت المستغرق ١٩ يوماً فقط.

وهناك شبكات مكتبات متخصصة تدور حول موضوع معين مثل شبكة المكتبات الطبية أهم شبكة مكتبات متخصصة وأكثرها تنظيماً. وفى هذه الشبكة تم تقسيم الولايات المتحدة إلى إحدى عشرة منطقة لأغراض الإعارة البينية المنطقة الأولى فى هذا التقسيم على سبيل المثال هى نيو إنجلاند التى تجيب نحو ٨٥٪ من مجموع الطلبات الواقعة فى نطاق الشبكة وكانت فى بادئ الأمر تستخدم خط تليفون عادى وتقبل الطلبات من أى مستفيد مباشر سواء كان المستفيد ممارساً عاماً أو باحثاً أو طالباً أو مستقصياً أو معلماً.

وثمة شبكات مكتبات نوعية أى تدور حول نوع معين من المكتبات. وكانت المكتبات الأكاديمية هى أكثر أنواع المكتبات تنظيماً للشبكات وانخراطاً فيها ومن ثم كانت الإفادة من المجموعات الجامعية الضخمة أعظم وأفضل. ولعل أحسن نموذج على ذلك «مجمع مكتبات كليات المدن التوائم» وقد بدأت تلك الشبكة منذ ١٩٥٢ وقد أعدت قائمة موحدة بالدوريات أفادت منها فائدة كبرى فى مضمار الإعارة البينية وفى سنة ١٩٦٩ توسعت المكتبات الداخلة فى النظام وتغير الاسم إلى «مجمع المكتبات المتعاونة» وتقدم خدمات الإحالة من الفهرس الموحد كما تقدم خدمة الإعارة البينية بين المكتبات السبع الأعضاء فى المجمع وخدمات الربط مع مكتبة جامعة الولاية والمكتبة العامة فى نقطة سانت بول-مينابوليس وقد كشفت تجربة هذا المجمع عن أن نسبة التكرار فى مجموعات المكتبات الصغيرة قليلة وأن تلك المكتبات الصغيرة لديها

مواد لا توجد لدى المكتبات الكبيرة ومن ثم فإنها فيها فائدة محققة حتى للمكتبات الكبيرة.

٢- التكاليف والرسوم لقد كانت قضية التكاليف والرسوم فى الإعارة البينية على الدوام محل جدل عنيف وكان هناك خلاف حول ما إذا كان من الضرورى دعم تقديم المعلومات من جانب الدولة أم يسدد الأفراد والمؤسسات تكاليف المعلومات التى يطلبونها ويحصلون عليها. وخلف قضية التكاليف والرسوم هناك بعض المشكلات التى لابد من الوقوف عليها:

١- ما هى التكاليف التى يجب دفعها فى حالة الإعارة البينية ومن يدفعها؟

٢- ما هى التكاليف التى يمكن حسابها وبلورتها فى أرقام ملموسة؟

٣- هل من الاقتصادى جمع التكاليف والرسوم أم تحملها واستيعابها؟

فى بداية مشروعات الإعارة البينية كان الخلاف يتركز حول من يدفع تكاليف البريد حيث كانت هى التكاليف الوحيدة الملموسة ويمكن تحديدها بسهولة. وقد انقسم القوم إلى ثلاثة اتجاهات: اتجاه يقول بأن المكتبة المستعيرة هى التى تتحملها؛ والاتجاه الثانى يقول بل الفرد طالب الخدمة والاتجاه الثالث يقول بل المكتبة المعيرة أى الراسلة للمادة المعارة. ونسى الجميع أن تكاليف البريد كانت مجرد كسرة صغيرة من التكاليف الفعلية ولم تخفف من حدة الخلاف حول قضية التكاليف والرسوم وكان بعض أمناء المكتبات يقدم طوابع البريد إلى المكتبة المعيرة أو يلصقها على المظروف الذى ترسله المكتبة المستعيرة إلى المكتبة المعيرة كى تستخدمه فى إرسال المادة.

وبعد وجود التمويل الخارجى لعملية الإعارة البينية وقيام الشبكات التى تغطى الولاية كلها، عادت مشكلة تكاليف الإعارة البينية تطل برأسها من جديد وبشكل أكثر حدة. وكثير من شبكات المكتبات التى قامت فى نهاية الستينات لديها الآن بيانات مفصلة عن التكاليف وعلى سبيل المثال قام اتحاد مكتبات البحث فى منتصف السبعينات من القرن العشرين بدراسة تكاليف الإعارة البينية فى المكتبات الأكاديمية فوجد أنها بالنسبة للطلب الواحد فى المكتبات الأكاديمية الكبيرة مبنية على التكاليف

الفعلية بالإضافة إلى ٥٠٪ كتكاليف رأسية تصل إلى ٢,١٢ دولاراً للطلبات غير المنفذة و ٤,٦٧ دولاراً للطلبات المجابة بالفعل ومن المؤكد أنه بعد ربع قرن تضاعفت هذه التكاليف فى ظل الارتفاع الكبير لنفقات البريد.

ولعل من الجدير بالذكر أنه تم أخذ متوسط عينة من اثنتى عشرة مكتبة ووجد أن تكاليف الطلبات المجابة قد تراوحت ما بين ٢,٠٥ دولاراً كحد أدنى و ٦,٨١ دولاراً كحد أقصى وحساب التكاليف على ذلك النحو لم يحل مشكلة من يدفع التكاليف.

وفى الولايات المتحدة جرت المفاوضات بين المخصصات الولائية والمخصصات الفيدرالية من أيها يتم الدفع؟ وبأية نسب؟ وهل الدولة هى التى تدفع أم الأفراد المتفعون؟ وما هو الحال بالنسبة للمؤسسات الخاصة فى مقابل المؤسسات العامة وهل يمكن وضع معادلة لاقتسام التكاليف الناتجة عن عملية الإعارة البينية بين الأطراف المعنية؟

وثمة جانب آخر من المشكلة لابد من التوقف عنده طويلا وهو التكاليف العالية الآن لقنوات الاتصال البعيد والتى تستخدم اليوم فى نقل المعلومات الإلكترونية وربما يؤدى انتشار استخدام التكنولوجيات الجديدة إلى تخفيض التكاليف وخاصة فى ظل المنافسة من جانب الشركات المختلفة؛ كما سنرى فيما بعد فى نقطة خاصة بالتكنولوجيا.

٣- **حقوق المؤلفين** فى ظل التطورات المذهلة فى مجال تكنولوجيا الاستنساخ والتصوير والتحويل الإلكترونى للمعلومات من أصول تملكها المكتبات المعيرة، وفى ظل الإعارة المكثفة التى حدثت بعد قيام الشبكات ظهرت مشكلات الإعتداء على حقوق المؤلفين لأن كل نسخة مصورة تقتل نسخة أصلية وفى الولايات المتحدة رفعت قضايا مختلفة على شبكات المكتبات والمعلومات لقيامها بنسخ بعض الأعمال وإرسالها إلى المكتبات الطالبة على سبيل الإعارة البينية ومن القضايا الشهيرة هناك فى منتصف السبعينات، قضية شركة ويليامز و ويلكنز التى رفعتها ضد المكتبة الوطنية الطبية لقيامها بخرق حقوق المؤلفين حيث إنها تستنسخ مواد من مطبوعات شركة ويليامز و

ويلكنز دون إذن منها ورغم أن القضية تضمنت فى ذلك الوقت مسألة الاستنساخ عن طريق التصوير إلا أنها تمتد الآن لتشمل جميع أنواع تحويل النصوص مثل التلكس والفاكس وتليفزيون الكابل والتحميل الإلكترونى على وسائط الحاسب والليزر ومازال الجدل دائراً حولها ولن يستقر المجتمع الدولى على قواعد محددة لحماية حقوق المؤلفين فى هذا الصدد، وحيث جاءت الإنترنت بكل ما فيها من إمكانيات لتجعل المسألة خارج نطاق السيطرة. ومن المعروف أن هناك شبه إجماع على أن استنساخ نسخة بأى من طرق النسخ للاستخدام الشخصى للأغراض التعليمية والبحثية ليس فيه خرق لحقوق التأليف بل وأكثر من هذا لا يتطلب إذنا من صاحب الشأن.

٤- **التشريعات الضامنة للإعارة البينية** لكى تتم الإعارة البينية بالطرق السليمة الشرعية وليس بمجرد طرق ودية قابلة للتحول والتغير من حين لآخر ومع تغير الإدارة أو المزاج الشخصى فلابد من وجود نوعين من التشريعات يضمنان نجاح هذه العملية واستمرارها والنوع الأول من التشريعات هو التشريع العام أى أن تدخل إلى لوائح المكتبات بصفة عامة وفى أدلة الإجراءات على وجه التحديد بنود تتيح قيام المكتبات بهذا النوع من الخدمات وتدعمه. أما النوع الثانى من التشريعات فهو الاتفاقات الرسمية المبرمة بين المكتبات الداخلة فى نظام الإعارة البينية. وهذه الاتفاقات عادة ما تدخل فى كافة التفاصيل وتحدد المسئوليات والواجبات والحقوق بين الأطراف الداخلة فيه وتضمن هذه الاتفاقات استمرار التعاون فى الإعارة البينية بصرف النظر عن غير الإدارة وتغير الأشخاص وتقلب المزاج. ومن خلال التجارب التى صادفناها نلاحظ أن الاتفاقات قد تكون ثنائية وقد تكون متعددة الأطراف وقد توقع وقد يجرى مجرد التصديق عليها وفى حالة الشبكات على النحو المشار إليه سابقاً قد تفرض الإعارة البينية عن طريق السياسات المكتوبة والمرعية للشبكة.

فى بلد مثل الولايات المتحدة تتضمن القوانين الفيدرالية بنوداً تتيح وتشجع وتمول الإعارة البينية ومن تلك القوانين قانون الخدمات والإنشاءات المكتبية؛ قانون التعليم العالى؛ قانون مساعدة المكتبات الطبية.

عندما يتم توقيع الاتفاقات الرسمية وتتخذ الإعارة البينية طابعها الرسمى بين المكتبات الأطراف، يكون من الأفضل إنشاء إدارة أو وكالة عامة تكون وسيطاً لإدارة العمل وتيسير التعاون بين المكتبات الأطراف فى الاتفاق.

وفى ظل التطور التكنولوجى الهائل وظهور وسائل الاتصال الحديثة بحيث لم يعد البريد العادى هو الوسيلة الأهم فى نقل الأوعية والمصادر، ظهرت الحاجة إلى تشريع لتقنين الاتصالات بين الأطراف الداخلة فى اتفاقات الإعارة البينية من جهة وبينها وبين شبكات الاتصالات العامة من جهة ثانية. ذلك أن استخدام الشبكة العامة للاتصالات قد يكون عبئاً على الشبكة ويحرم المواطن العادى والمؤسسات الأخرى من الوقت المتاح على الشبكة. وفى حال استخدام الشبكة العامة هل هناك فرصة للحصول على خصم معين للمكتبات الداخلة فى نظام الإعارة البينية. وهل من الأفضل للجميع أن تقيم شبكات المكتبات فى الدولة بالتعاون فيما بينها شبكة الاتصالات الخاصة بها. كل ذلك رهين بالتشريعات والقوانين الخاصة المنظمة لقضية الاتصالات.

تكنولوجيا الإعارة البينية

تطورت تكنولوجيا الإعارة بين المكتبات تطوراً مذهلاً فى العشرين سنة الأخيرة بتطور تكنولوجيا الاتصالات نفسها وتكنولوجيا اختزان واسترجاع وبث المعلومات ولم يعد البريد العادى إلا وسيلة هامشية فى نقل مصادر المعلومات بين المكتبات الداخلة فى اتفاقات الإعارة البينية وكان من أخطر عيوب البريد العادى هو البطء فى عملية نقل المصادر بين الطرفين واستغراق وقت طويل فيما بين طلب المادة ووصولها إلى المستفيد وربما حسَّن من هذا العمل بعض الشيء دخول وسائل الاتصال الحديث التى بدأت بالراقنات عن بعد (التلكس وبعده الفاكس) وكانت الراقنات عن بعد قد استخدمت وجربت منذ وقت طويل ولكنها لم تصبح وسيلة أساسية فى طلب مواد الإعارة البينية إلا فى ستينات القرن العشرين. ولم تعد هناك وسيلة أساسية فى طلب مواد الإعارة البينية إلا فى ستينات القرن العشرين. ولم تعد هناك وسيلة ناجحة كلية

فى النقل الآلى لمصادر المعلومات إلا فى مطلع القرن الواحد والعشرين. وكانت نسخ مصورة من الوثائق المطلوبة ترسل بالبريد الممتاز ضماناً للسرعة وكانت مصلحة البريد فى كثير من دول العالم تقدم تخفيضات كبيرة لنقل المطبوعات بالذات حتى خمس سنوات مضت إلا أن الأسعار التهبت فى السنوات الست الماضية. فى خمسينات القرن العشرين وستيناته بدأت أولى تجارب الإرسال بالفاكس إلا أنها لم تنتشر إلا اعتباراً من الثمانينات وقد أجريت تجارب عديدة فى نفس الفترة لإدخال أجهزة جديدة إلى خدمة نقل النصوص من بينها الدوائر التليفزيونية المغلقة؛ الناسخة عن بعد من إنتاج زيروكس؛ دكتافون ستيوارت-وارنر؛ النسخ عن بعد ولكن صُرِف النظر عنها بسبب التكلفة العالية آنذاك وكانت صورة الفاكس باهتة ورديئة ولم يستجب المستفيدون لتلك الوسائل. وعندما دخلت تكنولوجيا النسخ الإلكترونى قللت التكلفة وأصبحت أكثر قبولاً لدى المستفيدين فى نقل وثائق الإعارة البينية.

ومن المؤكد أن تطور تكنولوجيا الحاسبات الآلية ساعد كثيرا على تطوير مفهوم وممارسة الإعارة البينية سواء فى شبكات المعلومات البيليوجرافية أو شبكات النصوص الكاملة.

وعلى سبيل المثال حدثت ثورة فى الفهرس الوطنى الموحد الذى تعده مكتبة الكونجرس بعد إدخال الفهرسة الآلية وهذا الفهرس كما ألمحت من قبل هو العمود الفقرى للإعارة البينية فى الولايات المتحدة وربما خارجها أيضا. وغنى عن القول أن الحاسبات الآلية قد ساهمت مساهمة فَعَّالة فى تطور قواعد البيانات الآلية والتكشيف وخاصة مقالات الدوريات ويسرت الولوج إليها.

وكانت عملية الإعارة بين المكتبات فى بداية ظهور الحاسب تعمد إلى تبادل الأشرطة الحاملة للمعلومات والبيانات تبادلاً فيزيقياً من مركز إلى مركز أو من مكتبة إلى مكتبة فى زمن «ميدلارز» وبعد ذلك تطورت العملية إلى الإعارة البينية للمعلومات على الخط المباشر فى زمن «ميدلاين» و «أو سى إل سى». وفى زمن الإنترنت أصبحت الإعارة البينية سهلة للغاية وأوسع نطاقاً وأقل كلفة.

من تكنولوجيات الإعارة البينية كذلك «تليفزيون الكابل» أو ما يسمى تليفزيون هوائى المجتمع إشارة إلى التحويل من الميكروويف إلى النقل بالكابل وقد غدا الآن وسيلة اتصال منزلية ولقد سهل تليفزيون الكابل الاتصال ببنوك المعلومات وقواعدها من المنزل والمكتب. وقد غدا من المألوف تداول كل أنواع المعلومات المسجلة على وسائط إلكترونية سواء الجرائد والمجلات وخدمات البريد والتليفونات وغيرها عبر تليفزيون الكابل. وكان تليفزيون الكابل فى حقيقة الأمر حلقة من حلقات الإنترنت، وقد أفادت مكتبات كثيرة فى مرحلة من مراحل الإعارة البينية من تلك الوسيلة.

وباستخدام هذه الوسيلة فإن المكتبة المعيرة تستطيع الاتصال البصرى بالمكتبة المستعيرة

فى منطقة نائية ومن ثم يستطيع الطالب أن يحدد وبدقة ما يريده من المكتبة المعيرة عن طريق مشاهدة أو رؤية الوثيقة قبل إرسالها إليه وبطريقة أفضل مما كان عليه الحال من البيانات غير المباشرة عنها. ولعله من نافلة القول أن تليفزيون الكابل كان موجة سبعينات وثمانينات القرن العشرين فى نقل المعلومات ونسخ النصوص. وكان حديث الساعة فى تلك الفترة شفوياً وتحريرياً.

ويدخل تليفزيون شعاع الليزر هو الآخر ضمن تكنولوجيا الإعارة البينية، وهو يفضل تليفزيون الكابل بعدة درجات حيث الصور أكثر وضوحاً. وكانت المكتبات تشكو كما أسلفت من عدم وضوح صورة الفاكس والتلكس ويعتبر تليفزيون شعاع الليزر مزيجاً من النقل عالى الجودة للصورة إلى جانب نظام تصوير فوتوغرافى غير تقليدى؛ مما ساعد على حل كثير من مشاكل نقل النسخ. وقد أدى ظهور تليفزيون شعاع الليزر واستخدامه خلال السبعينات والثمانينات إلى اختفاء غرفة البريد والراقنة عند بعد والناسخة عن بعد؛ ومن الطبيعى أن تحصل أية مكتبة مربوطة إلى قناة شعاع ليزر فى مركز معلومات إقليمى أو وطنى أن تحصل على نسخة ورقية من أية وثيقة متاحة فى التو والحال.

بدأ استخدام الأقمار الصناعية فى نقل المعلومات منذ نهاية الستينات من القرن

العشرين بعد أن شاع استعمالها فى البث التليفزيونى عبر العالم ومن الطبيعى أن تكون فى الأقمار الصناعية ميزة نقل البيانات والمعلومات بسرعة فائقة عبر شبكات المعلومات والمكتبات فى الاتجاهين إلى أماكن بعيدة وبسرعة فائقة إلى مستفيدين مبعثرين فى مناطق مختلفة. ولسنا فى حاجة إلى سرد وجوه تفوق الأقمار الصناعية على وسائل النقل الأرضية للمعلومات حيث تجتاز تلك الأقمار كافة الصعاب والعقبات التى تواجه الوسائل الأرضية. وبعد استخدام الأقمار الصناعية بكامل طاقتها انخفضت تكلفة نقل المعلومات والشكل الجديد للإعارة البينية انخفاضاً ملحوظاً.

ولقد توجت الإنترنت تكنولوجيا المعلومات والإعارة البينية فى السنوات الخمس السابقة وحققت أقصى «تشاطر للمصادر» فى العالم وأعطت الإعارة بين المكتبات قيمة جديدة ومفهوماً جديداً وبعداً مختلفاً. ولدور الإنترنت فى تشاطر المصادر والإعارة البينية حديث آخر فى هذه الدائرة.

البحث والتخطيط فى مجال الإعارة البينية

يعتمد مستقبل الإعارة البينية اعتماداً أساسياً على البحث والتخطيط وهناك حاجة ماسة للبحث والتجريب فى مجال التكنولوجيات المختلفة. وجانب كبير من هذا التجريب يتوقف على المجالات الأخرى وثيقة الصلة بمجال نظم المكتبات والمعلومات. ولابد من تكامل الجهود فى هذا الصدد من الجانبين ولقد تكونت لدى مهنة المكتبات والمعلومات معرفة وخبرة واسعة عن جميع الجوانب المغلفة للإعارة البينية وأصبحت البيانات متوافرة عن العوامل المختلفة مثل التكلفة والوقت ونوعيات الوثائق التى تتوافر وتمدنا بها النظم المكتبية والمعلوماتية المختلفة. وهناك معلومات وبيانات تتوافر لنا طوال الوقت وخاصة من الدول المتقدمة ونحن دائماً فى حاجة إلى استمرار تدفق هذه المعلومات والبيانات على المستوى الوطنى والمستوى الدولى حتى نتمكن من التخطيط المستقبلى. وقد استطاعت شبكات المعلومات وشبكات المكتبات أن تحل مشكلات التوافق ومشكلات الاتصال وقد بدأت هذه العملية على نطاقات صغيرة فى البداية ثم عُممت على نطاق العالم الآن بفضل الإنترنت وبروتوكولات التعامل مع

النظم المتكاملة وقد بدأت عمليات التخطيط والتجريب بالإفادة من خبرة شبكات المعلومات والنظم الكبرى التى لم تلبث أن اندمجت في الشبكة الأم. وعند التخطيط للشبكات العامة المحلية والولائية والوطنية والدولية يمكننا أن ننظر فى المشكلات والحلول التى تقدمها نظم معلومات كبرى مثل «شبكات الاتصالات الحيوية الطبية الوطنية».

ولقد حدد «ج.سى.ليكليدر» (أحد المسئولين عن تطوير الإنترنت الدولية) سنة ١٩٧٠ فى ختام «مؤتمر الاتصال بين المكتبات وشبكات المعلومات»، ستة عناصر حيوية للتخطيط لشبكة المعلومات الوطنية.

١- دراسة وبحث شبكة الحاسبات على المستوى الوطنى وإنشاء مؤسسة أو وكالة وطنية عليا للتنسيق

٢- اشتراك المكتبيين وعلماء المعلومات فى عملية التخطيط لشبكة الحاسبات -الاتصالات.

٣- إعداد الدراسات المستفيضة حول المكتبات ومراكز المعلومات وعلم المكتبات والمعلومات على المستوى الوطنى.

٤- تكثيف جهود توحيد المعايير والمواصفات.

٥- وضع خطة فوقية شاملة لربط الحاسبات ببعضها البعض.

٦- التمويل.

وقد أضافت ليكليدر «أنه لا سبيل إلى إنشاء شبكة مكتبات ـ معلومات بدون دعم بحوث ودراسات التطوير ووضع مراحل العمل المختلفة».

لقد كانت هناك منذ نهاية الستينات وبداية السبعينات جهات مختلفة تعمل على تخطيط وتنفيذ شبكات المعلومات الدولية من بينها الاتحاد الدولى للتوثيق (والمعلومات فيما بعد) الذى انبثقت عنه لجنة التعاون فى إنشاء الشبكات الدولية للمعلومات؛ «نظام المعلومات الدولى فى الذرة» وكان نموذجاً لشبكة معلومات دولية متخصصة؛

«منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية» التى وضعت الخطط والاتفاقات لإنشاء شبكات المعلومات التعاونية الدولية؛ ولعل أشهر خطة دولية للمعلومات تمثلت فى اليونيست والتى وضعتها اليونسكو لإنشاء نظام معلومات علمى عالمى بالاشتراك مع المجلس الدولى للاتحادات العلمية.

الإعارة البينية الدولية

لعله من نافلة القول أن نذكر أن الإعارة البينية هى واحدة من أقدم أشكال التعاون بين المكتبات. وربما وجدت الإعارة البينية بين مكتبات مصر القديمة والمكتبات العراقية، ولكنها يقيناً وجدت بين مكتبة الإسكندرية القديمة منذ القرن الثالث قبل الميلاد والمكتبات اليونانية.

لقد اكتسب مفهوم الإعارة البينية أهمية خاصة على يد الباحثين والعلماء منذ القرن الثامن الميلادى. وفى القرن السابع عشر الميلادى حاول العالم الإنسى الفرنسى «نيقولاس كلود فابرى دى بيرسيسك» وضع نظام لتبادل الإعارة بين المكتبة الملكية فى باريس ومكتبة الفاتيكان ومكتبة باربرينى فى روما. بيد أن خطة «بيرسيسك» فشلت بسبب الرغبة القديمة لدى المكتبات فى الحفاظ على مقتنياتها وتفردها بها. ومازالت هذه الرغبة للأسف موجودة حتى الآن لدى كثير من المكتبات: الرغبة فى التفرد.

لقد استمرت الجهود الرامية إلى تطوير نظم الإعارة البينية الدولية؛ بيد أن البداية الحقيقية يمكن تلمسها منذ سنة ١٨٨٣م عندما سمحت الحكومة النمساوية للمكتبات النمساوية بإعارة مقتنياتها للمكتبات الأجنبية فى الدول الأخرى بدون إذن وزارى.

وفى خلال عقدين فقط من ذلك التاريخ كانت الإعارة البينية الدولية قد نظمت ويمكننا القول بأن كل الدول الأوروبية تقريبا قد اشتركت فى النظام أخذاً وعطاءً.

ولقد كان القرن العشرين فترة خصبة حقيقية لنمو ضخم فى عمليات الإعارة البينية الدولية ويجب أن نعترف أن جانباً كبيراً من هذا التوسع فى الإعارة البينية يرجع فى حقيقة الأمر إلى مبادرات وطموحات ورغبات وعلاقات دولية فردية من جانب مكتبيين وباحثين؛ ولم يظهر دور المنظمات والاتحادات الدولية فى هذا الاتجاه

إلا بعد الجهود الفردية بزمان ونستطيع أن نتلمس جهود تلك المنظمات فيما قام به:

المعهد الدولى للببليوجرافيا؛ معهد التعاون الفكرى؛ الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات (ومؤسساتها فيما بعد)؛ معهد سميثونيان. ورغم أن تلك المنظمات قد لعبت دوراً خطيراً فى تشجيع تطوير نظام عالمى للإعارة البينية ووضع الأسس والقواعد التى تتم عليها تلك العملية؛ إلا أنه بقى على الدول المختلفة نفسها أن تسن التشريعات وتتخذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ العمل ومن بين الإجراءات بطبيعة الحال إعداد أدوات الضبط الببليوجرافى للمقتنيات فى مكتباتها حتى يمكن تسهيل عملية تبادل الإعارات.

وقد وضع الثقاة مجموعة من المتطلبات الأساسية لنجاح عملية الإعارة البينية وعلى راسها أ- لابد أن يكون فى الدولة نظام مكتبى متطور فمن غير المعقول القيام بعمليات إعارة بينية مع بلد ليس فيه مكتبات أو فيه مكتبات غير منظمة فهرسة وتصنيفاً وضبطاً ببليوجرافياً؛ وهى مشكلة كثير من الدول النامية ب- لابد أن يكون هناك نظام فَعَّال للضبط الببليوجرافى حتى تكون المقتنيات تحت السيطرة ويتم التعريف بها. ومن المؤكد أن الدول التى لديها ببليوجرافيات وطنية وفهارس موحدة مستفيضة هى الدول القادرة على القيام بعمليات الإعارة البينية بشكل فَعَّال؛ من بين تلك الدول نصادف ألمانيا، بريطانيا، السويد وغيرها مما لديها فهارس موحدة عظيمة وببليوجرافيات وطنية رائدة مما يساعدها يقيناً على تحديد مكان وجود مادة معينة يراد إعارتها وبسرعة وليس ضبط عشواء على نحو ما نصادفه فى دول أخرى. ج- لابد من وجود نظام وخطوات بمقتضاه يتم تناول طلبات الإعارة البينية بأسلوب منهجى؛ وبينما بعض الدول تركت لكل مكتبة حرية الحركة بمفردها فى تلقى وتلبية طلبات الإعارة البينية، هناك دول أخرى تفضل مركزية هذه العملية فى مكتبة واحدة مثل المكتبة الوطنية التى تتلقى كل الطلبات وتنفذها من أى مكتبة داخل الدولة. ومن قبيل الفئة الأولى من الدول نجد: إنجلترا، السويد، ألمانيا ومن قبيل الفئة الثانية من الدول نجد استراليا، نيوزيلندا، جنوب أفريقيا.

لقد كانت الدول الأوروبية أسبق دول العالم فى إقامة نظم إعارة بينية فَعَّالة ومتطورة وذلك بفضل وجود مكتبات كبيرة قديمة ومنظمة ووجود أدوات الضبط الببليوجرافى الفَعَّال. وهذه الدول قامت بقدر كبير من الإعارة البينية أكبر من سائر دول العالم حتى الولايات المتحدة نفسها.

وسوف أتناول فيما يلى نظم الإعارة البينية فى بعض دول العالم ومناطقه على سبيل المثال والتمثيل لأن الحصر هنا غير ممكن وغير مستحب، وسوف يكون النصيب الأكبر من الأمثلة لدول أوروبية وإن لم نفصل الدول النامية أيضا.

١- السويد: كانت السويد واحدة من أهم الدول الأوروبية التى طورت نظاماً متقدماً للإعارة البينية منذ أمد بعيد سواء على المستوى الوطنى أو المستوى الدولى. ومن المعروف أن السويد بدأت إقامة شبكات المكتبات العامة فيها منذ القرن التاسع عشر، وفى ذلك القرن أيضا تطورت مكتبات البحث والمكتبات الجامعية فيها، وفيه كانت بدايات الببليوجرافية الوطنية السويدية، والفهرس الموحد للإنتاج الفكرى الأجنبى المقتنى فى مكتبات البحث السويدية.

وكانت مكتبات البحث فى الجامعات السويدية هى أولى مراكز الإعارة البينية بسبب تمتعها بحق الإيداع القانونى الممنوح لها منذ القرن السابع عشر. هذا الامتياز مكَّن المكتبات الجامعية من الحصول على كل المواد المنشورة فى السويد ولكن فى مقابل ذلك كان على المكتبات الجامعية السويدية أن تفتح أبوابها لكل القراء من العامة أو الباحثين والطلاب وأعضاء هيئة التدريس على السواء وظل هذا الأمر معمولاً به حتى منتصف القرن العشرين حين تطورت شبكة المكتبات العامة هناك لتسد حاجة الجمهور العام وبذلك بدأ يستغنى عن المكتبات الجامعية.

شبكة المكتبات العامة فى السويد ومن ثم نظام الإعارة البينية يقوم على أساس طبقى ففى المحليات توجد مكتبات محلية صغيرة؛ يلى ذلك على المستوى الأعلى مكتبات المقاطعات، وهذه المكتبات بحكم قانون ١٩٣٠ يجب عليها مساعدة مكتبات المحليات كل فى مقاطعتها وهى ظهير لها ولمجموعاتها وفى هذا السياق هناك مراكز

الإعارة البينية التى تعتبر المستوى الأعلى فوق مكتبات المقاطعات وفى سنة ١٩٦٢ تم تحديد مكتبة مدينة ومقاطعة مالو مركزاً للإعارة البينية لجنوبى السويد؛ وبعد ذلك بسنوات قليلة منحت مكتبة مدينة ومقاطعة أوميا نفس الوضع لشمالى السويد، ثم أتبع ذلك بمنح مكتبة مدينة ستوكهولم نفس الوضع بالنسبة لوسط السويد.

وبهذا التدرج فى شبكة المكتبات العامة فى السويد نشأ «الهرم المكتبى» هناك كما يقول «إيجون بولسين» رئيس مركز الإعارة البينية فى مالمو فى السبعينات من القرن العشرين. هذا الهرم أو السلسلة المتعاقبة يبدأ من القاع بالمكتبة المحلية التى تؤمن الاحتياجات الفعلية من الكتب إلى جانب الإنتاج الفكرى المتعلق بالمنطقة المحلية؛ بينما تقوم مكتبة المقاطعة باقتناء الأعمال المتخصصة وتنسق وتخطط للمكتبات المحلية.

ويقوم مركز الإعارة البينية بتأمين الإنتاج الفكرى الأكثر تخصصا وإذا لم تتوافر لديه المواد المطلوبة فإنه يسعى إلى مكتبات البحث للحصول عليها وتأمين إعارتها لمكتبات المقاطعات أو المكتبات المحلية التى تحتاج إليها. ولقد كان لتطور شبكات المكتبات العامة (المحلية والمقاطعة ومراكز الإعارة البينية) أثره الفَعَّال على تحرير مكتبات البحث وانفكاكها من روتين الإعارة للجماهير العامة وجعلها تتفرغ لخدمة العلماء والباحثين على مستوى المواد البحثية.

٢- الدنمرك: يحمل النظام المكتبى الدنمركى مثل نظيره السويدى كل العناصر الضرورية لقيام نظام إعارة بينية جيدة، ففى الدنمرك ببليوجرافية وطنية وفهرس موحد بالإنتاج الفكرى الأجنبى بمكتبات البحث الدنمركية، وهناك مكتبات بحث قوية وشبكة مكتبات عامة رائعة.

وتقوم فلسفة العمل الكتبى فى الدنمرك على أساس أن التعاون هو الوسيلة الوحيدة لاستغلال المصادر الموجودة والمخصصات المالية المحدودة أقصى استغلال؛ ونتيجة لذلك تطورت المكتبة الملكية عبر السنين كمكتبة مسئولة عن جمع المواد المكتبية فى مجال الإنسانيات، ومكتبة جامعة كوبنهاجن كمكتبة مسئولة عن جمع المواد المكتبية فى مجال العلوم والطب إلى جانب مكتبة الدولة فى آرهوس وهى مكتبة عامة تتمتع

بالإيداع القانونى. ومن هنا تتاح جميع الأعمال المنشورة فى الدنمرك من خلال هذه المكتبات الثلاث.

وشبكة المكتبات العامة فى الدنمرك متقدمة إلى أبعد حد مما يدخل عاملاً أساسياً فى ترشيح الدنمرك للقيام بدور فَعَّال فى الإعارة البينية. وتقوم شبكة المكتبات العامة ونظام الإعارة البينية على أساس مكتبات المقاطعات ففى قاع الهرم هناك مكتبات المحليات التى تنشأ بحكم القانون يليها فى المرتبة الأعلى مكتبة المقاطعة التى تشرف على مكتبات المحليات فنياً وتمدها بمواد الإعارة البينية؛ وإذا لم يكن لدى مكتبة المقاطعة المواد التى تلبى احتياجات مكتبات المحليات فإنها تلجأ إلى مكتبة الدولة فى آرهوس التى تعتبر المكتبة المركزية للدنمرك كلها ونقطة التنسيق بين المكتبات العامة والمكتبات البحثية.

كل تلك العناصر ترشح الدنمرك للنجاح فى نظام الإعارة البينية وتجنب أيا من المكتبات الكبيرة هناك لتحمل عبء الإعارة البينية بمفردها.

٣- **ألمانيا:** تمارس ألمانيا الموحدة عمليات التعاون بين المكتبات فى مجالات التزويد، الفهرسة، والإعارة البينية منذ أمد طويل قبل التقسيم وخلاله وبعد التوحيد. ومما لاشك فيه أن للإعارة البينية تاريخ طويل ولديها واحد من أفضل أنظمة الإعارة البينية الآن. والنظام الذى يطبق الآن على شطرى ألمانيا الموحدة يرجع إلى سنة ١٩٦٦ ويدخل فى هذا النظام المكتبات العامة المفتوحة للجمهور وهى أساساً مكتبات عامة بحثية، كما يدخل فيه المكتبات المتخصصة المفتوحة للجمهور، ومكتبات البلديات العامة التى يديرها مكتبيون مؤهلون وتتم عمليات الإعارة البينية استناداً إلى سبعة فهارس إقليمية موحدة؛ وتقتضى التعليمات من المكتبة الطالبة أن تبدأ بالبحث فى الفهرس الموحد الخاص بإقليمها فإذا لم تجد ما تريده فى فهرسها الإقليمى ومن ثم لا يكون ما تريده موجوداً فى مكتبات الإقليم، فإنها ترسل بطلبها إلى الفهرس الموحد التالى لها وهكذا حتى تعثر على بغيتها ومن النادر أن تستجيب المكتبات لطلبات الأفراد مباشرة.

وبسبب صرامة القواعد الخاصة بالاشتراك فى النظام الوطنى للإعارة البينية، تقوم بعض المقاطعات المنفصلة بإقامة نظم إعارة بينية إقليمية فقط. والهدف من وراء ذلك هو تخفيف الضغط على المكتبات الأكاديمية وفى نفس الوقت إتاحة الفرصة أمام المكتبات العامة التى لا يسمح لها بالدخول فى النظام الوطنى بالحصول على المواد الأعمق تخصصاً.

والنظام الحالى للإعارة البينية فى ألمانيا يحتاج إلى مزيد من التطور بحيث يتضمن جميع أنواع المكتبات فى المقاطعة لأن النظام الحالى يقوم على المكتبات العامة فقط بما فى ذلك المكتبات الصغيرة. ويفضل انخراط شبكات المكتبات العامة وشبكات المكتبات الأكاديمية معاً فى شبكة واحدة.

ولعله من نافلة القول أن ألمانيا تملك أفضل الأدوات لتطوير الإعارة البينية ونعنى بها الببليوجرافية الألمانية؛ الفهارس الموحدة بالكتب؛ القوائم الموحدة بالدوريات مما يساعد المكتبات الألمانية على ممارسة الضبط الببليوجرافى على المواد المنشورة والمواد المقتناه على السواء.

٤- **بريطانيا:** يقوم نظام الإعارة البينية فى بريطانيا على أساس شبكة المكتبات الإقليمية التى تساندها المكتبة الوطنية المركزية ومكتبة الإعارة الوطنية (للعلوم والتكنولوجيا) وتتم عمليات الإعارة البينية فى المناطق الإحدى عشرة التى تنقسم إليها بريطانيا ويقوم كل مكتب إقليمى الخاص بكل منطقة بالاحتفاظ بفهرس موحد بكل المواد الموجودة فى مكتبات المنطقة. وتتصل أى مكتبة داخل الإقليم بالاتصال بمكتبة الإقليم الموجود بها الفهرس الموحد لطلب تحديد مكان وجود كتاب معين. ولو كان الكتاب موجوداً فى واحدة من مكتبات ذلك الإقليم فإن الطلب يحول إلى المكتبة المعنية، وإن كان الكتاب غير موجود فى مكتبات المنطقة فإن الطلب يحول إلى المكتبة الوطنية المركزية التى تحاول البحث عن الكتاب فى الفهرس الوطنى الموحد، ذلك الفهرس الذى تم إعداده من نسخ مداخل الفهارس الموحدة الإقليمية المختلفة.

وتلعب مكتبة الإعارة الوطنية للعلوم والتكنولوجيا دوراً هاماً فى الإعارة البينية على

المستوى الوطنى بما تملكه من مجموعات الكتب والدوريات فى مجالات العلوم والتكنولوجيا.

وإضافة إلى الفهارس الموحدة المتطورة التى تيسر عملية الإعارة البينية فإن فى بريطانيا ببليوجرافية وطنية كاملة جارية (الببليوجرافية الوطنية البريطانية) يمكن من خلالها الضبط الببليوجرافى الكامل لما ينشر فى السوق البريطانية من إنتاج فكرى.

تقوم المكتبات الجامعية البريطانية بعمليات الإعارة البينية فيما بينها من خلال المكتبة المركزية البريطانية. التى عُهد إليها بتنسيق نظام الإعارة بين المكتبات الجامعية وإلى جانب ذلك فإن كثيرا من المكتبات الجامعية تدخل فى منظومة الإعارة البينية فى الإقليم الذى تقوم فيه. ولقد أدى ذلك إلى بناء نظام متناسق للإعارة البينية بين المكتبات الجامعية والمكتبات العامة فى بريطانيا.

٥- بلجيكا: تعتبر المكتبات البلجيكية من أقدم المكتبات فى أوروبا ولكنها للأسف يعوزها التمويل الكافى والمبانى الجيدة والتجهيزات والأجهزة المناسبة؛ ورغم كل تلك المشكلات فقد نجحت فى بناء مجموعات راقية. ومما يلاحظ أنه حتى المكتبة الملكية البلجيكية لم تتمتع بالإيداع القانونى إلا مع سنة ١٩٦٦، ومع ذلك فقط استطاعت المكتبة البلجيكية إصدار الببليوجرافية الوطنية لبلجيكا منذ سنة ١٩١٢ وهى المعنونة: «ببليوجرافية بلجيكا: قائمة شهرية بالمطبوعات البلجيكية وعن بلجيكا والمقتناه فى المكتبة الملكية».

ومن جهة ثانية قام المركز الوطنى للتوثيق العلمى والتكنولوجى بإعداد «الفهرس الموحد للدوريات الأجنبية الجارية فى مكتبات بلجيكا ولوكسمبرج» وكذلك قام بإعداد دليل مراكز البحوث البلجيكية ذات المكتبات أو إدارات التوثيق»؛ مما كان عوناً للباحث البلجيكى على تحديد أماكن وجود المواد التى يريدونها داخل بلجيكا.

ومن الملاحظ أن الجامعات البلجيكية فيها مكتبات أقسام قوية ومكتبات مركزية ضعيفة وتعترف المكتبات الجامعية هناك بالقصور فى الفهارس الموحدة وهى تحاول منذ فترة وجيزة إعداد وتقوية الفهارس الموحدة باستخدام التكنولوجيا الحديثة ولذلك فإن

التعاون بين المكتبات هناك وخاصة فى مضمار الإعارة البينية هزيل بين المكتبات الجامعية.

وبالمثل تعانى المكتبات العامة هناك من عدم وجود تعاون وثيق فى مجال الإعارة البينية وإن كانت حركة المكتبات العامة في بلجيكا قد تلقت دفعة قوية مع قانون ١٩٢١، هذا القانون الذى يدعم مالياً وأدبياً إنشاء المكتبات العامة فى الأقاليم بشرط موافقة خُمس أعضاء المجلس المحلى ولذلك فإن حركة إنشاء المكتبات لا تسير على وتيرة واحدة فى كل المقاطعات والصورة العامة مليئة بالثقوب.

ورغم أن بلجيكا تتمتع بعمليات إعارة بينية واسعة النطاق إلا أنها غير منظمة بطريقة رسمية ولا ينتظمها إطار وقواعد لوائحية وإنما هى فى الأعم الأغلب تتم بطريقة ودية، وتتم بطرق عشواء وكيفما اتفق بسبب عدم وجود فهارس موحدة شاملة دقيقة على كافة المستويات.

٦- فرنسا: رغم أن فرنسا تملك عدداً من أعظم المكتبات ومجموعات من أحسن المجموعات فى كل أنحاء العالم إلا أن الخدمة المكتبية هناك متخلفة كثيراً عن نظيراتها فى الدول الأوروبية المختلفة وتنتشر جميع أنواع المكتبات فى فرنسا انتشاراً واسعاً فهناك المكتبة الوطنية العظيمة العريقة والمكتبات الجامعية ومكتبات البلديات والمكتبات المتخصصة والمكتبات الخاصة وتختلف المكتبات الفرنسية عن نظيراتها البريطانية من حيث الإدارة المركزية الشديدة لها من قبل «الإدارة العامة للمكتبات وقاعات القراءة العامة».

والدور الذى تلعبه المكتبة الوطنية دور حيوى فى التنمية المكتبية فى فرنسا. ومن المعروف قيام شبكة مكتبات ومعلومات فى أى بلد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكتبة الوطنية القائمة فى ذلك البلد على الأقل من حيث التنسيق والتطوير. والمكتبة الوطنية الفرنسية هى قلب نظام المعلومات فى فرنسا رغم كل المعوقات التى تعوق مسيرة هذا النظام. ولقد تم ربط جميع الخدمات المكتبية على مستوى الوطن بالمكتبة الوطنية الفرنسية منذ أمد بعيد. ولعل أساس الجانب الرسمى للمكتبة هو الإيداع القانونى الذى تتمتع به منذ قرون طويلة وكانت أول مكتبة فى العالم تتمتع بهذا الحق. وتقوم

المكتبة الوطنية الفرنسية بإدارة عمليات الإعارة البينية بين مكتبات البلديات فى عموم الدولة كما تمارس جانباً كبيراً من عمليات الإعارة البينية الدولية.

ومن الطريف أنه ليس هناك نظام للإعارة البينية بين المكتبات المختلفة فى مدينة باريس رغم مركزية الإدارة؛ ولكن على الجانب الآخر فإن من الممكن لمكتبات البلديات فى ضواحى باريس أن تشارك فى خدمة الإعارة البينية المعمول بها هناك منذ ١٩٣٥ بين جميع أنواع المكتبات.

فى المكتبة الوطنية الفرنسية نجد الإدارة المركزية للإعارة لا تقدم شيئا أكثر من تقديم معلومات عن المكان الذى يحتمل أن توجد فيه المادة المطلوبة، والمجموعات المخصصة لها لتعير منها لا تزيد على ٢٠,٠٠٠ مجلد كما أن هذه الإدارة هى التى تنفذ الإعارة البينية على المستوى الدولى والإعارة البينية للكتب النادرة والمخطوطات. ولدى الإدارة سجلات تغطى مقتنيات المكتبات الجامعية الفرنسية ١٨٩٣-١٩١٣، ١٩٢٥-١٩٣٧، وسجلات أخرى بالكتب الفرنسية التى تمت استعارتها منذ ١٩٥٥.

ومن بين الأدوات الهامة المساعدة فى عمليات الإعارة البينية «الفهرس الموحد للكتب الأجنبية» الذى يحدد مكان وجود الكتب الأجنبية المقتناه فى المكتبات الفرنسية بعد ١٩٥٢؛ وهو مفيد أساساً للجامعات والباحثين. والإعارة بين الجامعات الفرنيسة بدأت منذ ١٨٨٦م وهى تتم فى الأعم الأغلب بالطريق المباشر.

ويجب أن يكون واضحاً أن قصور البيانات عن أماكن وجود الكتب بسبب عدم وجود فهرس وطنى موحد أو حتى إقليمى كبير كان من بين أهم الأسباب وراء ضعف نظام الإعارة البينية والتأخر الشديد فى تنفيذ العملية.

لقد ظلت المكتبات العامة فى فرنسا حتى وقت قريب متأخرة متخلفة كماً ونوعاً ولم تلعب دوراً يذكر فى تقديم مصادر المعلومات للناس وبالتالى فى الإعارة العادية والبينية. ولم تأخذ تلك المكتبات فى التطور إلا منذ فترة قصيرة ولم تتضح معالم هذا التطور بعد.

٧- هولندا: قصة تاريخ المكتبات فى هولندا هى قصة تاريخ التعاون المكتبى. ومن أعظم التقاليد المرعية لدى المكتبات الهولندية حرية الحركة فى إعارة مقتنياتها، سواء

كانت إعارة بينية أو إعارة مباشرة للأفراد على نحو ما نصادفه في تلك المكتبات في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين.

ومن المعروف أن النظام المكتبى فى هولندا يقوم أساساً على مكتبات البحث المتمثلة فى المكتبة الملكية والمكتبات الجامعية؛ والمكتبة الملكية تركز على مجالات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، بينما المكتبات الجامعية تركز على باقى فروع المعرفة البشرية. والمكتبة الملكية تعمل كمكتبة وطنية فى مجالاتها وتعد الأدوات الببليوجرافية اللازمة فى تلك المجالات وهى لا تتمتع بالإيداع القانونى. والمكتبة الملكية هى المسئولة عن إعداد «الفهرس الموحد» الذى بدأ سنة ١٩٢٢ ويتلقى المداخل من أكثر من مائة مكتبة هولندية مشاركة فيه. وقد أردف هذا الفهرس سنة ١٩٤٣ بالفهرس الموحد للدوريات وقد بلغ عدد الدوريات المسجلة فيه نحو ١٢٥,٠٠٠ عنوان.

وبفضل هذين الفهرسين أصبحت المكتبة الملكية الهولندية مركز نظام الإعارة البينية ولما كان القسط الأكبر من المواد التى تعار بينياً هو من مقتنيات المكتبة الملكية ومكتبات الجامعات فقد لعبت تلك المكتبات البحثية دوراً أساسياً فى هذه العملية.

ومن المعروف أن شبكة المكتبات العامة فى هولندا هى أقل تطوراً من المكتبات البحثية، وحيث يغلب على المكتبات العامة أن تكون مكتبة اشتراكات خاصة وخارج سيطرة الدولة، ولذلك لا يمكننا الحديث عن نظام للمكتبات العامة هناك يسهم مساهمة إيجابية فى الإعارة البينية.

٨- **النمسا:** كما أشرت فى ديباجة الإعارة البينية الدولية، كانت النمسا أسبق الدول الأوروبية وربما أسبق دول العالم فى ميدان الإعارة البينية العالمية وسمحت بإرسال المواد المعارة للخارج بالبريد الجوى بدلاً من القنوات الدبلوماسية وهناك فهرسان على درجة عالية من الأهمية للإعارة البينية الدولية تعدهما وتطورهما المكتبة الوطنية النمساوية أولهما الفهرس الموحد بالمقتنيات الأجنبية فى مكتبات البحث النمساوية وثانيهما قائمة الدوريات والسلاسل الأجنبية فى المكتبات النمساوية هذان العملان يساعدان المكتبة الوطنية على إجادة المواد المراد إعارتها بينياً والقيام بدور

النقطة المركزية فى عملية الإعارة البينية. ولعله من نوافل القول إن المكتبة الوطنية النمساوية هى التى تعد وتحرر الببليوجرافية النمساوية بينما يقوم اتحاد الناشرين وباعة الكتب النمساويين بنشرها.

٩- كندا: تتفاوت صورة المكتبات فى كندا بتفاوت صورة الولايات والمقاطعات التى تتكون منها كندا؛ ذلك أن كل ولاية ومقاطعة مسئولة عن مكتباتها المدرسية الحكومية، والمكتبات الجامعية، ومكتبات المجالس التشريعية الإقليمية ومكتبات الإدارات الحكومية الإقليمية. وقد أدى هذا التفاوت بين المكتبات إلى تعاون وثيق فيما بينها بما فى ذلك الإعارة البينية، الاتصالات البعيدة، المشروعات الببليوجرافية المشتركة، تبادل المطبوعات وغير ذلك من مجالات التعاون.

وقد يسر التعاون والإعارة البينية وجود فهرس موحد قوى وكامل لدى المكتبة الوطنية الكندية يساعد على تحديد مكان وجود غالبية المواد المطلوبة من المكتبات الكندية كما تنشر المكتبة الوطنية الببليوجرافية الوطنية الكندية (كنديانا) التى تصدر شهرياً مع تركيم سنوى وبالإضافة إلى ذلك فإن المكتبة الوطنية تتمتع بالإيداع القانونى ومن ثم تعتبر مستودعاً كاملاً للإنتاج الفكرى الكندى المنشور فى الداخل والخارج أما المكتبة الوطنية للعلوم فإنها تعد «القائمة الموحدة بالدوريات العلمية فى المكتبات الكندية وهذه القائمة أداة أساسية تُكمل الفهرس الموحد الذى تعده المكتبة الوطنية الكندية سابق الذكر.

وينص «قانون الإعارة البينية» الصادر سنة ١٩٦٩ والذى تبناه اتحاد المكتبات الكندية الناطقة بالفرنسية على أن المكتبات الراغبة فى الاستعارة تبدأ أولاً بمعرفة مكان وجود المواد المطلوبة من واقع الفهارس الموحدة فى منطقتها؛ وإذا لم يكن الكتاب موجوداً فى تلك المنطقة يمكن الاتصال بالفهرس الوطنى الموحد فى المكتبة الوطنية أو فى المكتبة الوطنية للعلوم. وقد تضمن القانون المذكور تفاصيل التعليمات الموجهة للأفراد المستفيدين من الإعارة البينية فى الأقاليم حيث توجد شبكات مكتبات متطورة فى الولايات والمقاطعات.

١٠- أستراليا: كما أسلفنا فى مقال سابق فى هذا المجلد شهدت المكتبات الأسترالية أزهى عصور تطورها منذ الحرب العالمية الثانية ففى الأربعينات من القرن العشرين تطورت المكتبات العامة وقامت شبكاتها فى كل الولايات الأسترالية مع وجود اختلافات واضحة بين كل ولاية وأخرى حيث انخرطت المكتبات العامة فى شبكات فى بعض الولايات، بينما فى ولايات أخرى تكون كل مكتبة مستقلة بذاتها. ورغم أن عمر الخدمة المكتبية العامة فى أستراليا لا يربو على نصف قرن إلا أن النظام هناك قد تطور كثيراً وغطى معظم الأستراليين بمظلته.

وتعتبر المكتبات الجامعية فى أستراليا من أقدم المكتبات هناك ولكنها أُهملت إلى حد كبير إلى وقت قريب، وحتى الستينات من القرن العشرين كانت الميزانيات محدودة ونتيجة لذلك بقيت المجموعات ضعيفة هزيلة كماً ونوعًا. ولكن يد العناية امتدت إليها ورصدت لها المخصصات المالية الكبيرة فانتُشِلَت من وهدتها ونمت نمواً كبيراً فى خلال ربع قرن ولذلك أصبحت قادرة على المشاركة فى حركة الإعارة البينية القائمة على قدم وساق الآن فى أستراليا بل ويعزى إليها نسبة ٤٠٪ من تلك العمليات.

لقد أشرت فى المقال السابق إلى النمو الكبير أيضا الذى لحق بالمكتبة الوطنية فى الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية. وإلى جانب نمو المجموعات فى المكتبة ساهمت المكتبة مساهمة فَعَّالة فى الضبط الببليوجرافى للإنتاج الفكرى الأسترالى من جهة ولمقتنيات المكتبات الأسترالية من جهة ثانية وذلك عن طريق المجلس الاستشارى للخدمات الببليوجرافية وتتوفر المكتبة اليوم على إصدار الببليوجرافية الوطنية الأسترالية» التى تعد امتداداً للفهرس السنوى للمطبوعات الأسترالية الذى بدأ سنة ١٩٣٦، «المطبوعات الحكومية الأسترالية» وفى سنة ١٩٦٠ بدأت المكتبة فى إصدار «الفهرس الوطنى الموحد للكتب» وبعد ميكنة هذا الفهرس وانتشار الشبكات فى أستراليا غدا من السهل تحديد مكان أى كتاب فى جميع أنحاء أستراليا مما دفع عملية الإعارة قُدماً إلى الأمام ولعله من نوافل القول أن نذكر أنه بفضل الببليوجرافية الوطنية الأسترالية، والفهرس الوطنى الموحد وشبكات المكتبات العامة والجامعية هناك

أصبح للإعارة البينية مكانة عالية فى الخدمة المكتبية فى أستراليا رغم اعترافنا بأنه لم تصل بعد إلى مستوى نظيراتها فى بلدان أوروبا وخاصة المملكة المتحدة.

١١- **نيوزيلندة**: تتم مركزة عمليات الإعارة البينية فى نيوزيلندة فى المكتبة الوطنية حيث يقوم القسم المركزى بالمكتبة بدور مكتب التخليص والتنسيق لطلبات الإعارة البينية حيث تراجع تلك الطلبات على الفهرس الموحد بالمكتبة (الفهرس الوطنى الموحد) وعلى فهارس كبرى المكتبات الأخرى. ومن هنا تقوم المكتبة الوطنية فى نيوزيلندة بدور مزدوج دور المكتبة المعيرة ودور المكتبة التحويلية.

ويجمل بنا أن نذكر هنا أن المكتبة الوطنية تقدم إعارات مجانية للمكتبات العامة هناك على فترات محددة وأسس ثابتة من خلال قسم الخدمة المكتبية؛ كما تقدم معلومات موضوعية من خلال «إدارة الطلبات والمعلومات» أى ما يعرف عندنا بإدارة المراجع.

ولقد قامت هذه المكتبة إلى جانب الفهرس الوطنى الموحد الذى يربو الآن على مليون ونصف المليون من الداخل، بإصدار «الببليوجرافية الوطنية النيوزيلندية» سواء الجارية أو الراجعة مما يعد سنداً لنظام الإعارة البينية.

١٢- **اليابان**: ربما كانت المكتبات اليابانية أكثر المكتبات الآسيوية تطوراً رغم أنها قياساً تعتبر متخلفة بالمقاييس الأوروبية وكما هو معروف فإن المكتبة الوطنية اليابانية قد أُسِسَت سنة ١٩٤٨ ومنذ تأسيسها وهى تؤدى دوراً فعالاً فى عمليات الإعارة البينية سواء على المستوى الوطنى أو المستوى العالمى. ومنذ ١٩٦٠م ومكتبة الدايت تسهم مساهمة كبرى فى الإعارة البينية على المستوى الدولى طبقاً للأسس والمعايير التى وضعها الاتحاد الدولى لجميعات المكتبات ومؤسساتها وقد أتاحت مكتبة الدايت مجموعاتها لكل المكتبات اليابانية من خلال نظام قوى للإعارة البينية هناك. وتقوم المكتبة إلى جانب ذلك بدور المحور المركزى فى إجادة المصادر الأجنبية من خلال «الفهرس الوطنى الموحد للكتب الأجنبية» الذى أنشأته المكتبة وتديره منذ ١٩٤٩ ومن جهة ثانية تنشر المكتبة المطبوع السنوى الببليوجرافى «الفهرس الموحد للكتب الأجنبية التى تقتنيها ٤٩ مكتبة فى اليابان».

وتتمتع مكتبة الدايت بالإيداع القانونى مما يمكنها من الحصول على كل الكتب المنشورة فى اليابان؛ ومن ثم تتمكن من إعداد «الببليوجرافية الوطنية اليابانية» منذ قيام المكتبة سنة ١٩٤٨ هذه المطبوعات وغيرها من الببليوجرافيات والقوائم الموحدة التى تنشرها المكتبة مكنت المكتبة من القيام بدور محورى فى عملية الضبط الببليوجرافى للإنتاج الفكرى اليابانى.

والجامعات اليابانية التى يبلغ عددها ٤٠٠ جامعة تقريبا لها مكتبات مركزية ضعيفة ومكتبات كليات قوية. ولهذا السبب فليس لدى المكتبات الجامعية فهارس موحدة قوية تكشف عما يوجد فى تلك الجامعات؛ وربما تساعد المشابكة التى بدأت تشق طريقها إلى الجامعات ومكتبات الجامعات اليابانية على تغطية كل المقتنيات فى فهرس واحد.

وتنخرط المكتبات العامة فى اليابان على شكل شبكات إقليمية ولكن خدماتها الرئيسية موجهة أساساً للمدن الكبيرة؛ وإن غدا هناك اتجاه نحو الانطلاق صوب المدن الصغيرة والقرى كل فى منطقته.

إن اليابان والمكتبات اليابانية تملك جميع مقومات الإعارة البينية الناجحة من أدوات الضبط الببليوجرافى المطلب والمقيد؛ والمجموعات القوية والعقلية التنظيمية والإدارة الجيدة.

١٣- كوريا: مشكلة كوريا أنها تملك جميع مقومات الإعارة البينية الناجحة والبدايات الصحيحة فيها فيما عدا مجموعات الكتب فى المكتبات، فالمقتنيات صغيرة نسبيا وربما كانت مكررة بشدة بين المكتبات المختلفة.

لقد أصبحت المكتبة الوطنية المركزية الكورية مكتبة إيداع طبقا لقانون المكتبات الصادر سنة ١٩٦٣ ومن هنا أصبحت تجمع كل الإنتاج الفكرى الكورى؛ وغدت قادرة على إصدار «الببليوجرافية الوطنية الكورية» وإلى جانب ذلك أصدرت المكتبة ببليوجرافية راجعة تغطى السنوات ١٩٤٥-١٩٦٢. وفى نهاية السبعينات بدأت المكتبة فى اتخاذ خطوات إيجابية لإعداد فهرس موحد بكل الكتب فى المكتبات الكورية.

بدأت فى كوريا مع مطلع الثمانينات من القرن العشرين خطة وطنية لتطوير نظم المكتبات العامة بحيث تتدرج هرمياً من المكتبة الوطنية المركزية إلى الولايات والمدن والقرى، والتنفيذ يتم ببطء ولم يغط كل أرجاء الدولة حتى كتابة هذه السطور بسبب الافتقار إلى التشريعات.

وكل مكتبات الكليات والجامعات لديها فهارس بطاقية أخذت بعضها فى تحويلها إلى فهارس آلية ولكن الأزمة الاقتصادية الطاحنة فى منتصف التسعينات من القرن العشرين أخرت عملية تطوير الفهارس؛ بل إن بعض المكتبات لم تستكمل فهارسها حتى الآن.

والمشكلة الطاحنة التى تواجه معظم المكتبات الجامعية القديمة وجود كميات كبيرة من الكتب المكتوبة بالخط اليابانى القديم الذى لم يعد معمولاً به.

هذه المشكلات وغيرها تجعل من الإعارة البينية مهمة صعبة أمام المكتبات الكورية فى الوقت الحاضر؛ وإن كانت هناك البدايات الضرورية لقيام نظام وطنى لتلك الإعارة البينية.

١٤- جنوب شرقى آسيا: تتشابه دول جنوب شرقى آسيا: فيتنام، الأوس، تايلاند، إندونيسيا، الفلبين، ماليزيا، سنغافورة فى أنها جميعا تفتقر إلى نظام مكتبى وطنى شامل على رأسه جهاز يدعم ويخطط وينسق ويضع المعايير وتفتقر تلك الدول إلى المكتبات الوطنية التى إن وجدت فهى ضعيفة أو توجد اسماً فقط؛ كما تفتقر تلك الدول إلى الخدمات الببليوجرافية الوطنية وعلى رأسها الفهارس الموحدة والببليوجرافيات الوطنية.

إن كثيراً من تلك الدول يدرك الحاجة الملحة إلى شبكة مكتبات منظمة تغطى الدولة كلها والقطاعات المكتبية المختلفة، بيد أنها تفتقر إلى المال والمجموعات والموظفين المؤهلين القادرين حتى على تنفيذ الأساسيات فى الخدمة المكتبية. وليس لنا والحال هكذا أن نبحث أو نفكر فى إعارة بينية بالمعنى المفهوم؛ كل ما هناك محاولات فردية عشوائية تتم بصفة شخصية ولا تعتمد على أدوات ببليوجرافية حيث لا توجد أساساً.

١٥- منطقة الشرق الأوسط: تتمتع دول شرق أوسطية مثل مصر، باكستان، إيران، الهند، المملكة العربية السعودية، وغيرها بنظم مكتبية متطورة، أكثر تطوراً من الدول الآسيوية ودول أمريكا اللاتينية فالغالبية العظمى من دول الشرق الأوسط لديها مكتبات وطنية متقدمة تصدر الببليوجرافيات الوطنية من واقع مجموعات الإيداع الذى تتمتع به. ولكن للأسف كل الدول الشرق الأوسطية ليس لديها فهارس وطنية موحدة من أى نوع، تلك الأداة الأساسية لقيام نظام الإعارة البينية ونستطيع مطمئنين القول بأنه لا توجد دولة واحدة فى الشرق الأوسط لديها خطة وطنية لإدماج كل المكتبات الكبرى فى نظام وطنى للإعارة البينية، وفى بعض الدول تتداخل عمليات الإعارة البينية بينما لا توجد أيضا فى مناطق أخرى.

والحقيقة أن المرء كان يشعر بالفخر لما تقوم به دار الكتب المصرية طوال النصف الأول من القرن العشرين وربما حتى سنة ١٩٦٥ من النصف الثامن من القرن، من عمليات التنسيق والقيادة والإعارة البينية محلياً وعربياً وعالمياً؛ إلا أنها انهارت بعد سنة ١٩٧١ انهياراً تاماً وذلك بعد ضم دار النشر إليها وظهور المسخ المسمى «الهيئة المصرية العامة للكتاب»؛ وبعد عملية الفصل مرة ثانية فى منتصف التسعينات من القرن العشرين لم يتحسن الوضع كثيراً عما كان عليه. نعم إن فى مصر بذور الإعارة البينية ولكنها تتم الآن خبط المشوار وبشكل اعتباطى شخصى؟؟. ليس فى مصر فهرس وطنى موحد وإن كانت دار الكتب المصرية لديها فهرس موحد بمقتنيات المكتبات الفرعية، إلا أنه ران عليه الإهمال والفساد بعد سنة ١٩٧٠ ثم تبدد شذر مذر إن «النشرة المصرية للمطبوعات» هى عمل عظيم بكل تأكيد ولكنها لا تحدد أين يوجد كتابٌ ما خارج دار الكتب المصرية.

لقد خطت باكستان خطوات عظيمة فى مدارج الإعارة البينية فإلى جانب المكتبة الوطنية هناك المركز الوطنى للتوثيق العلمى والمكتبات الجامعية وإن لم تخط الخطوات المماثلة فى مجال المكتبات العامة وتقوم المكتبة الوطنية بدور النقطة المحورية فى الإعارة البينية لكل الدولة. وينشر المركز الببليوجرافى الوطنى «الببليوجرافية الوطنية الباكستانية» منذ ١٩٦٥ وهى الجانب الجارى، بينما مركز الكتاب الوطنى نشر

«الببليوجرافية الراجعة لـ باكستان» فى عشرة مجلدات سنة ١٩٦٩ وقد لعبت هاتان الأداتان دوراً هاماً فى الإعارة البينية فى باكستان.

وفى إيران أثرت الظروف السياسية والاجتماعية فى مسيرة المكتبات هناك على نحو ما بسطناه فى دراستنا عن المكتبات فى إيران فى هذه الدائرة؛ إلا أن العقد الأخير من القرن العشرين قد شهد انفراجة فى الحركة المكتبية هناك ورغم اليقظة المكتبية إلا أن الدولة ماتزال تفتقر إلى خطة وطنية لبسط المكتبات وتوسيع نطاقها والربط فيما بينها. والمكتبة الوطنية الإيرانية التى تقوم بالدور المحورى فى الإعارة البينية داخلياً وخارجياً، فقيرة فى مجموعاتها وفى أدواتها والعاملين بها ومع ذلك تجاهد فى سبيل نشر «الببليوجرافية الوطنية الإيرانية» كما ينشر المركز الإيرانى للتوثيق «دليل الدوريات الإيرانية» وغيره من الأدوات الببليوجرافية النافعة.

فى الهند تتنوع صورة الحركة المكتبية من ولاية إلى ولاية فى الولايات الأربع عشرة التى تتألف منها الهند. ولكنها عموما مشرقة وقد اقترضت الهند من البنك الدولى نصف مليار دولار لإنشاء نظام وطنى للمعلومات هناك فى منتصف التسعينات وتقوم المكتبة الوطنية فى كلكتا بدور مركز تنسيق وتخطيط وتنفيذ الإعارة البينية سواء الوطنية أو الدولية، وفى مبنى هذه المكتبة يوجد المركز الببليجرافى الوطنى الهندى الذى ينشر: الببليوجرافية الوطنية الهندية منذ عام ١٩٥٧، وقد توفرت المكتبة الوطنية على نشر العديد من الببليوجرافيات الراجعة والموضوعية وخاصة حول «علم الهنديات».

وفى دول الخليج العربى شهدت العشرون سنة الماضية نهضة مكتبية شاملة فى كل تلك الدول وإن جاءت بدرجات متفاوتة وهناك اليوم تعاون وثيق ليس بين المكتبات فى الدولة الواحدة وإنما على مستوى دول مجلس التعاون لدول الخليج، وقد حظيت الإعارة البينية باهتمام بالغ ضمن إطار التعاون والتنسيق بين المكتبات الخليجية وحيث توجد شبكات معلومات ومكتبات واتصالات وأدوات ضبط ببليوجرافى تساعد على القيام بعمليات الإعارة البينية وتؤمنها.

١٦- **جنوب أفريقيا:** تعتبر المكتبة الوطنية لجنوب أفريقيا محور الإعارة البينية فى تلك الجمهورية نظراً لوجود «الفهرس المشترك للكتب فى مكتبات أفريقيا» الذى أعدته المكتبة وأدارته منذ ١٩٤١ ورغم اعترافنا بأنه لم يصل حتى الآن إلى مرتبة التغطية الوطنية الشاملة إلا أن محاولات استكماله قائمة اليوم على قدم وساق.

وتقوم المكتبة الوطنية هنا بدور مزدوج وأعنى كمكتبة إحالة (تحويل)؛ وكمكتبة إعارة ونظراً للظروف السياسية التى مرت بها البلاد فقد تخلفت وسائل الاتصال فى المكتبات إلى حد كبير فهناك مكتبات ماتزال تقتصر على استعمال التليفون ومكتبات تستعمل التلكس ومكتبات تستعمل الفاكس وأخرى متقدمة تستعمل الحاسبات والإنترنت ومن ثم يستخدم الوسيلة الموجودة للاستفسار عن توافر الكتاب فى أى مكان ويرسل فى طلب الكتاب بعد ذلك مباشرة ويرسل الكتاب بالبريد إذا كان موجودا فى المكتبة الوطنية أو يحول الطلب إلى مكتبات أخرى.

وبالإضافة إلى دورها كمكتبة وطنية تقوم المكتبة الوطنية بدور هام فى الإعارة البينية وإصدار «البيليوجرافية الوطنية لجنوب أفريقيا» التى تغطى جميع المطبوعات الصادرة هناك منذ عام ١٩٥٨؛ كما أصدرت «البيليوجرافية الوطنية الراجعة لجنوب أفريقيا» وتغطى الفترة من ١٩٢٦-١٩٥٨.

ورغم أنه يوجد فى جنوب أفريقيا مكتبات عامة إقليمية كبيرة وكثير من المكتبات الجامعية أيضا فى الأقاليم فإن المكتبة الوطنية هى محور الإعارة البينية فى البلاد وذلك بفضل ما تملكه من أدوات الضبط الببليوجرافى وعلى رأسها «الفهرس المشترك لمكتبات جنوب أفريقيا» المشار إليه والذى يمكنها من تنفيذ ٩٠٪ من طلبات الإعارة البينية فى الداخل والخارج.

١٧- **أمريكا اللاتينية:** تدخل دول أمريكا اللاتينية ودول الكاريبى فى عداد الدول النامية وليس فيها شبكات مكتبات متقدمة ولا حركة مكتبية ناهضة ولا خدمات ببليوجرافية ذات أهمية تذكر ورغم أن كل دولة فى المنطقة لها مشاكلها المكتبية التى تختلف عن الدول الأخرى إلا أن هناك خطوطاً مشتركة فيما بينها وخاصة فيما يتعلق

بالإعارة البينية؛ فليس من بين تلك الدول ما لديه شبكة مكتبات أو معلومات بأى قدر من التطور تستطيع تقديم خدمة إعارة بينية مرضية.

ومع اعترافنا بوجود مكتبات وطنية فى كل دول أمريكا اللاتينية، ومعظم دول بحر الكاريبى وأن هذه المكتبات تملك أضخم المجموعات فى بلدها؛ إلا أن عدم وجود فهارس كاملة شاملة وأدلة بالمكتبات الموجودة فى الدولة يعوق حتما تطوير عملية الإعارة البينية والمكتبات الجامعية الموجودة فى تلك الدول تتألف أساساً من مكتبات كليات منتشرة فى أرجاء الحرم الجامعى ولا يجمعها فهرس موحد حتى داخل الجامعة الواحدة. وهذا الوضع ليس له سوى معنى واحد هو أن عملية الإعارة البينية لا يمكن أن تتم لا داخل الجامعة ولا خارجها لا وطنياً ولا دولياً.

وشبكة المكتبات العامة لا وجود لها اللهم إلا مكتبات فردية فى المناطق الحضرية؛ بينما الريف هو الآخر مهمل تماما وليست هناك خطة قومية عامة لإنشاء هذا النوع من المكتبات ومن ثم فليس ثمة أمل فى أن تقوم بدور له قيمة فى تنمية عمليات الإعارة البينية.

ونحن نعلم أن كثيراً من بلدان تلك المناطق لديه ببليوجرافية وطنية ولكن إصداراتها تتأخر كثيراً عن حد الإقفال كما أن التغطية لا تكون غالبا شاملة ولعل الافتقار إلى الفهارس الجيدة فى المكتبات هو الذى يعوق أساساً إعداد فهرس وطنى موحد شامل سواء على المستوى الإقليمى أو المستوى الوطنى.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة الكتب. والمكتبات فى العصر الحديث.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Association of Research Libraries. A Study of the Characteristics, Costs and Maguitude of Interlibrary Loans in Academic Libraries.- Westport : Greenwood, 1972.

3- Becker, Joseph et alt. (edts). Proceedings of the Conference on interlibrary Communication and Information Networks: September 28

October 2, 1970. Chicago: American Library Association, 1971.

4- King, Geraldin and Herbert F.Johnson. Interlibrary Loan (ILL)._in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York: Marcel Dekker, 1974. vol. 12.

5- New Zealand Library Association. Interloan : Rules and General Guide to Interloan Practice._ 2 nd preliminary ed._ willington, 1968.

6- Paulssen, Egon. Interlibrary Loans in Sweden._in._ Scandinavian public Library Ouarterly._ vol.1, no.4, 1968.

7- Ping, Vern M.Interlibrary Loans: A Review of the Literature 1876-1965._ Detroit : Wayne State University - School of Medicine Library, 1966.

8- Thomson, Sara K. Interlibrary Loan Procedure Manual._ Chicago: A.L.A, 1970.

9- Tveteras, Harald L.International Loans._in._ UNESCO Bulletin for Libraries._ vol. 19, no 6, November - December, 1965.

اعتماد تعليم المكتبات
Accreditation of Library Education

أنظر

تعليم المكتبات

Library Education

أعظم الكتب، برنامج
Great Books Programme

أنظر

برنامج أعظم الكتب

Programme of Great Books

الأعمال مجهولة المؤلف وذات الأسماء المستعارة

Anonymous and pseudonymous Works

عبر التاريخ الفكرى للبشرية سعى كثير من المؤلفين والكُتَّاب إلى إخفاء شخصيتهم الحقيقية واسمهم الفعلى وذلك إما بنشر أعمالهم مجهلة غفلا من أسمائهم أو اتخاذ أسماء غير أسمائهم التى حملوها منذ ولادتهم وقد تكون تلك الأسماء أسماء بشرية أو صفات أو عبارات متخذة وربما تكون حروفاً بالترتيب الطبيعى لعناصر الاسم أو مقلوبة الترتيب؛ وقد تكون رموزاً وأشكالاً كالصليب المعقوف أو الصليب العادى. وهناك العديد من الدوافع التى تدفع المؤلفين إلى هذا السلوك لعل أهمها وأخطرها العوامل السياسية حينما يكون الكاتب ضد السلطة أو معها، ومن بين الدوافع أيضا العوامل الاجتماعية والعوامل الدينية والعوامل النفسية.

ومن المضحك حقيقة أن يستخدم الكاتب اسمه الحقيقى مقروناً فى نفس الكتب باسم مستعار أو عبارة متخذة. ومن المؤكد أن مثل هذه الأعمال الفكرية قد تسببت فى كثير من المتاعب والمشاكل للمفهرسين والببليوجرافيين. ومن الطريف أن الببليوجرافيين لم يتنبهوا لمثل تلك الأعمال إلا فى مرحلة متأخرة من التاريخ الببليوجرافى حين بدأت عمليات التحقق المنهجى لحقيقة المؤلفين ذوى الأسماء المُشكَّلة ولقد كانت هناك استثناءات فى العصور القديمة لتحقيق أسماء المؤلفين ومنها على سبيل المثال ما جرى للتحقق من شخصية هوميروس وآيسوب فى اليونان القديم ولكن لم تكن هناك عملية تركيم مبكرة لمعلومات التحقيق والتدقيق الخاصة بنسبة العمل إلى صاحبه لاستخدامها كوسيلة للضبط الببليوجرافى فى عصور لاحقة.

ويقودنا البحث فى الأعمال مجهولة المؤلف والأعمال ذات الأسماء المستعارة إلى بداية الخيط التاريخى الرفيع فى العصر الرومانى حيث كان يتم هناك تحقيق فى الأسماء المستعارة والأسماء المتماثلة فقد كان من الضرورى فى روما القديمة التمييز بين الأسماء المتماثلة (السمِّية) والتفريق بين المؤلفين الذين يحملون نفس الاسم مثل بلينى، سينيكا وذلك حتى تصح نسبة الأعمال الفكرية. والاسم المشترك بين

شخصين أو أكثر يسمى الاسم المتماثل ولقد أربكت هذه الأسماء الباحثين عبر العصور كلها.

وقد بذلك جهود كبيرة للتعامل الصحى مع تلك الأسماء وتدقيقها وقد تراوحت تلك الجهود بين مجرد ملاحظات سريعة فى القرون الأولى للأدب الكلاسيكى والبحث العلمى المتأنى حول تلك القضية والذى نصادفه اليوم فى دوائر المعارف والفهارس والببليوجرافيات. وباستثناء مشكلة الأسماء المتماثلة فلم يُعْنَ الباحثون بدراسة الأسماء كغاية فى حد ذاتها قبل عصر النهضة ففى خلال القرن السادس عشر أخذ كثير من باحثى ذلك القرن فى تبنى أسماء لاتينية ويونانية مما أحدث بلبلة وخلطاً كبيرين بين المؤلفين من العصرين ومن ذلك الوقت بُذِلَت جهود مضنية من حين لآخر لجمع قوائم بأسماء المؤلفين المتلتنين والمتأغريق والمتهللنين. ولم تبذل جهود تذكر فى سبيل حصر وتسجيل ووصف الأعمال مجهولة المؤلف أو الحاملة لأسماء مستعارة.

ومع انتشار المسيحية وازدياد رقعة معتنقيها شرقًا وغربًا أخذ اللاهوتيون فى تأكيد قيمة «الكلمة» وأن سلطتهم مستمدة من «النص» وليس التقاليد الرسولية للكنيسة ولقد قاموا بالفعل بفحص كل الكتب المقدسة وكل كتابات آباء الكنيسة بعين فاحصة مدققة باحثاً عن حجة ومصداقية كل معلومة فيها. وعلى يد حراس الكلمة هؤلاء نشأ علم «الانتحال والنحلة» ولقد بدأ هذا العلم بالأعمال الدينية التى نُسبت زورًا وبهتاناً إلى أشخاص لم يقولوا بها وكان هذا العلم يُعنى بالدرجة الأولى بتأكيد نسبة الأعمال التى حولها خلاف أو عدم نسبتها. وقد انتقل هذا العلم من الأعمال الدينية والأكاديمية إلى الأعمال المتحلة والمنحولة والأعمال المزورة والأعمال المفبركة. إن علم «الانتحال والنحلة» يغطى مساحة رائعة فى تاريخ الببليوجرافيا ولقد خرج من بطنه أولى قواعد النقد الفيلولوجى ونقد النصوص وتحقيقها ودراسات الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة. وتشتمل المعاجم الأولى الخاصة بتلك الأعمال على نتائج دراسات الانتحال والنحلة ولكن بعد ١٧٥٠م حيث تفرع علم الببليوجرافيا

وتخصص على أساس لغوى وموضوعى تم فصل دراسات النحلة والانتحال والأعمال ذات الأسماء المستعارة عن المجالات الببليوجرافية المتعلقة بالأعمال العلمانية.

ولقد أفاد طلاب دراسات الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة العلمانية من الدراسات التى تمت فى مجال علم «الانتحال والنحلة» المدينى. وكان مجال الفلسفة والأدب من أهم المجالات العلمانية التى أعدت فيها ببليوجرافيات ودراسات فى الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة وخرج الباحثون منها بنتائج ذات شأن كبير. ولعل أول معجم علمى دولى عن الأعمال المجهلة وذات الأعمال المستعارة هو ذلك العلم الذى أعده بلاكيوس بعنوان «المسرح» سنة ١٧٠٨م وقد عالج فيه مؤلفة الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة على أنها أعمال منحولة ومنتحلة. ومع الزيادة المستمرة فى أعداد الكتب المنشورة والببليوجرافيات التى تسعى إلى حصرها وتسجيلها ووصفها ووقوع العمل الببليوجرافى فى مجال باعة الكتب وأمناء المكتبات واستبعاده عن مجال علماء اللغة حلت المعاجم الببليوجرافية الوطنية محل المعاجم الدولية، واتضحت الحاجة إلى قوائم أعمال ذات أسماء مستعارة وأعمال مجهلة متخصصة ورجعت دراسات الانتحال والنحلة مرة ثانية إلى أحضان علم اللاهوت وأصبحت شغله الشاغل.

على مدار التاريخ قام العديد من المؤلفين بنشر أعمالهم غفلاً من أسمائهم أو تحت اسم زائف وفى نفس الوقت بذلت جهود كبيرة لاكتشاف المؤلف ونسبة الأعمال إلى من يظن أنهم أصحابها. ولقد وصلنا نماذج كثيرة من الشرق الأدنى القديم تحمل أسماء مستعارة بدلاً من الأسماء الحقيقية ولم يبذل جهد ببليوجرافى يذكر فى سبيل تحقيقها.

واستخدام الاسم المستعار يكشف عن نية مبيتة لإخفاء المؤلف الحقيقى للعمل. وكان المؤلف فى العصور الوسطى يعرف بعدة أسماء ولكن ليس لدينا قرينة ملموسة على أنه لجأ إلى هذا التعدد إخفاءً لشخصيته وهويته. وربما كانت تلك الأسماء المتعددة للمؤلف الواحد مسألة نفسية أو مظهرية لجأ إليها المؤلفون ولذلك لم يسع

البيليوجرافيون إلى حصرها ودراستها. ورغم تلك الظاهرة فقد وجدت فى العصور الوسطى «أسماء مستعارة» قُصِد من ورائها إخفاء طبيعة وهوية المؤلف. ومن بين تلك الأسماء «توما الإكوينى» و «جون هوس» ولسوء الحظ لم تصلنا قوائم بهؤلاء الذين استخدموا أسماء مستعارة وقد أفلت كثيرون من شبكة معاجم الأسماء المستعارة الباكرة. وربما كان ذلك جزئياً راجع إلى أن الأسماء المستعارة التى استخدمها هؤلاء الكُتّاب بطبيعتها لا تلفت النظر إلى سريتها. وإذا كانت العصور الوسطى قد شهدت نسبة صغيرة من الأسماء المستعارة إلا أن عصر النهضة قد شهد توسعاً فى الاستخدام العمدى للأسماء المستعارة بقصد إخفاء شخصية المؤلف الحقيقية مما أدى فى القرن السابع عشر إلى بذل جهد محمود ومنهجى فى الكشف عن هوية هؤلاء المؤلفين ونسبة أعمالهم.

ومن الطريف أن القرنين السادس عشر والسابع عشر فى أوروبا يشار إليهما على أنهما العصر الذهبى للأسماء المستعارة لدرجة أن بعض الثقاة ذهب إلى القول بأنه لم يكن هناك مؤلف فى تلك الفترة لم يستخدم اسمًا مستعارًا فى وقت من الأوقات من حياته وربما ظهر مصطلح «الاسم المستعار» لأول مرة من تلك الحقبة وإن كنا لا نعرف على وجه اليقين متى دخل إلى الاستخدام على وجه الدقة ومن كان أول من استخدمه وكيف انتشر.

وكما ألمحتُ سابقًا كان هناك العديد من الدوافع والأسباب الكامنة وراء استخدام المؤلفين للأسماء المستعارة أو نشر أعمالهم غفلاً من أسمائهم فقد كان من الإجراءات المألوفة فى القرن السابع عشر أن تتخذ الأكاديميات والجمعيات الأدبية أسماء حالمة تُعرَفُ بها وتُشد الناس إليها. وقد دعت اعتبارات عملية لسلامة الكاتب البدنية كثيرا من الكُتّاب الذين يكتبون فى الموضوعات اللاهوتية أو السياسية الجدلية أن يتخفوا ويتجنبوا إقحام أنفسهم فى متاهات لا يعرفون عواقبها. وكان بعض الأكاديميين لا يريدون أن يكشفوا عن تأليفهم للقصص البوليسى أو قصص الخرافات أو قصص الحب والجنس المثير للشهوات. وكان من المفهوم لماذا يخفى كُتّاب «الدعارات» أسماءهم فى تلك الحقبة. وبعض الكُتّاب يحذف اسمه الحقيقى حتى يركز القارئ

انتباهه على الموضوع الذى يعالجه الكتاب بدلاً من تركيزه على شخصية المؤلف. ولقد كانت الجوانب القانونية فى مسألة الأسماء المستعارة مثار اهتمام كبير، ومن بين القضايا الشهيرة فى هذا الصدد قضية «كليمنس» ضد «بلفورو» و «كلارك» و «شركاهما» وتتعلق هذه القضية باستخدام الاسم المستعار أو العلامة التجارية لـ مارك توين فى الولايات المتحدة. وكانت تلك أول محاولة لحماية الحق المطلق فى الملكية الفكرية فى ظل قانون حماية العلامات التجارية. والقانون البريطانى لا يعترف بحماية «الاسم» وحده دون عمل فكرى أى دون ملكية فكرية، بينما القانون الفرنسى والقانون الألمانى يحمى الأسماء المستعارة ويحرم استخدام الاسم المستعار الذى يتخذه كاتب معين لدى كاتب آخر وإن الاسم المستخدم علنا هو فى حد ذاته ملكية فكرية واجبة الحماية.

لقد بدأت دراسة وجمع الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة بالفعل على يد «كونراد جزنر» (١٥١٦-١٥٦٥) أبى الببليوجرافيا الحديثة، إذ أدرج فى «المكتبة اللاهوتية» ١٥٤٩م أول ببليوجرافية مصنفة باللاهوتيين وأعمالهم وضمنها أول قائمة بالأعمال المستعارة والمجهلة وتوفر على تحقيقها تحقيقًا علميًا. فى هذه القائمة نجد ثبتًا هجائيًا بالأسماء ذات الحروف الأولى المؤلفة للتراتيل فى مجموعتين من التراتيل البروتستانتية ومع منتصف القرن السابع عشر أخذ كثير من الببليوجرافين والباحثين يتوفرون على دراسة وجمع قوائم مستفيضة بالأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة. وكان إعداد تلك القوائم التى قُصِد بها أن تستخدم للعمل المرجعى أساسًا قد غَيَّر مدخل دراسة الموضوع تغييراً أساسيًا. وفى سنة ١٧٤٠م نشر «مليوس» ببليوجرافيته الرائعة «مكتبة الأعمال المجهلة وذات الأسماء المستعارة» مما وضع نهاية لحقبة وبداية حقبة أخرى فى هذا المجال. ولم يبذل بعد هذا العمل مجهود يذكر باستثناء المعجم ذى الصبغة الدولية الذى أعده «إميل ويلكر» فى القرن التاسع عشر.

ومن حين لآخر تظهر قوائم بالأسماء السرية فى بعض الأماكن وخاصة فى قوائم مزادات الكتب وفهارس المكتبات وقوائم العناوين العامة فى الكتب المرجعية. وبعدما توقف الباحثون بالتدريج عن إعداد قوائم ومعاجم الأعمال المستعارة والمجهلة، استأنف

المكتبيون وباعة الكتب هذا العمل. ومن الملاحظ أن المكتبيين الذين أقبلوا على إعداد تلك الببليوجرافيات انصبت جهودهم على المؤلفين المعاصرين لهم بالدرجة الأولى.

وخير مثال على ذلك العمل الذى قام به «جوهان إيرش» (١٧٦٦-١٨٢٨) الذى خلف «ميليوس» أمينا لمكتبة جينا فقد أعد إيرش ببليوجرافية إضافية بالإنتاج الفكرى الفرنسى نجح فى نسبة عدد كبير من المفردات المجهلة إلى مؤلفيها الحقيقيين وقام إيرش أيضا بإعداد معجم ببليوجرافى آخر بالكتب ذات الأسماء السرية. وتمثل أعمال إيرش تحولاً كاملاً عن الاتجاه الذى بدأه «بلاكيوس» والمدخل العلمى الذى كان يمثله. إن بداية الخروج على التقليد الذى أرساه بلاكيوس وظهور المعاجم الوطنية فى هذا الصدد يجب أن نلحظها فى الحدود التى وضعها ميليوس فى عمله واقتصاره على المؤلفات الفرنسية والألمانية واللاتينية.

ونستطيع أن نتلمس جذور القواميس الببليوجرافية الفرنيسة الخاصة بالأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة فى قوائم تجار الكتب والقوائم المعاصرة للأعمال المنشورة. وعلى الرغم من أن العناوين الخاصة بالأعمال المجهلة وذات الأسماء المستعارة كانت نادراً ما تعزل على حدة إلا أنها كانت عادة ما تعطى اهتمامًا خاصاً فى التحقيق والتدقيق. وفى القوائم الجارية الخاصة بالكتب المطبوعة خلال سنة ما كانت الأعمال المجهلة تعزل على حدة لراحة المستفيدين وتجار الكتب.

ولقد خلق هذا الإجراء حاجة ماسة إلى معجم فرنسى للأعمال المجهلة، ونتيجة لذلك نجد عدداً كبيراً من ببليوجرافيات الأعمال السرية تعطى اهتماماً خاصًا للأعمال المجهلة فى مجلدات منفصلة ومن بين تلك الببليوجرافيات نجد الملحق الذى أعده «ج.ف. نيى دى لاروشيل» على الببليوجرافيا المشروحة التى أعدها «ديبير» (١٧٦٣-١٧٦٨)؛ وكذلك العمل الذى قام به آبى. دوكلوس بعنوان «المعجم الببليوجرافى» ١٧٩٠م، وفهرس مكتبة ماتيوس ليستونسون الذى أعده ونشره سنة ١٧٩٨ فى مدينة الهاج تاجر الكتب.

وخلال القرن التاسع عشر استمرت رغبة باعة الكتب فى إعداد الببليوجرافيات

خاصة بالأعمال المجهلة وذات الأسماء المستعارة. وعندما بدأ أمناء المكتبات فى إعادة فهرسة مجموعاتهم وجدوا أن قوائم الكتب السرية غير كافية وأصبحت مشكلتهم فى فهرسة الأعمال المجهلة وذات الأسماء المستعارة أكثر حدة. وقد بدأت جهود المكتبيين فى هذا الصدد منذ ذلك التاريخ حيث أخذوا فى مواجهة صعوبات فهرسة مثل تلك الأعمال.

ومع تطور علم المكتبات الحديث فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى إنجلترا والولايات المتحدة على وجه الخصوص نال هذا الموضوع قسطًا كبيراً من الاهتمام.

وخلاصة القول أنه خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر أدت دراسة الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة إلى ضرورة وجود قوائم منهجية بالأعمال السرية فى الكتابات المقدسة وكتابات آباء الكنيسة؛ وقد أدى ذلك بدوره إلى تشجيع دراسة ذلك النوع من الإنتاج الفكرى فى الأدب العلمانى، كما أدى إلى تطور فهارس المكتبات وحفز المكتبيين على مواكبة مشكلات الأعمال مجهولة التأليف والأعمال ذات الأسماء المستعارة. ولقد قام باعة الكتب الفرنسيون والمكتبيون فى القرن الثامن عشر بحل العديد من المشَكلات المتعلقة بقوائمهم وفهارسهم مما دفع المكتبات فى القرن التاسع عشر إلى اقتحام مشاكل فهرسة الأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة.

ومن الصعب فى هذه العجالة حصر كل الدراسات المتعلقة بموضوع الأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة حتى نهاية القرن التاسع عشر ولكن لابد لنا من أن نلاحظ ظهور معاجم ببليوجرافية وطنية وببليوجرافيات متخصصة فى الموضوع وكانت جميعها موجهة لخدمة المكتبيين وباعة الكتب وليس للباحثين والعلماء.

إن الفرق بين اسم الدلع والاسم المستعار إنما يتأتى من كيفية حمل كل منهما؛ ففى حالة اسم الدلع نجد أنه يُمنح لحامله أى يُعطى له من قبل الآخرين بينما الاسم المستعار يختاره الكاتب لنفسه حتى يخفى به شخصيته واسمه الحقيقى. وسوف نجد

أن أدلة أسماء الدلع الأمريكية والإنجليزية قد تتضمن أسماء مستعارة بينما نادراً ما نجد هذا الخلط فى دول أخرى. وهناك العديد من الأدوات المرجعية فى موضوعات متخصصة توفر على إعدادها إخصائيون وخبراء، مما يمكن الاستعانة بها فى التعرف على الأسماء المستعارة وتحقيق الأعمال المجهلة.

ومن بين المشاكل الأخرى المتعلقة بالأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة مشاكل العناوين المضطربة والمتداخلة والأسماء المزيفة للأشخاص ومكان وتاريخ النشر ومن الطبيعى أن يوجد تناظر بين الأسماء المختلفة للمؤلفين وبيانات النشر المذكورة. ومن الممكن أن يظهر العنوان الواحد تحت شكلين كما يمكن أن يحمل الكتاب الواحد عنوانين مختلفين أو ترجمتين فيما يشبه السِّمِى. وقد يحمل الكتاب اسمًا خياليًا للناشر أو تاريخياً أو مكاناً للنشر غير حقيقى وكلها تدخل فى باب «الاسم المستعار». والكتاب الذى لا يحمل تاريخ أو مكان نشر أو اسم الناشر يشبه «العمل المجهَّل» والانتحال يدخل فى باب السرقة.

والأعمال التى تنشر تحت أكثر من عنوان والترجمات ذات العناوين المختلفة فى اللغة الواحدة للعمل الواحد تتسبب هى الأخرى فى مشاكل لا حد لها. إن مشكلة العناوين المضطربة المتداخلة هى فى حقيقة الأمر مشكلة حادة فى اللغة الإنجليزية تعانى منها الولايات المتحدة وبريطانيا على وجه الخصوص حيث تستخدمان نفس اللغة فى نشر نفس الكتب فى نيويورك ولندن عناوين مختلفة أو غير ذات علاقة لنفس الكتاب.

إن موضوع الناشر الوهمى بدأ يستحوذ على الاهتمام العلمى فى القرن التاسع عشر، وكانت البداية هى دراسة الكتب التى لا تحمل اسم الناشر أو تاريخ النشر، كذلك فإن الأعمال التى تحمل مكانا وهميا أو مزورا للنشر قد عرفت منذ القرن السادس عشر وقد وقفنا على ثلاثة أنماط منها هى: اسم حقيقى لمكان ولكنه ليس المكان الفعلى للنشر؛ اسم مكان فعلى ولكن عنوان الناشر فيه ليس صحيحًا؛ اسم وهمى أو خيالى لمكان ليس له وجود فعلى البتة.

ومع التقدم الواضح لمهنة المكتبات، تقدمت عمليات الفهرسة والضبط الببليوجرافى لمقتنيات المكتبات ونشأ نظام البطاقة الموحدة الذى خرج من بطنه فهرس المؤلف والعنوان والموضوع والذى انتشر انتشاراً واضحاً فى النصف الأول من القرن العشرين ومازال حتى الآن وفى ظل الميكنة والاستخدام الآلى أحسن الإنجازات فى الضبط الببليوجرافى للمجموعات الكبيرة بالمكتبات فى جميع أنحاء العالم.

ولقد عبر الثقاة وفقهاء الفهارس عن أهمية وضرورة أن يعكس الفهرس جميع أعمال المؤلف الواحد فى مجموعات المكتبة تحت شكل واحد لاسم المؤلف ومن ثم فى مكان واحد داخل سياق ترتيب المداخل. وقد تطلب هذا المفهوم ضرورة الإجابة على العديد من الأسئلة المتعلقة بالأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة ومن تلك الأسئلة: من ألف هذا الكتاب؟ ما هى الأسماء التى استعملها المؤلف فى نسبة العمل إليه؟ ما هو اسمه الحقيقى، وهل استخدم المؤلف أكثر من اسم؟

ومن المقطوع به أن تقانين قواعد الفهرسة كانت واحدة من أدوات المكتبيين لضبط وحل المشكلات المتعلقة بالأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة وكانت قواعد المتحف البريطانى التى وضعها بانتزى سنة ١٨٤١م من أولى التقانين التى وضعت للضبط الببليوجرافى للمجموعات وقد أثرت تأثيراً واضحاً فى كافة تقانين الفهرسة التى تلت فى كثير من الدول وعلى رأسها التقنين الأنجلو أمريكى والذى بث روحه فى التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى.

ومن المعروف أن قواعد الفهرسة قد عرضت فى مؤتمر اتحاد المكتبات الأمريكية فى بفالو «نيويورك» سنة ١٨٨٣ ونشرت بعد ذلك فى «مجلة المكتبات» فى نفس السنة.

وفى سنة ١٨٩١م أعيد طباعة هذه القواعد فى الطبعة الثالثة من كتاب كتر الموسوم «قواعد الفهرس المصنف» وفى سنة ١٩٠٨م صدرت تلك القواعد منقحة بعنوان «قواعد اتحاد المكتبات الأمريكية للفهرس ومداخل المؤلف والعنوان».

واعتبرت الطبعة الأولى ولم تصدر الطبعة الثانية إلا فى سنة ١٩٤٩ وإن سبقتها طبعة تمهيدية أو تجريبية سنة ١٩٤١ تضمنت توسيعاً لقواعد ١٩٠٨ حتى تفى

بمتطلبات الفهرسة فئات خاصة من المواد مثل الأعمال الكلاسيكية المجهلة. وبعد نحو ثمانية عشر عاما من المراجعات والتنقيحات صدرت «**قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية**» سنة ١٩٦٧ وربما كانت تلك القواعد التى اشترك فيها اتحاد المكتبات الأمريكية؛ مكتبة الكونجرس، اتحاد المكتبات البريطانية، اتحاد المكتبات الكندية، هى أوسع وأشمل القواعد فى حينها وهى التى بنى عليها التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى الذى استوعب ٩٠٪ على الأقل من تلك القواعد ولم يضف عليها إلا لماما.

لقد تفاوتت التقانين المختلفة فى مدى معالجتها لقواعد وصف الأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة ولكن معظم تلك التقانين حتم وضع العمل تحت الاسم الحقيقى للمؤلف حين يُعرَف وقد اختلفت تلك التقانين فى صياغة القاعدة وفى تعريف المصطلح وتحديد مفهومه. ومن بين التقانين التى تطلبت وضع الأعمال ذات الأسماء المستعارة تحت الاسم الحقيقى للمؤلف على سبيل المثال: قواعد اتحاد المكتبات الأمريكية ١٩٠٨، قواعد كتر ١٩٠٤، قواعد مكتبة بودلى (اكسفورد) ١٩٣٣، قواعد مكتبة جامعة كمبردج ١٩٢٧، قواعد مكتبة الفاتيكان ١٩٣١. وكما أسلفت فى دراسة سابقة فى هذا المجلد (الأسماء كمداخل فى الفهارس) كرس التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى نوعا من التقديس والعبودية لصفحة العنوان وما يرد عليها ولذلك أحبط أى جهد لتقصى اسم المؤلف فى حالة الأعمال المُجهلة وتقصى الاسم الحقيقى للمؤلف فى حالة الأعمال ذات الأسماء المستعارة.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن قاعدة المتحف البريطانى الخاصة بالأسماء المستعارة تختلف عن القاعدة الموجودة فى التقانين المذكورة سابقًا، حيث تنص قواعد المتحف لسنة ١٩٢٧ على أنه «فى حالة ما إذا أخفى المؤلف هويته تحت اسم وصفى أو اسم زائف فإنه يستخدم إذا بدا كاسم طبيعى أو إذا تكون من كلمة واحدة أو من مركب يبدو كما لو كان كلمة واحدة أو مركب غير وصفى ويقصد به أن يكون مستعارًا أو كان الاسم الأول للمؤلف مصحوباً بنعت أو لقب. وفى غير تلك الحالات يعتبر تزايدًا وإطنابًا ويدخل العمل بعنوانه ويعتبر مجهلا. وفى حالة المؤلف

الذى يستخدم اسمًا مستعاراً واحدًا تدخل كل الكتب التى نشرت حاملة الاسم المستعار تحت ذلك الاسم حتى لو ظهر الاسم الحقيقى مع الاسم المستعار فى الكتاب وهذه الطريقة فى المدخل تؤدى حتما إلى تشتت أعمال المؤلف الواحد فى الفهرس إذا استخدم أكثر من اسم مستعار فى كتبه.

أما وجهة النظر الأمريكية كما وردت فى قواعد اتحاد المكتبات الأمريكية سنة ١٩٠٨ وفى الطبعة الثانية منها سنة ١٩٤٩ فإنها تفضل جمع كل أعمال المؤلف الواحد تحت شكل واحد رغم وجود عدة استثناءات وهكذا فإن الفهرس سوف يعرض جميع أعمال المؤلف الواحد تحت هذه الصيغة الواحدة وبلوغ هذا الهدف مسألة سهلة وتحقيقها مضمون فى ظل الفهارس الآلية على النحو الذى كانت عليه فى الفهارس البطاقية على العكس مما كان يحدث فى الفهارس المطبوعة عندما يطبع المدخل يكون من الصعب تغييره.

إذا تركنا التقانين واتجهنا صوب كتب الفهرسة لوجدنا فيها تفاوتًا كبيراً فى كمية المعلومات الخاصة بالأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة فهناك وجهات نظر مختلفة وهناك ممارسات وتجارب مكتبات عديدة كبيرة وصغيرة على السواء، ففى كتاب فيلو: **قواعد الفهرسة** سنة ١٩٢٢ على سبيل المثال يقول المؤلف بأن القاعدة العامة لاختيار المدخل تنص على اختيار أحسن صيغة لاسم المؤلف سواء كان الاسم المستعار أو الاسم الحقيقى.

ومهما يكن من أمر فإن القراءة المتأنية الواعية لمجموع التقانين والأدلة التى عالجت قضية مداخل الأعمال المجهلة وذات الأسماء المستعارة؛ والشروح والتفسيرات التى تدور حول تلك القواعد، تخرج باتجاه عام إلى ضرورة أن يكون المدخل منسقًا موحدًا ونافعًا ورغم أن البطاقات المطبوعة لمكتبة الكونجرس ومن بعدها أشرطة مارك قد بسطت المشكلة فى العديد من المكتبات المتعاملة مع تلك البطاقات والأشرطة إلا أن الصعوبات والمشاكل مازالت مستمرة حتى الآن بسبب اختلاف القواعد فى التقانين المعيارية وسلبية التقنين الدولى للوصف الببليوجرافى والاستثناءات الكثيرة التى تمارسها المكتبات عند الفهرسة الفعلية.

نتيجة لهذا الموقف تظل هناك عدة أسئلة دون إجابات، وعلى رأسها السؤال الأكاديمى على أى أساس أو فى ظل أى إطار فكرى تم وضع قاعدة معينة؟ وإلى أى مدى يجب أن تستخدم تلك القاعدة؟ وهل تطبق نفس القواعد على الفهارس التى تتفاوت فى أهدافها وأحجامها وأشكالها؟

لقد تم تناول مشاكل الأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة باستفاضة قبل الاتفاق على القواعد الواردة فى قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية لسنة ١٩٦٧. وفى المؤتمر الدولى للفهرسة الذى عقد فى باريس سنة ١٩٦١ قدمت بحوث عديدة حول مداخل الأعمال ذات الأسماء المستعارة والأعمال المجهلة واختيار مداخل المؤلفين الذين تختلف أسماؤهم.

وفى التقنين الأنجلو أمريكى تدور قواعد الأعمال المجهلة والأعمال ذات الأسماء المستعارة فى نفس الخط العام للتقنين نفسه: يكون المدخل تحت الاسم الأكثر شيوعًا واستخدامًا. وبالنسبة للعمل المجهل أو غير اليقينى المسئولية يكون المدخل بعنوان العمل. وفى حالة الأعمال ذات الأسماء المستعارة: إذا ما نشرت جميع أعمال المؤلف تحت اسم مستعار واحد كان المدخل به؛ أما إذا نشرت أعمال المؤلف تحت عدة أسماء مستعارة أو تحت اسم مستعار واحد أو أكثر و الاسم الحقيقى كان المدخل تحت الاسم الأكثر ترددًا فى تلك الأعمال. وفى حالة الشك يستخدم الاسم الحقيقى كمدخل.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات .-ط٣.- القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٨. ٢مج.

2- American Library Association and Other. Anglo- American Cataloging Rules : Nonth American Text.- Chicago : A.L.A, 1967.

3- Taylor, A.and F.J. Mosher. The Bibliographical History Anonyma and Pseudonyma.- Chicago : University of Chicago press, 1951.

4- Terry, M.C.Study of English and American Pseudonym from the Point of View of Cataloging.- MS Thesis is Columbia University, New York, 1938.

أفريقيا، المكتبات فى

Africa, Libraries in

أنظر أيضا كل دولة أفريقية تحت اسمها المباشر

مقدمة عامة

تعتبر أفريقيا ثانى أكبر قارات العالم مساحة بعد آسيا حيث تبلغ مساحتها الكلية ثلاثين مليون كليومتر مربع (٢٩,٩٥٢,٠٠٠كم٢) أى ما يعادل ٢٢,٤٪ من مساحة الكرة الأرضية باستثناء القارة المتجمدة الشمالية أنتاركتيا. وهى أكثر قارات العالم استوائية وهى منفرجة الساقين على خط الاستواء وتمتد إلى شماله بمسافة قريبة ٤١٥٠كم وإلى جنوبه ٣٨٦٠كم. ومع ذلك فإن أفريقيا الشمالية تصل إلى ضعف أفريقيا الجنوبية تقريبا، وثلثا القارة تنتمى للمناطق الاستوائية ومن هنا تعتبر أفريقيا أكثر قارات العالم حرارة.

وتعتبر قارة أفريقيا قارة المتناقضات من الناحية الفيزيقية ذلك أن سطح الأرض الأفريقية يتراوح ما بين ١٣٤ مترا تحت مستوى البحر إلى ٦٠٠٠ متر فوق مستوى البحر حيث قمة جبل كلمنجارو. وهناك السهول المنبسطة والهضاب والجبال الشاهقة. هناك الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة والصحراء الجرداء والأراضى العشبية وهناك السواحل الرائعة. فى صخور هذه القارة يكمن سجل تاريخ الأرض منذ ٣٥٠٠ مليون سنة، ومخازن من الثروة المعدنية لا حدود لها. فى قارة أفريقيا نجد أكبر صحارى العالم: الصحراء الكبرى، وفيها نجد مساقط الشلالات (جبل الكاميرون) فى منطقة يصل الأمطار فيها إلى ١٠,٠٠٠مم. ورغم أن أفريقيا أكثر قارات العالم استوائية إلا أنها تضم قممًا ثلجية معظمها فوق خط الاستواء. ونباتات أفريقيا تتراوح ما بين غابات استوائية تعيش على المطر وغابات المانجروف الذى يعيش على الماء المالح وجبال التندرا؛ وتتراوح التربة بين تربة حمراء إلى تربة غرينية. وتضم أفريقيا أطول أنهار العالم حيث النيل الذى يبلغ طوله ٦٦١١كم.

وسكان أفريقيا في زيادة مستمرة رغم الأوبئة والمجاعات التي تحصدهم فقد قُدِرَ عدد السكان في نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر بنحو مائة مليون نسمة ولكن إحصاء سنة ١٩٠٠ ذكر أن عدد السكان قفز إلى ١٣٣ مليون نسمة، ثم أخذت الزيادة في الاتساع بعد ذلك ففي سنة ١٩٦٠م ارتفع العدد إلى ٢٧٠ مليون نسمة وفي سنة ١٩٧٥م وصل عددهم إلى ٤١٠ مليون نسمة وفي نهاية القرن العشرين فاق عدد السكان نصف المليار. والكثافة السكانية في إفريقيا ليست عالية إذا قورنت بالمساحة ذلك أن إفريقيا تضم ٢٢,٤٪ من مساحة العالم ولكنها لا تضم أكثر من ١٠٪ من سكان العالم. وتوزيع السكان غير متوازن عموما في قارتنا الحبيبة.

وفيما يتعلق باللغات التي يتكلمها سكان إفريقيا يعقد الخبراء مقارنة طريفة فيقولون بأنه طالما أن أفريقيا تمثل نحو ٢٥٪ من مساحة العالم (٣٠ مليون كم² أى ١٢ مليون ميل مربع) فإنها يمكن أن تضم كذلك ٢٥٪ من لغات العالم أى نحو ألف لغة. وهذه اللغات في تنوعها وملامحها ونطقها وتركيبها تختلف عن سائر لغات العالم، كما أن التجديدات في تلك اللغات التي حدثت والتي ماتزال تحدث تجعلها مجالاً للدراسات اللغوية. ونحن لا نعرف على وجه التحديد كم عدد اللغات التي يتحدثها الأفارقة لأننا عادة ما نخلط بين اللهجة واللغة ومن هنا فإن التقديرات تتفاوت تفاوتًا كبيرا بين الطرفين فالحد الأدنى هو ٦٠٠ لغة والحد الأقصى هو ٢٥٠٠ لغة ولكن المعقول هو ما ذهبنا إليه وهو ألف لغة قد تزيد قليلا ولكنها يقينا تحت ١٥٠٠ لغة. ويتفاوت كذلك عدد الناطقين بلغة ما حيث هناك لغات لا يتكلمها إلا بضعة مئات أو عدة آلاف، وهناك لغات يتحدثها عشرات الملايين. وفي الدولة الواحدة قد نجد عدة لغات والمثال من نيجيريا التي يربو عدد سكانها الآن على ١٢٠ مليون نسمة تتحدث ٢٥٠ لغة. ومن الطريف أن هناك في أفريقيا ما يطلق عليه مناطق الكثافة اللغوية أى رقعة محدودة من الأرض ولكنها ذات لغات كثيرة وعلى سبيل المثال هضبة جوس في نيجيريا توجد فيها قرى لا تبعد إلا بضعة كيلومترات عن بعضها ويتحدث أهلها لغات مختلفة وكذلك الحال في بلاد أخرى كثيرة. ومثل

هذا الوضع اللغوى فى أفريقيا يفترض حدوث هذا التنوع اللغوى على مدى زمنى طويل جدا وانعزال جغرافى شديد.

وهناك اتجاه نحو تقسيم اللغات الأفريقية إلى المجموعات الآتية ولا نقل العائلات:

١- اللغات الأفروآسيوية. وتحتل كل المناطق الشمالية من القارة أى المساحة التى يطلق عليها «منطقة الاحتكاك» الممتدة عبر إثيوبيا والصومال ثم أسفل حتى شرقى أفريقيا، وتمتد هذه المنطقة فى غربى آسيا وخاصة ساحل ليفانت والجزيرة العربية وهذه المجموعة تنقسم إلى خمس مجموعات فرعية.

٢- اللغات النيلوصحارية. وتضم ثلاث مجموعات فرعية وتنتشر فى بعض مناطق الصحراء الكبرى ونيجيريا والسودان وليبيا وتشاد. وهذه اللغات تقع فى منطقة وسط بين اللغات الأفروآسيوية ولغات النيجر ـ كونغو.

٣- لغات النيجر ـ كونغو وتنتشر تحت مناطق النيلوصحارية أى فى أفريقيا الوسطى والجنوبية. وتمتد من المحيط الأطلنطى فى غرب أفريقيا حتى رأس الرجاء الصالح وتضم كل لغات البانتو فى أفريقيا الوسطى والجنوبية. وتضم عدة مجموعات فرعية.

٤- لغات الخوسان. وقد تسمى أيضا لغات كليك لأنها صوت كليك هو أهم ما يميزها ويبدو أن هذه اللغات كانت تتحدث بها قبائل ذات خصائص فيزيقية مختلفة يطلق عليهم علماء الأنثروبولوجيا كابويد وربما يمثلون أقدم السكان هناك.

٥- لغات الملاجاس. ويقال إنها وردت من جنوب شرق آسيا وفيها خصائص كثيرة من لغات أندونيسيا وتنتشر أكثر فى جزيرة مدغشقر.

وإذا تركنا جانب اللغة فى أفريقيا إلى جانب الدين فسوف نجد الديانات الوضعية ثم المسيحية ثم الإسلام على الترتيب على حسب نسبة السكان المعتنقين للدين. والديانات الوضعية التقليدية معقدة وتتفاوت تفاوتاً بيِّناً ولكنها تتفق فى خطوط عامة عريضة ملخصها أن هناك إلهًا أعظم يعتقد أنه خالق الكون وله أسماء مختلفة على

حسب المنطقة أو المعتقدين فهو عند يوروبا: أولورون أو أولدوماري وهو عند إيريس: ماوو وهو عند كيكويوس: ناجاى، وهو عند بمباس: مولونجو؛ وهو عند إيبوس: شوكوو، وهو عند زولو: نكولونكولو؛ وهو عند بماراس: فارو. ولكن لأن الله الأعظم غير محسوس ولا ملموس فى الحياة اليومية والشئون الحياتية فقد دعت الحاجة إلى آلهة ثانوية أو أرواح الأسلاف الأموات يتلمسون بركاتها وتقربهم إلى الإله الأعظم. أما المسيحية فقد انتشرت انتشاراً كبيراً بفضل البعثات التبشيرية أولاً ثم بسبب الاستعمار بعد ذلك. والإسلام انتشر بفضل مبادئه والتجار الذين حملوه إلى أفريقيا جنوب الصحراء.

وتتألف أفريقيا من أربع وخمسين دولة هى حسب الترتيب الهجائى اللاتينى:

١- الجزائر
٢- أنجولا
٣- بينين
٤- بوتسوانا
٥- بوروندى
٦- كاميرون
٧- الرأس الأخضر، جزر
٨- أفريقيا الوسطى، جمهورية
٩- تشاد
١٠- القمر، جزر
١١- الكونغو
١٢- جيبوتى
١٣- مصر
١٤- غينيا الاستوائية
١٥- إثيوبيا
١٦- الجابون
١٧- جامبيا
١٨- غانا
١٩- غينيا
٢٠- غينيا بيساو
٢١- ساحل العاج (أيفورى كوست)
٢٢- كينيا
٢٣- ليسوتو
٢٤- ليبريا
٢٥- ليبيا
٢٦- مدغشقر
٢٧- مالاوى
٢٨- مالى
٢٩- موريتانيا
٣٠- موريشيوس

٣١- المغرب
٣٢- موزمبيق
٣٣- ناميبيا
٣٤- النيجر
٣٥- نيجيريا
٣٦- رييونيون
٣٧- رواندا
٣٨- الصحراء، جمهورية
٣٩- ساو تومى وبرنسب
٤٠- السنغال
٤١- سيشل
٤٢- سيراليون
٤٣- الصومال
٤٤- جنوب أفريقيا
٤٥- السودان
٤٦- سوازيلاند
٤٧- تانزانيا
٤٨- توجو
٤٩- تونس
٥٠- أوغندا
٥١- فولتا العليا
٥٢- زائير
٥٣- زامبيا
٥٤- زيمبابوى

مقدمة تاريخية

حتى اليوم وحتى تأتينا أدلة وقرائن أخرى، فإن أقدم الكتب التى عثرنا عليها وصلتنا من أفريقيا: من مصر وهى تعاليم كع ـ جيمنى والتى كتبت قبل سنة ٣٩٩٨ ق.م (تاريخ وفاة الملك هونى)، وأيضا تعاليم بتاح حوتب التى كتبت حوالى ٣٥٥٠ ق.م والبردية المفردة التى كتب عليها كلا العملين والموجودة الآن فى المكتبة الوطنية الفرنيسة فى باريس ربما تكون قد سرقت من إحدى المقابر فى طيبة وبيعت للأثرى الفرنسى م. بريس دافنس الشهير.

وطالما عرفت مصر الكتب والكتابة منذ أكثر من ستة آلاف سنة فلابد وأن تكون أول المكتبات فى أفريقيا هى تلك التى وجدت فى مصر. وربما تكون المكتبات المصرية فى البداية عبارة عن مجموعات قليلة من الكتب فى حوزة العلماء والباحثين (مكتبات شخصية)، أو فى المعابد (مكتبات المعابد) أو فى القصور الفرعونية (مكتبات القصور) وكذلك فى المدارس والجامعات (المكتبات الأكاديمية). ومن المعروف أن قدماء

المصريين كانوا يطلقون على المكتبات صفة «مكان علاج النفوس». وقد وصلتنا معلومات عن المكتبات التى كانت موجودة فى معابد هيليوبوليس ودندرة وإدفو وكانت المكتبة الموجودة فى معبد إدفو تسمى دار البرديات كما وجد فهرسها منقوشاً على جدار غرفة المكتبة وحتى اليوم، وللأسف الشديد لم تصلنا مقتنيات أى من المكتبات المصرية القديمة وإن كانت مبانيها قد وصلت إلينا. وجل البرديات التى وصلتنا من مصر القديمة اكتُشِفت مدفونة فى المقابر فى جرار محكمة الغلق مختومة أو ملفوفة إلى جانب من الأربطة التى كانت تغلف بها المومياوات أو موضوعة بإحكام داخل اسطوانات.

وتعتبر «مكتبة رمسيس الثانى الأكبر» أكبر وأعظم المكتبات الأفريقية قبل مكتبة الإسكندرية وبها يبدأ تاريخ المكتبات فى العالم وأفريقيا بطبيعة الحال. هذه المكتبة أقيمت فى مجمع رمسيس الثانى (الرمسيوم) الذى ضم معبداً فخماً وأكاديمية أو جامعة بمفهوم اليوم ومدرسة متوسطة ومصانع لورق البردى وأدوات الكتابة ومرصداً والمكتبة. وقد ذكر أن عدد المقتنيات فى تلك المكتبة قد تخطى العشرين ألف لفافة بردى ومن ثم فقد نظر إليها على أنها ضمت علوم الدين والدنيا قبل عهد رمسيس الثانى وإبانه وجمعت هذا الإنتاج الفكرى ونظمته ويسرت الإفادة منه. وقد دارت تلك المجموعات حول: الزراعة، الفلك، الرى، التاريخ، الشعر، القصص، الجغرافيا. وعلى أحد مدخلى المكتبة نجد صورة تحوت أول أمين مكتبة فى التاريخ وحاتحور أول أمينة مكتبة فى التاريخ على المدخل الثانى للمكتبة.

وإضافة إلى المقتنيات التى كانت موجودة بالمكتبة والنقوش الكثيرة التى على جدرانها، وجد خارج الرمسيوم فى طية قبر نقشت عليه عبارة «هنا يرقد أمين مكتبة وابنه» مما يكشف عن أن المهنة كانت وراثية وهذان المكتبيان هما: نبار نفرو نفر - جوتب. وهذا الأمر يؤكد أن هذه المهنة موجودة منذ قديم الزمان.

ومن نافلة القول أن نذكر أن أعظم مكتبات العصور القديمة والوسطى على السواء كانت مكتبة الإسكندرية التى أقامها البطالمة فى مدينة الإسكندرية. تلك الإسكندرية

التى أمر الإسكندر ببنائها مكان قرية الصيادين المصرية الصغيرة سنة ٣٣١ ق.م. وقد بنيت المدينة من الحجر والرخام والمرمر وكانت ذات شوارع طولية وعرضية فسيحة ومبانى عامة غاية فى الفخامة ومبانى تذكارية وقصور ومعابد وبيوت وملاعب وأسواق وحدائق عامة وحدائق نباتات استوائية - وكل ما يسر العين والخاطر فى القرن الرابع قبل الميلاد. وكان فيها متحف مبنى من المرمر الأبيض والحجر وكان هذا المتحف أكاديمية كاملة يعيش فيها طلاب العلم وأساتذته وتدرس فيه العلوم وتحقق النصوص القديمة وتُقَوَّم ويدون فيها الشعر والنثر وكل أنواع البحث والدرس وكان يضم مرصداً فلكياً والمكتبة ذائعة الصيت. هنا كانت تنسخ الكتب وتباع وتشترى.

والمكتبة التى كانت جوهر هذه الأكاديمية أنشئت سنة ٢٩٥ ق.م أو بعد ذلك بقليل فى عهد بطليموس الأول تحت إشراف ديمتريوس الفاليرى والذى كان أول مدير لها والذى حولها أو جعل منها أكبر مركز فكرى فى إفريقيا والعالم فى العصور القديمة. ورغم أن مكتبة الإسكندرية كانت أفريقية على أرض مصرية، إغريقية النشأة والإدارة إلا أنها كانت عالمية المقتنيات والخدمات وكان البطالمة يبعثون رسلهم إلى كل مكان للحصول على الكتب وترجمتها لهذه المكتبة، حتى السفن التى كانت ترسو فى ميناء الإسكندرية كانت تفتش وتتم مصادرة الكتب التى تحملها. وبالجملة كانت هناك محاولات مستميتة للحصول على جمع كل الإنتاج الفكرى اليونانى وجل الإنتاج الفكرى البابلى الأشورى المصرى الهندى الفارسى... وكان المديرون الأوائل للمكتبة هم:

ديمتريوس الفاليرى	٢٩٥-٢٨٢ ق.م.
زينودوتوس الأفيسوس	٢٨٢-٢٦٠ ق.م.
كاليماخوس الكيرينى	٢٦٠-٢٤٠ ق.م.
أبو للونيوس الروديسى	٢٤٠-٢٣٠ ق.م.
إيراتوثينز الكيرينى	٢٣٠-١٩٥ ق.م.
إرستوفانيس البيزنطى	١٩٥-١٨٥ ق.م.

أبوللونيوس الأيديوجرافى ١٨٠-١٦٠ ق.م.

أرسطارخوس الساموثراس ١٦٠-١٣١ ق.م.

وإلى جانب المكتبة الأم فى حى البروكيوم (الحى اليونانى) بالإسكندرية كانت هناك المكتبة الابنة أو الصغرى فى معبد سيرابيس (الحى المصرى). ورغم جمال مبانى مدينة الإسكندرية وروعتها إلا أن مبنى معبد سيرابيس كان أجمل وأروع ما بها حيث كان مبنيًا على ربوة عالية تطل على سائر أنحاء المدينة. وكان ذا أعمدة شاهقة مزخرفة مصنوعة من المرمر وتماثيل كاملة أو نصفية وكان ملحقًا بهذا المعبد أبهاء الكتب وعلى جوانبها حجرات صغيرة للقراءة والاطلاع.

فى خلال ١٠-١٢ سنة كان دمتريوس الفاليرى قد جمع نحو ٢٠٠,٠٠٠ لفافة بردى من خلال حملات لا تنقطع لجمع الكتب. وفى عهد كاليماخوس أى بعد ٣٥-٤٠ سنة من افتتاح المكتبة كان عدد اللفات قد وصل إلى ٤٩٠,٠٠٠ لفافة منها ٤٠٠,٠٠٠ لفافة تضم الواحدة منها عدة أعمال و ٩٠,٠٠٠ مفردة العمل. وهناك من يعتقد أن هذا العدد من اللفافات كان يمثل فقط مجموعة اللب فى المكتبة. وثمة إجماع من المصادر على أن عدد اللفافات فى المكتبة الابنة فى معبد سيرابيس دار حول ٤٢٠٠٠ لفافة. ومن ثم يكون حجم المجموعات فى المكانين قد وصل إلى ٥٣٢,٠٠٠ لفافة وهذا هو الحد الأدنى المتفق عليه وإن كان هناك من يرى أن المجموعات وصلت إلى ٧٥٠,٠٠٠ لفافة ومنهم يرى أنها وصلت إلى المليون بل ومن يرى أنها وصلت إلى المليونين وربما يكون ذلك كله صحيحًا لو ربط إلى تواريخ محددة.

وكانت فهرسة وتصنيف كل هذا العدد من الأعمال عملاً ضخمًا وخاصة أن كمية منها كانت مجهولة المؤلف بل والعنوان كذلك وأن عملية الفرز والتدقيق لم تكن قد اكتملت حتى عهد كاليماخوس بل وبعد مماته سنة ٢٣٥ ق.م. ويعتقد البعض أن كاليماخوس قد اتبع قواعد الفهرسة التى وجدت فى مكتبة آشوربانيبال فى نينوى.

والشىء المؤكد أن فهرس كاليماخوس والذى يقع فى ١٢٠ مجلدًا ويسجل ويصف

ويحلل مقتنيات مكتبة الإسكندرية كان أكبر فهرس مكتبة فى تاريخ الحضارة الإنسانية وأشمل ببليوجرافية فى العصور القديمة والوسطى. ولسوء الحظ أن هذا الفهرس قد اندثر ولم تصلنا منه إلا نتف صغيرة فى كتابات الببليوجرافيين الذين جاءوا بعد كاليماخوس.

وفجيعتنا فى مكتبة الإسكندرية نفسها أضخم بآلاف المرات من فجيعتنا فى فهرس كاليماخوس. ولابد أن نوضح بداية أنه فى ظل مناخ مدينة الإسكندرية شبه الاستوائى فإنه لم تكن هناك فرصة لبقاء لفافات البردى واستمرارها عدة قرون إلا بسبب الاهتمام والرعاية الفائقة التى بذلها موظفو المكتبة لحمايتها من عوامل التلف المحيطة بها من كل جانب. ولكن عوامل الاتلاف الحقيقة إنما تأتى من الجشع والتعصب الأعمى وتعمد الأذى وعدم التسامح الذى يصاب به الناس فى كل ثقافة ضد الآخرين، تلك العوامل هى التى أدت جزئيا إلى تدمير المكتبة جزئيا ثم اختفائها بعد ذلك تماماً.

عندما جاء يوليوس قيصر إلى الإسكندرية سنة ٤٨ ق.م كانت المكتبة تملك نحو ٧٠٠ ألف لفافة فى حى البروكيوم وحده والجزء الأكبر من هذه المجموعة مر عليه ٢ ½ قرن. ويقال إن كليوباترا صحبته إلى المكتبة وكانت مزاراً لعلية القوم فطمع فى بعض مقتنياتها ويقال إن كليوباترا أهدتها إليه ولا نعرف كم عدد اللفافات التى أخذها، وكان ينوى إنشاء عدد من المكتبات فى روما. وتذكر بعض المصادر أن ما أخذه قيصر يربو على أربعين ألف لفافة. ويقال إن هذه اللفافات خزنت مؤقتا فى حظائر الميناء ريثما تشحن إلى روما ولكن عندما ثار المصريون ضده وضربت السفن المصرية فى الميناء واحترقت امتدت ألسنة اللهب إلى حظائر الميناء واحترقت اللفافات الموجودة بها، وكانت تلك أول كارثة تنزل بمكتبة الإسكندرية الأم. ويرى المؤرخون أن كليوباترا شخصياً كانت مسئولة عن الاستنزاف الذى حدث لمكتبة الإسكندرية، ولكنها على الجانب الآخر كانت مسئولة عن أكبر هدية جاءت إلى المكتبة وكما يقول بارسونز عن ذلك «أكبر عملية اغتصاب ببليوجرافى وأضخم هدية فى العصور القديمة

كلها؛ ذلك أنه بعد وفاة قيصر أخذ مارك أنطونيو شرق الإمبراطورية كنصيبه فى الإمبراطورية الرومانية، وأسرع إلى برجاموم ولكى يرضى كليوباترة سيدته والمتفوقة عليه فكرياً قدم لها هدية العاشق الولهان مقتنيات المكتبة كلها وكانت تبلغ ٢٠٠,٠٠٠ لفافة بردى ورَقّ. تلك المكتبة التى أسسها يومينيس الثانى لينافس بها مكتبة الإسكندرية. وبهذه الهدية عوض أنطونيو مكتبة الإسكندرية خمس مرات عما فقدته بسبب قيصر.

وخلال القرون التى تلت تعرضت المكتبات الكبرى والصغرى للتدمير فى مناسبات مختلفة كما تعرضت مدينة الإسكندرية نفسها للتخريب على يد الرومان وخاصة خلال زيارة كاراكالا وحصار جالينوس، وغزو أورليان وقصف المدينة الوحشى على يد ديوقلتيان، ورغم الخسائر التى منيت بها المكتبة فى الموقعين إلا أنه بقى فيها الشىء الكثير لتواصل به المسيرة وحتى بعد ٣٩١م عندما أصدر ثيودوسيوس قراره بهدم المعابد الوثنية والأصنام واعتناق المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية ليس هناك ما يدل على أن المكتبتين قد مرتا. ويقال إن التدمير الكامل والنهائى للمكتبة قد تم على أيدى المسلمين بعد استيلائهم على مدينة الإسكندرية سنة ٦٤٢م وقصة حرق المسلمين للمكتبة معروفة وهى مثار جدل بين مؤيد ومعارض. ومن المعارضين د. روث س. ماكنسون وهى حجة غربية وخبيرة فى المكتبات الإسلامية حيث تقول بأن المكتبة استمرت بعد ٦٤٦م وكان أحد العوامل التى حدت بالمسلمين إلى إنشاء المكتبات الخاصة بهم فى جميع أنحاء الإمبراطورية الإسلامية. وبالتالى ليس لدينا ما يؤكد أو ينفى حرق المسلمين للمكتبة.

وبعد فتح المسلمين لمصر استمرت مسيرة المكتبات سواء فى القاهرة أو الإسكندرية أو المدن الأخرى. وقصة مكتبات القصور الفاطمية مشهورة معروفة وكذلك مكتبة دار العلم معروفة فى نشأتها ومصائرها وكانت مكتبة دار العلم فى أوج عظمتها بها ما لا يقل عن مليونى مجلد ولم تكن مجرد مكتبة وإنما كانت أكاديمية للبحث والدرس والجدل.

وكانت مكتبات القصر الفاطمى تربو على ٢٠٠,٠٠٠ كتاب تقع فى ٤٠ غرفة وكان فيها نحو ١٨٠٠٠ كتاب فى علوم الدين من بينها ٢٤٠٠ مصحف بعضها مرصع بالذهب والفضة وكان أمين المكتبة فيها هو أبو الحسن بن محمد الشابوستى. وعندما ثار الجند على الخليفة الفاطمى سنة ١٠٦٨م نهبت المكتبة وحمل الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى كمية من الكتب حملت على ٢٥ جملا ليبيعها ليدفع منها رواتب الجند الثائرين كما ثار الترك ضد الخليفة المنتصر ونهبوا المكتبة أيضا ودفنت عشرات الآلاف منها فى الرمال «تل الكتب» وأُحرِقَ البعض الآخر ومع ذلك بَقِىً فى المكتبة الشىء الكثير. وعندما أتى صلاح الدين للمرة الثانية إلى القاهرة وأسقط الدولة الفاطمية وجد الكثير لينهبه وليعطى وزيره الفاضل عبد الرحيم ٦٨٠٠٠ مجلد هدية، كما حمل الكامل ابن شقيق صلاح الدين إلى القلعة ١٢٠,٠٠٠ مجلد، وأخذ القاضى الفاضل لنفسه مائة ألف مجلد أخرى. وفى سنة ١٢٩١ دُمِرَت المكتبة عن آخرها واختفت من الوجود.

وغَنِىُ عن التعريف مكتبة الجامع الأزهر الذى كان يعتبر أول جامعة فى الإسلام وفى قارة أفريقيا والذى استمرت مكتبته فى الوجود بطريقة أو بأخرى حتى اليوم وقد وجدت فى مصر وغيرها من الدول الإسلامية الإفريقية مكتبات المدارس والجوامع والربط والخانقوات والمقابر وغيرها.

لقد وجدت مكتبات المدارس فى شمال أفريقيا المسلمة ومثالنا على ذلك مدرسة الصفارين التى أسسها يعقوب بن عبد الحق وجلب بها الكتب من المكتبات الإسلامية فى الأندلس، ومكتبة جامع القرويين الذى أسس سنة ٨٥٠م قبل أى جامعة فى أوروبا وقبل الجامع الأزهر فى القاهرة بمائة وعشرين عاماً. وكانت هناك مكتبات كثيرة فى تونس مثل مكتبة جامع الزيتونة. وكانت هناك مكتبات وتجارة كتب رائجة فى تمبوكتو إلى الجنوب من الشمال الأفريقى.

وحتى فى عصر الرومان كانت هناك مكتبات فى الشمال الإفريقى بعيداً عن مصر والشاهد على ذلك من مدينة تاموجادى (الآن تمجد)؛ تلك المدينة التى أنشأها الرومان

سنة ١٠٠ م عند منحدرات جبال الأوراس فيما يعرف الآن بالجزائر، ومن المؤكد أنه كان هناك غيرها. وهناك من يرى أن الحمامات الفاخرة فى لبيس ماجينا المعروفة بحمامات هادريان كانت بها مكتبات. لقد انتشرت فى إفريقيا فى العصر المسيحى الباكر الأديرة ومكتبات الأديرة، ذلك أن أفريقيا هى التى حفظت المسيحية حين هرب إليها المسيحيون الأوائل وأقاموا فيها أديرتهم خوفا من الاضطهاد وطغيان الرومان. وتستمر مسيرة المكتبات فى إفريقيا حتى نصل إلى القرن التاسع عشر الذى شهد حركة بعث للمكتبة الإفريقية بعد سُبات طال عدة قرون.

المكتبة الإفريقية فى القرن التاسع عشر

يميل المؤرخون إلى اعتبار القرن التاسع عشر هو بداية العصر الحديث فى الدول النامية ولا يرغبون فى سحب التقسيمات التاريخية لأوروبا على تلك الدول وحيث يبدأ العصر الحديث فى أوروبا مع القرن السادس عشر.

ففى مصر أحدثت الحملة الفرنسية التى جاءت مع ختام القرن الثامن عشر فى فترة وجيزة صدمة فكرية وسياسية واجتماعية كبيرة وأحدثت من المؤسسات وأنتجت من الكتب والدوريات ما مهد للثورة الكبرى التى أدخلها محمد على فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وكان لمطبعة بولاق وافتتاح المدارس والمصانع وإنشاء جيش وطنى أثرها فى وجود حركة نشر قوية أدت بالقطع إلى إنشاء المكتبات: ومنها المكتبة الأهلية ومكتبات المدارس والدواوين وبعض المكتبات المتخصصة أيام محمد على ثم ران على مصر دهر من الركود أيام عباس حلمى الأول ومحمد سعيد إلا أن النهضة الكبرى عادت من جديد أيام إسماعيل وتوفيق، حين نشطت حركة النشر والعمران وأنشئت دار الكتب المصرية أول مكتبة وطنية فى الشرق الأوسط ونهضت من جديد مكتبات المدارس والدواوين وبعض المكتبات المتخصصة. لقد أنشئت مكتبة بلدية الإسكندرية فى ختام القرن التاسع عشر تبعتها فى بداية القرن العشرين مكتبات بلديات أخرى ومكتبات مديريات التعليم مما حدا بدار الكتب المصرية إلى التفكير فى إنشاء شبكة تضم تلك المكتبات جميعًا فى عشرينات القرن العشرين ولكن الضائقة

الاقتصادية الكبرى التى حاقت بالعالم وأخذت بخناقة أحلت هذا كله ولهذا حديث آخر. ويصور البيان التالى تواريخ إنشاء بعض المكتبات المصرية فى القرن التاسع عشر:

١٨٢٥	المكتبة الأهلية	القاهرة
١٨٢٨	مكتبة مدرسة الطب	القاهرة
١٨٥٨	مكتبة المجمع العلمى المصرى	القاهرة
١٨٧٠	دار الكتب المصرية	القاهرة
١٨٧٥	مكتبة الجمعية الجغرافية المصرية	القاهرة
١٨٧٦	مكتبة المحكمة المختلطة	القاهرة
١٨٨١	مكتبة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية	القاهرة
١٨٨٢	مكتبة كلية الآباء الجزويت	القاهرة
١٨٨٦	مكتبة المتحف المصرى	القاهرة
١٨٨٩	مكتبة مدرسة الزراعة	القاهرة
١٨٩٢	مكتبة البلدية	الإسكندرية
١٨٩٣	مكتبة مدرسة الحقوق	القاهرة

وبصرف النظر عن أفريقيا الشمالية فإنه لم تأت سنة ١٨٠٠م إلا وكانت المناطق الساحلية لأفريقيا كلها قد عرفتها أوروبا وبدأ عصر الاستعمار الكبير للقارة وقسمت كما سنرى فيما بعد بين استعمار إنجليزى واستعمار فرنسى واستعمار بلجيكى واستعمار ألمانى واستعمار هولندى. وكان إنشاء المكتبات ضرورة لأسباب متباينة بعضها لخدمة أهداف الاستعمار وبعضها لأسباب تعليمية وبعضها لأسباب ثقافية بحتة وبعضها لأسباب دينية تبشيرية وغير ذلك من الأسباب والظروف والملابسات.

لقد أنشأ الاستعمار الفرنسى مكتبة عامة فى الجزائر سنة ١٨٣٥ عقب احتلالها

تطورت فيما بعد لتصبح المكتبة الوطنية الجزائرية وظلت طوال القرن التاسع عشر مجرد مجموعة متواضعة تنتقل من مكان سيئ إلى مكان أسوأ حتى استقر بها المقام فى قصر الداس بالجزائر وهو وإن كان قصراً من طراز معمارى رائع إلا أنه لم يكن ملائماً لمكتبة، وقصة تطور المكتبة ترجع إلى منتصف القرن العشرين.

وفى سيراليون أنشئت كلية فرح بيه ومكتبتها سنة ١٨٢٧م ولكن التطور الحقيقى كما سنرى فيما بعد كان فى النصف الثانى من القرن العشرين وقد عانت مجموعاتها معاناة كبيرة من الحشرات والأرضة.

وفى السنغال أُنشئت مكتبة مركز البحوث والتوثيق السنغالى فى سانت لويس سنة ١٨٣٧، بينما أُنشئت مكتبة جامعة ليبيريا سنة ١٨٦٢ ومكتبة جامعة الجزائر سنة ١٨٧٩.

وكانت أول مكتبة متخصصة فى الزراعة فى إفريقيا الاستوائية قد قامت فى زومبا فى نياسالاند (مالاوى الآن) سنة ١٨٩٩. وكانت جزيرة زنزبار قد أنشأت مكتبة متخصصة فى الزراعة أيضا سنة ١٨٩٠. وفى نياسالاند أقامت إدارة أفريقيا الوسطى البريطانية مكتبة اشتراكات سنة ١٨٩٦ وحيث الاشتراك للفرد آنذاك عشرة شلنات وستة بنسات فى السنة أى ما يعادل دولار وثمانية عشر سنتًا وتم افتتاح قاعة اطلاع هناك سنة ١٨٩٧م. ومما يذكر أيضا أن مستشفى منجو فى كمبالا أوغندا كانت به مكتبة طبية منذ ١٨٩٧.

وكان فى دولة جنوب إفريقيا مكتبة منذ ١٨١٨ وذلك حسبما ورد فى كتاب «دليل المكتبات فى جنوب إفريقيا» الذى ألفه م.م. ستيرلنج سنة ١٩٥٠ وقصة هذه المكتبة تقول بأن الحاكم العام لمستعمرة الكاب (رأس الرجاء الصالح) اللورد تشارلز سومرست قد أصدر أمرًا بـ «تحصيل دولار واحد ملكى على كل صندوق نبيذ يمر عبر سوق مدينة الكاب وتخصص هذه الحصيلة لإنشاء مكتبة مجانية لكل المواطنين».

وكان ناتج هذه الضريبة كبيراً وعلى سبيل المثال بلغ سنة ١٨٢٤م نحو ١٢٠٠ جنيه استرلينى (٢٦١٩ دولارًا) ولذلك نمت مجموعات المكتبة وخدماتها نمواً مطرداً.

ولسوء الحظ ألغى مكتب المستعمرة فى سنة ١٨٢٥ هذه الضريبة ومن ثم حرم المكتبة من هذا المورد الخصب وأصبحت تمول من الميزانية العامة للمستعمرة. وفى سنة ١٨٢٧ سحب كل دعم للمكتبة فتحولت فى سنة ١٨٢٩ إلى مكتبة اشتراكات وعاشت على رسوم الاشتراكات إلى سنة ١٨٦٠ حين قرر الحاكم العام لمستعمرة الكاب السير جورج جريى أن يبنى لها مبنى فخمًا ويقدم لها الدعم المالى الكافى مما جعلها تزدهر وتدخل إلى القرن العشرين. كما تلقت منحا قيمة وقد بلغ رصيدها فى سنة ١٩٧٠ نحو ٤٥٠,٠٠٠ كتاب مما جعلها أكبر وأقدم مكتبة فى كل جنوب أفريقيا وهناك مكتبات اشتراكات أخرى فى دولة جنوب إفريقيا على النحو التالى:

جراف ـ راينت ١٨٢٢، وأعيد تأسيسها سنة ١٨٤٧؛ سويلندام ١٨٣٨؛ جورج ١٨٤٠؛ جراما مزتاون ١٨٤٢؛ بورت إليزابث ١٨٤٨؛ كرادول ١٨٥٠. وفى سنة ١٨٣٩ كان هناك ما لا يقل عن ٣٩ مكتبة من هذا النوع وفى سنة ١٨٩٦ كان فى مقاطعة الكاب وحدها ٩٦ مكتبة من هذا النوع. وهناك من المزاعم ما يقول بأن المكتبات العامة قد تطورت فى جنوب إفريقيا قبل أن تتطور فى إنجلترا نفسها. وكان كثير من تلك المكتبات يتلقى معونة من الحكومة ولكن الجانب الأساسى من دخول تلك المكتبات كان يأتى من الاشتراكات التى تُحصَّل من المشتركين، وبقيت هذه المكتبات مكتبات اشتراكات ولم تتحول إلى مكتبات عامة مجانية. ويكشف هذا العدد من مكتبات الاشتراكات عن وجود حركة قراءة نشطة وعن وجود عدد كبير من محبى الكتب وعشاق القراءة. ومن المعروف فى تاريخ المكتبات أن مكتبات الاشتراكات هذه فى أوروبا وخاصة بريطانيا، وكذلك فى الولايات المتحدة، كانت هى المقدمات الطبيعية للمكتبات العامة المجانية وأنها سدت فراغًا كبيراً فى مجال القراءة وتعتبر حلقة هامة من حلقات القراءة العامة.

لقد حدثت تطورات هامة فى أوضاع المكتبات فى مستعمرة الكاب بعد صدور «قواعد مولتينو» سنة ١٨٧٤. وكان جون مولتينو ـ سكرتير المستعمرة ـ قد عمل فى شبابه فى «مكتبة جنوب إفريقيا العامة» وأصدر هذه القواعد لتسهيل إنشاء وتطوير المكتبات فى المدن الصغيرة عن طريق منحة حكومية سنوية قدرها

مائة جنيه استرلينى (٢١٨ دولاراً) زيدت فيما بعد إلى مائة وخمسين جنيها أى ما يعادل ٣٢٧ دولاراً.

وكان الشرط الأساسى فى تلك القواعد هو الاستعمال المجانى للمقتنيات بما فى ذلك الكتب المرجعية ولكل المواطنين. وكان لتلك القواعد آثارها الهامة ولم تأت نهاية القرن التاسع عشر حتى كانت مستعمرة الكاب تملك أعظم شبكة من المكتبات شبه العامة فى كل أنحاء العالم آنذاك.

إن قصة المكتبات فى إفريقيا وخاصة جنوب الصحراء هى أساسًا وليدة النصف الثانى من القرن العشرين حين نالت تلك الدول استقلالها الواحدة بعد الأخرى منذ بداية الخمسينات من ذلك القرن. وحيث رأت الحكومات الوطنية أن من حق المواطنين عليهم أن يحصلوا على مواد القراءة بسهولة ويسر لأغراض القراءة المختلفة وما قام به الاستعمار من إنشاء لمكتبات فى الدول التى استعمرها لم يكن إلا لأغراض وظيفية فقط تخدم أهدافه القريبة المباشرة أو البعيدة غير المباشرة. ولم تكن المكتبات فى الفترة الاستعمارية كثيرة ولم تكن لتمثل ظاهرة.

لقد ركزت فى هذا البحث على دراسة تطور حركة المكتبات فى إفريقيا جنوب الصحراء ولم آت على أفريقيا الشمالية إلا لماما لأن أفريقيا الشمالية مرت بظروف مختلفة تماما عن إفريقيا جنوب الصحراء وكل جزء أساسى من العالم العربى الذى يقع شطره فى آسيا وشطره فى إفريقيا هذا العالم العربى هو لب الشرق الأوسط من جهة ثانية. ولا نستطيع أن نتبع الدول العربية فى شمال إفريقيا إلى أى من كتل إفريقيا اللغوية والتى اصطلحنا على تقسيمها إلى دول ناطقة بالإنجليزية (أنجلوفونية) ودول ناطقة بالفرنسية (فرانكوفونية)؛ ودول ناطقة بالبرتغالية، لأن هذه الكتب نصت فى دساتيرها على أن تلك اللغات هى لغاتها الرسمية، بينما الدول العربية الإفريقية نصت فى دساتيرها على أن العربية هى لغتها الرسمية. ومن هذا المنطلق لم أشأ معالجة دول إفريقيا الشمالية هنا بعمق وأجلت ذلك إلى دراسة مستقلة ضمن الوطن العربى أو الشرق الأوسط، وأيضا لكل دولة عربية على حدة. ورغم أن الاستعمار

الفرنسى قد غلب على إفريقيا الشمالية إلا أن التاريخ العام والظروف الثقافية واللغوية والعرقية تربط تلك الدول ربطا وثيقا بالدول العربية المشرقية أكثر من ربطها بالدول الأفريقية جنوب الصحراء.

فى الحقيقة ليس من السهل أبدًا مسح المكتبات والحركة المكتبية فى قارة بأكملها فى بحث صغير مثل هذا، إلا أن يصور هذا المسح الخطوط العريضة فقط. وهو ما سوف أحاوله هنا على أن يتم التعمق لكل دولة إفريقية على حدة. ولبلوغ هذه الغاية سوف أقسم أفريقيا إلى أفريقيا الناطقة بالإنجليزية، وإفريقيا الناطقة بالفرنسية وإفريقيا الناطقة بالبرتغالية (لوسو).

إفريقيا الناطقة بالإنجليزية

رغم أن المكتبات عرفت فى الدول الأفريقية الناطقة بالإنجليزية فى فترة مبكرة إلا أننا لا نجد كتابات توثيقية حول تلك البدايات كتلك التى نجدها حول المكتبات فى الأمريكتين. وليست هناك مكتبات كبيرة ذات أهمية تذكر قامت فى دول تلك المنطقة بين الحربين العالميتين وحتى فى الفترة التى أعقبت الحرب الثانية. ويعزى ذلك بطبيعة الحال إلى انحطاط التعليم وقلة المتعلمين وانعدام الاستقرار. وإن كانت هناك مكتبات فقد كانت مجرد مجموعات من الكتب لاستخدام الجاليات الأوروبية بالدرجة الأولى. ومن هنا فإن مهمة إنشاء مكتبات قد تركت للحكومات الأفريقية السوداء بعد الاستقلال وهو ما يمكن تتبعه فقط فى النصف الثانى من القرن العشرين وليس قبل ذلك. وليس هناك حتى الآن فى إفريقيا الناطقة بالإنجليزية مكتبات بحثية كبيرة كتلك التى نصادفها فى دول الغرب. ولقد حالت مشكلات العملة الصعبة وارتفاع نسبة الأمية وضعف حركة النشر وانخفاض مستوى المعيشة وانكماش الميزانيات دون قيام مكتبات قوية ونظم معلومات وطنية يعتد بها فى تلك المنطقة. ولعل أحسن معالجة لتطور مسيرة المكتبات فى إفريقيا الناطقة بالإنجليزية هو تقسيمها إلى كتلها الأربعة الرئيسية:

أ- دول مالاوى - زامبيا - زيمبابوى. هذه الدول الثلاثة عاشت ظروفا تاريخية

مشتركة وذلك بسبب نمط الاستعمار الأوروبى الذى بلغ مداه فى اتحاد إفريقيا الوسطى أو بمعنى أدق اتحاد روديسيا و نياسالاند. وقد انعكست العلاقة بين البيض والسود على طريقة نمو المكتبات فى المنطقة بفضل البعثات التبشيرية أولاً ثم موظفى الخدمة المدنية ثانياً ثم مبادرات الأفراد الشخصية ثالثاً.

ففى مالاوى قامت كنيسة اسكوتلندة الحرة بإنشاء أول مكتبة فى ثمانينات القرن التاسع عشر ١٨٨٠ - ١٨٨٩ وقد أُتبِعَت بمكتبة أخرى بعثة الجامعات إلى إفريقيا الوسطى على جزيرة ليكوما فى بحيرة مالاوى، بعد عدة سنوات من إنشاء المكتبة السابقة. وفى السنوات التى تلت ذلك قام العديد من أفراد البعثات الطبية والإدارية والسياسية والزراعية بإنشاء مكتبات شخصية. ولكن التقدم الحقيقى للمكتبات فى تلك الكتلة لم يحدث إلا بعد تفسخ ذلك الاتحاد سنة ١٩٦٣، ففى سنة ١٩٦٥ قامت شبكة المكتبات الجامعية وأصبحت أكبر مجموعة كتب فى الكتلة (٣٥٠,٠٠٠ مجلد) تلتها من حيث الحجم المكتبة الوطنية التى قامت سنة ١٩٦٨ والتى تلقت مساعدات قيمة كنشر الخدمة المكتبية المجانية فى عموم مالاوى باستخدام مكتبات فرعية وإقليمية ومراكز مكتبية وخدمات الإعارة بالبريد.

وكان لإنشاء اتحاد المكتبات المالاوى سنة ١٩٧٦ وتأسيس برنامج إعداد الأمناء المساعدين سنة ١٩٧٩ حافزاً نحو تحسين الحكومة والهيئات التشريعية بأهمية المكتبات وضرورة إنشاء خدمات مكتبية وتوثيقية جيدة فى البلاد؛ وقد أدى ذلك إلى استقدام فرنسيين وبريطانيين ومن جامايكا على نفقة اليونسكو بين ١٩٧٩ و ١٩٩٠ لدراسة الأوضاع المكتبية ووضع التصور النموذجى للارتقاء بها.

وقد شهدت نهاية السبعينات مولد لجنة انتقالية كانت مسئولة عن تحقيق الانسجام والتواءم بين المكتبات ومراكز التوثيق ودور المحفوظات وانخراطها فى نظام معلومات وطنى واحد. وقد أعيد تشكيل هذه اللجنة مرة أخرى فى مطلع تسعينات القرن العشرين تحت اسم «اللجنة الوطنية لتنسيق أعمال التوثيق والمعلومات» ومازال العمل قائمًا على قدم وساق لإنشاء مركز توثيق وطنى ومكتب وطنى للتعليم بمعونة من برنامج الأمم المتحدة للتنمية والحكومات المالاوية.

وقد مرت شبكة المكتبات فى زامبيا بنفس الخطوط تقريبا فقد كانت هناك مكتبات تبشيرية فى محطات التبشير ثم مكتبات للقراءة الترويحية ومكتبات نوادى فى مناطق المناجم تبعتها مكتبات اشتراكات فى لفنجستون سنة ١٩٨٠ وفى المدن الكبرى فى الدولة. أما أول مكتبة تقوم بكامل الوظائف المهنية فقد كانت «مكتبة زامبيا العامة» وقد افتتحت سنة ١٩٦٢ ولم تأت سنة ١٩٩٠ إلا وكان لها ٩٠٠ مركز مكتبى فى كل أنحاء زامبيا وستة فروع فى الأقاليم وستة مكتبات فرعية. والمكتبة المركزية فى لوساكا تضم الآن نحو ٦٠٠,٠٠٠ مجلد. أما مكتبة جامعة زامبيا فقد افتتحت سنة ١٩٦٦ فى لوساكا. وفرع جامعة زامبيا فى ندولا استقل وأصبح جامعة قائمة بذاتها سنة ١٩٨٨ تحت اسم كوبربلت (حزام النحاس) وله مكتبته الخاصة. ولأن مكتبة الأرشيف الوطنى فى زامبيا تتمتع بالإيداع القانونى فإنها تقتنى أشمل مجموعة عن زامبيا على نحو ما يقوم به الأرشيف الوطنى فى مالاوى وزيمبابوى. ومنذ نحو ربع قرن قامت كلية التربية فى جامعة زامبيا بتأسيس أول مدرسة مكتبات فى كل إفريقيا الوسطى لتأهيل أمناء المكتبات على مستوى الدرجة الأولى والدراسات العالية وفى زيمبابوى بدأت حركة إنشاء المكتبات على يد الأفراد فى مستوطنات البيض حيث قام بعضهم بإنشاء مكتبات الاشتراكات فى المدن. وقد تطورت تلك المكتبات إلى مؤسسات كبيرة فيما بعد رغم أن السواد الأعظم لم يستطع الإفادة منها لأنهم لم يكونوا قادرين على دفع اشتراكات تلك المكتبات. ولقد كان لمكتبة بولاوايو العامة (١٨٩٦) ومكتبات بلديات بولاوايو الأخرى ومكتبة مدينة هرارى (١٩٠٢) قدر عظيم لدى الشعب هناك. ومن الملاحظ أن المكتبات فى زيمبابوى قد تطورت بخطى أسرع من تلك الموجودة فى زامبيا ومالاوى وذلك بسبب سياسة الحكومة الاستعمارية التى تكيل بمكيالين فتسخو على مكتبات الاشتراكات العامة فى المدن ومكتبات البلديات فى الضواحى كثيفة السكان وتقتر فيما عدا ذلك.

ومن الطريف ويجب ذكره هنا أن المكتبة الوطنية المجانية فى بولا وايو والتى أسست سنة ١٩٤٣ كانت تقدم خدمات الإعارة الخارجية للدول المجاورة مثل زامبيا ومالاوى مع أنها لم تكن مكتبة عامة وطنية بالمعنى التقليدى لتلك المكتبة وكان

لوصول بعض الأمناء المؤهلين إلى البلاد (سنة ١٩٤٨م) أثر كبير فى تحويلها إلى هذه الصفة. ولهذا السبب أيضا لم يتأخر الوقت حتى أنشئ فرع اتحاد مكتبات جنوب إفريقيا فى إفريقيا الوسطى.

ومع كل ذلك كان على الحركة المكتبية فى زيمبابوى أن تنتظر حتى يأتى الاستقلال سنة ١٩٨٠، ويقوم النظام الوطنى للمعلومات هناك. فقد قام المجلس البريطانى بإرسال بعثة إلى هناك سنة ١٩٨١ لدراسة إمكانية قيام نظام وطنى للمعلومات ومهدت الطريق لصدور قانون إنشاء المكتبة الوطنية ومركز التوثيق الوطنى سنة ١٩٨٥.

وكانت مهمة هيئة المكتبة كذلك التنسيق بين المكتبات فى الإدارات الحكومية وكليات التربية والزراعة والتكنولوجيا.

وتملك جامعة زيمبابوى التى أنشئت سنة ١٩٥٧م أكبر مكتبة فى كل الدولة حيث وصلت مجموعاتها مع سنة ١٩٩٩ نحو ٦٠٠,٠٠٠ مجلد. وهناك عدد من المكتبات الحكومية مثل مكتبة البرلمان (١٩٢٣) التى وصلت مجموعاتها ١٢٠,٠٠٠ مجلد مع سنة ١٩٩٩. ولقد تطورت مكتبة الأرشيف الوطنى فى زيمبابوى (١٩٣٥) إلى مكتبة بحثية ومركز ضبط ببليوجرافى بسبب تمتعها بالإيداع القانونى. ومن بين مطبوعات تلك المكتبة «ببليوجرافية زيمبابوى الوطنية» و «دليل مكتبات زيمبابوى».

ب- دول شرقى إفريقيا. كان لوجود اتحاد مكتبات شرق إفريقيا وتنظيمه لمؤتمر مهنى سنة ١٩٥٦ وإصداره بياناً هاماً، أثره البالغ فى الدعوة إلى إنشاء مكتبات عامة فى كينيا و أوغندا و تنزانيا. وفى سنة ١٩٥٩ دعى «سيدنى هوكى» خبير المكتبات البريطانى لدراسة احتياجات المنطقة واقترح إنشاء شبكة من المكتبات العامة فى تلك الدول ونتيجة للتقرير الذى وضعه «سيدنى هوكى» قامت تنزانيا بإصدار تشريع خاص بتلك الشبكة. وشهدت السنة التالية مولد هيئة مكتبات تنزانيا التى أنشأت على الفور المكتبة الوطنية المركزية والتى تضم بين جوانحها مركز التوثيق الوطني و الإدارة الببليوجرافية الوطنية. وقد أنشأت المكتبة الوطنية لها ١٦ مكتبة فرعية، تقوم هذه

الفروع بتقديم خدمات إعارة الكتب بالبريد، خدمات تبادل صناديق الكتب، الخدمات المكتبية للمدارس، الخدمات المكتبية للمناطق الريفية. وتعتبر مكتبة جامعة دار السلام التى أُسسَت سنة ١٩٦١م أكبر المكتبات فى كل تنزانيا. وهناك مكتبة أكاديمية حديثة هى مكتبة جامعة سوكين (١٩٨٤) التى مجالها الرئيس هو الزراعة.

ومن جهة أخرى كان لتقرير «هوكى» تأثير على تطور حركة المكتبات فى أوغندا رغم أن تلك الحركة قد بدأت هناك مبكرا مع سنة ١٩٢٣ وقد نمت نمواً معقولاً فى العقود الثلاثة التى تلت. لقد أنشئ «مجلس المكتبات العامة» سنة ١٩٦٤م وتحت جناحه ٣٢ مكتبة فرعية تغطى جميع أنحاء البلاد. وقد وضع المجلس صورة للخدمات النموذجية تم تطبيقها خلال عهد «عيدى أمين». وتعتبر مكتبة جامعة ماكريرى التى أنشئت كجامعة دولية سنة ١٩٤٠م أكبر مكتبات البلاد وإلى جانبها خمس مكتبات كليات قوية.

وقد شهدت نهاية الثمانينات مولد مكتبتين جامعيتين جديدتين هما: مكتبة الجامعة الإسلامية ومكتبة جامعة مبرارى فى الجنوب الغربى للبلاد (حيث تدرس العلوم الطبية) وينتظر لها أن تتحول إلى جامعة للعلوم والتكنولوجيا.

وعلى الرغم من أن كينيا كانت مقراً لاتحاد مكتبات شرقى إفريقيا ١٩٥٦-١٩٧٢ فإنها لم تنشأ بها شبكة وطنية للمكتبات قبل سنة ١٩٦٧. واليوم تقتنى تلك الشبكة ما يربو على ٧٠٠,٠٠٠ مجلد وبها ١٥ فرعا وثمانى سيارات كتب (مكتبات متنقلة). وهى تنشر «الببليوجرافية الوطنية الكينية» منذ ذلك الحين. لقد وجدت فى كينيا مكتبات قوية قبل ذلك التاريخ بكثير ولكنها كانت قليلة ومن بينها «مكتبة ماكميلان التذكارية» التى أنشئت ١٩٣١؛ «مكتبة المحكمة العليا فى كينيا» ١٩٣٥؛ «مكتبة ديساى التذكارية» ١٩٧٢؛ كلية جوموكينيانا الجامعية للزراعة والتكنولوجيا ١٩٨١؛ جامعة موى ١٩٨٤؛ جامعة إيجرتون ١٩٨٧؛ ولا تستطيع أية مكتبة فى كينيا أن تزعزع مكانة مكتبة جامعة نيروبى (أسست سنة ١٩٥٦) حيث إنها تتمتع بالإيداع القانونى فى بلدها من جهة وهى مكتبة إيداع مطبوعات الأمم المتحدة من جهة ثانية.

أما عن الصومال فقد عُرِفَت المكتبات متأخرة عن شقيقاتها فى الجنوب فلم تكن الدولة محظوظة بقدوم بعثات تبشيرية أو أى نشاط دينى مسيحى يؤدى إلى دخول مبكر للطباعة إلى هذه الأرض ومن ثم إلى زيادة مساحة التعليم وقيام المكتبات كما حدث فى كثير من الأراضى الأفريقية. ولم تنشأ المكتبة الوطنية فى الصومال إلا سنة ١٩٧٠، كما ناضلت جامعة الصومال الوطنية (١٩٥٤) بمكتبتها المركزية ومكتبات كلياتها السبع للحصول على معونات خارجية حتى تصل إلى مستوى أكاديمى معقول.

كما أن الحرب الأهلية التى طال أمدها قد أتت على الأخضر واليابس ولم تترك شيئاً للنمو الفكرى.

والوضع فى السودان أحسن حالاً نسبياً فقد أسست كلية جوردون التذكارية سنة ١٩٠٣ وتحولت إلى جامعة سنة ١٩٤٥ وتعرف الآن باسم جامعة الخرطوم. وتعتبر مكتبة جامعة الخرطوم هى أكبر وأقدم مكتبة موجودة فى السودان ويقف إلى جانبها عدد من مكتبات الكليات فى الجامعة؛ كما أن جامعة أم درمان الإسلامية (١٩٦٥) قد طورت هى الأخرى شبكة مكتبات جامعية طيبة بفضل المعونات التى تأتيها من السعودية وغيرها من الدول الخليجية، يضاف إلى ذلك مكتبات الجامعات السودانية الأخرى ومكتبات كلياتها. ورغم وجود عدد من المكتبات العامة وخاصة مكتبات البلديات فى السودان، إلا أنها جميعا ضعيفة المستوى، ومبعثرة بلا خطة. وتفتقر السودان تماما إلى وجود شبكة من المكتبات العامة لسد احتياجات القلة القليلة من المتعلمين فيها وحين ترتفع نسبة الأمية بشكل كبير.

ج- دول البعثة الكبرى السابقة: بوتسوانا ـ ليسوتو ـ سوازيلاند. وهى الآن دول مستقلة تماما وليسوتو وسوازيلاند هى دول ملكية، وهى جميعا تعتبر نمطاً مكتبيًا من نوع خاص. ولقد لحقت بهذه الدول الثلاث دولة ناميبيا (١٩٨٨) وهى جميعا تشترك فى الحدود مع دولة جنوب إفريقيا؛ التى تستخدم مكتباتها المتطورة وشبكات المعلومات بها للوصول إلى الدول الأربع وتحاول أن تضع إمكاناتها فى خدمتها نحو سياسة موحدة لتشاطر المعلومات والمصادر فى الإقليم.

فى بوتسوانا قدم المجلس البريطانى سنة ١٩٦٣ مبادرة أدت فى سنة ١٩٦٧ إلى إنشاء «دار أرشيف وسجلات عامة وطنية» فى مدينة جابورون؛ وقد أصبح هذا الأرشيف الوطنى مركزاً ببليوجرافياً للدولة مسئولا عن الإيداع القانونى وعن إعداد الببليوجرافية الوطنية لبوتسوانا التى تصدر كل ثلاث سنوات. أما مكتبة الجامعة فترجع نشأتها إلى سنة ١٩٧١ وكانت تخدم جامعة بوتسوانا وجامعة ليسوتو وجامعة سوازيلاند فى آن واحد. قد أصبحت ذات إدارة ذاتية اعتباراً من ١٩٨٢.

وتقوم مدرسة المكتبات فى جامعة بوتسوانا بدور مركز الإعداد المهنى والتدريب فى الإقليم كله والفضل فى هذا يرجع إلى التمويل الألمانى للمركز الذى قدمته المؤسسة الألمانية للتنمية الدولية. ويأتى الطلاب الذى يرغبون فى الالتحاق بقسم علوم المكتبات بالجامعة من أماكن بعيدة بعد تنزانيا. وكان هذا القسم قد افتُتِحَ سنة ١٩٧٨ ليمنح دبلومة لمدة سنة واحدة، ودبلومة أخرى لمدة سنتين ولكنه اعتباراً من ١٩٩٠ غدا يدرس على مستوى البكالوريوس لمدة أربع سنوات ومستوى الدراسات العليا.

وفى ليسوتو تتخذ الجامعة الوطنية مدينة روما مقراً لها وقد أُنشِئَت الجامعة سنة ١٩٤٥ تحت اسم الجامعة الكاثوليكية. وللجامعة مكتبة جامعية كبيرة تخدم أغراض الدراسة والبحث بالجامعة. ولم تعرف ليسوتو المكتبات العامة قبل سنة ١٩٧٨ عندما افتُتِحَت أول مكتبة عامة فى البلاد فى مدينة ماسبيرو.

أما فى سوازيلاند فقد بدأت جامعة سوازيلاند بكلية واحدة سنة ١٩٦٤ ثم تعددت كلياتها واتخذت سيماء الجامعة سنة ١٩٧١ عندما تفككت جامعة بوتسوانا (المشتركة) وليسوتو وسوازيلاند إلى عدة جامعات وطنية. وقد أنشئت المكتبة الوطنية سنة ١٩٧١ وهى الآن تضم نحو مائة ألف مجلد وتشاطر مكتبة جامعة سوازيلاند وظائف المكتبة الوطنية.

ولم تتيسر معلومات عن المكتبات والحركة المكتبية فى ناميبيا وذلك بسبب الأوضاع هناك فى الوقت الذى كتبت فيه هذه السطور، وعندما يتيسر ذلك سوف نثبتها فى حرف النون تحت اسم البلد.

د- دول غربى أفريقيا. حققت بعض دول غربى إفريقيا تقدماً ملحوظًا فى مجال المكتبات ومراكز المعلومات بطريقة غير مسبوقة إذا ما قورنت بغيرها من الدول فى شرقى أو جنوبى إفريقيا. ومع ذلك فإن من الضرورى التأكيد على أن القلاقل السياسية والانهيار الاقتصادى التى حاقت بتلك البلاد قد أثرت على هذا التقدم وحرمت غربى إفريقيا من فضل قيادة الدول الإفريقية الناطقة بالإنجليزية الأخرى فى هذا المضمار.

لم يكن فى جامبيا حتى نهاية التسعينات من القرن العشرين جامعة ومن ثم لم يكن بها مكتبات أكاديمية. وقد أسست المكتبة الوطنية بها سنة ١٩٧١ بناء على مكتبة عامة أهداها المجلس البريطانى إلى الحكومة سنة ١٩٦٢. والمكتبة الوطنية الآن تقوم بوظائف المكتبة الوطنية والمكتبة العامة والمركز الببليوجرافى.

فى غانا قدم الأسقف «أكرا» مكتبته الشخصية للجمهور سنة ١٩٢٨م ثم أشرف عليها المجلس البريطانى بعد ذلك. وقد حفزت هذه المجموعة الخاصة حكومة غانا على تأسيس «مجلس مكتبات غانا». وتعتبر المكتبة العامة التى أسسها هذا المجلس سنة ١٩٥٠ أى قبل استقلال غانا بسبع سنوات هى أول مكتبة عامة فى كل إفريقيا السوداء، ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى شبكة مكتبات عامة تغطى كل البلاد قوامها الآن نحو ٢,٥ مليون مجلد وثمانى مكتبات إقليمية و ٣٧ مكتبة فرعية وسيارات كتب وعدد من مكتبات الأطفال. وقد اتخذت لائحة مجلس مكتبات غانا نموذجاً تحتذيه دول إفريقية عديدة وليس هناك مكتبة وطنية فى غانا وإنما يقوم بوظيفتها جزئياً «مكتبة بحوث الشئون الأفريقية (١٩٦١) والتى تعد وتصدر «ببليوجرافية غانا الوطنية». ونصادف فى غانا اليوم ما لا يقل عن مائة مكتبة متخصصة. ومن الملاحظ أنه يدير معظم مرافق المعلومات فى غانا أمناء متخصصون متخرجون فى قسم المكتبات والأرشيف بجامعة غانا. وتعتبر مكتبة بالم (مكتبة جامعة غانا) ١٩٤٨م أكبر مكتبة أكاديمية فى كل البلاد وهذه المكتبة أيضا لديها برنامج للإعداد المهنى فى مجال المكتبات والأرشيف. وتعتبر مكتبة جامعة العلوم والتكنولوجيا ١٩٥١ فى كوماس من أحسن المكتبات هناك وقد لحقت بها بعد عشر سنوات مكتبة جامعة كيب كوست (ساحل الرأس).

ورغم أن تاريخ المكتبات فى ليبيريا هو أطول تاريخ فى كل الدول الناطقة بالإنجليزية فى إفريقيا إلا أن تطور تلك المكتبات كان بطيئاً وثقيلاً. ذلك أن شبكة مكتبات جامعة ليبيريا قد بدأت سنة ١٨٦٢ مع إنشاء الجامعة ومع ذلك فإن مجموع مقتنياتها فى سنة ١٩٩٩ لم تزد على ١٢٠,٠٠٠ مجلد (مائة وعشرين ألف مجلد)!!. ورغم أن أول مكتبة عامة فى ذلك البلد أنشئت سنة ١٨٢٦م إلا أنه لم يعين بها أمين مكتبة متخصص إلا سنة ١٩٥٨م!! وفى سنة ١٩٧٨ وضعت المكتبة تحت إدارة مركز الوثائق والسجلات الوطنى الذى يشرف أيضًا على دار المحفوظات.

وفى نيجيريا ترجع الصورة المشرقة التى عليها المكتبات هناك إلى البعثات التبشيرية المبكرة التى وصلت إلى البلاد فى نهاية القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وإلى المكتبات الشخصية التى دخلت البلاد فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وعلى رأسها مكتبات كل من «هنرى كار» و«قوم جونز». وكانت نيجيريا هى الدولة الوحيدة الإفريقية الناطقة بالإنجليزية التى أنشأت مكتبة وطنية بالمعنى الدقيق سنة ١٩٦٤م رغم أن قانون الإيداع لم يصدر باسمها إلا فى سنة ١٩٧٠ ليزيل الاشتباك الذى كان قائماً بينها وبين المكتبات الأخرى فى هذا الشأن.

وفى العقود الأخيرة بدأت شبكة من المكتبات العامة تبسط جناحيها على البلاد ولكن فقط على المستوى الولائى والمستوى المحلى دون المستوى الفيدرالى حيث لا توجد سلطة فيدرالية تشرف وتنسق وتنفق على هذه الشبكة. ففى ولاية أنامبرا نجد مجلس مكتبات الولاية (١٩٥٥) فى إينوجو يدير شبكة المكتبات، وفى لاجوس نجد شبكة مكتبات ولاية لاجوى منذ ١٩٥٠. أما مدينة لاجوس فلها وحدها شبكة المكتبات المتقدمة الخاصة بها.

وتقع احتمالات التقدم والتطوير فى يد المكتبات الجامعية هناك. فقد أُنشِئَت الجامعات الست والعشرون الموجودة هناك فى غضون ثلاثة عقود فقط تقديراً من الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات الواحدة والعشرين لقيمة التعليم العالى والبحث العلمى.

وتعتبر مكتبة جامعة عبادان (١٩٤٨) بمقتنياتها التى تقترب الآن من نصف مليون مجلد أكبر مجموعة كتب فى كل نيجيريا، كما تدخل مكتبات جامعة نيجيريا، مكتبات جامعة لاجوس، مكتبات جامعة أحمدو بللو وكلها أسست فى أوائل الستينات، ضمن أحسن المكتبات هناك. وحتى كتابة هذه السطور (سنة ١٩٩٩) كان فى الجامعات النيجيرية ثمانية أقسام لتدريس علوم المكتبات والمعلومات.

ومما يكشف عن اهتمام نيجيريا بالمكتبات والعمل المكتبى وجود «الاتحاد الوطنى للمكتبات» الذى أسس سنة ١٩٦٢؛ الاتحاد النيجيرى للمكتبيين والموثقين الزراعيين؛ اتحاد المكتبات المدرسية؛ ٢١ اتحاد مكتبات في الولايات أى بمعدل اتحاد لكل ولاية.

وفى سيراليون كان للأنشطة الدينية والاجتماعية والثقافية التى قامت بها «جمعية الكنيسة التبشيرية» أثرها البالغ فى تطوير الحركة المكتبية هناك وقد ساند تلك الأنشطة جهود الأفراد من أمثال الأسقف «شيتام» الذى أقام مكتبة سنة ١٨٧٣م؛ وتبعه فى هذا الصدد «ج.ج توماس» الذى قدم مكتبة فى نهاية القرن التاسع عشر.

وقد أخذت كليات المعلمين فى الانتشار بعد سنة ١٩٣٣. وتتألف جامعة سيراليون من كليتين: كلية فرح بيه وكلية نجلاء الجامعية. ورغم أن كلية فرح بيه أُسسَت سنة ١٨٢٧م إلا أنها ظلت حتى سنة ١٨٧٦ دون خدمات مكتبية تذكر حين تم ربطها بجامعة درم فى إنجلترا، وقد استخدمت مجموعاتها الضعيفة ١٥٠,٠٠٠ مجلد مع مكتبة كلية نجلاء الصغيرة (١٩٦٤) لمساعدة كليتى الزراعة والتربية. ومن الطريف أن الأرشيف الوطنى قد وضع مجموعاته فى كلية فرح بيه وهكذا أصبح لأمناء مكتبة جامعة سيراليون الشرف فى أن يصبحوا أيضا أرشيفيين.

ورغم صدور قرار إنشاء مجلس مكتبات سيراليون سنة ١٩٥٩م إلا أن قيام شبكة المكتبات العامة بالبلاد لم يبدأ إلا سنة ١٩٦٤. ويوجد الآن فى نهاية القرن العشرين ثلاث مكتبات إقليمية وعشرة فروع وخدمة مكتبية للمدارس تحت إشراف المجلس، كما أنشئت أيضا تحت إشرافه المكتبة الوطنية.

والصورة التى نخرج بها من تحليل تطور الحركة المكتبية فى إفريقيا الناطقة

بالإنجليزية أن هذه الحركة غير متكافئة وغير متوازنة بين كل دول المنطقة. وأنه ليس هناك مكتبات وطنية عظيمة وفى معظم الأحيان هناك نوع ما من شبكات المكتبات العامة بمعونة حكومية وخارجية. بينما كان لإدخال التعليم الجامعى إلى تلك البلاد فضل كبير فى تطوير حركة المكتبات وخاصة الأكاديمية منها، والتى جنحت نحو التطور الأسرع من حيث المقتنيات والمبانى والقوى العاملة عن غيرها من أنواع المكتبات.

إفريقيا الناطقة بالفرنسية

يضم تاريخ المكتبات فى إفريقيا الناطقة بالفرنسية ثلاثًا وعشرين دولة جنوب الصحراء والمحيط الهندى من مستعمرات فرنسا وبلجيكا السابقة. هذه الدول تحررت واستقلت تباعا مع حلول سنة ١٩٩٠ فيما عدا واحدة مازالت تابعة لفرنسا. ومن الجدير بالذكر أن عشرين دولة منها قد أعلنت اللغة الفرنيسة لغة رسمية لها. ورغم اعتراف الاستعمار والحكومات الوطنية بأهمية دور المكتبات فى دعم التنمية الاقتصادية والبشرية والأنشطة الإدارية والعلمية إلا أن الخدمة المكتبية العامة لم تتطور بما فيه الكفاية إلا فى مناطق بلجيكا السابقة. وقد تحالفت مجموعة من العوامل على تبطىء تطور وفاعلية المكتبات فى المناطق الفرنيسة من إفريقيا ومن بين تلك العوامل قلة المخصصات المالية؛ قلة المكتبيين المؤهلين؛ تراجع المكتبات فى أولويات الاهتمامات الحكومية.

مع مرور الوقت بدأ توافر أخصائى المكتبات المؤهلين وقد كفلت اليونسكو قيام أول مدرسة لتعليم علم المكتبات فى إفريقيا الناطقة بالفرنسية، تلك التى افتتحت فى داكار ١٩٦٣. وفى سنة ١٩٦٧ أصبح هذا البرنامج هو «مدرسة المكتبيين والأرشيفين والموثقين» فى جامعة داكار. وقد أصبحت هذه المدرسة مدرسة إقليمية لكل إفريقيا الناطقة بالفرنسية بدعم من اليونسكو. وما إن حلت السبعينات حتى انتشرت مدارس تعليم علم المكتبات فى العديد من الدول مثل زائير ١٩٧٩، بينين ١٩٨١، موريشيوس ١٩٧٨، جابون ١٩٨١، الكونجو ١٩٨٧، بوروندى ١٩٨٧، ومن جهة ثانية قامت فى معظم تلك الدول اتحادات للمكتبات والمعلومات.

أ- دول إفريقيا الوسطى (الفرنسية)

وقعت مناطق جابون، الكونغو الأوسط، أوبانجيشارى، تشاد تحت الاحتلال الفرنسى الفعلى المباشر بين ١٨٨٥ و ١٩١٥ وقام اتحاد إفريقيا الفرنيسة الاستوائية سنة ١٩١٠ واتخذ عاصمة له برازافيل. بينما قسمت مستعمرة الكاميرون الألمانية بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٩٢٢. وقد استقلت الدول الخمس سنة ١٩٦٠.

وقد تطورت المكتبات فى تلك الدول شأنها شأن سائر المرافق ببطء. وفى الكاميرون أنشأت السلطات الرسمية مكتبات صغيرة لإمداد الموظفين فى المناطق الريفية بالكتب ومواد القراءة الأخرى. وفى خلال عقد الخمسينات دأب حاكم كل إقليم على إنشاء أرشيف محلى يحفظ فيه وثائق الإقليم. أما الأرشيف المركزى لاتحاد إفريقيا الفرنسية الاستوائية فقد أُنشِئ فى برازافيل عاصمة الاتحاد. وقد نقل معظم وثائق تلك الأرشيفات إلى فرنسا عند الاستقلال. ولقد أنشئت المكتبة الحكومية أيضا فى برازافيل وقد ضمت سنة ١٩٥٩م ألفى مجلد فقط. وكانت أحسن المكتبات تنظيماً وأكبرها حجماً فى الاتحاد، هى تلك المكتبات المتخصصة التى أنشئت أصلا لسد احتياجات البحث العلمى، ذلك البحث الذى توسع بسرعة فى الاتحاد عقب الحرب العالمية الثانية.

ولقد أُنشِئَت وظائف بحثية فى مجالات مختلفة: الزراعة، الطب البيطرى، العلوم الاجتماعية، كما أُنشِئَت فروع محلية لـ «مركز البحوث العلمية والتكنولوجية فيما وراء البحار». وكان من الطبيعى أن تؤسس المكتبات لخدمة هذه المراكز والمناصب والبحوث.

لقد كانت المكتبات المدرسية هناك قليلة على وجه العموم. نعم لقد كانت هناك مكتبات فى المدارس بعد المرحلة الابتدائية ولكنها مبعثرة دون خطة ودون سياسة عامة تنظمها. وكانت المكتبات العامة هى الأخرى قليلة فى فترة الاستعمار. ومما يجدر ذكره هنا أن المكتبة الحكومية فى برازافيل قد فُتِحَت للجمهور سنة ١٩٥٢ للاستعارة الخارجية دون مقابل. وقد قام «التحالف الفرنسى» بفتح مكتبة جديدة فى نفس مبنى

المكتبة الحكومية، وكان فى هذه المكتبة الجديدة قسم خاص بالقصص قوامه أربعة آلاف قصة، وضمت المكتبة بعض الدوريات.

ولكن بعد فترة قصيرة من الاستقلال أُغلِقَت بعض المكتبات الحكومية بسبب عدم وجود مخصصات مالية لها. ونقلت حكومة اتحاد إفريقيا الفرنسية الاستوائية المشار إليها إلى مركز التعليم العالى (أسس سنة ١٩٥٩) فى برازافيل وهو سلف جامعة ماريان نجوابى. أما المكتبات المتخصصة التى كانت تمول من الخارج فقد استمرت فى الوجود. وفى سنة ١٩٨٦ كانت أكبر مكتبات هناك: مكتبة منظمة الصحة العالمية ٤٥٠٠٠ مجلد و ٢٠٠ دورية؛ ومكتبة مركز البحوث العلمية والتكنولوجية فى برازافيل ١٧٠٠٠ مجلد و ٨٣١ دورية و ١٤٠٠ ميكروفيلم و ٢٠٠٠ خريطة طوبوغرافية.

ولقد بدأت مكتبات جديدة فى الظهور فى الستينات فقد أسست «مكتبة الكاميرون الوطنية» فى يواندا سنة ١٩٦٦؛ وأسس الأرشيف الوطنى فى جابون سنة ١٩٦٩، وقد ضم المكتبة الوطنية أيضا رغم أن أول أمين مكتبة مؤهل لم يصل إلى البلاد إلا سنة ١٩٧٨. وأنشأت الكونغو هى الأخرى مكتبة وطنية وأرشيفاً وطنياً ومركز توثيق وطنى سنة ١٩٧١. وكانت المكتبة الوطنية هناك تعرف باسم «مكتبة الشعب الوطنية».

وقد غدت المكتبات الجديدة فى كل من الكاميرون والكونغو مكتبات للإيداع القانونى وكانت مكتبات الجابون الوطنية فى سنة ١٩٨٢ لايزيد رصيدها على ١٥٠٠٠ مجلد ارتفعت بالكاد سنة ١٩٩٩م إلى ثلاثين ألف مجلد وكانت أكبر مكتبة فى البلاد.

ولم تأت سنة ١٩٩٠م إلا وكانت الدول الخمس قد أسست جامعات بكل منها مكتبة أكاديمية. وكان أكبر تلك المكتبات مكتبة جامعة يواندا (١٩٦٢-١٩٦٣).

وقد افتُتِحَت المكتبة المركزية للجامعة سنة ١٩٦٩ وبلغ رصيدها سنة ١٩٨٤ نحو تسعين ألف مجلد كتب و ٩٠٠ دورية. وفى سنة ١٩٩٩م ارتفع رصيدها إلى

۱۲۰,۰۰۰ مجلد كتب. أما شبكة المكتبات الجامعية فى جامعة ماريان نجوابى فى برازافيل (الكونغو) فقد وصلت مجموعاتها إلى ۹۰,۰۰۰ مجلد كتب و ٥٤٥ دورية وعشرة مكتبات أقسام سنة ۱۹۸۸. وارتفع هذا الرصيد نسبيا سنة ۱۹۹۹م إلى نحو ۱۱۰,۰۰۰ مجلد كتب. ولقد أسست جامعة بانجو بجمهورية إفريقيا الوسطى سنة ۱۹۷۰م ولم يزد رصيدها سنة ۱۹۸٥ عن ۲٤۰۰۰ مجلد زادت بالكاد إلى ٤۰,۰۰۰ مجلد فى نهاية القرن. أما جابون وتشاد فتأتيان فى ذيل القائمة ذلك أن جامعة عمر بونجو فى ليبرفيل التى أسست سنة ۱۹۷۲م لم يزد رصيدها فى نهاية القرن العشرين على عشرين ألف مجلد وكذلك جامعة تشاد فى نجامينا التى أسست سنة ۱۹۷۱.

وفى وقت الاستقلال لم يكن لدى الجابون أو دول اتحاد أفريقيا الفرنسية الاستوائية الأربعة أية شبكة للمكتبات العامة. وفى تسعينات القرن العشرين لم تكن هناك مكتبات عامة كبيرة معقولة سوى تلك التى تديرها المراكز الثقافية الأجنبية. وكانت الدول الراعية لتلك المكتبات هى على الترتيب من حيث حجم المجموعات:

فرنسا ۲٥۰۰۰ مجلد فى نجامينا وبرازافيل و ۱۲۰۰۰ مجلد فى بانجو، تليها الولايات المتحدة بعدة مجموعات تتراوح من ۱۰۰۰ إلى ٤۰۰۰ فى مناطق مختلفة، تليها ليبيا بمجموعات عربية فى تشاد، ثم الاتحاد السوفيتى ۱۸۰۰۰ مجلد فى برازافيل.

فى سنة ۱۹۸۹م وقعت كل من الكاميرون و تشاد و الكونغو و جابون اتفاقات مع وزارة التعاون الفرنسية لتطوير وتنمية المكتبات العامة فى تلك الدول. وقد وضعت الكونغو خططاً لإنشاء مكتبات عامة فى مختلف أحياء برازافيل، بينما خططت تشاد لإنشاء المكتبات فى مراكز الشباب وفى الكاميرون وجابون بدأت الحكومات المحلية فى إنشاء شبكات مكتبات عامة فى المحليات المختلفة.

ب- دول إفريقيا الوسطى (البلجيكية)

قضت الدول الإفريقية الثلاث: زائير، رواندا، بوروندى معظم فترتها الاستعمارية

تحت الحكم البلجيكى. ولقد حصلت الكونغو على استقلالها سنة ١٩٦٠ وغيرت اسمها إلى زائير سنة ١٩٧١. أما المستعمرة الألمانية رواندا أورندى فقد غدت مستعمرة بلجيكية بعد الحرب العالمية الأولى وانقسمت إلى شطرين رواناد و بوروندى عند الاستقلال سنة ١٩٦٢.

لقد قام «ليوبولد الثانى» بإنشاء مكتبة حول شئون المستعمرات حتى قبل أن يصل إلى الحكم سنة ١٨٦٥. وقد تول «إميل بانج» جمع المواد المكتبية اللازمة لتلك المكتبة لمساندة طموحات ليوبولد الاستعمارية والتى أدت فى النهاية إلى تأسيس منطقة الكونغو الحرة سنة ١٨٨٥ والتى أطلق عليها سنة ١٩٠٨م الكونغو البلجيكى. وفى سنة ١٩٢٦ تجمع لدى وزارة المستعمرات البلجيكية ما يربو على ٣٠,٠٠٠ مجلد فى بروكسل وقد نقلت هذه المكتبة فيما بعد إلى وزارة الخارجية سنة ١٩٦١ تحت اسم «المكتبة الإفريقية» وكان قوامها ٣٥٠,٠٠٠ مجلد فى نهاية الستينات.

وكانت أول المكتبات التى أنشئت فى الكونغو البلجيكى قد جاءت نتيجة لجهود عمدة بروكسل «تشارلز بول» الذى خطط سنة ١٨٩٨ لمشروع تطوعى لجمع وتقديم الكتب للقوات البلجيكية فى الخارج؛ وقبل انتهاء المشروع سنة ١٩٠٦ كان قد تم إمداد نحو ١٠٠ معسكر بصناديق حديدية من الكتب قوام كل منها ما بين ١٥٠-٢٠٠ عنوان.

وقد أنشئت المكتبات الإدارية لخدمة موظفى المستعمرة الرسميين بمقتضى قرار ١٩١٠ والذى كان يسمح لغير الرسميين باستخدام المكتبة مقابل ٢٥ فرنك كرسوم انتفاع. وكانت هناك مكتبات شخصية عديدة قد وضعت فى خدمة الجمهور العام فى ليوبولدفيل (كنشاسا الآن) سنة ١٩٢٥، وبعدها فى إليزابيثفيل (لوبومباش الآن).

وقد حولت قرارات ١٩٣١ و ١٩٣٢ الحاكم العام للكونغو إنشاء مكتبات عامة فى المناطق البلجيكية ولم تأت سنة ١٩٤٠ إلا وكانت هناك ٢٣ مكتبة للبيض و ١٥ مكتبة للأفارقة بما فى ذلك ٣ مكتبات فى رواندا ـ أوروندى. أما قانون ١٩٤٦ فقد نص على ضرورة إنشاء مكتبات للأفارقة خاصة ولذلك حدثت زيادة سريعة فى هذه

المكتبات بعد ذلك وتسجل الأرقام: ١٨٤ مكتبة سنة ١٩٤٨، ٣٨٨ سنة ١٩٥٨، بينما في نفس سنة ١٩٥٨ لم يكن هناك سوى ٣٩ مكتبة للبيض. ورغم أن معظم تلك المكتبات المخصصة للأفارقة كان صغير الحجم لا يزيد على ٤٠٠ كتاب في المتوسط، إلا أنه يكشف عن أن إنشاء شبكات المكتبات العامة في إفريقيا البلجيكية الناطقة بالفرنسية كان مدهشا فقد سجلت أرقام سنة ١٩٥٥: ٥٥٧٢ مستعيراً قاموا باستعارة ٥٣٦,٩٦٧ كتاباً. ومما يؤسف له أن كثيرا من تلك المكتبات العامة قد اختفى منذ السنوات الأولى للاستقلال والتي شهدت اضطرابات شديدة في المناطق الثلاثة.

وإن كانت بوجومبورا (بوروندي) قد سجلت ارتفاع رصيد المكتبات العامة من الكتب عندها إلى ٢٦٠٠٠ مجلد سنة ١٩٨٩، وكنشاسا إلى ٢٤٠٠٠ مجلد في نفس السنة.

ويعزى إلى بلجيكا أيضا أنها أنشأت المكتبة المركزية للحاكم العام في ليوبولدفيل. ورغم أنها افتتحت فقط سنة ١٩٤٩م إلا أن مجموعاتها سنة ١٩٥٨ وصلت إلى ٩٠,٠٠٠ كتاب و ١٥٠٠ دورية وبعد الاستقلال تحولت هذه المكتبة إلى المكتبة الوطنية للكونغو. ولقد ظهرت المكتبات المتخصصة في الكونغو منذ ثلاثينات القرن العشرين. وكانت مكتبة معهد العلوم الزراعية في رواندا (أسس سنة ١٩٣٢ في بوتاري) ومكتبة المعهد القومي للبحوث والدراسات الزراعية (أسس سنة ١٩٣٣ في يانجومي) من بين أوائل المكتبات البحثية في البلاد. كما كان لشركات التعدين وبعثات الآباء الدومنيكان مكتبات متخصصة. أما المكتبات الأكاديمية فقد ظهرت متأخرة متمثلة في جامعة لوفانيوم الكونغو التي افتتحت سنة ١٩٥٤، والجامعة الرسمية ١٩٥٦.

وعند الاستقلال كان في الكونغو مكتبة مركزية قوية وعدد من المكتبات العامة الصغيرة ومكتبات متخصصة تخدم الصناعة والزراعة والإدارات الحكومية والهيئات الدينية كما كانت هناك مكتبتان أدكاديميتان. كذلك كان في كل من بوروندي ورواندا مكتبات عامة ومكتبات متخصصة قليلة. وقد أنشئت جامعة ثالثة في الكونغو ١٩٦٣-١٩٦٤.

وبعد الاستقلال لقيت المكتبات الأكاديمية كل دعم، ففى سنة ١٩٦١م أنشئت الجامعة الرسمية فى بوروندى مع مكتبة قوية مركزية وخمس مكتبات أقسام بمقتنيات إجمالية قدرها ١١٠,٠٠٠ كتاب و ١٢٧٠ دورية. وفى سنة ١٩٦٣ أُسسَت الجامعة الوطنية فى رواندا وضُمَّ إليها المعهد الوطنى للتربية سنة ١٩٨١ فى حرمين مختلفين لكل منهما مكتبته الخاصة كبراهما قوامها ١٤٠,٠٠٠ مجلد كتب و ٧٥٠ دورية فى سنة ١٩٩٩.

فى سنة ١٩٧١م أُعِيدَ تنظيم الجامعات الكونغولية الثلاثة على أساس أن تكون معًا جامعة زائير الوطنية بثلاثة حرم فى كينشاسا؛ كيسانجانى؛ لوبومباش، وقد أنشأ كل حرم من الثلاثة مكتبته الخاصة بفرع الجامعة على أساس مكتبة مركزية وربما بعض مكتبات الأقسام ومكتبات مراكز البحوث الموجودة داخل الفرع. وكان أول مدير زائيرى قد عين فى كيسانجانى سنة ١٩٧٥؛ ولم تأت سنة ١٩٨٠م إلا وكان المدراء الثلاثة من أهل البلاد. ويعين المكتبيون المهنيون على درجات أكاديمية مساوية لدرجات أعضاء هيئة التدريس طبقا لقرار خاص صدر سنة ١٩٧٨ ولهم نفس الامتيازات لأعضاء هيئة التدريس. ويختلف حجم المجموعات حالياً من فرع إلى فرع ففى نهاية التسعينات من قرننا العشرين كانت المجموعات فى فرع كينشاسا (جامعة لوفانيوم سابقًا) قد وصلت إلى ٣٥٠,٠٠٠ مجلد؛ وفى كوبومباش (الجامعة الرسمية سابقًا) إلى ١٠٠,٠٠٠ مجلد؛ وفى كيسانجانى (الجامعة الحرة سابقًا) ٥٠,٠٠٠ مجلد كتب و ٤٥٠ دورية.

وقد اتجهت بوروندى و رواندا - دون زائير - نحو إنشاء مراكز توثيق وطنية لتنسيق شبكات المكتبات والمعلومات بهما ولتوحيد سياسات المعلومات العلمية والتكنولوجية. وفى بوروندى أنيطت هذه العملية بالمركز الوطنى للمعلومات وتوثيق العلوم والتكنولوجيا، وفى رواندا عُهِدَ بها إلى وزارة التعليم العالى والبحث العلمى.

جـ- دول شرقى إفريقيا الناطقة بالفرنسية

الدولة الأفريقية الوحيدة على أرض شرقى إفريقيا التى مازالت تتحدث الفرنسية هى جيبوتى وتقع على فم أى مدخل البحر الأحمر. ومع ذلك فهناك خمس جزر

أو جماعات جزرية فى المحيط الهندى شرق الساحل الأفريقى تدخل ضمن الممتلكات الفرنسية وتمارس التأثير الفرنسى فى جوانب كثيرة من ميراثها العربى والأفريقى والعناصر الأخرى.

وعندما احتل الفرنسيون تلك الجزر كونوا بينها اتحاداً وأصبح هذه الاتحاد قسماً من أقسام ما وراء البحار الفرنسية منذ سنة ١٩٤٦. ونصادف فى هذا الاتحاد مكتبة وطنية قوامها الآن ١١,٠٠٠ مجلد؛ مكتبة إعارة مركزية قوامها ١٧٠,٠٠٠ مجلد ومكتبة جامعة الاتحاد وقوامها ١٢٠,٠٠٠ مجلد كتب و ٧١٠ دورية.

وفى مدغشقر أكبر الجزر نطقا بالفرنسية فى المنطقة التى نالت استقلالها سنة ١٩٦٠ نجد الفرنسية والملاجاسية لغتين رسميتين فى البلاد. وقد نمت المكتبة الحكومية التى أسست سنة ١٩٢٠م لتصل إلى ٨٠,٠٠٠ مجلد سنة ١٩٦١ حين أصبحت مكتبة وطنية. وقد انتقلت إلى مبنى جديد سنة ١٩٨٢ ويبلغ رصيدها فى سنة ١٩٩٩م إلى ٢٢٠,٠٠٠ مجلد. أما المكتبة الأكاديمية الكبرى فى البلاد وهى مكتبة جامعة أنتاناناريفو بالعاصمة والتى تخدم ٤٠,٠٠٠ طالب فقد بلغت مقتنياتها فى نفس السنة ٢٣٠,٠٠٠ بما فى ذلك ٤٠,٠٠٠ رسالة علمية أجنبية و ٧٠٠ دورية.

ونصادف كبرى المكتبات المتخصصة فى أكاديمية ملاجاس (أسست ١٩٠٥) ومقتنياتها وصلت ٤٠,٠٠٠ سنة ١٩٩٩؛ ومصلحة الجيولوجيا (أسست ١٩٢٦)، وقوامها الآن ٥٠٩١٩ مجلدا. وفى نفس السنة كان هناك ٦٠ مكتبة عامة تغطى المقاطعات الست فى الدولة كان أكبرها مكتبة بلدية أنتاناناريفو (تناناريف) العاصمة وقد أسست المكتبة سنة ١٩٦١ والتى بلغت مقتنياتها الآن ٢٥٠٠٠ مجلد. وهناك العديد من المراكز الثقافية الأجنبية التى تفتح أبوابها للجمهور.

أما موريشيوس و سيشل فقد أصبحتا مستعمرتين بريطانيتين فى سنتى ١٨١٠ و١٨١٤ على التوالى بعد أن كانتا ترزحان تحت الاستعمار الفرنسى وقد نالتا استقلالهما سنتى ١٩٦٨ و ١٩٧٦ على التوالى. وفى موريشيوس أسست مكتبة البلدية سنة ١٩٣٣ فى بورت لويس وظلت فى نمو مستمر حتى بلغت مقتنياتها سنة ١٩٩٩م مائة ألف مجلد.

وهناك مكتبات أخرى تخدم المدن الكبرى بما فى ذلك مكتبة كارينجى فى كوربايب. واليوم تقوم مكتبة معهد موريشيوس الذى أسس سنة ١٩٠١ بدوره المكتبة الوطنية وتصل مقتنياتها اليوم إلى نحو سبعين ألف مجلد. وربما كانت أكبر مكتبة متخصصة هناك هى مكتبة «معهد بحوث صناعة السكر فى موريشيوس» الذى أسس سنة ١٩٥٣م والتى تصل مقتنياتها إلى نحو ٢٥٠٠٠ مجلد كتب و ٦٥٩ دورية. وفى سنة ١٩٩٩ كانت المكتبة المركزية لجامعة موريشيوس قد وصلت إلى ٨٥٠٠٠ مجلد و ٥٧٥ دورية. وقد افتتحت الجامعة برنامجا لتعليم علم المكتبات سنة ١٩٧٨.

وفى سيشل أنشئت مكتبة كارينجى سنة ١٩٠٨ وقد اتخذت أساسًا للمكتبة الوطنية التى قامت سنة ١٩٧٨ وقد بلغت مقتنياتها سنة ١٩٩٩ نحواً من ستين ألف مجلد.

وفى المدارس الخمس والعشرين الابتدائية الموجودة هناك نصادف مكتبات مدرسية صغيرة قوام كل منها فى المتوسط ٤٠٠ مجلد. وقد افتتح المعهد الفنى الصناعى فى سيشل على مستوى المرحلة الثانوية سنة ١٩٨٣ فى مدينة آنس رويال وتصل مكتبته الآن إلى خمسة عشر ألف مجلد. وهناك معهد آخر فى مونت فليرى وتصل مكتبته أيضا إلى خمسة عشر ألف مجلد.

وتقوم مكتبة المركز الثقافى الفرنسى وقوامها عشر آلاف مجلد بفتح أبوابها للجمهور العام.

لقد استقلت جزر القمر سنة ١٩٧٥ وغالبية السكان هناك (وعددهم يقترب من ٦٠٠,٠٠٠ نسمة) يتحدثون العربية أو السواحيلية ومع ذلك فقد ظلت الفرنسية هى اللغة الرسمية. ويوجد هناك عدد محدود من المكتبات وخاصة فى العاصمة مورونى ومن بينها مكتبة المركز الوطنى للتوثيق والبحث العلمى والتى تبلغ مقتنياتها عشرة آلاف مجلد، ومكتبة المدرسة الوطنية للتعليم العالى والتى تصل مقتنياتها إلى تسعة آلاف كتاب و ٣٠ دورية.

وقد قام الاتحاد الفرنسى ـ القمرى بإنشاء مكتبتين فى مدينتين أخريتين.

وعلى أرض القارة نالت جيبوتى (الصومال الفرنسى سابقًا) استقلالها سنة

١٩٧٧ . والمكتبات فيها محدودة هى الأخرى فهناك المكتبة الجديدة للجمعية الوطنية والتى تضم كذلك مركز التوثيق، وقد افتتحتا سنة ١٩٨٨ . وهناك مكتبة المركز الثقافى الفرنسى التى بلغت مقتنياتها سنة ١٩٩٩ نحو عشرة آلاف مجلد، بينما الأكاديمية العربية للنقل البحرى تضم مكتبتها نحو عشرة آلاف مجلد و ١٨٠ دورية فى نفس السنة.

د- دول غربى أفريقيا الناطقة بالفرنسية

كانت بينين، بوركينافاسو، غينيا، ساحل العالج (كوت دى فوار)، مالى، موريتانيا، النيجر، السنغال فيما سبق أعضاء فى اتحاد للمستعمرات الفرنسية يسمى «إفريقيا الغربية الفرنسية» والذى أسسته فرنسا سنة ١٨٩٥ . ولقد أصبحت توجو تحت الوصاية الفرنسية سنة ١٩٢٢ . ويكشف البحث التاريخى عن أن المكتبات عرفت فى هذا الجزء من أفريقيا منذ القرن السادس عشر حيث كان التجار المسلمون من شمال إفريقيا يأتون ومعهم الكتب التى تعتبر جزءا من التقاليد والتراث العلمى الإسلامى. ومن الثابت أن المسلمين قد أسسوا مراكز علمية هناك على نحو ما نصادفه فى تمبكتو و جينيه. وتقرر المصادر أيضا أن علماء المسلمين وأثرياءهم وتجارهم كونوا مكتبات شخصية لا يستهان بها.

وفى الفترة الاستعمارية أنشئت المكتبات لتسهيل مهام البعثات العلمية والتعليمية هناك. وعلى سبيل المثال قام الحاكم العام فرانسوا كلوزيل بتشكيل «لجنة الدراسات التاريخية والعلمية» لدراسة الجوانب المختلفة لدول اتحاد إفريقيا الغربية الفرنسية. ومن ثم تطلب الأمر إنشاء مكتبة كبيرة عهد بها إلى أرشفجى الاتحاد: كلود فوريه. ومن جهة أخرى نشأت مكتبات صغيرة فى الإدارات الحكومية المختلفة لم تزد مجموعات أى منها عن ٣٠٠٠ مجلد. وكانت هناك كذلك مجموعات قانونية فى عواصم الأقاليم.

وقبيل الحرب العالمية الثانية مباشرة دأب الرسميون على إنشاء ودعم المكتبات البحثية، وعلى سبيل المثال شجع «جوليس بريفيه» الحاكم العام لاتحاد أفريقيا الغربية

الفرنسية فكرة نشر الثقافة الفرنسية فى تلك المناطق فقام سنة ١٩٣٧ بإنشاء المعهد الفرنسى لإفريقيا السوداء للقيام بالبحوث والدراسات الخاصة بتلك المناطق، وقد حل هذا المعهد محل لجنة الدراسات التاريخية والعلمية سابقة الذكر. كما عهد إلى هذا المعهد القيام بإنشاء المكتبات والأرشيفات والمتاحف المتعلقة بغربى إفريقيا. وأنشئت مكتبة مركزية للمعهد فى داكار كان مديرها «أندريه فيلارد» وقد زيدت ميزانية الكتب من ١٠,٠٠٠ فرنك فى البداية إلى ١٩٤,٠٠٠ فرنك سنة ١٩٣٨. وخلال سنوات الحرب خصص للمكتبة ١٠٠,٠٠٠ فرنك لشراء الكتب سنوياً. وقد نمت المجموعات من ٧٠٠٠ مجلد سنة ١٩٣٩م إلى ٢١٠٠٠ مجلد سنة ١٩٤٩ ومع مرور الوقت ضمت المجموعات القانونية فى الأقاليم إلى مكتبات المعهد. وفى الفترة من ١٩٤٥م إلى ١٩٦٠ شهد اتحاد دول أفريقيا الغربية الفرنسية رخاءً اقتصادياً ملموسًا وانعكس ذلك على تمويل المكتبات والخدمات المكتبية وخاصة فيما يتعلق بالمكتبات المتخصصة صاحبة النصيب الأوفر من هذا الرخاء.

ولقد توفرت فرص جديدة للتعليم العالى للأفارقة بعد الحرب وذلك لسد احتياجات الوظائف المختلفة المتزايدة والمتنوعة. قام الفرنسيون بإنشاء معهد الدراسات العليا فى داكار، وكانت مكتبة هذا المعهد فى البداية صغيرة عبارة عن مجموعة كتب طبية ورثت من مدرسة الطب الأفريقية. وفى سنة ١٩٥٠ قدم أحد أعضاء هيئة التدريس مجموعة صغيرة فى القانون، والإنسانيات، والعلوم. وفى سنة ١٩٥٢م استُقدِمَت مكتبية فرنسية هى «سوزان سيجوين» لفهرسة وإدارة المكتبة، وفى سنة ١٩٥٧م أصبح هذا المعهد جامعة داكار، وفى سنة ١٩٦٠ كانت مقتنيات مكتبة هذه الجامعة تدور حول ٨٠,٠٠٠ مجلد وبدأ تشييد مبنى مخصوص للمكتبة المركزية وقد اضطرد نمو المكتبة حتى بلغت سنة ١٩٩٩ نحو نصف مليون مجلد وخمسة آلاف دورية.

ولم تحظ المكتبات العامة إلا باهتمام محدود من جانب إدارة اتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية وهو نفس حظ المكتبات العامة داخل فرنسا نفسها خلال تلك الفترة وما بعدها.

ورغم أن مكتبة بلدية قد أسست سنة ١٨٠٣ فى السنغال إلا أن الحكومة تركت إنشاء مثل هذه المرافق لهيئات أخرى. وأنشئت مكتبة بلدية أخرى فى أبيدجان كما أدار التحالف الفرنسى مكتبة اشتراكات فى داكار. ولقد قدمت ثلاثة اقتراحات بشأن تطوير المكتبات العامة قدمت للحاكم العام خلال الخمسينات ولكن أيا منها لم يسفر عن خطوات محددة لإنشاء شبكة مكتبات عامة. وقامت اليونسكو سنة ١٩٦٤ بإنشاء مكتبة تجريبية فى أبيدجان. ونالت غينيا استقلالها سنة ١٩٥٨ وسائر دول اتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية وتوجو سنة ١٩٦٠. ومع الاستقلال أصبحت عملية إنشاء المكتبات مسئولية الحكومات الوطنية الجديدة. وتتوفر معظم تلك الدول وليس كلها على إنشاء مكتبة وطنية وإن بنيت أصلاً على المكتبات الإقليمية التى أنشأها المعهد الفرنسى لأفريقيا السوداء التى كانت تملك أحسن المجموعات فى الدول الجديدة. واستمرت معظم المكتبات المتخصصة والعلمية فى العهد الجديد رغم تغير الأسماء والتبعيات.

وقد سعت الحكومات الجديدة حثيثاً لتحسين التعليم العالى وتعليم الجموع وقامت دول، بوركينا فاسو، ساحل العاج، النيجر، توجو، السنغال بإنشاء جامعات وطنية ذات مكتبات أكاديمية. أما غينيا ومالى وموريتانيا فقد أنشأت معاهد للتعليم العالى وليس جامعات وكانت بها هى الأخرى مكتبات بطبيعة الحال: وقد قامت منظمة المؤتمر الإسلامى بإنشاء الجامعة الإسلامية فى «سيى» بالنيجر. وفى العديد من تلك الدول تضمن برنامج محو الأمية بالريف إنشاء مكتبات صغيرة بالقرى.

وقامت عدة دول بإنشاء مراكز وطنية للتوثيق؛ وقد بدأت تلك المراكز بجمع وبث الوثائق المتعلقة بتلك الدول كما أخذت تلك المراكز فى التنسيق بين المكتبات العلمية والتكنولوجية ودمجها فى شبكات، ووضع سياسة وطنية للمعلومات العلمية والتكنولوجية. وفى هذه الزاوية تقوم تلك المراكز بدور المكتبة الوطنية كهيئة محورية فى سياسة المعلومات.

وفى توجو على سبيل المثال توفر مركز المعلومات التكنولوجية على إنشاء شبكة

مكتبات وطنية فى شبكات قطاعية تتألف من: مكتبات التنمية الريفية، المكتبات المدرسية، مكتبات التعليم العالى، مراكز التوثيق العاملة فى مجال التنمية الاجتماعية الاقتصادية. وقد تم تمويل هذا المشروع من المركز الدولى لبحوث التنمية. ومثل هذه الشبكة استحدثت أو خطط لإنشائها فى بينين، بوركينا فاسو، السنغال. وبعض هذه الشبكات يعمل كنقطة محورية محلية لـ «نظام معلومات التوثيق بين الدول الأفريقية»، الذى أنشأته بعثة الأمم المتحدة الاقتصادية إلى أفريقيا.

المكتبات والتنمية الوطنية فى الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية

لم تكن المكتبات من بين أولويات الحكومات الأفريقية ولم يكن الحكام أو الرسميون عمومًا يدركون أهمية المكتبات فى دفع عجلة التنمية ودور المعلومات فى اتخاذ القرارات وربما لم يهيأ لهم استعمال مصادر المعلومات فى حياتهم العملية. ومن الملاحظ أن المكتبات المتخصصة والأكاديمية هى التى نالت القسط الأوفر من دعم الحكومات الجديدة وفى ثمانينات القرن العشرين فقط بدأت الحكومات الأفريقية فى إعطاء شىء من الاهتمام للمكتبات العامة. وفى سنة ١٩٨٩ وقعت ١٤ دولة أفريقية فرانكوفونية اتفاقات مع وزارة التعاون والتنمية الفرنسية لإعداد مشروعات تشجع الجمهور العام على القراءة وقد ضمت هذه الاتفاقات المكتبات المدرسية (موريتانيا)، مكتبات مراكز الشباب المحلية (جيبوتى، تشاد، بوروندى)، المكتبات العامة فى المدن النائية والمبعثرة (غينيا، زائير، الكونغو) أو فى عواصم الأقاليم (توجو، السنغال، بينين، مالى) وغير ذلك من الأنشطة.

وقد أصبح مشروع مالى المسمى «إدارة القراءة العامة» أحد أقدم المشروعات المكتبة وأكثرها طموحاً فى أفريقيا الناطقة بالفرنسية. وقد بدأ هذا المشروع سنة ١٩٧٧ ودعا إلى إعداد مكتبة **الألف مجلد** لكل مقاطعة من المقاطعات الست والأربعين فى الدولة وفى سنة ١٩٨٩ كانت هذه المكتبات الست والأربعون تضم ستين ألف كتاب. وثمة مشروع فرنسى آخر نفذ فى الكونغو ويهدف إلى إنشاء مكتبات ريفية صغيرة كجزء

من مشروع تنمية شاملة: ثقافية، زراعية، صحية. وكانت كل مكتبة تضم فى البداية ٧٥ كتاباً ولكنها ارتفعت بعد ذلك إلى ٥٠٠ مجلد.

وفى مشروع آخر تولاه رجال محو الأمية وتعليم الكبار وهو عبارة عن مجموعات من الكتب والنشرات باللغات المحلية تعد منها مكتبات قروية صغيرة لدعم برامج مشروعات محو الأمية وتعليم الكبار. وقد عمم هذا المشروع فى عدة دول. وقامت النيجر بإعداد مكتبات القرى وهى عبارة عن صندوق من الخشب أو المعدن بقفل ويحوى عشرين كتيباً وعشر نشرات بتكلفة قدرها ٧٥ دولار لكل مكتبة. وقد عُمِمَت هذه المكتبات على معظم قرى الدولة.

وقامت الوكالة الفرنسية للتعاون الثقافى والتكنولوجى بتنفيذ شبكات مكتبات مراكز الشباب المحلية وقد بلغ عدد المراكز التى أنشئت فى هذا الصدد ٥٧ مركزًا حتى سنة ١٩٨٩ فى بينين والسنغال وساحل العاج وبوركينافاسو.

ورغم أن منظمة اليونسكو قد أوصت بأن تتبنى كل دولة نامية سياسة وطنية للمعلومات، إلا أن إنشاء ونمو المكتبات فى الدول الأفريقية لم يتم بشىء من التنسيق أو التخطيط. لقد استجابت الدول الأفريقية والهيئات المانحة لإنشاء شبكات معلومات تركز على قطاع الاقتصاد والمال والأعمال أو على مشاكل التنمية أو على مجال (علوم أو تكنولوجيا). وكان من الممكن تشاطر المصادر المحدودة تلبية لاحتياجات فعلية من جانب الحكومة والمشروعات المختلفة. وكان من بين المحاولات الباكرة لتقديم المعلومات التوثيقية على نطاق إقليمى «المعهد الأفريقى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية». وقد توفر على تأسيس هذا المعهد جمعية يسوع سنة ١٩٦٢ فى أبيدجان. وقام بتقديم خدمات مرجعية وأعد ببليوجرافيات عديدة حول التنمية ولهذا المعهد فروع أو مراكز فى بوركينافاسو، بوروندى، الكاميرون، تشاد، رواندا، توجو، زائير.

ومن بين الشبكات الجديرة بالتوقف أمامها «شبكة الساحل للمعلومات والتوثيق العلمى والتكنولوجى» التى أنشئت لتشاطر المصادر المتعلقة بمشاكل الجفاف الضاغطة

فى المناطق الساحلية. وقد أنشئت هذه الشبكة سنة ١٩٧٩ فى باماكو. وقد تلقت الشبكة وثائق وبيانات ببليوجرافية مما يقرب من ٦٠ مركز توثيق فى تسع دول ساحلية.

وبدورها أتاحت هذه الوثائق على ميكروفيش وأتاحتها للدول والهيئات المعنية بمشاكل الجفاف. وفى سنة ١٩٨٦م افتتح قمر صناعى فى جامعة لافال فى كندا لزيادة الإفادة من معلومات تلك الشبكة على الخط المباشر.

وفى سنة ١٩٨٣م أُنشئ المركز الدولى لحضارات البانتو فى لبيرفيل بالجابون وذلك لسد الاحتياجات الخاصة من الوثائق فى أفريقيا الوسطى. وقد بدأ المركز جمع الوثائق المتعلقة بثقافة البانتو من المراكز الفرعية فى تلك الدول كما استخدم أقراص الليزر لتقديم نصوص المقالات والبيانات الببليوجرافية لمن يطلبها فى دول أفريقيا الوسطى. كما قام المركز بتقديم المعونة الفنية لطلاب علم المعلومات.

ولقد بات واضحاً فى فترة الثمانينات أن كثيراً من الإنتاج الفكرى حول التنمية غير متاح فى الدول النامية، ولذلك قامت وزارة التعاون والتنمية الفرنسية بإنشاء قاعدة بيانات (إيسكوس) لتجمع فيها كل التقارير غير المنشورة التى صدرت عن المشروعات والمؤتمرات والأنشطة الفرنسية كما تم استخلاص عدد من الدوريات لإدراجها فى القاعدة. ومن هذه القاعدة تم إنتاج واسترجاع العديد من القوائم الببليوجرافية والمستخلصات على ورق أو على أقراص.

وفى سنة ١٩٨٦ قررت قمة ٤١ دولة ناطقة بالفرنسية (فرانكوفونية) فى اجتماعيها فى باريس أن تجمع كل الإنتاج الفكرى المتعلق بكل دولة ناطقة بالفرنسية ومن ثم فقد تم إنشاء «بنك المعلومات الدولى حول الدول الفرانكوفونية» فى أوتوا بكندا. وفى سنة ١٩٨٦ و ١٩٨٧ قام البنك بإجراء بحث ومسح عن الإنتاج الفكرى المتعلق بدول العالم الثالث الفرانكوفونية فى المكتبات الكندية وغيرها. وإلى جانب قاعدة البيانات التى أعدها البنك فقد قام بتعليم أهم الأعمال بقصد تقديم نسخ منها للدول موضوع العمل. كما أخذ البنك فى تقديم المساعدات الفنية لمراكز التوثيق

فى دول العالم الثالث وأنشأ مراكز فرعية له فى السنغال، بوروندى، ساحل العاج، جابون.

ولقد قامت وزارة التعاون والتنمية الفرنسية ببعض المشروعات فى بوركينافاسو، الكاميرون، مدغشقر والنيجر لإنشاء قواعد بيانات تبنى على المقتنيات الحالية للمكتبات ومراكز المعلومات. مثل هذه القواعد تشجع الحكومات والمخططين على الاستخدام الفعال للمعلومات. ولتحقيق التعاون بين المراكز أعدت استمارة اتصال عام تحت اسم «بابينات» خلال فترة الثمانينات وتقوم هذه الاستمارة بتحويل الأشكال المختلفة المستخدمة من جانب مراكز التوثيق إلى شكل ببليوجرافى واحد. وطالما أن معظم مراكز التوثيق تستخدم نظام سى دى إس/آيسيس فى توثيقها الآلى فإن من السهل بعد ذلك استرجاع البيانات الببليوجرافية وتشاطر المعلومات، وتبادل الأقراص الحاملة للتسجيلات الجديدة بين المراكز المختلفة.

أفريقيا الناطقة بالبرتغالية (لوسوفون)

بدأت الكشوف الجغرافية للساحل الأفريقى منذ القرن الخامس عشر على يد البرتغاليين. ومع منتصف القرن السادس عشر انتشرت القوات البرتغالية على الساحل الأفريقى من الرأس الأخضر (كيب فيرد) ـ وهى مجموعة جزر فى المحيط الأطلنطى على بعد ٤٠٠ ميل غرب داكار ـ وحتى معظم الساحل الشرقى للقارة. وبعد الحرب العالمية الثانية استقلت معظم المستعمرات البريطانية والفرنسية والبلجيكية ما بين ١٩٥٧ و ١٩٦٣.

وعلى العكس من ذلك تمسكت البرتغال بمستعمراتها وتشبثت بها وأعادت تسميتها إلى «مناطق ما وراء البحار» سنة ١٩٥١، رغم الكفاح المسلح لتلك المستعمرات. ولكن بعد قيام الثورة فى البرتغال سنة ١٩٧٤ بدأت تلك المستعمرات فى الاستقلال واحدة بعد الأخرى: غينيا بياد ١٩٧٤، أنجولا، الرأس الأخضر، موزمبيق ساو توفى جميعا ١٩٧٥. ومع ذلك فقد طحنت الحروب الأهلية بين القوى السياسية المتصارعة كلا من أنجولا و موزمبيق.

وكان من الطبيعى أن تنشأ أولى الأرشيفات والمكتبات فى أفريقيا البرتغالية لخدمة الرسميين فى تلك المستعمرات. وأول أرشيف برتغالى معروف لنا هناك هو أرشيف لواندا الذى يرجع إلى سنة ١٦٠٣م والذى دمره الهولنديون عندما استولوا على لواندا سنة ١٦٤١، وعندما استرد البرتغاليون لواندا سنة ١٦٤٨م أخذ الحاكم العام فى إنشاء أرشيف رسمى جديد سنة ١٦٥٤م الذى مازال مستمراً حتى يومنا هذا تحت اسم «الأرشيف التاريخى لأنجولا». وفى خلال القرن الثامن عشر أنشئت أرشيفات أخرى من بينها أرشيف مصلحة العوائد والضرائب وأرشيف المحاكم القانونية. أما مكتبة بلدية لواندا فقد أسست سنة ١٨٧٣م لخدمة الجمهور العام وفى مطلع القرن العشرين أسس عدد من المكتبات المتخصصة فى المناطق البرتغالية لخدمة شركات المشروعات والإدارات الحكومية ومعاهد البحوث.

وشهدت فترة الخمسينات والستينات انتعاشة ملحوظة فى مهنة المكتبات والعمل المكتبى سواء فى داخل البرتغال نفسها أو فى مستعمراتها الأفريقية، فقد صدرت فى لشبونة سنة ١٩٦٣ «مجلة المكتبات والأرشيف والتوثيق» وكثيرا ما دعا محررو هذه المجلة إلى دعم المكتبات وتطويرها فى المناطق الأفريقية وتطور تعليم على المكتبات، وتحسين أوضاع المكتبيين. كما فكروا جيدا فى إنشاء اتحاد وطنى عام يضم كل المهنيين والعاملين فى مؤسسات المعلومات فى تلك المناطق، رغم أن الموثقين فى المكتبات العلمية كانت لهم رغبة فى إقامة اتحاد خاص بهم منفصل عن كل من المكتبيين والأرشيفيين على السواء؛ فى الوقت الذى كان فيه المكتبيون والأرشيفيون يتخرجون فى جامعة كويمبرا أو جامعة لشبونة بينما لم يكن الموثقين يحملون أية شهادة ويتخرجون فى جامعة.

ولقد قامت «وزارة مناطق ما وراء البحار» البرتغالية سنة ١٩٥٧ بإنشاء «مركز التوثيق العلمى لما وراء البحار» وكان الهدف الرئيسى من وراء إنشاء هذا المركز هو تنسيق عمليات التوثيق العلمى بين كل المكتبات التابعة للوزارة بما فى ذلك سبعة مراكز فى كل من: أنجولا، موزمبيق، الرأس الأخضر. وكان أول مدير لهذا المركز هو «زفريون فريرا باولو» الذى كان نائباً لرئيس الاتحاد الدولى للتوثيق من

١٩٦٠-١٩٦٣. ولقد حاول هذا الرجل توحيد عمليات التوثيق والمكتبات طبقا لمعايير اليونسكو و فيد. وفى خلال عقد الستينات أخذ المركز فى إعداد فهرس موحد للمكتبات الست والأربعين التابعة للوزارة. كما قام تنظيم دورات تدريبية قصيرة على اعمال التوثيق وكل مساعدة فنية ممكنة فى مجال تنظيم وإدارة وفهرسة وتصنيف المكتبات.

وقام المركز بعقد ورش عمل وحلقات نقاش لأمناء المكتبات العلمية فى كل من أنجولا وموزمبيق.

وفى سنة ١٩٦٥ أشار محررو مجلة المكتبات على وزارة مناطق ما وراء البحار أن تعقد الدورات التدريبية القصيرة فى أنجولا وموزمبيق لرفع مستوى الفهرسة والتصنيف ولتوحيد ما يتم من ممارسات فى المناطق الأفريقية مع تلك التى تتم فى البرتغال، وقد قبل معهد البحوث العلمية فى أنجولا هذا الاقتراح بينما نكصت موزمبيق على استضافة مثل هذه الدورات. وفى نوفمبر و ديسمبر سنة ١٩٦٦ قام أساتذة من جامعتى كويمبر ولشبونة بتقديم دورة مكثفة فى لواندا وكان الغرض النبيل من وراء هذا كله هو الكشف عن الحاجة إلى إنشاء مدرسة مكتبات فى أفريقيا اللوسوفنية (البرتغالية) مثل تلك التى أنشئ فى داكار لأفريقيا الفرانكوفونية.

لقد كانت هناك رغبة بين الموثقين فى أفريقيا البرتغالية فى مد جسور التعاون فى مجال التوثيق العلمى ولذلك عقدوا مجموعة من الموائد المستديرة بدأت مبكرا سنة ١٩٦٣ واستمرت طوال عقد الستينات وكانت أهدافهم الأولية إعداد فهارس موحدة ومعايير موحدة فى مجال الفهرسة والتصنيف. وقد أسفرت المائدة التى عقدت فى موزمبيق سنة ١٩٦٦ عن قرار إنشاء قائمة موحدة بمقتنيات الدوريات، وإعداد فهرس موحد بالكتب فى المكتبة الوطنية فى موزمبيق. وفى سنة ١٩٦٨ قام كل من مجلس البحث العلمى والصناعى فى جنوب أفريقيا و اتحاد الصناعات فى موزمبيق بتنظيم مؤتمر حول المعلومات العلمية، كان الهدف من ورائه تحقيق تعاون أوثق بين البلدين فى مجال التوثيق ورغم أن روح التعاون كانت موجودة بالفعل إلا أن الدكتور

«جورج كوفيا كرو» مديراً مكتبة الوطنية لموزامبيق آنذاك أثار قضية: «أن التعاون بين الموثقين يجب ألا يسمح أبدا بحدوث إنشقاق بينهم وبين المكتبيين».

أنشئت المكتبة الوطنية فى أنجولا فى نهاية الستينات، كما أنشئت فى نفس الفترة مكتبات بلدية فى ثمانى مدن وخمس مكتبات مدرسية وحوالى خمسين مكتبة متخصصة. وعلى الرغم من أن المكتبة الوطنية رسميا أنشئت سنة ١٩٦٨م إلا أنها فعلياً كانت موجودة منذ ١٩٣٨ كملحق للمتحف الوطنى لتلقى إيداع الكتب المنشورة فى أنجولا. وكان صدور قرار إنشاء المكتبة الوطنية فى أنجولا مثار دهشة الأوساط المكتبية التى لم تستشر فى التخطيط له. لقد ربطت المكتبة الجديدة رسمياً بالمكتبة الوطنية فى لشبونة ولكنها كانت فى نفس الوقت جزءاً من الإدارة التعليمية فى أنجولا.

فى التوثيق العلمى فى البلاد وفى سنة ١٩٧٢ بدأ هذا المركز فى إعداد فهرس موحد بالمطبوعات العلمية فى ١٧ مكتبة أنجولية وتم الاتفاق على أن يشترك فى الفهرس الموحد للمكتبات البرتغالية.

من جهة أخرى كان فى موزمبيق هى الأخرى فى نهاية الستينات مكتبة وطنية ومكتبات بلدية فى ثمانى مدن وثلاث مكتبات مدرسية ونحو ٣٥ مكتبة متخصصة. ولقد أنشئت مكتبة موزمبيق الوطنية سنة ١٩٦١ وكانت مجموعاتها آنذاك تدور حول ٨٠,٠٠٠ ملجد ولم يكن فى الرأس الأخضر سنة ١٩٦٧ سوى مكتبتين عامتين ومكتبة مدرسية واحدة وإحدى عشرة مكتبة متخصصة صغيرة.

أما ساو تومى فقد أنشئت بها مكتبة بلدية واحدة واثنتا عشرة مكتبة متخصصة صغيرة. وفى غينيا بيساو نصادف مكتبة مدرسية واحدة وخمسة عشر مكتبة متخصصة صغيرة.

ويلاحظ أن الحكومات التى جاءت إلى السلطة عقب الاستقلال فى أفريقيا البرتغالية سنة ١٩٧٤ و ١٩٧٥ كانت لها توجهات ماركسية مما عزز وجهة النظر الخاصة بتخطيط المكتبات مركزياً وأن تكون أهدافها الرئيسية هى تعليم الجموع ونشر

العلوم والتكنولوجيا. من هذا المنطلق أنشئ «قسم المكتبات الوطنى» فى أنجولا سنة ١٩٧٧ للإشراف على المكتبة الوطنية والمكتبات العامة والمكتبات المتخصصة.

أما المكتبات الأكاديمية والمكتبات المدرسية فقد وضعت تحت إشراف الإدارة التعليمية وفى سنة ١٩٧٨ دعا مدير قسم المكتبات الوطنى وكان آنذاك هو «دومنجوس فان ـ دونيم»، أحد خبراء اليونسكو للمساعدة فى تخطيط الخدمات المكتبية. وكجزء من السياسة التثقيفية الوطنية أخذ القسم فى تأسيس شبكة مكتبات عامة فى المناطق الريفية وساعدته لجان الحزب الشيوعى فى هذا الصدد كما طلب إلى هذا القسم إنشاء فهرس موحد لأنجولا وأن تتم مركزة عملية التزويد لمنع التكرار. وشهدت الدول الأخرى الناطقة بالبرتغالية إعادة تنظيم لمكتباتها وخدماتها المكتبية.

ولقد خطت المكتبات فى أفريقيا البرتغالية فى الثمانينات خطوة أبعد، فقامت بالربط مع شبكات المكتبات والمعلومات الإقليمية؛ وعلى سبيل المثال اشتركت كل من أنجولا وساو تومى فى المركز الدولى لحضارة البانتو الذى أشرت إليه من قبل وهو مركز وشبكة توثيق أنشئت سنة ١٩٨٣ لتحسين وتطور جهود التوثيق فى أفريقيا الوسطى. كما اشتركت كل من الرأس الأخضر و غينيا بيساو فى شبكة السنغال الإقليمية الخاصة بـ «البنك الدولى للمعلومات حول الدول الفرانكوفونية». وفى ١٩٩٠ كانت المؤسسات فى أنجولا، غينيا بيساو، موزمبيق مشتركة فى مشروع توزيع دورية أفريقيا جنوب الصحراء الذى تنظمه الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم و المجلس الأمريكى للجمعيات العلمية.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور القديمة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦.

٢- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى: الشرق المسلم؛ الشرق الأقصى.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.

٣- شعبان عبد العزيز خليفة. مكتبة الإسكندرية بين الحريق والإحياء.ـ القاهرة مؤسسة دار التحرير، ٢٠٠٠ (كتاب الجمهورية).

4- Maack, Mary N.The Colonial Legacy in West African Libraries : a nalysis._in._ Advances in Librarianship._ Vol.12,« Comparative 1982. pp 173-245.

5- Pulmbe, Wilfred. Africa, Libraries in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York : Marcel Dekker, 1968. vol.1.

6- Saunders, E.Stewart. Francophone Africa._in._ Encyclopedia of Library History._ New York and London: Garland Publishing, 1994.

7- Sitzman, Glenn L.African Libraries, 1988.

8- Wise, Michael. Aspects of African Librarianship, 1985.

أفريكانوس، جوليوس (١٧٠-٢٤٠م)
Africanus, Julius

نحن لا نعرف بالاسم إلا أقل القليل من المكتبيين الرومان وحتى المتعلمين منا لا يعرفون المكتبيين فى مكتبة الإسكندرية ووجه شهرتهم الأدبية والعلمية إلا لماما. لقد كان أول أمين مكتبة فى مكتبة أوغسطوس التى أقامها فى معبد أبوللو كان الشاعر «هايجينوس» وهو آخر من تولى هذا العمل. وثمة مكتبة أخرى أنشأها أوغسطوس فى معسكر مارتيوس فى رواق معبد جيوبتر استاثور و جونو ريجينا. وقد أشرف على تلك المكتبة «جايوس ملليسيوس» وهو الآخر معتوق كان عبدا عند «ماكيناس» وهو مؤلف كتاب النكت والدعابات ومخترع نوع من الدراما الخفيفة.

لقد كان «جوليوس أفريكانوس» (حوالى ١٧٠- وبعد ٢٤٠م) أحد أمناء المكتبات الأكثر شهرة والأعلى قدراً من هؤلاء جميعا. وكانت حياته قبل عمله المكتبى وثيقة الصلة به. لقد كان فى شبابه فى إديسا وربما كان يعمل ضابطا هناك وقد تعرف على الأسرة المسيحية هناك ثم ذهب بعد ذلك إلى إيماثوس بالقرب من آيليا كابيتولينا (بيت المقدس ـ أورشليم) وقد ركز فى دراساته على المسيحية ودفع المطاعن عنها. وقد أفاد كثيراً من المكتبة التى أسسها الأسقف ألكسندر فى آيليا وملأها بالكتب المسيحية

ولكنه لم يجدها كافية وافية بحاجته مثل مكتبة الإسكندرية ومن ثم فقد ارتحل الرجل إلى مدرسة كاتيكتيال فى الإسكندرية حيث دأب على حضور محاضرات أوريجين الذى تعود على أن يخاطبه «بأستاذى وابنى» فى رسالته حول كتاب دانيال ثم عاد بعد ذلك إلى إيمائوس حوالى سنة ٢٢١م. ورغم كونه مسيحياً فقد كُلِفَ بالعمل مبعوثاً رسمياً إلى الإمبراطور فى روما. وكان المفكر العظيم «ألكسندر سيفيروس» - غير المتعصب ضد المسيحية - قد كلف هذا الفلسطينى بالإشراف على المكتبة الجديدة فى البانثيون وقد قام «جوليوس أفريكانوس» بإهداء هذا الإمبراطور الشاب موسوعته فى العلوم والعجائب والتى لم تصلنا منها سوى نتف صغيرة ومن خطاباته إلى أستاذه وابنه أوريجين البالغة ٢٤٠ خطابا هناك واحد حول كتاب دانيال وصلنا كاملاً عبارة عن تحليل وتفسير لعناصر نص ذلك الكتاب. ولا نعرف عن المؤلف أكثر من ذلك.

ولعل أهم قرينة على أفريكانوس هى بردية أوكسير نخوس رقم ١٤٢ فى المجلد الثالث من مجلدات جرينفيل وهنت وتقع فى ٧١ سطرًا على عمودين فى نهاية اللفافة وترجع إلى ما قبل سنة ٢٧٥-٢٧٦م وهى عبارة عن قطعة صغيرة من الكتاب الثامن عشر من موسوعته سابقة الذكر وأهم ما فيها حاشية فى نهايتها بخط المؤلف يشير فيها إلى المكتبة الجميلة التى بناها للإمبراطور فى البانثون بالقرب من حمامات الإسكندر. وقد فهم البعض من كلمة «بناها» أنه قام على تشييد المبنى ولكن المقصود أنه بنى المجموعات أى كونها ونظمها وأدارها. ومن خلال كتابات «جوليوس أفريكانوس» نستنتج أنه كان على دراسة بكل مكتبات عصره ومحتوياتها، فإلى جانب موسوعته فى العلوم والعجائب، ألف عملاً موسوعياً آخر غطى فيه تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر الإمبراطور إلا جابال.

وإلى جانب الرسالة الكاملة إلى أوريجين حول كتاب دانيال وصلتنا جذاذات من رسالة أخرى إلى أرستيدس حول الفروق بين نسب المسيح يسوع فى إنجيل متى وإنجيل لوقا. ونستطيع فى أفريكانوس أن نكتشف مكتبياً رومانياً واحدًا على الأقل اقترب من منزلة أمناء الإسكندرية العظماء من أمثال «رينوروتدس» وخلفائه.

بعض المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور القديمة.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.

2- Granger, F.Julius Africanus and the Library of the Panthen._in._ Journal of Theological Studies vol. 34, 1933.- pp 157-161.

3- Thompson, Lawrence. Africanus, Julius._in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York : Marcel Dekker, 1985, vol.39 (Suppl.4).

أفغانستان، المكتبات فى

Afghanistan, Libraries in

أفغانستان جمهورية إسلامية تقع فى جنوبى آسيا الوسطى أو بمعنى آخر جنوبى وسط آسيا تحدها من الشمال جمهوريات تركمنستان و أوزبكستان و طاجيكستان، ومن الجنوب والشرق باكستان، ومن الغرب إيران. ويصل عدد السكان فى نهاية القرن العشرين إلى نحو عشرين مليوناً والمساحة الكلية للدولة هى ٦٥٢,٠٩٠ كيلومتراً مربعاً. واللغة الرسمية هى لغة دارى (الفارس الأفغانى) ولغة باشتو. والمجتمع هناك مجتمع زراعى قبلى يتألف من جماعات مختلفة تغلب من بينها العرقيات الآتية:

الباشتون، الطاجيك، هازارا، الأوزبك، بالوش. ومن أسف تتغلب الأمية على هذا البلد إذ تصل إلى ٩٥٪ من مجموع السكان. وعند كتابة هذه السطور فى سنة ٢٠٠١ كانت الحرب الأهلية تطحن هذا البلد منذ أكثر من عشرين عاماً.

ويرجع تاريخ المكتبات فى هذا البلد كما فى معظم بلدان آسيا إلى العصور الوسطى الباكرة حيث كان الحاكم وصفوة المعلمين تحرص على تكوين مجموعات شخصية تشبع ميولهم واتجاهاتهم وربما يفتحونها أمام أصدقائهم للقراءة والاطلاع والاستعارة وربما تتخذ المكتبات الشخصية مجرد مظهر أو ديكور يتمم الأبهة العامة فى قصور الحكام وعِليَة القوم.

ولم تدخل الحركة المكتبية الحديثة إلى أفغانستان إلا مع النصف الثانى من القرن العشرين عندما انتشر التعليم ودخلت الطباعة والنشر إلى البلاد واحتكت البلاد بالعالم الخارجى، بالعالم الخارجى، ولم تكد الحركة المكتبية تقف على أول الطريق فى الستينات والسبعينات من القرن العشرين حتى دهمها الاحتلال السوفيتى ثم الانقلابات ثم الحرب الأهلية منذ ١٩٧٨ وانسحاب الروس من البلاد سنة ١٩٨٨. وقد أطاحت الثورات والفتن بالحكومة ١٩٩٢ ومازال الحرب الأهلية قائمة هناك تعصف بالبلاد والعباد. ومن هنا فإن المعلومات عن المكتبات فى أفغانستان نادرة وغير يقينية بعد ١٩٨٠. وسوف نحاول تصوير واقع المكتبات هنا من بعض قطع الفسيفساء التى تناثرت هنا وهناك تحت مدافع الأطراف المتطاحنة هناك.

المكتبة الوطنية

لايوجد فى أفغانستان مكتبة وطنية؛ وقد كان هناك تفكير فى الستينات من القرن العشرين لإنشاء مثل هذه المكتبة عندما طلب وزير التعليم إنشاءها ووضع لائحة لها. وقد قام أحد أعضاء الوفد الأمريكى الذى ذهب إلى هناك لمسح واقع المكتبات سنة ١٩٦٦ بكتابة تقرير بهذا الخصوص وقدمه إلى الوزير. وكان هذا الوفد مشكلا من جامعة إلينوى.

والحقيقة أن وظائف المكتبة الوطنية مشتتة الآن بين عدد من المؤسسات المكتبية هناك مثل مكتبة جامعة كابول، مكتبة وزارة التعليم، المكتبة العامة لوزارة الإعلام والثقافة. وتتوفر مكتبة جامعة كابول على إصدار الببليوجرافية الوطنية الأفغانية وهذه الببليوجرافية تعانى مثل كل شىء فى الدولة.

المكتبات الأكاديمية فى أفغانستان

نشأت المكتبات الأكاديمية الكبرى فى أحضان جامعة كابول (كابول بوهانتون) التى قامت سنة ١٩٣٢، ثم فى أحضان جامعة بايزيد روشان فى ناجارهار فى جلال آباد سنة ١٩٦٣. وحتى سنة ١٩٥٠ كانت مكتبات جامعة كابول مجرد مجموعات صغيرة مبعثرة بين الكليات المختلفة وحيث لم تكن هناك مكتبة مركزية لأن الكليات

نفسها لم تكن مجموعة فى حرم جامعى واحد بل تبعثرت فى أماكن مختلفة من المدينة. وفى مطلع الخمسينات أدمجت مكتبات كلية العلوم وكلية الزراعة وكلية الهندسة فى مكتبة واحدة سميت المكتبة المركزية أو المكتبة النواة.

وقد شغلت المكتبة المركزية هذه مبنى جديداً أُعِدَ خصيصاً لها بمنحة أمريكية من وكالة التنمية الدولية (إيد) داخل الحرم الجامعى سنة ١٩٦٤. وقد بلغت المجموعات المندمجة من الكليات الثلاثة نحو ٨٠,٠٠٠ مجلد. وشغل منصب مدير المكتبة آنذاك أحد الأفغان الذين تعلموا فى الولايات المتحدة وهو «أ. بابورى». وقد شكلت جامعتا إلينوى و ويومنج وفداً مكتبياً لمتابعة تطوير هذه المكتبة وقد عيَّنَت «بيتى نيفاهوايت» مستشارة لهذه المكتبة بين ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٦؛ وقد ارتفع عدد المجلدات فى سنة ١٩٧٥ إلى ١٣٠,٠٠٠ مجلد وفى نهاية التسعينات بلغ عدد المجلدات إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ مجلد فى ظروف بالغة القسوة. وتتبع المكتبة تصنيف مكتبة الكونجرس. ونصادف فى هذه المكتبة مجموعات خاصة فى الحضارة الإسلامية و أفغانستان.

وكما أسلفت كانت هناك تعاقدات بين جامعة كابول وجامعتى إلينوى و ويومنج والتعاقد مع جامعة إلينوى ينص على أن تتعاون الجامعة مع الحكومة الملكية فى أفغانستان والبعثات الأمريكية العاملة هناك وبناء على تعاقد دولى موقع فى يونية - أغسطس ١٩٥٩ فى القيام بدراسة مسحية لجامعة كابول ودورها فى التعليم والبحث والخدمة العامة فى أفغانستان. وهناك بند خاص فى هذه الدراسة المسحية يدور حول مكتبة الجامعة وتم بناء عليه تطوير المكتبة على النحو الموضح بعاليه فى المكتبة المركزية كما أُجرِيَت دراسات أخرى منفصلة عن مكتبات الكليات ووُضِعَت مقترحات وتوصيات لتطويرها وتشييد مبانى جديدة لها.

وجامعة بايزيد روشان التى أنشئت سنة ١٩٦٣ هى أساسًا جامعة متخصصة فى العلوم الطبية وقد نمت مجموعات مكتبتها أساسًا على يد هيئة المعونة الدولية ومساعدات من الناشرين ويغلب عليها اللغة الإنجليزية. وفى أفغانستان نجد ثلاث

جامعات أخرى حديثة جدا، من بينها الجامعة الإسلامية. ولكن موقف المكتبات فيها غير واضح.

إلى جانب تلك الجامعات هناك مجموعة من المعاهد أو الكليات العليا التابعة لوزارة التعليم هناك من بينها ثلاثة معاهد للمعلمين فى العاصمة و١١ معهدا فى الأقاليم يمكن أن نسميها تجاوزا كليات تربية لأن الدراسة فى هذه المعاهد أو الكليات تتراوح ما بين سنة وسنتين فقط. ويقوم الخريجون بعد ذلك بالتدريس فى المدارس الابتدائية والمتوسطة، كما يقومون بالانخراط فى حملات محو الأمية فى أقاليم أفغانستان المختلفة. وباستثناء مكتبات معاهد المعلمين فى العاصمة فإن مكتبات المعاهد فى الأقاليم لا تعدو أن تكون مجموعة صغيرة جدا من الكتب لاتزيد على ٥٠٠ كتاب فى كل منها.

وفى العاصمة كابول نجد أن أقدم معاهدها التربوية الثلاثة كان أسعدها حظًا حيث تعاقدت وزارة التعليم مع جامعة كولومبيا لتطوير المعهد وتطوير مكتبته، وحيث عيَّنَ أمين مكتبة لفهرسة وتصنيف المجموعات وتحديثها. كما تعاقدت الوزارة أيضًا فى سنة ١٩٦٤ مع الأمم المتحدة واليونسكو على تقديم معونة مالية وفنية للمعهد بين ١٩٦٤-١٩٦٩. وقد تضمنت هذه المعونة كفالة تعيين أحد أمناء المكتبات لمدة سنتين للقيام بإدارة مجموعات المكتبة التى كانت فى ذلك الوقت تدور حول ٦٠٠٠ مجلد. وقد عيَّنَ فى هذا المنصب شخص يدعى «بونى» اعتبارًا من يونية ١٩٦٦ وتحت إشراف هذا المكتبى كانت مكتبة «كلية المعلمين العليا» هى المكتبة الوحيدة مفتوحة الرفوف فى كابول. وقد انضمت هذه الكلية فى نهاية الستينات إلى جامعة كابول وتحت رعاية كلية التربية وقد ارتفع حجم مجموعات هذه المكتبة إلى عشرة آلاف مجلد فى التسعينات. والمعهد الثاني أو الكلية الثانية فى كابول هى «أكاديمية المعلمين»، والمعهد الثالث أو الكلية الثالثة فى كابول هى «دار المعلمين». وفى كل منهما مجموعة من الكتب لاتزيد على ١٥٠٠ مجلد. ومن المضحك أن معظم مجموعات مكتبات كليات المعلمين فى كابول وخارجها باللغة الإنجليزية التى لا يعرفها الطلاب.

من بين المعاهد العليا أيضا فى أفغانستان والتابعة لوزارة التعليم «المعهد الأفغانى للتكنولوجيا» وقد قام هذا المعهد بناء على مساعدة من «مؤسسة المساعدة الفنية الدولية»، ومكتبة هذا المعهد بدأت بنحو ١٥٠٠٠ مجلد فى منتصف الستينات من القرن العشرين وتصل اليوم إلى نحو ٢٥٠٠٠ مجلد.

ولابد وأن نشير هنا أيضا إلى مكتبة مدرسة الزراعة العليا المهنية وهى نتيجة مساعدة دولية من «مؤسسة آسيا» و «إدارة التعاون الدولى». وقد قامت جامعة ويومنج بتطوير هذه المدرسة وإنشاء مكتبة عصرية فيها طبقا للأسلوب الأمريكى وبلغت المجموعات منتصف الستينات عشرة آلاف مجلد، وفى نهاية القرن لم تزد المجموعات إلا قليلا (١٥٠٠٠ مجلد سنة ١٩٩٩).

ومن المحزن حقيقة أن مكتبات كليات المعلمين فى العاصمة ومكتبة معهد التكنولوجيا أسعد حالاً من مكتبات بعض كليات جامعة كابول؛ ففى تقرير جامعة إلينوى سنة ١٩٥٩ نجد أن المكتبة الموحدة لكليتى «الحقوق والعلوم السياسية» «والاقتصاد والمالية» لم تزد مجموعاتها على ٤٠٠٠ مجلد كان معظمها باللغة الإنجليزية والفرنسية وبعضها بالفارسية والألمانية والتركية. كما يشير التقرير نفسه إلى أن ساعات فتح المكتبة محدودة للغاية والفهارس سيئة وإجراءات الإعارة الخارجية معقدة.

وقد أشار نفس تقرير جامعة إلينوى سنة ١٩٥٩ إلى أن مكتبة كلية الطب منظمة إلى حد ما ولكنها فى حاجة إلى مزيد من العناية ذلك أن المجموعات ماتزال محدودة وقديمة نسبيا والدوريات العلمية غير كافية؛ وعلى خلاف سائر مكتبات الكليات لاحظ التقرير أن هذه المكتبة تستخدم أكثر من جانب الطلبة.

وربما من هذا المنطلق تضمنت الخطة الخمسية الثانية مارس ١٩٦٢-١٩٦٧ بنوداً خاصة لتطوير مكتبات كليات: الاقتصاد، كلية القانون، كلية الآداب، كلية أصول الدين؛ وذلك لأوضاعها المتردية؛ فالمجموعات قليلة وقديمة والتزويد السنوى محدود والعمليات الفنية متهالكة والخدمات فى حدها الأدنى. ومن الملاحظ أن ٥٠٪ من

المجموعات فى تلك الكليات باللغة الإنجليزية وتتقاسم النسبة الباقية اللغات الفارسية والألمانية و الروسية بدرجات متفاوتة أعلاها الفارسية بطبيعة الحال.

وبسبب تردى أوضاع المكتبات الأكاديمية جاءت المساعدات العينية والفنية من جهات مختلفة فقد تبرعت «مؤسسة آسيا» بتقديم ألف كتاب جديد واشتراك لمدة ست سنوات فى ١٣٠ دورية علمية لجامعة كابول واشتراك فى فهرس المؤلف البطاقى من مكتبة الكونجرس، كما قدمت نفس المؤسسة أثاثات وتجهيزات ومعدات مكتبية. كذلك قدمت هيئة الاستعلامات الأمريكية بضعة آلاف من الكتب سنوياً والاشتراك فى عدد من الدوريات. وقد تضمنت هذه المعونات الأمريكية مجموعة من المراجع الراجعة والكتب ذات القيمة الوقتية. كما تكفلت الهيئة بتكاليف تعيين أمين مكتبة متخصص جلبته من جامعة كولومبيا فى نيويورك. وقد ذكرنا من قبل التعاقدات التى تمت مع جامعات إلينوى و ويومنج وكولومبيا تحت مظلة وكالة الولايات المتحدة للمساعدات الدولية (إيد) والحكومة الملكية الأفغانية. كذلك أدلت جامعة إنديانا بدلوها فى هذه المساعدات اعتباراً من سنة ١٩٦٨. وقدم الاتحاد السوفيتى هو الآخر هدايا من كتب قدرت بنحو ١٥٠٠ كتاب فى العلوم أساسًا، وقد أرسلت ألمانيا بفريقى عمل إلى أفغانستان حملا معهما نحو ٣٠٠٠ كتاب معظمها باللغة الألمانية ولا يستخدمها غالبا إلا أعضاء هيئة التدريس. وكانت المساعدات البريطانية والفرنسية وخاصة فى شكل كتب محدودة للغاية.

المكتبات العامة فى أفغانستان

فى سنة ١٩٥٣ طلبت الحكومة الأفغانية من «مؤسسة المساعدة الفنية الدولية» وضع خطة لإنشاء مكتبة عامة مركزية فى أفغانستان. وقد تضمنت الخطة تفاصيل المبنى وحجم المجموعات والرفوف وتدريب المكتبيين الأفغان. وليس هناك ما يدل على أن هذه الخطة قد جرى تنفيذها.

وفى أغسطس سنة ١٩٥٦م أرسلت اليونسكو خبيرها: «هارولد ف. بونى» إلى أفغانستان لمدة ثلاثة شهور لمساعدة السلطات الأفغانية على تخطيط وتنظيم الخدمات

المكتبية العامة. وقد كللت جهود بونى بالنجاح وأنشئت مكتبة كابول العامة أو المكتبة العامة لوزارة الإعلام والثقافة. وقد افتُتِحَت رسمياً فى سبتمبر ١٩٥٧ فى مقر مؤقت تابع لوزارة التعليم. وقد نقلت بعد ذلك إلى مبنى فسيح جديد وأُتبِعَت لوزارة الإعلام والثقافة؛ وأُنشِئَت لها مكتبات فرعية فى كل من المحافظات الإثنى عشرة فى البلاد.

ومن خلال مدة ثلاثة شهور إضافية لخبير اليونسكو توفر الرجل على فهرسة الكتب الإنجليزية فى مكتبة كابول العامة وتصنيفها طبقا لتصنيف ديوى العشرى. وتوفر الرجل على تدريب عدد من الأفغان على العمل فى المكتبة وأعد مطوية تشرح استخدام المكتبة. ولأن هذه المكتبة العامة كانت الأولى من نوعها فى كل أفغانستان فقد اعتبرت نموذجاً لإنشاء مكتبات عامة أخرى فى البلاد. وكانت المجموعة المبدئية من الكتب فى تلك المكتبة عبارة عن ١٠٠٠ كتاب باللغة الإنجليزية و ١٥٠٠ بالفارسية. وقدمت اليونسكو ٢٥٠٠ دولار لشراء أجهزة ومعدات وكتب. وقدمت «مؤسسة آسيا» مبلغ ١٠٠٠ دولار لشراء المزيد من الكتب. وقدم المجلس البريطانى على وجه السرعة مجموعة من المراجع، كما جاءت الدوريات من هيئات مختلفة أمريكية وبريطانية وفرنسية.

ويوماً بعد يوم كانت المجموعات تزداد وتتوسع لدرجة أنه فى سنة ١٩٦٤ بلغت المجموعات ٦٠,٠٠٠ مجلد بلغات متعددة: البوشتو، الفارسية، العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الروسية وأيضا اليابانية. وفى سنة ١٩٧٠ ربت المجموعات على ثمانية ألف مجلد. وفى نهاية القرن العشرين كانت المجموعات قد تجاوزت ١٢٠,٠٠٠ مجلد.

لقد قدمت اليونسكو منحتين لاثنين من أمناء المكتبات هما بالاسم السيد/ عبد اللطيف العريان، والسيد/ جول أحمد فريد: الأول لدراسة علم المكتبات فى الهند (مكتبة دلهى العامة) لمدة تسعة شهور والثانى لمدة سنة فى أوروبا. وقد أصبح الثانى بعد عودته من أوروبا مديراً للمكتبة ولكنه تركها فى سنة ١٩٧٠ ليتولى منصبًا غير مكتبى.

وإلى جانب خدماتها للجمهور العام تقدم المكتبة خدماتها إلى طلاب المدارس فى عموم كابول، كما يشاهد التلاميذ عروضها السينمائية ويحضرون محاضرات الموسم الثقافى، كما يحضر أطفال المدارس الابتدائية إلى المكتبة فى أيام محددة لمشاهدة أفلام الكارتون، والاستماع إلى القصص. وطبقا لإحصائيات ١٩٦٤ تردد على هذه المكتبة ثمانون ألف قارئ من فئات مختلفة والقراء المسجلون للاستعارة الخارجية عشرون ألف. وللمكتبة لائحة تنظم أعمالها ولها مجلس يديرها فيه ممثلون عن جهات مختلفة بينها وزارة التعليم، وزارة الإعلام والثقافة، جامعة كابول.

فى سنة ١٩٥٨م أجريت توسعات مختلفة داخل مبنى المكتبة لاستحداث قسم للإعارة، قاعة اجتماعات، حجرات عمل. وفى نهاية الستينات نقلت المكتبة كليةً إلى مبنى جديد فى قلب العاصمة كابول فى مواجهة الحديقة العامة (حديقة زاربخار) والمبنى عبارة عن فيلا من طابقين فسيحين ولها حديقة خاصة بها تستخدم للقراءة فى الهواء الطلق، والحديقة رائعة مليئة بالأشجار المنسقة وضعت على جانبى الطرق المهدة فيها بنشات للجلوس والقراءة والاستمتاع بالجو العام. وقد سبق أن ذكرت أن المجموعات قد وصلت حالياً إلى نحو ١٢٠,٠٠٠ مجلد جزء كبير منها باللغة الإنجليزية. وقد بذلت جهود حثيثة لزيادة الكتب باللغتين الوطنيتين البوشتو (باشتو) والدارى. وهناك قسم كبير للأطفال وقسم خاص بالمواد المتعلقة بأفغانستان (أفغانيا) وثمة قسم للدوريات يضم مجموعات كاملة من الدوريات الأفغانية وتتبع المكتبة الآن وزارة الإعلام والثقافة. وكما سبق أن ذكرت للمكتبة فروع فى الأقاليم الأفغانية إلى جانب مكتبة كابول العامة وفروعها، يوجد فى أفغانستان الآن نحو خمسين مكتبة عامة أخرى ولكنها فى مجموعها لا تعدو أن تكون مجموعات صغيرة من الكتب غالباً بدون فهرسة أو تصنيف وبدون إدارة مؤهلة.

المكتبات المدرسية فى أفغانستان

فى أفغانستان كما فى جل الدول النامية من الصعب تتبع تاريخ إنشاء وتطوير المكتبات المدرسية. وبسبب ظروف أفغانستان فإن معظم المدارس الابتدائية والثانوية تخلو تماما من المكتبات المدرسية، وحتى تلك الموجودة لا تعدو أن تكون مجموعات

صغيرة محدودة الاستعمال من جانب الطلاب والمدرسين وعادة ما يعهد إلى أحد المدرسين بإدارتها.

فى سنة ١٩٥٥ وضع مشروع تحت اسم «خطة تطوير المكتبات الأفغانية» وكانت تتصل أساسًا بالمكتبات المدرسية وتطويرها. وقد تضمنت هذه الخطة بعض المقترحات لتطوير تلك المكتبات من بينها:

- إنشاء إدارة للمكتبات المدرسية فى الوزارة وفى كل منطقة تعليمية.
- إنشاء مكتبة مدرسية نموذجية تتخذ أساسًا لإنشاء مكتبة فى كل مدرسة.
- تدريب المدرسين المكتبيين تدريبا يساعدهم على إدارة تلك المكتبات المدرسية.
- إعداد دليل بالعمل المكتبى للمكتبات المدرسية.

وبمقضى اتفاق عقدته الحكومة الملكية الأفغانية و مؤسسة آسيا و مؤسسة فرانكلين فرع كابول قامت مؤسسة فرانكلين بوضع خطة خاصة لإنشاء مكتبات مدرسية فى البلاد وذلك بناء على الخطة المشار إليها سابقاً. ومن هذا المنطلق قامت كل من مؤسسة فرانكلين وكلية المعلمين العليا بوزارة التعليم بإنشاء مكتبات فى خمسين مدرسة معظمها فى المدارس الثانوية وقليل من المدارس الابتدائية على سبيل التجربة. وقد بدأت المجموعات بخمسمائة كتاب باللغة الفارسية فى كل منها، كما تلقت كل مكتبة بعد ذلك مجموعة من الكتب الإنجليزية/ أو العربية حسب ظروف كل مدرسة إلى جانب المجموعة الفارسية. وقد تم اختيار الكتب من جانب وزارة التعليم عن طريق قائمة قدمتها مؤسسة فرانكلين سواء كان ذلك بالنسبة للكتب الفارسية أو العربية أو الإنجليزية. وقد توفرت مؤسسة فرانكلين فى نيويورك على إعداد تلك القوائم بالفارسية والإنجليزية، بينما توفر مكتب المؤسسة فى القاهرة بإعداد قوائم كتب اللغة العربية. ومن جهة ثانية تم إعداد فهرس موحد للكتب الفارسية فى المكتبات المدرسية. ولضمان استخدام هذه المجموعات إلى الحد الأقصى تم تدريب واحد من المدرسين من كل مدرسة من المدارس الخمسين على أعمال المكتبات. بالإضافة إلى ذلك عُيِّنَ أحد المكتبيين الأفغان المؤهلين من الخارج للتفتيش على تلك المكتبات وتقديم أى نصح وإرشاد والتأكد من استخدام هذه المجموعات الاستخدام الصحيح ويبتدع الأساليب الكفيلة بتشجيع الطلاب على الإقبال على القراءة. كما أُعِدَّ كُتَيِّب

عن المكتبات المدرسية ودورها التربوى ووُزِّعَ على المدرسين فى تلك المدارس.

وفى السبعينات دخلت منظمة اليونسكو طرفاً فى تطوير المكتبات المدرسية فى أفغانستان وعهدت إلى كلية المعلمين العليا فى كابول بمشروع تجريبى لإنشاء مكتبة مدرسية نموذجية تُعمَّم بعد ذلك خارج إطار الخمسين مدرسة المذكورة.

ولعل أحسن المكتبات المدرسية وأكثرها تطوراً هى تلك الموجودة فى مدارس اللغات أو المدارس الممولة من الخارج. ومن بين تلك المدارس مدرسة حبيبة الثانوية فى كابول وقد كانت مدعومة من الولايات المتحدة وتصل مقتنياتها إلى نحو خمسة آلاف مجلد فى نهاية التسعينات ولها مدرس متفرغ لإدارتها؛ و مدرسة ليسيه الاستقلال وهى كما يبدو من اسمها مدعومة من الحكومة الفرنسية لنشر اللغة الفرنسية وتصل مقتنياتها إلى عشرة آلاف مجلد. وهناك أيضا المعهد الروسى التكنولوجى (البوليتكنيك)، وتصل مقتنيات مكتبته هو الآخر إلى نحو عشرة آلاف مجلد فى العلوم والتكنولوجيا. وهناك المدرسة الألمانية الثانوية المدعومة أيضا من جانب الحكومة الألمانية ولها مكتبة تصل إلى نحو سبعة آلاف مجلد باللغة الألمانية أساسًا.

فى المدارس الابتدائية الأفغانية لا نصادف مكتبات بالمعنى الدقيق وإنما مجرد مجموعات من الكتب (٥٠-١٠٠ كتاب) توضع كعهدة فى كنف (حارس) يزود التلاميذ عنها ولا يشجع على استعمالها لأن فقد أى كتاب يُخصَم ثمنه من مرتبه.

المكتبات المتخصصة فى أفغانستان

لا تعدم أفغانستان وجود مكتبات متخصصة وإن لم تكن على المستوى اللائق. وتنتشر هذه المكتبات فى الوزارات والإدارات الحكومية والبنوك والجمعيات العلمية والمهنية وغيرها.

ومن الأمثلة الطيبة على المكتبات المتخصصة: مكتبة البنك الوطنى الأفغانى، مكتبة بلدية كابول، مكتبة البلاط الملكى الأفغانى (الجمهورى حالياً) والتى تمتاز بمخطوطاتها المذهبة الثمينة، مكتبة جمعية تنمية المرأة.

فى سنة ١٩٥٩ كانت مكتبة وزارة الإعلام والثقافة تصل إلى ٤٠,٠٠٠ كتاب وتضم كتباً بالفارسية والبوشتو وهى غنية جداً بالكتب الأوروبية عن أفغانستان وكان

قد اقترح أن تضم هذه المجموعات إلى مجموعات مكتبة كابول العامة ومجموعات أخرى لتكوين المكتبة الوطنية ولكن الاقتراح لم ينفذ.

وتعتبر مكتبة وزارة التعليم واحدة من أقدم المكتبات فى أفغانستان وأهمها على الإطلاق حيث تضم نحو خمسين ألف مجلد الآن فى نهاية القرن العشرين معظمها فى التربية والتعليم وعلم النفس. وهى مفتوحة للمدرسين وموظفى الوزارة. وطبقا لما جاء فى إحصائيات الوزارة كان هناك فى نفس الفترة مائة ألف مجلد دوريات فى نفس هذه المكتبة.

وتضم مكتبة الجمعية التاريخية الأفغانية نحو ٤٠,٠٠٠ مجلد فى العلوم التاريخية والجغرافية وما يتصل بهما مثل الأنثربولوجيا والآثار والأنساب والتراجم والفولكلور. وهذه المجموعة قوية فيما يتصل بأفغانستان، ونجد فيها كل المطبوعات الخاصة ببعثة الآثار الفرنسية فى أفغانستان التى نقبت عن الآثار فى أى خانوم والهدا.

مكتبات المراكز الثقافية الأجنبية فى أفغانستان

أقام عدد من المراكز الثقافية الأجنبية مكتبات فى كابول ومن بينها على سبيل المثال **مكتب الإعلام الأمريكى** الذى افتتح أول مكتبة فى كابول يناير ١٩٤٩ وتضم المكتبة الآن نحو عشرة آلاف كتاب معظمها بالإنجليزية ثم الفارسية، وتشترك فى عدد من الصحف الإنجليزية وإحدى المجلات الفارسية ونحو مائة دورية بالإنجليزية ويعمل فيها عدد من المكتبيين الأفغان.

كذلك فقد قامت البعثة الأمريكية العاملة فى أفغانستان بتأسيس مكتبة خاصة بها فى كابول تشتمل أساسًا على مواد توثيقية بالإضافة إلى مجموعة المراجع والكتب. وللمركز الثقافى الروسى أيضا مكتبة تصل مقتنياتها إلى نحو عشرة آلاف مجلد. وكذلك مكتبة المجلس البريطانى التى تجاوزت خمسة عشر ألف مجلد، ومكتبة المركز الثقافى الفرنسى التى تصل إلى عشرة آلاف مجلد هى الأخرى.

مهنة المكتبات فى أفغانستان

عُقد أول مؤتمر للمكتبات فى أفغانستان سنة ١٩٥٨ وحضره ٣٨ مشاركًا من

المكتبات الجامعية والعامة أساسًا. وقد ناقش المجتمعون أوضاع المكتبات الأفغانية وخاصة مكتبات الجامعات والمعاهد العليا والمكتبات العامة.

وفى سنة ١٩٧١م أُنشِئَ اتحاد مكتبات أفغانستان وكان الداعى إلى إنشائه أحد أمناء المكتبات فى جامعة كابول واسمه «عبد الرسول رحيم»، وكان الهدف الرئيسى منه الدفاع عن المكتبيين وعن المهنة وتطوير واقع المكتبات الأفغانية والسعى إلى إنشاء مكتبة وطنية لأفغانستان وشبكة مكتبات عامة وكذلك إنشاء مدرسة للمكتبات فى جامعة كابول. وقد نظم الاتحاد عدداً من الدورات التدريبية وورش العمل للمدرسين المكتبيين. وكان الاتحاد ينشر «الببليوجرافية الوطنية الأفغانية» كلما تيسر ذلك.

وعلى جانب آخر قام عدد من المتخصصين الأجانب ببذل جهود مشكورة فى سبيل النهوض بالمكتبات ومهنة المكتبات فى أفغانستان من بينهم: «بيتى نيفا هوايت»، «هارلود بونى»، «روبرت بروس»، «روبرت دونز»، «أليس فيدر»، «آلان هاينمان»، «ريتشارد لوجزدون»، «إدوين بومرانكا».

وقد ضربت الحرب الأمريكية ضد أفغانستان ـ تلك الحرب التى بدأت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فيما عُرف بالحرب ضد الإرهاب ـ البنية الأساسية بما فى ذلك المكتبات وأتت على الأخضر واليابس ولم تتضح صورة الموقف بعد إحتلال القوات الأمريكية والبريطانية والكندية لأفغانستان حتى كتابة هذه السطور.

المصادر

1- Heyneman, A.L. Afghan Library Development Plan._ Kabul : Ministry of Education, 1955.

2- Kabir, Fazle A.Afghanistan._**in**._ Encyclopedia of Library History ._ New York and London : Garland publishing, Inc., 1944.

3- Urguidi, John de Belfort. Afghanistan._**in**._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : A.L.A., 1993.

4- While, Betty Neva. The Kabul University Library : terminal paper._ Kabul : The University of Wyoming Contract Team, 1966.

الأفلام فى المكتبات

Films in Libraries

أنظر

المواد السمعية البصرية

Audio-Vismul Materials

اقتصاديات المعلومات

Information Economics

أنظر

المعلومات، اقتصاديات

أقراص الليزر فى المكتبات

CD-Rom in Libraries

أنظر

الليزر، أقراص

Laser, Disks

إكوادور، المكتبات فى

Ecuador, Libraries in

تقع جمهورية إكوادور على الشاطئ الغربى لأمريكا الجنوبية، ويحدها من الشمال كولومبيا وبيرو من الشرق والجنوب. وقد بلغ عدد السكان فى نهاية القرن العشرين (١٩٩٩) نحو ١٣ مليون نسمة، بينما تبلغ المساحة الكلية ٢٨٣,٥٦١ كيلومتراً مربعاً.

واللغة الإسبانية هى اللغة الرسمية ولكن لغات الهنود الحمر منتشرة أيضا.

وقد أدخل الجزويت والفرنسيسكان أولى المكتبات إلى هذه المنطقة. وعندما أصدر ملك أسبانيا قراره بحل طائفة الجزويت ومصادرة أملاكها سنة ١٧٦٦م أصبحت مكتبات هذه الطائفة ملكاً للشعب. وكان الجزويت قد أنشأوا أيضا مدارس وجامعة ومطابع، وكلها بطبيعة الحال آلت إلى الحكومة والشعب. ولكن لم تظهر الحاجة إلى المكتبات العامة وغيرها إلا فى منتصف القرن التاسع عشر، حين أُنشئَت أول مكتبة عامة هناك سنة ١٨٦٢ وبين ذلك التاريخ وسنة ١٩٢٥ كانت قد أُنشئَت نحو ٤٠ مكتبة عامة فى المدن المختلفة هناك. وفى سنة ١٨٦٩ صدر قرار بإنشاء المكتبة الوطنية وطُلِبَ الدعم العام لها وكانت نواتها كما سنرى قد بدأت ١٧٩٢.

ورغم كل هذه البدايات إلا أن النمو كان بطيئا ولم تبدأ الحركة المكتبية حثيثة سريعة إلا فى ستينات القرن العشرين.

وكما هو الحال فى أوروبا وسائر دول أمريكا اللاتينية كانت الطوائف الدينية هى المسئولة عن إنشاء المكتبات الباكرة فى المنطقة. ومن الطبيعى أن تكون مقتنيات تلك المكتبات كتباً أوروبية وبعضها من قبل الفاتيكان نفسه وقصد بها تعليم السكان الأصليين، وكما أشرت كان الجزويت هم أول من أدخل الطباعة إلى الإكوادور فى أمباتو سنة ١٧٥٤ ثم نقلوها بعد ذلك إلى كويتو لتخدم كلية سان لويس العليا هناك وفى نفس الوقت تستخدم فى المدرسة الفنية لتعليم فنون الطباعة للطابعين الأوائل، ولكن فى سنة ١٧٦٦م عندما أصدر الملك «كارلوس الثالث» ملك أسبانيا قراره بطرد الجزويت من المستعمرات آلت المكتبات والمطبعة والكلية إلى الدولة.

المكتبة الوطنية فى إكوادور

ترجع أصول المكتبة الوطنية فى الإكوادور إلى سنة ١٧٩٢ حيث أُسسَت فى كويتو العاصمة وقد بدأت فى ذلك الوقت بنحو ستين ألف مجلد كثير منها يرجع إلى القرن السادس عشر والسابع للسبب الذى ذكرته سابقًا وهو مصادرة كتب الجزويت وكما ذكرت صدر قرار تعزيز هذه المكتبة سنة ١٨٦٩ . وقد وضعت بعض المشروعات

التعاونية لربط المكتبة الوطنية بالمكتبات العامة المائة الموجودة حالياً ومعظمها من مكتبات البلديات. والمكتبة الوطنية هناك لا تنشر الببليوجرافية الوطنية وإنما تتوفر عليها مكتبة الجامعة المركزية فى الدولة وهى تصدر كل شهرين ثم تركم سنويا. ويقدم اتحاد المكتبات فى إكوادور دعمه المطلق للمكتبة الوطنية.

المكتبات الأكاديمية فى إكوادور

يوجد فى الإكوادور ٥١ مكتبة أكاديمية تتبع الجامعات والكليات والمعاهد العليا. هذه المكتبات تخدم نحو ٢٥٠,٠٠٠ طالب وعضو هيئة تدريس وربما كانت أكبر وأحسن تلك المكتبات هى المكتبة العامة للجامعة المركزية فى كويتو التى أُسِّست سنة ١٨٢٦م وتصل مقتنياتها الآن إلى نحو ٢٠٠,٠٠٠ مجلد. وكل المكتبات الأكاديمية فى إكوادور ذات رفوف مغلقة ولا تقدم إلا الحد الأدنى من الخدمات المكتبية.

المكتبات العامة فى إكوادور

يطلق على المكتبات العامة هناك اصطلاح المكتبات البلدية أو مكتبات البلديات والحقيقة أن عدد تلك المكتبات محدود وكثير من المناطق فى إكوادور ليس فيها مثل هذه المكتبات بسبب عجز الموارد والافتقار إلى المكتبيين المؤهلين.

وتعتبر مكتبة بلدية كويتو من أقدم المكتبات البلدية هناك حيث أُنشئَت سنة ١٨٨٦ وفى نهاية القرن العشرين لم تكن مقتنياتها لتزيد على ٢٠,٠٠٠ مجلد، وأُنشئَت مكتبة بلدية جوايا كويل قبل مكتبة بلدية كويتو العاصمة بأكثر من عشرين عامًا وتربو مقتنياتها الآن على مائة وخمسين ألف مجلد. وهذه المكتبة أصدرت فى سنة ١٩١٠م أول دورية متخصصة فى المكتبات وهى «مجلة مكتبة البلدية» وهذه المجلة مخصصة بالكامل للدراسات الببليوجرافية والتاريخية والأثرية ومازال تصدر إلى الآن.

ومن مكتبات البلديات الهامة هناك مكتبة أورليو إسبينوزا البلدية فى كويتو وتبلغ مقتنياتها أكثر من ١٢٠,٠٠٠ مجلد و ١٤٠٠٠ مخطوط و ٤٣ مهادية وسبعة آلاف مطبوع حكومى و ٢٠,٠٠٠ مادة أخرى وهناك أيضا مكتبة فنسنت سولانو فى كونيكا والتى تربو مجموعاتها على خمسين ألف مجلد. وإلى جانب تلك المكتبة

هناك مكتبة البلدية العامة فى نفس مدينة كوينكا أيضا والتى نظمت عددا من الدورات التدريبية لأمناء المكتبات العامة والمدرسية. كما قام اتحاد المكتبات الإكوادورية بتنظيم ٤٢ دورة تدريبية متفاوتة المستوى فى عواصم المقاطعات هناك.

والحقيقة أن معظم المكتبات البلدية السبع والتسعون القائمة هناك تناضل من أجل البقاء وتقدم الخدمة الوحيدة هناك وهى الاطلاع الداخلى وحيث لا يوجد إعارة خارجية فى أى منها. وجل تلك المكتبات ذات رفوف مغلقة وتعتمد على التبرعات وهدايا الكتب فى تنمية المقتنيات.

المكتبات المدرسية فى إكوادور

تمثل المكتبات المدرسية فى الإكوادور ٨٠٪ من مجموع المكتبات الموجودة هناك ويبلغ عددها نحو ١٦٠٠ مكتبة ومعظمها موجود فى المدارس الخاصة. وكثير منها يقوم بدور مزدوج: مكتبة مدرسية وعامة فى وقت واحد، وغالبيتها ليس لها مواعيد محددة ومنتظمة للخدمة، وغالبا ما يعهد بإدارة المكتبة المدرسية إلى أحد المدرسين إلى جانب مهمة التدريس. وتحاول الحكومة تحسين أوضاع المكتبات المدرسية فى المدارس الحكومية ولكن نقص الاعتمادات المالية يحول عادة دون ذلك التطوير. كما أن اتحاد المكتبات الإكوادورية يحاول جاهدا دعم مفهوم المكتبة المدرسية ودورها فى العملية التعليمية ويعقد كما رأينا الدورات التدريبية لرفع مستوى أمناء تلك المكتبات إلا أن المكتبات المدرسية لا تقدم إلا الحد الأدنى من الخدمات.

المكتبات المتخصصة فى الإكوادور

كما هو الحال فى معظم دول أمريكا اللاتينية تعتبر المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات هى الأكثر تقدما والأوفر خطاً من حيث التمويل والتوظيف. وربما كانت أكبر المكتبات المتخصصة هناك هى مكتبة الدراسات الأسبانية ـ الأمريكية فى كوينكا (٦٠,٠٠٠مجلد) ومكتبة المعهد الوطنى ميجيا فى كويتو (٢٥,٠٠٠ مجلد)؛ ومكتبة المركز الدولى للدراسات العليا فى الاتصال لأمريكا اللاتينية وهذا المركز متخصص فى دراسات علم المعلومات. وهناك مركز آخر متخصص فى توثيق المعلومات الخاصة

بالصناعات الغذائية. وقام المعهد الوطنى للتخطيط بإنشاء شبكة وطنية للمعلومات التكنولوجية وقد نظم لهذا الغرض مؤتمراً وطنياً حول المعلومات العلمية والتكنولوجية سنة ١٩٧٥.

مهنة المكتبات فى إكوادور

أسس اتحاد المكتبات الإكوادورية سنة ١٩٤٤ وقد دعا إليه أول أمين مكتبة متخصص فى البلاد وهو «ألفريدو شافيز جرانجا». ويقع مقر هذا الاتحاد فى قصر الثقافة الإكوادورى الذى يدعمه بكل قوة كما تقوم الجامعة الكاثوليكية من جانبها بدعم هذا الاتحاد. ولقد نشط الاتحاد بعد فترة كسل فى السنوات الأولى من قيامه وكانت سنة ١٩٦٥ بمثابة ميلاد جديد له، حيث عاد أربعة مكتبيين كانوا فى بعثات إلى مدرسة المكتبات فى كولومبيا وبدأوا نشر «المجلة البيبليوجرافية الإكوادورية» وقدموا عددا من الدورات التدريبية ونظموا بعض المؤتمرات ومنذ ذلك الوقت وللاتحاد حضور واضح على ساحة المهنة فى إكوادور.

وتعتبر سنة ١٩٦٨ علامة فارقة فى تاريخ العمل المكتبى فى إكوادور، ففى تلك السنة عُيِّنَ أول مدير متخصص للمكتبة العامة فى الجامعة المركزية واتخذت فى تلك السنة قرارات مهنية رائدة مثل قرار إنشاء فهرس وطنى موحد تمهيداً لإنشاء نظام وطنى للمعلومات التكنولوجية، ودعم مشروعا اليونيست. وفى تلك السنة اتخذت قرارات لتحسين مستوى مهنة المكتبات ورفع أجور المكتبيين وأعد «قانون الدفاع المهنى».

وعلى جانب الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى إكوادور أنشئت المدرسة الوحيدة فيها سنة ١٩٦٠ فى جامعة جواياكويل. وسبق أن ذكرت أنه تنظم دورات تدريبية عن طريق بعض المكتبات وعن طريق اتحاد المكتبات الإكوادورية وخاصة للمكتبات المدرسية والعامة.

وتنشر بعض الدوريات المتخصصة فى إكوادور للتعبير عن حال المهنة كانت أقدمها كما أسلفت تلك المجلة التى تنشرها منذ سنة ١٩١٠ مكتبة بلدية جواياكويل بعنوان «مجلة مكتبة البلدية» كما توفرت المكتبة الوطنية فى عهد مديرتها السيدة «زويلا

أوجاريت دى لانديفار» (١٩١٨-١٩١٩) وفى عهد مديرها الدكتور «كريستوبال جاجوتينا» (١٩٢٠-١٩٢٧) على نشر «المجلة» والتى تخصصت فى نشر الدراسات والمعلومات المتعلقة بالمكتبات الوطنية والببليوجرافيا والتطورات الفكرية والبحث العلمى والتاريخى والأدبى.

وقد جُمعت الدراسات المنشورة فى ثلاث مجموعات؛ الأولى تضمنت الأعداد ١-١٩ من أغسطس ١٩٢٨ - مارس ١٩١٩؛ والثانية تضمنت خمسة عشر عدداً من أكتوبر ١٩٢٠ - مايو ١٩٢١، وسُميت بالسلسلة أو المجموعة الجديدة؛ أما الثالثة فعُرِفَت أيضا بالسلسلة الجديدة وضمت ١٢ عددا (ديسمبر ١٩٢٥ - أكتوبر ١٩٢٧).

وفى سنة ١٩٣٦ ظهر العدد الأول من «مجلة المكتبة الوطنية» وكان المحرر هو «أونريك كويتو» فى عهد مديرها «لوسيانو أندراد مارينى» بنشر «المجلة» والتى توقفت بعد أربعة أعداد فقط من صدورها. وبين ١٩٥٩ و ١٩٦٥ صدرت من نفس المجلة ثلاثة أعداد تحمل عنواناً آخر هو «مجلة مكتبة بلدية كويتو».

وقامت مكتبات أخرى بإصدار دوريات لم تعمر طويلا مثل المكتبة العامة للجامعة المركزية فى كويتو سنة ١٩٣١ ومكتبة جامعة كوينكا سنة ١٩٤٥، والمكتبة العامة للجامعة المركزية فى كويتو نشرت مجلتها تحت عنوان «مجلة مكتبة الجامعة المركز لإكوادور» وصدر منها عددان فقط يناير - مارس ١٩٣١ - إبريل - مايو ١٩٣١. ومجلة جامعة كوينكا صدرت باسم «المجلة الببليوجرافية لجامعة كوينكا» مكتبة خوان بوتستا فازكيز الأعداد ١-٥٠ من ٢٥ ديسمبر ١٩٤٥-١٠ نوفمبر ١٩٥٨.

ويشرف تاريخ المهنة فى إكوادور بثلاثة رجال يرجع إليهم الفضل فى جمع مجموعات متخصصة حول إكوادور كما يرجع إليهم الفضل فى تطوير الببليوجرافية الإكوادورية فى مطلع هذا القرن. هؤلاء الرجال هم:

١- جاسنتو جيون كامانو. وهو رجل سياسة ومؤرخ وآثارى. من كويتو.

٢- كارلوس أ. رولاندو. وهو ببليوجرافى محنك. مواطن من جواياكويل.

٣- ميجيل إنجيل جاراميللو. وهو ببليوجرافى مشهور. مواطن من كوينكا.

وقد استقرت مكتباتهم الشخصية فى تاريخ وجغرافية وثقافة إكوادور ووزعت جغرافياً على المدن الثقافية الثلاثة الكبرى فى الدولة.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة. . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Bravo, Julian. Ecuador, Libraries in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York : Marcel Dekker, 1962._ vol.7.

3- Gormann, Mortha. Ecuador._in._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : A.L.A., 1993.

4- Maciejewski, Flice E.Ecuador._in._ Encyclopedia of Library History._ New York and London : Garland publishing Inc., 1994.

أكيتا، جيريمياس ماما ١٩٢١-

Akita, Jeremias Mama 1921-

وُلِدَ «جيريمياس ماما أكيتا» فى الحادى عشر من مايو ١٩٢١م فى تيشى فى أكرا والتحق بالمدارس الإبتدائية والثانوية فى غانا حيث تلقى تعليمه العام، وبعد ذلك التحق بكلية الملكة فى كامبردج سنة ١٩٤٥ وتخرج فيها سنة ١٩٤٨. والتحق لمدة عام بكلية المكتبات والأرشيف فى لندن حيث حصل على دبلوم عام فى إدارة الأرشيف، وعندما رجع إلى غانا سنة ١٩٤٩ عُيِّنَ رئيسا للأرشيف الوطنى (كبير الأرشيفيين) وهو المنصب الذى ظل فيه حتى تقاعده سنة ١٩٧٦.

وخلال العقود الثلاثة التى عمل فيها فى هذا المنصب كان له دون غيره من الأرشيفيين دور هام فى تشكيل مهنة العمل الأرشيفى فى بلده على وجه الخصوص وفى أفريقيا جنوب الصحراء على وجه العموم. وقد اقتحم كل المشكلات التى واجهت الأرشيف الحديث واستطاع أن يجد لها حلولاً مناسبة فى معظم الأحيان.

وربما كانت حسنته الأساسية إنشاء «الأرشيف الوطنى» لغانا. وقد بدأ بجمع السجلات والوثائق التى كانت مبعثرة فى الإدارات الحكومية والمكاتب والممرات وفوق السطوح وفى القباء المظلمة تحت الأرض. وفى نفس الوقت خُطط لتشييد مبنى جديد للأرشيف وقد بدأ البناء سنة ١٩٥٩ وانتهى سنة ١٩٦٢. ثم طفق الرجل ينشئ أرشيفات إقليمية فى كوماس (١٩٥٩)، ساحل الرأس (كيب كوست) ١٩٦٤؛ وقد تم تشييد مبانى خاصة بها فيما بعد. كما خطط الرجل لتشييد مبانى أرشيفات إقليمية أخرى فى معظم عواصم ولايات غانا.

ولكى يضفى الشرعية على مؤسساته الأرشيفية وعمله الأرشيفى ويضمن لها الاستمرارية سعى إلى استصدار قانون للأرشيف من المجلس التشريعى الاستعمارى الذى كان موجودا آنذاك سنة ١٩٥٥. ويحدد هذا القانون أنواع الوثائق والسجلات التاريخية والجارية التى يجب أن تُضم إلى الأرشيف الوطنى أو الإقليمى والإجراءات الواجب اتباعها فى هذا الصدد وأسلوب ومعايير تقييم الوثائق التى تنقل إلى الحفظ الدائم فى الأرشيف الوطنى.

وكان «أكيتا» عضواً بارزاً فى المجلس الدولى للأرشيف من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٦، واعترافا بنشاطه وعمله الدءوب وإضافاته إلى المجلس، عُيِّنَ عضواً شرفياً فى المجلس مدى الحياة.

وعندما فكرت منظمة اليونسكو فى إنشاء مركز تدريب للأرشيفيين فى إفريقيا الناطقة بالإنجليزية سنة ١٩٦٧ كان «أكيتا» من بين المستشارين فى هذا الصدد. وقد طلب أن يكون هذا المركز تابعا لقسم المكتبات والأرشيف فى جامعة غانا وبالفعل تم ذلك سنة ١٩٧٥. وعندما تقاعد سنة ١٩٧٦ طُلِب إليه أن يصبح مديراً للمركز وفى نفس الوقت محاضراً به.

ولقد مكنته دراساته وخبراته ورحلاته من أن يكتب حول علم الأرشيف ومشكلاته فنشر العديد من المقالات فى الدوريات المهنية، كما ألقى العديد من المحاضرات العامة فيه وحاضر فى أقسام المكتبات والأرشيف وفى مركز التدريب المشار إليه.

ولقد وضع «أكيتا» كل خبراته وتجاربه وعلمه فى خدمة الدول المجاورة فَعُيِّن مستشاراً أرشيفياً عن طريق سكرتارية الكومنولث لمعهد الأمم المتحدة لناميبيا فى لوساكا، زامبيا سنة ١٩٧٧. وقد كتب تقريرا حول إنشاء أرشيف وطنى لناميبيا.

وفى سنة ١٩٧٨م أرسلته اليونسكو فى مهمة استشارية إلى أوغندا لوضع خطط قصيرة وطويلة الأجل لتطوير الخدمات الأرشيفية هناك.

المصدر

1- Keswani, D.G. Akita, J.M._in._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : A.L.A., 1993.

ألبانيا، المكتبات فى

Albania, Libraries in

تقع جمهورية ألبانيا فى شبه جزيرة البلقان فى أوروبا الجنوبية ويحدها من الشمال مومنتنجرو، ومن الشرق صربيا، ومن الجنوب اليونان، ومن الغرب البحر الإدرياتيكى والبحر الأيونى. وقد وصل عدد السكان سنة ١٩٩٩م إلى نحو خمسة ملايين نسمة. والمساحة الكلية للجمهورية ٢٨,٧٤٨كم٢ (١٠٦٣٠ ميلاً مربعاً) واللغة الرسمية هى الألبانية ويغلب على الألبان الأصل التركى.

ويرجع تاريخ المكتبات فى ألبانيا فى حدود معلوماتنا التاريخية إلى العصر الرومانى فقد وجدت المكتبات فى المستعمرات الرومانية فى هذه المنطقة ومن بين تلك المستعمرات التى أقيمت فيها المكتبات: مستمرة أبوللونيا، مستعمرة فونيك، مستعمرة ديرّاكيوم وذلك منذ القرن الأول قبل الميلاد. وفى العصور الوسطى نجد المكتبات فى المؤسسات الدينية التابعة للكاثوليك الرومان، والأرثوذكس اليونان فى العديد من المناطق مثل: جيروكاستار، فيلانى، كيمارا. وبعد اجتياح الأتراك العثمانيين لتلك المناطق نشروا فيها الجهل والتخلف كما هو الحال فى سائر أنحاء الإمبراطورية العثمانية. وفى القرن الثامن عشر بدأت فى ألبانيا صحوة نحو المكتبات متأثرة فى

ذلك بالموجة العامة في أوروبا في تلك الفترة فنصادف مكتبات في: كورسا، فوسكوبوجا، فثكوجي، سيلاسفوري. وبعد حصول ألبانيا على الاستقلال سنة ١٩١٢ بدأ إنشاء المكتبات العامة في البلاد على نحو ما نصادفه في مدن: تيرانا، كورسيه، إلباسان، شقودرا.

المكتبة الوطنية

أُنشِئَت المكتبة الوطنية الألبانية في تيرانا سنة ١٩٢٢م وبدأت برصيد متواضع هو ستة آلاف مجلد وبعد تحرير البلاد من قوات المحور سنة ١٩٤٤م ارتفع الرصيد إلى نحو ١٥٠٠٠ مجلد. وفي نهاية القرن العشرين بلغ الرصيد نحو مليون مجلد وذلك بفضل الحركة الشيوعية في البلد. ولعله من نافلة القول أن نذكر بأن هذه المكتبة الوطنية قد نجمت عن إدماج مكتبات اللجنة الأدبية ومكتبات جمعية الأخوة، وهما من الجمعيات الفكرية التي كانت تعمل في البلاد آنذاك وكلتاهما كانتا في شقودرا. ومنذ قامت المكتبة الوطنية سنة ١٩٢٢ وهي تقع في تيرانا العاصمة.

وطبقاً لقانون إنشاء هذه المكتبة فإنها تتمتع بالإيداع القانوني حيث يقوم الناشرون بإيداع ١٥ نسخة من أي مطبوع يصدر في البلاد، ويتم تزويد المكتبة أيضا عن طريق الشراء والتبادل والهدايا سواء من داخل البلاد أو خارجها. وفي سنة ١٩٦٥م انتقلت المكتبة من مقرها القديم في تيرانا إلى مقرها الحالي «قصر الثقافة».

وتقتني المكتبة ضمن ما تقتني مجموعة رائعة من المخطوطات يرجع أقدمها إلى القرن الرابع عشر ويصل عدد المخطوطات إلى ٦٠٠ مخطوط، كما يصل عدد المهاديات والمطبوعات النادرة إلى نحو ١٨٠٠ كتاب ووثيقة بعضها جاء من ديرفوسكوبوجا ١٧٢٠-١٧٧٠م وفي هذه المكتبة نجد نحو ٤٠,٠٠٠ مطبوع يتصل بالشئون الألبانية (ألبانيانا): التاريخ الألباني، اللغات الألبانية، الأعراق الألبانية، الفولكلور الألباني، التراجم الألبانية، الجغرافيا الألبانية، الآداب الألبانية وغير ذلك وبعضها من النوادر مخطوطة ومطبوعة ومصورة.

ومن الجدير بالذكر أن لدى المكتبة برنامج تبادل ضخم مع المكتبات الأخرى في

داخل البلاد أو خارجها، ففى سنة ١٩٩٩ كانت المكتبة تقيم علاقات تبادل واسعة النطاق مع أكثر من ٥٠٠ مكتبة خارج البلاد.

وبطبيعة الحال تقدم المكتبة خدماتها بالمجان للعلماء والباحثين والقراء العاديين، وهى تمدهم عادة بمعلومات حديثة عن مقتنياتها عن طريق شبكة واسعة من الأدوات: فهارس، ببليوجرافيات، نشرات إخبارية، ملصقات حائط، إحاطة جارية، بث انتقائى... ويدور حجم تداول المواد فيها حول ٣٠٠,٠٠٠ استعارة سنوياً. وتقوم المكتبة أيضا بدور مستودع الإنتاج الفكرى الألبانى حيث تحتفظ بنسخة من كل كتاب بعيدة عن التداول أى للحفظ المستقبلى. كما أنها فى نفس الوقت مركز تدريب ودراسة علم المكتبات والببليوجرافيا، وتعتبر المكتبة الوطنية الألبانية هى المركز الببليوجرافى الألبانى حيث تنشر العديد من الببليوجرافيات وعلى رأسها: الببليوجرافية الوطنية الألبانية والتى بدأت فى الصدور سنة ١٩٥٩م على إصدارات فصلية، كما تنشر «الببليوجرافيا الوطنية لمقالات الدوريات الألبانية» والتى تنشر الآن شهرياً بعد أن بدأت فصلية بين ١٩٦١-١٩٦٤ وكل شهرين ١٩٦٥. وتتوفر المكتبة كذلك على نشر ببليوجرافية سنوية بالدوريات الأجنبية التى تدخل إلى البلاد (نوع من الفهارس الموحدة الجارية). ومن حين لآخر تنشر المكتبة ببليوجرافيات حول الشئون الألبانية: التاريخ، الأدب، الفولكلور.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن المكتبة الوطنية الألبانية تملك أقوى مجموعة حول ألبانيا فى العالم، كما تملك أغنى مجموعة حول تاريخ ثقافة الشعوب البلقانية الأخرى.

المكتبات الأكاديمية فى ألبانيا

يوجد فى ألبانيا بعض المؤسسات الأكاديمية العليا المتميزة التى تملك مجموعات قوية وتقدم خدمات فوق العادة لمجتمع طلاب العلم والباحثين والعلماء. ورغم أنه لم يمض على إنشاء أكاديمية العلوم فى ألبانيا إلا ربع قرن فقط (١٩٧٥) إلا أنها بلغت الآن نحو ٩٠٠,٠٠٠ مجلد رغم أنها بدأت سنة ١٩٧٥ بعشرة آلاف مجلد فقط.

ومجموعات هذه المكتبة تغطى كل فروع العلوم البحتة والتطبيقية وفيها بعض المهاديات النادرة فى التاريخ واللغات؛ ويدور معدل الإضافات السنوية فى هذه المكتبة حول خمسة آلاف مجلد. ويتم تزويد المكتبة عن طريق الشراء والتبادل والهدايا. وتتلقى المكتبة ثلاث نسخ من كل مطبوع تنشره الأكاديمية.

وتقدم مكتبة أكاديمية العلوم فى ألبانيا خدماتها بالمجان لجميع الطلاب والباحثين فى كل فروع العلم ولها علاقات وطيدة مع مكتبات الأحياء والمناطق وتقدم لها الخدمات المختلفة إن احتاجت إليها. وتقوم المكتبة فى المتوسط بخمسين ألف عملية إعارة للمستفيدين فى كل سنة، كما أنها تصدر نشرة ببليوجرافية بما يدخل إلى البلاد من إنتاج فكرى أجنبى وتغطى التاريخ والجغرافيا والاقتصاد إلى جانب الموضوعات الأخرى. كما تقوم بإصدار ببليوجرافية (فهرس) الدوريات العلمية الأجنبية التى تتلقاها المكتبة ومن حين لآخر تعد قوائم ببليوجرافية مناسبة.

ولمكتبة أكاديمية العلوم فى ألبانيا علاقات تبادل أجنبى مع نحو ألف أكاديمية وجامعة ومعهد علمى ومكتبة من جميع أنحاء العالم.

من المكتبات الأكاديمية الهامة أيضا فى ألبانيا لابد وأن نذكر مكتبة جامعة تيرانا لقد أُنشئَت جامعة تيرانا سنة ١٩٥٧ ونشأت المكتبة معها وهم هناك يسمونها المكتبة العلمية لجامعة تيرانا. وكانت المجموعة المبدئية التى بدأت بها المكتبة تصل إلى نحو ٤٠,٠٠٠ مجلد، ارتفعت فى سنة ١٩٨٤ إلى ٥٠٠,٠٠٠ مجلد وفى نهاية القرن العشرين سجلت المجموعات نحو ٦٥٠,٠٠٠ مجلد فى سنة ١٩٩٩. ويلاحظ أن ٨٠٪ من المجموعات عبارة عن كتب علمية بلغات أجنبية وحيث يجيد الشعب الألبانى اللغة الإنجليزية. وتتلقى المكتبة ثلاث نسخ من كتب أعضاء هيئة التدريس ودوريات الجامعة بالمجان وتنمو مجموعات المكتبة عن طريق الشراء والتبادل والهدايا بمعدل عشرة آلاف مجلد كل سنة. وللمكتبة علاقات بنحو ٥٠٠ مكتبة جامعية ومعهد علمى فى نحو تسعين دولة.

وتقدم المكتبة خدماتها بالمجان لأعضاء هيئة التدريس والباحثين والطلاب

بالجامعة، وتمد خدماتها إلى المتخصصين من خارج الجامعة فى عموم ألبانيا، كما أنها لا تألو جهداً فى تقديم خدماتها حين تُطلب إلى مكتبات المناطق والأحياء، والمعاهد العلمية ومراكز الإنتاج فى البلاد.

وتحيط المكتبة المستفيدين منها أولاً بأول بما يرد إليها عن طريق الببليوجرافيات، ونشرات الإحاطة الجارية والبث الانتقائى للمعلومات وغيرها. وتقوم بانتظام بإصدار ببليوجرافية مشروحة بالإنتاج الفكرى العلمى الأجنبى الذى يدخل إلى البلاد فى ١٢ مجالاً علمياً.

من المكتبات الأكاديمية الهامة أيضا فى البلاد **مكتبة المعهد العالى الزراعى** فى تيرانا أيضا وقد أُسِّس هذا المعهد ومعه مكتبته سنة ١٩٥١ وكانت المجموعة المبدئية صغيرة ولكن فى سنة ١٩٥٥ سجلت المجموعة ارتفاعاً ملحوظاً حيث بلغت ٢٧,٨٩٨ مج، ثم ارتفعت سنة ١٩٥٩ إلى ٤١,٢٦٠ مجلداً وفى سنة ١٩٧٦ إلى ٨٨٠٠٠ مجلد، وفى سنة ١٩٨٢م زاد الرصيد إلى ١٠٥,٢٠٠ مجلد وفى نهاية القرن العشرين تجاوزت المائة والخمسين ألف مجلد. وتتلقى المكتبة ثلاث نسخ مجانية من كل مطبوع يصدره المعهد العالى الزراعى فى تيرانا.

وتبلغ الإضافات السنوية إلى رصيد المكتبة نحو خمسة آلاف مجلد وذلك من خلال الشراء والتبادل والهدايا. وتقدم المكتبة خدماتها للطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس بالمعهد وكذلك العلماء والمتخصصين من خارج المعهد وإلى طلاب جامعة تيرانا؛ وإلى جميع المشتغلين بالزراعة وعلومها فى عموم البلاد. وللمكتبة علاقات وطيدة بمكتبات الأحياء والمناطق؛ ومكتبات المراكز الزراعية ومراكز الإنتاج فى تيرانا. وقد سجلت سنة ١٩٩٩ وجود علاقات وطيدة لهذه المكتبة مع نحو ١٥٠ مكتبة ومعهد زراعى أجنبى فى نحو ثلاثين دولة.

وتحيط المكتبة القراء بما يرد إليها من مصادر عن طريق نشرات ببليوجرافية وقوائم متنوعة. وتنشر المكتبة ببليوجرافية مشروحة مستفيضة كل سنة بعنوان: «علم الزراعة والتجارب المتقدمة فى دولتنا» وهى ببليوجرافية لتسجيل ووصف الإنتاج الفكرى

الزراعى الأجنبى والعلوم المتصلة بالزراعة. كما تتوفر المكتبة بإعداد ببليوجرافية (فهرس) بالدوريات الزراعية التى تدخل إلى الدولة؛ وسلسلة من الببليوجرافيات الموضوعية فى فروع الزراعة المختلفة.

المكتبات العامة فى ألبانيا

يرجع تاريخ المكتبات العامة الألبانية الحديثة إلى سنة ١٩٣٤ حين افتُتِحَت أول مكتبة عامة فى إلباسان، تلتها فى سنة ١٩٣٥ مكتبة عامة أخرى فى مدينة شقودرا، وفى سنة ١٩٣٨م أُنشِئَت مكتبة عامة ثالثة فى كورسا. وبعد تحرير البلاد سنة ١٩٤٤ من القوات المحتلة أُنشِئَت ثلاث مكتبات أخرى سنة ١٩٤٥ فى كل من دورِّيس؛ فلورا؛ بيرات. وفى سنة ١٩٥٠م تم افتتاح أربع مكتبات أخرى فى جيروكاسترا، بيشكوبيا؛ فبير؛ بوجراديك. وقد أُسسِّت خمس مكتبات أخرى فى سنة ١٩٥٨ مدن: لوشنجا؛ كوكيس؛ إرسيكا، ساراندا، تبلينا. وفى سنة ١٩٦٦م ارتفع عدد المكتبات العامة هناك إلى خمس وعشرين مكتبة وحيث أُنشِئَت مكتبات جديدة فى مدن: كروجا - ليزما - بوكا - تروبوجا - بيرمت - جرامش - بوريل - ريشن - سكرابار - لبرازهد. وقد سجلت سنة ١٩٨٠ زيادة ملحوظة فى عدد المكتبات العامة فى البلاد حيث ارتفع العدد إلى ٤٥ مكتبة وبلغ رصيدها جميعا فى تلك السنة ٢,١٧٥,٢٤٨ مجلداً فى مقابل ٢٠٢٠٠٠ مجلد فقط سنة ١٩٥٠، وفى نهاية التسعينات كانت أكبر المكتبات العامة هى تلك الموجودة فى مدن شقودار (نحو ٣٠٠,٠٠٠ مجلد)؛ كورسا (١٥٠,٠٠٠ مجلد)؛ إلباسان (٣٥٠,٠٠٠ مجلد)، بيرات (١٢٠,٠٠٠ مجلد)، دوريس بما فى ذلك فرعا شيجاك و كافاجا (٣٥٠,٠٠٠ مجلد) ومن المعروف أن الدولة هى التى تمول إنشاء وتنمية المكتبات العامة هناك. وتقدم هذه المكتبات خدماتها العادية وخدمات الإرسال بالبريد للمناطق النائية بالمجان تماماً.

وإذا استثنينا المكتبة الوطنية ومكتبة أكاديمية الفنون فإن مكتبة مدينة شقودرا هى أغنى المكتبات فيما يتعلق بالمصادر المتخصصة فى ألبانيا والبلقان، ومجموعة المخطوطات بها هى أحسن مصدر لدراسة تطور التاريخ الوطنى الألبانى.

المكتبات المدرسية فى ألبانيا

منذ اعتنقت ألبانيا الشيوعية كان من الطبيعى أن تولى التعليم اهتماماً خاصًا ولذلك غُطِّيت البلاد بشبكة مستفيضة من المدارس الوطنية. وينص قانون إنشاء المدارس هناك على أن تكون المكتبة وحدة من الوحدات الأساسية فى كل مدرسة ومن ثم تنشأ المدرسة ومعها مكتبتها. وفى نهاية القرن العشرين كان عدد المدارس فى ألبانيا قد اقترب من ألفى مدرسة فيها جميعًا مكتبات بشكل أو بآخر، وبلغت المجموعات فيها ما يربو على خمسة ملايين مجلد فى الحضر والريف. ومن نافلة القول إن تلك المكتبات تقدم خدماتها بالمجان للمدرسين والطلاب والتلاميذ وتعيرهم الكتب الألبانية والأجنبية على السواء. ومن المعروف أن الدولة حتى الآن هى التى تمول إنشاء وتطوير المدارس ومكتباتها.

المكتبات المتخصصة

من حسنات النظام الشيوعى حرصه على وجود شبكة مستفيضة من المكتبات المتخصصة فى كل مؤسسة وفى كل موقع عمل. ولقد سجلت سنة ١٩٩٩م وجود ٥٨٩ مكتبة متخصصة تبلغ مقتنياتها نحو مليونى مجلد. وتوجد تلك المكتبات فى مراكز البحوث، والإدارات الحكومية ومراكز الإنتاج والشركات والاتحادات والجمعيات وغيرها. وتقدم تلك المكتبات خدماتها للمتخصصين والباحثين والخبراء فى تلك المؤسسات. وأهم ما يميز تلك المكتبات رصيدها من الإنتاج الفكرى العالمى الذى تقتنيه من مراكز النشر الأجنبية.

مكتبات قصور وبيوت الثقافة

يوجد فى ألبانيا نوع من المكتبات يقع فى المنطقة المتنازع عليها بين المكتبات العامة والمكتبات المتخصصة يطلق عليها مكتبات قصور وبيوت الثقافة (حرفيا: بيوت وأكواخ الثقافة، وبيت الثقافة عادة يوجد فى المدن والكوخ يوجد فى الريف). والمكتبة من هذا النوع تضم إنتاجاً فكرياً فى كل فروع المعرفة وتخدم العامة والمتخصصين على حسب المنطقة فإن كانت ريفية تعمقت جمع الإنتاج الزراعى للمتخصصين، وإن كانت تجارية

تعمقت جمع الإنتاج الفكرى للتجاريين، وإن كانت صناعية تعمقت الإنتاج الفكرى للصناعيين وهلم جرا.

فى سنة ١٩٩٩ كان هناك ما لا يقل عن ١٩٠٣ مكتبات من هذا النوع تصل مقتنياتها إلى ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مجلد باللغات الألبانية أساسًا. وهذه المكتبات شأنها شأن كل المكتبات فى ألبانيا تمول من قبل الدولة؛ وتقدم خدماتها بالمجان لكل من يقصد إليها سواء فى الحضر أو الريف. ومن حق هذه المكتبات أن تتبادل المطبوعات مع أى مكتبة أخرى فى الدول والإعارة البينية هناك مجانية وعلى نفقة الدولة.

مهنة المكتبات والمعلومات فى ألبانيا

لم يسجل أى من المصادر التى بين أيدينا وجود اتحاد أو جمعية مهنية للمكتبات فى ألبانيا؛ كما لم يذكر أى مصدر وجود مدرسة للمكتبات والمعلومات. كما لم تسجل المصادر وجود إنتاج فكرى أو دوريات مكتبية باللغة الألبانية. وإن كانت هناك مقالات ودراسات وتقارير تنشر فى الدوريات غير المهنية.

ويتم تنظيم دورات تدريبية للعاملين فى المكتبات هناك من حين لآخر داخل البلاد وخارجها وجدير بالذكر أن الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات قد نظمت دورة تدريبية لعشرين من أمناء المكتبات الألبان فى القاهرة لمدة شهر وذلك على نفقة وزارة الخارجية المصرية سنة ١٩٩٩.

من جهة أخرى يشترك كثير من أمناء المكتبات الألبان فى مؤتمرات المكتبات الإقليمية الدولية وخاصة مؤتمرات إفلا.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Domi, Mahir. Albania._in._ Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : A.L.A., 1993.

3- Nasir, William. Albania, Libraries in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York : Marcel Dekker, 1968._ vol.1
4- Pettas, William A.Albania._in._ Encyclopedia of Library History._ New York and London : Garland publishing Inc., 1994.

ألدوس مانوتيوس ١٤٥٠-١٥١٥

Aldus Manutius 1450-1515

وُلِدَ «ألدوس مانوتيوس» فى باسيانو، دوقية سير مونيتا سنة ١٤٥٠ ووجه شهرته جاء من اشتغاله بالطبع والنشر، وهو مؤسس مطبعة ألدين تفى فينسيا (البندقية) وعادة ما يشار إليه بعبارة «طابع وناشر فينيسيا الأول العظيم». وهو لم يشتغل بالطباعة والنشر منذ صغره بل احترف ذلك وهو فى سن الخامسة والأربعين. ولقد أوجد هذا الطابع ـ الناشر ـ الباحث أسرة طابعة امتدت لثمانين عاما بعد وفاته حتى سنة ١٥٩٧.

وكانت للكتب التى ينشرها مكانة خاصة وتقديراً عالياً بين القراء والباحثين والطابعين على السواء وكانت له علامة طابع مميزة هى الهلب والدولفين واسمه عليها. ولقد بدأ فى شبابه ضربا من ضروب الانكباب على العلم والبحث والدرس فى مدينة كابرى حيث انغمس فى دراسة الكلاسيكيات اللاتينية والأدب اليونانى واللغة اليونانية. وعندما ارتحل إلى فينسيا (البندقية) ١٤٨٨-١٤٨٩ قرر أن ينشر طبعات من الكلاسيكيات اليونانية بلغتها اليونانية الأصلية. وكان قد تعرف على الكونت «بيو أمير كابر» فى مرحلة الدراسة فى روما وفيرارا وأصبح معلماً خصوصياً لولدى أخته «كاترينوبيا» سنة ١٤٨٢.

وخلال سنواته الأولى فى فينسيا جمع ألدوس حوله دارسى الكلاسيكيات اليونانية واتخذ سبيله إلى المخطوطات اليونانية الباكرة، وبعد فترة من الدراسة والتجريب نجح

ولأن ألدوس هو الذى أدخل هذا الحرف المائل إلى عالم الطباعة فقد عُدَّ مخترعاً ومجدداً، ولأن كتبه غدت نموذجاً يحتذى من قبل الطابعين والناشرين الآخرين فإن تأثيره على عالم الطباعة فى القرن السادس عشر كان جارفًا. وكان الإيطاليون يسمون حرفه «ألدينو» أو «ألداين» بينما الفرنسيون يسمونه «المائل» حتى لا ينسب إلى الرجل الذى ابتكره. وقد انتشر مصطلح «المائل» لدى معظم القراء فى بريطانيا وأمريكا ومعظم دول العالم.

وقد حصل ألدوس على ترخيص رسمى بهذا الحرف وأصبح له وحده الحق فى استخدامه ولا يجوز للآخرين السطو عليه، وذلك طبقا لقرار مجلس الشيوخ فى فينسيا المؤرخ بتاريخ ١٤ من نوفمبر ١٥٠٢م. وبالتالى فإن من يسطو على هذا الحرف ويقلده أو يزوره فإنه يحكم عليه بالغرامة ومصادرة الكتب المزورة. ومن سوء حظ ألدوس أن هذه البراءات لم تكن لتمثل حماية حقيقية لأعماله فقد قام مصمم الحرب «رايبولينى» المشار إليه بإعداد نسخ من هذا الحرف لطابع منافس هو «جيرولامو سونسينو» من فانو والذى لم يكتف بتقليد كتاب فيرجيل الذى طبعه ألدوس سنة ١٥٠١ بل سرق أيضا أعمال التحقيق والتحرير التى قام بها ألدوس فى نفس هذا الكتاب.

هذه السرقة وغيرها لم يستطع ألدوس أن يمنعها على الرغم من أنه فى مناسبات عديدة نشر تحذيرات واحتجاجات كثيرة على المزورين المقلدين.

وعلى الرغم من أن ألدوس كان ينشر العديد من طبعاته فى القطع الصغير إلا أنه استمر ينشر بعض الأعمال وخاصة الكبيرة منها فى حجم الفوليو أى القطع الكبير.

ولقد ظل الرجل ينتقل من نجاح إلى نجاح ويبقى نشطاً فى مهنة الطبع والنشر حتى ١٥٠٥ ثم انقطع فجأة فلم ينشر أى عمل سنة ١٥٠٦ ونشر عملاً واحداً سنة ١٥٠٧، ثم عدداً قليلاً ١٥٠٨م وهى السنة التى دخل فيها حموه «أندرياس توريسانوس» وكان طابعاً مستقلاً وتاجر كتب وناشراً ـ معه فى شراكة. وكان أول عمل ينتج عن هذه الشراكة هو كتاب بلينى الشهير والذى صدر فى نوفمبر ١٥٠٨.

وربما كان أفضل ما نشر ألدوس هو كتاب فرانشسكو كولونًا سنة ١٤٩٩ والذى

أصبح هدفاً لجامعى الكتب وحقق شهرة واسعة وكان به ١٦٠ صورة أخذت عن كتل خشبية وقد وضعها فنان لم يعرف اسمه. وهذا الكتاب حتى لو لم يضم إلا صورا وإيضاحيات فإنه أفخم وأحسن إنتاج صدر عن مطبعة ألدوس. لقد توفر «جريفى» سابق الذكر على تصميم وقطع حروفه الرومانية المميزة، ذلك الكتاب الذى هو عبارة عن قصة حب مزيج من الإيطالى واللاتينى دارت بين «بوليفيلو» و «بوليا» فى خلفية من الآثار الكلاسيكية.

إن الأبناط الإغريقية التى استخدمها ألدوس تحاكى الكتابة الخطية اليونانية المدورة فى نهاية القرن الخامس عشر وقد انطوت على عدد كبير من التقليصات فى الحرف، وعدد كبير من الحروف المزدوجة وتعقيدات أخرى لا لزوم لها. ويعقد «أبدايك» فى كتابه «حروف الطباعة: تاريخها وأشكالها واستخداماتها: دراسة فيما وصلنا منها» مقارنة بين الحرف اليونانى والحرف المائل ويحاول أن يغوص فى أعماق أصولها وملامحها الفارقة، والحروف المكررة والمربوطة والتى يوجد منها نحو ٦٥ فى كتب دانتى و فيرجيل. كذلك استخدم ألدوس الحروف الكبيرة الرمانية بشكل أقصر من الحروف المائلة بما يشبه خط اليد الإنسى الذى كان شائعاً فى تلك الفترة.

وفى خلال العقود الأولى من القرن السادس عشر كان الطابع الغالب على كتب مطابع ألدوس متأثر باستخدام الحروف المائلة وخاصة فى كتب القطع الصغير (الثمن)؛ وكان هذا التجديد والابتكار سببا فى النجاح الكبير الذى حققته مطابع ألدوس. يضاف إلى ذلك استخدامه لعدد كبير من المحررين المهرة الأكفاء والمحققين الأفذاذ من نفس مستواه العلمى أو أعلى، إلى جانب استخدام أحسن أنواع الحروف وأحسن أنواع الورق والحبر. لقد كانت مطبعة ألدوس أداة رئيسية فى نشر العلم والمعرفة فى القرن السادس عشر.

قبل اندماج مطبعة ألدوس مع مطبعة والد زوجته، كانت كتبه تحمل بيان الطبع «عند ألدو الرومانى»، «مطبعة ألدى» وفى أحيان قليلة ١٥٠٢-١٥٠٣ «فى أكاديمية ألدى الرومانى» وبعد الاندماج استمر يطبع عددا من الكتب تحت اسمه وحده فبعد

كتاب «بلينى» سنة ١٥٠٨م، جاء المجلد الثانى من «الخطابة اليونانية» فى القطع الكبير فى شهر مايو سنة ١٥٠٩م.

وبعد وفاة ألدوس فى السادس من فبراير ١٥١٥م استمرت علامة الطبع المشتركة بدون تغيير حتى وفاة توريسانوس سنة ١٥٢٩ وقد أغلقت المطبعة لمدة أربع سنوات بعد هذا التاريخ ثم أعيد افتتاحها مرة ثانية سنة ١٥٣٣ عندما صدر كتاب «الخطابة» فى ذلك التاريخ وينسب ذلك الكتاب إلى بول مانوتش. ويذهب بعض الكتاب إلى اعتبار كتاب «أبو ستولو زينو» «أعمال الرسل» ١٥٣٣ هو أول كتاب يصدر عن المطبعة حاملاً بيان الطبع الجديد. وهو كتاب صغير فى حجم الثمن.

وتذكر المصادر أنه صدر فى سنة ١٩٣٣ مالا يقل عن أحد عشر كتاباً وقد سار الإنتاج بمعدل وئيد حتى ١٥٣٩ (فيما عدا سنة ١٩٣٧) عندما تغير بيان الطبع إلى «عند أولاد ألدوس» أو «ألدى & أندريا آسولانى» وهى الصيغة التى ظلت مستخدمة حتى ١٥٥٩. وقد ظلت المجلدات تطبع حاملة بيان الطبع هذا وتغييرات طفيفة فيه حتى ١٥٧٤ عندما مات بول (السادس من إبريل سنة ١٥٧٤) وتولى ألدوس الصغير أمور المطبعة حتى ١٥٩٧. ومع وفاة حفيد مؤسس هذه الأسرة الطابعة الناشرة ألدوس الصغير انهارت المطبعة وتوقفت عن العمل. وقد قام آخرون بانتحال علامة الهلب والدولفين من حين لآخر.

ومهما يكن من أمر مطبوعات ألدوس وما فيها من عيوب ونقائص إلا أن الطابعين على مدى القرون الخمسة الماضية ظلوا يكنون احتراما بالغا للإضافات التى قدمها ألدوس مانوتيوس وخلفاؤه وقد ساروا على نهجه مما يعكس ميلهم الشديد وحبهم لأسلوب ألدين إن لم يكن احتراماً للنتائج العلمية والفنية التى حققتها تلك المطبوعات. لقد قدم ألدوس إضافة قيمة إلى تاريخ الطباعة، ومازال إنجازاته محل دراسات وبحوث من جانب الطابعين ومصممى الحروف، حتى رجال الحاسب الآلى ومعدات الكلمات فى الوقت الحاضر.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى: الغرب المسيحى، الدولة البيزنطية، اليهود.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩.

٢- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

3- Brown, H.R.F. The Venetian Printing Press._ New York : Putnam, 1891.

4- De Vinne, T.L. Notable Printers of Italy during the Fifteenth Century._ New York : Grolier Club, 1910.

5- Goldschmidt, E.P The Printed Book of the Renaissance : three Lectures and type, Illustations and Ornament.

6- Norton, F.J Italian Printers : 1501-1520._ London : Bowes & Bowes, 1958.

7- Orcutt, W.D. The Book in Italy During the Fifteenth Century._ London: Harrap, 1928.

8- Renouard, A.A. Annales de L'immprimerie des Alde : en histoire des trois Manuce et de Leurs e'ditions._ 3 rd ed._ Paris: Renouard, 1834 Crepinted : Anastatica, 1953).

9- Mpdike, D.B. Printing types : their history, froms, and Use: a Study in Survivals._ 2 nd ed._ Cambridge : Harvard Un. 1937.

إلزفير، عائلة

Elsevier Helschevier, Elschevier, Elzevier Family

اشتهرت عائلة إلزفير بتجارة وطباعة وتجليد ونشر الكتب فى هولندا وقد لعبت دوراً هاماً جداً فى هذه المجالات على المستوى الدولى والوطنى وخاصة فى ميدان

النشر فى القرن السابع عشر. وكانت طبعات هذه العائلة ونشاطاتها النشرية محل دراسات عديدة فى اللغتين الفرنسية والهولندية ليس فقط لأن طبعاتهم كانت تتميز بالدقة والفخامة وتعكس الصورة المشرقة للطباعة والمعرفة فى القرن السابع عشر ولكن ايضا لأن بعض الطابعين الآخرين قد انتحلوا علامتهم وطبعوا طبعات مختلفة تحت حرد متن إلزفير وخاصة فى فرنسا. ومن جهة ثانية فقد دأب آل إلزفير أنفسهم على نشر بعض الكتب تحت أسماء ناشرين وهمية لأسباب سياسية واعتبارات أخرى ومازالت هناك حتى اليوم مشاكل لم تحل فى هذه القضايا بحيث لم نصل تماما إلى ما لهم وما عليهم.

لقد تحدر آل إلزفير أصلا من لوفين. وقد تلقى جدهم الأكبر لودفيج أولويز إلزفير (لوفين ١٥٤٠ ـ ليدن ١٦١٧) تدريبه على أعمال الطباعة فى مطبعة بلانتين فى أنتويرب ولكن لاعتبارات دينية ترك جنوب هولندا الرومان ـ كاثوليك ليعمل مُجلِّداً وتاجراً للكتب فى ليدن البرتستانتينية سنة ١٥٨٠. قد ساعدته علاقاته بجامعة ليدن التى تأسست سنة ١٥٧٥م على الإقدام على نشر الكتب وكانت علامته الأولى عبارة عن ملاك يمسك بكتاب فى يمينه ومصباحًا كشافًا فى يساره وفيما بعد غير العلامة إلى النسر الذى يقف على عمود مرتفع وكتب تحته أحد الأمثال السيارة ثم تغير مرة أخرى إلى شجرة الألدر (جار الماء) مع مثل سيار آخر. وعندما مات الرجل فى سنة ١٦١٧م كان قد نشر بضع مئات من الكتب.

وقد خلفه فى هذا الشأن ابناه «ماتياس» ١٥٦٤-١٦٤٠، «بونافنتورا» ١٥٨٣-١٦٥٢. وكان أعضاء أسرة إلزفير الآخرون من أعمام وأبناء عمومة قد انغمسوا هم الآخرون فى جوانب مختلفة من صناعة الكتاب وخاصة تجارة الكتب.

وفى سنة ١٦٣٧ قام «لودفيج» ١٦٠٤-١٦٧٠ حفيد مؤسس الأسرة والذى بدأ نشر الكتب فى ليدن، بافتتاح متجر كتب ومكتب نشر صغير فى أمستردام. ولقد أثبت كل من «بونافنتورا» و «دانييل إلزفير» اللذان أدارا أعمال النشر وتجارة الكتب فى ليدن؛ وكذلك كل من «لودفيج» و «دانييل إلزفير» اللذان أدارا أعمال النشر وتجارة

الكتب فى أمستردام أنهم تجّار كتب وناشرون من الطراز الأول. وقد تطورت دور النشر التى أنشأوها تطوراً كبيراً وخاصة بفضل تعاون الباحث «دانييل هينسيوس» أستاذ الدراسات اللاتينية واليونانية والسياسة والتاريخ فى جامعة ليدن. لقد كان هذا الرجل هو العقل المفكر وراء أعمال آل إلزفير فى ليدن، كما كان ابنه كذلك العقل المفكر والمستشار لأعمال آل إلزفير فى أمستردام. والحقيقة أن نجاح واشتهار وانتشار أعمال إلزفير إنما يرجع إلى سلسلة الكلاسيكيات من قطع الإثنى عشرى المجلدة فى حجم الجيب وباللغة اللاتينية التى بدأها «بونافنتورا» و «إبراهام إلزفير» سنة ١٦٢٩. وقد نشر أعمال كل المؤلفين الكلاسيكيين تقريبا فى هذه السلسلة حتى أصبحت معروفة باسم «إلزفير ١٢» كعلامة ببليوجرافية مميزة لهذه الطبعة، لدرجة أنها عرفت حتى فى أمريكا بنفس الاسم وأطلق الحجم حتى على طبعات ليست لآل إلزفير (هذا الحجم مقاسه ٦٩×١٢٧مم والصفحة المطبوعة مقاسها ٥٠مم×١٠٥مم) ومما يجدر ذكره أن آل إلزفير اشتروا قوالب جاهزة وصبوا فيها الحروف وكان الورق من نوع متواضع ولكن الحبر الذى طبعوا به كان ممتازا ومن هذا كله كانت أسعار الكتب رخيصة فى متناول الجميع.

ولم يقصر آل إلزفير أعمالهم على الطبعات الإثنى عشر هذه ولكنهم أضافوا أعمالاً أخرى كثيرة فى قطع الفوليو (الكبير) من بينها قاموس عربى - لاتينى من تأليف جوليوس سنة ١٦٥٣. وأكثر من هذا طبعوا الكتاب المقدس الفلمنكى فى ليدن سنة ١٦٦٣. وكانت أجمل طبعاتهم الصغيرة كتاب الجمهورية الذى طبع عدة مرات بين ١٦٢٠-١٦٤٠. لقد وصلنا عن مطبوعات إلزفير ثمانية عشر قائمة مطبوعات (فهرس) تسجل جميعها ما بين ١٠٠٠ و ١١٠٠ عنوان.

وكان أول كتاب توفر على نشره لودفيج إلزفير مؤسس الأسرة قد نشر فى ليدن سنة ١٥٨٣ ومن بين مطبوعاتهم الشهيرة المزامير سنة ١٦٥٣ ومحاكاة المسيح ١٦٥٣ وكلاهما فى ليدن، تاريخ الأراضى الواطئة من تأليف «ب. س. هوفت» ونشر فى أمستردام سنة ١٦٤٢ وأعمال «هوجو دى جروت» وأعمال «ديكارت». وقد نشر آل إلزفير فى أمستردام نصوص القوانين المدنية فى مجلدين سنة ١٦٦٣ والكتاب المقدس بالفرنسية فى مجلدين سنة ١٦٦٩.

وبعد وفاة «إبراهام إلزفير» سنة ١٧١٢ بيعت شركة ليدن بألفى جيلدر فقط ولم يعد لها دور فى عالم النشر بعد ذلك التاريخ، كذلك أغلق آل إلزفير فى أمستردام أعمالهم بعد وفاة «دانييل إلزفير» مباشرة سنة ١٦٨١ . وقد قام الورثة باستئناف العمل سنوات قليلة وكانت آخر مطبوعاتهم سنة ١٦٨٣ . وبعدها سقط مجد آل إلزفير فى ذمة التاريخ ومع نهاية القرن السابع عشر بعد وفاة دانييل إلزفير بقليل، وجدنا جامعى الكتب الفرنسية يَجِدّون فى اقتفاء أثر مطبوعات الإثنى عشر الصغيرة التى نشرها آل إلزفير. لقد غدت مطبوعات آل إلزفير مطلوبة بشدة لدرجة أنه تم تزويرها تحت علامتهم واسمهم بكثرة. واشتهر أصحاب المجموعات الخاصة من مطبوعات إلزفير وأصبحت مثل قطع الألماس التى توصف فى كتالوجات المجوهرات ومن بين تلك المجموعات مجموعة دوقة أورليانز فى فرنسا والتى بلغت أكثر من ألف مجلد، جُلِدَت تجليداً فاخراً خاصًا.

لقد أعدت عشرات الدراسات الببليوجرافية حول آل إلزفير ومطبوعاتهم نعدد منها: بيرارد ١٨٢٢؛ نودييه ١٨٢٩؛ دى لافاى ١٨٤٢؛ ١٨٥٤؛ بييترز ١٨٤٣، ١٨٥١، ١٨٥٨؛ موبلى ١٨٤٨؛ برونيه ١٨٦٦؛ ستتازى ١٨٧٩؛ ويليمز ١٨٨٠؛ بيرجمان ١٨٨٥، ١٨٩٧؛ جولد سميد ١٨٨٨؛ راهير ١٨٩٦ .

وفى نفس الوقت أصدرت بعض المكتبات فهارس مطبوعة بمقتنياتها من مطبوعات إلزفير ومن بينها مكتبات: بتسبرج ١٨٦٢، ١٨٦٤ - ونترثور ١٨٦٤ - وارسو ١٨٧٤؛ ولقد قام «دودت فان فلينزبيرج» سنة ١٨٤١ «وجاكوب» ١٨٤٩-١٨٤٣ و «راملمان إلزفير» ١٨٤٥ و «دى ريوم» ١٨٧٤ بإعداد سجلات توثيقية عن أعمال إلزفير جمعت ونشرت فى هولندا فى التواريخ الموضحة قرين كل منهم وفى كل سجل تم تناول آل إلزفير من ناحية تسلسل النسب وشجرة العائلة والناحية الببليوجرافية البحتة ولكن لم يتناولهم أحدهم من وجهة النظر الاجتماعية أو الاقتصادية أو الطباعية. وقد استخدم اسم إلزفير بعد ذلك منذ ١٨٨٠ وأطلق على بعض دور نشر لا علاقة بها بهذه العائلة وإنما لمجرد الترويج فقط.

بعض المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة: المجلد الأول الكتاب فى الغرب المتألق.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Berghman, J. `Etudes sur la bibliographie Elz`evirienne._ Stockholm, 1885.

3- Dovies, D.W.The World of Elseviers : 1580-1712._ The Hague, 1954.

4- Hartz, S.L.The Elseviers and their Contemporaries._ Amsterdam, 1955.

5- Klautz, Johan P.Elsevier Family._in._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York :Marcel Dekker, 1972. vol.8.

6- Willems, A.Les Elzeviers : Histoire et annales typographiques._ Brussels, 1880.

إلسلفادور، المكتبات فى

El Salvador, Libraries in

تعتبر إلسلفادور أصغر جمهورية فى أمريكا الوسطى يحدها من الشمال والشرق هندوراس؛ ومن الجنوب المحيط الهادى؛ ومن الغرب جواتيمالا. وقد نالت استقلالها من أسبانيا سنة ١٨٢١م. وقد بلغ عدد السكان فى نهاية قرننا العشرين سنة ١٩٩٩ نحو ستة ملايين نسمة يعيشون على مساحة كلية هى ٢١٠٤١ كيلو متراً مربعًا.

واللغة الرسمية بطبيعة الحال هى الإسبانية وقد اختفت أو كادت اللغتان المحليتان: ناهوت؛ لنكا.

ولقد عانت البلد ويلات حرب أهلية طيلة اثنتى عشرة سنة ١٩٧٩-١٩٩١م ومن ثم قاست المكتبات كما قاست المؤسسات الأخرى فى البلد. ولذلك لم يحدث أى

تقدم فى تطوير المكتبات ومراكز المعلومات فى التسعينات من القرن العشرين اللهم إلا وضع خطط وتدابير يمكن أن تنفذ بعد ذلك فى القرن الواحد والعشرين أى فترة ما بعد الحرب الأهلية.

المكتبة الوطنية فى إلسلفادور

أنشِئَت المكتبة الوطنية السلفادورية بقرار رئاسى فى القرن التاسع عشر سنة ١٨٧٠ بمجموعة مبدئية قوامها ستة آلاف مجلد فى الدين والفلسفة والقانون والآداب اليونانية الرومانية الكلاسيكية تم شراؤها من روما على يد أسرة سكرتير البابا «جريجورى السادس عشر». وكانت هذه المجموعة عندما فتحت للاستخدام العام من قبل الجمهور تحت إشراف الجامعة الوطنية (١٨٧١-١٨٨٧). وفى سنة ١٩٦٢ تغير اسم المكتبة الوطنية ومجالها لتصبح الإدارة العامة للمكتبات والأرشيفات والتى ضمت إلى المكتبة الأرشيف الوطنى. وقد نقل الاثنان إلى مبنى جديد شُيِّد خصيصاً لهذا الغرض فى نفس سنة ١٩٦٢. وكان هو أول مبنى مكتبى يبنى فى السلفادور على الإطلاق.

والمكتبة الوطنية السلفادورية هى مكتبة الإيداع بحكم القانون الصادر لها حيث تحصل على نسختين مجانيتين من كل مطبوع يصدر هناك. كما أنها فى نفس الوقت مكتبة الإيداع لمطبوعات المنظمات الدولية. وتعتمد فى تزويدها أساسًا على الهدايا والتبادل مع دول أمريكا اللاتينية والجمعيات العلمية فى أمريكا الشمالية وأوروبا.

وبعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها وهدأت الأحوال هناك بدأت المكتبة الوطنية فى إعداد وإصدار الببليوجرافية الوطنية الراجعة وكذلك إعداد وإصدار الببليوجرافية الوطنية الجارية، كما بدأت فى صيانة ما خربته الحرب ما أمكن ذلك وإحلال نسخ من الدوريات محل نسخ فقدت أو تلفت تماما. وبمساعدة من منظمات الدول الأمريكية المختلفة، بدأت فى الإعداد لإنشاء مركز توثيق وطنى فى منتصف التسعينات.

لقد جاءت المجموعات الأولى فى هذه المكتبة كما ذكرت من روما وكانت أسرة أمين مكتبة الفاتيكان وسكرتير البابا «جريجوى السادس عشر» هى التى اشترتها.

وكانت مجلداتها الستة آلاف بلغات مختلفة هى أساسًا الأسبانية، الفرنسية، الإيطالية، اللاتينية واليونانية القديمة، وترجع تواريخ نشرها ما بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ . وكما أسلفت كان يتم إدارة هذه المكتبة عن طريق مكتبة الجامعة بحيث كان مدير مكتبة الجامعة هو فى نفس الوقت مدير المكتبة الوطنية، وهذه الأخيرة فتحت للجمهور اعتبارًا من ١٩٧٥. وكانت المكتبة الوطنية منذ صدر قرار إنشائها فى الخامس من يوليو سنة ١٨٧٠ تحتل مبنى مؤقتا داخل الجامعة الوطنية جنوب القصر الوطنى فى مواجهة كاتدرائية ميتروبوليتانا. وكان رئيس الجمهورية الذى أصدر قرار إنشائها هو الدكتور «فرانشسكو دويناس» ووزير التعليم آنذاك هو دون جريجوريو آربيزو.

وفى الخامس عشر من مارس سنة ١٨٨٨ قام رئيس الجمهورية وهو آنذاك الجنرال «فرانشيسكو مينانديز» وبصحبته وزير الداخلية وافتتح رسميا المكتبة الوطنية. وقد ألقى مديرا المكتبة «أ» مع المكتبة الدكتور «إفابيل بالاسيوس» خطبة الافتتاح. وقد ظلت المكتبة فى مبنى الجامعة الوطنية حتى سنة ١٩٣٨ حيث نقلت فى تلك السنة إلى الطابق العلوى من المسرح الوطنى. وفى سنة ١٩٣٩ نقلت مرة أخرى إلى شارع ٣٨. ومن الطريف أنه صدر فى سنة ١٩٣١م القرار الرسمى رقم ٢٨٩ والمؤرخ فى التاسع من إبريل من تلك السنة بجمع ضريبة قدرها خمسة سنتات على كل لتر خمور أو كحوليات يباع لصالح تلك المكتبة حيث تستخدم الحصيلة فى إقامة مبنى جديد للمكتبة. والمبنى الجديد الذى نقلت إليه المكتبة سنة ١٩٦٢ وكما قلت أول مبنى مخصوص للمكتبات فى كل الدولة وتكلف ٢,٥ مليون دولار وافتُتِحَ رسمياً فى الخامس عشر من يناير ١٩٦٤.

وكما أشرت ضم الأرشيف الوطنى إلى المكتبة طبقا للقرار رقم ٤٨٤ الصادر فى ٢٣ من ديسمبر ١٩٦١. وقد نص القرار على أن تتكون الإدارة العامة للمكتبات والأرشيفات الوطنية من ثلاثة وحدات هى: أ- المكتبة الوطنية ب- المكتبات المتنقلة (سيارات الكتب) ج- الأرشيف الوطنى العام.

وكانت المجموعات قد نمت ببطء وتؤدة حتى بلغت فى سنة ١٩٧٠ نحو تسعين

ألف مجلد ثم تجمدت المجموعات حتى منتصف التسعينات من قرننا العشرين. وقد نُظمت المجموعات تنظيماً عصرياً واستخدم تصنيف دوى فى تصنيفها واستخدمت قواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية فى فهرستها ويرتادها يوميا ما بين ٦٠٠-٨٠٠ قارئ يستخدمون ما بين ٩٠٠-١٠٠٠ كتاب فى اليوم. وتنمو المجموعات عن طريق الشراء والهدايا والتبادل والإيداع القانونى. ويتم الإيداع طبقا لقانون مكتب الطبع الحكومى فى إلسلفادور سنة ١٨٨٦ والمعدل بقرار السادس من أكتوبر سنة ١٩٥٠ والذى يقضى بإيداع ثلاث نسخ من كل كتاب ينشر هناك والطابع هو المسئول عن عملية الإيداع وبرنامج التبادل واسع مع المكتبات المناظرة فى أوروبا والأمريكيتين.

وتقوم المكتبة بنشاط ثقافى واسع فتعد المعارض والمؤتمرات وحلقات البحث. وقد أقامت المكتبة احتفالاً كبيراً سنة ١٩٧٠ بمناسبة مرور مائة سنة على قرار إنشائها.

والمديرون الأوائل للمكتبة الوطنية كانوا من الشخصيات القيادية فى وقتهم ومن بينهم:

وقد تحددت أهداف المكتبة الوطنية فى قرار إنشائها فى: جمع وتنظيم وتيسير

١- استيبان ج. كاسترو	١٨٧٢
٢- لويس جروماير	١٨٧٣
٣- الدكتور جورج ل. لينيز	١٨٨٥
٤- الدكتور رافاييل بالاسيوس	١٨٨٦
٥- ليون لوزانو	١٨٨٧
٦- دييجو مينى	١٨٩٢
٧- فرانشسكو جافيديا	١٩٠٦
٨- آرتورو أمبروجى	١٩١٩
٩- رافاييل جارسيا إسكوبار	١٩٢٧
١٠- خوان أولوا	١٩٣١
١١- خوليو سيزار إسكوبار	١٩٣٢

١٢- خوزيه فلوريس فيجياك -	مايو ـ أكتوبر ١٩٤٤
١٣- نفتالى جيرون جويفارا	أكتوبر ١٩٤٤ ـ مارس ١٩٤٥
١٤- بورليو فلور	١٩٤٥-١٩٦١
١٥- رولاندو فيلاسكيس	١٩٦٢
١٦- جوليرمو ماشون دى باز	١٩٦٤
١٧- روزا فيلاسكيس دى دوماكيس	١٩٦٧
١٨- ديفيد اسكوبار جاليندو	١٩٧١

الإفادة من الإنتاج الفكرى الوطنى وعيون الإنتاج الفكرى العالمى؛ إعداد وإصدار البيليوجرافية الوطنية وتيسير استخدامها، تيسير الانتفاع بالببليوجرافيات العالمية؛ العمل على نشر الوعى الثقافى ومساندة تطوير التربية والتعليم فى البلد وخاصة عن طريق المكتبات المتنقلة والفرعية فى المناطق الريفية.

من جهة ثانية تحددت أهداف الأرشيف الوطنى فى جمع وتنظيم وحفظ الوثائق الحكومية التى تنتج عن نشاط الحكومة المركزية والإدارات المختلفة والبلديات والمدنيات (مجالس المدن).

وتصدر المكتبة الوطنية عدداً من المطبوعات أهمها الببليوجرافية الوطنية الراجعة؛ والببليوجرافية الوطنية الجارية.

المكتبات الأكاديمية فى إلسلفادور

تعتبر المكتبة المركزية للجامعة الوطنية فى إلسلفادور أهم مكتبات التعليم العالى هناك. لقد نشأت الجامعة الوطنية منذ سنة ١٨٥٤ ولكن على أساس كليات منفصلة وكان لكل كلية مكتبتها الخاصة بها؛ ومازال الوضع قائما على هذا النحو. وكانت المكتبة المركزية قد قامت منذ منتصف القرن التاسع عشر على أساس مجموعة صغيرة ظلت تنمو ببطء وتؤدة حتى بلغت مجرد ٢٠٠,٠٠٠ قطعة فى نهاية السبعينات حين

قامت الحرب الأهلية ولكن تعرضت على مدى تاريخها إلى الكثير من النكبات والكوارث الطبيعية مثل حريق سنة ١٨٦٥ ، حريق ١٩٥٥ وزلزال ١٩٨٦ وتدخلات العسكريين فى ١٩٧٢ و ١٩٨٠ مما أدى إلى إهمال المكتبة فترات طويلة. وخلال الحرب الأهلية فقدت المكتبة ثلثى ما بها من كتب وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بدأت التفكير والتخطيط لإقامة مكتبة عصرية مميكنة وفى مبان جديدة ومكتبيين مؤهلين تأهيلاً عالياً.

وآخر تنظيم إدارى كانت عليه المكتبة قبل الحرب الأهلية كان يقسم المكتبة إلى

١- قسم التزويد والاختيار ٢- قسم الفهرسة والتصنيف ٣- قسم الخدمات العامة ٤- قسم الجرائد والدوريات. وكان هناك مدير عام للمكتبة ومساعد المدير العام، رئيس قسم التزويد، رئيس قسم العمليات الفنية، رئيس قسم الإعارة، رئيس قسم المراجع.

وكانت المجموعات تصنف طبقاً لتصنيف ديوى العشرى وتفهرس بناء على القواعد الأنجلو أمريكية والتحليل الموضوعى يتم بناء على قائمة رؤوس موضوعات وضعتها «كارمن روفيرا» و «جورج أجوايا» وتستخدم أرقام كتر لبناء رقم الطلب فى الكتب.

والحقيقة أنه ليس هناك الحد الأدنى من التنسيق أو التعاون بين المكتبة المركزية ومكتبات كليات الجامعة. وتعتبر مكتبة كلية الطب فى جامعة إلسلفادور هى أحسن مكتبات الكليات مجموعات وتنظيما بل أحسن المكتبات الطبية فى كل أمريكا الوسطى. وقد بدأت هذه المكتبة سنويا ١٩٥٦. ومنذ بداية نشأتها عينت لها لجنة لإدارتها تضم أربعة أعضاء هيئة تدريس ومدير المكتبة الذى يقوم بأعمال السكرتارية، وتجتمع هذه اللجنة كل شهر وترسم هذه اللجنة السياسة العامة للمكتبة وتساهم فى اختيار المصادر وتوزيع الأدوات الببليوجرافية وتحسين الخدمات العامة ولا تتدخل اللجنة فى الأعمال الإدارية أو الفنية اليومية.

وتضم المجموعات أساسًا الكتب الحديثة وإن كانت هناك أعمال قديمة كلاسيكية

ترجع إلى ما قبل سنة ١٩٤٠. والحقيقة أن كلية الطب تدرس مقرراً مكتبياً للطلاب عن طريق المكتبة تحت اسم «مقدمة فى استخدام المكتبة والببليوجرافيا الطبية» ويدرس هذا المقرر فى الفصل الدراسى الأول للطالب الذى يلتحق بكلية الطب.

وتقع المكتبة فى المبنى الجديد لكلية الطب وتشغل مساحة قدرها ١٢٨١ متراً مربعاً وتخدم أكثر من ١٥٠٠ مستفيد وطاقة المقاعد فى الوقت الواحد ٢٠٠ مقعداً.

والجامعة الثانية فى إلسلفادور هى **جامعة أمريكا الوسطى** وهى أول جامعة خاصة هناك وقد أسست سنة ١٩٦٥. ولها مكتبة مركزية جيدة بلغت مجموعاتها فى نهاية القرن العشرين نحو ١٢٠,٠٠٠ مجلد كتب و ١٢٢٥ عنوان دورية. وهى تخدم طلاب الجامعة وأعضاء هيئة التدريس بها، كما تفتح أبوابها للكليات والمعاهد العليا الأخرى التى نشأت فى السبعينات والثمانينات وليست لديها مجموعات كافية.

والجامعة الثالثة فى إلسلفادور هى الجامعة الكاثوليكية ومكتبتها المركزية يطلق عليها مكتبة خوزيه سيميون كاناس وتقع داخل الحرم الجامعى والذى يضم كليات أربعة هى: كلية الهندسة الصناعية؛ كلية العلوم الاقتصادية؛ كلية العلوم الطبيعية؛ كلية علوم الإنسان. وفى الخطة الخمسية الثانية للجامعة ١٩٧٠-١٩٧٤ بنيت مبانٍ جددة من بينها مبنى فخم لمكتبة الجامعة انتقلت إليه قبيل اندلاع الحرب الأهلية. وقد بلغت مجموعات المكتبة فى نهاية السبعينات ثلاثين ألف مجلد كتب و ٥٠٠ دورية وعدد العاملين بها لا يتجاوز عشرة أشخاص. ومجموع المستفيدين يدور حول ألف شخص شهرياً. وتصنف المجموعات طبقا لتصنيف ديوى العشرى.

المكتبات العامة فى إلسلفادور

وُجد فى البلاد منذ القرن التاسع عشر نوع من الخدمات المكتبية العامة كانت تقدمها المكتبة الوطنية المشار إليها وبعض مكتبات البلديات التى وجدت سبيلها إلى البلاد آنذاك. وفى سنة ١٩٧٣ قدمت منظمة اليونسكو منحاً ومعونات لإنشاء شبكة مستفيضة من «بيوت الثقافة» فى ربوع البلاد ولكن مع اندلاع الحرب الأهلية فى البلاد فى نهاية السبعينات حاولت الأطراف المتصارعة تسييس تلك المكتبات ومن ثم

تقلصت المخصصات المالية وانهارت الخدمات المكتبية. وفى سنة ١٩٩١ بعد انتهاء الحرب الأهلية بدأت وزارة التعليم فى بناء شبكة وطنية للمكتبات العامة بمعونة من الحكومة المكسيكية. وقد تم افتتاح أولى المكتبات العامة بتلك الشبكة فى يونية ١٩٩٢ فى مدينة سان ميجيل ومع نهاية القرن العشرين كان قد تم افتتاح ١٤ مكتبة؛ واحدة فى كل من عواصم ولايات الدولة الأربع عشرة. وفى نفس الوقت قامت الكنيسة الكاثوليكية بوضع خطة لإنشاء مكتبات شعبية فى المناطق التى تضررت من الحرب الأهلية.

المكتبات المدرسية فى إلسلفادور

فى منتصف الستينات من القرن العشرين جرت محاولات جادة فى إلسلفادور لرفع مستوى التعليم قبل الجامعى، واتخذت فى سبيل ذلك عدة وسائل من بينها النهوض بالمكتبات المدرسية وقد وضعتها وزارة التعليم بالتعاون مع اليونسكو والمراكز الوطنية للإنتاجية. وكانت أول خطوة فى هذا الصدد تنظيم برنامج تدريبى لتحسين طرق التدريس وقد جاء هذا البرنامج تحت اسم «تنظيم المكتبات المدرسية» وقد حضر هذا البرنامج الذى استمر أربعة أسابيع مائتان من مديرى المدارس وكانت المحاضرات لمدة ساعتين يوميا. ومنذ سنة ١٩٦٧م دأب مركز كويداد نورمال ألبرتو ماسفيرر على تنظيم دورات تدريبية لمدرسى المدارس الابتدائية فى العطلات على أعمال المكتبات وطرق التدريس. وخلال سنة ١٩٧٠ قدم برنامج دراسى لمدة سنة كاملة لنمو ١٢٠٠ مدير مدرسة ابتدائية ومتوسطة لتوعيتهم بدور المكتبة فى العملية التعليمية وتدريبهم على طرق التدريس الحديثة. وقد عقدت اليونسكو فى الفترة من ٢٩ يولية - ٢ من أغسطس ١٩٦٨ فى أنتجوانا - جواتيمالا مؤتمراً أو ورشة عمل للعاملين فى المكتبات المدرسية فى أمريكا الوسطى وذلك بقصد تنمية وتنشيط المكتبات المدرسية من جهة وتفعيل دورها فى العملية التعليمية من جهة ثانية. وكان للتقرير والتوصيات التى تضمنها هذا التقرير الذى صدر عن هذا المؤتمر أثره البالغ فى تخطيط إلسلفادور لتطوير مكتباتها المدرسية. وكان الجزء الأول من خطة التطوير هو إعداد الكوادر البشرية التى تدير المكتبات المدرسية ونعنى بهم المدرسين - المكتبيين وقد وضع مركز

كويداد نورمال برنامج تدريب مستفيض لذلك. ويقع هذا المركز فى وادى سان أنرديس فى مقاطعة سان خوان أوبيكو ويتبعه قسم المكتبات المدرسية خارج العاصمة وليس ببعيد منها. ويتكون من ٢٩ مبنى ممولة كهدية من الولايات المتحدة ويمول حالياً من حكومة إلسلفادور.

وقد أنشئت فى هذا المركز مكتبة نموذجية منذ سنة ١٩٦٨ جمعت فيها كل المجموعات المبعثرة فى المكتبات المدرسية فى عموم الدولة وقد بلغت تلك المجموعات فى سنة ١٩٧٠ حوالى عشرة آلاف مجلد. وكان يتوفر على إدارتها آنذاك مكتبيان ووضعت المكتبة تحت إشراف «روزا فالاسكيز دى دوماكيس» التى درست علم المكتبات فى الولايات المتحدة والتى أشرنا إليها من قبل وكانت مديرة للمكتبة الوطنية (١٩٦٧).

وظلت مجموعات المكتبة تنمو بتؤدة وتثاقل حتى اندلاع الحرب الأهلية وكانت مجموعاتها قد وصلت آنذاك بالكاد إلى نحو عشرين ألف مجلد و ٢٠٠ دورية وكانت المكبة تنقسم إلى أربعة أقسام هى:

١- التزويد والتبادل ٢- الإعارة والتداول ٣- الفهرسة والتصنيف ٤- الدوريات.

وقد استخدم تصنيف ديوى العشرى فى تنظيم المجموعات. وتقدم خدماتها لنحو ٢٠٠ متردد يومياً.

ولعله من نافلة القول أن نذكر بأن مركز كويداد هذا يقدم برامج تدريبية وتأهيلية للمعلمين وأمناء المكتبات المدرسية باعتباره مركز البحوث التربوية والتطوير فى وزارة التعليم هناك وباستثناء بعض المدارس الخاصة وقليل جدا من المدارس الحكومية (وخصوصا تلك المدعومة من مجالس الآباء والأمهات) فليست هناك خدمات مكتبية تذكر فى المكتبات المدرسية فى إلسلفادور سواء فى المدارس الابتدائية أو المدارس الثانوية. وبعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها، قامت وزارة التعليم سنة ١٩٩٢ بإعداد مشروع تجريبى كجزء من برنامجها لتطوير ودعم التعليم الأساسى. هذا المشروع التجريبى يقضى بإنشاء مكتبات مدرسية نموذجية فى ١٨ مدرسة فى مناطق

مختلفة من البلاد: ريفية، حضرية، مختلطة. وبعد نجاح التجربة خططت الوزارة لتعميمها على ١٥٠٠ مدرسة فى السنوات الأولى بعد ذلك وحتى كتابة هذه السطور فى نهاية القرن العشرين لم تكن عملية التعميم قد بدأت بعد.

المكتبات المتخصصة فى إلسلفادور

ربما كانت هذه الفئة من المكتبات هى أحسن المكتبات وأكثرها تطوراً وأفضلها تمويلاً فى إلسلفادور. وتنتشر هذه المكتبات هناك فى البنوك، الإدارات الحكومية، الشركات والمصانع والمؤسسات التجارية الخاصة، والجمعيات والاتحادات المهنية. ويلاحظ أن مراكز التوثيق قد انتشرت فى البلاد فى عقد الثمانينات وخاصة فى مراكز بحوث العلوم الاجتماعية. ومع انتشار استخدام الحاسبات الآلية والضبط الببليوجرافى لمجموعات المكتبات المتخصصة قائم على قدم وساق والقالب الببليوجرافى الأوسع انتشاراً هناك هو سيبال.

ولعل أقدم مكتبة متخصصة هناك هى مكتبة «منظمة دول أمريكا الوسطى» التى أسِّست يوم الرابع عشر من أكتوبر ١٩٥١م وهو نفس اليوم الذى وقعت فيه اتفاقية قيام هذه المنظمة وهى الاتفاقية المعروفة باسم «ميثاق سان سلفادور» وقد وقعتها الدول الآتية: كوستاريكا، إلسلفادور، جواتيمالا، هندوراس، نيكاراجوا. وقد بدأت هذه المكتبة بمجموعة مبدئية محدودة تكونت من ٥٠٠ كتاب، ٥ دوائر معارف، ٣ دوريات اشتراها سكرتير المنظمة وكان آنذاك هو الدكتور جيليرمو ترابانينو.

ومنذ إنشاء المكتبة كان أمين المكتبة باحثا غير مهنى ولذلك ساءت أوضاع المكتبة ولم ينتفع بها كما يجب. ولكن اعتباراً من ١٩٧١ حرصت المنظمة على تعيين أمين مكتبة متخصص ومن ثم تغيرت أحوال المكتبة إلى الأحسن كثيرا، فارتفع رصيد المكتبة ثمانية آلاف مجلد و ٢٠٠ دورية وتوقف نموها قليلا مع الحرب الأهلية. وفى نهاية التسعينات بلغ الرصيد عشرة آلاف مجلد و ٢٥٠ دورية بعضها متوقف عن الصدور. ويستخدم تصنيف ديوى العشرى فى تصنيف مجموعات المكتبة وتتمتع المكتبة بقاعة اطلاع فسيحة وتسهيلات تصوير واستنساخ واسعة.

وتغطى المجموعات المجالات التخصصية الآتية: التكامل، التعليم، السياسة الدولية، العمل والعمال، الإحصاءات من جميع أنحاء العالم مع التركيز على دول أمريكا الوسطى وبنما. وفى هذه المجموعات نصادف مجموعة هامة من الوثائق والدراسات حول دول الميثاق. ويناط بالمكتبة حفظ مطبوعات المنظمة وتوزيع نسخها على الهيئآت المعنية فى دول المنطقة؛ كما توزعها كذلك على بعض المكتبات فى أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية. وتنشر المكتبة دورية متخصصة باللغة الأسبانية عنوانها «مكتبة أمريكا الوسطى» تتضمن مقالات وأخباراً إلى جانب قوائم الإضافات الجديدة بالمكتبة.

المكتبات الشخصية فى إلسلفادور

تنتشر فى إلسلفادور وكل دول المنطقة لتقليد أسبانى ورثه الأسبان عن المسلمين مسألة حب الكتب وتكوين المكتبات الشخصية. ونصادف فى إلسلفادور ما لا يقل عن ألف مكتبة شخصية لها شأنها ولها خطرها ولكن أشهرها على الإطلاق المكتبة الشخصية للمؤرخ «ميجيل أنجيل جالاردو» التى تحتل سكنه كله ذى المبنى العتيق الفسيح والحديقة الواسعة. والطريف فى هذا البيت أنه يضم فى ركن منه متحفًا أثريًا وقاعات بحث واطلاع مستقلة؛ وأن المكتبة قد عيَّنَ لها أمينان يقومان على إدارتها، وهما فى نفس الوقت يقومان بدور المرشد للزوار والمستفيدين.

وتضم المكتبة ٥٠,٠٠٠ مجلد مصنفة حسب نظام خاص وضعه صاحبها السيد/ ميجيل جالاردو. ويوجد للمكتبة فهرس قاموسى بالمؤلف والعنوان والموضوع، وماكينة تصوير لمن يريد الاستنساخ. وقد عُزِلت مجموعة كتب تتصل بتاريخ ما قبل «كريستوفر كولومبوس» فى مكان خاص فى مكتب المدير إلى جانب الفهرس وماكينة التصوير.

وقد وزعت المجموعات على أقسام أو قاعات مثل قسم المراجع، قسم الآداب، قسم الفنون، قسم الإحصاءات والاقتصاد السياسى، قسم التاريخ، قسم تاريخ الثقافة، قسم الدوريات.

وقسم المراجع يضم ١١ وحدة رفوف بكل منها تسعة أرفف ونصادف فيه مجموعة طيبة من المراجع مجلدة تجليداً فاخراً: دوائر معارف عالمية، قواميس، معاجم تراجم، معاجم جغرافية، حوليات، أدلة وما إلى ذلك. وهذه المجموعة وُضعت فى قاعة صغيرة لا تتيح الاستعمال إلا لفرد واحد. وقد روعى فى اختيار هذه المراجع قيمتها العلمية والبحثية مع التركيز على البحث التاريخى باعتبار صاحبها من المؤرخين ويصل عدد المراجع هنا إلى نحو ١٠٠٠ مرجع مع نسخة نادرة من «قاموس الأكاديمية الملكية الأسبانية» فى سبعة عشر مجلدا.

أما قسم الآداب فإنه وزع على اللغات أساسًا ١- آداب أمريكا الشمالية ٢- الأدب الإنجليزى ٣- الأدب الأسبانى ٤- آداب أمريكا الجنوبية ٥- آداب أمريكا اللاتينية ٦-الأدب البرتغالى ٧- الأدب الفرنسى ٨- الأدب الإيطالى ٩- الأدب الصينى ١٠-الأدب اليابانى ١١- الأدب العبرى ١٢- الأدب الإسرائيلى.

وقسم الإحصاءات والاقتصاد السياسى يضم إحصاءات وكتباً عن أمريكا اللاتينية عموماً وعن إلسلفادور على وجه الخصوص. وبعض المواد القليلة تتعلق بأمريكا الشمالية.

وقسم التاريخ يضم مواد ترجع إلى ١٨٠٠ حتى الآن مع تعمق تاريخ العالم والحروب العالمية والإقليمية، تاريخ أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية، وتاريخ الثورات الأمريكية وثورات وتاريخ إلسلفادور. وهناك قسم مخصوص لتاريخ استعمار واستيطان أمريكا يضم مواد ووثائق عظيمة الشأن حول غزو أمريكا مع التركيز على أمريكا الوسطى والجنوبية حتى من قبل الاستعمار إلى الآن.

ويضم قسم الفنون مجموعة صغيرة حول تاريخ الفن بصفة خاصة.

وفى قسم الدوريات نجد إحدى عشرة دورية كلها من إلسلفادور وترجع أقدمها إلى سبتمبر ١٨٢٧. كما نصادف فيه دوريات أخرى من دول أخرى فى أمريكا الوسطى من ١٨٣٠ وفى هذا القسم أيضا نجد قوانين ودساتير إلسلفادور من سنة ١٨٨٦، ومجموعات القوانين الخاصة بكل دول أمريكا الوسطى تقريبا.

وثمة قسم صغير ولكن هام هو قسم «الاشتراكية» يتألف من مجموعة قيمة من الكتب عن الاشتراكية والشيوعية مرتب بالدول، كما يضم ملفات بقصاصات من الصحف والمجلات حول نفس هذا الموضوع.

وفى قسم الزراعة نجد مجموعة مستفيضة وعميقة عن البن فى إلسلفادور من سنة ١٨٣٠ حتى الآن.

وهناك قسم يمكن أن نسميه قسم المتنوعات إذ يضم كتباً ومجلدات دورية عن العنصرية، والمعاهدات العسكرية، والرياضة والجنس والأطالس والجغرافيا.

وهناك قسم للعلوم الطبيعية، وقسم للاهوت وعلم النفس، وقسم للسحر والشعوذة، وقسم للطب والخدمة الاجتماعية وقسم لديانات العالم.

وإلى جانب الكتب النادرة والدوريات القديمة فى المجموعات العامة المذكورة نجد ما يطلق عليه المجموعات الخاصة ومن بينها أ- ملف رأس يضم ٨٠٠ وثيقة رسمية أصلية خطية تدور حول أمريكا الوسطى بعامة وإلسلفادور بخاصة. ب- مجموعة خرائط تتألف من ٢١ خريطة لأمريكا الوسطى من ١٥٠٠ وحتى ١٨٠٠ رسمها خرائطيون إيطاليون وفرنسيون وأسبان استخدمت فى الكشوف الجغرافية لتلك المناطق. ج- مجموعة نادرة من الصور الزيتية والمصورات.

والحقيقة أن مكتبة ميجيل جلالارد وهذه كانت فى أصلها مجموعات خاصة لعديد من الشخصيات فى أمريكا الوسطى؛ توفر على شرائها وصيانتها والاهتمام بها وتنميتها السيد/ ميجيل جالاردو وقد ظل حتى نهاية السبعينات يرسل مبعوثية يجمعون له الأعمال النادرة التى يزود مجموعاته.

والحقيقة أن جالاردو هو رجل إحصاء أولاً وأخيراً ولكنه عشق التاريخ والتأريخ فصار مورخًا وقد عشق الكتب فصار كتبياً مكتبياً يعرف مكتبته جيداً جداً وحفظ ما فيها عن ظهر قلب.

وقد سُمى الشارع الذى تسكنه المكتبة باسم جالاردو ويؤمها الباحثون الدوليون وطلاب العلم والصحفيون والزوار السائحون أيضا.

مهنة المكتبات والمعلومات فى إلسلفادور

لم تكن مهنة المكتبات والمعلومات فى إلسلفادور فى يوم من الأيام من المهن ذات الجاذبية كما هو الحال فى كثير من الدول النامية، وربما يرجع ذلك إلى انخفاض المرتبات ونظرة المجتمع هناك إليها. ومدرسة المكتبات الوحيدة هناك هى تلك التى أُنشئَت فى رحاب الجامعة الوطنية فى إلسلفادور سنة ١٩٧٣. ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، والإقبال عليها ضعيف. وهناك قلة من المكتبيين فى البلاد هم الذين حصلوا على درجات علمية فى التخصص من الخارج. وكثير ممن يعملون فى المكتبات علموا أنفسهم بأنفسهم. ومن حين لآخر يُدعى أساتذة زائرون من الخارج وخاصة من أسبانيا والمكسيك والولايات المتحدة لإلقاء محاضرات وتنظيم دورات وورش عمل. وفى منتصف التسعينات بدأت جامعة إلسلفادور الوطنية فى إنشاء دراسة على مستوى البكالوريوس لمدة خمس سنوات فى تخصص المكتبات والمعلومات إلى جانب الدبلوم العالى سابق الذكر الذى مدته ثلاث سنوات.

وتشير مقررات البكالوريوس إلى أنها مقررات حديثة تواكب أحدث التطورات فى مجال الحاسبات ونظم المعلومات والشبكات.

وعلى جانب التجمع المهنى فقد أسس **اتحاد المكتبات السلفادورى** فى سنة ١٩٤٧، وهو أكبر الاتحادات هناك وإن كان عدد أعضائه لايعدو بضع مئات كذلك يوجد هناك «اتحاد المكتبيين الزراعيين» وهو خاص بأمناء المكتبات والموثقين فى مجال الزراعة، وعدد أعضائه هو الآخر محدود للغاية. ويبذل كلا الاتحادين جهده فى سبيل الارتقاء بالمهنة ولمّ شمل المكتبيين.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

2- Doumakis, Rosa Vel'asquez de. El Salvador, National Library in._ Encyclopedia of Library and Information._ New York : Marcel Dekker, 1972.- Vol.8.

3- Huesmonn, James L.Central America._in._ Encyclopedia of Library History._ New York and London : Garland Publishing Inc., 1994.

4- Rivera- Aguilera, Alma B. El Salvador._in._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : A.L.A., 1993.

السيد محمود الشنيطى

El Sayyed Mahmoud El Shenity

أنظر

محمود الشنيطى

Mahmoud Elshenity

ألفا - بيتا - ألفا

Alpha-Beta-Alfa

ألفا - بيتا - ألفا هى رابطة طلاب علم المكتبات الأمريكية فى مرحلة ما قبل التخرج أى على مستوى المرحلة الجامعية الأولى وترجع جذور هذه الرابطة إلى الثلاثين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٥ عندما عقد مجموعة من طلاب علم المكتبات وأمناء المكتبات وبعض موظفى الحكومة الرسميين اجتماعًا حافلا داخل حرم كلية الولاية نورث ويسترن فى لويزيانا وفى ذلك الاجتماع دارت المناقشات حول الحاجة الملحة لإنشاء تنظيم مهنى لطلاب علم المكتبات فى مرحلة ما قبل التخرج. وقد انتهى الاجتماع بقرار تشكيل نادٍ لهم داخل حرم الكلية والبدء باتخاذ الإجراءات الخاصة بتكوين رابطة الأخوة المكتبية.

وفى العاشر من يناير سنة ١٩٤٦م أُعلِن رسمياً عن قيام «النادى المكتبى لكلية الولاية فى نورث ويسترن» داخل الحرم الجامعى ثم تغير اسم النادى فى خريف نفس العام إلى «نادى سكارلى إ. رسيل المكتبى». وكان هذا النادى نشيطاً للغاية فى مجال

العمل المكتبى العام وكان كبار المكتبيين ورجال التربية يدعون إلى إلقاء محاضرات رئيسية فى اجتماعات ومؤتمرات هذا النادى إلى جانب الأنشطة المكتبية والاجتماعية الأخرى. وأخيراً وبعد أربع سنوات ونصف شعر أعضاء النادى أن الوقت قد حان لتأسيس رابطة وطنية على مستوى الولايات المتحدة كلها وفى الثالث من شهر مايو ١٩٥٠م أعلن عن قيام «ألفا ـ بيتا ـ ألف» كأول رابطة أخوة لطلاب المرحلة الأولى فى علم المكتبات بالولايات المتحدة، وكانت الرابطة قد نظمت أول مؤتمر وطنى لها فى مارس ١٩٥٢م فى ناتشيتوشيز ـ لويزيانا.

وكان الأعضاء المؤسسون هم:

١- هيلين بيليزيل
٢- مارجريت بوزمان
٣- لوسيل كارناهان
٤- إجنيس كلارك
٥- بيلى جون كورى
٦- راندال ديترو
٧- مارى أليس دريسكول
٨- جوليا ديوك
٩- باتس إيسون
١٠- بوبى إلكنز
١١- روث آن إلندر
١٢- إيفون إيونج
١٣- ميرتيل فريز
١٤- سو جيلمور
١٥- مورين جريى
١٦- ماى هاميت
١٧- سالى هاربر

١٨- كاترين هوبكنز

١٩- أودرى جوكنج

٢٠- دورثى كيزر

٢١- جونى مالورى

٢٢- إيرين بوب

٢٣- أوليف روبرتس

٢٤- فريدا سكويريس

٢٥- تشارلز ثجبين

٢٦- وارين تراس

٢٧- تومى جين توللوس

٢٨- يوجين واطسون

٢٩- أورا ويليامز

٣٠- أفيس جين وندهام

وقد كان هدف رابطة الأخوة المكتبية هذه على نحو ما قرره المؤسسون «خلق الرغبة والاهتمام العام بمهنة المكتبات، وبث الروح المهنية الحقيقية فيها وتعميق الإحساس بالمسئولية العظمى إزاء المهنة» وكذلك «السعى نحو فهم كامل للعمل المكتبى والتعاطف المخلص معه ومع مشكلات العاملين فيه». أما وظيفة هذه الرابطة فقد تحددت فى «زيادة المعرفة المهنية لدى أعضاء الرابطة، وتنمية روح الزمالة بينهم والقيام بدور همزة الوصل بين المكتبيين».

ويتوفر على إدارة الرابطة مجلس تنفيذى يتكون من رئيس ونائب للرئيس وسكرتير تنفيذى وأمين مال، وعضو عن كل فرع من الفروع الإقليمية الستة وينتخب أعضاء المجلس لمدة سنة. ولم يأت إبريل سنة ١٩٦٧ إلا وكان هناك ثلاثون مكتباً للرابطة اتخذت مقارها فى الجامعات والكليات الآتية بترتيب وأسماء الحروف اليونانية:

ألفا	كلية الولاية فى نورث ويسترن ـ لويزيانا (ناتشيتو شيز) وقد تأسس فى الثالث من مايو سنة ١٩٥٠. وكانت مسئولة المكتب آنذاك «لوسيل كارناهان».
بيتا	كلية ميسيسبى الولائية للبنات (كولومبوس). وقد تأسس هذا المكتب فى الثانى من ديسمبر ١٩٥٠. وكانت مسئولة المكتب هى «أليس جاتشيل».
جاما	كلية إنديانا الولائية (تيرهوت). أسس المكتب فى الثالث من فبراير ١٩٥٢.
دلتا	جامعة ألاباما (توسكالوز). أسس المكتب فى العاشر من يناير ١٩٥٣. وكانت المسئولة «بولين أثرتون».
إبسيلون	كلية موريى الولائية (موريى ـ كنتكى). أسس المكتب فى السابع عشر من يناير ١٩٥٣. وكانت مسئولة المكتب «ريزينا سنتر».
زيتا	كلية كونكورد (أثنز ـ فرجينيا الغربية). أسس المكتب فى الحادى عشر من إبريل ١٩٥٣. وكان مسئولا المكتب هما: «فيرجينيا فاننج» و «اسكويل هيلفى».
إيتا	جامعة تكساس للبنات (دنتون). تأسس المكتب فى السادس من مايو ١٩٥٣. وكان مسئول المكتب آنذاك هو «هارولد باتشيلور».
ثيتا	جامعة ولاية أريزونا (تمبى). تأسس المكتب فى الثالث والعشرين من مايو ١٩٥٣. وكان مسئول المكتب آنذاك هو «هارولد باتشيلور».
كبَّا	كلية المعلمين الولائية (ميلزفيل ـ بنسلفانيا). أسس المكتب فى الثانى عشر من إبريل ١٩٥٤. وكان مسئول المكتب هو «كورال ميلسون».

لامبدا — جامعة الولاية فى لويزيانا (باتون روج). أُسِسَ المكتب فى الرابع عشر من أبريل سنة ١٩٥٤م. وكانت مسئولة المكتب هى «شيرلى ك. ستفنسون».

مو — جامعة الولاية فى إلينوس (نورمال). أُسِسَ المكتب فى الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٩٥٦. وكان مسئولا المكتب هما: «دورثى س. فاجربيدج» و«يونيس هـ. سبير».

نو — كلية مارشال (هنتجتون - فرجينيا الغربية). تأسس المكتب فى الخامس عشر من أبريل ١٩٥٦. وكانت مسئولة المكتب «جوزفين فيدلر».

إكس آى — كلية الولاية فى أيوا (سيدار فولز). تأسس المكتب فى السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٥٦. وكانت مسئولة المكتب هى «إليزابث مارتن».

أوميكرون — جامعة أ & م. فى فلوريدا (تالاهاس). تأسس المكتب فى الخامس من أبريل سنة ١٩٥٧. وكان المسئول هو «إميلى كوبلاند».

بى آى — كلية سيدتنا على البحيرة (سان أنطونيو - تكساس). أسس المكتب فى الثالث عشر من أبريل سنة ١٩٥٧. وكانت مسئولة المكتب «سستر جين مارى».

رهو — كلية المعلمين الولائية (كوتستاون - بنسلفانيا). تأسس المكتب فى العشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٧. وكان مسئولا المكتب هما: «نيقولاس ستيفنز» و «سارا ماك».

سيجما — جامعة ميتشجان الغربية (كالاموزو). تأسس المكتب فى الثانى والعشرين من مارس سنة ١٩٥٨. وكان مسئولا المكتب هما: «جارى بورسيل» و «جرانت مارى ويلكوكس».

تاو — توقف عن العمل فى مايو ١٩٦٤.

أوبسيلون — كلية شبرد (شبردز تاون ـ فيرجينيا الغربية). تأسس المكتب فى الأول من نوفمبر سنة ١٩٥٨. وكانت المسئولة «جين إليوت».

فى — جامعة ميتشجان المركزية (مونت بليزانت). أسس المكتب فى السادس عشر من يناير سنة ١٩٦٠. تحت مسئولية «أورفيل ل. إيتون».

تش — جامعة تكساس الولائية الشمالية (دنتون). أسس فى الحادى والثلاثين من مارس سنة ١٩٦٠. تحت مسئولية «إلين ليدلو».

بس — كلية جنوب شرقى ولاية ميسورى (كيب جيراردو). تأسس فى الثانى والعشرين من مايو سنة ١٩٦٠. وكان مسئؤلا المكتب هما: «إليزابث بريور» و«فيلكس سنايدر».

أوميجا — جامعة تنيسى (نوكسفيل). أسس المكتب فى السابع عشر من نوفمبر سنة ١٩٦٠. وكان مسئولا المكتب هما: «دورثى رايان» و«يوجينا مولدن».

ألفا ألفا — كلية مايسون (هاريسو بنبرج ـ فيرجينيا). تأسس المكتب فى الثامن من أبريل سنة ١٩٦١. وكان المسئول عن المكتب هو فورست بالمر.

ألفا بيتا — كلية ميكولز الولائية (ثيبورو ـ لويزيانا). تأسس فى الرابع عشر من أبريل سنة ١٩٦١. وكان المسئول هو «إنس كلارك».

ألفا جاما — كلية مورهيد الولائية (مورهيد ـ كنتكى). تأسس المكتب فى العاشر من نوفمبر سنة ١٩٦٢. وكانت مسئولة المكتب «كلاريكا ويليامز».

ألفا دلتا — جامعة ولاية أوكلاهوما (ستيلووتر). تأسس المكتب فى

السابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٦٣ وكانت مسئولة المكتب هى «نانسى روث آميس».

ألفا إبسيلون — كلية فلورنس الولائية (فلورنس ـ ألاباما). تأسس فى العشرين من نوفمبر سنة ١٩٦٣. وكانت «فامى شميت» هى مسئولة المكتب.

ألفا زيتا — كلية شبنزبيرج الولائية (سبنزبيرج ـ بنسلفانيا). تأسس فى الرابع عشر من مايو سنة ١٩٦٥. وكانت مسئولة المكتب هى «كيى ماكفارلاند».

ألفا إيتا — كلية كارولينا الشرقية (جرينفيل ـ كارولينا الشمالية). تأسس المكتب فى التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٩٦٧.

وشارة هذه الرابطة كما هو موضح يتخذ شكل كتاب مغلق وخلفه الريشة فى وضع رأس وعلى الكتاب الحروف الأولى من اسم الرابطة. والكتاب والريشة يمثلان الكلمة المكتوبة والأفكار المدونة التى نورت البشرية وأعطت لتجاربها المعنى والجمال.

والألوان المفضلة لدى الرابطة هى الأرجوانى الملكى والأبيض والزهرة الرسمية هى الوردة البيضاء. أما الشعار المستخدم لدى الرابطة فهو «الكتب ـ الناس ـ الخدمة ـ الحياة».

وتعقد الرابطة المؤتمر الوطنى كل سنتين والمطبوع الرسمى للرابطة هو «الأبجديات» وهو مطبوع نصف سنوى ويصدر عن الإدارة العامة للرابطة التى تتخذ مقراً لها مكتبة ملز جامعة نورمال الولائية فى إلينوى (نورمال ـ إلينوى).

وكان الدكتور «يوجين واطسون» هو أول سكرتير تنفيذى للرابطة حتى وفاته سنة ١٩٦٤، وقد خلفته «يونيس سبير» حتى سنة ١٩٦٥، ثم خلفها «كورال ميلسون» وهكذا. . . وكانت المؤتمرات الوطنية الأولى لهذه الرابطة قد عُقِدَت على النحو الآتى:

١٥- ١٦ مارس ١٩٥٢	مكتب ألفا
١٩-٢٠ مارس ١٩٥٤	مكتب إبسيلون
٢٦-٢٧ إبريل ١٩٥٧	مكتب جاما
٢٤-٢٥ إبريل ١٩٥٩	مكتب مو
٢٨-٢٩ إبريل ١٩٦١	مكتب كبًّا
٢٦-٢٧ إبريل ١٩٦٣	مكتب إكس آى
٧-٨ مايو ١٩٦٥	مكتب إيتا

المصادر

1- Alpha - Beta Alpha._ Alphabets._ Normal, Illionis, 1952.

2-Nasri, william Z.Alpha Beta Alpha._**in**._ Encyclopedia of Library and Information Science._ New York : Marcel Dekker, 1968. vol.1

ألمانيا، المكتبات فى

Germany, Libraries in

شكلتنا مع ألمانيا أنها على مدار تاريخها كيان سياسى أكثر منه كيان جغرافى ذلك أنها من الجغرافيا تتمدد حيناً تمدداً كبيراً وتنكمش حيناً آخر أيضاً انكماشاً كبيراً. أحياناً هى إمبراطورية مترامية تبتلع فى جوفها دولاً أخرى وأحيانًا هى دولة صغيرة مستقلة وأحيانًا هى جزء من إمبراطورية.

وعقب الحرب العالمية الثانية وخروج ألمانيا منها مهزومة مكسورة تم تقسيمها إلى ألمانيتين إحداهما شرقية عرفت باسم ألمانيا الديمقراطية وإحداهما غربية عرفت باسم ألمانيا الاتحادية أو الفيدرالية، وبعد تفسخ الاتحاد السوفيتى وتغير الإطار الدولى تم توحيد شطرى ألمانيا فى واحدة وكان ذلك فى الثالث من أكتوبر سنة ١٩٩٠. ومن

هنا فإن أحسن أسلوب لمعالجة المكتبات ونظم المعلومات هو تقسيم هذه المعالجة إلى أربعة جزئيات: تاريخ المكتبات الألمانية حتى بدء الحرب العالمية الثانية؛ المكتبات فى ألمانيا الغربية ١٩٤٥-١٩٩٠؛ المكتبات فى ألمانيا الشرقية ١٩٤٥- ١٩٩٠؛ المكتبات فى ألمانيا الموحدة ١٩٩١-٢٠٠١.

وألمانيا الموحدة الآن فى نهاية القرن العشرين هى جمهورية فيدرالية تقع فى وسط أوروبا؛ يحدها من الشمال بحر الشمال وبحر البلطيق والدنمرك، ويحدها من الشرق بولندا وجمهورية التشيك؛ ويحدها من الجنوب النمسا وسويسرا كما يحدها من الغرب فرنسا ولوكسمبورج وبلجيكا وهولندا.

وفى نهاية القرن العشرين بلغ عدد السكان ٨٦,٨٧٩,٠٠٠ نسمة وتبلغ المساحة الكلية ٣٥٦,٩١٠ كيلومترات مربعة؛ واللغة الرسمية هى اللغة الألمانية.

يمكننا تتبع تاريخ المكتبة الألمانية منذ العصور الوسطى وخاصة المتأخرة وحيث المعلومات قبل ذلك شحيحة نادرة وإن كان يمكن الحصول على المعلومات اعتباراً من القرن السابع الميلادى وحيث يرتبط ظهور المكتبات فى ألمانيا بإنشاء الأديرة على يد الرهبان الأيرلنديين والأنجلو ساكسونيين الذين أتوا إلى القارة الأم خلال القرنين السابع والثامن للميلاد. وبينما ركز الأيرلنديون عملهم فى فرنسا وجنوب ألمانيا فإن الأنجلوساكسونيين قد باشروا أعمالهم وأنشطتهم التبشيرية فى شمال ووسط ألمانيا. وقد برز من بين الأنجلوساكسونيين شخصيات عظيمة مثل «ويليبرورد» (٧٣٠م)؛ «وينيفرد» المعروف باسم «بونيفاس» (٧٥٤م)؛ «لوللوس» (٧٥٤-٧٨٦م). وقد توفر هؤلاء الأنجلوساكسونيون على بناء العديد من الأديرة فى شمال ووسط ألمانيا ومن بينها اخترناخ، فولدا، بروم، كورفى، هيرسفيلد فى الوسط. وكان الرهبان من دير لوكسويل الذى بناه الأيرلنديون يعظون ويبشرون فى بافاريا. أما أديرة ريشينا و(٧٢٤م)، مورباخ (٧٢٧م)، نيدر ألتياخ (٧٣١م)، لورش على برجستراس فقد بناها جميعا الرهبان الفرانكيون الغربيون. وقد انتشر رهبان دير سانت جالين الذى بناه القديس الأيرلندى «جاللوس» سنة ٦١٣ فى جنوب ألمانيا وبدأوا الحياة الدينية والكنيسة فى فرايزنج (٧٢٢م)، ريجنزبيرج (حوالى ٧٤٠م)، سالسبورج فى نفس الوقت.

وكانت مكونات الدير الأساسية هى الكنيسة والمدرسة والمكتبة. وكان هناك حد أدنى من الكتب ضرورى لحياة ونشاطات الرهبان؛ وقد أحضروا تلك الكتب معهم من هناك وأكثر من هذا كانت الأديرة فى القارة الأم تأتيها الكتب باستمرار من الأديرة الأساسية التى تتبعها فى أيرلندا. وكانت الأديرة الأساسية تقوم فيها المناسخ ملحقة بالمكتبات وكان بعض تلك المناسخ قد ذاع شهرته. ولكن مما يؤسف له أن قلة من المخطوطات التى خرجت من بعض تلك المناسخ هى التى وصلتنا واستقرت فى المكتبات القائمة حاليا. بعد مكتبات الأديرة ظهرت إلى جانبها مكتبات الأبرشيات حيث كانت مدارس الكاتدرائيات مسئولة عن تعليم الإكليريين ومن بين أقدم مكتبات الكاتدرائيات فى ألمانيا نجد كاتدرائيات: كولونيا، ماينز، ترير، كونستانز، فيزبيرج.

وقد ازدهرت مكتبات الأديرة والكاتدرائيات فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد وخاصة فى ظل حماية ورعاية الأباطرة الكرولنجيين. وكانت مكتبة ومدرسة القصر التى أنشأها «شارلمان» فى بلاطه أمثلة حية على مكتبات ذلك القصر. وشارلمان هو الذى جدد المعايير التى يعمل على أساسها منسخ الدير وطريقة إنتاج المخطوطات ويعزى إليه وإلى خلفائه فضل الفخامة التى نلمسها فى إنتاج المخطوطات العائدة إلى ذلك الوقت.

لقد تركزت شبكة مكتبات الأديرة فى القرن التاسع فى ألمانيا الغربية ولدينا معلومات عن مقتنيات بعض مكتبات تلك الأديرة من الفهارس التى وصلتنا من ذلك التاريخ الباكر. وقد كانت مكتبات أديرة جزيرة ريشناو فى البودونيز وفى فولدا بأهمية خاصة جنبا إلى جنب مع مكتبة ومنسخ دير سانت جالين. وفى تلك الأديرة كانت نصوص الكتاب المقدس، وكتابات آباء الكنيسة، والكتب الدينية واللاهوتية تُجمع وتُنسخ مراراً وتكراراً إلى جانب الكتب الكلاسيكية اللاتينية والألمانية.

وكان دير فولدا له الصدارة فى نسخ الأعمال الكلاسيكية. وقد وصلنا من دير فولدا هذا بعض الأعمال بالألمانية العليا القديمة مثل أعمال هيلد براند سليد وأعمال ميرسبيرجر زاوبر زبروشيه.

وكانت مكتبات الأديرة على صلة دائمة ببعضها البعض وكانت مقتنياتها تتداول

فيما بينها ذهاباً وجيئة على سبيل الهدايا أو التبادل أو النسخ أو الاستعارة. وبعد فترة من الانهار الذى حدث بسبب غزوات النورمانديين والمجريين التى دُمرت خلالها الأديرة وسُلبت محتوياتها، جاءت صحوة ازدهار ثانية فى ظل «أوتو الأول» وخلفائه فقد كانت رعاية الفكر وتشجيع المفكرين تقليداً أصيلاً فى هذه الأسرة والتى امتد تشجيعها إلى المكتبات. وفُتحت الأبواب لمؤثرات خارجية جاءت من إيطاليا ومن بيزنطة وحيث مارت ثيوفانو أم أوتو الثالث تأثيراً بيزنطياً خالصاً.

ولقد قدم أباطرة هذه الأسرة هدايا قيمة إلى مكتبات الأديرة والكنائس تمثل بعضها فى مخطوطات رائعة الحسن والجمال كما دعموا مناسخ الأديرة عن طريق تكليفها بإنتاج المخطوطات لحسابهم. كما قام الأباطرة الساكسونيون وعلية القوم فى الإمبراطورية بذلك أيضا. وكانت أحسن المخطوطات هى تلك التى تخرج من دير ريشينا وكثير منها وصلنا فى حالة جيدة.

وبينما كان أعظم ازدهار للأديرة خلال العصر الكارولنجى قد حدث فى وادى نهر الراين فإن مركز الحياة الفكرية الكنسية قد انتقل الآن إلى قلب إمبراطورية أوتو وأعنى به بافاريا وسكسونيا. ففى بافاريا ازهرت مكتبات الكاتدرائيات والأديرة فى كل من: فرايزنج، باساو، أوجزبرج، وقبل هؤلاء جميعا فى تجيرنس وسانت إميرام فى ريجنزبرج. وفى ساكسونيا ازدهرت مكتبات كاتدرائيات: مجدبيرج، هيلد شايم، بادير بورن إلى جانب دير كورفى.

وفى القرن الحادى عشر والثانى عشر حدثت ثورة إصلاح الأديرة وظهرت طوائف دينية جديدة. وكانت فترة منازعات سياسية بين السلطة الدينية والسلطة العلمانية تحت حكم الساليين و«استراوفور» إبان القرنين الحادى عشر والثانى عشر. هذا إلى جانب معارك الحفاظ على وحدة الإمبراطورية مما استنفذ طاقة الحكم وقوته. ولقد أسفرت حركة الإصلاح الدينى هذه عن تقسيم ألمانيا الدينية إلى كاثوليك و بروتستانت وإلى مناطق لهؤلاء ومناطق لأولئك كما أسفرت عن خراب وتدمير العديد من المكتبات الديرية فى المناطق البروتستانتينية. ولكن من جانب آخر أدى المذهب البروتستانتى إلى ظهور مزيد من التعليم الليبرالى وأدى إلى إحياء ونمو

وتعديل مؤسسات التعليم القديمة مثل مكتبات المجالس فى مجدبيرج و أوجزبيرج ومكتبات الكنائس فى نورمبرج و برونزويك، وإنشاء المكتبات فى المؤسسات الجديدة مثل المدارس الثانوية (جمنازيا) فى ميسين، شولبفورتا، كوبرج. وغالبا ما اتخذت الكتب التى سحبت من الأديرة طريقها إلى تلك المكتبات وإلى مكتبات الجامعات مثل جامعة مجدبيرج وليبزج وإلى المكتبات الخاصة بالأرستقراطيين والأمراء.

واقتصرت رغبة الأباطرة فى المكتبات ودعمهم لها على تكليف المناسخ إعداد نسخ فاخرة من كتب الشعائر وتقديمها هدايا للكنائس. وكانت تلك المخطوطات لا يجرى تنفيذها إلا فى الأديرة المشهورة فقط وعدتها ثلاث هى: ريشيناو، إيخترناخ، تيجرنس. وفى نفس تلك الفترة تحولت الأديرة من العلمانية وتنوع الحياة الفكرية واقتصرت على اللاهوت فقط ونبذت المعرفة الدنيوية. حتى زخرفة المخطوطات وتذهيبها وترصيعها بالجلود الثمينة تعارض مع الاتجاه الجديد للأديرة؛ وقد نبعت تلك الاتجاهات الجديدة من الطوائف الدينية التى ظهرت آنذاك مثل: الكلونيون، السستريون، الكارثوزيون، وغيرهم.

وكانت حركة الإصلاح الديرية هذه فى صالح الكتب وحيث أصبح الكتاب أداة لا غنى عنها فلم تقم أنشطة استنساخ الكتب عن ذى قبل ولكن محتويات الكتب نفسها هى التى تغيرت فأصبحت دينية لاهوتية مشوبة بنغمة صحفية تعبر عن الصراعات الدينية ـ السياسية. وهو ما أدى بدوره إلى تقلص مقتنيات المكتبات وتناقص الإنتاج الفكرى وتراجع الإنتاج الفكرى العلمانى والكلاسيكى إلى الوراء وقد احتقر المصلحون زخرفة الكتب وتزيينها وبالكاد سمحوا بها فقط فى كتب العبادة.

لقد أنشئ فى القرن الحادى عشر والثانى عشر العديد من الأديرة الجديدة ولكن قيمتها العلمية لم تتناسب إطلاقا مع عددها. والأديرة التى أُطلق عليها الإسكوتلندية هى الأخرى من تأسيس الأيرلنديين فى جنوبى ألمانيا على نحو ما نصادفه فى ريجنزبيرج (١٠٧٦م)؛ فيرزبيرج، كونستانز. وقد ظهر شكلٍ جديد سريع للخط

ينسب إليها. وقد مارست الطوائف الجديدة مثل السستريون أنشطتهم باحتلال وإنشاء مستوطنات لهم على مناطق الحدود.

ويعزى إلى السستريين تأسيس الأديرة فى زينا، كورين، لهنين، نيزيل وهى الأديرة التى اكتسبت شهرتها من مجموعات الكتب التى اقتنتها فى القرن الخامس عشر. كذلك تثبت سجلات طائفة التيوتون وجود مكتبات لديهم ولكن الكتب والمكتبات لم تلعب دوراً هاماً فى حياة هذه الطائفة من الفرسان.

وكما وقع القرن الحادى عشر كله تحت ظروف إصلاح الأديرة فإن القرن الثانى عشر هو الآخر قد أفرز لنا نوعاً جديداً من التغيير؛ ذلك أن تعميق الحياة الدينية قد أدى إلى اختراق البحث العلمى للحياة الدينية ومؤسسة العقيدة أى الكنيسة وأفرز لنا نظاماً لاهوتياً جديداً هو «اسكولاستية» أى الفلسفة النصرانية. وقد وصلت الطريقة الجديدة فى البحث إلى قمتها فى فرنسا وانتشرت منها إلى الأديرة الألمانية خلال القرن الثانى عشر وكانت الدراسة على الطريقة الفرنسية من أهم أنشطة تلك الأديرة وكانت الكتب المتدفقة من فرنسا إلى ألمانيا خلال العصور الوسطى المتأخرة التى بدأت فى الأفول مما جعل ألمانيا فى مقدمة مراكز الحياة الفكرية.

ولأن مكتبات الكنائس فى العصور الوسطى الباكرة كانت صغيرة الحجم قليلة المجموعات فإنها لم تكن تمثل مشكلة فى الحيز والمكان وكان يكفيها دولاب واحد يضع فى الكنيسة عادة بالقرب من المذبح أو الموهف (غرفة المقدسات وملابس الكهنة). ولا نعرف الشىء الكثير عن أماكن تسكين الكتب فى الأديرة فى تلك الفترة وحيث لم تكن هناك ضرورة لوجود مبنى خاص أو حتى غرفة خاصة ولأن الكتب عادةً كانت تبقى فى نفس المكان الذى تستخدم فيه. ولكن فى سنة ٨٢٠م كان مبنى دير سانت جالين مكوناً من طابقين وكان المنسخ فى الدور الأرضى والمكتبة فى الدور العلوى. وغالباً ما كانت المكتبة توضع فى ممر الدير فى النيش.

وكان عدد الكتب فى المكتبات متواضعاً لا يزيد على ألف كتاب إلا فى حالات نادرة وكانت الكتب مصنوعة من الرقوق على شكل كراسات وتتراوح ما بين كتب

الشعائر إلى الكتب المقدسة وشروح الكتب المقدسة وكتابات آباء الكنيسة. وكانت الكتب الكلاسيكية تنسخ فقط لأغراض تعليم اللغة اللاتينية والفنون السبعة. وبحكم لوائح الطوائف الدينية كانت الرعاية الطبية تتطلب معرفة بالطب ومن ثم كان لابد من نسخ كتب الطب واقتنائها؟؛ أما كتب العلوم والتكنولوجيا الأخرى فقد كانت ممنوعة كلية. وكان أمين المكتبة (أرماريوس) وهو غالبا راهب متعلم عادة ما يُعهد إليه بالإشراف على المنسخ. وكان من بين واجباته أن يعير الكتب للرهبان وتلاميذ الدير ويعد سجلات الكتب وفهارسها. وكان الرهبان يعرفون قدر تلك الكتب. وقد تضمنت لوائح الأديرة والطوائف الدينية تعليمات مشددة تختص بوظيفة أمين المكتبة كما كان رئيس الدير يضع قواعد خاصة فى ديره. وكانت مقتنيات المكتبة تنمو من خلال النسخ عادة ولجأت بعض الأديرة إلى تجنيد عدد كبير من النساخ لهذا الغرض. وكانت كتب التكريس تنسخ بعناية خاصة وتزخرف بفخامة وتزين بالصوروالإيضاحيات وتزدان بالجلود المرصعة الثمينة. ومن حين لآخر كانت الأديرة والكنائس تستبعد نماذج الخطوط الراقية وتستخدمها فى مخطوطاتها. وكانت الهدايا ترد من الأديرة الأم ومن الأباطرة والأمراء وعلية القوم وكان من النادر شراء الكتب لتزويد مكتبة الدير بها. ولم تكن مكتبة الدير فى الأعم الأغلب قاصرة على أعضاء الدير إذ تكشف سجلات الاستعارة التى وصلتنا عن أن المخطوطات كانت تعار للأديرة الأخرى وللناس الآخرين.

وفى القرن الثالث عشر والرابع عشر بدأ انهيار مكتبات الأديرة وأخذت تفسح مكانها لظهور أنواع أخرى من المكتبات. ولقد بلغت مكتبات الأديرة أوج ازدهارها وعظمتها فى القرن الثانى عشر ثم أخذ نجمها فى الأفول بعد ذلك القرن فقد أهمل الرهبان واجباتهم وتوقفوا ربما تماما عن نسخ الكتب بل ربما استأجر الدير نساخًا بالأجر من خارج الدير. وفى مطلع القرن الثالث عشر بدأ الزحف الجديد من طوائف: الميندكان أو الرهبان الشحاذون، والفرنسسكان (أسست سنة ١٢٠٩) والدومنيكان (١٦٢١٦م) وقد وجهت هذه الطوائف جل همها إلى العناية الدنيوية بالنفس ولم تكن لها ميول نحو الكتب. ورغم أن الرغبة فى التعليم كانت من

اتجاهات الطوائف الجديدة إلا أن الكتب التى أنتجها الفرنسسكان كانت فقيرة فى كل شىء فقد أنتجت من أرخص أنواع الورق الذى كان قد بدأ يحل بالتدريج محل الرق وقام بنسخها نساخون لا يعتمد عليهم ملأوها بالأخطاء النسخية وأكثروا من استخدام الاختصارات والبتر. ورغم أن الدومنيكان كانوا طائفة مثقفة إلا أنهم احتقروا تزيين الكتب وزخرفتها وفضلوا شراء كتب جاهزة أو تأجير نساخ لنسخها ولم يقوموا هم أنفسهم بذلك العمل. وكانت مقتنيات مكتباتهم فى الأعم الأغلب كتبا لاهوتية بسيطة ولم يسمحوا من كتب الأدب إلا ما يمكن استخدامها فى ممارسة علاج الروح والعناية بالنفس والنضال ضد الهرطقة.

وفى نهاية تلك الفترة بدأ ظهور جماعة **إخوان الحياة العامة** التى أسسها جيريت دى جروت (١٣٤٠-١٣٨٤م) وقد لعبت دوراً هاماً وإيجابياً إزاء الكتب وكانت لها مكتبات عامرة بالكتب فى منشآتهم الأولى فى منستر، هيلد شايم، كولونيا. وكان هدفهم تجديد الحياة الدينية من خلال الكتب وكانوا يكسبون عيشهم من نسخ وإنتاج كتب فاخرة صنعت بعناية شديدة. وبعد ظهور الطباعة أنشأوا العديد من المطابع لطباعة الكتب فى منشآتهم.

فى جنوبى ألمانيا اتجهت حركة البندكتيين فى مِلْك وكذلك فى شمالى ألمانيا أوصى مؤتمر أديرة البندكتيين الذى قاده الآب جوهان فون رود فى تريير (١٣٥٨-١٤٣٩م) نحو إحياء أنشطة النسخ والكتابة وإنشاء وتطوير المكتبات فى الأديرة القديمة ومن هنا أعادت الأديرة البندكتية تنظيم مكتباتها وإعداد فهارسها وأحيت نشاط النسخ القديم. وفى دير كانت أولرخ وأفرا فى أوجزبرج دخلت أولى المطابع الديرية فى ألمانيا سنة ١٤٦٦ وبدأت نشاطها الطباعى ومع ذلك فإن هذا الازدهار الثانى للمكتبات الديرية كان قصير العمر.

فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر وبينما المكتبات المقدسة علامة الثقافة المسيحية الوسيطية الموحدة تأخذ فى الجمود ثم التدهور، كانت هناك أنواع أخرى من المكتبات بدأت تظهر وتتضح ملامحها وتحرز التقدم وهى أساسًا مكتبات الجامعات ومكتبات البلاطات بل والمكتبات الشخصية أيضا.

وكانت المكتبات الجامعية ومكتبات البلاطات التى ظهرت فى نفس تلك الفترة قد أخذت فى النمو والاستمرار دون استثناء وشكلت أسس المكتبات الأكاديمية الموجودة الآن. أما المكتبات الشخصية فقد كانت قصيرة العمر. ولم يعد ممكنا إشباع الحاجة الجديدة إلى الكتب عن طريق وسائل الإنتاج العادية التقليدية، وسرعان ما حل الورق الرخيص محل الرق الغالى ودخلت نقابة النساخ العاديين أو المأجورين فى منافسة حادة مع الرهبان الناسخين، وأخيراً دخل اختراع الطباعة ليضع نهاية قاسية لكتب العصور الوسطى؛ ومع ذلك فإن محتويات ومجموعات المكتبات لم تتغير للوهلة الأولى تغيراً جذرياً.

وبعد انهيار مدارس الكاتدرائية والأديرة كناقل وحيد للمعرفة عبر الأجيال، وبعد انهيار مكتباتها كنمط وحيد لمجموعات الكتب الدينية والعلمانية، أصبحت الجامعات عماد البحث العلمى والحياة الفكرية وقد أخذ الأساتذة الذى فصلوا أنفسهم تدريجياً من قيود الأديرة، فى تكوين معايير جديدة للباحث الدارس. وقد أدى ذلك إلى كسر احتكار الإكليريين لعمليات التربية والتعليم لأنهم سمحوا للرجل العادى بالدراسة والتعلم وشجعوا تحصيل العلوم العلمانية وتدريسها فى المؤسسات الجديدة إلى جانب اللاهوت وكان من بين أهم العلوم العلمانية القانون والطب. وفيما يتعلق بالمكتبات فإننا نصادف فى بعض الكليات فقط مجموعات صغيرة من الكتب وخاصة فى تلك الكليات التى يجتمع فيها الأساتذة والطلاب حول موضوع واحد. وهذه المجموعات هى التى أدمجت فيما بعد لتكوين مكتبات الكليات الحديثة وخرجت من بطنها المكتبات الأكاديمية كما نعرفها اليوم.

والجامعات على النحو الذى تشكلت به فى باريس فرنسا لم تعرف فى ألمانيا إلا فى منتصف القرن الرابع عشر: جامعة براغ ١٣٤٨م؛ الكلية الكارولينية ١٣٦٦م التى عَمُرت بالكتب بعد تأسيسها مباشرة على يد «تشارلز الرابع»؛ جامعة هايدلبرج ١٣٨٦م حيث نشأت مكتبات الكليات فى فترة مبكرة؛ جامعة كولون ١٣٨٨م معقل الدارسين الدومنيكان المنيع القوى؛ جامعة إيرفورت ١٣٩٢م. والمكتبات الجامعية فى ألمانيا التى ضمت جميع فروع المعرفة البشرية حلت بسرعة محل مكتبات الكليات

ومكتبات هيئة التدريس فى وقت مبكر عنها فى الدول الرومانية (فرنسا وما حولها) ومع ذلك فإن مكتبات الجامعات هذه لم تكن لتقوى على منافسة نظيرتها الأجنبية لا من حيث المقتنيات ولا من حيث سياسة الاستخدام الليبرالية.

لقد تطلبت أنشطة التعليم الجديدة أساليب جديدة وطرق حفظ جديدة للكتب فى مكتبات الكليات فقد تم تخصيص غرف مستقلة لها راقدة أولاً على القمطرات ثم بعد ذلك واقفة مربوطة بالسلاسل فى كل الأحوال. وكانت القمطرات التى توضع فى وسط الغرفة يرقم كل منها برقم خاص. وفى المكتبات الكبيرة كان هناك تمييز واضح بين المخطوطات الهامة والتى لا يسمح بإعارتها وبين المخطوطات العادية التى يسمح بتداولها، ومثالينا على ذلك من «المكتبة الكبرى» و «المكتبة الصغرى» فى كلية السوربون فى القرن الثالث عشر. إن «نظام القارئ» هذا فى حفظ الكتب وتنظيم المكتبات نجده مطبقا فى بعض مكتبات الأديرة فى القرن الخامس عشر والنموذج الوحيد على الأرض الألمانية هو مكتبة من العصور الوسطى عبارة عن غرفة فيها قمطرات وكتب مربوطة بالسلاسل فى كنيسة جولدبيرج فى سيليزيا والتى استمرت قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان استخدام المكتبات الجامعية الألمانية مقصوراً فى الأعم الأغلب على المدرسين والخريجين والاستثناء الوحيد جاء من جامعة إيرفورت حيث سمح للمكتبيين بإعارة الكتب للطلاب.

وعلى جانب مكتبات البلاطات نجد أن الأمراء الألمان لم يكونوا فى تلك الفترة جماعين للكتب إلا فيما ندر وإن كانوا فى بعض الأحيان يحرصون على إهداء الكتب لمكتبات الأديرة والكنائس.

ولم يبدأ حب الكتب والرغبة فى جمعها وتكوين مكتبات البلاطات والقصور بين الحكام الألمان إلا فى القرن الرابع عشر والحالة الوحيدة التى نصادفها هى حالة الإمبراطور «تشارلز الرابع» (١٣٤٨-١٣٧٨) الذى كون مجموعة كتب جلبها من باريس وأفجنون وبعد ذلك قدمها إلى جامعة وأديرة وكنائس براغ.

وفيما يتعلق بالمكتبات الشخصية فإننا نجدها فى تلك الفترة قليلة نادرة إن وجدت

جنباً إلى جنب مع مكتبات الجامعات ومكتبات البلاطات فى نهاية العصور الوسطى التى أخذت فى الأفول.

فى تلك الفترة أيضا بدأت منظومة جديدة من المكتبات فى الظهور وهى مكتبات مجالس المدن التى احتلت دور المناسبات فى المدن. وكانت تلك المكتبات فى البداية مجموعات صغيرة من الكتب فى موضوعات متخصصة لاستخدام أعضاء مجلس المدينة وموظفيه وكذلك لاستخدام الإكليريين وطبيب المدينة والراغبين فى تاريخ الشئون العامة للمدينة وأهم من هذا وذلك موضوعات الطب والقانون والتاريخ ولكن بالتدريج ومن خلال الشراء والهدايا التى قدمها أغنياء المدن نمت تلك المكتبات وزادت أهميتها وفتحت أبوابها لكل الراغبين فى القراءة والاطلاع ممن يعرفون اللاتينية.

وكانت مكتبات مجالس المدن هذه هى البذرة التى خرجت منها نبتة مكتبات المدن أو المكتبات العامة.

ويرى الباحثون أن الفترة ١٤٠٠-١٥٢٠م أى القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر هى فترة الحركة «الإنسية» وهى حركة إحياء الرغبة فى القديم الكلاسيكى: اللغة والأدب والفن والعلم هذه الحركة خلقت نوعا من البحث العلمانى المهنى المتخصص يقوم على أسس أخلاقية لدراسة الكتابات القديمة لأكثر من سبب ودافع علمى. ومن خلال هذه الحركة «الإنسية» اكتسب الكتاب أهمية خاصة حيث نُظر إليه على أنه وعاء حمل ونقل القديم. وفى نفس الوقت نشأ نمط جديد من البحث والتعليم تطلب العودة إلى الماضى إلى المصادر الأصلية وعدم الاعتماد على المصادر الثانوية والأسلوب التقليدى فى البحث. كما تطلب اللجوء إلى التعليم بديلا عن التلقين والتلقى. لقد انطلقت الإنسية وهى الوجه الفكرى للنهضة من إيطاليا إلى ألمانيا اعتباراً من ١٤٥٠م وهناك ازدهرت وأينعت وأعطت أعظم ثمارها حتى سنة ١٥٣٠م أى لمدة قرن تقريباً وإن كانت رياح هذه الإنسية قد هبت مبكراً على كونستانز ١٤١٤-١٤١٨؛ بازل ١٤٣١-١٤٤٥.

وكانت المكتبات الشخصية للإنسيين فى ألمانيا عديدة إلا أن قليلا منها هو الذى

وصلنا مثل مكتبة «بيتوس ريتانوس» ١٤٨٥-١٥٤٧م فى شليتستات ومكتبة «نيقولاس كوزانوس» ١٤٠١-١٤٦٤م فى كيوس. وقد وصلنا خبر مكتبات أخرى خاصة عن طريق السجلات ولكنها هى نفسها لم تصلنا مثل مكتبة «هارتمان شيديل»، ومكتبة «ويليبالد بيرتهايمر»، ومكتبة «كوزاء بيتنجر»، ونجد بقايا تلك المكتبات الخاصة فى حنايا بعض المكتبات المعاصرة الآن.

وكانت مكتبات البلاطات أسعد حظاً فقد استمر معظمها فى الوجود وتجاوزت عواصف تلك الفترة ومحنها وهى الآن جزء من المكتبات الوطنية ومكتبات الولايات وأحياناً من المكتبات الجامعية. ورغم أن تلك المكتبات قد جُمعت أساسًا كمجموعات شخصية للأمير أو الحاكم، ربما لكى يتعلم ويتثقف منها، وربما كزخرف فى القصر أو لتحقيق مكانة مرموقة، إلا أنه فى النهاية آلت للاستخدام العام. ولكن فى هذا السياق نرى أن أعضاء مجلس المنتخبين (بالاتين) فى هايدلبرج كانوا استثناء حيث أبدوا رغبة كبيرة فى إنشاء مكتبة «بالاتينا»، تلك المكتبة التى بلغت قمتها فى عهد المنتخب «أوتينريتش» ١٥٠٢-١٥٥٩م الذى جمع فيها الإنتاج الفكرى الألمانى الوسيط إلى جانب كتابات المصلحين. وكانت كتب هذه المكتبة جميعها مجلدة بجلود بنية اللون فاخرة. ومن بين مكتبات البلاطات أيضا مكتبة «كونت بالاتين» من بفالز - نيوبيزج التى جمع فيها مجموعة قيمة من المخطوطات والمطبوعات. كذلك قام فردريك العاقل منتخب ساكسونيا ١٤٨٦-١٥٢٥م بتأسيس مكتبة بلاط ويتنبرج ١٥١٢ وهناك مكتبتان أخريان أُسستا فى تلك الفترة ووصلتا إلينا اليوم هما مكتبة «فيرزليخ - فيرزتنبرج» من دوناشنجن (حوالى ١٥٠٠م). ومكتبة «أوتنجن - فاليرشتاين» فى ماهنجن.

فى خلال فترة الإنسية حققت المكتبات الجامعية تقدماً هاماً وذلك من خلال الجهود المركزة التى بذلتها بعض الكليات القديمة ومن خلال إنشاء جامعات جديدة، وأدت إلى جمع مجموعات واسعة من الكتب تغطى كل فروع المعرفة البشرية. ولقد تطورت مكتبة جامعة هايدلبرج لتغدو أحسن مكتبة جامعية ألمانية قبل «الإصلاح» ففى سنة ١٤٦١م بلغت مجموعاتها ١٦٠٠ عنوان فى ٨٤١ مجلداً. ومع ذلك فإن شهرتها

الحقيقة ترجع إلى ضمها مكتبة البلاط وإهدائها مجموعة أولرخ فوجر (١٥٨٤م). بينما الجامعات الجديدة مثل جامعة جريفز فالد ١٤٥٦، جامعة أنجولشتات ١٤٧٢، جامعة رومستوك ١٤١٩م لم تتلق فى البداية إلا مجموعات كتب محدودة من أعضاء هيئة التدريس. وكانت المجموعات التى قدمها الأساتذة والمديرين إلى الجامعات قد اتسمت بروح الإنسية التى سادت تلك الفترة. وقد قامت مجموعة «مارسيليوس فون إنجين» أول مدير للجامعة (توفى سنة ١٣٩٦) إلى جامعة هايدلبرج، بينما مكتبة «مايور هنريتش فون روبينا» وقدمت إلى جامعة جريفزفالد التى أسسها؛ فى الوقت الذى قدمت فيه مكتبة الفيزيائى واللاهوتى «أمبلونيوس» إلى جامعة إيرفورت.

ورغم أن مجموعات كثيرة من الأديرة والأرستقراطيين كانت قد دمرت خلال بعض الانتفاضات التى أشرنا إليها إلا أنه من خلال المجالس الدينية فى بيرسفيلد وملك بدأت كثير من مكتبات الكنائس والأديرة فى تعويض ما فاتها خلال القرن الخامس عشر. وقد انتعشت بصفة خاصة مكتبات أديرة الكارثوزيين بفضل اجتهاد الرهبان العلماء وبفضل المجموعات الكبيرة التى تم اقتناؤها فيها، وعلى سبيل المثال أديرة بازال، ماينز، كولونيا، إيرفورت التى بلغت مجموعاتها حداً كبيراً غير مألوف فى ذلك الزمان. ولكن للأسف فقد تبددت تلك المكتبات ولم يبق منها إلا بعض فهارس تدل على محتوياتها ولم ينقذ منها إلا مكتبات قليلة مثل بازل و ماينز.

وقد وصلنا سجل إعارة من بازل يكشف عن أن كتب الدير كانت تعار. وبسبب تضخم المجموعات وزيادة استخدامها فى مكتبات الكارثوزيين فقد كان عليهم أن يولوا الجوانب الفنية فى إدارة تلك المكتبات اهتماماً خاصاً. ومن هنا فقد ظهرت هنا بدايات الفهرسة وخرجت من عباءة قوائم الحصر التى كانت تهدف إلى مجرد بيان الموجود من المقتنيات دون وصفها. وكذلك فقد أُولِيَ اهتمام خاص بترتيب المجموعات. وكانت المخطوطات التى يستخدمها العامة تُعزل فى مكان مستقل عن تلك التى يستخدمها الرهبان. وقد فقدت الأديرة فى ذلك الوقت خاصية جمع وإنتاج المخطوطات؛ تلك الخاصية التى سادتها فى العصور الوسطى. ومهما يكن من أمر

فإن المخطوطات كانت ماتزال القطع المفضلة لدى مكتبات الأديرة؛ ولم تقم المطبوعات بغزو تلك المكتبات إلا ببطء شديد وعلى استحياء الغريب؛ ورغم أن الطباعة قد ساعدت على طباعة وتوزيع الكتب بكميات أكبر من الخطاطة.

وقد لقيت فكرة المكتبة العامة بمعنى المكتبة المفتوحة أمام الجميع بصرف النظر عن نوعها قبولاً عاماً وانتشاراً واسعاً فى تلك الفترة بفضل روح النهضة والروح الإنسية بعد أن أهملت هذه الفكرة إهمالاً تاماً بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية. ولم يكن هذا الأمر وارداً فقط بالنسبة للمكتبات الخاصة وإنما أيضا انسحب على عدد من مكتبات البلاطات؛ وعلى سبيل المثال فإن **مكتبة قلعة هايدلبرج** فتحت أبوابها أمام الجامعة ونفس الكلام ينطبق على مكتبة قلعة وينتبرج ومكتبة قلعة كونجزبرج وهذه الأخيرة أنشأها آخر «سيدكبير» فى طائفة اليتوتون، ألبرشت من براندنبرج كذلك فإن مكتبات الكنائس المفتوحة أمام الاستخدام العام وجدت فى ألمانيا من خلال أريحية المواطنين الأثرياء والإكليريين الشرفاء. كذلك فإنه من خلال بعض المبادرات الشخصية نشأت بعض مكتبات المدن فى القرن الخامس عشر هناك فى ألمانيا؛ ومن جهة أخرى كانت تقدم إلى مجالس المدن من حين لآخر مجموعات من الكتب كهدايا بشرط إتناجها وفتحها أمام الاستخدام العام. وقد اتخذ ذلك السلوك صفة الظاهرة فى القرن الخامس عشر الألمانى.

وعندما نطوى صفحات العصور الوسطى وننتقل إلى العصور الحديثة فلابد من أن نقسمها إلى فترات لأنها تغطى نحو خمسة قرون، وهذه الفترات يجب أن تتفق مع تاريخ ألمانيا العام ومن هذا المنطلق نرى تقسيمها إلى:

١- عصر النهضة أى من الإصلاح إلى بداية التنوير ١٥٢٠-١٧٠٠م.

٢- من التنوير إلى الحقبة الكلاسيكية فى العلم الألمانى ١٧٠٠-١٧٨٩م.

٣- من الثورة الفرنسية إلى الحرب الفرنسية الألمانية ١٧٨٩-١٨٧٠م

٤- من قيام الإمبراطورية الألمانية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٨٧١-١٩٤٥م.

ففي فترة عصر النهضة والإصلاح التي تمتد كما أسلفت بين ١٥٢٠-١٧٠٠م قامت حركة الإصلاح الديني والتي بلغت قمتها ١٥١٧-١٥٢٥م بإحداث تأثير كبير على منظومة المكتبات الألمانية والتي تطورت تطوراً رائعاً خلال حركة الإنسية. فمن جهة كان للصراع الأيديولوجي فعل السحر في إيقاظ رغبة متأججة في الكتب والمكتبات. وكان من نتيجة ذلك قيام العديد من المكتبات العامة في المدن مثل مجدبرج ١٥٢٥م، هامبورج ١٥٢٩م، أوجزبرج ١٥٣٢م، لوبيك ١٦١٦م وغيرها؛ كذلك قام العديد من مكتبات المدارس والكنائس. هذا كله بفضل تشجيع ومساهمة قادة الإصلاحيين. ولكن من الجهة الثانية كانت الحياة الفكرية في خطر بسبب المعركة الدائرة على السلطة الجدية والنظام الجديد. ذلك أن كثيراً من مكتبات الأديرة كما أسلفت التي كانت مركزاً للحياة الفكرية في العصور الوسطى والتي وصل تأثيرها حتى إلى القرن السادس على الأقل من خلال مجموعات كتبها الثرية؛ هذه المكتبات وقعت ضحية العلمنة في مناطق البروتستانت حتى المكتبات الجديدة وُزِعَت عليها مقتنيات مكتبات الأديرة. كذلك فإن الحركة الثورية التي عُرِفَت بحرب الفلاحين ١٥٢٤-١٥٢٥ والحركة الثورية للأنابابتست (فيدر تاوفر) في فستفاليا قد تسببت في تدمير شديد لمكتبات الكنائس، وفي العديد من الأديرة دمرت الكتب إلى جانب الأثاث.

ومن جهة ثانية انتعشت الجامعات ومكتباتها بفضل الرعاية المتزايدة من جانب الأمراء. وقد قام العديد من الجامعات القديمة التي أُسِسَّت قبل «الإصلاح» بإنشاء مكتبات مركزية بدلاً من مكتبات الكليات ومكتبات هيئة التدريس على نحو ما نصادفه في توبنجن، ليبزج، روستوك، جريفزفالد؛ في حين بدأت جامعات ما بعد «الإصلاح» بمكتبات مركزية منذ البداية ومنها على سبيل المثال: ماربورج ١٥٢٧م، يينا ١٥٥٨م، هيلمشتدت ١٥٧٥م. وكما رأيت من قبل كانت مكتبات القلاع في بعض الأحيان تقوم بدور مكتبة الجامعة على نحو ما حدث في هايدلبرج، كوينجزبرج. وعلى سبيل المثال ويتنبرج التي لم تنشئ مكتبات خاصة بها حتى نقل مكتبة القلعة إلى يينا.

وقد قوبلت رغبة الإصلاحيين الشديدة فى الكتب برغبة الكنيسة الكاثوليكية والسلطات المؤمنة مما أدى إلى قيام جامعات جديدة فى فيرزبرج؛ إنسبروك؛ برسلاو والتى كانت بها مكتبات تم اختيار مجموعاتها اختياراً جيداً. وينطبق ذلك أيضا على مكتبات الكليات العديدة التى أنشأتها طائفة الجزويت حملة المشاعل الحقيقيين للإصلاح المضاد.

لقد بلغت الصراعات والحروب التى تسببت فيها حركة الإصلاح والإصلاح المضاد أقصى قمتها ونهايتها فى ألمانيا فى حرب الثلاثين عاما ١٦١٨-١٦٤٨م التى قوضت أربكان الإمبراطورية الألمانية وأثرت فى المكتبات وطالتها. فقد فقدت منظومة المكتبات الألمانية موضع الصدارة وأخلته للدول الأجنبية فى تلك الفترة وعلى سبيل المثال فإن مصير مكتبة بالاتينا فى هايدلبرج معروف: فعندما اندلعت حرب تللى نقلت المكتبة أولاً إلى ميونخ ومن هناك اتخذت سبيلها إلى روما.

ومن بين ذخائر الكتب التى نقلها إلى السويد «جوستاف أدولف» وجنرالاته كانت مجموعات مكتبة كاتدرائية فراونبيرج ومجموعات قصر الأستفية ومجموعات مكتبة الجامعة ومجموعات مكتبة الجزويت فى فيرزبيرج. وقد سقطت مكتبة جامعة ماينز ومكتبة كلية الجزويت فى ماينز إلى قاع بحر البلطيق أثناء نقلهما إلى السويد. ويعزى الفضل إلى القوة المتزايدة لأمراء المقاطعات هناك فى عدم اختفاء الكتب والعلم كلية فى تلك الفترة حيث وجدا موئلا لهما فى البلاطات التى أبدتهما بمناخ ملائم للازدهار والبقاء والاستمرار. وكانت مكتبات الجامعات التى اكتسبت أرضا خصبة فى القرن السادس عشر بفضل المكتبات المركزية قد نمت ببطء شديد. ورغم أن التفكك وسيادة المقاطعات قد أدى إلى إنشاء العديد من الجامعات الجديدة فى مناطق البروتستانت: رنتلين ١٦٢١، ألتدورف ١٦٢٢، دويزبرج ١٦٥٥، كبيل ١٦٦٥... إلا أن الجو العام لتلك الدويلات حولت معظم تلك الجامعات إلى جثث هامدة قبل انقضاء القرن. ولقد فتحت جامعة هالى التى أسِّست سنة ١٦٩٤م الباب أمام الجامعات الألمانية لتدريس الفكر الحديث والفلسفة الحديثة. وكان تطور الجامعات وثيق الصلة بتطور مكتباتها فنجد مكتبة جامعة هالى

تقتنى فى سنة ١٧٣٠ نحو ١٣٠٠٠ مجلد وهى مجموعة ضخمة بمعايير ذلك الزمان.

ولقد تفوقت مكتبات البلاطات على المكتبات الجامعية بوفرة مجموعاتها وكرمها الزائد فى إتاحة ذخائرها للجمهور الراغب، ولذلك كانت مكتبات البلاطات هى التى حددت صورة منظومة المكتبة الألمانية فى القرن السابع عشر.

وبعد تحول مقاطعة طائفة التيوتون إلى دوقية علمانية قام آخر «سيدكبير» لهذه الطائفة وهو الدوق ألبرت من بروسيا بإنشاء مكتبة قلعة فى كونجزبيرج كمتطلب سابق على تأسيس الجامعة التى توفر هو على إنشائها. وكانت هناك أيضا مكتبة الدوق الشخصية المسماة «مكتبة القمرة» وكان جانب من كتب هذه القمرة مجلد بجلود فاخرة مرصعة بالفضة والتى من أجلها سميت بالمكتبة الفضية. وقد حولت مكتبة القلعة إلى مكتبة عامة سنة ١٥٤٠م ثم أدمجت فى مكتبة جامعة كونجزبرج سنة ١٨٢٧م.

لقد ذكرنا من قبل مصير مكتبة بالاتين الشهيرة فى هايدلبرج وحيث كان لهذه المكتبة معنى خاص عند البروتستانت والتى كان لها نفس معنى مكتبة بلاط ميونيخ ـ التى هى الآن مكتبة ولاية بافاريا ـ بالنسبة للألمان الكاثوليك. تلك المكتبة التى تدين بإنشائها إلى صداقة الدوق «ألبرت الخامس» (١٥٢٨-١٥٧٩) مع التاجر «هانز جاكوب فوجر» أحد جماعى الكتب الأول فى ذلك الوقت. وبناء على نصيحة منه قام الدوق ١٥٥٨م بإنشاء مكتبة الدوقية فى ميونيخ والتى سكنت فى ملحق خاص بالقلعة. وكان أحد ورثته، الدوق ـ المنتخب فيما بعد ـ ماكسميليان الأول ١٥٩٧-١٦٥١م شديد الحرص على تنمية هذه المكتبة وإثرائها بكل غالٍ ونفيس، ووضع بنفسه لائحة لها سنة ١٦٠٩ تحدد واجبات أمين المكتبة. بيد أن الوضع الاقتصادى المتردى بعد الحرب جعل من الصعب إمدادها بأى إضافة قيمة. وفى عهد المنتخب «فيرديناند ماريا» ١٦٣٦-١٦٧٩م حصلت المكتبة على حق الإيداع (١٦٦٣) فى نسخة من كل مطبوع. ولكن بعد فترة أصابها الجمود ثم الانهيار.

ومن بين مكتبات البلاطات المنشأة حديثا فى مناطق البروتستانت كانت مكتبة المنتخبية في برلين وذلك لأن أكبر المكتبات الألمانية ونعنى بها مكتبة ولاية بروسيا انبعثت عنها. وكانت قد أُنشِئَت بمقتضى مرسوم المنتخب الأكبر «فردريك وليام» ١٦٤٠-١٦٨٨م والذى صدر سنة ١٦٥٩م ولكن افتتاحها تأجل إلى سنة ١٦٦١ بسبب الحرب النوردية. وكانت نواة هذه المكتبة قد جمعت من براندنبرج العلمانية ومن أديرة فستفاليا الدينية وظلت تنمو باستمرار من خلال طرق التزويد المختلفة. وعند وفاة المنتخب الأكبر سنة ١٦٨٨ كانت المجموعات قد بلغت ٢٠,٠٠٠ مجلد مطبوع و ١٦٠٠ مخطوط وقد وضعت فى أحد أجنحة القلعة. وفى عهد الملك البروسى الأول «فردريك الأول» صدرت للمكتبة أول لائحة تنظم استخدامها سنة ١٦٩٣. وفى سنة ١٦٩٩ صدر للمكتبة مرسوم إيداع يقضي بإيداع نسخة مجانية فيها من جميع المطبوعات وهو الأمر الذى لم يكن باعة الكتب يلتفتون إليه من قبل. وبعد إنشاء المكتبة مباشرة كانت تفتح أبوابها للمستفيدين يوميا. وعند وفاة الملك الجندى «فردريك وليام» (١٧١٣-١٧٤٠) كانت المجموعات فى مكتبة برلين قد وصلت إلى ٧٠٠٠ مجلد ولذلك كانت تعد من المكتبات الهامة داخل ألمانية وخارجها.

أما عن مكتبة منتخبية درسون التى هى الآن مكتبة ولاية ساكسونيا فإنها ترجع إلى المجموعاة الخاصة للمنتخب «أوجست الأول» (١٥٢٦-١٥٨٦) على أنابيرج بالقرب من تورجاو والتى قام خليفته «كريستيان الأول» ١٥٦٠-١٥٩١م بنقلها إلى درسدن. وبالرغم من الفكرة المأخوذة عن حب المنتخبين فى ساكسونيا للفخامة والأبهة إلا أن ظروف هذه المكتبة فى درسدن كانت نموذجية فى كل شيء. وقد كان لها تأثير ضخم على الحياة الفكرية فى مدينة درسدن خلال حكم «فردريك أوجست» القوى ١٦٩٤-١٧٣٣.

وقد حازت مكتبة دوقات برونزويك فى وولفنبوتيل شهرة ومكانة خاصة. ويرجع إنشاء هذه المكتبة إلى الدوق «أوجست الأصغر» ١٥٧٩-١٦٦٦م الذى بدأ فى جمع الكتب حتى قبل ارتقاء العرش فى قلعته المعروفة باسم قلعة هيتزاكر. وكانت معظم كتبه مستوردة من الخارج وكانت نواة للمكتبة التى عرفت فيما بعد باسم «أوجستان»

والتى أُسِسَّت فى وولفنبوتيل سنة ١٦٤٤. أما المكتبة التى أسسها الدوق «جوليوس» ١٥٢٨-١٥٨٩م وعرفت باسم «جوليانا» فقد أدمجت فى مكتبة جامعة هيلمشدت بناء على رغبة ابنه. وقد قام الدوق أوجست نفسه بدور أمين المكتبة وأعد للمكتبة فهرساً موضوعياً مصنفاً. وبناء على تعليماته كانت المكتبة تفتح يوميا لجمهور القراء وقد نمت المجموعات عددياً ونوعياً وغدت أهم مكتبة فى زمانها. وعند وفاة الدوق كانت المجموعات قد وصلت إلى ٢٨٧٠٠٠ مطبوع و ٢٠٠٠ مخطوط.

ومن بين مكتبات دوقات برونزويك مكتبة منتخبية هانوفر التى أسسها الدوق جوهان فردريتش من كالنبيرج - جروبنهاجن (١٦٢٩-١٦٧٩) فى قلعته هيرينهاوزن والتى لم يسمح للجمهور باستخدامها. ومن بين المكتبات المعدودة فى ذلك الوقت والتى حققت شهرتها فى القرن التالى مكتبة الكونت «جورج الأول» التقى ١٥٧٦-١٥٩٦ فى دارمشتات التى هى اليوم مكتبة منطقة هسيان والمكتبة الأكاديمية بها؛ ومكتبة دوقية فيمار التى أُسِسَّت ١٦٩٠ على يد الدوق «فيلهلم إرنست» من ساكس فيمار ١٦٦٢-١٧٢٨؛ ومكتبة جوثا التى أسسها الدوق «إرنست الأول» ١٦٠١-١٦٧٥ من أملاك أسرته وأسلاب حرب الثلاثين عاما؛ ومن المكتبات الهامة أيضا تلك التى أنشأها الكونت «وليام الرابع» (١٥٣٢-١٥٩٢) فى كاسيل سنة ١٥٨٠م.

وبعد انتهاء حرب الثلاثين عاما بدأت مكتبات المدن فى الازدهار التدريجى وذلك بسبب شغف الناس المتزايد بالاكتشافات العلمية الجديدة وخاصة فى العلوم الطبيعية. وإلى جانب المكتبات القديمة فى نورنبرج، هامبورج، لونيبرج، مجدبيرج، أوجزبرج، كونجزبيرج، ظهرت مكتبات جديدة كثيرة مثل مكتبات: زويكاو، دانزج، برسلاو (١٦٤٥)؛ بريمين ١٦٦٠م؛ فرانكفورت أم ماين ١٦٦٨، ليبزج ١٦٧٧م وقد حققت معظم هذه المكتبات أهمية ومكانة كبيرة.

وفى النصف الثانى من القرن السابع عشر دبت حياة جديدة فى مكتبات كنائس البروتستانت ومدارسها والتى صاحبتها حركة «التقوى» (على نحو ما حدث فى مكتبة

ماريان في هالى؛ مكتبة الكاتدرائية في زيتز...). ومع ظهور ما سمى بمدارس السلطة أو الولاية على نحو ما نصادف فى بفورتا، ميسين، جريما. ولابد لنا وأن نلاحظ أن الحياة الفكرية الكاثوليكية كان كلها فى أيدى الجزويت الذين عانت كلياتهم ومكتباتهم معاناة شديدة خلال حرب الثلاثين عاما. ولابد من التركيز على لوائح هذه الطائفة التى نظمت إدارة واستخدام تلك المكتبات.

لقد كانت القاعدة هى وجود ميزانية محددة للمكتبات، ولقد تراجعت إلى الوراء المجموعات الشخصية فى ذلك الوقت. وكان من بين المكتبات الشخصية الهامة مكتبة أسرة والنروث فى كونجزبرج التى فتحت أمام الاستخدام العام سنة ١٦٥٠ وضمت إلى مكتبة جامعة كونجزبرج سنة ١٩٠٩. ومن بين المكتبات الخاصة أيضا مكتبة أسرة ريدجر التى أنشأها «شريف برسلاو توماس ويدجر» ١٥٧٦ والتى أدت إلى إنشاء مكتبة مدينة برسلاو [العامة].

وخلاصة القول أن نمط المكتبة العامة التى تفتح للاستخدام العام والذى أنشأته النهضة الإيطالية، قد ساد فى ألمانيا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولقد اختلفت الإدارة والفهرسة والخدمة من مكتبة إلى أخرى. وكان الافتقار إلى الميزانية الثابتة والمنتظمة فى كل الأنحاء هو العامل الذى جعل التوسع فى تلك المكتبات أمرا مستحيلا، وحتى مشكلة مبنى المكتبة بقيت بلا حل مرضى. وفى منتصف القرن السادس عشر أو حتى مطلع القرن السابع عشر ظهر كثير من البحوث حول شراء الكتب، لوائح المكتبات، تزايد المكتبات، استخدام المكتبات من بينها «المكتبة العالمية» كونراد جزر (١٥١٦-١٥٦٥)؛ «مشروع إنشاء مكتبة» الذى وضعه «جابرييل نوريه» (١٦٠٠-١٦٥٣)؛ «المكتبة الرباعية» الذى وضعه «جوهان هنريتش هوتنجر» (١٦٢٠-١٦٧٧).

ويمكننا أن نكون فكرة واضحة عن مظهر تلك المكتبات من أدب الرحلات ورغم أن بعض الجوانب كان ينظر إليها بطبيعة الحال من وجهة نظر ذاتية إلا أن الانطباع العام مرض إلى حد كبير. واليوميات التى خلفها لنا «زكريا كونراد أوفنباخ» وأخوه

«جوهان فردريتش أرماند أوفنباخ» خلال رحلة مكتبية ١٧٠٩-١٧١١م تعتبر سجلاً هاماً فى هذا الصدد. وقد نحيا باللائمة على الفوضى والاضطراب الموجودين بسبب ضيق المكان. وكان أمناء المكتبات الذين كانت وظيفتهم غالباً متواضعة ـ هم عادة أساتذة جامعات، أو رسميون كنسيون أو علمانيون معينون على تعيين ثانوى. وفى حالة مكتبات البلاطات كانوا من الباحثين العلماء ورجال الفكر الذين يؤدبون أبناء الأمراء ويؤرخون لهم. وكان هذان الأخوان يتحدثان أحياناً عن الفهارس وينقدونها فى المكتبات التى زاروها واعتبرا الفهارس الهجائية ضرورية للمكتبات الكبيرة التى تزداد مجموعاتها بسرعة. ولا يقل امتاعا وأهمية عن تقرير الأخوين أوفنباخ، ذلك التقرير الذى وضعه أستاذ الفيزياء بجامعة كونجزبرج، «كريستيان جابرييل فيشر» عن المكتبات التى زارها ١٧٢٧-١٧٣١م وقد جاء تقريره نقديا أكثر من ملاحظات الأخوين أوفنباخ وإن لم ينشر إلا جزئياً فقط.

ومن حسن الحظ كما لاحظ فيشر أن فتح المكتبات أمام الاستخدام العام قد حقق تقدماً كبيراً وكان أرحم بالمكتبيين فى ملاحظاته من الأخوين أوفنباخ حيث أشاد بمعلوماتهم ومساعدتهم للقراء. وكان من رأيه أن الفهارس كانت ماتزال أقرب إلى قوائم الجرد منها إلى الأدلة الإرشادية، ولذلك فإن الزائر يستطيع أن يحصل على معلومات أكثر لو لجأ إلى الرفوف مباشرة. حتى ولو كان هناك فهرس موضوعى يتمشى مع ترتيب الكتب على الرفوف، وفهرس مؤلف يرتب الكتب حسب المؤلفين. ولقد حدث تقدم فى تنظيم المكتبات ومبانيها عما كان عليه الحال وقت زيارة أوفنباخ وقد لاحظ فيشر تخصيص حجرات كبيرة لتسكين المجموعات الأساسية.

وفيما يتعلق بالفترة الثانية من العصور الحديثة والتى حددناها من ١٧٠٠-١٧٨٩، أى من عصر التنوير حتى الحقبة الكلاسيكية للعلوم الألمانية. فى هذه الفترة توقف مد المكتبات العامة مع مطلع القرن الثامن عشر وربما يعزى ذلك إلى وفرة المكتبات الخاصة الكبيرة وكان بعضها تدور مجموعاته بين ١٠,٠٠٠ و٣٠,٠٠٠ مجلد ولكن من سوء حظنا أنها لم تعمر طويلا وكقرينة عليها فلدينا والعديد من فهارس المزادات التى بيعت فيها تلك المجموعات ونستطيع منها أن نعيد تكوينها وأن يتسرب منها إلا

عدد قليل إلى المكتبات الرسمية. كان أصحاب المكتبات الشخصية غالبا من ذوى المهن الراقية أو الرسميين الحكوميين أو القضاه أو الأطباء... وكان الببليوجرافيون العظماء عبارة عن باحثين ومن حاشية البلاطات والأرستقراطيين. ومن الأمثلة على المكتبات الشخصية الهامة فى تلك الفترة مكتبة الكونت هنريتش فون بوناو فى قلعة نوثنتس التى أعد لها «جوهان مايكل فرانك» (١٧١٧-١٧٧٥م) فهرساً مصنفاً جيداً. وكذلك مكتبة الكونت «هنريتش فون بروهل» فى درسدن وكلتا المكتبتين أصبحتا فيما بعد جزءاً من مكتبة قلعة درسدن. وقد قدم مستشار الحرب فى درسدن «جوهان أوجست فون بونيكا» مكتبة الشخصية إلى مكتبة جامعة ويتنبرج سنة ١٧٨٩. ومن بين مكتبات البلاطات التى تستحق الذكر مكتبة الملك «فردريك الأول» ملك بروسيا الذى كانت لديه ثمانى مكتبات صغيرة فى حقيقة الأمر ولكنها مختارة اختياراً جيدا. وكانت هناك أيضا مكتبة الدوقة «أنّا أماليا» دوقة فيمار والدوقة «مارجرافين فيلهلمين» دوقة بيروت. والحقيقة أننا لا نستطيع وضع حد فاصل بين مكتبات البلاطات والمكتبات الشخصية للشخصيات العامة طالما أنها كانت تمول جزئياً من المال الخاص للأمير وجزئياً من خزانة الدولة.

ولقد قامت مدن كثيرة كبيرة وصغيرة بل وحتى مدن الجامعات بتكوين ما عرف هناك فى تلك الفترة باسم «جمعيات القراءة» ولم تكن مكتباتها فقط لأغراض الترفيه والترويج بل كانت أيضا حتى فى أصغر المكتبات «مكتبات أكاديمية عامة». وكانت مقتنيات تلك الجمعيات من المجلات والجرائد العلمية حتى الأجنبية منها تفوق تلك الموجودة فى مكتبات الجامعات.

وكانت مبانى تلك المكتبات وسهولة استخدام المجموعات جيدة للغاية. لقد عملت هذه المكتبات وبحق فى اتجاه دفع التنوير العام ووضعت أهم دعامة للمكتبات الأكاديمية المتخصصة والمكتبات العامة فى وقت واحد. لقد أُنشِئَت تلك الجمعيات فى القرن الثامن عشر لتشجيع التنوير النظرى والعملى فى المجالات المتخصصة وكان قوام تلك الجمعيات مجموعات مختارة بعناية من الكتب فى مجالاتها المحددة.

وكانت أهم مجموعة متخصصة فى الطب والعلوم الطبيعية هى تلك التى أُنشئَت فى معهد سنكنبرج الطبى فى فرانكفورت أم ماين الذى أسس سنة ١٧٦٣ على يد «جوهان كريستيان سنكنبرج» والذى وهبه بعد ذلك للاستخدام العام ١٩٠٧ وتتألف مجموعاته اليوم فى نهاية قرننا العشرين من ٥٠٠,٠٠٠ مجلد فى العلوم البحتة والتطبيقية. وفى هامبورج أُسِسَّت «المكتبة التجارية» فى سنة ١٧٣٥ لخدمة التجار والتجارة وقبل تدميرها فى الحرب العالمية الثانية كانت تضم ٢٠٠,٠٠٠ مجلد وفى عصر التنوير كان لابد لمكتبات الجزويت من أن تفقد كثيرا من أهميتها وربما فككت تلك المكتبات وضمت إلى مكتبات أخرى. وعلى سبيل المثال فى فرايبورج أُسِسَّت مكتبة الجامعة على أنقاض مجموعات كليات الجزويت المنحلة. وعلى العكس من ذلك مكتبات أديرة الطوائف القديمة وخاصة البندكتيين فى جنوبى ألمانيا، والتى شهدت ازدهاراً كبيراً فى القرن الثامن عشر واجتاحتها طفرة من النشاط العلمى. ومثالنا على ذلك دير سانت بلاسينى الذى كان فى تلك الفترة مركزا لزرع المعرفة غرس العلوم فى ظل الأمير الأب «مارتين جربرت» ١٧٩٣. وفى الفترة محل الدراسة نشأت مكتبات جديدة فى الأديرة على طراز الباروك المعمارى. ومع ذلك فلم تكن خطوط سائر المكتبات الديرية مثل حظ ذلك الدير، فأديرة البروتستانت بعد فترة انتعاش وازدهار بسبب حركة «التقوى» الشهيرة شهدت مكتباتها ومدارسها فترة انهيار تام. وقد تقلصت قيمتها الحقيقية فقط فيما تملكه من مخطوطات ومطبوعات القرنين الخامس عشر والسادس عشر والتى لها قيمة كبيرة للببليوجرافيين. ولم يكن ينقص القرن الثامن عشر حقيقة إلا مكتبات من نوع مكتبة «مؤسسة فرانكى للأيتام» فى هالى التى أُسِسَّت سنة ١٧٠١م والتى كان مبناها له قيمة خاصة فى تاريخ مبانى المكتبات وحيث كانت مخازنها تقوم على أساس الرفوف المخزنية المتعامدة.

ولم تكن للمكتبات الجامعية فى القرن الثامن عشر أهمية كبيرة فقد ظل حجم المجموعات فيها متواضعاً حتى نهاية ذلك القرن وكانت قلة منها فقط هى التى تحرص على اقتناء الكتب الجديدة بانتظام. وحتى سنة ١٧٩٠م كانت رقم ٢٠٠,٠٠٠ مجلد يعتبر رقماً استثنائياً. وكانت غرف تلك المكتبات ضيقة ومهملة. وربما كانت مكتبة

جامعة فيرزبرج هى الوحيدة التى حظيت بمكان واسع صممه ونفذه «بالتهازار نيومان» سنة ١٧٢٤م. وكانت أدوات التزويد وطرقه متواضعة ونادراً ما كانت المكتبات تعتمد عليها. وكان ورود نسخ الإيداع إلى المكتبات ذلك الحق الذى قُنِنَّ لأول مرة سنة ١٦١٥م لصالح مكتبة جامعة ليبزج عملية متقطعة وحيث لم تكن المكتبات تملك قوة تنفيذ القانون. وإلى جانب الإضافات التى كانت ترد من المؤسسات الكنسية المفككة كانت هناك إضافات تأتى من المجموعات الخاصة للباحثين، وعلى سبيل المثال مجموعة مستشار نورنبرج التى قدمها إلى جامعة ألتدروف والتى تستقر اليوم فى إيرلانجن؛ ومكتبة البارون «ريناتوس كارل فون سنكنبرج» التى ذهبت إلى جيسين؛ ومجموعات البروفيسور «كريستيان فيلهلهم بوتنر» التى ذهبت إلى جامعة ينا ١٨٧٣ بعد أن اشتراها لها الدوق «كارل أوجست» من فيمار. وكانت الإفادة من مكتبات الجامعات سيئة وخاصة فى الشمال البروتستانتى على العكس من الكاثوليك الذين أتاحوا مكتباتهم للجميع قدر الإمكان، وعلى سبيل المثال كانت مكتبة جامعة فيرزبرج تفتح أبوابها لمدة ٣٥ ساعة أسبوعيا فى تاريخ مبكر من إنشائها سنة ١٧٢٩م.

بينما مكتبة جامعة جيسين لم تكن تفتح أبوابها للطلاب إلا أيام الأحد وبعد الظهر فقط. وطوال شتاء عشر سنوات كانت مكتبة جامعة ماربورج تغلق أبوابها أمام المستفيدين عموما بسبب عدم وجود تدفئة شتوية فى المكتبة. وفى ليبزج كان الطلاب مستبعدين من استخدام المكتبة سنة ١٧١١م. وعلى الجانب الآخر كانت مكتبات البروتستانت أكثر سخاء فى إعارة الكتب خارجها وكان ذلك متاحاً أيضا للطلاب بتوصية من أحد الأساتذة. وكان مديروا المكتبات الجامعية عادة هم من أساتذة الفلسفة الذين يقومون بهذا العمل كعمل إضافى وكان يساعدهم فى حالة فتح المكتبات لساعات طويلة أو حالات الاستعمال المكثف المدرسون الشبان المؤهلون لهذا النشاط. والقلة القليلة من أمناء المكتبات المتفرعين للعمل ولم يأتوا من صفوف الأساتذة مثل جوهان كارل داهنرت ١٧٤٧-١٧٨٥م فى جامعة جريفزفالد الذى أعد ونشر الفهرس الموضوعى الهجائى ١٧٧٦/٧٧٥م لمكتبة دافيد رويس ١٧٥٠-١٨٣٧م فى جامعة توبنجن هذه القلة المجتهدة لم تكن لتغير صورة أمناء المكتبات الجامعية فى تلك الفترة.

على الجانب الآخر فى الجامعات الجديدة التى نشأت فى القرن الثامن عشر: إيرلانجن ١٧٤٣، فرايبورج ١٧٧٣، جوتنجن ١٧٣٧م نجد أن مكتبة جامعة جوتنجن هى الوحيدة التى نشأت مع الجامعة واحتلت المكانة الأولى فيها وربما كان ذلك بفضل الوزير الأول فى هانوفر وهو «جيرلاخ أدولف بارون فون منشهاوزن» (١٦٨٨-١٧٧٠). وكان ربطها بالجمعية الملكية للعلوم التى أُسِسَّت ١٧٥٢ وكذلك كان لنشرها مجلتها (مجلة المعرفة) ذا أثر عظيم فى تحقيق امتيازات عديدة لها. وفى ظل القيادة الرشيدة لـ«منشهاوزن» الذى كان فى نفس الوقت أول مدير للجامعة تعاقب على إدارة مكتبة الجامعة اثنان من أساتذة الفلسفة القديمة كانا من بين مؤسسى حركة الإنسية الجديدة وهما «جوهان ما يتاس جزز» (١٧٣٦-١٧٦١) و «كريستيان جوتلوب هاين» (١٧٦٣-١٨١٢). وكانت المظاهر الآتية من بين العوامل التى أضفت على مكتبة جامعة جوتنجن أهمية خاصة: ميزانية دائمة ومنتظمة للتزويد المنهجى بكل المطبوعات الجديدة؛ الشراء المخطط من المزادات وباعة الكتب القديمة؛ لوائح مرنة تساعد على أقصى استعمال للمجموعات أكدت على فتح المكتبة وإعارة الكتب يومياً للطلاب؛ فهرسة نموذجية من خلال فهرس هجائى لكامل المجموعات إلى جانب فهرس رسمى جيد للعاملين توفر على إعداده جورج ماتياى أمين المكتبة. وكان هناك ربط وثيق بين المداخل فى الفهارس والكتب على الرفوف من خلال رمز قصير بين الاثنين مما أسفر عن مرونة فائقة فى انسياب الكتب ويعزى هذا الفضل إلى أمين المكتبة «جيرمياس ديفيد رويس» سنة ١٨٣٧ وهو الذى وفد من كوبنجن سنة ١٧٨٢. وفى نحو سنة ١٨٠٠م كانت مجموعات مكتبة جامعة جوتنجن قد بلغت ١٨٠,٠٠٠ مجلد وكانت أهم مكتبات أوروبا على الإطلاق فى الكتب الحديثة بالذات وكان لها تأثير كبير فى العقود التالية على المكتبات الأخرى وخاصة فى قواعد استعمال المقتنيات.

وكانت مكتبات البلاطات فى تلك الفترة ماتزال أهم المكتبات على الإطلاق رغم أنها كانت تحتاج إلى شوط طويل حتى تتخلص من صفة المكتبة الشخصية وتكتسب صفة المكتبة الرسمية الخالصة. وكانت بما تقتنيه من نفائس وذخائر قديمة وتميزها

باقتناء المجموعات الكاملة وبما لها من خصوصية قد جنحت نحو الحفظ أكثر من الإتاحة. ولنا هنا فى مقام تحليل تطور تلك المكتبات فقد غلقتها ظروف الازدهار والانكماش الدائمة وكانت تحكمها الأعم الأغلب دوافع كل أمير وميوله إن كانت علمية أو مظهرية؛ وكذلك شخصية أمين المكتبة العامل فيها. والحقيقة أن إحدى صفحات الفخار فى تاريخ هذه المكتبات هو ربطها فى بعض الحالات بقادة التنوير والإنسية ـ الجديدة فقد عمل فى تلك المكتبات أمناء مثل «جوتفريد فيلهلم ليبنتز» ١٦٤٦-١٧١٦ الذى عمل أمينا لمكتبة هانوفر من ١٦٧٦ فصاعدا وعين فى وظيفة شرفية فى مكتبة وولفنبوتيل سنة ١٦٩٠م ومن بينهم أيضا «جوتهولد إفراييم ليسنج» الذى عمل أمينا لمكتبة وولفنبوتل ١٧٧٠-١٧٨١م. وكان كل منهما يعى تفاصيل العمل المكتبى ويجيده؛ وكان «ليبنتز» بالذات يصر على وجود ميزانية ثابتة ودائمة وفهرسة دقيقة واعية وساعات فتح وتشغيل طويلة ممتدة.

ومن الشخصيات الأخرى التى لابد وأن تذكر هنا «أندرياس فيلكس فون أوفيل» ١٧٤٦-١٧٧٨م أمين مكتبة البلاط فى ميونيخ الذى أعطى اهتماماً بالغاً بفهارس الكتب المطبوعة والمخطوطة فى تلك المكتبة؛ وكذلك جوهان مايكل فرانكى فى مكتبة بلاط درسدن الذى صنف الكتب طبقاً لنظام موضوعى ـ جغرافى من وضعه هو، ومن ثم كانت أحسن المكتبات تصنيفاً فى زمانها رغم عدم وجود فهرس لها آنذاك وهو الفهرس الذى أعده فيما بعد «جوهان كريستوف أديلونج» ١٧٣٢-١٨٠٦م.

ولقد اعترى النظم الداخلى لقاعات المكتبة فى القرن الثامن عشر تغيير واضح فباستثناء قاعات الباروك الشهيرة فى مكتبات الأديرة فى جنوبى ألمانيا كانت مكتبات البلاطات هى البادئة بنبذ نظام المقارئ الشهير فى العصور الوسطى وأحلت محله طراز «السالبوت» أي المبانى ذات الصالات الكبيرة التى كانت محورها صالة ضخمة تعتبر فى وقت واحد مكتبة وقاعة عمل. وكان أول نموذج من هذه المكتبات مكتبة الدوقية فى وولفنبوتيل التى بنيت فى ١٧٠٦-١٧١١.

وفى سنة ١٧٧٤ تم تشييد بناء جديد للمكتبة الملكية فى برلين وضع تصحيحه المهندس «فيشر فى إيرلاخ» وقد اشتهر هذا التصميم باسم الكوموود أى ردع الأدراج وقد

استمرت المكتبة فى هذا المبنى طيلة ١٣٠ سنة. وكان حل مشكلات الحيز يتم عن طريق توفير قاعات جديدة أو نقل المكتبة إلى مكان أرحب؛ وعلى سبيل المثال نقلت مكتبة «درسدن» إلى «القصر اليابانى» سنة ١٧٧٦ ونقلت مكتبة «فيمار» إلى جرون ـ شلوس. والمكتبة التى أسسها الدوق «كارل يوجين» فى قلعة لودفيجزبرج نقلت إلى شتوتجارت سنة ١٧٧٦ ووضعت هناك للاستخدام العام. وكانت مكتبة بلاط دار مشتات تفتح فى بادى الأمر سنة ١٧٧٨ فقط لموظفى البلاط ولكنها بعد ذلك فتحت للاستخدام العام. وكانت مكتبة البلاط فى مانهايم والتى أسسها ١٧٥٦م المنتخب «كارل ثيودور» قد حققت ازدهاراً ونمواً غير عادى بحيث بلغت مجموعاتها ١٠٠,٠٠٠ مجلد ومع ذلك فقط تم إدماجها فى مكتبة بلاط ميونيخ سنة ١٨٠٤م.

وإذا ولينا وجهنا شطر الفترة الثالثة من العصور الحديثة وهى الواقعة بين الثورة الفرنسية والحرب الألمانية الفرانكية أى ١٧٨٩-١٨٧٠م سوف نجد أن الغزوات التى شنتها جيوش الثورة الفرنسية ونابليون على ألمانيا قد تسببت فى تدمير العديد من المكتبات الألمانية؛ وقد أعقب الجيوش الفرنسية موظفو الحكومة الفرنسية الذين نهبوا ما وصلت إليه أيديهم من مخطوطات ومطبوعات ثمينة نادرة وحملوها إلى فرنسا. وفى بعض الأحيان كان يحدوهم فى عملية السلب والنهب قوائم تعد لهم سلفًا بما يجب أن ينهبوه ويحضروه. والمكتبات التى تضررت بصفة خاصة من هذه العملية هى تلك التى كانت قائمة على الضفة اليسرى لنهر الراين مثل ماينز، ترير، ميتز، كولون... وخارج منطقة الراين نجد نورنبرج بصفة خاصة وفى شمالى ألمانيا نجد وولفنبوتيل من المناطق التى تعرضت للنهب الشديد. ولقد أنقذ الإخلاء السريع بعض المقتنيات من أيدى الفرنسيين ولكن عملية الإخلاء أيضا تسببت فى أضرار جسيمة لها. ورغم أن اتفاقية السلام فى فيينا سنة ١٨١٥م كانت تنص على إعادة المواد المسروقة إلا أن ذلك النص لم ينفذ إلا جزئياً فقط مما أتاح لمكتبة مثل وولفنبوتيل استرداد جزء كبير من مخطوطاتها. وأهم من ذلك فإن ثمانية وثلاثين من المخطوطات المكتوبة بالألمانية القديمة والتى أخذت من مكتبة بالاتينا فى هايدلبرج وحملت إلى روما خلال حرب الثلاثين عاماً ومنها تسربت إلى باريس خلال حكم نابليون، قد أمكن استردادها بمقتضى ذلك الاتفاق.

كذلك أمكن استرجاع ٨٤٧ مخطوطة أُخذت من مكتبة بالاتينا وأعيدت إلى هايدلبرج سنة ١٨١٦م على يد البابا فى روما واعترافا بفضل ملك بروسيا.

لقد حدثت تغيرات ضخمة سنة ١٨٠٣ من جراء القرار الإمبراطورى القاضى بتعويض الأمراء الألمان فى المقاطعات الواقعة على الضفة اليسرى من نهر الراين والتى أعطيت إلى فرنسا بمقتضى معاهدة لونيفيل سنة ١٨٠١م بمقاطعات أخرى على الضفة اليمنى من النهر. وقد أدى ذلك إلى تفكيك الممتلكات والمدن والمحليات والأديرة والموسسات الدينية التى كانت موضوعات لقرار الإمبراطور ووضعت تحت أمرة الأمراء الجدد. ومن هذا المنطلق أصبح العديد من المكتبات ملكاً للأمراء الجدد وفى حالات قليلة ملكا للمدن، بل وتم بيع الكثير من الكتب كورق دشت كما بددت عشرات الآلاف منها شذر مذر. وفى بافاريا وبادن و فيرتمبرج كانت عملية العلمنة تتم على نطاق واسع جدا وبهذه الطريقة استقرت كميات ضخمة من كنوز وذخائر مكتبات الأديرة فى مكتبة بلاط ميونيخ والتى جاءت بهذه الطريقة فى حوزتها مجموعة نادرة وفريدة من المخططوات وأوائل المطبوعات. كما تلقت مكتبات برسلفاو، دار مشتات، كارلسرو، شتوتجارت وغيرها من المكتبات نصيبها من مخطوطات ومطبوعات الأديرة والمؤسسات الدينية من خلال عملية العلمنة هذه. ولم ينج من عملية العلمنة هذه إلا بعض مكتبات الأمراء التى ظلت فى أيدى أصحابها. وكان من ضرورات عملية التحول والنقل هذه إنشاء مستودعات إقليمية للكتب، تطورت هذه المستودعات فى بروسيا وبافاريا لتصبح مكتبات المقاطعات أو مكتبات النواحى وإن لم تحقق إلا قلة منها نوعا من الأهمية والتميز على نحو ما حدث فى مكتبة مدينة وناحية أوجزبرج. وحدث نفس الشيء فى مكتبات نواحى باساو، ريجنزبرج، إنجشتات وكما حدث فى مكتبات أرض دوسلدورف و فسبادن. ومن الظواهر الملفتة للنظر أن المدن لم تُبد اهتماماً كبيراً بإنشاء مكتبات بها.

وبعد حروب الاستقلال حدث تقدم ملحوظ فى المكتبات الألمانية: مكتبات الولايات الكبيرة والصغيرة، مكتبات المقاطعات والمدن، وقبل كل أولئك مكتبات الجامعات التى عملت جميعا كمكتبات أكاديمية للاستخدام العام، ومن هذا المنطلق

الجديد دخلت تلك المكتبات فى عملية إعادة تنظيم شاملة. وكانت مكتبة جامعة جوتنجن هى النموذج الحى على الاتجاه الجديد وقد تبعتها فى ذلك مكتبة جامعة ميونيخ ثم المكتبة الملكية فى برلين التى لم تتقدم إلى موقع الصدارة إلا فى نهاية القرن. وقد أدت ميزانيات التزويد الثابتة والمنتظمة وقوانين الإيداع المتابعة (١٨١٧ فيرتمبرج، ١٨٢٤ المقاطعات البروسية، ١٨٣٦ هييش، ١٨٦٥ بافاريا) وتبادل وبيع النسخ المكررة، أدت جميعا إلى زيادة واضحة فى مجموعات المكتبات. ومن الملاحظ أن التبرعات المالية للمكتبات فى تلك الفترة لم تكن سخية ومع ذلك استطاعت المكتبات أن تنمو أساساً من خلال الشراء. ونتيجة لهذا كله كان نمو المجموعات سريعا مما تسبب فى بعض الحالات فى مشاكل التسكين والحيز.

ولقد كانت الولايات سخية فى الاهتمام بمكتبات الجامعات، وقد تواكب ذلك مع ازدهار الجامعات والتحامها بالمجتمع. وفى تلك الفترة تم حل عدد من الجامعات الصغيرة وضمت مكتباتها إلى أقرب جامعة كبيرة على نحو ما حدث مع: ترير ١٧٩٨، كولون مباشرة بعد ١٨٠٠، رينتيلن ١٨٠٩، هيلمشدت و فرانكفورت أودر ١٨١٠، إيرفورت ١٨١٦، فيتنبرج و هيربورن ١٨١٧، دويسبرج ١٨١٨. وكانت الجامعات البروسية الثلاث الجديدة التى أنشئت فى برلين، بون، برسلاو قد أُنشِئَت معها مكتبات جيدة. وكانت المكتبات الجامعية فى هذه الفترة تُدار أيضا بواسطة أساتذة يعملون بها كوقت إضافى وقد قام بعضهم بإنجازات استثنائية نذكر منهم: «فردريتش ريتشيل» فى بون (١٨٥٤-١٨٦٥) و «روبرت موهل» فى توبنجن ١٨٣٦-١٨٤٤. كذلك فإن بعض أمناء المكتبات المتفرغين قد أدوا خدمات جليلة لمكتباتهم الجامعية منهم: «فردريتش أدولف إيبرت» فى وولفنبوتيل ١٨٢٣-١٨٢٥ وفى مكتبة بلاط درسدن ١٨٢٥-١٨٣٤؛ وكذلك «مارتين شريتنجر» فى مكتبة بلاط ميونيخ ١٨٠٢-١٨٥١. وفيما يتعلق بالفهارس فقد ساد نظام فهرسة جوتنجن (الفهرس المصنف الهجائى المتوافق مع ترتيب الكتب على الرفوف) فى شمال ألمانيا؛ بينما فى جنوبى ألمانيا ساد نظام الترتيب الموسوعى الواسع الذى وضعه «شريتنجر» فى مكتبة بلاط ميونيخ.

وقد حظيت فهرسة المخطوطات وأوائل المطبوعات باهتمام خاص فى كل مكان، على نحو ما نصادفه فى الفهرس الذى أعده فى ميونيخ «جوهان أندرياس شميللر» ١٨٥٢م، والفهرس الهجائى الشامل للمكتبة الملكية فى برلين الذى قام به «فيليب بوتمان» ١٨١١-١٨٣٧؛ وفهرس برلين المصنف الذى بدأه «جوليوس شريدر» سنة ١٨٤٢؛ ونظام الفهرس الموضوعى الذى ابتدعه «أندرياس شيليير مارشيه» لمكتبة دوقية دار مشتات الكبرى ١٧٨٧-١٨٥٨؛ والنظام الفرانكى الذى وضعه «إيبرت» فى درسدن، وغير ذلك من التطورات التى حدثت فى مجال الفهرسة والفهارس الألمانية.

وفى مطلع القرن التاسع عشر بدأ ظهور المكتبات الشعبية أو المكتبات الحرة وقد طالب بإنشائها جنريش ستيفانى منذ سنة ١٧٩٧م وكان يسميها «مؤسسات القراءة الحرة». وفى سنة ١٨٢٨ قام وزير خزانة ساكسونيا «كارل بريسكر» بإنشاء مكتبة مدينة جروسينهين وقد قصد بها أن تكون مركزاً للتعليم الشعبى. وقد قام المؤرخ «فريدريش» فون رومر بتقديم وقف فى سنة ١٨٥٠م لبناء أول مكتبة شعبية فى برلين وكان قد زار الولايات المتحدة سنة ١٨٤١م وحيز مكتباتها العامة التى سماها المكتبات التعليمية.

فى نهاية هذه الفترة بدأ أيضا ظهور المكتبات المتخصصة وذلك لمواكبة اتجاه ألمانيا نحو العلوم والتكنولوجيا ففى القرن التاسع عشر أدى التقدم العلمى إلى إنشاء عدد من الأكاديميات التجارية، التعدينية، الهندسية والتى ربما تحولت فيها إلى جامعات تكنولوجية. ومن بين تلك الأكاديميات برونزويك ١٧٤٥-١٨٧٧، برلين - شارلوتنبرج ١٧٩٩، كارلسرو ١٨٢٥، درسدن ١٨٢٨، شتوتجارت ١٨٢٩، هانوفر ١٨٣٢، دار مشتات ١٨٣٦، آخن ١٨٧٠، جدانسك ١٩٠٤، وبركلاو ١٩١٠. وهذه جميعا كانت لها مكتبات متخصصة كل فى مجال اهتمامها. ومن بين المكتبات المتخصصة فى الإدارات الحكومية والتى ظهرت فى تلك الفترة: مكتبة مكتب الشئون الخارجية فى برلين (١٧٩٨)؛ مكتبة المتحف الوطنى الجرمانى التى أنشئت فى نورنبدج ١٨٥٢ والتى تخصصت فى جمع كتب التاريخ والحضارة الجرمانية. كذلك من المكتبات الهامة نصادف مكتبة الرانج التى أسست سنة ١٨٤٨ من خلال هدايا

تطوعية من جانب الناشرين الألمان وبدعوة من «هنريتش فيلهلم هان» والتى لم تتطور تطوراً هاماً بعد ذلك واستقر بها المقام فى دار الكتب الألمانية فى ليبزج. وفى القرن التاسع عشر قامت عدة شركات برعاية وتمويل إنشاء مراكز معلومات لتسهيل الحصول على المعلومات اللازمة للصناعة والتكنولوجيا على نحو ما نصادفه فى مكتبة كيويل في ليفركوستين. كما أن الجمعيات العلمية والنوادى توفرت فى كثير من الأحيان على إنشاء مكتبات متخصصة. كذلك أُنشِئَت المكتبات فى العديد من الأكاديميات التى أشرت إلى ظهورها ومن بينها أكاديمية الزراعة فى هوهينهايم، أكاديمية الغابات فى هانوفرش ـ مندن، أكاديمية الطب البيطرى فى هانوفر؛ أكاديمية التجارة فى كولون. كذلك قامت مؤسسات مثل معهد الاقتصادى الدولى فى كييل؛ المحكمة العليا للرانج الألمانى فى برلين؛ الأثر الجرمانى التاريخى فى ميونيخ بتطوير مكتبات متخصصة لها قيمة عالية.

وعندما ننتقل إلى الفترة الرابعة من العصور الحديثة الألمانية وهى الواقعة بين قيام الإمبراطورية الألمانية وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية أى من ١٨٧١ وحتى ١٩٤٥ وهى ثلاثة أرباع القرن، سوف نجد أن مسئولية المكتبات العامة تقع على عاتق الحكم المحلى فى الولايات والبلديات وكانت نتيجة ذلك هو الاختلاف الشديد فى شبكات المكتبات العامة ومنظوماتها وتشتت المجموعات وتباين التبعيات والإجراءات والخدمات. ولم تكن هناك فى يوم من الأيام لألمانيا كما سنرى مكتبة وطنية بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح. ومع ذلك فقد كان هناك فى نهاية القرن التاسع عشر اتجاه نحو التوطيد والتعاون والتنسيق وخاصة فى مجالات تأهيل المكتبيين ونظم الفهرسة والتصنيف وطرق الاستخدام والإتاحة وقد قادت هذا الاتجاه مكتبة برلين الملكية ـ مكتبة الدولة فى بروسيا فيما بعد (١٩١٩) ـ وخاصة فى عهد مديرها الهمام «أوجست وليامز» ١٨٨٦-١٩٠٥م وكذلك المدير «أدولف فون هارناك» ١٩٠٦-١٩٢١، المدير «فرتيز ميلكا» و ١٩٢١-١٩٢٦، المدير «هوجو أندريس كروس» ١٩٢٦-١٩٤٥. أما مكتبة بلاط ميونيخ فقد تطورت بهدوء شديد إلى مكتبة بحث وحتى الحرب العالمية الأولى لم تكن قد تقدمت إلى موقع الصدارة فى منظومة

المكتبات فى بافاريا حتى عهد مديرها «هانز شنور فون كارولزفيلد» ١٩٠٩-١٩٢٩. ومنذ إنشاء اتحاد المكتبات الألمانية سنة ١٩٠٠م وهو يسعى حثيثا نحو التوحيد والتعاون والتنسيق بين المكتبات الألمانية. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت دوريات المكتبات فى الصدور فبدأت «سيرابيوم» التى يحررها مدير مكتبة مدينة ليبزج روبرت نومان ١٨٤٠-١٨٧٠؛ ومجلة شئون المكتبات التى يحررها الببليوجرافى القدير «جوليوس بتزهولدت» ١٨٤٠-١٨٨٦؛ ومجلة أعمال المكتبات التى أصدرها منذ ١٨٨٤م أوتوهارتوج والتى غدت أهم مجلات المكتبات هناك.

وإلى جانب الأنواع المختلفة من المكتبات والتى وصلتنا عبر الفترات الثلاث السابقة جدت فى فترتنا الرابعة هذه أنواع جديدة من المكتبات وهى أساسًا المكتبات المتخصصة والمكتبات العامة أو الشعبية أو الحرة أيا كانت التسمية. كذلك يعتبر إنشاء «دار الكتب الألمانية» ١٩١٢ فى ليبزج حدث له أهميته الخاصة.

كذلك فإن الاتجاه نحو المكتبة الحديثة فى ألمانيا لم يكن ممكنا دون ظهور «أمين المكتبة المهنى» كمدير للمكتبات. وكان أنطون كليت مؤلف كتاب «استقلال مهنة المكتبات» هو أول مدير مهنى لمكتبة جامعة يينا ١٨٧٠م. وفى بروسيا كان أول مكتبى متخصص هو «كارل دزدياكو» الذى عمل مديراً لمكتبة جامعة برسلاو ١٨٧٢-١٨٨٦م وبعدها خلف «أوجست ويلمانز» فى جوتنجن الذى كان قد عُيِّنَ فى نفس سنة ١٨٨٦م مديراً للمكتبة الملكية فى برلين. وكان «أوتوهارتوج» مدير مكتبة جامعة هالى منذ ١٨٧٦م، «وفردريتش ألتهوف» المكتبى المهنى كان مستشاراً لوزارة التعليم العام ثم وزيراً لها ١٨٨٢-١٩٠٢ وهؤلاء جميعا كانوا الدعاة الحقيقيين لتطوير مكتبات بروسيا. وكانت الإصلاحات التى دعوا إليها هى الإعداد المهنى لأمناء المكتبات وإنشاء (مجلس شئون المكتبات) فى بروسيا.

ولقد كافح «فردريتش ألتهوف» كفاح الأبطال من أجل إنشاء نظام وطنى للمعلومات فى ألمانيا وعمل طويلا فى هذا الاتجاه فقد أصدر فى سنة ١٨٨٨م قراراً بضرورة نشر قوائم ببليوجرافية مفصلة لكل الكتب الجديدة التى تزود بها المكتبة الملكية فى برلين. وفى سنة ١٨٩٩ أصدر «قواعد الفهرسة البروسية» المعروفة باسم

«التعاليم البروسية» التى نصت على ضرورة اتباع القواعد الخاصة بفهرس المؤلف والعنوان فى جميع المكتبات الجامعية فى بروسيا. وبعد تقنين قواعد الوصف على ذلك النحو غدا من السهل إعداد الببليوجرافيات التى تحصر وتسجل وتصنف الإنتاج الفكرى المقتنى فى المكتبات. وعلى سبيل المثال بدأ فى المكتبة الملكية فى برلين سنة ١٩٠٣ إعداد الفهرس الموحد للمكتبات البروسية ولكن العمل فيه سار بطيئاً ولم يبدأ طبع ذلك الفهرس إلا ابتداء من سنة ١٩٣١. وقد تضمن الفهرس مقتنيات مائة مكتبة ألمانية ونمساوية. ورغم أن المستهدف كان طبع ٢٠٠ مجلد من هذا الفهرس إلا أن الطبع توقف عند المجلد الرابع عشر بسبب الحرب العالمية الثانية. وكان «ألتهوف» قد اقترح أيضا فى مطلع القرن العشرين أن تقوم المكتبة الملكية فى برلين بإعداد قائمة موحدة بأوائل المطبوعات ولم تبدأ طباعة تلك القائمة قبل ١٩٢٥. كما ساعد «ألتهوف» فى إقامة مجلس استشارى للمكتبات فى بروسيا.

لقد تعطلت مسيرة المكتبة الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م وما أعقب ذلك من التضخم وانحطاط قيمة العملة وتعطل استيراد الكتب والدوريات الأجنبية أو كاد، ولم ينقذ الموقف قليلا إلا «اتحاد طوارئ الباحثين الألمان» الذى أدى إلى إيجاد نظام «الإعارة البينية» سنة ١٩٢٤ كما أدى إلى التركيز على التخطيط الاقتصادى فى المكتبات. وبعد ١٩٣٣ بذلت جهود مضنية لتحقيق الإدارة الموحدة الوطنية للمكتبات، وفى سنة ١٩٣٦م أنشئ المجلس الوطنى، وصدر فى سنة ١٩٣٨ قرار لتوحيد القواعد الخاصة بالإعداد المهنى للعاملين فى المكتبات وكذلك لاختبارات التعيين في الوظائف العليا. وفى سنة ١٩٤٠ صدر قرار شبيه لاختبارات التعيين فى الوظائف المتوسطة. وقد تم تداول بعض الثغرات القائمة فى قوانين الإيداع فى تلك القوانين الجديدة: هامبورج ١٩٣٤، ثورنجيا ١٩٣٦، بادن ١٩٣٦، ساكسونيا ١٩٣٨.

ولقد كانت الحرب العالمية الثانية مدمرة تماما لنظم المكتبات الألمانية سواء بالنسبة للمقتنيات أو المبانى ولم يتم إخلاء وإنقاذ سوى القليل. ولقد ألقت هذه الحرب بأعباء جديدة وعقبات لا حد لها أمام إعادة البناء وتعويض المقتنيات وخاصة الإنتاج الفكرى الأجنبى وإعادة العلاقات مع المكتبات الأجنبية وإعادة تنظيم الصفوف.

من المشروعات المكتبية الفذة التى يجب أن تذكر هنا والتى جاءت على المستوى الوطنى فى ألمانيا تأسيس «اتحاد التبادل الأكاديمى» سنة ١٨١٧م والذى أدى فى سنة ١٩١٣م إلى تبادل عام لكل المطبوعات الجامعية. وكان أداة ضبط هذا التبادل هو «السجل السنوى للمطبوعات الجامعية» منذ عام ١٨٨٥ والذى تولته منذ ١٩٣٧ دار الكتب الألمانية فى برلين. كذلك تعتبر «التعليمات البروسية» فى الفهرسة والتى سبق ذكرها والتى تم تطبيقها فى معظم المكتبات الألمانية منذ ١٨٩٩ وكذلك ما نتج من مشروع «بطاقات برلين المطبوعة» الذى بدأ سنة ١٨٩٢ من المشروعات الوطنية الهامة التى أفادت منها المكتبة الألمانية كثيراً. وقد سبق أن أشرت إلى «الفهرس الموحد للمكتبات البروسية» الذى بدأ سنة ١٩٠٣ ولم يطبع إلا فى سنة ١٩٣١ وكان قد تم توسيعه ليصبح «الفهرس الألمانى الموحد» سنة ١٩٣٥ ولكن نتيجة الحرب لم يتقدم طبعه لما بعد المجلد الرابع عشر. من المشروعات الهامة على النطاق الوطنى أيضا «الفهرس الشهرى للمطبوعات الحكومية» الذى تولته «دار الكتب الألمانية» منذ ١٩٢٨ ودهمته الحرب أيضا.

وعلى المستوى الدورى تم إتفاق بين ألمانيا وفرنسا على تبادل الرسائل الجامعية منذ ١٨٨١م وقد تبعته اتفاقات أخرى مع دول مختلفة. وفى سنة ١٩٠٤ شكلت «اللجنة البروسية للفهرس الموحد بأوائل المطبوعات» والتى كان مقرها فى المكتبة الملكية فى برلين وقد نشرت أول مجلد من ذلك الفهرس سنة ١٩٢٥. وعندما أُسسَّ الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها سنة ١٩٢٧ أصبح اتحاد المكتبات الألمانية عضوا مؤسِساً فيه.

فى الفترة التى نحن بصددها حدث تحول فى مبانى المكتبات الألمانية ونبذ طراز «السالبوت» الذى صادفناه من قبل وغدت المبانى أكثر واقعية ووظيفية. وقد غدا الطراز الجديد يفصل ما بين قاعات الاطلاع ومخازن الكتب وأصبح تخطيط المبنى وتنظيمه أكثر بساطة. واستخدم الصليب فى التجهيزات الداخلية: رفوف، سلالم، أسطح وأسقف. وقد بدأ الطراز الجديد فى المبانى المكتبية ١٨٧٥ فى كارلسرو ورزوستك ثم انتشر هذا الطراز بعد ذلك فى مناطق عديدة من بروسيا:

هالى ١٨٧٨-١٨٨٠؛ جريفزفالد ١٨٨٠-١٨٨٢، كييل ١٨٨١-١٨٨٣، جوتنجر

إيرفيترونجزيا و ١٨٧٨-١٨٨٣، ماربورج ١٨٩٧. ومن بين المكتبات التى ماتزال فى مبناها من هذا الطراز حتى الآن مكتبة البلاط فى ميونيخ؛ المبنى الجديد للمكتبة الملكية فى برلين ١٩١٤؛ مكتبة جامعة توبنجن ١٩٢١. ومما يجدر ذكره أن ثمانى عشرة مكتبة من أصل أربع وعشرين مكتبة جامعية فى ألمانيا قد أنشئت لها مبانى جديدة قبل الحرب العالمية الثانية. ونتيجة للاتجاه نحو المكتبات المخزنية كان لابد من إنشاء قاعات مطالعة منفصلة وكانت هذه القاعات عادة مركزية دائرية تحيط بها المخازن وقد بدأ ذلك فى برلين محاكاة للنمط الإنجليزى المقبى. ولكن بسبب التأثير الأمريكى اتجهت بعض المكتبات الألمانية نحو قاعات المطالعة ذات الأسقف المنخفضة المستوية على نحو ما نجده فى دار الكتب الألمانية فى ليبزج ١٩١٦ وتوبنجن؛ وأصبحت قاعات المطالعة مستطيلة وليست دائرية وأصبح هناك قاعة مراجع توضع فيها المراجع بعيدا عن المخازن على نحو ما قدمه دزدياكو ١٨١٩، وقد قلدتها ميونيخ ١٨٤٠، ثم جوتنجن سنة ١٨٧٨ ثم انتشر هذا التقليد بعد ١٩٠٠ فى كل ألمانيا. وحتى الحرب العالمية الثانية كان تطور مبانى المكتبات يتجه نحو «المكتبة ثلاثية الأجزاء» والتى تفصل بين: الكتب، الاستخدام، الإدارة.

ومن التطورات التى وقعت فى تلك الفترة الاتجاه نحو «الإعداد المهنى» المنظم للعاملين فى المكتبات وكذلك تنظيم اختبارات التعيين فى وظائف المكتبات على ما أسلفت. والوضع الآن فيما يتعلق بالإعداد المهنى اختلف من مكان إلى مكان. ففى سنة ١٨٩٣م أدخلت بروسيا نوعاً من الإعداد المهنى داخل المكتبات (التلمذة المهنية)، وفى سنة ١٩٢٨م أنشئ فى برلين (معهد علم المكتبات)؛ وفى ١٩٠٩ كان هناك دبلوم مهنى غير أكاديمى يؤدى إلى «ترخيص مزاولة المهنة». وفى بافاريا وسكسونيا نجد نفس نظام التلمذة المهنية أى الإعداد المهنى داخل المكتبات على نحو ما هو موجود فى بروسيا.

فى هذه الفترة أيضا تحسن وضع عملية التزويد امتداداً للفترة السابقة، حيث غدت هناك ميزانية ثابتة ومنتظمة واختيار واعد للمواد وتعيين أخصائى موضوعات فى المكتبات الكبيرة.

وغدا هناك أيضا تطبيق أكثر حسما لقوانين الإيداع. وأصبحت دار الكتب الألمانية المستودع المركزى للإنتاج الفكرى الوطنى وحيث كان الناشرون الألمان يقدمون إنتاجهم طواعية حتى الراجع منه إلى تلك المكتبة منذ ١٩١٢، ولكن بعد ١٩٤٠ عن طريق الإيداع القانونى الرسمى. وقد تحسن تبادل المطبوعات كثيراً سواء الداخلى أو الدولى بعد إنشاء مركز التبادل الوطنى سنة ١٩٢٦؛ والذى نقل مقره إلى مكتبة الولاية فى بروسيا. وكان ترتيب الكتب و مايزال يتفاوت من منطقة إلى أخرى ففى بروسيا يسود الترتيب المصنف بينما فى جنوبى ألمانيا يسود نظام التجميعات الموضوعية. والدخول إلى المكتبات المخزنية مقصور على جماعات محددة من المستفيدين.

وقد أدى الفصل الحاد بين المستفيد والوصول المباشر إلى المجموعات، إلى ضرورة تحسين الفهارس لأنها ساعتئذ الأداة الرئيسية ـ للتعرف على المجموعات. ومن هنا وضعت قواعد الفهارس الهجائية وتم توحيدها طبقا للقواعد التى وضعها «زدياكو» فى برسلاو ١٨٨٤ وطبقا للتعليمات البروسية ١٨٩٩. أما المكتبات التى سارت على قواعد من صنعها هى فنذكر منها ميونيخ و توبنجن ١٩٢٢. وقد رفضت معظم المكتبات الألمانية تطبيق القواعد الدولية أو الأنجلو أمريكية ١٩١١-١٩١٢. وفى مجال الفهرسة الموضوعية استمرت المكتبات الألمانية فى تبنى الفهارس المصنفة التقليدية. ومن الحربين العالميتين جرت محاولات مستميتة لتوحيد نظام التصنيف المعمول به فى المكتبات الألمانية.

وقد جرى جدل عنيف حول تطبيق الفهرس الموضوعى الهجائى «رؤوس الموضوعات» ولكنه لم يلق ترحيباً كبيراً ونظر إليه على أنه مجرد فهرس تكميلى مساعد. وعلى الرغم من السمعة والشهرة ذائعة الصيت التى عليها التصنيف العشرى فإنه لم يحظ تقريباً بأى قدر من الترحيب فى ألمانيا. ولقد أثيرت على نطاق واسع ١٩١٢-١٩١٣ مناقشات كثيرة حول «مبدأ الفهرس الموضوعى المتوافق مع ترتيب الرفوف» فى مقابل «مبدأ الفهرس الموضوعى المنفصل عن ترتيب الرفوف». وكان هناك تحول آخر فى الفهارس من الفهرس الكتاب اليدوى إلى فهرس البطاقات

المرقون. وكان النموذج فى ذلك فهرس بطاقات برلين المرقون ١٩١١-١٩٢٥ والذى سُجلت عليه كل المطبوعات الألمانية والأجنبية فى المكتبة، وفهرس دار الكتب الألمانية، للإنتاج الفكرى الألمانى الذى بدأ منذ ١٩٢١ والذى ساعد على إيجاد الفهرسة المركزية للإنتاج الفكرى الجديد.

فى تلك الفترة ظهر نوعان من المكتبات بناء على سياسة الانتفاع: **مكتبة المراجع** (مكتبة اللا إعارة) والتى تمثلها دار الكتب الألمانية ومعظم المكتبات المتخصصة والبحثية؛ ومكتبة الإعارة. وهذه الأخيرة طورت نظاما وطنياً للإعارة البينية. وفى سنة ١٩٣٦ دخلت المكتبات الألمانية نظام الإعارة البينية الدولى. ولقد ازداد استخدام المكتبات الألمانية فى تلك الفترة: بما لم يكن متصوراً ولذلك تم مد وقت التشغيل والفتح إلى ساعات أطول.

ولقد قامت **دار الكتب الألمانية** فى ليبزج سنة ١٩١٢ عن طريق جهود تطوعية مشتركة من اتحاد باعة الكتب و مدينة لبيزج وولاية ساكسونيا. وهذه المكتبة تمثل معنى خاصا لألمانيا.

وفى خلال فترة التضخم والركود الاقتصادى التى أعقبت الحرب العالمية الأولى دخل الرايخ الألمانى طرفا داعما لتلك المكتبة. وفى سنة ١٩٤٠ غدت مكتبة حكومية ومنذ ١٩١٣م اختطت لنفسها سياسة جمع كل الإنتاج الفكرى المكتوب بالألمانية فيما عدا النوتات الموسيقية حتى سنة ١٩٤٣، تلك النوتات التى كانت تذهب إلى مكتبة الموسيقى الألمانية التى أُسسِّت سنة ١٩٠٦ ثم ضُمت إلى المكتبة الملكية فى برلين ١٩١٤ والتى تطورت منذ ١٩٢١ إلى وكالة مركزية لمكتبة الدولة فى ألمانيا. وهذه المكتبة هى مكتبة إطلاع (مراجع) ونادراً ما تعير مقتنياتها فى الخارج.

وإلى جانب تطور المكتبات الجامعية تطور نظام مستقل للمكتبات العامة فى ألمانيا فى نهاية القرن التاسع عشر، واقترب من النظام المكتبى العام فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وقد عُرِف هذا النظام باسم (حركة قاعات المطالعة) وكان من أقوى دعاته بين آخرين «قسطنطين نورنبرج» فى كييل و «جوتليب فريتز» فى برلين -

تشارلوتنبرج وهامبورج ١٨٩٩، دوسبيرج ١٩٠١، ستيتين و إلبرفيلد ١٩٠٢ وغيرها من المدن. كذلك وجدت بعض المكتبات العامة من خلال الوقف كما حدث فى حالة مكتبة ليسيهال ديز زايس ستفتونج فى يينا ١٨٩٥ ومكتبة كروبش فى إيسين ١٨٩٩م وغيرها.

هذه المكتبات العامة غالبا ما كانت تمول من جانب المدن (مجلس المدينة) ومن ثم فقد كانت متاحة للجميع وغالبا ما كانت تقتنى فقط أروج الكتب وخاصة القصص وكتب الأدب. فى نفس ذلك الوقت بدأت الولايات تسيطر على الحركة المكتبية: ففى سنة ١٩٠٩م أصبحت الاختبارات المهنية للتعيين فى بروسيا فى يد الولاية؛ وفى سنة ١٩١٠م أسس أول مجلس استشارى حكومى للمكتبات فى العديد من المدن الكبيرة. وقبيل الحرب العالمية الأولى قام والتر هوفمان بإنشاء شبكة مكتبات عامة نموذجية فى ليبزج مربوطة إلى (معهد القراءة والكتاب) وعلى العكس من شبكة مكتبات هوفمان التى كانت تسعى إلى إرشاد القارئ ونصحه حول اختيار الكتب التى يقرؤها؛ كانت مؤسسة ستتز ريتشتونج التى أسسها إيرفين إيكرنخت التى اعترضت على أى تدخل أو تأثير من جانب أمين المكتبة على اختيارات القارئ؛ وظل الاتجاهان المتناقضان قائمين حتى نهاية الثلاثينات.

وكان من الصعب إنشاء مكتبات عامة فى المناطق الريفية والمدن الصغيرة وقد جرت محاولات متفرقة لمدها بالكتب عن طريق المكتبات المسافرة والإعارة البينية. ولم تظهر مكتبات الأطفال فى ألمانيا إلا ابتداءاً من سنة ١٩٠٠ فى برلين وميونيخ فقط. وكان اندلاع الحرب العالمية الثانية معناه وقف مد المكتبات العامة لفترات طويلة وتجميدها أو انهيارها. وفى عهد النازى وجهت محتوياتها باتجاه الدعاية السياسية والاشتراكية الوطنية باعتبار هذه المكتبات موجهة نحو الجموع.

إن المكتبة الألمانية التى ازدهرت وأشرقت فى كل اتجاه خلال النصف الأول من القرن العشرين، أصيبت بانتكاسة كبيرة عقب اندحار ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م.

وبعد الحرب والتقسيم جرت محاولات إعادة البناء المؤلمة ومحاولة تعويض ٧٠ مليون مجلد وإعادة بناء المكتبات التى دمرت بالكامل أو دمرت جزئياً؛ وإعادة الفهرسة حيث سحقت فهارس كثيرة. وقد توقف التزويد حتى ١٩٥١ بسبب قيود العملة. ولقد تم تقسيم ألمانيا إلى دولتين فى تلك الفترة وكانت نتيجة التقسيم نظامين مختلفين للحكم وكان معنى ذلك نظامان مختلفان أيضا فى المكتبات والمعلومات؛ وسار كل من النظامين فى اتجاه فى سنوات ما بعد الحرب الثانية وحتى إعادة التوحيد. ومن هنا فسوف نعالج المكتبة الألمانية فى الجزئية الآتية التى تغطى الفترة ١٩٤٦-١٩٩٠ على شطرى ألمانيا.

المكتبات فى ألمانيا الغربية (الاتحادية) ١٩٤٦-١٩٩٠

شهدت سنوات ما بعد الحرب فى المناطق التى احتلتها القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية من ألمانيا محاولات إعادة بناء مبانى المكتبات التى دُمرت تدميراً تاماً أو جزئياً والتعويض التدريجى لما فقد أو تلف من الكتب والفهارس. وبعد قيام ألمانيا الاتحادية سنة ١٩٤٩ وبعد السيطرة على التضخم وبداية الازدهار الاقتصادى أخذت المكتبات فى ألمانيا الغربية فى زيادة مقتنياتها وتحسين خدماتها وبنت نظاماً قوياً للمكتبات يستطيع أن يخدم الاحتياجات المتنامية إلى المعلومات فى مجتمع ديمقراطى يرتفع فيه مستوى التعليم والبحث والثقافة بشكل لم يسبق له نظير.

لقد تطورت منظومة المكتبات فى ألمانيا الاتحادية محكومة بالتقاليد القديمة ومربوطة إلى النظام الفيدرالى الجديد ولذلك قامت هذه المنظومة على أساس مبدأى **اللامركزية والتعاون** ، ولأن الحكومة الفيدرالية لم تكن مسئولة عن الشئون الفكرية والثقافية والعلمية فقد وقعت مسئولية المكتبات الأكاديمية والبحثية وغيرها على عاتق حكومات الولايات. ومن هذه الزاوية لم تتح الفرصة لقيام نظام وطنى للمكتبات أو المعلومات هناك وحل محل ذلك ضرب من التعاون بين العديد من المكتبات ذات الأهمية الوطنية والاهتمام العام.

وفى سنة ١٩٤٦م أنشئت «المكتبة الألمانية» فى فرانكفورت كنظير لدار الكتب الألمانية فى ليبزج. وقد دارت مسئوليتها كما سنرى حول إعداد وإصدار الببليوجرافية

الوطنية الألمانية وجمع كل الكتب المنشورة فى ألمانيا وكل الكتب الصادرة بالألمانية فى الخارج منذ ١٩٤٥. وفى سنة ١٩٦٩م غدت «المكتبة الألمانية» مؤسسة فيدرالية والمستودع القانونى الوطنى لكل المطبوعات فى الدولة. أما أكبر مكتبتين إقليميتين فى الدولة وهما: مكتبة ولاية بافاريا (باير) فى ميونيخ و مكتبة ولاية بروسيا فى برلين الغربية فقد أصبحتا بالضرورة مكتبات مركزية إقليمية بحكم المجموعات القوية والقديمة وخاصة المخطوطات وأوائل المطبوعات والمجموعات الضخمة من الإنتاج الفكرى الأجنبى. وبحكم موقعها فقد أنيط بهما بعض الوظائف المركزية مثل إعداد ببليوجرافيات الكتب المطبوعة فى القرن السادس عشر وإعداد الفهرس الموحد بالدوريات.

المكتبات الوطنية فى ألمانيا الاتحادية

لم تكن هناك فى يوم من الأيام فى ألمانيا مكتبة وطنية واحدة لعموم ألمانيا. ومع ذلك فإن «دار الكتب الألمانية» التى أُسِّست سنة ١٩١٢ فى ليبزج كانت تقوم بوظيفة جمع كل الإنتاج الفكرى الألمانى كما كانت تقوم بإعداد وإصدار الببليوجرافية الوطنية الألمانية. وعند التقسيم وقعت هذه المكتبة من نصيب ألمانيا الديمقراطية أو الشرقية. ومن هنا قامت ألمانيا الغربية بإنشاء مكتبة جديدة ند أو نظير للموجودة فى ليبزج وقد سميت المكتبة الجديدة باسم «المكتبة الألمانية» كما سبق القول فى سنة ١٩٤٦ فى فرانكفورت ـ وقد غدت كما رأينا مؤسسة فيدرالية سنة ١٩٦٩ ـ وقد تحددت وظيفتها بجمع وحفظ وضبط الإنتاج الفكرى الألمانى ليس فقط الصادر فى ألمانيا الاتحادية بل أيضا الصادر باللغة الألمانية فى ألمانيا الديمقراطية، النمسا، سويسر، لوكسمبرج وكذلك الصادر باللغة الألمانية فى أى مكان من العالم. وإلى جانب حفظ وجمع الإنتاج الفكرى والضبط الببليوجرافى تقوم المكتبة الألمانية بالخدمات المركزية لكل مكتبات ألمانيا الغربية. كما أنها تضم المكتب الألمانى لنظام بيانات الدوريات، وتقوم بعملية الفهرسة فى المطبوع لكل المطبوعات الألمانية الجديدة؛ وقاعدة بيانات الخط المباشر المعروفة باسم «ببليو ـ داتا» للبحث الببليوجرافى والتى تضم جميع التسجيلات الببليوجرافية للكتاب الألمانى منذ ١٩٧٢.

وهناك أربع مكتبات متخصصة مركزية فى ألمانيا الغربية تدخل فى عداد منظومة المكتبات الوطنية، وهذه المكتبات هى: مكتبة العلوم الطبية فى كولون؛ مكتبة التكنولوجيا فى هانوفر؛ مكتبة اقتصاديات العالم أو الاقتصاد الدولى فى كيل؛ مكتبة العلوم الزراعية فى بون. وقد تشكلت تلك المكتبات على غرار المكتبة الوطنية الطبية والمكتبة الزراعية الوطنية فى الولايات المتحدة وإن كانت هذه المكتبات تركز تركيزاً كبيراً على الإنتاج الفكرى الأجنبى كل فى مجالها.

ولقد ألمحت أيضا فى سياق التطور التاريخى إلى وجود مكتبات الولايات التى تتصدرها مكتبتان كبيرتان يطلق عليهما أيضا صفة «المركزية» هاتان هما: مكتبة ولاية بافاريا فى ميونيخ و «مكتبة التراث الفكرى فى بروسيا» وكل منهما تقوم بشىء من الخدمات الوطنية لعموم الجمهورية. وكانت مكتبة بروسيا تمول تمويلاً مشتركاً من قبل الدولة والولاية معا؛ أما مكتبة بافاريا فهى تمول فقط من قبل الولاية. وقد كانت هاتان المكتبتان هما أكبر مكتبتين فى كل جمهورية ألمانيا الغربية وتضمان كنوزاً رائعة من المطبوعات والمخطوطات القديمة إلى جانب ثروة عظيمة من الإنتاج الفكرى الأجنبى. وقد قامت هاتان المكتبتان بالتعاون مع المكتبة الألمانية بتنفيذ مشروعات وطنية على مستوى الجمهورية كلها.

وقد سبق أن ألمحت إلى أن مكتبة بافاريا قد نفذت الشكل الإلكترونى البيليوجرافى المعروف باسم مارك الألمانى وخزنت على أساسه مهاديات القرن الخامس عشر والسادس عشر. ولعله من نافلة القول أن نذكر بأن سائر الولايات الألمانية فيها مكتبات ولايات وإن صغرت وهى محلية على نطاق الولاية بالدرجة الأولى بل إن بعض مكتبات تلك الولايات تقوم بدور المكتبة الجامعية للجامعات المجاورة لها مثل مكتبة ولاية وجامعة هامبورج. هذه المكتبات تتمتع بحق الإيداع فى ولايتها أو منطقتها كما تقوم فى معظم الحالات بنشر البيليوجرافيات المحلية.

وكان هناك فى ألمانيا الغربية ما يعرف بـ «مركز المكتبات الإقليمية» وقد أنشئت بقصد الإعداد الفنى المركزى للمواد المكتبية للمكتبات الموجودة فى تلك المنطقة ومن

أمثلة تلك المراكز: المركز الموجود فى الراين الشمالى - فستفاليا (مركز مكتبة الجامعة)، والموجود فى ساكسونيا السفلى (جوتنجش) وذلك الموجود فى برلين وحيث يقوم معهد علم المكتبات بتلك الوظيفة على أعلى مستوى. وهذه المراكز تقوم بإعداد وتشغيل قواعد البيانات الآلية للمكتبات كل فى منطقته وتتيح خدماتها لجميع المكتبات، وهى مسئولة عن مركزية تخطيط وإعداد البيانات لمكتبات المنطقة.

مكتبات المدن فى ألمانيا الغربية

مكتبات المدن فى ألمانيا الغربية ليست مكتبات عامة بالمعنى الغربى الحديث ولكنها مكتبات بحث للاستخدام العام الداخلى ولها تاريخ قديم وتقاليد عريقة ترجع إلى العصور الوسطى فى معظم الأحيان. ولكن كثيراً من مكتبات المدن الكبيرة يؤدى الآن وظائف جديدة لم تعرفها من قبل. ومن هذه الوظائف التكامل مع مكتبات الجامعات على نحو ما نجده فى كولون، فرانكفورت، هامبورج، بريمن، دوسلدورف.

إن الاتجاه نحو إنشاء المكتبات العامة بالمعنى الأمريكى البريطانى بعد الحرب العالمية الثانية قد أثر يقينا فى مكتبات المدن وجَمُدَ النشاط القديم البحثى لها وأُدمِجَت فى المكتبات العامة الحديثة وخرج من بطنها نظام جديد للمكتبات العامة على نحو ما نصادفه فى هانوفر، إيسين، ميونيخ، فيبهرتال.

المكتبات الأكاديمية فى ألمانيا الغربية

تلعب المكتبات الجامعية والبحثية دوراً هاماً وسيادياً فى جمهورية ألمانيا الغربية بحيث توارت إلى جانبها سائر المكتبات الأخرى. والمكتبات الجامعية تأتى فى مرتبة ثالثة للمكتبات الثلاث الكبرى التى أتينا عليها من قبل وهى المكتبة الألمانية ومكتبة ميونيخ ومكتبة برلين. ولقد كان التوسع العظيم الذى تحقق فى المكتبات الجامعية الألمانية هو الثمرة الحقيقية التى أولتها الدولة للجامعات فى ستينات القرن العشرين. لقد كان عدد المكتبات الجامعية فى سنة ١٩٦٤ يقدر بنحو خمسة وعشرين مكتبة جامعة ومعهد. ومع قيام الوحدة مع الشطر الشرقى سنة ١٩٩٠م كان الرقم قد ارتفع ثلاث مرات. وقد ظهر نوع جديد من الجامعات هو الجامعات المهنية التى تتخصص

فى التعليم التطبيقى. وفى الفترة المدروسة بلغت هذه الجامعات نحو ستين جامعة فى جمهورية ألمانيا الاتحادية.

ولقد تغيرت البنية العامة للمكتبات الجامعية فبعد أن كانت تعتمد على المكتبة المركزية وبعض مكتبات الأقسام غدا هناك إلى جانب المكتبة المركزية مكتبات كليات ومعاهد وأقسام مستقلة بذاتها عن المكتبة المركزية حتى لنكاد نحصى مائة مكتبة فى جامعة واحدة. ومعظم الجامعات الحديثة تعتمد على عدد من مكتبات الأقسام يشار إليها هناك فى ألمانيا مكتبة الخط الواحد الجامعية.

المكتبات العامة فى ألمانيا الغربية

المكتبات العامة فى ألمانيا الغربية بالمعنى الدقيق الموجود فى الولايات المتحدة وبريطانيا هو وليد النصف الثانى من القرن العشرين بعد الحرب العالمية الثانية وعلى الأخص عِقد التسعينات كما سنرى. فكل المدن الآن فيها مكتبات عامة تمول من قبل المدينة ولها فروع داخل المدينة وخارجها تخدم الجمهور العام. وقد سبق أن أشرت إلى المكاتب الاستشارية للمكتبات العامة التى نشأت فى مطلع القرن العشرين لتطوير المكتبات العامة فى المدن الصغيرة والمحليات. ورغم أن وظيفة هذه المكاتب هى وظيفة استشارية إلا أنها تحتفظ برصيد من الكتب لتقوية مجموعات المكتبات الصغيرة. ويرى الخبراء أن منظومة المكتبات العامة فى ألمانيا الغربية غير مرضية وتقل عن مستوى نظيراتها فى ألمانيا الشرقية كما سنرى بعد.

المكتبات المتخصصة فى ألمانيا الغربية

تنتشر المكتبات المتخصصة فى ألمانيا على نطاق واسع فى الإدارات الحكومية ومراكز البحوث والبنوك ومراكز التوثيق الكثير والجمعيات العلمية والاتحادات والشركات والمصانع، ليس فقط فى المدن الكبرى العواصم ولكن أيضا فى المدن الصغرى. ورغم أن هذه المكتبات تعد بالآلاف إلا أن المكتبات الكبيرة بينها قد وصلت فى عام الوحدة ١٩٩٠م إلى نحو ألفين من المكتبات تتراوح مقتنياتها بين بضعة آلاف من المجلدات إلى مئات الآلاف.

ولقد ألمحت إلى أن تلك المكتبات المتخصصة قد أخذت سبيلها إلى الوجود فى نهاية القرن التاسع عشر. وتوجد مكتبات البرلمانات والمكتبات الإدارية على مستوى الولايات والمستوى الوطنى العام. ولعل أكبر المكتبات البرلمانية هى مكتبة البرلمان الفيدرالى المعروف باسم البوند ستاج. ويوجد لدى الشركات الكبيرة والمصانع والاتحادات مكتبات عظيمة من بينها على سبيل المثال مكتبة اتحاد الناشرين، واتحاد باعة الكتب. وقد انتعشت الكنائس والمؤسسات الدينية بعد الحرب وخاصة مؤسسات الكاثوليك الرومان والبروتستانت، وربما نصادف فى كل مؤسسة مكتبة متخصصة فى اللاهوت لاستخدام رجال الدين وأخرى عامة لاستخدام المصلين.

واعتبارًا من ١٩٦٢ قامت ألمانيا الاتحادية بإنشاء منظومة من مراكز التوثيق والمعلومات فى البلاد تمول تمويلاً مشتركاً من جانب الحكومة الفيدرالية والحكومة الولائية. وقد أقامت الحكومة الفيدرالية مشروع طموح هو «المشروع الحكومى لتطوير نظم المعلومات والتوثيق» وقد أسفر عن إنشاء **المؤسسة المركزية للبحث والتطوير** فى فرانكفورت. يضاف إلى ذلك أن المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات التى تعمل فى مجال واحد أو مجالات قريبة تتعاون فيما بينها فى تبادل المعلومات والإعداد المشترك لها.

مهنة المكتبات والمعلومات فى ألمانيا الغربية

ينتمى المكتبيون فى ألمانيا الغربية أو لنقل العاملين فى مكتبات ألمانيا الغربية إلى قطاع الخدمة المدنية أى القطاع الحكومى ويتقاضون مرتباتهم طبقا لثلاث مستويات تقابل ثلاث فئات من الوظائف: أ- المكتبى الموضوعى أى المتخصص فى أحد الموضوعات ب- المكتبى المرخص ج- المكتبى المساعد. وهؤلاء يؤهلون عادة حسب مستوياتهم للعمل فى المكتبات العامة والمكتبات الأكاديمية ومكتبات البحوث وكذلك مراكز التوثيق والمعلومات. وقد أشرت إلى أن هؤلاء المكتبيين يُعَيَّنون فى تلك الوظائف بعد اجتياز امتحان تعقده الولايات التى يريدون العمل بها وتمنح شهادة لمن ينجح يقدمها إلى المكتبة التى يريد العمل بها. ويمكن لمدارس المكتبات الموجود فى

ألمانيا أن تمنح شهادة التعيين هذه بعد دراسة ثلاث سنوات أو سنتين على التعاقب على حسب المستوى الوظيفى المطلوب. ومدارس المكتبات فى الأعم الأغلب تنتمى إلى أقل الجامعات الألمانية درجة وتمنح درجة الدبلوم للتعيين فى الوظائف الدنيا. وربما كانت أحسن الجامعات التى تدرس علم المكتبات هى جامعة كولونيا التى تمنح درجة الماجستير بعد أربع سنوات دراسية، ودرجة الدكتوراه بعد سنتين أخريين فوق الأربع.

وتقدم مدارس المكتبات فى ألمانيا الغربية برامج التعليم المستمر بالتعاون الوثيق مع اتحادات المكتبات هناك.

أما على جانب التجمع المهنى المكتبى فى ألمانيا الغربية فلعله من نافلة القول أن نذكر أنه كانت هناك ستة اتحادات مهنية كبيرة، ولكنها انخرطت جميعا فى اتحاد واحد اسمه (المؤتمر العام للمكتبات الألمانية)؛ وهو الهيئة المهنية الفيدرالية الرسمية لدى الحكومة الفيدرالية الألمانية كما أنه يرعى أيضا شئون المهنة فى الولايات. وقد نشأ هناك بعد الحرب مباشرة اتحاد المكتبات الألمانية الذى انطوت تحت لوائه كل المكتبات ومؤسساتها إلى أن أنشئ (المؤتمر العام للمكتبات الألمانية) سنة ١٩٧٨ الذى غدا مسئولاً عن تطوير الحركة المكتبية فى كل ألمانيا الغربية. وكان فى هذا الاتحاد مكتب المكتبات الأجنبية وكانت مهمته عقد الاتصالات الدولية وخاصة دعوة المكتبيين الأجانب لزيارة المكتبات الألمانية وتنظيم رحلات المكتبيين الألمان لزيارة المكتبات الأجنبية.

لقد كان أمناء المكتبات الأكاديمية والبحثية أعضاء فى اتحاد المكتبات كما كان هناك اتحاد آخر للأمناء المرخصين فى مكتبات البحث. وقد ظل اتحاد المكتبات الألمانية يعمل طيلة ثلاثة أرباع القرن فى تطوير العمل بالمكتبات الألمانية. وما قواعد الفهرسة الألمانية الجديدة وقواعد الإعارة البينية إلا ثمرة من ثمرات اتحاد المكتبات الألمانية.

وكانت الاتحادات السابقة قبل اندماجها تتعاون فيما بينها على تنظيم مؤتمر المكتبيين الألمان وبعد إنشاء معهد المكتبات الألمانية انصرفت جهود تلك الاتحادات إلى القضايا والأنشطة المهنية. وهذه الاتحادات لها مجلة خاصة بها وعنوانها: «مجلة شئون المكتبات والببليوجرافيا».

وكان هناك أيضا «اتحاد أمناء المكتبات العامة» وكان اتحاد أفراد أكثر منه اتحاد مؤسسات وكانت مهمته الرئيسية هى معالجة قضايا المهنة وشئون المكتبيين، وكان يصدر مجلة اسمها «الكتاب والمكتبة».

كذلك كان هناك بالضرورة «الاتحاد الألمانى للمكتبات المتخصصة» والذى كان يمثل المكتبات المتخصصة فى ألمانيا الغربية وكان يعقد مؤتمراً وطنياً كل سنتين لمناقشة مشاكل هذا النوع من المكتبات الألمانية.

المكتبات فى ألمانيا الشرقية (الديمقراطية) ١٩٤٦-١٩٩٠

قبل ١٩٤٥م كان فى ألمانيا بشطريها منظومة رائعة من المكتبات الجامعية والبحثية الكبيرة، كما حظيت أيضا بعدد وافر من المكتبات المتخصصة، إلا أن المكتبات العامة والمدرسية كانت محدودة فى عددها وعدتها. ولم تكن هناك خطة وطنية ـ أو ولائية لنشر المكتبات وتوسيع نطاقها؛ وكانت نتيجة ذلك أنه لم تكن ثمة مكتبات فى معظم المدن والقرى والمشروعات. أضف إلى ذلك أن جانبا كبيرا من المكتبات قد دُمِر تماماً أو أُصيب إصابات بالغة خلال الحرب.

وقد استغرق الأمر أربع سنوات بعد توقف الحرب لإعلان قيام دولة ألمانيا الديمقراطية فى سنة ١٩٤٩. وكانت ألمانيا الشرقية بطبيعة الحال هى غنيمة الاتحاد السوفيتى من الحرب فى ألمانيا إلى جانب الغنائم الأخرى على جميع الجهات. وكان من الطبيعى أن تصطبغ ألمانيا الشرقية بصبغة الاشتراكية التى طبقها الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية الأخرى. فكانت البداية هى تنقية ما تبقى من مجموعات المكتبات فى تلك الدولة الجديدة من كل ما هو نازى وكل ما هو فاشستى بل ومنع المكتبات من إعارة كتب الاشتراكية والديمقراطية والبورجوازية التى لا توافق عليها الدولة. ومع زيادة نفوذ حزب الوحدة الاشتراكى الألمانى على كل الأصعدة والجبهات فى المناطق الألمانية المحتلة من قبل الاتحاد السوفيتى أصبحت عملية الاقتناء وجمع مصادر المعلومات ووضع السياسة المكتبية مسألة حكومية بحتة ولا دخل للمحليات فيها أو القطاع الخاص، وأصبحت المكتبات أداة فى يد الحزب الحاكم. وفى نفس

الوقت فرضت الحكومة تطبيق «المبادئ اللينينية» فى المكتبات جميعاً وكان معنى ذلك:

١- التوجه نحو الاشتراكية على النحو الذى تفهمه الدولة وتعرفه، وكان هذا هو المبدأ الرئيسى الذى قاد عملية جمع مصادر المعلومات والعمل المكتبى ٢- المكتبات ليست إلا أدوات لتعليم الجموع وتنويرهم بمكاسب الاشتراكية ومفاسد الرأسمالية ٣- إنشاء شبكة مكتبات مركزية موحدة لتسيير هذه العملية ٤- لابد من تطوير مهنة المكتبات وتطبيق أنسب الأساليب للربط بين المكتبات وجموع المستفيدين من خلال هذا النظام المركزى.

ومن هذا المنطلق اتخذت الحركة المكتبية فى ألمانيا الديمقراطية مساراً مختلفاً تماماً عن الحركة المكتبية فى ألمانيا الاتحادية وإن كان أفضل وأكثر تقدماً.

بعد قيام ألمانيا الديمقراطية سنة ١٩٤٩ كانت البداية إزالة آثار العدوان وإصلاح ما أفسدته الحرب وإنشاء مكتبات جديدة وقد تم تنظيم المكتبات وانخراطها فى شبكات نوعية. فى ذلك الوقت كانت هناك ٥٩ مكتبة علمية ليس من بينها مكتبات الأقسام أو المعاهد، ٤٠٠٠ مكتبة عامة تتفاوت كثيراً فى أحجامها، ٢٢٠٠ مكتبة مصنع، ٢٠٠ مكتبة إعارة. وقد ظهرت أنواع جديدة من المكتبات مثل مكتبات الاتحادات التجارية و ٣٠٠ مكتبة فى مراكز الميكنة الزراعية وفى الخمسينات كما سنرى طبقت الدولة نظاماً رائعاً للمكتبات الإقليمية نما بسرعة بحيث كان لكل مدينة مكتبة على الأقل تخدمها.

ويلاحظ أنه مع مركزية نظم المكتبات فى ألمانيا الديمقراطية أهملت عملية ميكنة المكتبات والعمليات المكتبية. وكان ذلك واضحاً تماماً من خلال نشوء أنواع متميزة من المكتبات من بطن مكتبات كانت قائمة بالفعل؛ فالمكتبات العلمية خرجت من بطن المكتبات الإقليمية أو مكتبات البلديات المتخصصة أو خرجت من بطن خليط من المكتبات العلمية الإقليمية ومكتبات المدن والنواحى ومثالنا على ذلك مكتبة الدولة فى برلين ودار الكتب الألمانية فى ليبزج وقد أشرت إليها من قبل. وقد خرجت

المكتبات الشعبية من بطن المكتبات المدرسية أو مكتبات الاتحادات التجارية وغيرها من المنظمات. والمكتبات التكنولوجية انبثقت بالضرورة من مكتبات الأكاديميات والكليات التكنولوجية ومكتبات الأقسام والمعاهد فى الجامعات والمكتبات العلمية المستقلة والمكتبات الحكومية وكان من بين هذه المكتبات المكتبة المندمجة فى مجدبرج والتى جاء نتيجة إدماج مكتبتين للصناعات الهندسية الثقيلة. وفى الستينات والسبعينات من القرن العشرين قامت مجموعة من مكتبات الأقسام والمعاهد الصغيرة والتى لا تتخصص عميقا فى التكنولوجيا والعلوم ولكنها تعمل فى إطار الجامعات والكليات، بالانخراط فى نظام مكتبى فرعى يتبع المكتبات الجامعية السبع الموجودة هناك فى تلك الفترة.

والإعداد المهنى كما سنرى للمكتبيين فى ألمانيا الشرقية كان أفضل منه فى ألمانيا الغربية فالمكتبيون هناك يعدون إعداداً مهنياً أكاديمياً. والمكتبيون هناك كانوا يقعون فى ثلاث فئات وظيفية: ١- مكتبيون مؤهلون فى الجامعات ٢- مكتبيون مدربون فى دورات تدريبية ولا يحملون الدرجة الجامعية الأولى ٣- مكتبيون مساعدون (فنى مكتبة)، وقبل إعادة التوحيد كان فى ألمانيا الديمقراطية ٣٢٠٠٠ مكتبة تضم ما يربو على ٧٧٠ مليون مجلد !!

بعد تأسيس الدولة فى ١٩٤٩م جاءت عملية تطوير المكتبات على مراحل؛ فبين ١٩٤٩ و١٩٥٧ أنشئ شبكة مكتبات مستفيضة فى المدن والمجتمعات الريفية وفى المشروعات العملاقة وفى كل الجامعات والكليات ومراكز البحوث فى الأكاديميات. واعتباراً من ١٩٥٨ جاءت مرحلة التجويد فى جميع مجالات مهنة المكتبات وفى كل جوانب العمل المكتبى. واتخذت خطوة طيبة سنة ١٩٦٤ وهى إنشاء اتحاد المكتبات فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية والذى فتح باب عضويته أمام كل المكتبات من كل الأنواع.

وفى سنة ١٩٦٨ صدر قانون المكتبات فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية. وهو أول قانون شامل على نطاق الوطن كله فى تاريخ ألمانيا والذى بمقتضاه وُضعت أسس

ومهام كل المكتبات هناك ولقد لخص هذا القانون مبادئ ومتطلبات تطوير الفروع والمكتبات النوعية والمكتبات الفردية.

وفى منتصف الثمانينات صدرت القواعد الإحدى عشرة المنظمة لتنفيذ الأعمال المكتبية. وقد تعاونت شبكات المكتبات تعاوناً وثيقاً مع شبكات مراكز التوثيق والمعلومات؛ ولقد ضم هذا التعاون أنواعاً مختلفة من المكتبات: مكتبات ولايات، مكتبات عامة فى الولايات، مكتبات الجامعات، مكتبات الكليات، مكتبات الأكاديميات، مكتبات المشروعات المتخصصة. ولقد سعت المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات إلى تحقيق العديد من الأهداف من بينها تحقيق التقدم العلمى والتكنولوجى، زيادة الإنتاجية وكفاءتها، مساندة البحوث العلمية فى جميع المجالات، مساندة التطبيق السريع لنتائج البحوث العلمية، تحقيق حياة فكرية ثقافية أخصب لجميع المواطنين، الارتفاع بالمستوى التعليمى لدى المواطن.

وكما ذكرت سابقاً كان هناك ٣٢٠٠٠ مكتبة فى ألمانيا الديمقراطية سنة ١٩٩٠ تضم ما يربو على ٧٧٠ مليون مجلد متاحة جميعا لجمهور المستفيدين. وكان أكثر من ثلث المواطنين قراءاً دائمين فى تلك المكتبات وكان من حق كل مواطن أن يستعير الكتب استعارة خارجية وأن يستخدم قاعات الاطلاع للاطلاع الداخلى وأن ينتفع بالخدمات الكثيرة التى تقدمها. وكانت كل تلك الإمكانات تقدم بالمجان فلا تُحصَّل رسوم من أى نوع أو بأى قدر لا على الاستعارة الخارجية أو الاطلاع الداخلى أو استعمال المواد السمعية البصرية. وإنما كانت هناك رسوم بسيطة تفرض مقابل التصوير والاستنساخ واستخدام قواعد البيانات الببليوجرافية والحصول على بيانات منها.

وكانت مسألة تنظيم العمل بالمكتبات وإدارته هى مسألة مركزية بحتة فكان مجلس الوزراء هو الذى يقر السياسة العامة وكانت وزارة الثقافة هى المشرفة على تنفيذ تلك السياسة وكان بها «مجلس استشارى المكتبات» ويضم أعضاء ممثلين لكل الاتجاهات المكتبية فى الدولة بمن فى ذلك عضو ممثل لاتحاد المكتبات. وكانت الوزارة هى المنوطة

بتطبيق القانون ولذلك أصدرت قواعد مفصلة تتعلق بكل جزئيات العمل المكتبى مثل الإعارة البينية وغيرها. وعلى الجانب الأخر كانت وزارة التعليم العالى هى المنوطة بالإشراف على المكتبات الأكاديمية.

إلى جانب ذلك كانت هناك هيئات مركزية للمجالات الحيوية فى العمل المكتبى ومن بين تلك الهيئات نذكر: الهيئة المركزية للمكتبات وكانت تعالج القضايا الأساسية فى العمل المكتبى؛ الهيئة المركزية للمكتبات العلمية ومراكز المعلومات والتوثيق بوزارة التعليم العالى والتكنولوجى والتى كانت مهمتها تنسيق العمل والتعاون بين المكتبات الأكاديمية والمتخصصة؛ المكتبة المركزية للاتحادات التجارية.

المكتبات الوطنية فى ألمانيا الديمقراطية

كانت هناك مكتبتان كبيرتان تقومان بوظائف المكتبة الوطنية أولاهما هى مكتبة الدولة فى برلين، وثانيتهما هى دار الكتب الألمانية فى ليبزج. أما عن **مكتبة الدولة فى برلين** فإنها ترجع إلى سنة ١٦٦١ وكانت المكتبة المركزية لألمانيا الشرقية وكانت حتى ١٩١٣ تجمع جميع الإنتاج الفكرى الألمانى وحتى سنة ١٩٩٠ كان لديها نحو سبعة ملايين مجلد من بينها ذخائر ألمانية لقرون عديدة. وهى تقتنى أضخم مجموعة من الكتب والدوريات الأجنبية فى ألمانيا الشرقية، وفيها كذلك المخطوطات والنوتات الموسيقية ونماذج خطوط المؤلفين والخرائط والصور الشخصية وغيرها من المواد غير المطبوعة. وهذه المكتبة كانت تتمتع بالإيداع القانونى وتقيم برامج تبادل واسعة النطاق مع المكتبات والمؤسسات العلمية فى نحو تسعين دولة أجنبية إلى جانب أنها كانت مكتبة إيداع لمطبوعات الأمم المتحدة.

وكانت هناك أقسام عديدة فى تلك المكتبة على أساس شكل المادة المكتبية أو المنطقة الجغرافية مثل قسم الكتب المطبوعة، قسم الموسيقى، قسم أوائل المطبوعات، قسم كتب الأطفال، قسم كتب الشباب، قسم المخطوطات، قسم الصور النادرة والثمينة، كما أن لها فى بوتسدام قسم أرشيف تيودور فونيتن. وكانت هذه المكتبة

تقوم بدور مركزى وطنى ووظائف لعموم الدولة: مثل الإعارة البينية، الفهارس الموحدة، المخطوطات وأوائل المطبوعات إلى جانت أنها تتعاون وتنسق العمل مع المكتبات الأخرى وخاصة التزويد. ولقد قامت بنشر الفهرس الموحد لأوائل المطبوعات وهو سجل شامل لجميع المهاديات فى العالم.

وفيما يتعلق بدار الكتب الألمانية فى ليبزج فقد أشرت لماماً من قبل إلى أنها قد أسست سنة ١٩١٢ نتيجة عمل تطوعى من جانب الناشرين الألمان أساسًا، واعتباراً من ١٩١٣ بدأت فى جمع كل الإنتاج الفكرى الألمانى خلفاً لمكتبة الدولة فى برلين واستمرت فى تلك الوظيفة بعد الحرب الثانية وكانت تغطى كل الإنتاج الفكرى الصادر فى ألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية، وكل الكتب الصادرة باللغة الألمانية فى أنحاء العالم. وبالإضافة إلى الكتب والدوريات فإنها تجمع أيضا الرسائل الجامعية، الأعمال الموسيقية، القطع الفنية، الصور المطبوعة، البطاقات، توصيفات براءات الاختراع وغير ذلك من مواد الإنتاج الفكرى. واعتباراً من سنة ١٩٧٦ بدأت فى جمع التسجيلات الموسيقية الصادرة فى ألمانيا الديمقراطية. وكان فيها متحف الكتب والخطوط مما لا نظير له فى مكان آخر. وقد بلغ مجموع ما تقتنيه تلك المكتبة من إنتاج فكرى حتى سنة ١٩٩٠ نحو ثمانية ملايين مجلد. وباعتبار هذه المكتبة مركز المعلومات الببليوجرافى للإنتاج الفكرى الألمانى فإنها تتوفر على إعداد وإصدار الببليوجرافية الوطنية الألمانية والعديد من الببليوجرافيات النوعية مثل ببليوجرافية الموسيقى، والمترجمات، وغيرها.

المكتبات الأكاديمية فى ألمانيا الديمقراطية

كانت هناك تسع جامعات فى ألمانيا الشرقية وتعتبر مكتباتها من أقدم المكتبات هناك، وتقتنى دائرة واسعة من الإنتاج الفكرى وخاصة الذخائر القديمة القيمة إلى جانب الإنتاج الفكرى العلمى الحديث. ومن أقدم الجامعات هناك كانت جامعة همبولدت فى برلين التى أسست سنة ١٨٣١ وبلغت مقتنياتها سنة ١٩٩٠م خمسة ملايين مجلد؛ مكتبة جامعة ومقاطعة ساكسن - أنهالت المعروفة باسم مارتين لوثر فى

هالى - فيتنبرج التى أُسِسَّت سنة ١٦٩٦ وضمت حتى سنة ١٩٩٠م أربعة ملايين مجلد؛ مكتبة جامعة كارل ماركس فى ليبزج وقد تأسست سنة ١٥٤٣م وضمت فى سنة ١٩٩٠م ثلاثة ملايين ونصف المليون فى المجلدات؛ مكتبة جامعة فريدريتش شيللر فى يينا التى أُسِسَّت سنة ١٨٥٨م وبلغت مقتنياتها ١٩٩٠م نحو ثلاثة ملايين مجلد؛ مكتبة جامعة إرنست مورتيز آرندت فى جريفزفالد التى أُسْسَّت سنة ١٦٠٤م وبلغت مقتنياتها سنة ١٩٩٠م نحو مليونين ونصف المليون من المجلدات؛ مكتبة جامعة فيلهلم بيك فى روستوك والتى قامت ١٥٦٩ وكان قوامها مليونى مجلد سنة ١٩٩٠م؛ مكتبة الجامعة التكنولوجية فى درسدن وقد أُسِسَّت سنة ١٨٢٨م وبلغت مقتنياتها فى سنة ١٩٩٠ نحو ١,٦٠٠,٠٠٠ مجلد؛ مكتبة الجامعة التكنولوجية فى شميتز (كارل ماركس شتادت سابقاً) والتى تم تأسيسها سنة ١٨٣٦ وبلغت ٧٠٠,٠٠٠ مجلد سنة ١٩٩٠؛ وأخيراً مكتبة الجامعة التكنولوجية فى مجدبرج التى أُسْسَّت سنة ١٩٥٣ وبلغت مجموعاتها مع سنة ١٩٩٠ نحو ٦٠٠,٠٠٠ مجلد.

وقد نظمت مكتبة كل جامعة على أساس نظام مكتبى متكامل وموحد بحيث تقوم بجمع وحفظ وتيسير الإفادة من الإنتاج الفكرى وكذلك القيام بعمليات التوثيق الخاصة بالجامعة ومن الناحية الإدارية والتنظيمية البحتة فإن كل مكتبات الكليات والأقسام والمعاهد داخل الجامعة تتبع مكتبة الجامعة الرئيسية.

وفى ألمانيا الشرقية نصادف نحو ٣٠٠ مكتبة كلية وكلية تكنولوجية كان من أهمها على الإطلاق مكتبة الكلية التكنولوجية فى لونا - ميرسيبرج (١٨٠,٠٠٠ مجلد)، مكتبة أكاديمية التعدين فى فرايبرج (٤٨٢٠٠٠ مجلد)؛ مكتبة كلية النقل فى درسدن (٣٣٠,٠٠٠ مجلد)؛ مكتبة كلية الاقتصاد فى برلين (٢٣٢,٠٠٠ مجلد)؛ مكتبة كلية العمارة والهندسة المدنية فى فيمار (٢٠٤,٠٠٠ مجلد)، مكتبة كلية الرياضة البدنية والرياضات فى ليبزج (١٠٠,٠٠٠ مجلد).

هذه المكتبات رغم أنها فى جامعات إلا أنها كانت تقف على قدم المساواة مع مكتبات الجامعات المركزية. يضاف إلى نحو ٢٤٠ كلية تكنولوجية

ومتخصصة أخرى كانت لكل منها مكتبتها الخاصة بها، والتى تخدم العملية التعليمية فى مجالها.

إلى جانب مكتبات الجامعات والكليات كانت هناك مكتبات الأكاديميات فى ألمانيا الديمقراطية والتى بلغت ست أكاديميات فى فترة الدراسة هذه. أما الأكاديميات الست فهى: أكاديمية العلوم التربوية، أكاديمية العمارة، أكاديمية العلوم الزراعية، أكاديمية الفنون، أكاديمية التدريب الطبى المتقدم؛ أكاديمية العلوم. وكانت مكتبات الأكاديميات المذكورة تقتنى مجموعات كبيرة من الإنتاج الفكرى المتخصص؛ وكانت أكبر المجموعات وأهمها هى تلك الموجودة فى أكاديمية العلوم.

وكانت مكتبة ساكسونيا الإقليمية فى درسدن تتبع مباشرة وزارة التعليم العالى والتكنولوجى باعتبارها مكتبة علمية عامة ومكتبة مركزية متخصصة فى الفنون؛ وكان فيها الفهرس الإقليمى المركزى لكل من درسدن، شمنتز، كوتبوس. وكانت هذه المكتبة قد تأسست كمكتبة بلاط ساكسونيا، وتضم مجموعة كبيرة من الكتب التاريخية القديمة من بينها نخبة من أوائل المطبوعات.

المكتبات المتخصصة فى ألمانيا الديمقراطية

توجد فى جميع الوزارات والإدارات الحكومية والمؤسسات والهيئات مكتبات متخصصة ولعل أهم المكتبات المتخصصة فى المؤسسات الحكومية هى مكتبة مجلس الشعب (البرلمان)؛ المكتبة المركزية فى مجلس الوزراء؛ مكتبة المحكمة العليا فى ألمانيا الديمقراطية؛ مكتبة مكتب الاختراعات والبراءات؛ المكتبة المركزية لوزارة النقل.

من جهة ثانية فإن منظمات العمل الاجتماعى والأحزاب وغيرها لها مكتباتها المتخصصة كل فى مجاله. كذلك فإن المتاحف والتى يبلغ عددها هناك نحو ٦٠٠ متحف والجمعيات العلمية التى لا يقل عددها عن ٥٠٠ جمعية لديها جميعا مكتبات متخصصة.

وفى عقد الثمانينات أُنشِئَت شبكات تعاونية متخصصة بين المكتبات التكنولوجية وتضم هذه الشبكات فيما تضم مكتبات الصناعات الهندسية الثقيلة، مكتبات التعدين

والمعادن، مكتبات الصناعات الكيميائية، مكتبات الزراعة، مكتبات التربية، مكتبات الطب. ولعل أهم هذه الشبكات جميعا هى شبكة المكتبات الطبية التى تدار من «معهد المعلومات العلمية فى الطب» وتضم مكتبات أكثر من ٤٠٠٠ مستشفى ومركز بحوث طبية ومركز تدريب طبى. وهذه الشبكة منظمة على أساس جغرافى فيما يتعلق بالرعاية الطبية؛ وعلى أساس موضوعى فيما يتعلق بالبحوث الطبية.

المكتبات العامة فى ألمانيا الديمقراطية

كانت مكتبات الدولة العامة (الشعبية) هى أساس النظام المكتبى فى ألمانيا الديمقراطية على المستوى الوطنى. وقد امتدت وظائفها وخدماتها لتشمل كل قطاعات المجتمع وكل أجزاء الدولة. وكان المبدأ الذى يحكم تلك المكتبات هو أنها تخدم الاحتياجات العامة والخاصة لكل المواطنين من الإنتاج الفكرى والمعلومات. وكانت مهمتها الأساسية هى استثارة الرغبة فى القراءة التعليمية والترويحية والمهنية لدى الكبار والشباب والأطفال. وكان أرصدة الكتب فى هذه المكتبات ذات طبيعة عامة وكانت ترتبط مع المكتبات الأخرى باتفاقات الإعارة البينية. وكقاعدة عامة فإن هذه المكتبات تنظم على أساس شبكات تتكون من مكتبة رئيسية ومكتبات فرعية ثم مراكز إعارة.

وهناك شبكات مكتبات فى كل من المائة والتسعين منطقة ريفية. وتعتبر المكتبة الرئيسية فى كل شبكة بمثابة الهيئة الاستشارية ومخزن الرصيد للمكتبات الفرعية فى الشبكة كذلك فإن المكتبات المركزية فى المناطق الريفية بما لديها من مجموعات ضخمة وأمناء متفرغين تعتبر مستودعات تمد المكتبات الأصغر ذات الأمناء غير المتفرغين بالكتب والخبرة. وشبكة المكتبات العامة فى برلين الشرقية لها مكتبة رئيسية فى برلين ومكتبة فرعية فى كل من الضواحى التسعة للمدينة وقد عملت مكتبة مدينة برلين كمستودع رئيسى ومركز للإرشاد العلمى فى نفس الوقت.

وفى سنة ١٩٩٠م كانت هناك فى ألمانيا الديمقراطية نحو ١٤٠٠٠ مكتبة عامة كان من بينها ١٠٠٠ مكتبة رئيسية فيها أمناء متفرغون؛ بالإضافة إلى ٧٠٠ مكتبة فرعية

و ٥٠٠٠ محطة إعارة أو مركز إعارة كما يسمى هناك أما المكتبات التى يديريها أمناء غير متفرغين فكانت ٦٠٠٠ مكتبة مجتمع و ١٠٠٠ محطة إعارة.

ومن الظواهر الملفتة للنظر أن ثلثى الأطفال والشباب حتى ١٨ سنة فى ألمانيا الديمقراطية كانوا مستفيدين دائمين من المكتبات العامة هناك. وبالنسبة للأطفال ما بين سن السادسة والرابعة عشرة فقد كانت لهم أقسام مخصوصة داخل المكتبات العامة وتضم تلك الأقسام المطبوعات والمواد السمعية البصرية فى نفس الوقت وسواء كانت مكتبات الأطفال عبارة عن أقسام فى المكتبات العامة أو كانت فروعا قائمة بذاتها فإنها كانت تنظم على أساس الفئة العمرية والسنوات الدراسية. وسواء كانت مكتبات الأطفال أقساماً فى مكتبات الكبار العامة أو كانت فروعا قائمة بذاتها فإنها جميعا كانت تتيح الإعارة الخارجية والاطلاع الداخلى والاستماع للتسجيلات الصوتية ومشاهدة الأفلام. وكانت هناك عادة جولات مكتبية وتدريبات للأطفال على استخدام المكتبة سواء كانوا أطفالاً عاديين أو تلاميذاً فى المدارس.

وفى سنة ١٩٧٥ تم اتفاق بين وزارة الثقافة ووزارة التعليم على أن تقدم المكتبات العامة خدماتها إلى تلاميذ المدارس داخل الأبنية المدرسية. ونتيجة لذلك فإن مدارس التعليم الفنى ذات السنوات أو المراحل العشر لم تكن بحاجة إلى إنشاء مكتبات مدرسية اللهم إلا مجموعات صغيرة من الكتب لمساندة المناهج. وبصفة عامة فإن المكتبات المدرسية فى ألمانيا الديمقراطية ليست إلا فروعاً للمكتبات العامة داخل المدارس نفسها وفيما يتعلق بالشباب فوق الرابعة عشرة فإنهم هناك اعتبروا قراءً كباراً ومن ثم فإن مجموعاتهم تدخل ضمن أقسام الكبار ولهم حرية التنقل فى أقسام الكبار بالمكتبة.

مكتبات الاتحادات التجارية فى ألمانيا الديمقراطية

رغم تسميتها بالتجارية فإن هذه الاتحادات تنتشر على نطاق واسع فى كل قطاعات الدولة سواء قطاعات الإنتاج أو الاستهلاك أو الإدارة فهى توجد فى المؤسسات الاقتصادية، وبيوت الثقافة وبيوت العجزة والمكاتب الإدارية وغيرها والأفضل أن

نسميها مكتبات اتحادات العاملين؛ لأنها تقوم فى الأعم الأغلب بنفس الوظائف أو بوظائف شبيهة بتلك التى تقوم بها المكتبات العامة وكان الهدف منها هو أن تكون بالقرب من العاملين تمدهم بالمعلومات والكتب فى المشروعات الكبرى، والنقابات، وفرق العمل. واللائحة التى تحكم تلك المكتبات وقواعد العمل المرعية والأنشطة التى تقوم بها أصدرها وحددها المجلس المركزى للاتحاد العام للاتحادات التجارية الألمانية الحرة. وفى المشروعات التى يزيد عدد العاملين فيها على ألف لابد أن يكون فى المكتبة أمين متفرغ وفى حالة المشروعات التى يقل عدد العاملين فيها عن هذا العدد. وفى ١٩٩٠ كان هناك نحو أربعة آلاف مكتبة اتحاد تجارى منها على الأقل ثلاثة آلاف فيها أمناء متفرغون. ومكتبات الاتحادات التجارية هذه لم تكن فى يوم من الأيام منخرطة فى شبكات لا خاصة بها ولا شبكات نوعية أخرى. ولكنها عادة ما تتعاون مع المكتبات الأخرى فى مناطقها.

مهنة المكتبات والمعلومات فى ألمانيا الديمقراطية

كان أمناء المكتبات أو العاملون فى المكتبات بألمانيا الشرقية يُصنفون إلى ثلاث فئات شأنهم فى ذلك شأن ألمانيا الغربية وإن كان الاختلاف طفيفاً: أ- عاملون مكتبيون مدربون ب- أمناء مكتبات متخرجون ج- أمناء مكتبات أكاديميون. والفئة الأولى أى المكتبيون المدربون هم عاملون فى المكتبات بدون مؤهل ولكنهم تلقوا تدريباً نظرياً وعملياً فى مدرسة مكتبات أو مدرسة مهنية لمدة سنتين. أما الفئة الثانية وهم المكتبيون المتخرجون فهم هؤلاء الذين حصلوا على مؤهل متخصص فى المكتبات إما لمدة ثلاث سنوات مع التفرغ الكامل للدراسة أو لمدة أربع سنوات ونصف مع التفرغ الجزئى فى إحدى كليات علم المكتبات. أما المكتبيون الأكاديميون وهم الفئة الثالثة وهؤلاء إما يدرسون علم المكتبات والمعلومات إلى جانب التخصص فى مجال موضوعى لمدة خمس سنوات؛ أو يدرسون علم المكتبات وحده لمدة أربع سنوات، أو علم المكتبات أو علم المعلومات لمدة سنتين كدراسات عليا بعد الدرجة الجامعية الأولى فى تخصص موضوعى.

ويتم الإعداد المهنى لأمناء المكتبات إما فى «مدرسة التأهيل المهنى للعاملين المدربين فى المكتبات» فى سوندهاوزن؛ وإما فى كلية إعداد المكتبيين و كلية إعداد أمناء المكتبات العلميين فى ليبزج؛ وإما فى كلية إعداد أخصائيى المعلومات والمكتبات المتخصصة و معهد علم المكتبات والمعلومات العلمية في جامعة همبولدت فى برلين.

وفيما يتعلق بالتجمع المهنى فى ألمانيا الشرقية فإن «اتحاد المكتبات» قد أنشئ سنة ١٩٦٤ وهو اتحاد مكتبات وليس مكتبيين وحتى سنة ١٩٩٠ كان عدد المكتبات المنضمة إليه قد بلغ ٢٠٠٠٠ مكتبة. وهذا الاتحاد كان ينقسم إلى ١٥ جماعة جغرافية (وهو التنظيم الأساسى للاتحاد) وينقسم من الناحية المهنية إلى أقسام كل منها يختص بنوع معين من المكتبات، وهناك أيضا جماعات العمل التى تختص كل منها بمجال محدد مثل تعليم المكتبات، الفهرسة، الميكنة...

وكان الاتحاد يعقد جمعيته العمومية كل خمس سنوات لاختيار رئيس الاتحاد والمجلس التنفيذى الذى يضع سياسة العمل وإطار الأنشطة. وكان هذا الاتحاد هو الذى يضع الخطط والمقترحات الخاصة بتطوير المكتبات ونظم المعلومات فى عموم الدولة كما يعمل مستشاراً للهيئات المعنية المختلفة فى ألمانيا الشرقية. بالإضافة إلى ذلك فإنه كان يقوم بالدعوة المكتبية والحث على استخدام المكتبات على نطاق واسع. وكان لهذا الاتحاد علاقات واسعة بالاتحادات المكتبية فى الدول الأخرى إلى جانب أنه كان عضواً بالاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومؤسساتها (إفلا).

ومن المؤكد أنه كان هناك فى تلك الفترة فيض من الإنتاج الفكرى والبحوث المتخصصة فى المجال تقوم بها الهيئات والأفراد على السواء ومن بينها المراكز العلمية، المكتبات المركزية، معهد علم المكتبات والمعلومات العلمية فى جامعة همبولدت فى برلين المشار إليه سابقاً. وهذا المعهد هو الذى يضع المخطط العام للبحوث فى مجال المكتبات، وينسق الأنشطة البحثية فى عموم الدولة. ونتائج البحوث عادة ما تجد طريقها إلى النور فى الرسائل الجامعية، مشروعات التخرج فى الدبلوم، تقارير البحوث والمطبوعات التجارية والحكومية العادية. وهناك المئات من المطبوعات

المتخصصة التى تصدر كل سنة فى ألمانيا الديمقراطية والتى توفرت عليها جهات عديدة منها دور النشر، معاهد المكتبات، المكتبات الكبرى، اتحاد المكتبات، وكان معهد الببليوجرافيا فى ليبزج يصدر سلسلة متخصصة من الكتب فى موضوعات المكتبات والمعلومات والتوثيق. وكانت هناك مجلتان شهريتان تصدران فى برلين الأولى بعنوان مجلة المكتبات والثانية بعنوان «المكتبى» وكانت هاتان المجلتان تنشران ملاحق متخصصة فى موضوع محدد. وكانت هناك مجلة ثالثة تصدر كل شهرين بعنوان «معلومات شئون المكتبات» والتى كان يتوفر على نشرها المكتب المركزى للمعلومات والتوثيق فى تخصص المكتبات، المنبثق عن المعهد المركزى للمكتبات. والآن فلننظر ماذا حدث بعد إعادة توحيد ألمانيا فى الثالث من أكتوبر سنة ١٩٩٠ ولم شمل الألمانيتين؟

صورة المكتبات فى ألمانيا بعد إعادة التوحيد

بعد إعادة التوحيد بين شطرى ألمانيا كان الغالب أن تعود ألمانيا فيدرالية ومن ثم تغلب النظام القائم فى ألمانيا الغربية على ذلك القائم فى ألمانيا الشرقية؛ ومعنى هذا أن تشترك الولايات الألمانية فقط فى البرلمان الفيدرالى والجيش والسياسة الخارجية وفيما عدا ذلك يترك للولايات كل على حدة: التعليم والاقتصاد والمكتبات وغيرها. ومن هذا المنطلق كان النظام المكتبى فى ألمانيا الغربية هو النموذج للتطوير فى ألمانيا الشرقية، ولمعالجة أوضاع المكتبات بعد التوحيد أنشئت لجنة مشتركة (بوند لاندر) بين الشطرين للقيام بذلك بمشاركة مركزية و ولائية و محلية، هذه اللجنة تعاونت مع الاتحادات المكتبية فى وضع صورة التغيير والتطوير والتوحيد. وقبيل إعلان التوحيد جرت لقاءات ومناقشات واجتماعات مختلفة وصدرت نشرة إخبارية مشتركة بعنوان «المكتبات والمعلومات: الشرق ـ الغرب» وذلك اعتباراً من يونية ١٩٩٠ وذلك لرصد التطورات الجارية ولتوثيق الروابط بين المجتمعين.

وكان من الطبيعى أن تدمج المؤسسات المتناظرة بين الشطرين فى واحدة فأدمجت المكتبات الوطنية فى كل من فرانكفورت وليبزج فى واحدة بنفس الاسم القديم وهو

«المكتبة الوطنية الألمانية» فى موقعين وأنيط بمكتبة ليبزج أن تركز على الخدمات البيليوجرافية والإعداد البيليوجرافى للكتاب الألمانى وكذلك قضايا الحفظ ومتحف الكتاب والكتابة. بينما أُنيط بمكتبة فرانكفورت أن تقوم بإعداد ونشر البيليوجرافية الوطنية وكل ما يتعلق بعمليات الميكنة وأشكال الاتصالات بما فى ذلك استضافة مشروع إفلا الضبط البيليوجرافى العالمى - مارك الدولى.

وكان من الطبيعى أيضا أن تدمج «البيليوجرافية الوطنية الألمانية.. ليبزج: ١٩١٣ـ..»، و «البيليوجرافية الألمانية.. فرانكفورت: ١٩٤٧ـ..» أدمجتا فى واحدة تصدر عن مكتبة فرانكفورت التى كان لها سبق ميكنة ببليوجرافيتها ولكن مع الاحتفاظ بالعنوان القديم أى «البيليوجرافية الوطنية الألمانية» اعتباراً من يناير ١٩٩١م.

وبنفس الطريقة أدمجت مكتبات شطرى برلين: مكتبة الدولة الألمانية (الشرقية)، ومكتبة بروسيا الثقافية (الغربية) فى مكتبة واحدة تحت اسم «مكتبة الدولة الألمانية» ولكن بموقعين وقد أُنيط بمكتبة شرقى برلين جمع وإعداد مواد ما قبل ١٩٤٥؛ بينما مكتبة غربى برلين أُنيط بها جمع المواد الحديثة أى ما بعد ١٩٤٥. هذا التقسيم فى الواجبات حل مشكلة الانقسام التاريخى بين المواد القديمة النادرة التى حُملت إلى غربى ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية لأغراض أمنية بحتة وبين فهارسها التى بقيت فى ألمانيا الشرقية.

كذلك أُدمج معهد علم المكتبات الألمانى مع المعهد المركزى لشئون المكتبات فى معهد واحد فى برلين باسم «المعهد الألمانى لعلم المكتبات». كما أُدمجت مجلتا المكتبات الأوسع انتشاراً فى شطرى ألمانيا وهما: مجلة المكتبات (الشرقية) ومجلة شئون المكتبات (الغربية) فى واحدة تحت الاسم الأخير. وأُدمجت اتحادات الناشرين وباعة الكتب فى اتحاد واحد تحت اسم (اتحاد الناشرين الألمان).

هذا ولقد كشفت عملية إعادة توحيد شطرى الدولة عن قصور وثغرات فى النظام المكتبى الألمانى الشرقى وخاصة فيما يتعلق بمدى المجموعات وتغطيتها الموضوعية وذلك راجع بطبيعة الحال إلى التوجهات الأيديولوجية والرقابة؛ ولكن مما يدهش له

أن المكتبات العامة فى ألمانيا الشرقية قد تسرب إليها العديد من المطبوعات المناهضة للحكومة. وقد وجدت كثير من مبانى المكتبات فى حالة يرثى لها وتحتاج إلى إصلاحات كثيرة. وكان كثير من المكتبات يفتقر إلى أبسط الأجهزة مثل ماكينات التصوير والحاسبات وقد رصدت الحكومة الألمانية الفيدرالية مبالغ كبيرة من المال لتطوير تلك المكتبات وتقدم العديد من المؤسسات فى الشطر الغربى بهدايا من كتب لسد الثغرات الموجودة فى مجموعات الشطر الشرقى.

وقد جرت فى منتصف التسعينات مناقشات واجتماعات ونشرت بحوث ومقالات حول ضرورة تحديث وتطوير عملية الإعداد المهنى لأمناء المكتبات فى ألمانيا على غرار ما يتم فى سائر الدول الأوروبية وكذلك فى أمريكا الشمالية؛ وكذلك لإذابة الفروق بين الشطرين الموحدين.

المصادر

١- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتاب الدولى: دراسة فى حركة النشر الحديث ـ. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٣.

٢- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى: الغرب المسيحى ـ الدولة البيزنطية ـ اليهود ـ. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨.

٣- شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الحديثة. . الغرب المتألق ـ. القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

٤- هيسيل، ألفرد. تاريخ المكتبات/ تعريب شعبان عبد العزيز خليفة ـ. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٣.

5- Busse, Gisela Von **and** Ernestus Horst. Libraries in the Federal Rep ublic of Germany._ **2nd** ed. 1983.

6- Buzas, Ladislaus. German Library History: 800-1945. 1986.

7- Diann Greguletz, Alexander **and** Rupert Hacker **and** Wolfgang Seh-

mitz. Germany._in._ Encyclopedia of Library History._ New York and London: Garland._ 1994.

8- Kaegbein, paul and Günther Pflug. Germany._in._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : A.L.A, 1993.

9- Rovelstad, Mathilde v.East German Libraries in a Reunified Germany: the Adaptation Process._in._ Journal of Academic Librarianship._ 1992.

10- Rush-Feja, Diann. Reciprocity of Qualification in Practice : equivalency issues affecting the Librarian and documentation professions after Reunification._in._ The International Information and Library Review._ 1992.

11- Studies on the Orgianizational Structure and Services in National and University Libraries in the Federal Republic of Germany and in the United Kingdom._ 1979.

12- Wedgworth, Robert. Germany._in._ World Encyclopedia of Library and Information Services._ Chicago : ALA, 1993.

إلمندروف، تيريزا وست ١٨٥٥-١٩٣٢

Elmendrof, Theresa West 1855-1932

ولدت تيريزا هبل وست فى بارديفيل، ويسكونسن فى الأول من نوفمبر ١٨٥٥، وبعد ذلك بست سنوات انتقلت الأسرة إلى ميلووكى وذلك لتأمين فرص تعليمية أفضل لأطفالها الأربعة. وقد تعلمت فى مدارس ميلووكى وكانت مكتبة صغيرة لم تلبث أن أصبحت مكتبة للبلدية، وفى فترة الانتظار للتحول من مكتبة للاتحاد إلى مكتبة بلدية أبقت على المكتبة مفتوحة للقراء العامة ووجدت وقتاً كافياً لقراءة تقرير

مكتب التربية للولايات المتحدة المعنون «المكتبات العامة فى الولايات المتحدة الأمريكية» وقد كان هذا التقرير هو حجر الزاوية فى تكوين معلوماتها الأساسية فى المكتبات نظرياً وعملياً بل وملهماً لها فى مجال الخدمة المكتبية. ولقد عينت «تيريزا» ضمن طاقم العاملين فى مكتبة ميلووكى العامة الجديدة وفى سنة ١٨٨٠ أصبحت المديرة بالنيابة للمكتبة وبعد فضيحة التلاعب بأموال المكتبة التى كان بطلها المدير العام للمكتبة «ك.أ. لندرفيلت» شغلت «وست» المنصب سنة ١٨٩٢. وكان وجودها على رأس مكتبة ميلووكى العامة مسألة هامة طوال أربع سنوات لأنه فى ذلك الوقت كان يخطط لبناء مكتبة ـ متحف فى ميلووكى وفعلا نفذ ذلك بمساعدة منها. وقد أثبتت «وست» أنها مديرة ناجحة وعرفت مكتبتها بأنها صديقة القراء.

وقد اعتزلت منصبها سنة ١٨٩٦م عندما تزوجت من «هنرى ل.إلمندروف» الذى كان آنذاك مديراً للمكتبة العامة فى سانت جوزيف فى ميسورى ونائبا لرئيس اتحاد المكتبات الأمريكية. وقد عاش الزوجان لمدة سنة فى لندن تولى خلالها إدارة فرع مكتب المكتبات. وعادا إلى أمريكا وتولى هنرى منصب مكتبة بافالو العامة الجديدة فى منتصف سنة ١٨٩٧ وهو المنصب الذى ظل فيه حتى وفاته سنة ١٩٠٦م أى بعد تسع سنوات من توليه. ولأن «تيريزا» لم تتول خلال تلك السنوات أى منصب رسمى فإنها قد اكتفت بأن تكون المستشار الصامت والشريك فى الظل وحيث كانت لديها خبرات إدارية وفنية أكثر من زوجها ويبدو أنها كانت أكثر فاعلية فى تطوير تلك المكتبة. وفى الوقت الذى كانت فيه المكتبات الأمريكية العامة مغلقة الرفوف كانت مكتبة بافالو العامة تفتح رفوفها للقراء فيما عرف بعد ذلك بالرفوف المفتوحة. ويبدو أيضا أنها هى التى اقترحت «خطة بافالو» التى بمقتضاها أصبحت المكتبات العامة فى بافالو تقدم خدماتها إلى مدارس المدينة. ومما يكشف عن دورها فى هذه الخطة خطابها أمام اتحاد معلمى ولاية نيويورك الذى طور ووسع فيما بعد ونشر فى كتيب بعنوان «شبكة المدارس الحكومية فى بافالو وتعاون المكتبات العامة».

ولشغل وقت الفراغ حيث لم تكن لديها وظيفة، أخذت «إلمندروف» فى البحث والكتابة وتقدم خدماتها التطوعية والعلم فى المنظمات المختلفة. وقد أعدت «الفهرس

الوصفى لمجموعة جلوك من المخطوطات والخطوط فى مكتبة بافالو العامة» ١٨٩٩م. وفى سنة ١٩٠٤م عملت محرر الاختيار فى «فهرس اتحاد المكتبات الأمريكية للمكتبات الصغيرة» وكان اختبارها لتحرير هذا العمل موفقاً إلى حد كبير ومنطقياً لأنها عرفت بأنها حجة فى اختيار الكتب وكانت لها اسهامات فى «مجلة المكتبات» و «المكتبات العامة» كما نشرت مقالاتها أيضا فى مجلات خارج التخصص. وفى ١٩٠٣-١٩٠٤ عملت كرئيس لاتحاد مكتبات نيويورك. وفى نفس الوقت كانت عضواً فى معهد المكتبات الأمريكية.

وبعد وفاة زوجها اضطرت للعودة إلى العمل سنة ١٩٠٦ ولمدة عشرين عاما تالية تقلدت العديد من المناصب من بينها: نائب مدير مكتبة بافالو العامة، كذلك شاركت بفاعلية أكثر فى أنشطة اتحاد المكتبات الأمريكية وفى ١٩١١-١٩١٢ تولت رئاسة هذا الاتحاد وكانت أول امرأة تتقلد هذا المنصب وقد تولته خلال مؤتمر الاتحاد فى كندا وكانت ثانى مرة يعقد فيها هناك ـ وقد ارتكبت خطأ سياسيا عندما اقترحت تحالفاً أوثق بين البلدين وكان الكنديون ومايزالون حساسين جدا لمثل هذه الاقتراحات ـ وقد تم هذا المؤتمر فى جو من الود والألفة والمشاعر الصادقة.

وربما كانت إضافتها الكبرى هى تلك التى قدمتها فى مجال الببليوجرافيا العامة. وكانت معرفتها غير العادية بالكتب وكان حماسها غير الطبيعى نحو حمل الآخرين على القراءة؛ قد أدى بها إلى إعداد العديد من قوائم القراءة والببليوجرافيات. ففى سنة ١٩١٧م قدمت ببليوجرافية «الشعر: الحياة الهانئة» وهى ببليوجرافية مختارة قدمت إلى مكتبة بافالو العامة. وفى سنة ١٩٢١ قدمت قائمة قراءة شعبية قصيرة بعنوان: «الولايات المتحدة» وقد أعاد اتحاد المكتبات الأمريكية نشرها. وفى سنة ١٩٢٣ قدمت قائمتها: مكتبات الفصول للمدارس الحكومية» وقد نشرتها مكتبة بافالو العامة وهى أداة اختيار قيمة لمكتبات المدرسية. وحتى التقاعد الإجبارى فى سبتمبر ١٩٢٦م لم يثنها عن مواصلة جهودها، ففى سنة ١٩٢٨ قامت بإعداد ببليوجرافية القصائد والشعراء لكتاب جوزيف آوسلاندر و ف.إ.هيل «الحصان المجنح» الذى نشره الناشر وبلداى، دوران. هذه الببليوجرافية تم توسيعها وتنقيحها بعد ذلك بثلاث

سنوات ونشرها اتحاد المكتبات الأمريكية بعنوان: الشعر والشعراء: قائمة للقراء. لقد كان تذوقها للشعر وتقديرها للشعراء إحدى نقاط القوة لديها وكانت هذه آخر إضافاتها إلى عالم الكتب حيث توفيت فى منزلها فى بافالو فى الرابع من سبتمبر ١٩٣٢.

لقد كانت «تيريز إلمندورف» إمرأة غير عادية ذات قدرات عالية قدمت إضافات قوية إلى مهنة المكتبات وإلى اتحاد المكتبات الأمريكية. لقد كانت ذات مُثُل عليا ورؤية مستقبلية إلى الخدمة المكتبية سبقت بها عصرها. وبعد وفاتها كتبت «مارى هازيلتاين» أستاذة المكتبات فى كلية المكتبات بجامعة ويسكونسن تقول «لقد دخل كثير من المكتبيين الذين يحتلون اليوم مناصب هامة، مهنة المكتبات لأنها أيقظت فيهم حبهم للكتب وتقديرهم لها؛ وفتحت لهم طاقات التبصر فى العوالم الجديدة. لقد كانت مرشدا وملهما ومدرساً عظيماً حيوياً بقدر ما كانت مكتبية رائعة».

وبعد عشرين عاماً من وفاتها وفى مارس ١٩٥١م اختارت «مجلة المكتبات» «تيريزا وست إلمندورف» فى «صالون شهرة المكتبات» لما أضافته إلى مهنة المكتبات فى الولايات المتحدة. وجاء من بين حيثيات الاختيار أيضا «معرفتها غير العادية بالكتب» وقدرتها على إسعاد الآخرين وإمتاعهم بالقراءة» وكان اختيارها لهذه الجائزة تذكيراً بأحد رواد المكتبات القدامى من أصحاب القدرات النادرة والرؤية الثاقبة والمثل العليا.

المصدر

1- Thomison, Dennis. Elmendorf, Theresa West.-in.- World Encyclopedia of Library and Information Science.- Chicago : A.L.A., 1993.

محتويات المجلد السادس

تصميم : محمد حجي

دائرة
المعارف
العربية
في علوم
الكتب
والمكتبات
والمعلومات



